العنوسة

أسبابها . آثارها . علاجها

الدكتور
عبد المنعم عثمان عبد الله

دار الآفاق العربية

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

العُنُوسَة

أسبابها • آثارها • علاجها

١/٢٩٩
٤٤٤

العُنُوسَة

أسبابُها • آثارُها • عِلاجُها

الدكتور
عبد المنعم عثمان عبد الله

دار الآفاق العربية

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الآفاق العربية

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة ـ ت : ٢٦١٠١٦٤

رقم الايداع	٢٠٠٥/٢٩٣٣
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-344-109-1

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[١] ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢] ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣]

أما بعد فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.[٤]

---

[١] سورة آل عمران آية ١٠٢

[٢] سورة النساء آية ١

[٣] سورة الأحزاب آيتان ٧٠ـ٧١

[٤] صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم: ١٤٣٥ / سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب: كيفية الخطبة، حديث رقم : ١٥٦٠/ سنن أبي داود: كتاب السنة ، باب : في لزوم السنة ، حديث رقم: ١٩٩١/ سنن ابن ماجة ، المقدمة ، باب : اجتناب البدع والجدل ، حديث رقم ٤٥

العُنُوسة اسم رهيب وقعه على السامع ، عظيم خطره على صاحبه ؛ لأن له ما بعده. فما من بيت من بيوت المسلمين إلا وهو مكتو بنارها فهم : إما لهم بنت عانس إن لم يَكُنَّ بنات عوانس، أو أخت عانس إن لم يَكُنَّ عدة أخوات عوانس، أو عمة إن لم يَكُنَّ عمات، أو خالة إن لم يَكُنَّ خالات، أو بنت عم إن لم يَكُنَّ مجموعات، أو بنات خال إن لم يَكُنَّ أرتالا، أو قريبة من أقاربهم إن لم يَكُنَّ قريبات، أو جارة من جيرانهم إن لم يَكُنَّ زمرا منهن وزرافات ووحدانا.

وتلمس ظاهرة العُنُوسة في المجتمع لا تحتاج لكبير جهد، ولا لكثير عناء، ولا لإعمال فكر، ولا لإجهاد عقل، فهي ظاهرة واضحة كالشمس في رائعة النهار، فالمدارس المتوسطة والثانوية والجامعات والمكاتب ودواوين الحكومة والبيوت ملأى بالأخلَاء [1] من البنات، وها كظيظ من زحام الفتيات غير المتزوجات ولا تكاد توجد بنت واحدة في المرحلة الثانوية تدرس وهي متزوجة رغم أن أعمارهن تتفاوت ما بين السابعة عشر والتاسعة عشر سنة، واللاتي يتزوجن منهن مع قلتهن يتركن الدراسة. و المخطوبات في المرحلة المتوسطة والثانوية قليلات جدا، أما المرحلة الجامعية فعدد المتزوجات منهن لا يعدو العشرات مع أن أعمارهن تتراوح ما بين العشرين والرابعة والعشرين سنة، وأعدادهن تزيد على الملايين، فقل لي بربك عن امرأة مضى من عمرها أكثر من عشرين

---

[1] الخالي : العَزَبُ الذي لا زَوْجَة له ، وكذلك الأُنثى ، بغير هاء ، والجمع أَخْلاءٌ ؛ قال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَني أُصْبي عَلى المَرْءِ عِرْسَهُ   وأَمْنَعُ عِرْسي أَن يُزَنَّ بها الخالي ؟

[لسان العرب لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، طبع دار المعارف ، ب ت، مادة: خلا]

سنة [١] ولم تتزوج؛ بل ترى نفسها غرة صغيرة وأنها دون مرحلة الزواج وبينها وبين أن تكون أما وأن تنجب أطفالا مفاوز تنقطع دونها أعناق الإبل ومسافات لا تجتازها الخيل المضمرة، فعمرها عمر الزهور وهي لا تزال صبية ولا يزال ليلها طفلا يحبو، [٢] وأن أمامها وأمام الزواج ليل طويل فلتنم. [٣]

وفي الحقيقة أنها أضاعت سنوات إخصابها الذهبية وبدأت في العد التنازلي جنت كل هذا بفعل تعليمها الذي أنساها أنوثتها، وجعلها تعيش في غير واقعها، فأمها في البيت وخالاتها وجداتها ـــ اللاتي هن خيرا منها وذلك بشهادتها عند سؤالها ـــ كلهن قد تزوجن في عمر الرابعة عشرة سنة على أكثر الأحوال وأنجبنها هي وأنجبن غيرها من إخوانها وأخواتها.

ومن داء العُنُوسة ذبلت بنات هن في عمر الزهور وبعضهن لم تبلغ أعمارهن درجة العُنُوسة ولكنه الخوف منها وتوقعها أذبلهن، فهاجمهن شحوب الخريف في ربيع أعمارهن فتجعدت وجوههن وتحددت أجسامهن وشابت رؤوسهن قبل أوانها نتيجة

---

[١] عن أمية بنت أبي قيس الغفارية قالت أنبأتنا إحدى النسوة اللاتي زففن صفية بنت حيي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتها تقول: ما بلغت سبع عشرة سنة.[الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٠٨٧٥]

[٢] قَالَتْ عَائِشَةُ إِذَا بَلَغَتْ الْجَارِيَةُ تِسْعَ سِنِينَ فَهِيَ امْرَأَةٌ.[سنن الترمذي، كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في إكراه اليتيمة على التزويج، حديث رقم: ١٠٢٧]

قال المباركفوري: كأن عائشة أرادت: أن الجارية إذا بلغت تسع سنين فهي في حكم المرأة البالغة، لأنه يحصل لها حينئذ ما يعرف به نفعها وضررها من الشعور والتمييز.[تحفة الأحوذي ، ج ٤ ص ٢٠٨]

[٣] وحين تستيقظ من نومها وتنتبه من غفوتها تجد أن قطار الزواج قد فاتها.

الحزن لما يرين من واقع مرير لأحوال النساء، وما مضى من أعمارهن والهم بما يعايشنه من حاضر والخوف من ما يستقبلنه من آت. فالواقع مؤلم والمستقبل قاتم مظلم لا يبشر بخير بل ينذر بشر مستطير.

ويكاد يطير قلبك إن ذكرت لك إحصائيات النساء العوانس في العالم الإسلامي، ومع هذا الطوفان الجارف للعنوسة نجد بعض حكومات المسلمين تمنع تعدد الزوجات، وبعضها تسمح به بعد موافقة خطية من الزوجة الأولى التي دون موافقتها خرط القتاد، ومن يجرؤ ويعدد من دون موافقة الزوجة الأولى فإن أطفاله من زوجته الجديدة يفقدون الحقوق التي تكفلها الدولة لمواطنيها من علاج وصحة وتعليم وخلافه.

والعانس تخرج زفرات وتتنهد تنهدات تنم عن حسرة دفينة، وهذه التنهدات صورها لنا الخالدي في قوله يصف الشمس وأفولها فجعلها عانسا جميلة تنظر في المرآة وتتحسر على ما ضاع من عمرها فقال :

كتنفس الحسناء في المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج[1]

وقال معن بن أوس في نفس المعنى يصف نخلا أتى أكله وبدت ثماره مشبها له كعانس تعرض نفسها وتخشى الكساد ، ومعن سابق للخالدي :

كأنما هي عانس تصدى تخشى الكساد وتحب النقدا

فهي تردّى بعد برد بردا [2]

---

(1) انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع عالم الكتب بيروت ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م، ج ٢ ص١٠٤

(2) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين ، تحقيق د. السيد محمد يوسف ، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ٢ ص ٢٤٧

كما أن العانس تحس بغصة في الحلق وشجى في النفس، فالخوف والتوجس المقرونان باليأس من المستقبل والحسرات والندم على الماضي لإضاعتها فرصا سابقة [١] كان بموجبها أن تخرج هذه الفتاة من دائرة العُنُوسة وتنجو بها من التفاف حبلها حول عنقها، والحسرات والندم هما السمة الغالبة على العوانس وتزداد هذه الحسرات والزفرات والتنهدات إذا نظرت إلى سليمى وسلمى وهند ونظائرهن من لداتها وأترابها وأنهن قد تزوجن مع قبحهن وسواد ألوانهن، وعنست هي مع جمالها فهي كانت ترى نفسها أجمل من القمر، فكانت تميس بهذا الجمال على لداتها وتربها وتفتخر به عليهن، وكانت تظهر هذا الجمال وتبديه وتحب أن تسمع رأي غيرها فيه، قال أحدهم يصف فتاة من هذا النوع:

إذا ما الكَهْدَلُ[٢] العارِ كُ ماسَتْ في جَوارِيها
حَسِبْتَ القَمَرَ الباهِ رَ في الحُسْن، يُباهِيها[٣]

ومع هذا الجمال لم تحظ بزوج، وتزوجت فلانة مع قبحها ودمامتها، فهي لها وَجْهٌ دَمِيمٌ وخَلْق شَتِيم، وكَلِمَة عَوْرَاءُ، وفَعْلَةٌ شَنْعَاءُ، وهي امْرَأَة سَوْآءُ، لها أمْر شَنِيع، وخَطْبٌ فَظِيع. فاللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت.

عنست هي مع بياض لونها وطول شعرها وحسن ثغرها وسعة فرقها [٤] وتعدد محاسنها، وأن فلانة قد تزوجت مع فقرها وعنست هي مع غناها، وأن الأخرى قد

---

[١] هذا إن كان قد تقدم لها متقدم

[٢] الكَهْدَل: العاتِقُ من الجَواري

[٣] لسان العرب، مادة: كهدل

[٤] الفرق : الجبين

تزوجت مع دقة نسبها وحقارة أصلها وضآلة سببها ولؤم عنصرها[١] وعنست هي مع كرم الأرومة وأصالة النسب وجزالة الحسب ومكانة الوالدين وعِزّهما وشرفهما، وأنَّ هنداً قد تزوجت مع جهلها وأميتها وعنست هي مع تعليمها ونيلها أسمى الدرجات وحيازها أعلى الشهادات، وأن زينب قد تزوجت مع خرقها وعدم معرفتها بالحياة وتدبير شئون المطبخ، وعنست هي مع أنها صناع ومع معرفتها بتدبير شئون البيت، وأن ليلى قد تزوجت مع نكدها وشؤمها المعروف والمشهور بين لداها فهي مجمع الشؤم وملتقاه وتصب كل ما تعلم من الأمثال المتعلقة بالشؤم على هذه الفتاة المسكينة فتقول عنها هي : أشأم من البسوس [٢] وأشأم من عطر منشم [٣] وأشأم من خوتعة [٤] وأشأم من

---

[١] ذلك في نظرها ونظر مجتمعها .

[٢] قال ابن الأثير : أشأم من البَسُوس ، هي ناقة رماها كُلَيب بن وائل فقتَلها، وبسبَبها كانت الحرب المشهورة بين بكر وتَغْلب، وصارت مَثلا في الشُّوْم.[النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، مادة : {بسس}]

[٣] قال الجوهري: مَنْشِمُ امرأةٌ كانت بمكة عطّارة، وكانت خُزاعةُ وجُرْهُم إذا أرادوا القتال تطيَّبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثُرَ القَتْلى فيما بينهم فكان يقال: أشأَمُ من عِطرِ مَنْشِم.[لسان العرب مادة : نشم]

[٤] قيل : "أشأمُ من خَوْتَعَةَ": هو رَجُلٌ من بَني غُفَيْلَة ، دَلَّ كُثَيفَ بنَ عَمْرٍو التَّغْلبيَّ وأصحابَهُ على بَني الزَّبَّانِ الذُّهْليِّ لِتِرَةٍ كانَتْ عندَ عَمْرِو بنِ الزَّبّان، فأتَوْهُمْ وقَدْ جَلَسُوا على الغَداء، فقال عَمْرٌو: لا تَشُبَّ الحَرْبَ بَيْنَنا وبَيْنَكَ، قال: كلاّ، بل أقْتُلُكَ وأقْتُلُ إخوَتَكَ، قال: فإنْ كُنْتَ فاعلاً فأَطْلِقْ هَؤُلاء الذينَ لَمْ يَتَلَبَّسوا بالحُروبِ، فإن وراءَهُمْ طالِباً أطْلَبَ مِنّي ــ يَعْني أباهُمْ ــ فَقَتَلَهُمْ، وجَعَلَ رُؤوسَهُمْ في مِخْلاة، وعَلَّقَها في عُنُق ناقَة لَهُمْ يُقالُ لها الدُّهَيْمُ ، فَجاءَت الناقَةُ ، والزَّبّانُ جالِسٌ أمامَ بَيْتِه، فَبَرَكَتْ، فَقامَت الجاريَةُ فجسَّتِ المخلاةَ، فقالت: قد أصابَ بَنوكَ بَيْضَ النَّعامِ، فَأدْخَلَتْ يَدَها فأخْرجَتْ رَأسَ عَمْرٍو ثُم رُؤُوسَ إخْوَتِه، فَغَسَلَها الزَّبّانُ، ووضَعَها على تُرْسٍ، وقال: "آخِرُ البَزِّ على

طويس [1] وأشأم من قاشر [2] وأشأم من غراب [3] وأشأم من داحس [4]

القَلوصِ"، فَذَهَبَتْ مَثَلاً ، أي : هذا آخرُ عَهْدِي بِهِم، لا أراهُمْ بَعْدَهُ، وشَبَّتِ الحَرْبُ بَيْنَهُ وبَيْنَ بَني غُفَيْلَةَ، حتى أبادَهُمْ . فضربوا بخُوَتَعةَ المثل في الشُّؤْمِ وبحَمْل الدُّهَيْم في الثِّقَل.[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب العين. فَصْلُ الخَاء/لسان العرب مادة: ختع]

(١) طُوَيْسٌ. اسم رجل ضُرِب به المثل في الشؤم، فقيل : أشْأَمُ من طُوَيْسٍ ؛ وهو مخنث كان بالمدينة وكانَ يقولُ : إن أُمِّي كانَتْ تَمْشي بالنَّمائِمِ بينَ نساءِ الأنْصارِ، يا أَهل المدينة تَوَقَّعُوا خروجَ الدجال ما دُمْتُ بين ظَهْرانَيْكُمْ فإذا مُتُّ فقد أَمنتم لأَني ولدت في الليلة التي تُوُفِّيَ فيها رسولُ اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، وفُطِمْتُ في اليوم الذي توفي فيه أَبو بكر، رضي اللَّه عنه، وبَلَغْتُ الحُلُمَ في اليوم الذي قتل فيه عمر، رضي اللَّه عنه، وتَزَوَّجْتُ في اليوم الذي قُتِلَ فيه عُثْمانُ، رضي اللَّه عنه، ووُلِدَ لي في اليوم الذي قُتِلَ فيه عليٌّ، رضي اللَّه عنه ، فَمَنْ مِثْلي؟ وكان اسمه طاؤُوساً، فلما تخنث جعله طُوَيْساً وتَسَمَّى بعبد النَّعيم؛ وقال في نفسه:

إنني عبد النعيم   أنا طاؤُوس الجحيم
وأنا أشأم من يمـ   ـشي على ظهر الحَطيم

[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب السِّين. فَصْلُ الطَّاء / لسان العرب مادة طوس]

(٢) قيل: أشأم من قاشر؛ هو اسم فحل كان لبني عُوَافةَ بن سعد بن زيد مَناةَ بن تميم، وكانت لقومه إبل تُذْكِرُ فاستطرقوه رجاء أن تُؤنِثَ إبلُهم فماتت الأُمهات والنسل.[لسان العرب مادة: قشر]

(٣) قال ابن منظور : يقولون: أشْـأَمُ من غُرابٍ، وأَفْسَقُ من غُراب. [لسان العرب مادة : غرب]

(٤) داحِسٌ: فَرَسٌ لِقَيْسِ بنِ زُهَيْرٍ، ومنه: حَرْبُ دَاحِسٍ : تَرَاهَنَ قَيْسٌ وحُذَيْفَةُ بنُ بَدْرٍ على عشرين بَعيراً، وجَعَلا الغايَةَ مئةَ غَلْوَة، والمِضْمارَ أربعينَ لَيْلَةً. فأجْرَى قَيْسٌ داحساً والغَبْراءَ، وحُذَيْفَةُ الخَطَّار والحَنْفاءَ، فوَضَعَتْ بَنُو فَزارَةَ رَهْطُ حُذَيْفَةَ كَميناً في الطريقِ، فَرَدُّوا الغَبْراءَ، ولَطَموهَا، وكانَتْ سابقَةً. فَهَاجَتِ الحَرْبُ بينَ عَبْسٍ وذُبْيانَ أربعينَ سنةً.[القاموس المحيط، باب السِّين.فَصْلُ الدَّال]

وأشأم من الشقراء [١] وأشأم من سراب.[٢]

وترى أنها عنست هي مع يمنها وبركتها وأمرتها، [٣] وأن سلمى قد تزوجت مع أنها بخراء [٤] دفراء [٥] وعنست هي مع عبق أريجها وفواح عبيرها، وطيب ريح جسدها، وحسن مذاق رضابها، فسبحان مقسم الحظوظ والأرزاق الذي يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ولا تملك إلا أن تقول كما قال يزيد بن مفرغ الحميري:

سبحان من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولا ملامة

أعمى وأعشى ثم ذا بصر وزرقاء اليمامة[٦]

---

[١] الشَّقْراءُ : فَرَسُ شيطانِ بنِ لاطِمٍ، قُتِلَتْ وقُتِلَ صاحِبُها، فَقيلَ: أشأَمُ من الشَّقْرَاءِ، أو جَمَحَتْ بصاحِبِها يوماً، فأتَتْ على وادٍ فأرادَتْ أن تَثِبَهُ، فَقَصَّرَتْ، فانْدَقَّتْ عُنُقُها، وسَلِمَ صاحِبُها، فَسُئِلَ عنها، فقال: إنَّ الشَّقْراءَ لم يَعْدُ شرُّها رِجْلَيْها، أو كانتْ لابنِ غَزِيَّةَ بنِ جُشَمَ، فَرَمَحَتْ غُلاماً، فأصابَتْ فَلُوَّها، فَقَتَلَتْه.[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الراء فَصْلُ الشِّين]

[٢] سَرابُ : اسْمُ ناقَةِ البَسوسِ، ومنه: "أشْأَمُ مِنْ سَرابٍ".[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الباء فَصْلُ السِّين]

[٣] قال ابن منظور: رجل أَمِرٌ: مباركٌ يقبل عليه المالُ. وامرأَة أَمِرَةٌ: مباركة على بعلها، وكلُّه من الكَثرة. ورجل أَمِرٌ وامرأَة أَمِرَةٌ إذا كانا ميمونين.[لسان العرب، مادة: أمر]

[٤] البَخَرُ: الرائحة المتغيرة من الفم. وهو أَبْخَرُ وهي بَخْرَاءُ. وبَخِرَ أي نَتُنَ من بَخَرِ الفَمِ الخبيث.[لسان العرب، مادة: بخر]

[٥] الدَّفَرُ: النَّتْنُ خاصة ولا يكون الطِّيبَ البتةَ.وأَدْفَرَ الرجلُ إذا فاح ريح صُنانه.وامرأَة دَفْراءُ ودَفِرَةٌ. ويقال للأَمة إذا شُتِمَتْ: يا دَفَارِ، مثل قطام، أَي يا مُنْتِنَةُ.[لسان العرب، مادة: دفر]

[٦] انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لعبد الله الطيب، الناشرون مطبعة دار جامعة الخرطوم، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، ج ٤ القسم الأول ص ٦٠٨

بينما المتتبع لتاريخنا المتفحص له والقارئ لكتب التراجم والطبقات المستمعن في أحوال المترجمين لهم يجد سهولة الزواج ظاهرة ملموسة، وأن فلانا ــ من المترجم لهم ــ قد نظر لامرأة فأعجبته فذهب لوليها وخطبها منه فأجاب بالقبول وعقد له وبنى بها[1] من ليلته،[2] فالأهل يسرعون في تجهيز الربض للزوج ليدخل بها،[3] وأن فلانة قد تقدم لها عدة خطاب فانتقت منهم من شاءت، وصرفت الباقين، كما روى ابن عساكر وغيره أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها فقالت: قد خطبها جرير بن عبد الله البجلي وهو سيد شباب المشرق ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قريش وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم فقالت المرأة : أجادٌّ أمير المؤمنين قال : نعم قالت : قد زوجناك يا أمير المؤمنين.[4] فهؤلاء أربعة رجال تقدموا لفتاة واحدة. نفق سوقها وراج خاطبوها.[5]

---

[1] بَنى فلان بأهله كأَنَّ الأَصلَ فيه أَن الداخل بأَهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله ليدخل بها فيها فيقال: بَنى الرجلُ على أَهله، فقيل لكل داخل بأَهله بانٍ.[لسان العرب، مادة: بنى]

[2] انظر خطبة أبي العباس السفاح لأم سلمة بنت يعقوب المخزومية وبنائه بها من ليلته في: الخلافات بين الزوجين للمؤلف ص

[3] الرَّبَضُ والرُّبْضُ والرُّبَضُ: امرأَة الرجل لأَنها تُرَبِّضُه أَي تُثَبِّته فلا يبرح. ورَبَضُ الرجل ورُبْضُه: امرأَته. وفي حديث نَجَبةَ: زوَّج ابنته من رجل وجَهَّزَها وقال لا يَبِيتُ عَزَباً وله عندنا رَبَضٌ: رَبَضُ الرجل: امرأَته التي تقوم بشأْنه.[النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة: {ربض} / لسان العرب، مادة: ربض]

[4] التمهيد ج ١٩ ص ١٥٩ / البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م، ج ٨ ص ٢٤٢

[5] أنشد سيبويه لقَيْسِ بنِ المُلَوَّح:

لَخُطّابُ لَيْلى، يالَ بُرْثُنَ منكُمُ   أَدَلُّ وأَمْضَى من سُلَيكِ المَقانِبِ

وكان الرجل في السابق يأتي الناس في مجلسهم فيقول: خطب أي جئتكم خاطبا فيقولون: نكح أي قد أنكحناك [١] أي زوجناك، وقد يبلغ من سهولة الزواج ويسره أن يخطب الرجل من الرجل موليته أو ابنته في أماكن لا تخطر بالبال كالطواف مثلا كما فعل عروة بن الزبير مع عبد الله بن عمر، قال عروة بن الزبير خطبت إلى عبد الله بن عمر ابنته ونحن في الطواف، فسكت ولم يجبني بكلمة، فقلت: لو رضي لأجابني، والله لا أراجعه فيها بكلمة أبدا، فقدّر له أن صدر إلى المدينة قبلي، ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فسلمت عليه، وأديت إليه من حقه ما هو أهله، فأتيته ورحب بي، وقال: متى قدمت؟ فقلت: هذا حين قدومي، فقال: كنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله عز وجل بين أعيننا، وكنت قادرا أن تلقاني في غير ذلك الموطن! فقلت: كان أمرا قُدِرَ، قال: فما رأيك اليوم؟ قلت: أحرص ما كنت عليه قط، فدعا ابنيه سالما وعبد الله فزوجني. [٢] كما أنه كان من يسر الزواج وسهولته بين السابقين أن البنت أحيانا تزوج قبل بلوغها ويدخل بها قبل اكتمالها البدني، وهو ما

بُرْثُن حَيٌّ من بني أسد، جَعَلَ اهتِداءَهم لخطبة ليلى كاهْتِداء سُلَيْكِ بن السُّلَكةِ في سَيْره في الفَلَوات.[لسان العرب، مادة: برثن]

[١] أَنْكَحَه المرأة: زوَّجَه إياها. وأَنْكَحَها: زوَّجها، والاسم النُّكْحُ والنِّكْحُ؛ وكان الرجل في الجاهلية يأتي الحيَّ خاطباً فيقوم في ناديهم فيقول: خِطْبٌ أي جئت خاطباً، فيقال له: نِكْحٌ أي قد أنكحناك إياها؛ ويقال: نُكْحٌ إلاَّ أن نِكْحاً هنا ليوازن خِطْباً، وقصر أبو عبيد وابن الأعرابي قولهم خِطْبٌ، فيقال نِكْحٌ على خبر أُمِّ خارجة؛ كان يأْتيها الرجل فيقول: خِطْبٌ، فتقول هي: نِكْحٌ، حتى قالوا: أَسرعُ من نكاح أُمِّ خارِجة. قال الجوهري: النِّكْحُ والنُّكْحُ لغتان، وهي كلمة كانت العرب تتزوَّج بها.[لسان العرب، مادة: نكح]

[٢] حلية الأولياء ج ١ ص ٣٠٨

يسمى عند العرب الاهتجان.[١] وكان العرب يهتجنون أولادهم.[٢] وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ربيبه سلمة بن أبي سلمة من، أمامة بنت حمزة بنت عبد المطلب.[٣]

بل قد يبلغ من نفاق سوق المرأة وحرارتها وتهافت الخطاب عليها، أن يضرب به المثل كما ضرب المثل بنفاق بنات الحارث بن هشام، وبنات الحارث بن هشام يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وغلاء المهر وأبوهن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وكانت بنو مخزوم تسمى ريحانة قريش لحظوة نسائها عند الرجال وكانت الجارية تولد لأحد آل الحارث بن هشام فتتباشر النساء بها ويرين أهلها أنهم أغنياء لرغبة الخطاب فيها ولذلك قال ابن هرمة من قصيدة[٤]:

ومن لم يرد مدحي فإن قصائدي   نوافق عند الأكرمين سوامي
نوافق عند المشتري الحمد بالندى   نفاق بنات الحارث بن هشام[٥]

---

[١] اهتُجِنَت الجارية إذا افْتُرِعَتْ قبل أوانها. واهْتُجِنَتِ الجارية إذا وُطِئت وهي صغيرة. والمُهْتَجِنة الصبية؛ وفي المحكم: المرأة التي تتزوّج قبل أن تبلغ وكذلك الصغيرة من البهائم.[لسان العرب، مادة: هجن]

[٢] اهْتُجِنَتِ الجارِيَةُ: وُطِئَتْ صَغيرَةً. وغِلْمَةٌ أُهَيْجِنَةٌ، أي: أهْلُهُمْ أَهْجَنُوهُم، أي: زَوَّجُوهُمْ صِغاراً.[القاموس المحيط باب النون.فَصْلُ الهَاء]

[٣] عن عبد الله بن شداد قال كان الذي زوج أم سلمة من النبي صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة ابنها فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم أمامة بنت حمزة وهما صبيان صغيران فلم يجتمعا حتى ماتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل جزيت سلمة. [الإصابة، ترجمة: ٣٣٨٥]

[٤] ثمار القلوب للثعالبي، ج ١ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩، رقم : ٤٤٩

[٥] انظر: مجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب جواز الشعر والاستماع له، حديث رقم: ١٢٨٥٦، المعجم الكبير، ج ٣ ص ٢٥٨ حديث رقم: ٣٣٤٠

كما كان يبلغ من نفاق المرأة أن تنتقي من خطابها والمتقدمين لها من تشاء وتختار منهم من تراه مناسبا لها ، وأن تجاذب من أرادت منهم، [١] كما فعلت قريبة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية التي خطبها أربعة عشر رجلا من أهل بدر فأبت وتزوجت عقيل بن أبي طالب وقالت كان مع الأحبة يوم بدر تعني أباها وأخاها حنظلة وجدها عتبة وأخاه شيبة ومن كان معه من المشركين يوم بدر.[٢]

وكما فعلت أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بنت عبد شمس العبشمية خالة معاوية التي تناثرت عليها الظباء من الخطاب، وذلك لما قدمت من الشام فقد خطبها عمر وعلي والزبير وطلحة فأبت إلا طلحة فتزوجها [٣] وعللت رفضها لمن رفضت منهم وقبولها لمن أرادت: فعن طلحة بن عبيد الله قال: خطب عمر بن الخطاب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فأبته، فقيل لها: ولم؟ قالت: إن دخل دخل ببأس وإن خرج خرج ببأس، قد داخله أمر أذهله عن أمر دنياه كأنه ينظر إلى ربه بعينه؛ ثم خطبها الزبير بن العوام فأبته، فقيل لها: ولم؟ قالت: ليس لزوجته منه إلا شارة في قراملها؛ [٤] ثم خطبها علي فأبت، فقيل لها: ولم؟ قالت: ليس لزوجته منه إلا قضاء حاجته ويقول: كنت وكنت وكان وكان؛ ثم خطبها طلحة فقالت: زوجي حقا، فقيل: وكيف ذلك؟ قالت: إني عارفة

---

[١] جاذَبَتِ المرأةُ الرجلَ: خَطَبَها فرَدَّته، كأَنه بانَ منها مَغْلُوباً. التهذيب: وإِذا خَطَبَ الرجلُ امرأَةً فرَدَّته قيل: جَذَبَتْه وجَبَذَتْه. قال: وكأَنه من قولك جاذَبْتُه فَجَذَبْتُه أَي غَلَبْتُه فبان منها مَغْلُوباً. [لسان العرب، مادة: جذب]

[٢] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٦٤٧

[٣] الإصابة لإبن حجر، ترجمة رقم: ١١٨٨٤

[٤] القَرامِل : هي ضَفائرُ من شَعَر أو صُوف أو إبرَيْسم، تَصِل به المرأة شَعرها. والقَرمَل بالفتح: نَباتٌ طويلُ الفُروع لَيِّن. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة : {قرمل}]

بخلائقه، إن دخل ضحاكا وإن خرج خرج بساما، إن سألت أعطى، وإن سكت ابتدأ، وإن عملت شكر، وإن أذنبت غفر؛ فلما أن ابتنى بها قال علي: يا أبا محمد! إن أذنت لي أن أكلم أم أبان! قال كلمها، فأخذ سجف [١] الحجلة[٢] ثم قال: السلام عليك يا عزيزة نفسها! فقالت: وعليك السلام، قال: خطبك أمير المؤمنين وسيد المسلمين فأبيته، قالت: كان ذلك، قال: وخطبك الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد حواريه فأبيته، قالت: وقد كان ذلك، قال: وخطبتك أنا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: قد كان ذلك، قال أما والله! لقد تزوجت أحسننا وجها وأسمحنا كفا يعطي هكذا وهكذا.[٣]

كما أن بعض النساء كانت تعنت خطابها وتسألهم أسئلة لا يجيب عليها إلا صنف قليل من الناس وذلك لتهافت الخاطبين عليها وخير مثال لذلك ما فعلته صدوف التي خطبها حمران الجعدي وصدوف[٤] امرأة كانت تؤيد الكلام وتشجع في المنطق، وكانت ذات مال كثير، وقد أتاها قوم يخطبونها فردهم، وكانت تعنت خطابها في المسألة وتقول: لا أتزوج إلا من يعلم ما أسأله عنه ويجيبني بكلام على حده لا يعدوه، فلما انتهى إليها حمران، قام قائما لا يجلس. وكان لا يأتيها خاطب إلا جلس قبل إذنها، فقالت: ما يمنعك من الجلوس؟ قال: حتى يؤذن لي. قالت: وهل عليك أمير؟ قال: رب المترل أحق بفنائه،

---

(١) السجف: الستر.

(٢) الحجلة بالتَّحْريك: بَيْت كالقُبَّة يُسْتَر بالثِّياب وتكون له أزْرَارٌ كِبَارٌ، وتُجْمَع على حِجَال.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {حجل}]

(٣) كتر العمال للمتقي الهندي، حديث رقم: ٣٦٥٩٢

(٤) امرأة صَدُوفٌ للتي تَعْرِضُ وجهها عليك ثم تَصْدِفُ. والصَّدُوفُ من النساء التي تَصْدِفُ عن زَوجها.[لسان العرب، مادة: صدف]

ورب الماء أحق بسقائه، وكل له ما في وعائه، فقالت: اجلس فجلس، قالت له: ما أردت؟ قال: حاجة ولم آتك لحاجة. قالت: تسرها أم تعلنها؟ قال: تسر وتعلن، قالت: فما حاجتك؟ قال: قضاؤها هين وأمرها بيّن وأنت بها أخبر وبنجحها أبصر. قالت: فأخبرني بها؟ قال: قد عرضت وإن شئت بينت. قالت: من أنت؟ قال: أنا بشر ولدت صغيرا، ونشأت كبيرا، ورأيت كثيرا، قالت: فما اسمك؟ قال: من شاء أحدث اسما وقال ظلما ولم يكن الاسم عليه حتما، قالت: فمن أبوك؟ قال: والدي الذي ولدني والده جدي فلم يعش بعدي. قالت: فما مالك ؟ قال: بعضه ورثته وأكثره اكتسبته. قالت: فمن أنت؟ قال: من بشر كثير عدده، معروف ولده قليل صعده يفنيه أبده. قالت: ما مورثك أبوك عن أوليه؟ قال: حسن الهمم، قالت : فأين تترل؟ قال: على بساط واسع في بلد شاسع، قريبه بعيد، وبعيده قريب. قالت: فمن قومك؟ قال: الذي أنتمي إليهم، وأجني عليهم، وولدت لديهم. قالت: فهل لك من امرأة ؟ قال: لو كانت لي لم أطلب غيرها ولم أضيع خيرها. قالت: كأنك ليست لك حاجة! قال: لو لم تكن لي حاجة لم أنخ ببابك، ولم أتعرض لجوابك، وأتعلق بأسبابك. قالت: إنك لحمران بن الأقرع الجعدي. قال: إن ذلك ليقال: فأنكحته نفسها.[1]

يجد المرء هذه الظواهر وأمثالها في كتب التراجم تكاد تكون عادية، بل تتوقف كتب التراجم عند بعض الظواهر في حياة المترجم له، فعند ترجمة رجل يكون الحديث عن حياته من مولد وبلد ووفاة وزوجة أو زوجات وأولاد وعن مكانة من علم وتواليف وغير ذلك، وعند ترجمة النساء تذكر كتب التراجم زوجها أو أزواجها ـ إن كانت من

---

[1] انظر مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، ج ١ ص ١٢٨

مردفات النساء ـــ كما أنها لا تغفل عن ذكر أولادها من زوجها الواحـــد أو أزواجهـــا المتعددين، ولذلك لابد من ذكر اللاتي لم تتزوج من النساء المترجم لهن حتى موتها، وأهل التراجم يأتون بهذا الخبر لندرته وقلة حدوثه[١] ومن اللاتي ذكرن:

ـ أم المكارم كريمة بنت أحمد المروزية المتوفاة بمكـــة ســـنة ٤٦٣هـــــ، روت الصحيح عن الكشميهني ، وروت عن زاهر السرخسي ، وكانت تضبط كتابتها، وتقابل نسخها، ولها فهم ونباهة، وما تزوجت قط، وقيل: إنها بلغت المائة، وسمع منها خلق.[٢]

ـ ولادة بنت المستكفي ذكرها ابن بشكوال في الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الأدبـــاء وتفـــوق البرعـــاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربـــع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى.[٣]

---

[١] اطلعت على رد للدكتور: بكر عبد الله أبو زيد حفظه الله أسماه : الذين لم يتزوجوا من العلمـــاء وغيرهم وأسباب ذلك، والنقض على من وحّد السبب، نشرته، مكتبة المعارف الرياض، ١٤٠٥هـ على الدكتور عبد الفتاح أبو غدة وكان أبو غدة قد صنف كتابا: أسماه العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج ، ذكر فيه عددا من العلماء الذين لم يتزوجوا بلغ عددهم ـــ ٥٠ عالما ـــ مع نزاع حدث بينه وبين د. بكر أبو زيد في التسليم بزواج عدد منهم وعدم التسليم بزواج آخرين والنساء من بين المذكورين بلغ عددهن امرأتين فقط.

[٢] سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـــ ـــ ١٩٩٢م ، ج ١٨ ص ٢٣٣

[٣] نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٧

ـ أم عبد الله فاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم الأنصارية توفيت سنة ٧٠٨هـ، سمعت كريمة وابن رواحة، روت الكثير ولم تتزوج.[١]

كما أسلفنا أن أهل التراجم يتوقفون عند عدم زواج المرأة لأن الغالب في المرأة أنها تتزوج بمجرد بلوغها مبلغ النساء وإن حدث أن طلقت أو مات عنها زوجها فإنها تتزوج بمجرد انقضاء العدة مباشرة وتتجمل لذلك وتتعرض للخطاب كما فعلت الصحابية الجليلة سبيعة الأسلمية، ذكر البخاري في صحيحه: أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ[٢] فَقَالَ لَهَا مَا لِي أَرَاكِ تَجَمَّلْتِ لِلْخُطَّابِ تُرَجِّينَ النِّكَاحَ فَإِنَّكِ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ[٣] قَالَتْ سُبَيْعَةُ فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ

---

(١) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٧

(٢) ذَكَرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةَ مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَنَفِسَتْ بَعْدَهُ بِلَيَالٍ وَأَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يُكْنَى أَبَا السَّنَابِلِ خَطَبَهَا وَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا قَدْ حَلَّتْ فَأَرَادَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ فَقَالَ لَهَا أَبُو السَّنَابِلِ فَإِنَّكِ لَمْ تَحِلِّينَ فَذَكَرَتْ سُبَيْعَةُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ. (سنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب: في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها والمطلقة، حديث رقم: ٢١٧٨)

(٣) قال ابن حجر: أبو السنابل بمهملة ونون ثم موحدة جمع سنبلة اختلف وجزم العسكري بأن اسمه كنيته وبعكك بموحدة ثم مهملة ثم كافين بوزن جعفر بن الحارث بن عميلة بن السباق بن عبد الدار وكذا نسبه بن إسحاق وقيل هو بن بعكك بن الحجاج بن الحارث بن السباق نقل ذلك عن ابن الكلبي ابن عبد البر قال: وكان من المؤلفة وسكن الكوفة وكان شاعرا ونقل الترمذي عن البخاري

أَمْسَيْتُ وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي.[١]

بل نجد بعض الإخباريين من المصنفين يذكرون النساء اللاتي تزوجن أكثر من مرة وذلك مثل:

ـ أبو الحسن علي بن محمد المدائني، الذي صنف كتابه المردفات من قريش مما يعني وجود هذه الظاهرة في قبائل أخرى غير قريش وإنما اختار قريشا وأفردها بهذا التتبع لمكانتها بين العرب.

وذكر الميداني ٢٢ امرأة مردفة[١] وكرر منهن اثنتين فيكون العدد بعد حذف التكرار ٢٠ امرأة ويمكن وضعهن على النحو التالي :

أنه قال : لا يعلم أن أبا السنابل عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم كذا قال. لكن جزم ابن سعد أنه بقي بعد النبي صلى الله عليه وسلم زمنا وقال ابن مندة في الصحابة: عداده في أهل الكوفة وكذا قال أبو نعيم أنه سكن الكوفة وفيه نظر لأن خليفة قال : أقام بمكة حتى مات وتبعه ابن عبد البر ويؤيد كونه عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم قول ابن البرقي : أن أبا السنابل تزوج سبيعة بعد ذلك وأولدها سنابل بن أبي السنابل فأتى ذلك أن يكون أبو السنابل عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأنه وقع في رواية عبد ربه بن سعيد عن أبي سلمة : أنها تزوجت الشاب وكذا في رواية داود بن أبي عاصم : أنها تزوجت فتى من قومها وتقدم أن قصتها كانت بعد حجة الوداع فيحتاج إن كان الشاب دخل عليها ثم طلقها إلى زمان عدة منه ثم إلى زمان الحمل حتى تضع وتلد سنابل وصار أبوه يكنى به. وقد أفاد محمد بن وضاح فيما حكاه بن بشكوال وغيره عنه أن اسم الشاب الذي خطب سبيعة هو وأبو السنابل فآثرته على أبي السنابل أبو البشر بن الحارث وضبطه بكسر الموحدة وسكون المعجمة. [انظر: فتح الباري، ج ٩ ص ٤٧٢]

[١] صحيح البخاري : كتاب المغازي، باب : فضل من شهد بدرا ، حديث رقم : ٣٦٩١.

ـ مردفات الثلاثة : ١٠ نساء

ـ مردفات الأربعة : ٨ نساء

ـ مردفات الخمسة : امرأة واحدة

ـ مردفات الستة : امرأة واحدة.[٢]

ـ محمد بن حبيب الذي صنف كتابه المحبر وعقد فيه بابا أسماه: أسماء من تزوج ثلاثة أزواج فصاعدا من النساء، ذكر فيه عددا من مردفات النساء بلغ تعدادهن : ٧٧ امرأة من قريش وغيرها من القبائل والقرشيات منهم ٥٠ امرأة و٢٢ امرأة من سائر قبائل العرب [٣] ويمكن أن نضع ما ذكره ابن حبيب على التصنيف الآتي:

ـ من تزوج من المذكورات ٣ أزواج : ٤٦ امرأة

ـ من تزوج من المذكورات ٤ أزواج : ١٩

ـ من تزوج من المذكورات ٥ أزواج : ٢

ـ من تزوج من المذكورات ٦ أزواج : ٧

ـ من تزوج من المذكورات ٧ أزواج : ١

ـ من تزوج من المذكورات ٨ أزواج : ١

ـ من تزوج من المذكورات ١٠ أزواج :١

---

(١) امرأة مردفة أردفت زوجا بعد زوج

(٢) انظر: كتاب المردفات من قريش، لأبي الحسن علي بن محمد المدائني، من ضمن مجموعة نوادر المخطوطات الطبعة الأولى، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، ج ١ ص ٦٧ ـ ٨٦.

(٣) انظر: المحبر، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنى بتصحيحه دكتورة إيلزة ليختن ستيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت. ص ٤٣٥ ـ ٤٥٥

كما أننا نجد الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في الإصابة في تمييز الصحابة: في القسم الخاص بالنساء نجده يذكر اسم الصحابية واسم زوجها وأولادها، كما أنه لا يغفل عن تتبع حالتها في حياتها وذلك كتزوجها أكثر من مرة بعد زوجها الأول ذاكرا سبب الزواج الثاني أو الثالث الذي قد يكون لوفاة زوجها الأول أو استشهاده أو طلاقه لها أو اختلاعها منه، فركا له وفرارا منه، ويذكر أولادها من كل أزواجها.

ونلاحظ خلو الدراسات السابقة عن تواليف مفردة عن ظاهرة العُنُوسة[1] رغم أن العلماء قد كتبوا عن الزواج والترغيب فيه وتعديد محاسنه ونبدأ بكتب الحديث التي ذكرت الأحاديث الواردة في فضل الزواج والمنفرة عن التبتل والانقطاع عن الزواج بقصد العبادة وأن يكون الرجل صرورة [2] عازفا عن الزواج تاركا له.

---

[1] قال صديق القنوجي : رأيت له ــ أي الشيخ: عبد الحي البكري ــ رسالة في حث الناس على تزويج أيَامَاهم ، وردعهم عن استقباح ذلك.[أبجد العلوم للقنوجي ، المجلد الثالث: الرحيق المختوم، من تراجم أئمة العلوم، ترجمة الشيخ: عبد الحي البكري]

[2] عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا صَرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ.[سنن أبي داود: كتاب المناسك، باب: لا صرورة في الإسلام، حديث رقم: ١٤٦٩/ مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن العباس، حديث رقم: ٢٧٠١]

قال أبو عُبَيد: هو في الحديث التَّبتُّل وتَركُ النِّكَاحِ: أي ليس يَنْبغي لأحد أن يقول لا أتزوّجُ؛ لأنه ليسَ من أخلاقِ المُؤمنين. وهو فعل الرُّهبَان. والصَّرُورة أيضا الذي لم يَحُجَّ قَط. وأصلُه من الصَّرِّ: الحَبْسِ والمَنْعِ. وقيل أراد من قَتل في الحرَم قُتِل، ولا يُقبل منه أن يَقول إني صَرُورَةٌ، ما حَجَجْتُ ولا عَرَفت حُرْمَة الحَرَمِ. وكانَ الرجلُ في الجاهلية إذا أحْدث حدثا فلجأ إلى الكَعْبة لم يُهجْ، فكان إذا لَقيه وليُّ الدَّم في الحَرم قيل له هو صَرُورةٌ فلا تَهِجْه.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {صرر}]

كما ذكرت لنا كتب السنة أنواعا من الزواج كانت تمارس في الجاهلية مقرة للنوع المعروف اليوم هادمة لغيره من الأنواع الباطلة التي كانت تمارس في الجاهلية[١] بل كان الأمر بخلاف ذلك فقد كان السابقون يمارسون إعضال النساء ومنعهن عن الزواج فكانت الآيات والأحاديث تنهاهم عن ذلك.[٢]

وأعتقد أنه لم يكن يخطر ببال أحد من السابقين من عرب الجاهلية أو مؤلفي الطبقات والتراجم أنه سيأتي يوم لا يجد النساء فيه أزواجا ولا أعتقد أنه كان يدر في خلد امرأة من السابقات أنه سيأتي يوم على بنات جلدهن من بنات حواء لا يجدن فيه أزواجا فيعشن طول عمرهن متأطرات[٣] من غير زوج ولا أولاد، ويكن قواعد بيوت وحبيسات حيطان من عدم الأزواج، ولذا كان عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح مستهجنا مستقبحا في مجتمعات النساء وعالمهن ويؤيد هذا ما تفوهت به النساء من استنكار واستهجان عرض المرأة نفسها للرجل، وتكرر ذلك في عدة حوادث نجتزئ منها بالآتي:

ـ ذكر أنس بن مالك أمام ابنته أمينة قصة المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، فاستنكرت ابنته ذلك بل وصفت ابنته المرأة الواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم بأنها قليلة الحياء وأن فعلها هذا يسيء لبنات جلدتها من النساء.[٤]

ـ ما قيل لأم شريك غزية بنت جابر الدوسية من الأزد وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وعرضتها عليه وكانت جميلة وقد أسنت فقالت إني أهب

---

[١] انظر غنية المحتاج في بناء الأسرة وأنواع الزواج

[٢] انظر : التعنيس بسبب الأنفة والغيرة ص من هذا الكتاب.

[٣] قال ابن الأعرابي: التأطير أن تبقى الجارية زماناً في بيت أبويها لا تتزوّج.[لسان العرب، مادة أطر]

[٤] انظر ص من هذا الكتاب

نفسي لك وأتصدق بها عليك فقبلها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير قالت أم شريك فأنا تلك فسماني الله مؤمنة فقال ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ...الآية ﴾ [1] فلما نزلت الآية[2] قالت عائشة إن الله ليسرع لك في هواك.[3]

كما أنه لم يكن من أسباب وأد البنات عند العرب عدم وجود أزواج لهن وإنما كان من أسباب الوأد عند العرب الخاصة بموضوعنا :

أ ــ الغيرة من الأزواج: كما علل النعمان بن المنذر صفة الوأد أمام كسرى قائلا: أما قولك أيها الملك يئدون أولادهم فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة منهم من العار وغيرة من الأزواج.[4]

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٠

(٢) عَنْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ قُلْتُ مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ .[صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب قوله ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ حديث رقم: ٤٤١٤، صحيح مسلم. كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها، حديث رقم: ٢٦٥٨]

(٣) الإصابة لابن حجر، ترجمة: ١٠٢٦٨

(٤) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي: شرح محمد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (ب . ت) ج١ص١٥٠

ب ــ الخوف من زواج غير الأكفاء ببناهم، [١] سأل أبو بكر الصديق قيس بن عاصم: ما حملك على أن وأدت فقال: خشيت على أن يخلف عليهن غير كفء. [٢]

وقال قتادة: كان مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء وأشدهم في ذلك تميم زعموا خوف القهر عليهن وطمع غير الأكفاء فيهن. [٣]

بل كان بعض العرب يفرح بقدوم البنات عليه ــ مع أن كثرهم كانت تبغض البنات [٤] ــ لأنه سيزوجهن وينال من وراء ذلك كسبا ماديا ضخما، قال ابن منظور: كان أهل الجاهلية إذا زوَّج الرجل ابنته استَجْعل لنفسه جُعْلاً يسمَّى الحُلْوان، وكانوا يسمون ذلك الشيء الذي يأخذه النافِجَة، كانوا يقولون بارك الله لك في النافِجَة فجعل الله الصَّدُقة للنساء فأبطل فعلَهم. [٥]

---

[١] قال عمر بن الوردي:

لولا بَناتي متُّ من شوقي إلى موتٍ أُرَاحُ بهِ من الأشرارِ
أقسمتُ ما دُفِنَ البناتُ تلاعباً دفنوا البناتِ كراهةَ الأصهارِ

[٢] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١ص١٥٠

[٣] انظر : روح المعاني ج١٤ص١٦٩

[٤] قال الله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل آية : ٥٨ــ٥٩)

[٥] لسان العرب ، مادة : نحل

وإن كانت الغالبية العظمى من العرب يستنكفون عن أخذ حلوان بناتهم. والحُلْوانُ: أن يأْخذ الرجلُ من مَهْرِ ابنته لنفْسه، وهذا عارٌ عند العرب؛ قالت امرأة في زوجها:

لا يأْخُذُ الحُلْوانَ من بَناتِيا[1]

ويقال للإبل التي يَرِثُها الرجلُ فتكثُرُ بها إبِلُه: نافِجةٌ؛ وكانت العربُ تقول في الجاهلية للرجل إذا وُلِدَتْ له بنتٌ: هنيئاً لك النافجةُ أي المُعَظِّمَةُ لمالِك، وذلك أنه يُزَوِّجُها فيأْخُذ مَهْرَها من الإبلِ، فيَضُمُّها إلى إبِلِه فيَنْفُجُها أي يَرْفَعُها ويُكَثِّرُها.[2]

وقال أحدهم يفتخر بأن ماله اكتسبه بنفسه فهو ليس وراثة لأن أباه لم يترك شيئا لجوده وكرمه ولا من مهر ابنته:

وليس تلادي من وراثة والدي ولا شأن مالي مستفاد النوافج

ومعناه أن أباه كان جوادا لم يدخر ما يورث.[3]

والفرح بقدوم البنت وأخذ حلوانها يعني سهولة الزواج عندهم بل رواج الزواج فظاهرة العُنوسة لم تكن معروفة ومستشرية بين الأقدمين.

وكان حكام المسلمين يهتمون برعيتهم من أرامل وغيرهم: فعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ كَيْفَ فَعَلْتُمَا أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا

---

[1] لسان العرب، مادة : حلا

[2] لسان العرب، مادة: نفج

[3] كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هرون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (ب. ت) ج ١ ص ٣٣٤

الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ قَالَا حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ قَالَ انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ قَالَ قَالَا لَا فَقَالَ عُمَرُ لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا قَالَ فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ.[١]

كما أن حكام المسلمين كانوا لا يغفلون عن العاجزين والضعفاء من أفراد المجتمع فقد كان الوليد بن عبد الملك يختن الأيتام، ويرتب لهم المؤدبين، ويرتب للزمنى من يخدمهم، وللأضراء من يقودهم، وعمّر المسجد النبوي ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وحرم عليهم سؤال الناس، وفرض لهم ما يكفيهم.[٢]

وكان إعلام المجتمع في ذلك الوقت يتكلم عن ظواهر تقض مضجعه، وتؤرقه، كالاهتمام بالأرامل واليتامى والمعوزين وغلاء الأسعار وضوائق المعيشة التي تعاني منها الرعية، يتكلم عن ذلك بوسائله المتاحة له من حديث في المساجد وإخبار ولاة الأمر عن طريق إرسال الوفود والشعراء لتوضيح هذه الظاهرة بغية القضاء عليها، قال جرير لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مصورا حال معاناة العباد:

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت ... أم قد كفاني ما بلغت من خبري

كم باليمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم[٣] ضعيف الصوت والنظر

---

[١] صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، حديث رقم: ٣٤٢٤

[٢] تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبع دار الجيل ببيروت سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ص ٢٦٦

[٣] اليُتم في الناس: فَقْدُ الصَّبيِّ أباهُ قَبْل البُلوغ، وفي الدَّوابِّ: فَقْدُ الأمِّ. وأصْلُ اليُتْمِ بالضَّم والفتح: الانْفِرادُ. وإذا بَلَغا زَالَ عَنْهما اسْمُ اليُتْم حَقيقَة. وقد يُطْلَق عَلَيْهما مَجَازاً بَعْد البُلُوغ، كما كانُوا

ممن يعدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلا من الجن أو مسا من النشر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذى الأرمل[١] الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر[٢]

ومن تتبع كتب التاريخ والتراجم نجد أن العُنُوسة في السابق لم تكن ظاهرة تؤرق المجتمع وتقض مضجعه وتهدده، بل كانت حالات فردية من الجنسين متعلقة بالفتاة العانس أو الفتى من رفض للزواج أو زهد فيه أو دمامة أو إعاقة حالت دون زواج الفتاة، ولذا لم تكن العُنُوسة من اهتمام الحكام لأنها لم تكن موجودة، وكان بعض الحكام يهتم أو يسهم في أمر أهمه وأرقه من نوع آخر من النساء، وهن الجواري اللاتي استخدمن واستمتع بهن ورأي المجتمع أنهن قد أدين دورهن وأفنين حياتهن في إمتاع الآخرين من أمراء وعلية مجتمع فسعى بعض الحكام لحل معضلتهن لأنهن صرن يعانين الوحدة بعد أن مل منهن من أحضرهن، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عن الخليفة المستنصر بالله:

يُسَمُّون النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو كَبير: يَتِيمَ أبي طَالِب، لأنه رَبَّاه بَعْد مَوْتِ أبيه.[لسان العرب، مادة: يتم]

(١) الأرَامِل: المسَاكِين من رِجال ونِسَاء. ويقال لكُلّ واحدٍ من الفَرِيقَين على انْفِرَاده أرَامِلُ، وهو بالنِّساء أخَصُّ وأكثر استعمالاً، والواحدُ أرْمل وأرْمَلة. وقد تكرر ذِكْر الأرْمَل والأرْمَله في الحديث. فالأرْمَل الذي ماتت زوجتُه، والأرْمَله التي مات زوجها. وسواءٌ كانا غَنِيَّين أو فقِيرَيْن. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: رمل]

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد للحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م ص ١٩٨ ــ ٢٠١

كان جميل الصورة حسن السريرة جيد السيرة كثير الصدقات والبر والصلات محسنا إلى الرعية بكل ما يقدر عليه فكان يبني الربط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات وقد عمل بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة للفقراء لا سيما في شهر رمضان وكان يتقصد الجواري اللائي قد بلغن الأربعين فيشترين له فيعتقهن ويجهزهن ويزوجهن وفي كل وقت يبرز صلاته ألوفا متعددة من الذهب تفرق في المحال ببغداد على ذوي الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم.[1]

والأشياء التي عثرت عليها من خلال تتبعي الطويل لموضوع العُنوسة وخوف السابقين منها هي:

ـ ما ذكره الإمام القرطبي في قوله تعالى ﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾[2] قال ابن المبارك: هي البنات والأخوات إذا كسدن في البيت لا يجدن لهن خاطبا. قال الشاعر:[3]

كسدن من الفقر في قومهن وقد زادهن مقامي كسودا[4]

ـ دعاء الله عز وجل لإنفاق الأيم، والاستعاذة بالله من الأيمة والعيمة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(1) البداية والنهاية، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح) ج ١٣ ص ١٨٢

(2) سورة التوبة آية ٢٤

(3) هو نصيب

(4) انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر مؤسسة مناهل العرفان بيروت، توزيع مكتبة الغزالي دمشق، مجلد ٤ ج ٨ ص ٩٥

قال ابن قتيبة: وقال أبو محمد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : "أنَّه كان يتعوَّذ من خَمْس من العَيْمة والغَيْمة[١] والأَيْمة[٢] والكَزَم والقَرَمِ". يرويه سليمان بن الربيع الكوفي عن همّام عن أبي العوّام عمران بن داود الطان عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم. [٣]

ـ قال القاسم بن عبد الرحمن: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقرأ القرآن فإذا فرغ قال: أين العزاب؟[٤] فيقول: ادنوا مني، ثم قولوا: اللهم ارزقني امراة إذا نظرت إليها سرتني، وإذا أمرتها أطاعتني، وإن غبت عنها حفظت غيبتي في نفسها ومالي.[٥]

ـ قال نصيب لعمر بن عبد العزيز عندما سأله عن حاله: كبر سني ورق عظمي، وبليت ببنات نفضت عليهن من لوني، فكسدن علي فبكى عمر من قوله.[٦]

---

[١] قال ابن الأثير : أنه ـ يقصد النبي صلى الله عليه وسلم ـ كان يَتعوّذُ من العَيْمَةِ والغَيْمة والأيْمة . العَيْمة: شدّة شهْوة اللَّبن. وقد عَام يَعَام ويَعِيم عَيْما. [النهاية في غريب الحديث والأثر . مادة: {عيم}]

[٢] الأيْمة طولُ التَعَزُّب من قولك رجل أيّم وامرأة أيّم إذا كانا عَزَبَيْن

[٣] غريب الحديث ج ١ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩

[٤] العُزَّابُ بالضم والتشديد الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء قال الكسائي الرجل عَزَبٌ والمرأة عَزَبةٌ والاسم العُزْبَة كالعزلة والعُزُوبةُ أيضا و عَزَبَ بَعُد وغاب.[مختار الصحاح. مادة: عزب]

[٥] روضة المحبين لابن القيم ص ١٥٦

[٦] محاضرات الأدباء ج٢ص٣٢٦

ـ قصة المرأة العراقية مع خامس الخلفاء الراشدين: فقد قدمت امرأة من العراق على عهد عمر بن العزيز، فلما صارت إلى بابه ، قالت: هل على أمير المؤمنين حاجب؟ فقالوا: لا فادخلي إن شئت، فدخلت المرأة على زوجة عمر فاطمة وهي جالسة في بيتها وفي يدها قطن تعالجه، فسلمت المرأة فردت فاطمة السلام وقالت: لها: ادخلي.

فلما جلست المرأة رفعت بصرها فلم تر في البيت شيئا له بال وذا أهمية، قالت: إنما جئت لأعمر بيتي من هذا البيت الخراب. قالت فاطمة: إنما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك فأقبل عمر حتى دخل الدار فسلم ودخل بيته فمال إلى مصلى كان له في البيت يصلي فيه. فسأل فاطمة عن المرأة فقالت: هي هذه فأخذ مكتلا له فيه شيء من عنب فجعل يتخير لها أحسنه يناولها إياها ثم أقبل عليها فقال: ما حاجتك.

فقالت: امرأة من أهل العراق لي خمس بنات كسل كسد فجئتك أبتغي حسن نظرك لهن، فجعل يقول: كسل كسد ويبكي فأخذ الدواة والقرطاس وكتب إلى والي العراق فقال: سمي أكبرهن؟ فسمتها ففرض لها، فقالت المرأة: الحمد لله. ثم سألها عن اسم الثانية والثالثة والرابعة والمرأة تحمد الله ففرض لها. فلما فرض للأربع استفزها الفرح فدعت له فجزته فرفع يده وقال: قد كنا نفرض لهن حين كنت تولين الحمد أهله فمري هؤلاء الأربع يفضن على الخامسة.[1]

كما أنه لا يخفى أن عنوسة البنات الخمس في هذه القصة لعلة خاصة بهن. وليس لأنه لا يوجد أزواج لوجود عنوسة مستديمة في المجتمع، وإنما عزف عنهن الأزواج لأنهن كسل فنتج عن كسلهن كسادهن، كما ذكرت المرأة في شكواها لعمر بن عبد العزيز.

---

[1] موارد الظمآن لدروس الزمان، لعبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الثامنة عشر ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ج ٢ ص ٨٧٢ ـ ٨٧٣

وجملة القول إن العُنُوسة ظاهرة خطيرة قد نكون في غفلة عنها فكم من عانس فكرت في الانتحار، وأخرى زنت أو فكرت في الزنا، أما تحدد وجوه العوانس وذبول نضرتها فمشاهد ملاحظ من الجميع.

هذا وقد قسمت موضوعي إلى مقدمة وأربعة أبواب كل باب يحوي عدة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

- **المقدمة**
- **الباب الأول : العُنُوسة توضيح وأرقام**
- **الباب الثاني : أسباب العُنُوسة**
- **الباب الثالث : آثار العُنُوسة**
- **الباب الرابع : علاج العُنُوسة**
- **الخاتمة**

وأسميته : **العُنُوسة : أسبابها ـ آثارها ـ علاجها**

وقد حاولت في هذا الكتاب الإحاطة بالموضوع والاستقصاء لكل جوانبه، فذكرت أسبابا يمكن أن تكون تاريخية أو بعيدة الحدوث والوقوع ولكني تعرضت لها حتى يتم علاج الموضوع من وجهة نظري علاجا كاملا وأن يفتح المجال لإسهام المسهمين ولأقلام الباحثين للتعاون في القضاء على هذه الظاهرة التي تهدد المجتمع وتنذر بشر مستطير.

وبعد الانتهاء من هذا البحث أتاني أحد الإخوة بمواضيع وإحصاءات عن العُنُوسة ذكر لي أنه وجدها في موقع: إسلام أون لاين، فكان ذلك حافزا لي للبحث عن مواقع أخرى واستجلاب معلومات مفيدة والمواقع التي تعاملت معها هي : إسلام أون لاين وموقع العانس ، وموقع : الدر المكنون وقد استفدت منها في ذكر قصص وأمثلة ونماذج وإحصاءات فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

وكل القصص المذكورة من هذه المواقع وقد يصعب أحيانا التوثيق بذكر الصفحة وغيرها، ولذا لزم التنويه على ذلك.

والله أسأل أن ينفع به قارئه وأن يغفر لجامعه، الذي رام الحد من استشـــراء داء العُنوسة، وأهمه أمر أخواته المسلمات ، وأقض مضجعه ، فأدلى بدلوه في حل مشكلتهن، هذا فإن أصاب في ذلك فالفضل والمنة لله وحده، وإن أخطأ فمن نفسه والشـــيطان والله ورسوله بريئان من ذلك.

وحسبي أني أثرت هذا الموضوع والله أسأل أن ينفعني به يوم فقري وحوجتي إليه وأن يدخلني به الجنة، ورحم الله امرأ قال: آمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. عبد المنعم عثمان عبد الله صبير
٢٢ ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٠م
SUBAIR_3@HOTMAIL.COM

الباب الأول
العُنُوسة توضيح وأرقام

الفصل الأول
تعريف العُنُوسة وبيان موقعها من ترتيب أعمار النساء

الفصل الثاني
هل العُنُوسة مقصورة على النساء أم تشمل الرجال أيضا

الفصل الثالث
العُنُوسة في عالمنا العربي والإسلامي إحصاء وأرقام

الفصل الأول
تعريف العُنُوسة وبيان موقعها من ترتيب أعمار النساء

المبحث الأول
تعريف العُنُوسة

المبحث الثاني
ترتيب أعمار النساء

المبحث الثالث
الحد العمري للعنوسة

المبحث الأول
تعريف العُنُوسة

١ ـ العُنُوسة : تأخر زواج الفتاة وطول مكثها في منزل أهلها

٢ ـ الرجل الذي لم يتزوج

٣ ـ التغير في الإنسان

٤ ـ طول ذنب الناقة

٥ ـ العنس: الإبل

٦ ـ العنس: عطف العود وقلبه

٧ ـ العنس: العقاب

٨ ـ عنس قبيلة يمنية

٩ـ العناس: المرآة

١٠ ـ عُنَيِّس: اسم رَمل معروف

١١ ـ العنس الصخرة

المبحث الأول

تعريف العُنوسة

قال ابن فارس: العين والنون والسين أصل صحيح واحد، يدل على شدة في شيء وقوة.[١] وتأتي كلمة عانس على عدة معان هي:

١ ـ تأخر زواج الفتاة وطول مكثها في منزل أهلها :

قد يكون تأخر زواج الفتاة لسببين هما:

أ ـ تأخر الزواج بسبب التعنيس :

عَنَسَتِ المرأة كسَمِعَ ونَصَرَ وضَرَبَ، تَعْنُس، بالضم، عُنُوساً وعِناساً وتَـأَطَّرَتْ، وهي عانس، من نِسوة عُنَّسٍ وعَوَانِسَ، وعَنَّسَتْ، وهي مُعَنَّس، وعَنَّسَها أهلُها: حَبَسُوها عن الأَزواج حتى جازت فَتَاءَ السِّن ولَمَّا تَعْجُزْ. قال الأَصمعي: لا يقال عَنَسَتْ ولا عَنَّسَت ولكن يقال عُنِّسَت، على ما لم يسمَّ فاعلُه، فهي مُعَنَّسَة.[٢]

ب ـ تأخر الزواج لعدم وجود الزوج :

عَنَسَتِ الجارية تَعْنُس إِذا طال مكثها في منزل أَهلها بعد إِدْراكها حتى خرجتْ من عِداد الأَبكار، هذا ما لم تتزوج، فإِن تزوجت مرَّة فلا يقال عَنَسَت؛ قال الأَعشى:

والبيضُ قد عَنَسَتْ وطالَ جِراؤُها ونَشَأْنَ في فَنَنٍ وفي أَذْوادِ[٣]

يقال: عَنَسَتِ المرأة، فهي عانِس، وعُنِّسَت، فهي مُعَنَّسَة إذا كَبِرَت وعَجَزَتْ في بيت أبويها.

---

[١] معجم المقاييس في اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر ببروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م، مادة عنس ص ٧٠٧ ــ ٧٠٨

[٢] لسان العرب لابن منظور، مادة عنس

[٣] لسان العرب لابن منظور، مادة عنس

وقال الليث : عَنَسَت إِذا صارت نَصَفاً وهي بكر ولم تتزوَّج. وقال الفَرَّاء : امرأة عانس التي لم تتزوج وهي تترقب ذلك، وهي المُعَنَّسة. وقال الكسائي: العَانِس فوق المُعْصِر؛ وأنشد لذي الرمة:

وعِيطاً كأَسْراب الخُروج تَشَوَّفَتْ مَعاصِيرُها، والعاتِقاتُ العَوانِسُ

العِيطُ: يعني بها إِبلاً طِوال الأَعناق، الواحدة منها عَيْطاء. وقوله كأَسراب الخروج أي كجماعة نساء خرجْن متشوّفات لأَحد العِيدين أَي متزينات، شبَّه الإِبل بهنَّ. والمُعْصِر: التي دنا حيضها. والعاتِقُ:[1] التي في بيت أَبويها ولم يقع عليها اسم الزوج، وكذلك العانِس.[2]

وسنذكر أن التعنيس من أسباب العُنوسة التاريخية،[3] والذي يهمنا هو تأخر زواج المرأة لعدم وجود زوج وتقدمه لها.

٢ ـ الرجل الذي لم يتزوج :

العانِس من الرجال والنساء: الذي يَبقى زماناً بعد أَن يُدْرِك لا يتزوج، وأَكثر ما يُستعمل في النساء. ورجل عانِس، والجمع العانِسُون؛ قال أَبو قيس بن رفاعة:

مِنّا الذي هو ما إِنْ طَرَّ شارِبُه والعانِسُون، ومِنّا المُرْدُ والشِّيبُ[4]

٣ ـ التغير في الإنسان :

أ ـ تغير الوجه :

---

[1] العاتِقُ: الجارِيةُ أوّلَ ما أدْرَكَتْ، عَتَقَتْ تَعْتِقُ، أو التي لَمْ تَتزَوّجْ، أو التي بين الإِدْراكِ والتَّعنيس. [القاموس المحيط. باب القاف.فَصْلُ العَيْن]

[2] لسان العرب لابن منظور، مادة عنس

[3] انظر ص من هذا الكتاب

[4] لسان العرب لابن منظور، مادة عنس

أعْنَسَ الشَّيْبُ وجْهَهُ: خالَطَهُ. ويقال: فلان لم تَعْنُس السِّنُّ وَجهَه أي لم تغيّره إلى الكِبَرِ؛ قال سُوَيْدٌ الحارثي:

فَتى قَبَلٌ لم تَعْنُس السنُ وجهَهُ   سِوى خُلْسَةٍ في الرأس كالبَرْقِ في الدُّجى[1]

ب ـ مخالطة البياض الرأس:

أعْنَس الشيبُ رأسَه إذا خالطه؛ قال أبو ضب الهذلي:

فَتى قَبَلٌ لم يَعْنُسِ الشَّيبُ رأْسَه   سِوى خُيُطٍ في النُّورِ أَشرَقْنَ في الدُّجى[2]

٤ ـ طول ذنب الناقة :

واعْنِيناسُ ذَنَبِ الناقةِ: وفُورُ هُلْبِه، وطُولُه، قال الطرماح يصف الثور:

يمسح الأرض بمعنونس   مثل مئلاة النياح القيام[3]

٥ ـ العنس : الإبل :

وهي نوعان :

أ ـ الناقة القوية الصلبة :

العنس اسم من أسماء الناقة، ويقال إنما سميت عنسا إذا تمت سنها واشتدت قوهّا ووفر عظامها وأعضاؤها.

ب ـ الجمل السمين :

الجمل العانسُ: الجَمَلُ السمينُ التامُّ. [4] تامّ الخَلق؛ قال أبو وجزة السعدي:

---

(1) لسان العرب لابن منظور، ج ٤ ص ٣١٢٩

(2) لسان العرب لابن منظور، مادة عنس

(3) لسان العرب لابن منظور، ج ٤ ص ٣١٢٩/ معجم المقاييس في اللغة لابن فارس، مادة عنس ص ٧٠٨

(4) القاموس المحيط للفيروز آبادي: باب السّين. فَصْلُ العَيْن

بعانِساتٍ هَرِماتِ الأَزْمَلِ   جُشٍّ كبَحْرِيِّ السَّحاب المُخْيِلِ[١]

٦ ـ العنس : عطف العود وقلبه :

العَنْسُ : عَطْفُ العُودِ، وقَلْبُهُ. [٢]

٧ ـ العنس : العقاب

العَنْسُ: العُقابُ. [٣]

٨ ـ عنس قبيلة يمنية:

عنس قبيلة يمنية. وأنشد سيبويه :

لا مَهْلَ حَتى تَلْحَقي بعَنْسِ   أَهلِ الرِّباطِ البِيضِ والقَلَنْسِ

وعنس: لَقَبُ زيدِ بنِ مالِكِ بنِ أُدَدٍ، أبو قبيلةٍ من اليمنِ. ومِخْلافُ عَنْسٍ بها. مُضافٌ إليه.[٤]

٩ـ العناس : المرآة:

العِناسُ: المرآة. والعُنُس: المرايا؛ وأنشد الأصمعي:

حتى رَأى الشَّيْبَةَ في العِناسِ   وعادمَ الجُلاحبِ العَوَّاسِ

١٠ ـ عُنَيِّس : اسم رَمْل معروف

قال الراعي:

وأَعْرَضَ رَمْلٌ من عُنَيِّس، تَرْتَعِي   نِعاجُ المَلا، عُوذاً به ومَتالِيا

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة عنس

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي : باب السّين. فَصْلُ العَيْن.

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي : باب السّين. فَصْلُ العَيْن.

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي باب السّين.فَصْلُ العَيْن./ تهذيب الصحاح، لمحمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق: عبد السلام محمد هرون. أحمد عبد الغفور عطار، دار المعارف بمصر ، مادة: عنس، ج ١ ص ٣٨٣

أراد: ترتعي به نعاجُ الملا أي بَقَرُ الوحش. عوذاً: وضَعَتْ حَدِيثاً، ومَتَالِيَ: يتلوها أولادها. والملا: ما اتّسع من الأَرض.(١)

١١ ـ العنس الصخرة :

قال ابن فارس: ذكر بعضهم أن العَنْسَ: الصَّخرة. وبها تشبه الناقة والعَنْسُ: الناقة القويَّةُ، الصلبة شبهت بالصخرة لصلابتها.(٢)

وهذه المعاني يجتمع معظمها في الزيادة واكتمال الشيء ووصوله إلى قمته وحدّه وتمامه ونهايته، فعنوسة المرأة هي وصولها إلى قمة قوتها ونهايتها، قال ابن فارس ومن الباب: عنست المرأة وهي تعنس عنوسا، إذا صارت نصفا وهي بعد بكر لم تزوج، وعنسها أهلها تعنيسا، إذا حبسوها عن الأزواج حتى جازت فتاء السن، ولم تُعجِّز بعد، وهذا قياس صحيح، لأن ذلك حين اشتدادها وقوتها.(٣) فتجاوز فتاء السن عن المرأة يعقبه قلة رغبة الأزواج فيها لتقدم عمرها.

وتغيير الرأس وابيضاضه دليل على بداية النقص والضعف في صاحبه لتقدم السن، والعنس اسم من أسماء الناقة، ويقال إنما سميت عنسا إذا تمت سنها واشتدت قوتها، وطول ذنب الناقة يدل على قوتها وصحتها ثم يعقب ذلك الضعف.

فمعظم هذه المعاني تلتقي في الوصول عند أعلى الهرم وقمته. مما يحتم أن يكون السقوط والانحدار والنزول عقبه.

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة عنس

(٢) لسان العرب لابن منظور، ج ٤ ص ٣١٢٩ / معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ، مادة عنس ص ٧٠٨

(٣) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس، مادة عنس ص ٧٠٨

المبحث الثاني

ترتيب أعمار النساء

١ ـ الطفلة
٢ ـ الوليدة
٣ ـ الكاعب
٤ ـ الناهد
٥ ـ المفلكة
٦ ـ المعصر
٧ ـ العانس
٨ـ الخود
٩ ـ المسلف
١٠ ـ النصف
١١ـ الشهلة
١٢ ـ الكهلة
١٣ ـ الشهبرة
١٤ ـ الحيزبون
١٥ـ القِلعم
١٦ ـ اللطلط

المبحث الثاني

ترتيب أعمار النساء

خلق الله عز وجل هذه المخلوقات من زوجين اثنين كما قال الله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) والإنسان من أشرف الخلق وأكرمه على الله عز وجل، (٢) خلقه سبحانه وتعالى من زوجين هما الذكر والأنثى قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (٣) وجعل كل واحد من الزوجين المكون لهذا البناء الاجتماعي شقيقا لصاحبه محتاجا له مفتقرا إليه، متمما لنقص صاحبه، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلَا يَذْكُرُ احْتِلَامًا قَالَ يَغْتَسِلُ وَعَنْ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدْ احْتَلَمَ وَلَا يَجِدُ الْبَلَلَ

---

(١) سورة يس آية ٣٦

مادة زَوّج ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم في ٨١ موضعا والذي يتعلق منها بموضوعنا سوره وأرقام آياته كالآتي :

١/ سورة الرعد آية : (٣) ، ٢/ سورة النحل آية : (٧٢) ، ٣/ سورة طه آية : (٥٣) ، ٤/ سورة الحج آية (٥) ، ٥/ سورة المؤمنون آية (٢٧) ، ٦/ سورة الشعراء آية ٧/ سورة الروم آية (٢١) ، ٨/ سورة لقمان آية (١٠) ، ٩/ سورة فاطر آية (١١) ، ١٠/ سورة يس آية (٣٦) ،١١/ سورة الشورى آية (١١) ، ١٢/ سورة ق آية (٧) ، ١٣/ سورة الذاريات (٤٩) ، ١٤/ سورة النجم آية (٤٥) ، ١٥/ سورة القيامة آية (٣٩) ، ١٦/ سورة النبأ آية (٨)

(٢) قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (سورة الإسراء آية ٧٠)

(٣) سورة النجم آية ٤٥

قَالَ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ الْمَرْأَةُ تَرَى ذَلِكَ أَعَلَيْهَا غُسْلٌ قَالَ نَعَمْ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ.[1] مع تفضيل أحدهما على الآخر بإعطائه القوامة والقيادة ، وهو الرجل ، قال الله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[2] مع التأكيد على أن لا يستبد هذا العنصر برأيه ولا يستأسد على صاحبه بل تكون العلاقة بينهما قائمة على المودة والرحمة والتآلف والتوادد وعدم الظلم مع خضوع الآخر وطاعته واستكانته لصاحب القوامة حتى تسير مركب عيشهما.

إن مجتمعات الرجال تنقسم إلى تقسيمات عمرية تدور حول تسمية مراحل حياة الذكر منذ ولادته إلى آخر مطاف حياته ومن صباه إلى شيخوخته، قال الثعالبي: مَا دَامَ ـ الصبي [3] ـ فِي الرَّحِمِ فَهُوَ جَنِينٌ فإذا وُلِدَ فَهُوَ وَلِيدٌ وَمَا دَامَ لَمْ يَسْتَتِمَّ سَبْعَةَ أيام فهو

---

[1] رواه الإمام أحمد في المسند ج٦ص٢٥٦، وأبو داود في السنن، والترمذي، والدارقطني عن عائشة والبزار عن أنس بن مالك. قال ابن القطان : هو من طريق عائشة رضي الله عنها ضعيف ومن طريق أنس صحيح. [انظر البيان والتعريف ج٢ص١٠٠، وانظر صحيح الجامع للألباني حديث رقم ٢٣٢٩]

[2] سورة النساء آية ٣٤

[3] قال الثعالبي: يقال للصبي إذا ولد: رضيع وطفل، ثم فطيم، ثم دارج ثم جفر، ثم يافع، ثم شرْخ، ثم مطبّخ ثم كوكب.[فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري الثعالبي، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت لبنان، (ب.ت) ص ٥٩]

صَديغ،[١] ثُمَّ مَا دَامَ يَرْضَعُ فهو رَضِيع ثُمَ إذا قُطِعَ عَنْهُ اللَّبَنُ فَهُوَ فَطِيم ثُــمَّ إذَا غَلُــظَ وَذَهَبَتْ عَنْهُ تَرَارَةُ الرَّضَاعِ فَهُوَ جَحْوَشٌ،[٢] أنْشَدَ لِلْهُذَلِيِّ:

قَتَلْنَا مَخْلَداً وابْنَيْ حِرَاقٍ   وآخَرَ جَحْوَشاً فَوْقَ الْفَطِيمِ

ثُمَّ هُوَ إذا دَبَّ وَنَمَا فَهُوَ دَارِج فَإذا بَلَغَ طُولُهُ خَمْسَةَ أَشْبَارٍ، فَهُوَ خُمَاسِي فــإذا سَقَطَتْ رَوَاضِعُهُ فَهُوَ مَثْغور، فإذا نَبَتَتْ أَسْنَانُهُ بَعْدَ السُّقُوطِ فَهُوَ مُثَّغِر بالثَّاءِ والتاءِ، فإذا كادَ يُجَاوِزُ العَشْرَ السِّنِينَ أَوْ جَاوَزَهَا، فَهُوَ مُتَرَعْرِعٌ وَنَاشِئ فإذا كادَ يَبْلُغُ الحُلُمَ أَوْ بَلَغَهُ، فهو يافِع وَمُرَاهِق فإذا احْتَلَمَ وَاجْتَمَعَتْ قُوَّتُهُ، فَهُوَ حَزَوَّر وَحَزْوَرٌ. واسْمُهُ في جَمِيعِ هَذه الأَحْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا غُلام.

فإذا اخضَرَّ شارِبُهُ وَأَخَذَ عِذَارُهُ يَسِيلُ قِيلَ: بَقَلَ وَجْهُهُ فإذا صَارَ ذَا فَتَاء فهو فَتًى وَشَارِخ فإذا اجْتَمَعَتْ لِحْيَتُهُ وبلغ غايَةَ شَبَابِهِ، فَهُوَ مُجْتَمِع ثُمَ مَــا دَامَ بَــين الــثَّلاثِينَ والأَرْبَعِينَ، فَهُوَ شَابّ ثُمَّ هُوَ كَهْل إلى أن يَسْتَوفِيَ السِّتِّينَ.[٣]

كما أن العرب لم يغفلوا عن تحديد ميول الإنسان ورغباته خلال سني عمره بــل حددوا مددها وفتراتها تحديدا دقيقا، فيقولون في سن الرجل: يقال: ابن عَشْــر لَعَّــابٌ بالقُلِينَ، وابن عشْرين باغي نسين. وابن الثَّلاثين أَسْعى الساعِينَ، وابن الأَرْبَعِــين أَبْطَــشُ الأَبْطَشِين، وابن الخمسين لَيْثُ عِفِرِّين،[٤] وابن السِّتِّين مُؤْنِسُ الجَلِيسِين، وابن السَّــبْعِين

---

[١] لأنهُ لا يَشْتَدُّ صُدْغُهُ إلى تَمَام السَّبْعَة

[٢] قال الأزْهَري: كَأَنَّهُ مأخوذ مِنَ الجَحْشِ الَّذي هُوَ وَلَدُ الحِمَار

[٣] فقه اللغة للثعالبي ، ص ٦٠

[٤] لَيْثُ عِفِرِّين: الرجلُ الكامل ابن الخَمْسين، وليثُ عِفِرِّينَ تُسَمِّي به العربُ دُوَيبَّة مأواها التــراب السهل في أُصول الحيطان، تُدَوِّرُ دُوَّارةَ ثم تَنْدَسّ في جوفها، فإذا هيجَت رَمَتْ بالتراب صُعُداً. وقيــل لكل ضابط قوي: لَيْثُ عِفِرِّين، بكسر العين، والراء مشددة. [لسان العرب، مادة: عفر]

أَحْكَمُ الحاكمينَ، وابن الثمانين أَسرعُ الحاسِبين، وابن التِّسْعين واحد الأَرْذَلين، وابن المائة لا جا ولا سا؛ يقول: لا رجل ولا امرأَة ولا جنّ ولا إِنس.(١)

وكذلك مجتمعات النساء، تنقسم إلى قسمين كبيرين تندرج تحتهما أنواع عدة من أنواعهن، وهذان القسمان الكبيران هما الثيبات (٢) والأبكار، قال الله تعالى ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (٣) فالإسلام والإيمان والقنوت والعبادة والتوبة والسياحة وهي الصيام خاصة بالنساء المؤمنات فقط الصغيرات منهن والكبيرات والمتزوجات منهن وغير المتزوجات وأما كون المرأة أن تكون ثيبا أو بكرا فتشترك فيهما جميع بنات حواء المسلمات منهن وغير المسلمات.

والبكر هي التي لم يمسسها بشر من قبل سواء عن طريق زواج أو اغتصاب أو زنا ولم تزل بكارتها عن طريق حادث ونحوه.

والأبكار تشمل الصغيرات من النساء وهن اللاتي دون البلوغ كما أنها تشمل الكبيرات البالغات غير الممسوسات.

وأما الثيبات من النساء فتشمل المتزوجات الشاهد منهن والمغيب والمطلقات والأرامل والمعلقات، ولقد ذكر العلماء مراحل تمر بها المرأة عامة في أطوار حياتها

---

(١) لسان العرب، مادة: عفر / مجمع مثال للميداني ج ١ ص ٥٣٠

(٢) الثَّيِّبُ من النساءِ: التي تزوّجتْ وفارَقتْ زَوْجها بأَيِّ وجْه كان بَعْدَ أَنْ مَسَّها. وامرأَةٌ ثَيِّبٌ كانت ذات زَوْج ثم ماتَ عنها زوجُها، أَو طُلِّقت ثم رجعتْ إِلى النكاح. وقال الأَصمعي: امرأَة ثَيِّبٌ ورجل ثَيِّب إِذا كان قد دُخِلَ به أَو دُخلَ بها، الذكَرُ والأُنثى، في ذلك، سواء.[لسان العرب، مادة: ثيب]

(٣) سورة الطلاق آية ٥

وتدرجها منذ بدايتها إلى آخرها، قال أبو منصور الثعالبي: فصل في ترتيب سن المرأة: هِيَ طِفْلَة مَا دَامَتْ صَغِيرَةً، ثُمَّ وَلِيدَةٌ إِذَا تَحَرَّكَتْ، ثُمَّ كَاعِب إذا كَعَبَ ثَدْيُهَا، ثُمَّ نَاهِد إذا زاد، ثُمَّ مُعْصِر إذا أَدْرَكَتْ، ثُمَّ عَانِس إذا ارْتَفَعَتْ عَنْ حَدِّ الإِعْصَار، ثُمَّ خَوْد إذا تَوَسَّطَت الشَّبَابَ، ثُمَّ مُسْلِف إذا جَاوَزَت الأَرْبَعِينَ، ثُمَّ نَصَف إذا كَانَتْ بَيْنَ الشَّبَاب والتَّعْجِيز، ثُمَّ شَهْلَة كَهْلَة إذا وَجَدَتْ مَسَّ الكِبَرِ وَفِيهَا بَقِيَّة وَجَلَدٌ، ثُمَّ شَهْبَرَة إِذَا عَجَّزَتْ وَفِيها تَمَاسُك، ثُمَّ حَيْزَبُون إِذَا صَارَتْ عَالِيَةَ السِّنِّ نَاقِصَةَ القوَّةِ، ثُمَّ قَلْعَم وَلَطْلَطٌ إذا انْحَنَى قَدُّهَا وَسَقَطَتْ أَسْنَانُهَا.(١)

ولنفصل في ترتيب الثعالبي السابق على النحو الآتي:

١ ـ الطفلة:(٢)

الطفل والطفلة: الصغير من كل شيء بيّن الطِّفل والطفالة والطفولة والطفولية، والصبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم. والعرب تقول: جارية طِفل وطفلة وجاريتان طفل وجوار طفل، ويقال: طفل وطفلة وطفلان وأطفال وطفلتان وطفلات.

والطفل الصغير من أولاد الناس والدواب. وأطفلت المرأة والظبية والنعم إذا كان معها ولد طفل، قال لبيد:

---

(١) فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، ص ٦٠

(٢) قال الفيروز آبادي : الطِّفْلُ: الرَّخْصُ الناعِمُ من كلِّ شيءٍ .[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب اللام ـ فصل الطاء]

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت   بالجلهتين ظباؤها ونعامها

وغلام طَفل: إذا كان رخص القدمين واليدين، وامرأة طَفلة البنان: رخصتها في بيـــاض. وجارية طفلة إذا كانت صغيرة، وجارية طفلة إذا كانت رقيقة البشرة ناعمة، قال سحيم عبد بني الحسحاس:

فكم شققنا من رداء منيّر   ومن برقع[١] عن طفلة غير عانس[٢]

قال الأصمعي: الطفلة الجارية الرخصة الناعمة، وكذلك البنان الطفل، والطفلـــة الحديثة السن والذكر طفل.[٣]

قال ابن فارس: ومما اشتق منه ــ أي كلمة طفل ــ قولهم للمرأة الناعمة: طفلـــة كأنها مشبهة في رطوبتها ونعمتها بالطفلة، ثم فرق بينهما بفتح هذه وكسر الأولى.[٤]

قال عمر بن الخطاب رضي الله: يحتلم الغلام لأربع عشرة، وينتهي طوله لإحدى وعشرين، وعقله لسبع وعشرين، إلا التجارب.[٥]

٢ ـ الوليدة :

الوليد: المولود حين يولد، والجمع ولدان، والأنثى وليدة، والجمع ولدان وولائد، وقد تطلق وليدة على الجارية والأمة وإن كانت كبيرة.

---

(١) يقال: برقع بضم القاف وفتحها ويقال أيضا: برقوع

(٢) انظر: ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي مطبعة دار الكتـب المصرية القاهرة سنة ١٣٦٩هـــ ـــ ١٩٥٠م، ص١٥ــ ١٦

(٣) لسان العرب، مادة: طفل

(٤) معجم المقاييس في اللغة، ص ٦٢٠

(٥) مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٠١

والوليد: الغلام حين يستوصف قبل أن يحتلم، والجمع ولدان وولدة، وجارية وليدة.[١]

والوليدة: الأمة والصبية، والجمع ولائد، ويقال للأمة وليدة وإن كانت مسنة. قال أبو الهيثم: الوليد: الشاب، والولائد الشواب من الجواري. والوليد الخادم الشاب يسمى وليدا من حين يولد إلى أن يبلغ، قال الله تعالى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾[٢] والخادم إذا كان شابا وصيف، والوصيفة وليدة.[٣]

٣ ـ الكاعب:

الكاف والعين والباء: أصل صحيح يدل على نتوء وارتفاع.[٤] وكعبت الجارية تكعُب كعوبا وكعابة وهي كاعب: إذ نهد ثديها ونتأ وجمع الكاعب كواعب قال الله تعالى ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[٥] وثدي كاعب، وقيل: التفليك ثم النهود ثم التكعيب.[٦]

والكاعب هي الحدثة السن التي قد كعب ثديها. أي ظهر، ومن طباعها الصدق في كل ما تسئل عنه، وقلة الكتمان لما علمته، وقلة التستر والحياء، وعدم المخالفة للرجال.[٧]

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ٤٩١٤ مادة: ولد

(٢) سورة الشعراء آية ١٨

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ٤٩١٦ مادة: ولد

(٤) معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، مادة: كعب ص ٩٢٨

(٥) سورة النبأ آية ٣٣

(٦) لسان العرب لابن منظور، ج ٥ ص ٣٨٨٩، مادة: كعب

(٧) تحفة العروس للتجاني

٤ ـ الناهد:

النون والهاء والدال أصل صحيح يدل على إشراف شيء وارتفاعه ،والنَّهْدُ: الشيءُ المُرْتَفِعُ، ونَهَدَ الثدْيُ كمَنَعَ ونَصَرَ يَنْهُد، بالضم، نُهُوداً إذا كَعَبَ وانتَبَرَ وأَشْرَفَ. ونهدتِ المرأَةُ تَنْهُدُ، وهي ناهدٌ وناهدةٌ. قال أبو عبيد: إذا نَهَدَ ثَدْيُ الجارية قيل: هي ناهد؛ والثُّدِيُّ الفَوالِكُ دون النَّواهِدِ. والناهد هي التي زاد ثديها عن ثدي الكاعب.

والناهد هي التي لم يتكامل بعد شبابها فتستتر بعض الاستتار وتظهر بعض محاسنها وتحب أن يتأمل ذلك منها.[(١)]

٥ ـ المفلكة:

وفَلَكَ ثَدْيُها، وأَفْلَكَ وفَلَّكَ وتَفَلَّكَ: استَدارَ. وفَلَكَت الجارية، وفَلَّكَتْ، فهي فالِكٌ ومُفَلِّكٌ. وفَلَّكَ ثديُ الجارية تَفْليكاً، قال الأَغلب العجْليّ:

أَشْرَفَ ثَدْياها على التَّرِيبِ لَمْ يَعْدُوَا التَّفْلِيكَ في النُّتُوبِ

والتَّفْليكُ: من فَلَّك الثَّدْيُ. والنُّتوبُ: النُّهُودُ، وهو ارْتفاعُه.[(٢)] وتفلَّك: استدار.[(٣)] والثُّدِيُّ الفوالك: دون النَّواهد. وفَلَكَ ثديُها وفَلَّكَ وأَفْلَكَ: وهو دون النهود؛ وفَلَّكَتِ الجارية تَفْلِيكاً، وهي مُفَلِّكٌ، وفَلَّكَتْ، وهي فالك إذا تَفَلَّكَ ثديُها أي صار كالفَلْكة؛ وأنشد:

جاريةٌ شَبَّتْ شباباً هَبْرَكا لم يَعْدُ ثَدْيا نَحْرِها أَن فَلَّكا

---

(١) معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، ص ١٠٠٠/ لسان العرب لابن منظور، ج ٦ ص ٤٥٥٥ مادة: نهد / القاموس المحيط للفيروز آبادي: باب الدّال. فَصْلُ النُّون/ تحفة العروس للتجاني

(٢) لسان العرب مادة ترب

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي: باب الكاف. فَصْلُ الفَاء.

مُسْتَنْكِرانِ المَسَّ قَدْ تَدَمْلَكا[(١)]

٦ - المعصر :

والمُعْصِر: التي بَلَغَتْ عَصْرَ شبابها وأدركت، وقيل: أول ما أدركت وحاضت، يقال: أعْصَرَت، كأنها دخلت عصر شبابها؛ قال منصور بن مرثد الأسدي:

جارية بسَفَوانَ دارُها تَمْشي الهُوَيْنا ساقِطاً خِمارُها

قد أعْصَرَت أو قَدْ دَنا إعْصارُها

والجمع مَعاصِرُ ومَعاصِيرُ؛ ويقال: هي التي قاربت الحيض لأنَّ الإعصارَ في الجارية كالمُراهَقة في الغُلام، وقيل: سميت معصرا لأنها تغيرت عن عصرها،[(٢)] وقيل: المُعْصِرُ هي التي راهقت العِشْرين، وقيل: المُعْصِر ساعة تَطْمث أي تحيض لأنها تحبس في البيت، يجعل لها عَصَراً، وقد عَصَّرَت وأعْصَرَت، وقيل: سميت المُعْصِرَ لانعصارِ دم حيضها ونزول ماء تَرِيبَتها للجماع. ويقال: أعْصَرَت الجارية وأشْهَدَت وتَوضَّأَت إذا أدْرَكَت. قال الليث: ويقال للجارية إذا حَرُمت عليها الصلاةُ ورأت في نفسها زيادةَ الشباب قد أعْصَرت، فهي مُعْصِرٌ: بلغت عُصْرةَ شبابِها وإدْراكِها؛ بلغت عَصْرَها وعُصورَها.[(٣)]

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ٥ ص ٣٤٦٥، مادة: فلك

(٢) تهذيب الصحاح للزنجاني، مادة: عصر ص ٧٨٢

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ٤ ص ٢٩٦٩، مادة: عصر

وقال التجاني[1]: المعصر هي التي أدركت وامتلأت شبابا وقد اكتمل خلقها وعظم ثدياها فيحدث عندها دلال وأدب، وتحلو ألفاظها ويعذب كلامها.[2]

٧ ـ العانس:[3]

قال الرازي: عَنَسَت الجارية من باب دخل و عِناساً بالكسر فهي عَانسٌ إذا طال مكثها في بيت أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار هذا إذا لم تتزوج فإن تزوجت مرة فلا يقال عنست ويقال للرجل أيضا عانس والجمع عُنْسٌ وعُنَّسٌ كبازل وبُزْلٌ وبُزَّل قال أبو زيد و عَنَّسَت الجارية أيضا تَعْنيساً وقال الأصمعي لا يقال عَنَسَتْ ولكن عُنِّسَت على ما لم يسم فاعله وعَنَّسَها أهلها.[4]

والعانس هي التي ارتفعت عن حد الإعصار. وتوسطت الشباب وقد تهيأ ثدياها للانكسار فتحسن مشيتها ومنطقها وتبدي محاسنها بغنج ودلال، وأحب شيء إليها المفاكهة مع الرجال وملاعبتهم، وهي في هذه الحال قوية الشهوة مستحكمتها.[5]

٨ـ الخود :

---

(١) المعصر المرأةُ التي بَلَغتْ شبابَها، وأدْرَكَتْ، أو دَخَلَتْ في الحَيْضِ، أو رَاهَقَت العِشْرينَ، أو وَلَدتْ. أو حُبِسَتْ في البَيْتِ ساعةَ طَمِثَتْ،كعَصَّرَتْ، في الكلِّ، وهي مُعْصِرٌ ج: مَعاصِرُ ومَعاصيرُ. [القاموس المحيط للفيروز آبادي: باب الراء.فَصْلُ العَيْنِ]

(٢) انظر : تحفة العروس للتجاني

(٣) قال ابن الأثير : العانِس من النِّساء والرجال: الذي يَبْقَى زمانا بعد أن يُدْرِك لا يتزوّج. وأكثر ما يُسْتعمل في النِّساء. يقال: عنست المرأة فهي عَانسٌ، وعُنِّست فهي مُعَنَّسَة: إذا كَبِرُت وعَجَزَت في بَيْت أبَوِيْها. [النهاية في غريب الحديث، مادة: {عنس}]

(٤) مختار الصحاح، باب العين ص ٤٠٧ –ص ٤٦٧

(٥) انظر: تحفة العروس للتجاني

الخود: الفتاة الحسنة الخلق، الشابة ما لم تصر نصَفًا، وقيل الجارية الناعمة، والجمع خودات وخُود بضم الخاء ولا فعل له. وقيل الخود: إذا توسطت النساء.[١]

٩ ـ المسلف :

المُسْلِفُ من النساء: النَّصَفُ، وقيل: هي التي بلغت خمساً وأربعين ونحوها وهو وصْف خُصّ به الإناثُ؛ قال عمر بنُ أبي ربيعةَ:

فيها ثَلاثٌ كالدُّمَى وكاعِبٌ ومُسْلِفُ[٢]

والسُّلْفُ، بالضم: المرأةُ بَلَغَتْ خَمْساً وأربعينَ سَنَةً.[٣]

١٠ ـ النصف :

النصف: الكهل كأنه بلغ نصف عمره، وقوم أنصاف ونصفون، والأنثى نصف ونصفة، كأن نصف عمرها ذهب، قال الشاعر:

لا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً أَو مُطلَّقةً ولا يَسُوقَنَّها في حَبْلِك القَدَرُ
وإن أتَوْكَ فقالوا: إنها نَصَفٌ فإنَّ أَطْيَبَ نِصْفَيْها الذي غَبَرا[٤]

قال النضر بن شميل: إن فلانة لعلى نصَفِها، أي نصف شبابها، وأنشد:

إنَّ غُلاماً، غَرَّه جَرْشَبِيَّةٌ[١] على بُضْعِها، مِنْ نَفْسِه، لَضَعِيفُ

---

[١] لسان العرب لابن منظور، ج ٢ ص ١٢٨٤، مادة: خود / تهذيب اللغة، ج ١ ص ٢١٦، مادة: خود/ فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، ص ٦٠

[٢] لسان العرب لابن منظور. ج ٣ ص ٢٠٧٠، مادة: سلف/ فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، ص ٦٠

[٣] القاموس المحيط. باب الفاء. فَصْلُ السِّيْن.

[٤] في هذا البيت إقواء.

مُطَلَّقةً، أَو ماتَ عنها حَلِيلُها   يَظَلُّ، لِنابَيْها، عليه صَرِيفُ

وقيل النصف بالتحريك: المرأة بين الحدثة والمسنة، وتصغيرها نصيف بلا هاء. وقيل هي بين الشابة والكهلة. وقيل النصف من النساء التي بلغت خمسا وأربعين.(٢)

١١ ـ الشهلة :

ــ قيل: الشَّهْلة النَّصَفُ العاقلةُ، وذلك اسم لها خاصةً لا يوصف به الرجل. وامرأة شَهْلة كَهْلة، ولا يقال رجل شَهْلٌ كَهْلٌ، ولا يوصف بذلك إلا أن ابن دريد حكى: رجل شَهْلٌ كَهْل.(٣)

ــ والشَّهْلَةُ: العَجوزُ، والنَّصَفُ العاقِلَةُ، خاصٌّ بالنساء.(٤)قال:

وَهْيَ تُنَزِّي دَلْوَها تَنْزِيًا   كما تُنَزِّي شَهْلَةٌ صَبِيًا

والمعْنَى: يصفُ الرَّاجِزُ امْرأةً تُحرِّكُ دَلْوَهَا حَرَكَةً ضَعِيفة عِند الاسْتِقاء كتَحْرِيك امْرأة نَصَفٍ صَبِيَّها عند ترقيصِهَا إِيَّاهُ(٥)

ــ الشهلة الكهلة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد.(٦)

١٢ ـ الكهلة :

---

(١)جرشب: جَرْشَبَتِ المرأةُ: بلغت أربعين أو خمسين إلى أن تموت. وامرأة جَرْشَبِيَّةٌ.[لسان العرب، مادة: جرشب]

(٢) لسان العرب لابن منظور، ج ٦ ص ٤٩١٦ / فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، ص ٦٠

(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة: شهل

(٤) القاموس المحيط، باب اللام. فَصْلُ الشّين.

(٥) فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، ص٦٠/ معجم قواعد اللغة للشيخ عبد الغني الدقر بَاب المِيمْ.

(٦) لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ٢٣٥٣ ، مادة : شهل

الكَهْلُ: الرجل إِذا وَخَطه الشيب ورأَيت له بَجالةً، و الكَهْلُ من الرجال الـذي جاوَز الثلاثين ووَخَطَه الشيبُ. قال ابن الأَثير: الكَهْلُ من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إِلى الأَربعين، وقيل: هو من ثلاث وثلاثين إِلى تمام الخمسين؛ وقد اكْتَهَلَ الرجلُ وكاهَـلَ إِذا بلغ الكُهولة فصار كَهْلاً ، والأُنثى كَهْلة من نسوة كَهْلاتٍ، وهو القياس لأَنه صفة . قال بعضهم: قلما يقال للمرأَة كهلة مفردة حتى يُزَوِّجُوها بشَهْلة، يقولون شَهْلةٌ كَهْلـةٌ. ورجل كَهْل وامرأَة كَهْلة إِذا انتهى شبابُهما، وذلك عند استكمالهما ثلاثاً وثلاثين سنة، وقد يقال امرأَة كَهْلة ولم يذكر معها شَهْلة.[1]

١٢ ـ الشهبرة :

الشهبرة والشهربة: العجوز الكبيرة المتماسكة، وفي الحديث لا تتزوجن شـهبرة ولا نهبرة، الشهبرة: الكبيرة الفانية. والشيهبور: كالشهبرة وشيخ شهرب وشهبر.[2]

قال شظاظ الضبي، وهو أحد اللصوص الفتاك وكان رأى عجوزا معهـا جمـل حسن، وكان راكبا على بكر له، فترل عنه وقال: أمسكي لي هذا البكر لأقضي حاجـة وأعود، فلم تستطع العجوز حفظ الجملين، فانفلت منها جملها وند، فقال: أنا آتيك بـه، فمضى وركبه، وقال:

رب عجوز من نمير شهبرة   علمتها الإنقاض بعد القرقرة

أراد أنها كانت ذات إبل، فأغرت عليها فلم أترك لها غير شويهات تُنقض بهـا، والإنقاض: صوت الصغير من الإبل، والقرقرة: صوت الكـبير مـن الإبـل، والجمـع الشهابر.[3]

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة : كهل

(٢) قال الأزهري: ولا يقال للرجل: شهبر

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ٤ ص ٢٣٤٧ ـــ ٢٣٤٨، مادة: شهبر

١٤ ـ الحيزبون:

ــ الحيزبون: الشَّهْمةُ الذَّكِيَّةُ، قال الهذلي:

يَلْبِطُ فيها كلّ حَيْزَبُون [1]

ــ الحيزبون: العجوز من النساء وهي من رجعت عالية السن ناقصة القوة، والنون زائدة كما زيدت في الزيتون: قال القطامي:

إلى حَيْزَبونٍ تُوقِدُ النار، بعدَما ... تَلفَّعتِ الظَّلْماء من كلِّ جانِبِ[2]

١٥ـ القِلعم:[3]

القِلْعَمُّ، كإرْدَبٍّ: الشَّيْخُ المُسِنُّ. وكجعفرٍ: العَجُوزُ. وكدِرْهَمٍ: عَلَمٌ.[4]

قال ابن منظور: القِلْعَمُّ: الشيخ الكبير المسن الهَرِم. ابن الأعرابي: القَلْعَمُ العجوز المسنة.[5]

١٦ ـ اللطلط:

ــ اللِّطلِطُ: العَجوز. وقال الأصمعي: اللطلط العجوز الكبيرة، وقال أبو عمرو: هي من النوق المسِنة التي قد أُكل أَسنانُها. والأَلَطُّ: الذي سَقطت أَسنانه أَو تأَكَّلت وبَقِيَتْ أُصُولُها، يقال: رجل أَلَطُّ بيِّن اللَّطَطِ، ومنه قيل للعجوز لِطْلِط، وللناقة المسنة

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة: لبط

(٢) لسان العرب لابن منظور، ج ٢ ص ٨٥٤ ــ ٨٥٥، مادة: حزب ومادة حزبن/ فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، ص ٦٠

(٣) قال الخليل: ليس في الكلام فِعْلَلٌ إلا أربعةَ أحرف: دِرْهَمٌ وهِجْرَعٌ وهِبْلَعٌ وقِلْعَمٌ، وهو اسم.[لسان العرب مادة ضفدع]

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الميم. فَصْلُ القَاف.

(٥) لسان العرب لابن منظور، ج ٥ ص ٣٧٢٥، مادة: قلعم

لطْلط إذا سقطت أسنانها. وقيل للعجوز لطْلط. إذا رجعت وانحنى قدها وسقطت أسنانها. واللّطْلِطُ، بالكسر: الغَليظُ الأَسْنانِ، والناقةُ الهَرِمَةُ، والمرأةُ العجوزُ.[١]

ونخلص إلى أن معاني اللطلط ما يلي:

ـ اللّطْلِطُ، بالكسر: الغَليظُ الأَسْنانِ.

ـ اللّطْلِطُ الناقةُ الهَرِمَةُ.

ـ اللّطْلِطُ المرأةُ العجوزُ.

ـ الأَلَطُّ: من سَقَطَتْ أسنانُهُ وتأكَّلَتْ.

---

[١] لسان العرب لابن منظور، مادة: لطط / القاموس المحيط باب الطاء، فَصْلُ اللاّم/ فقه اللغة وأسرار العربية، ص ٦٠

المبحث الثالث

الحد العمري للعنوسة

المبحث الثالث

الحد العمري للعنوسة

نريد أن نحدد عمرا دقيقا لبدء مرحلة العُنوسة من بين أعمار النساء التي بينها العلماء الذين ذكروا مراتب عمر المرأة من طفولتها حتى بلوغها أقصى درجات الكبر والهرم ، وإن كانوا في ذكرهم لهذه المراحل لا يهتمون بالتحديد الدقيق للسنوات. فنجد الأئمة الذين اهتموا بهذا الأمر كأبي منصور الثعالبي الذي هو عمدة هذا الأمر لأنه ذكر عمر المرأة من ولادتها إلى كبرها، نجده لم يحدد فترة عمرية محددة من عمر المرأة إلا للمسلف وذكر أنها هي التي جاوزت الأربعين سنة، ولم يبين فترة مجاوزتها لها.

ولنعلم قبل خوضنا في الموضوع أن أعمار هذه الأمة لا تتجاوز السبعين سنة إلا القليل منهم للآتي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ [1] وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ. [2]

قال المباركفوري: قوله: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين) أي نهاية أكثر أعمار أمتي غالبا ما بينهما (وأقلهم من يجوز ذلك) أي يتجاوز السبعين فيصل إلى المائة فما فوقها قال القاري: وأكثر ما اطلعنا على طول العمر في هذه الأمة من المعمرين في الصحابة والأئمة سن أنس بن مالك فإنه مات وله من العمر مائة وثلاث سنين وأسماء بنت أبي بكر ماتت ولها مائة سنة ، ولم يقع لها سن ولم ينكر في عقلها شيء وأزيد منهما عمر حسان بن ثابت مات وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين في الجاهلية وستين في

---

[1] قال ابن منظور: مُعْتَرَكُ المَنايا: ما بين الستين إلى السبعين. [لسان العرب، مادة: عرك]

[2] سنن الترمذي: كتاب: الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بَاب مَا جَاءَ فِي فَنَاءِ أَعْمَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، حديث رقم: ٣٤٧٣/ سنن ابن ماجة، كتاب: الزهد، باب: الأمل والأجل، حديث رقم ٤٢٣٦

الإسلام ، وأكثر منه عمرا سلمان الفارسي فقيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة والأول أصح.[١]

والبلوغ[٢] عند الفقهاء هو الذي تبدأ به التكاليف عند جميع بني آدم، صحيحهم وسقيمهم فبينوا له حدا أدنى وحدا أعلى، لأنه يختلف باختلاف النساء لتأثره بطعام الأفراد، وبيئتهم التي يعيشون فيها.

---

[١] تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ج ٩ ص ٣٧٦ ــ ٣٧٧

[٢] بَاب بُلُوغِ الصِّبْيَانِ وَشَهَادَتِهِمْ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ وَقَالَ مُغِيرَةُ احْتَلَمْتُ وَأَنَا ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَبُلُوغُ النِّسَاءِ فِي الْحَيْضِ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ أَدْرَكْتُ جَارَةً لَنَا جَدَّةً بِنْتَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً.[صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب: بلوغ الصبيان وشهادتهم]

قال ابن حجر : " وأقل أوقات الحمل تسع سنين " وقد ذكر الشافعي أيضا أنه رأى جدة بنت إحدى وعشرين سنة وأنها حاضت لاستكمال تسع ووضعت بنتا لاستكمال عشر ووقع لبنتها مثل ذلك.

واختلف العلماء في أقل سن تحيض فيه المرأة ويحتلم فيه الرجل، وهل تنحصر العلامات في ذلك أم لا؟ وفي السن الذي إذا جاوزه الغلام ولم يحتلم والمرأة ولم تحض يحكم حينئذ بالبلوغ. قال أبو حنيفة: سن البلوغ تسع عشرة أو ثمان عشرة للغلام وسبع عشرة للجارية، وقال أكثر المالكية: حده فيهما سبع عشرة أو ثمان عشرة، وقال الشافعي وأحمد وابن وهب والجمهور: حده فيهما استكمال خمس عشرة سنة على ما في حديث ابن عمر في هذا الباب .[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٣٩]

مع العلم أن الذي يريد التزوج يقف أمام تأخر بلوغ من يريد زواجها ويثير انتباهه، ويتساءل ما أسباب هذا الأمر أهو مرض، أم علة لا تريد الفتاة ولا أهلها الإفصاح عنها.

وفترة الاستمتاع بالمرأة ما لم تعترضها آفات العلل والولادة تكون ما بين ١٥ ـ ٣٠ سنة، قال سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري: يُستمتع من المرأة ما بين خمس عشرة إلى ثلاثين، ما لم تعتل، أو تلد، وخيرهم ذات التبريز.[١] فإذا ولدت المرأة بطنا واحدا أو أبطنا عدة نقص ذلك من هذه الفترة.

وقد فصل بعض الأئمة في صلاحية المرأة للرجال من خلالها سنواها وتحديد عمرها، قال السرخسي في المبسوط: سئل أبو يوسف رحمه الله تعالى عن بنات العشر، فقال: لهو اللاهين، فسئل عن بنات العشرين، فقال : لذة المعانقين، فسئل عن بنات الثلاثين، فقال: تنمو وتلين، فسئل عن بنات الأربعين، فقال: ذات مال وبنين، فسئل عن بنات الخمسين، فقال: عجوز في الغابرين، فسئل عن بنات الستين فقال : لعنة اللاعنين.[٢]

وسأل النعمان بن المنذر ضمرة بن ضمرة عن النساء فقال:

متى تلق بنت العشر قد نص ثديها ... كلؤلؤة الغواص يهتز جيدها
تجد لذة منها لخفة روحها ... وغِرَّتها والحسن بعد يزيدها
وصاحبة العشرين لا شيء مثلها ... فتلك التي تلهو بها وتريدها
وبنت الثلاثين الشفاء حديثها ... هي العيش ما رقَّت ولا رقَّ عودها

---

[١] أخبار القضاة ج ٢ ص ٦٦

[٢] القلائد في فرائد الفوائد للسباعي ص ١١٣

وإن تلق بنت الأربعين فغِبطة   وخير النساء ودها وولودها
وصاحبة الخمسين فيها بقية   من الباءة واللذات صُلب عمودها
وصاحبة الستين لا خير عندها   وفيها ضياع والحريص يريدها
وصاحبة السبعين إن تُلف مُعْرِسا   عليكم فتلك خزية تستفيدها
وذات الثمانين التي قد تجللت   من الكبر الفاني وقُدَّ وريدها
وصاحبة التسعين يُرْعَشُ رأسها   وبالليل مقلاق قليل هجودها
ومن طالع الأخرى فقد ضل عقلها   وتحسب أن الناس طرا [١]عبيدها[٢]

فرأي أبي يوسف عن بنات الخمسين، وأعمارهن ما بين الأربعين والخمسين سنة هو أنها عجوز في الغابرين، أما ضمرة فرأيه في بنات الخمسين أن فيها بقية، مما يفهم منه أنه ذهب أكثرها، أما من تجاوزت ٥٠ ولو بسنة واحدة فلا خير عندها لأنها صارت من بنات الستين، فاتفق أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم،[٣] وضمرة بن ضمرة وهو جاهلي، على استبعاد بنات الستين سنة، وأعمار بنات الستين ما بين ٥٠ ــ ٦٠ سنة.

---

[١] قال الأخفش : هو شعر ضعيف على حسنه.

[٢] انظر : ذيل سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للوزير أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الاونبي، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م/ج ٣ ص ١٨ - ١٩

[٣] هو صاحب الإمام أبي حنيفة وأول من سمي بقاضي القضاة.

فسن اليأس عند المرأة وقعودها [١] عن الزوج والأولاد هي ٥٠ سنة، وإن كان هذا الأمر يختلف من امرأة لأخرى ومن بلد لآخر، لأنه يخضع للبيئة والغذاء، ورغم أن أهل اللغة ذكروا في ترتيبهم لأعمار النساء المسلف ثم بعدها النصف، وذكروا أن عمر المسلف ٤٥ سنة فعلى قولهم هذا يكون عمر النصف أزيد من ٤٥ سنة، ولكنهم ذكروا أن النصف هي من تجاوزت نصف عمرها، والناس عامة لا يعيش أكثرهم ٩٠ سنة بل معظمهم ينقص عنها، لأن أعمار أمة النبي صلى الله عليه وسلم ما بين الستين والسبعين سنة كما رأينا في الحديث، ولنجعل الأعمار سبعين سنة، وهو أعلاها، فتكون النصف من النساء من بلغت خمسا وثلاثين سنة، وليست من بلغت خمسا وأربعين سنة كما قال أهل اللغة، واضطرب أهل اللغة اضطرابا كبيرا وخلطوا بين المسلف والنصف والعانس وجعلوا أعمارهن خمسا وأربعين سنة فجعلوا معانيها كأنها مترادفات.

ولو أردنا أن نتزل أوصاف ومراحل نمو النساء التي ذكرها الأئمة على السنين، فيكون الأمر على النحو التالي :

١ ـ الطفلة : من الولادة إلى البلوغ.

٢ ـ الوليدة : الوليد : المولود حين يولد.

٣ ـ المفلكة[٢] : هي من بنات العشر

---

[١] قَعَدَتِ المرأةُ عن الحيض والولدِ تَقْعُدُ قُعوداً، وهي قاعد: انقطع عنها، والجمع قَواعِدُ. وفي التنزيل ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وقال الزجاج في تفسير الآية: هن اللواتي قعدن عن الأزواج. ابن السكيت: امرأة قاعِدٌ إذا قعدت عن المحيض. [لسان العرب لابن منظور: مادة : قعد / مختار الصحاح للرازي : باب القاف، مادة : قَعَد]

[٢] قيل: التفليك ثم النهود ثم التكعيب.

٤ ــ الناهد: هي من إحدى عشرة إلى قبيل بلوغها بفترة.

٥ ــ الكاعب: الكاعب من النساء بمنزلة الحزوّر من الرجال والحَـــزَوَّرُ: هـــو الذي قارب البلوغ.[١] أي أنها بالغ وذكرنا أن أعلى البلوغ للفتيات سبع عشرة ســـنة، فتكون الكاعب من بلغت سبع عشرة سنة في متأخرات البلوغ من الفتيات.

٦ــ المعصر: نجد أن المعاجم ذكرت للإعصار هذه المعاني:

ــ الإعصار في الجارية كالمراهقة[٢] في الغلام.

ــ قيل : المعصر ساعة تطمث

ــ المعصر التي راهقت العشرين

ويمكننا أن نجمع هذه التعاريف ونوفق بها بالآتي، فكما مر بنـــا أن أقـــل زمـــن البلوغ عند الفتاة هو سن التاسعة، فنخلص إلى أن المعصر هي التي بين ٩ــ٢٠ سنة.

٧ــ العانس:

ــ الارتفاع عن حد الإعصار.

ــ توسط الشباب

ــ البقاء زمانا بعد الإدراك من غير زواج

ــ الكبر والتعجيز

٨ ــ الخود: الشابة ما لم تصر نصَفًا. [أقل من ٣٣ سنة]

---

(١) لسان العرب مادة: حزر

(٢) راهق الغلامُ، فهو مراهِق إذا قارب الاحتلام. والمُراهِق: الغلام الذي قد قارب الحُلُـــم، وجاريـــة مراهِقة. ويقال: جارية راهِقة وغلام راهِق، وذلك ابن العشر إلى إحدى عشرة.[لسان العرب مادة: رهق]

٩ ــ المسلف: المسلف من بلغت ٤٥ سنة

١٠ ــ النصف:

الكهل والنصف اسم للرجل والمرأة إذا جاوزا الثلاثين إلى الخمسين

النصف : الكهل كأنه بلغ نصف عمره

النصف : المرأة بين الحدثة والمسنة

النصف من النساء التي بلغت خمسا وأربعين.

والناس يرغبون عن نكاح النصف، ويرون أن الذي مضى من عمرها هو أفضل النصفين وبقي شره، قال جعفر بن محمد: إذا قال لك أحد : تزوجت نَصَفًا، فاعلم أن شر النصفين ما بقي في يده ، وأنشد:

وإن أتوك بها وقالوا إنها نصف   فإن أطيب نصفيها الذي ذهبا[1]

١١ ــ الشهلة:

ــ قيل: الشَّهْلة النَّصَفُ

ــ والشَّهْلَةُ: العَجوزُ، والنَّصَفُ العاقِلَةُ، خاصٌّ بالنِساءِ.

ــ الشهلة الكهلة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد.

١٢ ــ الكهلة: ذكر أهل اللغة لكلمة الكهل عدة معان هي :

ــ الكَهْلُ من الرجال الذي جاوَزَ الثلاثين.

ــ الكَهْلُ من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إِلى الأَربعين.

ــ قيل: هو من ثلاث وثلاثين إِلى تمام الخمسين

---

[1] العقد الفريد ج٧ص١٢٢ ، محاضرات الأدباء ج٢ص٢٠٣

ــ امرأة كَهْلة إذا انتهى شبابُهما، وذلك عند استكمالهما ثلاثاً وثلاثين سنة.

١٣ ــ الشهبرة: العجوز الكبيرة المتماسكة

١٤ ــ الحيزبون: ــ الحيزبون : الشَّهْمةُ الذَّكِيَّةُ.

ــ الحيزبون: العجوز من النساء وهي من رجعت عالية السن ناقصة القوة.

١٥ــ القِلْعَمُّ: القِلْعَمُّ العجوز المسنة.

١٦ ــ اللطلط:

ــ واللِّطْلِطُ المرأةُ العجوزُ.

ومن تقسيم الأئمة الذي وضعناه على الترتيب السابق، وقدمنا فيه وأخرنا، يتضح لنا أن العُنُوسة فوق الإعصار، والمعصر أعلى معنى لها من بلغت العشرين سنة، ولو أخذنا من معاني العُنُوسة الثلاثة الأول، وهي، الارتفاع عن حد الإعصار، وتوسط الشباب، والبقاء زمانا بعد الإدراك من غير زواج، فنرى أن تجاوز الفتاة لسن الحادية والعشرين سنة هو دخولها في مرحلة العُنُوسة، وتزداد خطورة المشكلة بتقدم سنوات بقائها من غير زواج، والله أعلم.

ويمكننا أن نستأنس لرأينا هذا العُنُوسة في سن العشرين ما وجدته بعد الانتهاء من هذا الكتاب هو قول إحدى الفتيات في عمر العشرين على موقع: إسلام أون لاين: أنا فتاة في العشرين من عمري. لم أكن أفكّر قبل سنة واحدة فقط في الزواج، ولكن لاحظت أن الكثيرات من صديقاتي قد خطبوا، وما يقلقني ويسبب لي الكآبة أنه لم يتقدم لي أي شاب حتى الآن، مع أني مقبولة الشكل ولست قبيحة. وأنا أحس أن شبح العُنُوسة يطاردني. كما أحس بفراغ عاطفي وجسدي، أحتاج إلى الزواج بشدة، ولكني أخاف أن

تمضي الأيام ولا يأتي من ينتشلني، كما أني أفكر في الجنس كثيرًا، ولا أعرف كيف أقضي على هذا الشعور.

ويقول : د. عمرو أبو خليل: لقد وردت إلينا مشكلات من فتيات قلقن على أنفسهن من العُنُوسة بعد سن الثلاثين، ولكن الجديد أن تقلق فتاة في سن العشرين من ذلك.

أظن أن سنك ما زالت في وطننا العربي والإسلامي تعتبر صغيرة على شبح العُنُوسة، وأظن أن شغل وقتك بأشياء مفيدة، سواء عملية أو ذهنية من هوايات أو قراءات أو اهتمامات وصحبة الأخيار سيكون له الأثر الكبير في طرد هذه الأفكار وهذا الشعور بالفراغ، بكل أصنافه من رأسك.

قال الضبيعي: وقد اختلف العلماء في السن التي تعدّ المرأة فيها عانساً على أقوال هي: ثلاثون سنة أو خمس وثلاثون أو أربعون أو خمس وأربعون أو أكثر من ذلك، وقال بعضهم – وهو الصواب والله أعلم – سن العُنُوسة تعود إلى العرف، فقد يطلق وصف العُنُوسة في مجتمع ما على المرأة التي لم تتزوج وإن لم تبلغ الثلاثين .[1]

وقال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: العانس هي الكبيرة التي لم تتزوج وقد بلغت من الثلاثين إلى الأربعين سنة هذا ظاهر كلام أهل اللغة فإن تغير العرف إلى غير ذلك عمل به لأن المعنى العرفي في خطاب الناس مقدم على المعنى اللغوي كما نص على ذلك الفقهاء في الأيمان وغيرها.[2]

---

[1] الموسوعة الفقهية (عنوس) ، ج٣١ ص ٣١ نقلا عن : كتاب: كيف تزوج عانسا؟

[2] من كتاب: كيف تزوج عانسا؟

الفصل الثاني

هل العُنُوسة مقصورة على النساء فقط
أم تشمل الرجال أيضا؟

الفصل الثاني

هل العُنوسة مقصورة على النساء فقط أم تشمل الرجال أيضا؟

العُنُوسة لا تنحصر في النساء فقط كما رأينا في تعريف العُنُوسة في اللغة، وإن كان لفظ العُنُوسة يستعمل في النساء أكثر من الرجال والمرأة العانس هي التي لم تتزوج من قبل ولكنها تترقب الزوج وتنتظره فإذا تزوجت ولو مرة واحدة فلا تسمى عانسا.

فإن كان المقصود بتعريف العُنُوسة عدم الزواج فقط، فهذا بلا شك يشمل غير المتزوجين أو العازبين لأن العُزَّابُ هم الذين لا أزواجَ لهم، من الرجال والنساءِ. وقد عَزَبَ يَعْزُبُ عُزوبةً، فهو عازِبٌ، وجمعه عُزّابٌ، والاسم العُزْبة والعُزُوبة، ولا يُقال: رجل أَعْزَبُ، وأَجازه بعضهم.[1] ويُقال: إِنه لَعَزَبٌ لَزَبٌ، وإِنها لَعَزَبة لَزَبة. والعَزَبُ اسم للجمع.[2]

فإن كان المقصود بالعُنُوسة عدم الزواج مع الرغبة الملحة فيه فيقتصر على النساء فقط دون غيرهن وهذا هو التعريف الذي ذكرته معاجم اللغة وإن كانت قد أخرجت منه المطلقات والمعلقات والأرامل رغم خلوهن من الزوج حاليا لأنهن قد تزوجن من قبل وذقن عسيلة الزواج.

والرجل وإن سمي عانسا فإن حل عنوسته والانتهاء من أمرها في يده، فهو غالبا بإمكانه أن يزيل العُنُوسة عنه وأن يقترن بمن يرغب فيها أو فيهن من النساء وأما المرأة فلا تستطيع ذلك مع رغبتها الشديدة الملحة في الزواج وليس بإمكانها ذلك بل هي تنتظر في بيت أبويها أو وليها، أو بيتها إن كان لها بيت بمفردها منتظرة من يطرقه من الراغبين

---

[1] وردت كلمة أعزب في الحديث النبوي الشريف، انظر ص من هذا الكتاب

[2] لسان العرب لابن منظور: مادة عزب

فيها.[١] ومن ثم فتوافق على المتقدم لها أو ترفضه غير مطالبة بتبرير الموافقة والقبول أو الرد والرفض، وقد تكون في أحايين كثيرة موافقتها ليست عن رغبة في المتقدم لها ولكن لخوفها أن لا تجد غيره لطول انتظارها ولقلة المتقدمين لها، فشيء أفضل من لا شيء وزوج من عود خير من قعود بلا زوج.[٢]

أما الرجال العانسون فهم الأيامى الذين أمرنا الله بمساعدهم على الزواج وتسهيل أمره لهم قال الله تعالى ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٣]

والعانسون من الرجال هم الذين تأخر زواجهم بسبب الفقر أو تقدم العمر أو العزوف بسبب الخوف من الإصابة بالإحباط لخوض تجارب زوجية سابقة فاشلة، ومن ثم فلم يجسر أحدهم بالمغامرة لخوض تجربة جديدة أو نحوها من الأسباب التي سنراها في كتابنا هذا، هذا الصنف هل يعتبر من العانسين أم لا؟

كما أننا علينا أن نعلم أنه لا يدخل في العانسين أصحاب العاهات المستديمة كالعنة والجبب والحصر والضعف الجنسي، بل المراد بهم من هم في عنفوان القوة، والمقدرة الجنسية ولكنهم لم يتزوجوا، فمدلول كلمة العُنُوسة أوسع من أن يحصر ويتعلق مفهومه بالفتيات فقط فهو يشمل النوعين، من الرجال غير المتزوجين والنساء غير المتزوجات.

---

[١] انظر : هل تخطب المرأة الفتى في ص من هذا الكتاب.

[٢] مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٥١ ــ ٤٥٢

[٣] سورة النور آية ٣٢

ولا يدخل في معنى العُنُوسة المطلقات والأرامل من النساء، رغم أن المتبـادر إلى الذهن أن المرأة التي مات عنها زوجها أو طلقت قد تشترك مع المرأة غير المتزوجة، ولكن الأرملة [١] والمطلقة قد سبق لهما الزواج، وعاشتا تجربة سابقة تحتفظان بحلاوتها أو مرارتها خلافا للعانس فهي لم تخض هذه التجربة ولم تعرف رجلا أصلا، والترمـل هـو الفقـر والالتصاق بالرمل حاجة وعوزا، وشبهت به الأرملة لتحول حياتها دنوا مقارنة مع حياتها في وجود زوجها وقبل مماته، والترمل بمعنى الفقر ومفهومه يشمل الرجال والنساء فقـد يكون رجلا متزوجا أكثر فقرا من امرأة مات عنها زوجها، وقد استعمل جرير بن عطية الخطفي كلمة الأرمل وعنى بها الرجل وذلك في شكواه ووصف حال الناس لعمر بن عبد العزيز كما مر بنا فقال:

هذى الأرامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذي الأرمل الذكر[٢]

فمراد جرير بكلمة الأرمل الذكر الفقراء من الرجال وليس من مـات عنـهن أزواجهم من النساء، أو من ماتت زوجاتهم من الرجال.

وقد يكون لبعض العانسين من الرجال مشكلة حقيقية فبعضهم لم يستطع الزواج ولم يفطن المجتمع لحل مشكلته التي أرقته وأقضت مضجعه، ومن ثم لم يسـع المجتمـع في حلها، لذا فهذا العانس يغبط المتزوجين ويتمنى أن يكون مثلهم، هذا إن كان صالح النية سليم الطوية، نقي السريرة، وإن كان حسودا، فهو يتمنى للمتزوجين ما يعكر صـفوهم

---

[١] قال النووي: الأرملة: من لا زوج لها. سواء كانت تزوجت قبل ذلك أم لا. وقيل: هـي الـتي فارقت زوجها. قال ابن قتيبة: سميت أرملة. لما يحصل لها من الإرمال. وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج. يقال: أرمل الرجل، إذا فني زاده.

[٢] انظر ص   من هذا الكتاب.

ويحول نعيمهم بؤسا، وسعادهم شقاء، وقد تصدر أقوال وحركات من هذا العانس تنبئ بما يختلج في نفسه من معاناة، وما يجيش في صدره من مكنونات، قال سيبويه:

هنيئاً لأربابِ البيوتِ بيوتهمْ   وللعزبِ المسكينِ ما يَتَلَبَّسُ

الفصل الثالث

العُنُوسة في عالمنا العربي والإسلامي

إحصاء وأرقام

١ ـ العُنُوسة في مصر
٢ ـ العُنُوسة في المملكة العربية السعودية
٣ ـ العُنُوسة في سوريا
٤ ـ العُنُوسة في الكويت
٥ ـ العُنُوسة في قطر
٦ ـ العُنُوسة في البحرين
٧ ـ العُنُوسة في الإمارات العربية
٨ ـ العُنُوسة في الأردن
٩ ـ العُنُوسة في السودان
١٠ ـ العُنُوسة في المغرب
١١ ـ العُنُوسة في الجزائر
١٢ ـ العُنُوسة في تونس
١٣ ـ العُنُوسة في اليمن
١٤ ـ العُنُوسة في فلسطين
١٥ ـ العُنُوسة في لبنان
١٦ ـ العُنُوسة في نيجيريا
١٧ ـ العُنُوسة في تركيا
١٨ ـ العُنُوسة في باكستان

الفصل الثالث

العُنوسة في عالمنا العربي والإسلامي إحصاء وأرقام

بعد حتى يكون موضوعنا عن العُنوسة متكاملا لابد من معرفة بعض الحقائق والأرقام في الأقطار العربية والإسلامية حتى نكون على علم تام بالموضوع وخطورته فنعد للأمر عدته. ومن هذه الأقطار :

١ ـ العُنوسة في مصر :

في مصر كشفت دارسة رسمية[(١)] أعدها الجهاز المركزي المصري للتعبئة العامة والإحصاء ارتفاع نسبة غير المتزوجين بين الشباب المصري إلى ٣٧٪، وأن عدد الشبان والشابات العوانس ــ الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين من دون زواج ــ وصل إلى أكثر من ٩ ملايين نسمة من تعداد السكان البالغ ٦٤ مليون نسمة، بينهم ٣ ملايين و٧٧٣ فتاة وقرابة ٦ ملايين شاب غير متزوج، وأن ٥٥ ٪ من حاملات الماجستير والدكتوراه في مصر عوانس.

وأكد تقرير تابع لإحصاء الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء أنه يوجد في مصر ٨,٦ مليون فتاة ما بين سن ١٨ وحتى ٣٥ سنة يبحثن عن ابن الحلال. من بين هذه النسبة هناك ٣,٥ مليون فتاة في المرحلة العمرية من ١٨ – ٢٥ سنة، و ٢,٦ مليون فتاة في المرحلة العمرية من ٢٥ – ٣٠ سنة، وتجاوز عدد الفتيات غير المتزوجات في المرحلة العمرية من ٣٠ – ٣٥ سنة ٢,٥ مليون فتاة. وكان نصيب مدينة القاهرة من هذه النسبة حوالي ٨٨ في المائة من عدد الفتيات غير المتزوجات.[(٢)]

---

(١) تقرير مأخوذ من: محمد جمال عرفة – رضوة حسن – إسلام أون لاين، يوم الثلاثاء ١٢ رجب ١٤٢١هـ / ١٠ أكتوبر ٢٠٠٠م

(٢) مجلة سيدتي عانسات العرب بالملايين

كما كشفت الدراسة عن أن عدد المطلقين والمطلقات بلغ ٣٦٤ ألفا و٣٦١ مصريا ومصرية، وأن عدد عقود الزواج التي تم إبرامها رسميا في مصر عام ١٩٩٩م بلغ ٥٢٠ ألفا بنسبة ٨،٢% من السكان، مقابل ٤٠٥ آلاف عقد زواج في عام ١٩٩٠م، أي بزيادة قرابة ١١٥ ألف عقد زواج، في حين بلغت عقود الطلاق التي تم استخراجها عام ١٩٩٩ نحو ٧٤ ألف حالة بنسبة ١،٢% مقابل ٦٧ ألف شهادة عقود طلاق ١٩٩٠. في حين بلغ عدد الأرامل ٣٧١ ألفا و٢٧٦ من النساء والرجال.

وأكد خبراء الجهاز أن هذه الأرقام ترجمة فعلية لظاهرة خطيرة بدأ يعاني منها المجتمع المصري لا سيما في السنوات الأخيرة، وهي ظاهرة العُنُوسة التي استهدفت الفئات الوسطى، محملين الفتيات والأسرة المسئولية عن تفاقم تلك الظاهرة، بسبب تغير مفاهيمهن عن الزواج، مما جعل الشاب يقف عاجزا عن توفير الحد الأدنى لمتطلبات الفتاة وأسرها، أما وزارة الشئون الاجتماعية المصرية فقد أعلنت بدورها أن ٢٥٥ ألف طالب وطالبة يمثلون ١٧% من طلبة الجامعات قد اختاروا الزواج العرفي، بينما أعلنت وزارة العدل في أحدث إحصائية لها عن زواج ٢٠٠ ألف فتاة مصرية من أثرياء أجانب كبار السن، مؤكدة أن هناك اتجاها يسود بين الشباب المصريين للارتباط بزوجات من روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق وأوروبا الشرقية، حيث يرتبط الشاب بفتاة متعلمة وجميلة، لأن هذا الارتباط لن يكلفه سوى منزل مؤثث.

وحول متوسط عمر كل من الرجل والمرأة في مصر أكدت الدراسة أن النساء المصريات أطول عمرا من الرجال؛ إذ يصل متوسط عمر المرأة ٧١ عاما، والرجل ٦٧ عاما، وأن هذا المتوسط قد يستمر لعشرين سنة قادمة، مرتفعا أيضا بالنسبة للمرأة مقابل الرجل.

كذلك أشارت الدراسة إلى أن متوسط عدد أفراد الأسرة المصرية يتراوح بين ٤,٨ فردا في محافظات مصر الشمالية و٥,٥ فردا في بعض المحافظات الجنوبية ومحافظة البحيرة الشمالية، بينما يقل هذا المتوسط في العاصمة القاهرة والمدن الساحلية مثل بور سعيد ليصل إلى ٤ أفراد فقط.

وحول المستوى التعليمي أشارت الدراسة إلى أن عدد الأميين من الذكور والإناث في مصر يبلغ حاليا ١٧ مليونا و٦٤٦ ألفا بنسبة ٣٠% من السكان.[١]

والمعروف أن الظروف المعيشية المرتفعة التكاليف، فضلا عن انتشار البطالة، وارتفاع أسعار السكن لأرقام فلكية تعرقل زواج الكثير من الشبان المصريين.

وسجلت الإحصائية وجود ألف حالة زواج عرفي بين أصحاب الشركات وسكرتيراتهم. الطريف أن الإحصائية شملت أيضا وجود نحو ٥ آلاف مصري متزوج من ٤ سيدات ومن هؤلاء الأزواج من يحمل درجة الدكتوراه أو درجات علمية مرتفعة وليس أصحاب المهن أو التجار وحدهم في حين زاد عدد من يجمعون بين زوجتين فقط إلى قرابة مليون مصري. من ناحية أخرى أظهرت دراسة حديثة أجريت في أحياء مصر ذات الكثافة السكانية العالية، حدوث زيادة متسارعة الوتيرة لما أصبح معروفا" بالطلاق العاطفي" وهذا النوع من الطلاق غير مسجل حيث يتم الطلاق على وضع زوجي يقوم به الرجل بالعيش مع زوجة ثانية مع استمراره في العيش مع الزوجة الأولى، فيقع انفصال عاطفي بين الزوجين حيث يقيم الزوج علاقات عاطفية وزوجية خارج المنزل الزوجي. مما دعا مكاتب التوثيق التابعة لمصلحة الشهر العقاري في مصر إلى تطبيق إجراءات جديدة للزواج والطلاق وتضمنت الوثيقة الوضع الصحي للطرفين وخلوهما من الأمراض التي

---

[١] الدراسة نشرتها صحيفة الأحرار المصرية الأحد (٨-١٠-٢٠٠٠)

تجيز التفريق وتوثيق كل ما يجوز للزوجين الاتفاق عليه في عقد الزواج والتي لا تتعارض مع الدين وتضمن وضع الضوابط التي تكفل حق الطرفين للحد من ظاهرة الطلاق التي تهدد مستقبل الأسرة مع الالتزام بوضع ضوابط التعديلات الجديدة وعدم توثيق الطلاق إلا بعد الخطوات الاحترازية وعلى الموثق أن يشرح مخاطر الطلاق والنتائج المترتبة على ذلك والحرص على اختيار حكم من أهل الزوجة وحكم من أهل الزوج ولا يتم توثيق الطلاق إلا إذا فشل الحكمان في التوفيق بينهما. الجدير بالذكر أن البرلمان المصري حمل الحكومة مسؤولية العُنُوسة وارتفاع حالات الطلاق وطالب الحكومة بضرورة التدخل السريع للحد من ظاهرة العُنُوسة ومساعدة الشباب في تكاليف الزواج وتقديم تسهيلات لهم سواء بطرح الشقق السكنية بالمجتمعات العمرانية الجديدة بأسعار منخفضة أو من خلال توعية الأباء بضرورة تخفيض تكاليف الزواج أو تسهيل الزفاف الجماعي لأن ظاهرة العُنُوسة وارتفاع معدلات الطلاق تهدد استقرار المجتمع والأمن القومي المصري. [١]

وتقول الدكتورة سامية خشاب : هناك سبب مهم لا يمكن إغفاله وهو ازدياد عدد الفتيات بالنسبة للشباب لدرجة أنه في أحد الأبحاث تبين أنه يقابل كل شاب قادر على الزواج ثلاث فتيات مما يعني ببساطة انتظار فتاتين لشاب من جيل آخر! [٢] هذه الظاهرة تؤدي إلى سلبيات كثيرة مثل الزواج العرفي. [٣]

---

(١) العُنُوسة شبح يخيف الفتاة العربية ندوة عن العُنُوسة، من منتدى عربيات

(٢) يمكن للتعدد أن يحل هذا الإشكال.

(٣) مجلة الشباب مصر العدد : ٢٧٨ سبتمبر ٢٠٠٠

٢ ـ العُنُوسة في المملكة العربية السعودية:[1]

كشفت أرقام رسمية صادرة عن وزارة التخطيط السعودية عن أن المجتمع السعودي بدأت تتفشَّى فيه بشكل كبير ظاهرة جديدة عليه هي العُنُوسة وتأخُّر سنّ الزواج، إضافة إلى تزايد حالات الطلاق. وأرجعت التقارير الرسمية أسباب ذلك إلى ارتفاع تكاليف الزواج والمهور التي تصل إلى ربع مليون ريال سعودي. فضلاً عن تراجع فرص العمل وتزايد البطالة.

فقد أكَّدت إحصائية صادرة من وزارة التخطيط السعودية أن ظاهرة العُنُوسة امتدت لتشمل حوالي ثلث عدد الفتيات السعوديات اللاتي في سن الزواج. وأن عدد الفتيات اللاتي لم يتزوجن أو تجاوزن سن الزواج اجتماعيًا -وهو ٣٠ عامًا- قد بلغ حتى نهاية ١٩٩٩ حوالي مليون و٥٢٩ ألفًا و٤١٨ فتاة. بالمقارنة بمليونين و٦٣٨ ألفًا و٥٧٤ امرأة هن عدد المتزوجات في السعودية من مجموع عدد الإناث البالغ ٤ ملايين و٥٧٢ ألفًا و٢٣١ أنثى وفقًا لتعداد السكان في السعودية.[2]

وجاءت منطقة مكة المكرمة هي الأعلى في نسبة عوانسها بوجود: ٣٩٦٢٤٨ فتاة ثم منطقة الرياض بوجود: ٣٢٧٤٢٧ فتاة وفي المنطقة الشرقية: ٢٢٨٠٩٣ فتاة ثم منطقة عسير بوجود ١٣٠٨١٢ فتاة تليها المدينة المنورة بـ ٩٥٥٤٢ فتاة ثم جازان ٨٤٨٤٥ فتاة ثم منطقة القصيم ٧٤٢٠٩ فتيات ثم الجوف ٥٢١٩٠ فتاة وحائل ٤٣٢٧٥ فتاة ثم تبوك ٣٦٦٨٩ فتاة والمنطقة الشمالية ٢١٥٤٣ فتاة.

---

(١) الرياض- وكالات

(٢) الاتحاد العدد ٩٠٥٦ ، ٢١/٤/٢٠٠٠م

ويقول أساتذة علم الاجتماع والخبراء في الجامعات السعودية: إن هناك مجموعة من العوامل وراء تزايد العُنُوسة، منها الارتفاع الكبير في تكاليف الزواج والمغالاة في قيمة المهور (إجمالي تكلفة الزواج في السعودية تصل إلى ٢٥٠ ألف ريال). بالإضافة إلى إحجام نسبة كبيرة من الشباب السعودي عن الزواج من الفتيات المتعلمات تعليمًا جامعيًا أو فوق الجامعي. فضلاً عن تراجع فرص العمل المتاحة للسعوديين وانتشار البطالة التي بلغ معدلها حوالي ٢٦٪ في المملكة، مما دفع لإصدار تشريعات تكاد تمنع استقدام عمالة خارجية مما لم تكن متوفّرة في السعوديين.

وتشير الدراسات الحديثة التي أجريت في السعودية، إلى أن أهم الأسباب التي تؤدي إلى تأخر زواج المرأة يمكن تلخيصها فيما يلي :

أ ـ إقبال المرأة على التعليم، حيث تشكل نسبة النساء في مراحل التعليم المختلفة واللاتي تجاوزن سن العشرين ولم يتزوجن حوالي ٧٠ بالمائة من السعوديات.

ب ـ انشغال المرأة بالوظيفة، حيث تشكل نسبة الموظفات السعوديات غير المتزوجات، واللواتي تزيد أعمارهن عن ٢٨ سنة حوالي ٤٤ بالمائة.

ج ـ إصرار الأهل على تزويج بناهم من شباب يماثلونهن في المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

د ـ تفضيل زواج الأقارب أو القبائل، حيث تشكل نسبة الشباب السعودي الذي يفضل الزواج من داخل الأسرة، مثل بنات العم أو بنات الخال، حوالي ٤٤ بالمائة.

هـ ـ تدخل الأسرة في تحديد معايير ومواصفات اختيار الزوج. [١]

---

(١) مجلة سيدتي : عانسات العرب بالملايين

كما أن من أسباب عنوسة الفتيات في السعودية تزوج السعوديين بأجنبيات وبالرغم من القيود المفروضة على زواج السعوديين من الأجنبيات وفرض شروط قد تكون تعجيزية أحيانا على مثل هذا الزواج إلا أن أعدادا كبيرة من الشباب السعودي تتخطى كل هذه العقبات ويصر على الزواج من أجنبيات وخاصة من الدول العربية.

ويقول الشيخ عبد الله بن علي الكثيري القاضي بالمحاكم الشرعية أن عدد حالات زواج السعوديين من فتيات أجنبيات ارتفع العام الماضي إلى ما يقرب من ١٢٠٠ حالة زواج وذلك بالرغم من الدعوة إلى ضرورة ارتباط الشباب السعودي بزيجات[١] من السعوديات وعدم الإقدام على الزواج من أجنبيات إلا في بعض الظروف.[٢]

هذه الأرقام المخيفة لمعدلات العُنوسة دفعت المفتي العام للمملكة ـ رئيس هيئة كبار العلماء ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ لأن يجدد دعوته لتعدد الزوجات، داعيا السعوديات إلى تقبل منطق التعدد للحفاظ على البناء الاجتماعي للأسرة والمجتمع، وموضحا أن تعدد الزوجات أمر شرعه الله لصالح المجتمع، وأن على المرأة أن تقبل أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة باعتبار أن ذلك خيرا من العُنوسة، وأضاف أن زواج المرأة من رجل ذي دين وكفاءة وخلق ومعه زوجة أخرى لا عيب ولا نقض فيه، مجددا تأكيده بأن التعدد أمر مشروع وأن الذي يشكك فيه ضال.

٣ـ العُنوسة في سوريا:

في سوريا تكشف الأرقام الرسمية المنشورة أن أكثر من ٥٠٪ من الشبان السوريين الذين وصلوا سن الزواج عازفون عن الزواج أو عجزوا عنه بسبب عدم

---

(١) كلمة زيجة وزيجات لا توجد في معاجم اللغة وإنما أثبتها كما هي لأنها نص منقول وقد تتكرر عدة مرات.

(٢) الرياض – الاتحاد

مقدرتهم المادية وعدم توفر المسكن الملائم للزواج، ووفقا لأرقام المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٩٥ فإن ٨٢،٤% من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين ٢٠ و ٢٤ عاما لم يتزوجن أبدا، و ٦٠% من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين ٢٥ و ٢٩ عاما لم يتزوجن أبدا أيضا، بينما بلغت نسبة اللاتي تخطين ٣٤ عاما دون زواج ٣٧،٢% ووصلت نسبة اللاتي تجاوزن ٣٩ عاما دون زواج إلى ٢١،٣% وهو مما يعني أن أكثر من نصف النساء غير متزوجات.

واستطلعت شبكة "إسلام أون لاين.نت" آراء الشباب السوري في أسباب هذه الظاهرة. فقال الشاب "آشور عقل" الأربعاء ٢١-٨-٢٠٠٢: "لم أتزوج بسبب أزمة السكن، فأنا أقيم في بيت مع والدي وثلاث أخوات لم يتزوجن؛ اثنتان تجاوزتا سن الزواج والثالثة تكاد تلحق بهما، وأبي رجل تجاوز الستين ولم يعد بإمكانه الاستمرار في العمل كسائق، وأنا مكلف بهن، طبعاً أحلم ببيت وزوجة وأطفال صغار، ولكن من تلك التي ترضى بأن تبدأ حياتها مع شاب في الأربعين من العمر".

أما معتز عرسان فيقول: "تكاليف الزواج تفوق ما يمكن أن يكسبه الأب في عشر سنوات، وبالتالي فإن الهروب من الزواج أصبح هو الحل، ومجمل الضغوط أثرت تأثيرًا عميقًا في نظرة الشاب إلى الزواج، حيث بدأ الكثير من الشباب يعتبرونه قيدا يعوق انطلاقهم، فأصبح القادرون على توفير نفقات الزواج في فترة قصيرة يصرفون اهتمامهم إلى اقتناء السيارة الفاخرة، أو تغيير الهاتف النقال أو السفر والسياحة".

ويضيف عرسان قائلا: "الأعراف الاجتماعية هي من صنع الشباب ذاته، وقد وضعها لمصلحته، أما المهلة الممنوحة له للاختيار فتمتد غالبا لتسحب الجزء الأعظم

من حياته؛ لأنه في نظر المجتمع في شباب دائم، وما السنوات المضافة إلى سنوات شبابه سوى نضج واتزان يزيدان شبابه تألقاً".

على الجانب الآخر يعتبر الكثير من الشابات الزواج تبعية وقتل لقدراتهنَّ وإبداعاتهنَّ، وأنهنَّ لن يستطعن أن ينجزن شيئاً من طموحاتهنَّ في ظل مؤسسة الزواج، فتتمنع الفتاة حتى تلحق بركب العُنُوسة.

تقول مها- ٣٥ عاما -: "أعمل بشركة اتصالات خاصة وفي هذه السن ليس لدي شروط للزواج، أريد فقط شخصاً محترماً فيه الحد الأدنى من القيم الأخلاقية لضمان حسن المعاشرة، لا أريده غنياً بل موظفاً في أي مكان محترم، وسأتكفل أنا بكل مصروفات الزواج".

وتضيف مها: " لدي شقة مؤثثة بالأثاث الفاخر، حصيلة عشر سنوات من العمل في الشركة، لقد أضعت فرصاً عديدة للزواج في سبيل إثبات وجودي في العمل، وتكوين شقتي، والآن اكتشفت أنني دخلت مرحلة العُنُوسة". وتؤكد أن أشد ما يؤلمها أن تصل إلى مرحلة الشيخوخة وحيدة دون رفيق تعتمد عليه.

الباحث في حقائب "الخاطبات" اللاتي انتشرن بكثرة في سوريا، يكتشف حجم النساء اللائي لم يدخلن عش الزوجية، فتجد هذه الحقائب ملأى بأرقام الهواتف والصور الشخصية حسبما تقتضي متطلبات المهمة، حيث انتشرت هذه الوسيلة لإيجاد العريس في العديد من الأوساط المحافظة.

ويرى الدكتور كامل عمران أستاذ علم الاجتماع أن تأخر سن الزواج عند الشباب ظاهرة جديدة دخلت المجتمعات المعاصرة، معتبرا إياها ظاهرة نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر، وفقاً للتقاليد والعادات الاجتماعية.

وأرجع د. عمران أسباب ذلك إلى مجمل عوامل أهمها: أن المجتمع العربي يشهد إقبالاً كبيراً على التعليم، الأمر الذي رفع سن الزواج بشكل واضح حتى انتهاء الدراسة الجامعية، بالإضافة للعمل؛ إذ لا يمكن للشباب أن يتزوج دون أن يجد فرصة عمل مناسبة يستطيع أن يؤمن بها متطلبات حياته، وهذا يعد في المجال المنظور أمراً لا يتحقق لجميع الشباب-على حد قوله-.

وقال: "هناك سبب آخر بدأ يؤثر حديثاً ناتج عن الاتصال بثقافات أخرى لا ترى في الزواج ضرورة حياتية أو إنسانية، فيعيش الشباب دون ارتباط رسمي، ويشجع على ذلك آلية تطور المجتمع التي تحقق الكثير من حاجات الشباب ورغباتهم المختلفة".

كما حذر عمران من تداعيات هذه الظاهرة ومن بينها تراجع الأسرة عن الأولويات التي يعمل المجتمع على تحقيقها، وفقدها الكثير من أدوارها المجتمعية لتحل محلها مؤسسات اجتماعية أخرى تنهض بدورها، الأمر الذي يفقد الأسرة الكثير من أهميتها والكثير من أدوارها في عملية التنشئة الاجتماعية.[1]

٤ ـ العُنُوسة في الكويت:

في الكويت نسبة العُنُوسة بين الفتيات الكويتيات تقترب من نسبة ٣٠% حسب بعض الإحصاءات الرسمية، وبلغ عدد الفتيات العوانس أكثر من ثلاثين ألف فتاة كويتية تجاوزن الثلاثين عاما (جريدة المدينة العدد ١٢٤٥٣ في ١٤١٨/١/١٣هـ نقلا عن جريدة الهدف الكويتية). وذكرت جريدة السياسة الكويتية(١٤١٨/٥/٢٥هـ السنة ٣١، العدد ٢١٨٩_٢٠٨٣) رقما أكثر من ذلك وقالت : إن هذا الرقم المخيف

[1] دمشق – خاص – إسلام أون لاين.نت/ ٢١-٨-٢٠٠٢م ، مقال : سوريا العُنُوسة وراء كل باب

يدعو إلى القلق ويدل دلالة واضحة على حجم الظاهرة وآثارها السلبية على الأسرة والمجتمع.

وأوضحت دراسة قامت بها الإدارة المركزية للإحصاء بوزارة التخطيط بالكويت أن هناك ميلاً متزايداً لتأجيل الزواج، حيث ارتفعت نسبة الإناث اللواتي لم يسبق لهن الزواج من ٥٨% للفئة العمرية (١٩,١٥) إلي ٨٠% خلال خمسة عشر عاماً، ومن ١٦ % للفئة العمرية (٣٠ – ٤٠) إلي ٣٩% للفئة العمرية (٢٠ – ٤٠) خلال الفترة نفسها ، وأرجعت الدراسات ذلك إلي ازدياد فرص التعليم والإقبال عليه وعلي العمل . وفي دراسة أخرى للإدارة نفسها ارتفع متوسط العمر الذي تتزوج فيه الفتاة من ١٩،٨ سنة إلي ٢٢,٤ سنة ، وارتفعت نسبة من لم يسبق لهن الزواج من الإناث من ٢٠ % إلي ٢٨.٥ % ومن الذكور من ٣٦,٦ % إلي ٣٩،٤ % . ويبدو أن الزواج في سن صغيرة بات منصرفاً عنه ، فالدراسة تؤكد أن نسب المتزوجات من الكويتيات الفئات العمرية (١٩,١٥ سنة) (٢٠ – ٤٠ سنة) (٢٥ – ٢٩ سنة) قد تناقصت وارتفع متوسط سن الأنثى الكويتية عند الزواج. حيث بدأ الشباب الكويتي في العزوف عن الزواج نظرا للأعباء الاقتصادية الباهظة التي تترتب عليه بينما وصلت نسبة الطلاق في الكويت إلى ٣٣% . [١]

٥ ـ العُنوسة في قطر:

يقول الأستاذ عبد العزيز المالكي المشرف على مشروع البيت السعيد بقطر: "إن هناك مجموعة من العوامل وراء تزايد العُنوسة، منها ارتفاع المهور، ورغبة الفتاة وأهلها في استكمالها لتعليمها العالي".

---

[١] موقع نبض الشارع ، مجلة القيثارة، مقال بعنوان: عالمها : العُنوسة مشكلة تتعقد

تتساوى نسبة الذكور ونسبة الإناث، خاصة هؤلاء الذين في سن الزواج آخذين في الاعتبار أن عدد سكان قطر وفقا لآخر إحصاء رسمي لعام ١٩٩٧ هـو ٥٢٢٠٢٣. أكثر من نصفهم من الأجانب المقيمين، وهو ما يعني أن الحكومة القطرية يجب عليهـا أن تعمل على تشجيع الزواج لإحداث زيادة في عدد المواليد، كي يحدث تـوازن في عـدد السكان.

٦ ـ العُنوسة في البحرين:

تقول الدكتورة (منيرة فخرو) الأستاذة في جامعة البحرين: من خـلال نظـرة خاصة لارتفاع المهور، وتكاليف الزواج في البحرين، ودول الخليج بشكل عام، فـالمهر أصبح عقبة أمام الرجل والمرأة اللذين يفكران في الزواج، وكل تلك العوائق أمام الشاب الخليجي جعلته يصرف النظر عن الزواج ببنت بلده، والاتجاه إلى الزواج بالأجنبيات ممـا كثف تواجد العوانس في الدول الخليجية. [١]

٧ ـ العُنوسة في الإمارات العربية:

وفقا لدراسة نُشرت في الإمارات فإن عدد العوانس قد وصـل إلى ٦٨%؛ أي أن في كل بيت إماراتي فتاة عانسًا، هذا بالإضافة لارتفاع نسبة تأخر الذكور والإناث في الزواج، وبالرغم من ذلك يظل المجتمع الخليجي مكبلا بقيود العادات والتقاليـد الـتي تفرض شروطا باهظة لقبول العريس المتقدم.

وكشفت دراسة أجراها[٢] صندوق الزواج في الإمـارات حـول التوقعـات المستقبلية للعزاب والعازبات حتى عام ٢٠١٥ في الفئة العمرية من ١٥ـ٤٩ سنة زيادة

---

[١] نفشي العُنوسة أسبابها – آثارها الباب السابع من كتاب تعدد الزوجات تأليف الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي

[٢] دبي– عبد الرحمن إسماعيل–إسلام أون لاين السبت ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٠م

عدد العزاب من الجنسين بشكل ملحوظ؛ حيث من المتوقع أن يصل عدد العزاب والعازبات إلى ١٩٨,٨ ألفًا عام ٢٠١٥.

وتتوقع الدراسة أن يصل عدد العزاب عام ٢٠١٠ إلى ٩٧,٥٦٠ ألف عازبا، وسوف يتزايد العدد تدريجيًا حتى يصل العدد إلى ١١٠ آلاف عازب عام ٢٠١٥ كما تتوقع الدراسة في المقابل أن يصل عدد العازبات من الفتيات الإماراتيات من نفس الفئة العمرية إلى ٧٦,٦٣٠ ألف عازبة عام ٢٠١٠ وترتفع إلى ٨٨,٧٨٠ ألف عازبة عام ٢٠١٥.

وأظهرت دراسة حديثة أعدها طلبة من كلية الطب في جامعة الإمارات حول الأسباب الرئيسية لظاهرة العُنُوسة، أن (٣٨ بالمائة) من العينة ترى أن غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج أحد الأسباب الرئيسية للعنوسة وأن (٥٧ بالمائة) من العينة تشير إلى إيثار الطالبات للتعليم الجامعي على الزواج وأن (٥ بالمائة) من العينة تشير إلى أن العادات والتقاليد تقف عائقا في طريق الزواج، وحددت الدراسة التي شملت (٢٠٠) طالب وطالبة من كليات التقنية وجامعة الإمارات وجامعة زايد في إمارات أبو ظبي ودبي والشارقة وعجمان ورأس الخيمة سن العُنُوسة بـ (٣٢) سنة.

وأشارت نتائج الدراسة إلى أن الأم والأب يتحملان المسؤولية الرئيسية في تأخر سن الزواج في ما يطالبه من أمور تعيق عملية الزواج، وقد تكون الأخت الكبرى مسؤولة بطريقة غير مباشرة عن تأخر سن الزواج. وأظهرت الدراسة أن (٢٧ بالمائة) من الطلاب و(٤١ بالمائة) من الطالبات يرون في تعدد الزوجات ليس هو الحل المثالي، وأن (٧٣ بالمائة) من الطلاب يرون في تعدد الزوجات الحل الأنسب لمعالجة ظاهرة

العُنوسة وأن (٥٩ بالمائة) من الطالبات يؤيدن هذا الحل وأهن راضيات بأن يكن الزوجة الثانية. [١]

ويعاني مجتمع الإمارات من ظاهرة عزوف الشباب عن الزواج رغم محاولات صندوق الزواج تقديم منح نقدية للشباب للتشجيع على الزواج، وكما قال جمال السبج مدير عام صندوق الزواج فإن الصندوق يعتزم تنفيذ مشروع جديد مع بداية العام المقبل يعرف باسم "الميثاق الغليظ" لمواجهة تيار العزوف عن الزواج والعُنوسة.

وأوضح أن فكرة المشروع التي ستنطلق في السادس من يناير المقبل جاءت لتوفيق رأسين في الحلال ولمساعدة بعض فئات المجتمع التي لا تجد من يساعدها في العثور على شريك الحياة، مشيرا إلى أن المشروع سيبدأ في البداية بالعاصمة أبو ظبي ثم تنتقل الفكرة في حال نجاحها إلى بقية إمارات الدولة.

وتقوم فكرة مشروع "الميثاق الغليظ " على قيام الشاب الراغب في الزواج بتعبئة طلب إلى صندوق الزواج يدون فيه مواصفاته في شريكة حياته، وبالمثل تفعل الفتاة في طلب تقدمه إلى مكتب شئون المواطنات الملحق بمكتب حرم رئيس الدولة على أن يتولى المسئولون توفيق الطرفين في خصوصية وسرية تامة.

وتقول د.آمنة خليفة مديرة مركز الانتساب الموجه: إنها أجرت بحثًا خلصت فيه إلى أن نسبة المواطنين في الإمارات لا تتعدى ٢٥% مما يعني أن عدد السكان قليل للغاية، وهذا يعكس أهمية زيادة عدد السكان بتشجيع الشباب على الزواج، وتقليل نسب الطلاق، وأوضحت أنه عند البحث عن واقع ظاهرة تأخر الزواج في مجتمع الإمارات وجد أن هذه الظاهرة تشكل ٣١ % من الذكور والإناث؛ حيث تبلغ نسبة

---

(١) الاتحاد ١٨/١١/٢٠٠٠م

الذكور الذين لم يتزوجوا حتى عام ١٩٩٥ حوالي ٣٠ % في حين بلغت نسبة الإناث اللاتي لم يتزوجن ٣٢ % مما يعكس خطورة الظاهرة وعواقبها على استقرار الأسر.

وأضافت أن أعلى نسبة لغير المتزوجين في إمارة عجمان؛ حيث بلغت نسبتهم ٣٦ % في حين سجلت العاصمة أبو ظبي أدنى نسبة لغير المتزوجين؛ حيث شكلوا ٢٩ %.

ولا تزال مشكلة [١] الخلل السكاني تمثل هاجساً يؤرق المسؤولين في دول الخليج، وأحد أهم أسباب تلك المشكلة هو عزوف الشباب عن الزواج بصفة عامة، والابتعاد عن الزواج من الخليجيات بصفة خاصة، ما زاد من مشكلة العُنُوسة وارتفاع سن الزواج بين بنات الخليج، وفي محاولة من دولة الإمارات العربية المتحدة لمعالجة أسباب وجذور هذه المشكلة، سعى المسؤولون فيها إلى تشجيع الشباب على الزواج من أهل بلدهم ، وحث الأهالي على عدم المغالاة في المهور وتكاليف الزواج.

ومن أهم الخطوات التي اتخذها الإمارات لرفع معدلات الزواج بين المواطنين، إنشاء (صندوق الزواج) كمؤسسة تتولى متابعة هذه المسألة وتضطلع بالخطوات اللازمة لتشجيع زواج المواطنين، والحد من ظاهرة الزواج من غير الإماراتيات، ويقوم الصندوق الذي بدأ نشاطه عام ١٩٩٣م بالعمل على أكثر من مسار، منها تقديم منح مالية لراغبي الزواج وصلت حالياً إلى ٧٠ ألف درهم، كما يقدم الصندوق منحاً للزيجة الثانية.

وفي خط آخر مواز، ينظم الصندوق برعاية وتشجيع المسؤولين وحكام الإمارات، حفلات زواج جماعي تضم أعداداً من الشباب والشابات في زفاف واحد ضخم، مما يوفر مبالغ ضخمة تتكلفها كل حالة زواج، وتمثل هذه المبالغ سبباً رئيساً في

(١) دبي – راشد حميد

عزوف آلاف الشباب عن زواج المواطنات واللجوء إلى بنات بلدان عربية أخرى على رأسها مصر وسوريا، ويتراوح ما يتكبده كل شاب مقبل على الزواج من إماراتية بين مائتي ألف إلى خمسمائة ألف درهم.

ورغم أن المشكلة لا تزال قائمة وبقوة، فإن الدلائل تشير إلى حدوث تقدم نسبي، خاصة فيما يتعلق بمعدلات استمرار الحياة الزوجية بين المواطنين، فقد أعلنت قبل أيام إحصائية حديثة أجراها صندوق الزواج الإماراتي، كُشف فيها النقاب عن انخفاض معدلات الطلاق بين المواطنين الإماراتيين بنسبة كبيرة؛ حيث وصلت نسبة الطلاق خلال عام ١٩٩٩م في إمارة أبو ظبي إلى ١٦ر٥% مقابل ٥٢% قبل عشرة أعوام، فقد بلغ عدد حالات الطلاق عام ٩٩، ١٣٨ حالة مقابل ٨١٠ زيجات، بينما كانت حالات الطلاق ٢٨٣ عام ٩١ مقابل ٥٤٤ حالة زواج.

أما في إمارة دبي، ثانية كبرى الإمارات السبع التي تتكون منها دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد انخفضت نسب معدلات الطلاق إلى الزواج بين المواطنين لتصل إلى ٢٠% عام ١٩٩٩م بعد أن كانت ٢٥ر٨% عام ١٩٩٥م، حيث بلغ عدد الزيجات بين المواطنين في الإمارة عام ٩٩، ٦٠٧ زيجات مقابل ١٢١ حالة طلاق. وذكرت الإحصائية أن الانخفاض في معدلات الطلاق استمر في التدرج على مدى السنوات الماضية؛ حيث انخفضت نسب الطلاق من ٢٥ر٨% (٥٦٤ حالة زواج مقابل ١٤٦ حالة طلاق) عام ٩٥ إلى٢٤ر٣% (٥٢٥ زيجة مقابل ١٢٨ طلاق) عام ٩٧، ثم لتصل إلى٢٠ر٤% عام ٩٨.

وربما يرجع انخفاض معدلات الطلاق إلى زيادة الوعي الاجتماعي لدى الأجيال الجديدة من المتزوجين، وإدراك أهمية الاستقرار الأسري في مستقبل الفرد وليس المجتمع والدولة فحسب.

لكن استقراء الوضع الراهن يشير إلى أن المشكلة متعددة الجوانب ومعقدة، فبعض أسباب إحجام الشباب الإماراتي عن الزواج من الإماراتيات بعيد عن التكاليف والأعباء المادية، ومن أمثلة ذلك أن تكون الفتاة عاملة، أو لتقدم العمر بها، أو لضرورة الزواج من داخل العائلة أو القبيلة وفقاً للتقاليد المتبعة، وكلها مسائل ذات أبعاد ثقافية واجتماعية يصعب التغلب عليها سريعاً.

وفي محاولة لبحث أسباب ظاهرة العُنُوسة وانتشارها داخل الإمارات، أجرت مجلة (مودة) وهي شهرية تصدر عن صندوق الزواج استطلاعاً لآراء عينة قوامها ٢٥٠ فتاة من الإماراتيات اللاتي لم تتح لهن فرصة الزواج بهدف التعرف على أسباب ظاهرة العُنُوسة والحلول المقترحة لها.

وقد أظهرت النتائج أن ٧٣٪ منهن بين ٣٠ إلى ٣٤ سنة و٢٠٪ من الفئة ٣٥ إلى ٣٩ سنة و٧٪ يبلغن ٤٠ سنة فأكثر. وفيما يتعلق بالحالة التعليمية بينت النتائج أن ٦١٪ حاصلات على مؤهل جامعي و١٦٪ منهن حاصلات على مؤهل فوق متوسط و٢٠٪ حاصلات على الثانوية العامة و٣٪ حاصلات على الابتدائية أو الإعدادية، أي أن غالبية أفراد العينة من الفتيات المتعلمات. كما أظهرت نتائج الاستطلاع أن ٧١٪ من هؤلاء الفتيات يعملن في وظائف مختلفة و٢٩٪ منهن غير عاملات. وكان السؤال الرئيس لفتيات العينة عما إذا تقدم أحد لخطبتهن أم لا بهدف التعرف على فرص الزواج الضائعة وتحديد مسئولية ضياع تلك الفرص وأسباب ذلك، وكانت النتيجة أن ٨٤٪ من الفتيات تقدم لهن خطاب و١٦٪ منهن فقط لم يتقدم لخطبتهن أحد.

ولوحظ من النتائج أن فرص الخطبة كانت عالية كلما قلّ عمر الفتاة وارتفع مؤهلها العلمي، وكانت من العاملات، فقد كانت نسبة الفتيات اللاتي تقدم لهن خطاب

من فئة العمر ٣٠ إلى ٣٤ حوالي ٨٩٪ بالمائة، وانخفضت هذه النسبة إلى ٧٤٪ عند الفتيات من فئة العمر ٣٥ إلى ٣٩ سنة، وكانت ٦٥٪ عند الفتيات من فئة العمر ٤٠ سنة فأكثر. وبالنسبة للمؤهل العلمي، بلغت نسبة الفتيات اللاتي تقدم لهن خطاب من الحاصلات على المؤهل الجامعي حوالي ٨٦٪ وانخفضت إلى ٨٥٪ عند الحاصلات على الدبلوم دون الجامعة و٨٣٪ عند الحاصلات على الثانوية، وانخفضت من جديد إلى ٦٣٪ عند الحاصلات على الابتدائية أو الإعدادية.

ظهر من النتائج أيضاً أن ٨٨٪ من الفتيات العاملات تقدم لهن خطاب، في حين انخفضت هذه النسبة إلى ٧٥٪ عند الفتيات غير العاملات. كما أشارت نتائج الاستطلاع إلى أن عدم إتمام الزواج من المتقدمين للفتيات اللاتي شملهن الاستطلاع يعود إلى أهل الفتاة بنسبة ٢٣٪، ورفض الفتاة نفسها بنسبة ٣٨٪، ورفض الأهل والفتاة معاً بنسبة ٣٢٪، ويعود بنسبة ٧٪ إلى الشباب المتقدمين للفتيات الذين لم يستمروا في مشروع الخطوبة.

ولفتت النتائج كذلك إلى سبب من أسباب رفض الزواج، وهو أن المتقدم ليس من أقارب الفتاة أو عشيرتها، هذا إلى جانب أسباب أخرى يعتقد البعض أنها تعيق الزواج، مثل رغبة الفتاة في إكمال دراستها أو رغبتها في مساعدة أهلها. وبالنسبة للفتيات من فئة ٣٠ سنة فأكثر تتمثل أسباب ازدياد عدد غير المتزوجات منهن من وجهة نظر فتيات العينة في عدم تمسك بعض الشباب بتعاليم الدين الحنيف، والزواج من

أجنبيات،[١] وسيطرة الأهل على قرار اختيار الزوج، وتكاليف الزواج الباهظة، والعادات والتقاليد التي تفرض على الفتاة الزواج من الأقارب أو العشيرة والنظرة إلى الجامعية على أنها مغرورة ومتكبرة، والاهتمام بالشكل الخارجي للفتاة فقط. كما تتمثل في النظرة للعاملة على أنها ستكون منشغلة بوظيفتها على حساب واجباتها الزوجية والأسرية، وطول فترة الدراسة وغرور الفتاة بجمالها أو ثروتها أو نسبها والتقليد والمحاكاة وغيرها من الأسباب.

وتوصلت النتائج إلى حلول بنسبة ٢٢% ركزت على التوعية الشاملة بكافة أشكالها للشاب والفتاة والأسرة من خلال عقد الندوات ووسائل الإعلام ودور المساجد، بالإضافة إلى المطالبة بتوفير السكن وتقديم التسهيلات للشباب المقبلين على الزواج، وكذلك إعطاء حرية الاختيار للجنسين، ووضع القوانين لمنع الزواج من أجنبيات تحقيقاً للعدل والمساواة بين الجنسين في هذا المجال، والترغيب بالزواج المبكر وتعدد الزوجات. وأوضحت النتائج أن إجابات فئات العينة كانت متشابهة إلى حد كبير فيما يتعلق بالحلول الثلاثة الأولى وبالنسبة لكافة الأعمار، بينما كانت هناك اختلافات طفيفة في حدود ١٠ – ١٥% بالنسبة لباقي الحلول.

٨ـ العُنوسة في الأردن:

أشار مسح حكومي إلى تأخر سن الزواج بين الإناث الأردنيات ليبلغ حالياً ٢٢,٥ سنة وارتفعت نسبة العازبات في الفئة العمرية ١٥-٤٩ عاماً من ٣٤%عام ١٩٧٦م إلى ٤٩% عام ٢٠٠١م ودلت النتائج على أن ٤% فقط من السيدات

---

[١] ذكرت الوكالة القطرية أن دراسة أجراها مركز البحوث والدراسات بقيادة شرطة دبي أن هناك ١٧ بالمائة من الموطنين يفضلون الزواج من فتيات الدول الأسيوية و٥ بالمائة يتزوجون من الفتيات العربيات و٣ بالمائة من الخليجيات و١ بالمائة من الأوربيات.

تخطين عمر الزواج حتى نهاية عمرهن الإنجابي، وكان التعليم هو السبب الرئيسي في تحديد العمر عند الزواج كما يرتفع عند النساء اللاتي تعليمهن أعلى من الثانوي بست سنوات عن السيدات اللاتي تعليمهن أقل.[١]

وأظهرت إحصاءات ترصد شئون الزواج والزفاف في الأردن أن ظاهرة العُنُوسة آخذة في التفاقم في المجتمع الأردني، إذ ارتفع متوسط العمر عند الزواج الأول من ٢٠ عامًا للذكور و١٧,٦ عامًا للإناث عام ١٩٦١ إلى ٢٨,٨ عامًا للذكور و٢٥ عامًا للإناث عام ١٩٩٨.

وحسب تقرير صادر عن جمعية العفاف الخيرية التي تبنت تنظيم أول حفل زواج جماعي في الأردن فإن نسبة السكان المتزوجين من الذكور انخفضت من ٦٠,٣ % عام ١٩٧٩ إلى ٥٠,٧ % عام ١٩٩٨، في حين زادت نسبة العازبين من ٣٨,٣ % عام ١٩٧٩ إلى ٤٨,١ % عام ١٩٩٨.

أما بالنسبة للإناث فقد انخفضت نسبة المتزوجات من ٦٥,٢ % عام ١٩٧٩ إلى ٥٣,٨ % عام ١٩٩٨، كما زادت نسبة العازبات من ٢٥,٥ % عام ١٩٧٩ إلى ٣٨ % عام ١٩٩٨.

وحسب فئات الأعمار بيّنت الدراسة أن هناك ارتفاعا في نسبة العزوبة لمختلف فئات الأعمار، وبالذات للأعمار بين ١٥ و٣١ عامًا لكلا الجنسين، ففي الفئات العمرية "٢٠ – ٢٤ عامًا" و"٢٥ – ٢٩ عامًا" ارتفعت نسبة الإناث العازبات من ٣٣,٦ % و١٢,٨ % عام ١٩٧٩ إلى ٢٦,٤ % و٣٤,٩ % عام ١٩٩٨ على التوالي، في حين

[١] تفشي العُنُوسة أسبابها – آثارها الباب السابع من كتاب تعدد الزوجات تأليف الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي

ارتفعت هذه النسبة لدى الذكور في الفئات العمرية نفسها من ٥٣ % و٣١,٥ % عام ١٩٧٩ إلى ٩١,٤ % و٥٧ % عام ١٩٩٨.

وكشفت الدراسة أن هناك تراجعًا في عقود الزواج خلال السنوات الماضية، فقد بلغت سنة الذروة للعقود خلال ١٩٩٣ حين تم عقد ٤٠٣٩١ عقد زواج، بينما بلغ في عام ١٩٩٨ عدد العقود ٣٩٣٧٦ عقد زواج بالرغم من الزيادة السكانية.

وقد أرجع مختص في الشئون الاجتماعية الأردنية أسباب العزوف عن الزواج إلى المغالاة في طلب المهور، وتنامي مستويات البطالة بين الشباب، وتصاعد إيجارات المساكن وأسعار الأثاث، إضافة إلى عدم ربط المؤسسات العامة والخاصة للرواتب بالحالة الاجتماعية وعدم تشجيعها على الزواج بالنسبة للعازفين عنه على عكس ما يحصل في الدول المتقدمة. وأشار إلى أن التعليم العالي للإناث الذي يعد نعمة عليهن وعلى المجتمع ينقلب إلى نقمة في كثير من الأحيان نتيجة لعزوف الشباب المتعلمين تعليمًا عاليًا عن الارتباط بفتيات من المستوى التعليمي نفسه، وفي المقابل تُحجم الفتيات المتعلمات تعليمًا جامعيًا عن الزواج من الشباب الذين هم أدنى من مستواهن التعليمي، يُشار إلى أن العديد من الإناث الحاصلات على درجات التعليم العالي مثل الدكتوراه هن من غير المتزوجات في الأردن، بسبب نظرة الرجل إلى التعارض بين الاستمرار في التعليم وقيام المرأة بواجباها الأسرية.(١)

(١) العزوف عن الزواج يتزايد في الأردن عمّان – قدس برس / السبت ٦ ذو القعدة ١٤٢٠هـ / ١٢ فبراير ٢٠٠٠م

٩ـ العُنُوسة في السودان:

جريدة الخليج العدد: ٨١٤٦، تقول الإحصاءات الرسمية أن عـــدد النســـاء في السودان قد وصل العام ٢٠٠٠م إلى ١٥ مليونا و ٤٧٨ ألفا و ٧٧٣ امرأة من بـــين سكان السودان البالغ ٣١ مليونا و ٨١ ألفا.

وجاء في التقرير الرسمي للإحصاء في عام ١٩٩٣م أن عدد المتزوجات من جملـــة نساء السودان بلغ في شمال البلاد حوالي ٦ ملايين و ٣٧٥ ألفا و ٨٩٩ امرأة.

ولم يتطرق تقرير هذا العام إلى عدد النساء غير المتزوجات بصورة مباشرة إلا أنه أورد أن عدد النساء في الفئة العمرية للزواج من ١٥ إلى ٤٩، قد وصل إلى ٧ ملايين و ٥١٣ ألف امرأة مقابل ٣ ملايين و ٦٢٠ ألفا من الرجال للفئة نفسها.

وجاء في تقرير هذا العام أن عدد الفتيات الصغيرات من عمر ١٢ إلى ١٤ عـــام قد بلغ ٥٤٥ ألفا و ٧٥٨ فتاة، وما بين ١٥ إلى ١٩ عام، بلغ مليونا و ٥٩ ألفـــا ٦٥ فتاة، وما بين ٢٠ إلى ٢٤ بلغ ٨٥٠ ألفا و ٩٣٨ فتاة،وما بين ٢٥ إلى ٢٩ بلـــغ ٨٦٧ ألفا و ٤٨٣، وما بين ٣٠ و ٣٤ بلغ ٥٥٧ ألفا و ٦ فتيات، وما بين ٣٥ إلى ٣٩ بلـــغ ٥٨٩ ألفا و ٤١٧ فتاة، وما بين ٤٠ إلى ٤٤ بلغ ٣٨٣ ألفا، وما بين ٤٥ إلى ٤٩ بلغ ٣٤٦ ألفا و٢٦٤ امرأة. [1]

وكتبت مندوبة جريدة المسلمون " في الخرطوم العدد ٣٣٠ تحقيقا عن العُنُوسة، وتحت عنوان " بنات السودان حائرات" قطار الزواج متوقف من المســـئول؟ وضـــمنت الخبر لقاءات مع عوانس يندبن حظهن، وقد فاتهن قطار الزواج، وقد عـــزون أســـباب

---

[1] جريدة الخليج ، العدد : ٨١٤٦ ، ٧/٩/٢٠٠١م / موقع: العانس

عزوف الشباب عن الزواج إلى بعض العادات الموروثة في السودان، والتكاليف الباهظة للزواج.

ومشكلة العُنُوسة في السودان ألقت بظلالها على قضايا التنمية وإعمار السودان، باعتبار أن عدد سكان البلاد لا يتناسب مع مساحتها وإمكاناتها ومواردها المختلفة، لدرجة أن الرئيس عمر البشير دعا السودانيين إلى تعدد الزوجات وظل يحض المسئولين والمواطنين على ذلك، ويطالب برعاية أسر الشهداء ولم يكتف البشير بالدعوة إلى تعدد الزوجات عبر مختلف المنابر، بل حول دعوته إلى نهج عملي، حين أقدم بنفسه على الزواج من أرملة العقيد إبراهيم شمس الدين وزير الدولة السابق الذي قتل خلال حادث تحطم طائرة عسكرية بولاية الوحدة في جنوب السودان إلى جانب احتفاظه بزوجته الأولى، وهي ابنة عمه في الوقت نفسه، كما عقد اللواء الهادي عبد الله وزير رئاسة مجلس رئاسة الوزراء قرانه أيضا على أرملة أحد الشهداء.

١٠ـ العُنُوسة في المغرب:

كتبت جريدة المسلمون " العدد ٣٣٠ عن أسباب تفشي العُنُوسة في المغرب؛ وما تسبب عنها من مآسي تدمي القلب، وتذكي الجرأة على الأعراض، من بين تلك الأسباب إعراض الشباب عن الزواج بالمغربيات لاتجاههم للزواج بأجنبيات؛ للحصول على كسب العيش في بلادهن مما اضطر بعض الفتيات المسلمات إلى الزواج بغير مسلمين بسبب الحاجة، وذكرت الصحيفة في مقابلتها لبعضهن ما لقينه من التعنت، والتحدي من أزواجهن وإجبارهن على الدخول معهم في دياناتهم إلا من رحم الله.

١١ ـ العُنوسة في الجزائر:

في الجزائر كشفت الأرقام الرسمية التي أعلنها الديوان الجزائـري للإحصـاء أن أكثر من ٥١% من نساء الجزائر الذين بلغوا سن الإنجاب يواجهن خطر العُنوسة،[1] وأن هناك أربعة ملايين فتاة لم يتزوجن رغم تجاوزهن الرابعة والثلاثين عاما، موضحا أن عدد العزاب بالجزائر تخطى ١٨ مليونا من عدد السكان البالغ ٣٠ مليون نسمة وأن نسبة المطلقات بلغت ٣٩،٩% وأوضحت إحصائيات الديوان الجزائري أنه رغم ارتفاع معدلات الإقبال على الزواج عام ٢٠٠٠ بنسبة ٩% مقارنة بالعام السابق إلا أن هـذه النسبة ضئيلة عند مقارنتها بعدد الشباب الذين بلغوا سن الزواج وبخاصة هؤلاء الشباب يمثلون ٦٠% من السكان.

ويشار إلى أن ظاهرة العُنوسة المتفشية في الجزائر تعود للأوضـاع الاقتصـادية القاسية التي يواجهها اقتصاد البلاد منذ بداية الاضطرابات عام ١٩٩١؛ وهو ما تسبب في زيادة البطالة وهجرة بعض الجزائريين لأوروبا للبحث عن عمل.

١٢ ـ العُنوسة في تونس:

ارتفعت نسبة الفتيات العازبات بين الشريحة العمرية المتراوحـة بـين ٢٥ و٢٩ عاما من ٢٤,٦ في المائة سنة ١٩٨٤ إلى ٣٧,٧ في المائة سنة ١٩٩٤. وتـأثرت نسـبة العزوبية عند الفتيات بصفة ملحوظة، وقدرت حسب العمر خلال سنة ١٩٩٤ من ١٥ إلى ١٩ عاما ٩٧ في المائة ومن ٢٥ إلى ٢٩ عاما ٣٧,٧ في المائة ومن ٣٠ إلى ٣٤ عاما

---

[1] الجزائر – منير مطاوع: لا يصدق أحد أن نسبة (العُنوسة) بين فتيات الجزائر بلغـت ٦١,٨ بالمائة. [الأسرة العصرية العدد: ٩٩٧ ، ٢٠٠٠/١/٤م]

١٨,١ في المائة وارتفعت معدلات سن الزواج بصفة ملحوظة، وذلك بالمقارنة بين سـن ١٩٨٤ و١٩٩٤م. [١]

وأشارت دراسة أعدها الديوان الوطني للأسرة والعمـران البشـري التونسـي بالتعاون مع جامعة الدول العربية ونشرت صحيفة (الحرية) مؤخراً مقتطفات منـها، أن نسبة العزاب في المجتمع التونسي في ارتفاع متواصل سواء كان ذلك لـدى الـذكور أو الإناث، حيث ارتفعت هذه النسبة من ٤٤,٥ % سـنة ١٩٩٤ إلى ٤٨,٥ % سـنة ٢٠٠١ عند الذكور، كما ارتفعت هذه النسبة عند الإناث من ٣٥% إلى قرابة ٤٠% خلال الفترة نفسها.

ونظراً لأن الدراسة الآنفة الذكر قد أشارت إلى النتائج بشأن واقع حال العزّاب في تونس وخلوّ الدراسة من المسببات فإن مثل هذه النكاية يفضل أن تدفع جمهور العزاب التونسيين لتأسيس نقابة لهم إذا ما سميت بـ(نقابة العزاب التونسيين الديمقراطيين) فإنهـا ستجد من يتهيب منها بعد أن أصبحت الديمقراطية في العالم في وضع لا تحسد عليه!. [٢]

١٣ ـ اليمن:

تزايدت مؤخراً في اليمن نسبة العُنُوسة لأسباب تتعلق بارتفاع نسـبة البطالـة ورغبة الفتيات في مواصلة التعليم الجامعي فضلا عن المغالاة في المهور. فقـد أوضـحت دراسة أعدها جمعية تعنى بشئون الأسرة والزواج وتنظيم حفلات الـزواج الجمـاعي في

---

[١] كل الأسرة العدد : ٣٦٣ ، ٢٠٠٠/٩/٢٧م

[٢] عن موقع: شبكة النبأ المعلوماتية ، مقال بعنوان: (تزايد العزاب في تونس) – الجمعة ٢٠٠٣/٤/٤ – ٢/ صفر/١٤٢٤

اليمن أن نسبة الإناث اللاتى لم يتزوجن من الفئة العمرية ٣٠ إلى ٤٩ قد ارتفعت من ٧,٣ في المائة في الثمانينيات إلى ١١ في المائة عام ٢٠٠١. [١]

وقد انتشرت ظاهرة العُنُوسة في المدن اليمنية، وفي أوساط المتعلمات بصفة خاصة، وتتعدد أسبابها، غير أن أهمها غلاء المهور، واشتراطات أولياء الأمور ومطالبهم المادية؛ مما أدى إلى عزوف عدد كبير من الشباب عن الزواج.

وتقول "سمر محمد" في حوار لمراسل شبكة "إسلام أون لاين.نت" الثلاثاء ٢٧-٨-٢٠٠٢: "إن الفتاة اليمنية يجني عليها أبوها أو أخوها؛ فهما لا يقدران مشاعرها"، مشيرة إلى أن الحياة الزوجية هي أهم ما تصبو إليه الأنثى.

وأضافت: هما يظنان أن المغالاة في المهور تعطي للمرأة قيمة، ولكني أرى أنها تضعف من قيمتها، وخاصة بعدما تجد مَن حولها مِن الفتيات يعشن حياة زوجية سعيدة، بينما لا تزال هي في انتظار العريس ذي القدرات المالية المرتفعة. إن هذه النظرة المادية تحول الفتاة إلى سلعة يُنتظر أن تدر الربح الكثير من زواجها.

وتابعت قائلة: "كما أن بعض الآباء يغالون في مهور فتياتهم لغرض المباهاة بين أقاربهم وجيرانهم، والبعض يعتقد أن ثمن ابنته الغالي يعطيها قيمة كبيرة ومكانة عالية في وسط عائلة زوجها وأسرة زوجها الجديدة".

ويفضل الكثير من الشباب -حتى المتعلمون منهم- الاقتران بزوجة متوسطة التعليم أو لم تكمل تعليمها، ويقول علي بشري: "المرأة كلما ازداد تعليمها ازدادت

---

[١] موقع: مركز الأخبار – أمان، مقال بعنوان: ارتفاع نسبة العُنُوسة في اليمن أيلول ٢٤، ٢٠٠٢م صنعاء

مطالبها وشروطها، كما أن المتعلمات لا يخضعن كثيرًا لأزواجهن، بينما متوسطات التعليم يكنّ أكثر طاعة وخدمة لأزواجهن".

ويضيف نصر جباري: الزواج من المتعلمات وخاصة مَن لديها شهادات عليا قد يثير العديد من المشاكل الزوجية؛ حيث يكثر الجدل والنقاش حول كل شيء حتى الأمور البسيطة في الحياة؛ مما يعمل على إملال الزوج.

كما يرى البعض الآخر من الشباب أن الزواج من الريفيات أسهل وأيسر؛ حيث تقتنع الريفية بما يقدمه لها زوجها.

وقد ظهرت ظاهرة إيجابية وناجحة في الريف يسرت مسألة الزواج، تتمثل في قيام أهالي هذه الأرياف بعمل "وثيقة زواج"، تضم إمضاءات المواطنين، وفيها يحددون المهر للفتاة بما لا يزيد عن مبالغ معقولة وغير مبالغ فيها؛ وهو ما جعل معدلات العُنوسة تتلاشى كثيرًا في الأرياف.

وفي محاولة للقضاء على ظاهرة تأخر الزواج تسعى بعض الجمعيات الاجتماعية والأندية إلى مساعدة الشباب المُقدمين على الزواج من خلال إقامة الأفراح الجماعية التي لا تكلف الشاب إلا القليل. وقد تبنت بعض الأحزاب السياسية مثل هذه المشاريع الاجتماعية، وفتحت أبوابها للمقدمين على الزواج، خاصة خلال فصل الصيف.[١]

١٤ ـ العُنوسة في فلسطين:

قامت جامعة غزة بدراسة عن العُنوسة في فلسطين استخدمت هذه الدراسة أسلوب التحليل الإحصائي Analysis Statistical لنتائج ١٣٥ إستبانة هدف الباحث من دراستها إلى التعرف إلى مدى إحساس مجموعة من مبعدي مرج الزهور بظاهرة العُنوسة

---

[١] صنعاء – راجح بادي مقال : آباؤنا سبب عنوستنا – إسلام أون.نت/ ٢٧-٨-٢٠٠٢

في المجتمع الفلسطيني ، كما اشتملت على استطلاع آراء هذه المجموعة حول تعريف العُنوسة وتحديد سن الزواج الأنسب وأسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها .

إن تأخر الفتاة عن سن الزواج إلى ما بعد سن الخامسة والعشرين يضمها إلى دائرة الحرج المفضي إلى العُنوسة . وقد توصلت الدراسة إلى أن العُنوسة مشكلة اجتماعية مهمة وملحة يجب العمل على حلها عن طريق تحديد وتسهيل شروط الزواج وتعدد الزوجات، وتشجيع الشباب على الزواج بالإضافة إلى زواج الشباب قبل هجرتهم وإلى توعية المجتمع بأهمية الزواج لكلا الزوجين الجنسين حيث يؤدي إلى وظيفة أسرية اجتماعية هامة في أوضاع قاسية ومعقدة. [1]

و تبلغ نسبة النساء المتزوجات في فلسطين ممن في سن الزواج أقل من العشرة بالمائة؟!

وبحمد لله قد سجلت الإحصائيات الفلسطينية ارتفاعًا ملحوظًا في حالات الزواج المكرر أي الزواج من امرأة ثانية أو ثالثة، وأوضح الشيخ عزام العكر –مدير المحاكم الشرعية في الضفة الغربية– في تقرير نشرته صحيفة "الأيام" الفلسطينية يوم الخميس ٩/٢١ أن ١٤٠٠٤ عقود زواج قد تمت في الضفة الغربية خلال عام ١٩٩٨ من بينها ٧٩٥ حالة زواج متكرر – أي الزواج من امرأة ثانية أو ثالثة – أي ما يشكل خمسة في المائة تقريبًا من مجموع حالات الزواج التي سجلت في تلك السنة.

---

[1] ظاهرة العُنوسة في المجتمع الفلسطيني، تأليف: د. دويك ، د. أبو معمر ، أ. المعصوابي. نشر: عمادة البحث العلمي. الجامعة الإسلامية – غزة، المجلد الثالث – العدد الثاني – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م

وترتفع هذه النسبة لتتجاوز الـ " سبعة في المائة " في العام الذي يليه ١٩٩٩؛ حيث بلغ عدد الذين كرروا زواجهم ٩٧٨ رجلا، وذلك ما بين ١٣٢٤٧ حالة زواج تمت في هذه السنة.

ومن اللافت للنظر أن عدد عقود الزواج التي تمت في هذه السنة لم يتراجع مع ارتفاع نسبة الزواج المكرر أو ثباته على الأقل، بل على العكس من ذلك فإن عدد حالات الزواج المكرر لم يتأثر بهذا الانخفاض؛ حيث بلغ مقداره ٧٥٧ حالة عما كان عليه في عام ١٩٩٨ وارتفع العدد من ٧٩٥ حالة إلى ٩٧٨ حالة.

وبلغت نسبة الزيادة التي سجلت خلال الأشهر السبعة الأولى من العام الجاري حتى نهاية تموز الماضي ثمانية في المائة؛ حيث بلغ عدد حالات الزواج المكرر خلال هذه المدة ٦٠٠ حالة، وذلك من بين ٧٤٢٢ عقد زواج تمت في مختلف أنحاء الضفة الغربية .

وسجلت أعلى معدلات الزواج المكرر خلال عام ١٩٩٨ في أريحا ٧ % والخليل وطوباس ٦% أما في العام الماضي ١٩٩٩ فقد ارتفع المعدل العام في عموم الضفة الغربية وبلغ ٧% ولكنه تجاوز هذا الرقم بكثير في بعض المواقع وسجلت أعلى المعدلات في منطقتي دورا وقلقيلية حيث بلغت في هذين الموقعين ١١% تلتهما الخليل وأريحا ٨% لكل منهما، أما أدناهما فكان في سلفيت وبلغ ٥% .

ويوضح الشيخ عزام العكر أن الفئة التي تتجاوز أعمارهم الأربعين عاما هم الأكثر إقبالا على الزواج من امرأة أخرى، ويرى أن الزواج المكرر قد شهد ارتفاعا، ولكنه لا يعتبر هذا الأمر مقلقا ويقول: " إن أعداد الزواج من امرأة ثانية طرأت عليها زيادة غير منكورة، ولكنها في الواقع ليست حديثا يوجب استكثار مظاهره أو الهلع منه؛ وذلك لأن أعداد الناس ارتفعت وتضاعفت ".

ويشير إلى جملة من الأسباب التي يرى أنها تساهم في وجود هذه الظاهرة، وتجعل الكثير من الخلق يرونها عادية حسب قوله وعادية، وليس في وجودها غرابة أو استنكار، ذاكرًا أن التطورات التي طرأت على المجتمع الفلسطيني وأنماط الحياة ووسائل الاتصال تعتبر من أسباب الارتفاع الذي شهدته أعداد الذين يلجئون للزواج من امرأة أخرى وقال: " إن الواقع الذي أصبحنا نعيش فيه، وما يشهده من كثرة اختلاط بين الجنسين في مجالات عديدة كالعمل والدراسة وفي الأسواق واتساع المدن والقرى وسيطرة الشئون الحديثة على مناحي الحياة، ودور وسائل الإعلام كالفضائيات والإنترنت والإذاعات وغيرها، أسهمت ولعبت دورًا في إيجاد نوع من الالتصاق وكثرة التردد بين الذكر والأنثى والتخاطب فيما بينهما مما جعل لأعمال العواطف والرغبات الجسدية من أثر، وجد ترجمته في ازدياد حالات الزواج من ثانية"

ومن الأسباب الأخرى التي يرى العكر أنها لعبت دورا في اتساع هذه الظاهرة ازدياد نسبة العُنُوسة وكثرة أعداد الفتيات اللواتي يتأخرن في الزواج لأسباب مختلفة كالدراسة وتأمين المستقبل وبلوغهن مرحلة متقدمة في العمر "يجدن فيها قطار الحياة قد أقلع وأبقاهن في مكانهن " حسب قوله – وأضاف " ومن ذلك أيضًا أن تفكير المرأة أصبح يوازن بين حياة في عزوبة قاتلة ولجوء إلى شراكة في الحياة تحصل فيها على قسط وافر بدلا من ضياع الحياة بأكملها ".

ويضيف: " في السابق كان التكرار يُعتبر نوعًا من الخروج عن المألوف، ولكننا نجد أن قواعده قد تغيرت وتبدلت، وذلك نتيجة للأسباب التي سبق ذكرها، والتي لم تكن موجودة في السابق، ولعبت الدور الرئيسي في حدوث زيادة على معدلات الزواج المكرر " مشيرًا إلى أن هذه الزيادة محدودة، ولا يمكن النظر إليها كظاهرة لافتة للنظر أو مخيفة ".

ولا ينكر الشيخ عزام العكر وجود بعض الانعكاسات الاجتماعية السلبية الناجمة عن الزواج من امرأة أخرى موضحًا أن دور القضاة والمحاكم الشرعية يقتصر على النصح والإرشاد لمن يتوجه لها للزواج على زوجته إذا لم تكن دوافع ذلك وجيهة ولكنها – المحاكم – وعند الإصرار على إتمام هذه العقود لا تعارض إجراءاها.

بينما يرى زهير الدبعي –مدير أوقاف نابلس– أن هذا يدل على تغير اجتماعي حصل في المجتمع الفلسطيني ومن بعض تجليات هذا التغير التضخم الذي شهده قطاع الخدمات الذي لا يحتاج إلى جهد كبير، ويدر ربحًا كبيرًا قياسًا بالقطاع الزراعي الذي دمر وتراجع، وانعكاس هذا على تقاليد المجتمع، ومن بينها ما هو متعلق بالزواج المكرر.[١]

١٥ـ العُنوسة في لبنان:

في لبنان العُنوسة تهدِّد النساء، مقال كتبه : سالم مشكور – إسلام أون لاين.نت قال فيه :

الأزمة الاقتصادية تلقي ثقلها الكبير على الأحوال التي تعيشها الأسرة اللبنانية، فترفع من حالات الطلاق أو توسع حلقة "الهجر"، وتشمل أوساطاً لم تكن تعرف سابقاً هذا "المخرج" وترفع سن الزواج، وتحول الإقدام على هذا الارتباط الطبيعي الذي لا تستمر من دونه المجتمعات الإنسانية، إلى ما يشبه المغامرة غير المأمونة العواقب .

ويرتفع سن الزواج حاليًا في لبنان، بشكل ملفت وحسب المناطق، ففي بيروت مثلاً، سن الزواج لدى الذكور هي ٣٢ عاماً تقريباً، وهي نحو ٢٩ سنة في محافظتي لبنان

---

(١) فلسطين – الجيل للصحافة: مقال : ارتفاع معدلات تعدد الزوجات في فلسطين – إسلام أون لاين.نت

الشمالي ولبنان الجنوبي، والوضع مماثل لدى النساء فيما يتعلق بالفروقات العمرية. فسن الزواج الأول للنساء هو أقل من ٢٦ سنة في لبنان الشمالي، وحوالي ٢٩ سنة يعود سببها إلى المستوى الثقافي للذكور وللإناث سويًا، وقد يرتبط ببعض العادات والتقاليد.

وقد أُجْرِي مسح (في جامعة سيدة اللويزة عام ١٩٩٧م) لمجموعة مؤلفة من ٤٠٠ شخص، أظهر أن العمر المثالي للزواج الأول يتراوح بين ٣٠ و ٣٣ سنة من العمر للذكور وبين ٢٢ و ٢٥ سنة للإناث. لكن حالات الزواج تظل منخفضة عن المعدلات الطبيعية، كذلك فإن الزيادة الهائلة في المستويات التعليمية للإناث خاصة، تسببت في تأخير حالات الزواج.

العامل الأهم وراء ظاهرة قلة الزواج، هو النقص في عدد الشركاء من الذكور، خصوصاً في ما يتعلق بالإناث اللواتي أكملن دراستهن العليا، كما أن الهجرة لها تأثيرها أيضًا.

رضا حاطوم خريج إدارة أعمال قسم المحاسبة منذ ثلاث سنوات يقول: لو سنحت لي الفرصة منذ اليوم الأول لتخرجي لما وجدتني هنا اليوم، لكن ماذا أفعل؟ قدرنا وقدر جيلنا أن يدفع ثمن أخطاء الكبار

رضا يعتبر أن الأزمة الاقتصادية المتفاقمة منذ سنوات ساهمت في هجرة ثلث الشباب اللبناني أو أكثر،ويري أن المجتمع اللبناني سيتحول بعد سنوات إلى مجتمع أعزب وعائلات مشتتة ومفككة.

جاكلين سابا موظفة في شركة اتصالات تقول: إن الأزمة الاقتصادية المتفاقمة منذ سنوات عدة أبعدت فكرة الارتباط ليس فقط عن ذهن الشباب، بل أيضاً عن تفكير الفتيات أيضاً. إذ أصبحت الفتاة تفكر فقط في كيفية تأمين حاجاتها اليومية من ملبس

ومأكل، فكيف بها وهي التي تعمل أحياناً أكثر من ١٢ ساعة يوميًّا أن تقبل بتحمل مسؤولية أسرة وأن توفق بين بناء الأسرة وإنجاب الأطفال وتأمين متطلبات الحياة ؟ الدكتور زهير حطب الباحث في قضايا الأسرة وشؤون المناهج التربوية، اعتبر أن الأوضاع الاقتصادية السيئة تدفع بالجماعة عادة إلى التخفيف من الشروط لتسيير حصول الزواج كمعبر للحياة الجنسية ومقتضياتها بالنسبة للشباب، وإذا ما رفضت الجماعة وتغافلت عن تذليل هذه الظروف، فإنها تعرقل بذلك تحقيق النشاط الجنسي والحياة الجنسية لدى الشباب تحت المظلة الشرعية وضمن الأطر المقبولة اجتماعيًّا، وبالتالي تفتح ثغرة في نظام الزواج، وتفتح المجال للشباب كي يبحثوا عن تلبية حاجاتهم الجنسية خارج الأطر الاجتماعية المقبولة أي الزواج.

ويتابع د. حطب أما في مجتمعنا اللبناني فإن مؤسسة الزواج تتحرك ببطء شديد في ظل ضوابط العادات والتقاليد والتكاليف الاجتماعية والمادية وأزمات السكن والعمل والبطالة، وهذا كله يؤدي إلى ازدياد أعداد الشباب غير المتزوجين، أو هو أمر له تبعاته الاجتماعية والنفسانية والعائلية إلى حد كبير.

فعلى الصعيد الاجتماعي يلقى بهذه الفئات على هامش المجتمع ومناسباته ونشاطاته لأن هذا المجتمع لا ينتهي إليه إلا المتزوجون، ونادراً ما يدعى عازبون للمشاركة في المناسبات واللقاءات والسهرات الاجتماعية التي ينظمها زملاء العمل لسبب وحيد وهو أنهم غير مصحوبين بزوجاتهم، وبالتالي تعيش هذه الفئة ذكوراً وإناثاً حالة عزلة وهامشية اجتماعية، وإن كان أفرادها يحتلون مواقع رخيصة في سلم العمل المهني.

وعلى الصعيد العائلي يواجه العازبون التباساً عائليًّا دائمًا، فمهما تقدم بهم السن، ومهما ارتقى العازب في مجال عمله الوظيفي، ومهما كسب من دخل، يبقى في

نظر مجتمعنا اللبناني شخصاً غير راشد اجتماعيًّا وعائليًّا، بمعنى أنه غير مسؤول عن أي شيء، مما يدفع أهله إلى التدخل الدائم في شؤونه والضغط عليه لإملاء إرادالهم لأنه لم يكتشف بعد مصالحه.

والواقع أن ما يشير إليه الدكتور حطب من "علاقات خارج إطار الزواج" كأحد إفرازات ندرة الزواج أصبح بحد ذاته أحد الأسباب المؤدية إلى قلة اتجاه الشباب إلى الزواج إلى جانب العوامل الأخرى.

من عوامل ارتفاع سن الزواج – وبالتالي اتساع ظاهرة العُنوسة في لبنان – الوعي الاجتماعي المُشَوَّه والذي يجعل للزواج متطلبات مادية مرهقة تدفع الشباب إلى الفرار، وتكون النتيجة ضررًا يلحق بكلا الجنسين، فالقناعة تكاد تكون معدومة عند غالبية الفتيات اللبنانيات والزواج لا يتم عادة، إلا بمصاريف باهظة بدءاً من حفل الزواج وليس انتهاء بأثاث المترل الذي تتفاخر الزوجات بجودته وماركاته المعروفة. كل هذا يجعل تكاليف الزواج تفوق ما يمكن أن يجنيه الشاب طيلة عشرين أو ثلاثين عاماً، وبالتالي فإن الهروب من الزواج يكون هو الحل.

عامل آخر، يتصل بالوعي الثقافي الاجتماعي هو انصراف اهتمام الشباب اللبناني عن بناء الأسرة واتجاهه إلى مواضيع أخرى مثل اقتناء سيارة فاخرة، أو تغيير جهاز هاتفه النقال كل حين، واستخدام الهاتف لسبب أو بدون سبب مع ما يرتبه ذلك من تكاليف باهظة في لبنان. فضلاً عن إنفاق الكثير من موارده في الترهات والمطاعم، والمرابع الليلية (بالنسبة للبعض) مما يجعل دخله الشهري لا يكفي لنصف الشهر، وبذلك يدفع عن ذهنه أي تفكير في الزواج.

هذه العوامل وغيرها تجعل العُنوسة تهدِّد فتيات لبنان بل رجاله أيضاً.

١٦ ـ العُنوسة في نيجيريا:[١]

رغم إباحة الشريعة الإسلامية لحق تعدد الزوجات مع العدل بينهن، إلا أنه من النادر أن ترضى امرأة أن يتزوج عليها زوجها، غير أن نساء نيجيريا خرقن هذه القاعدة. وأكد تقرير حكومي أن ثلثهن لا يجدن مشكلة في أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة.

فقد ذكر التقرير السنوي الصادر عن اللجنة الوطنية الفيدرالية للتعداد والإحصاء في نيجيريا لعام ٢٠٠٠ أن نتائج دراسة مسحية قامت بها اللجنة كشفت عن أن ثلث النساء النيجيريات لا يمانعن في تعدد الزوجات، وأن هذه النسبة فعلاً قد استجابت لدعوة من أزواجهن للزواج عليهن.

وأفاد التقرير أيضا إلى أن حوالي ربع رجال نيجيريا لا يمانعون في تعدد الزوجات، وأن عادة التعدد منتشرة بدرجة مرتفعة في الأوساط الاجتماعية في نيجيريا، بالإضافة إلى ملاحظته أن المسألة لا تسبب أية حساسية أو تؤثر في العلاقات الزوجية عند إثارتها.

وعزا التقرير الحكومي قبول نساء نيجيريا لمسألة تعدد الزوجات لتزايد نسبة العُنوسة بين الفتيات النيجيريات؛ حيث أشارت دراسة حديثة إلى أن ٧٣% من الفتيات اللاتي يتراوح عمرهن بين ١٥ إلى ١٩ عاما ما زلن غير متزوجات، علما بأن متوسط سن الزواج للفتيات في نيجيريا يبدأ من سن ١٨ عامًا وهي سن منخفضة جدا إذا ما قارناها بدول عربية وآسيوية، غير أن البلوغ المبكر للفتيات في أفريقيا يدفع الأسرة لتزويجهن في سن مبكرة.

---

[١] الخضر عبد الباقي وروضة حسن – إسلام أون لاين.نت/١٠-٢-٢٠٠١

من جهة أخرى فإن متوسط سن الزواج للرجال في نيجيريا يصل إلى ٢٦ عاما، بينما يقبل الرجال في نيجيريا على ممارسة علاقات غير مشروعة في سن ٢٠ عاما.

ويشير التقرير الحكومي إلى أن تأخر الزواج قد يدفع الفتيات إلى ممارسة العلاقات الجنسية غير المشروعة فقد كشفت إحدى الدراسات أن نصف السيدات اللاتي شاركن في المسح مارسن علاقات غير مشروعة قبل الزواج.

من جهة أخرى أبرز التقرير أن ظاهرة الطلاق تتراجع بشكل كبير في المجتمع النيجيري، فحسب إحدى الدراسات فإن نسبة الطلاق تكاد تصل إلى ٣% فقط.

وعن سن اليأس لدى نساء نيجيريا، أشار التقرير إلى أن ١١% من السيدات اللاتي يتراوح عمرهن ما بين ٣٠ إلى ٤٩ عاما قد بلغن سن اليأس، وأن ٥٥% من النساء اللاتي يتراوح عمرهن ما بين ٤٨ إلى ٤٩ عاما قد بلغن سن اليأس.

١٧ ـ العُنُوسة في تركيا [١]:

تشكل القوانين التركية أحد أسباب انتشار العُنُوسة في المجتمع، حيث تمنع الدولة الزواج المبكر طبقا للقانون المدني الذي ينص على الزواج في عمر الثامنة عشرة، وبسبب هذا ألقت السلطات القبض على ٢١ شخصا عام ٢٠٠١ بمنطقة "آجار كوي" في استنبول بتهمة تزويج الفتيات الصغار بواسطة الزواج الديني، طبقاً لقواعد الزواج في الإسلام.

وامتدت آثار الأزمة الاقتصادية التي تمر بها تركيا لتشمل معدلات الزواج، حيث أشارت العديد من الإحصائيات إلى تراجع الإقبال على الزواج، وارتفاع نسبة العُنُوسة

---

(١) استنبول – سعد عبد المجيد – إسلام أون لاين.نت/١٠-٨-٢٠٠٢م

بين الإناث، بالإضافة لعزوف العديد من الشباب عن الزواج لغلاء التكاليف من ناحيـــة، وانتشار الدعارة المسموح بها هناك.

وأجرت شركة "مارشال" لصناعة البويات بتركيا مسحاً لمعدلات الزواج عـــن عام ٢٠٠١، ذكرت فيه أن هناك انخفاضا كبيرا في حالات الزواج المسجلة منـــذ عـــام ٢٠٠١ حتى ٢٠٠٢ بنسبة ٣٠%.

و أكد فريدون أوزون مدير الشركة والمشرف على الاســتطلاع، أن الــزواج تراجع بشكل ملحوظ لم يحدث منذ نصف قرن، خصوصا في مـــدن مثـــل: اســتنبول، وأزمير، وأضنا.

وتؤثر العلاقات غير الشرعية بين الشباب من الجنسين في تزايد أعداد الشـــباب غير المتزوجين شرعياً ورسمياً؛ خصوصاً أصحاب التيار العلماني من قوى اليمين واليســـار ذوي الحضور بدور التعليم العالي ومؤسسات الدولة والشركات بوجه عام.

وترى زهرة عبد الله – ٣٨ سنة – ربة منزل متزوجة وجامعية، أن تراجع وتأخر الزواج وأعمار الفتيات يرجع للمشاكل الاقتصادية بالدرجة الأولى، خصوصا أن الرجال في الوقت الحاضر يفضلون المرأة العاملة.

وتقول عائشة قيلينش– ٢٥ سنة – جامعية بدون عمل: "كيف تعمـــل المـــرأة وشرط خلع الحجاب مُسلّط على عنقها، حتى إن الشركات الخاصـــة نتيجـــة للأزمـــة الاقتصادية تراجعت عن تعيين المحجبات لمواجهة ظروف الحياة"، مضيفة: "المرأة ترغب في الرجل الذي ينفق عليها ويكون متعلماً ومتميزاً، وهذه هي المعادلة الصعبة في ظل ظروف تركيا".

وطبقا لمعهد الإحصاء التركي عام ٢٠٠١، فإن الشباب في سن الـ ٢٥ تبلغ نسبتهم ٥٦،١% من القوى العاملة، وهو ما يعني أن أكثر من نصف القوى العاملة بتركيا تتعرض – فضلا عن الضغوط الاقتصادية من فقر وبطالة – لأزمة نتيجة صعوبة الزواج، وهو ما دفع "حسين آرى" عضو البرلمان عن محافظة قونيا، للدعوة لإنشاء صندوق اجتماعي يتولى مساعدة الشباب على الزواج.

ومن ناحية ثانية تحاول مؤسسات بالمجتمع المدني تقديم العون والمساعدة لحلّ هذه المشكلة، منها عشرات من المواقع الخاصة بالزواج وشؤونه على شبكة الإنترنت، والتي تُظهر أن ٧٥% من المشاركات في فعاليات تلك المواقع أعمارهن بين ١٨–٣٠ عاماً.

١٨ ـ العُنُوسة في باكستان

في باكستان تزداد نسبة العُنُوسة يوما بعد يوم بسبب التقاليد البالية التي تفرض على المرأة تجهيز بيت الزوجية، وهي عادة قديمة منذ أن كانت باكستان والهند وبنجلاديش بلدا واحدا، ورغم حصول الاستقلال لباكستان عام ١٩٤٧م إلا أن رواسب التقاليد الهندية مسيطرة على أغلب شعب باكستان المسلم، ولا يستطيع أحد الفكاك منها، فهي تقاليد اجتماعية موروثة، وبذلك تتحمل الفتاة كل شيء في تأثيث المترل من الوسادة إلى السيارة، ودون أن يدفع العريس روبية واحدة، ونظرا لصعوبة الحياة المختلفة، والازدياد المستمر في أثاث المترل بحيث تحولت الكماليات في الماضي إلى شيء أساسي في الوقت الحاضر لابد منه، زادت الضغوط والأعباء على كاهل الفتاة وأهلها من أجل توفير كل شيء حتى يتم الزواج، وهذا يجعل سن الزواج متأخرا، بل أن هذه الظاهرة إلى حدوث العديد من الحوادث والقصص المثيرة كما ذكرت جريدة المسلمون في "٢٩ رمضان ١٤١٤ هـ" نعرض منها:

- قتل زوج زوجته بإيعاز من أمه بعد أشهر من الزواج بسبب عدم إيفائها بمتطلبات المنزل.

- رفض طبيب باكستاني إتمام الزفاف حتى توفر زوجته سيارة تليق بمقامه، وعندما عجزت الفتاة اضطر شقيقها لإعطاء العريس سيارته، ورفضت العروس وزوجها والدها رغما عنها وبعد أيام وقع الطلاق.

وقد أظهرت الإحصائيات التي قامت بها إحدى الصحف الباكستانية ارتفاع نسبة الانتحار بين النساء الباكستانيات، والسبب هو عدم قدرة المرأة على تجهيز منزل الزوجية، وإحساسها بالفشل في طريق الزواج، وشعورها بالإثقال على أهلها.

ويرى موظف باكستاني أن تجهيز المرأة لبيت الزوجية هو احترام للزوج، ودليل على أن الزوجة تقدم كل ما عندها إرضاء لزوجها.

وجهة نظر المرأة الباكستانية ترى أن هذه الظاهرة ضررها أكبر من نفعها، ومن أضرارها لجوء الأب أو الأخ إلى طرق محرمة أو شاقة لكسب المال، ولجوء المرأة للعمل ساعات طويلة يوميا لعدة سنوات حتى توفر ثمن الجهاز، وقد يفوتها قطار الزواج لهذا السبب ومن الأضرار أيضا سوء العلاقة بين الزوجة وأهلها بسبب إثقالها عليهم، وسوء العلاقة بين الزوجين لشعور الزوجة أنها صاحبة كل شيء في المنزل، وأنها تستطيع أن تجعل زوجها يعيش على الحصير فإما أن يرضى الزوج بنصيبه، وإما أن يقع أبغض الحلال.

فالأصل في الزواج هو السكن والطمأنينة، وأن شروط الاختيار هي الدين والجمال والمال والنسب، فلماذا تترك هذه الشروط ويكتفي بالمال والجهاز.

في هذا الصدد يرى د. محمد عبد التواب عميد كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بإسلام أباد أن الشرع لا يمنع أن تشارك الزوجة في تجهيز بيت الزوجية. ولكن أن يصل الأمر إلى حد التراع والخلاف والقتل والطلاق فهذا أمر يرفضه

الشرع، ولابد من إيقاف هذه العادة، لأن ضررها كبير وبالغ، ويلزم التمسك بتعـاليم ديننا السمحة.[١]

---

[١] **نقلا عن كتاب: تفشي العُنوسة – أسبابها – آثارها، الباب السابع من كتاب تعـدد الزوجـات، تأليف : الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي**

الباب الثاني
أسباب العنوسة

الفصل الأول
أسباب العنوسة عند المجتمع

الفصل الثاني
أسباب العنوسة عند الأسرة

الفصل الثالث
أسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات

الفصل الرابع
أسباب العنوسة عند الفتيات

الفصل الخامس
أسباب العنوسة عند الفتيان

الفصل الأول

أسباب العنوسة عند المجتمع

١ ـ وضع العوائق والعراقيل أمام من يتقدم لعانس

٢ ـ الانفلات الأخلاقي

٣ ـ العادات والتقاليد

٤ ـ تقدم أحد كبارات المجتمع ورجالاته لفتاة ثم فراقه لها

٥ ـ السخرية والاستهزاء من الحلول الجماعية

٦ ـ مواجهة الزواج المبكر لدى الشبان والشابات

الفصل الأول

أسباب العنوسة عند المجتمع

١ـ وضع العوائق والعراقيل أمام من يتقدم لعانس:

إذا فكر أحد الرجال في الزواج من عانس رغبة فيها أو رحمة لها أو طمعا في مالها ـ حتى وإن كانت هذه العانس هي الزوجة الثانية أو الثالثة له ـ فإن المجتمع لا يدعه وشأنه بل يسخر منه ويفيل رأيه ويسفه أمره، فالمجتمع لا يراعي مصلحة العانس في هذا الزواج، ورغبتها فيه، فلا هو بحث لها عن زوج ولا هو ترك المتقدمين لها وحريتهم، بل طاعنهم بكلامه ونظراته ويسخر الساخرون من أفراد المجتمع من هذا الزواج ويتهكم المتهكمون بالزوجين، ويقولون مثلا: إن الزوجة أكبر من عجوز بني إسرائيل وأن الزوج أجمل من يوسف عليه السلام، فكيف أقدم على الزواج منها ؟ هل كان بكامل وعيه وقواه العقلية ؟ فإن في الأمر خفايا وأن ما وراء الأكمة ما وراءها،[1] فلا بد أن هذا الرجل قد أتى على طمع فيها وأنه اكتشف أن عندها كنزا ومالا ونحوه، وإلا فما دافعه للزواج من هذه العجوز التي تبكي وتسيل دموعها من غير سبب سوى كبرها، قال أعرابي:

إنِ العجوزَ فاركٌ ضَجيعَها ... تسيلُ من غير بكيٍ دموعُها
تمدِّدُ الوجهَ فلا يطيعُها ... كـأن من يضيفُها يضيعها

ومن أمثلة تسفيه المجتمع للمتزوجين من هذه الأنواع والنماذج ما كتب به رجل إلى صديق له نكح عجوزا:

---

(١) أصل المثل أن أمة واعدت صديقها أن تأتيه وراء الأكمة، إذا فرغت من مهنة أهلها ليلا، فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل، فقالت: حين غلبها الشوق: حبستموني وإن وراء الأكمة ما وراءها. يضرب المثل لمن يفشي على نفسه أمرا مستورا. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٢]

أعنّست نفسك حتى إذا أتيت على الخمس والأربعينا
تزوجتها شارفا [١] فخمة فلا بالرفاء ولا بالبنينا
فلا ذات مال تزوجتها ولا ولد ترتجي أن يكونا
بها أبدا فالتمس غيرها لعلك تعطى بغث سمينا [٢]

ومن أمثلة عدم رضا المجتمع للتزوج من الكبيرة ، ما ذكر أن عثمان بن حَبيب تَزَوَّج رَقاشِ بنتَ عامرٍ، فقيلَ له: كبيرةٌ، فقال: لَعلّي أَتَغَبَّرُ منها ولداً.[٣] فلما وُلِدَ له، سَمَّاهُ: غُبَرَ، كَزُفَرَ.[٤]

وقال يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي جمال الدين أبو الحسين المصري الشاعر الماجن المعروف بالجزار قال وقد تزوج أبوه بعجوزة[٥]:

تزوج الشيخ أبي شيخة ليس له عقل ولا ذهن
كأنها في فرشها رمة وشعرها من حولها قطن
وقال لي كم سنها قلت ليس في فمها سن

---

[١] الشارفُ: الناقة المُسِنَّة وكذلك الناب، ولا يقالان للذكر.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {شرف}]

[٢] عيون الأخبار المجلد ٢ ج٤ ص ٥٠/ بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ٤٨

[٣] تَغَبَّرَ من المرأةِ ولداً: استفادَهُ. وتَزَوَّج

[٤] القاموس المحيط باب الراء. فَصْلُ الغَيْن. غَبَرَ

[٥] العجوز: الشيخ والشيخة. ولا تقل عجوزة، أو هي لغة رديئة وهي المرأةُ المُسِنَّة، وتجمعُ على عجائز.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عجز} / القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الزاي.فَصْلُ العَيْن]

لو أسفرت غربها[1] في الدجى   ما جسرت تبصرها الجن[2]

ولا يفكر الأفراد في أن بيوتهم ملأى بالفتيات غير المتزوجات اللاتي هن في سن هذه العروس أو أكبر منها، وأن مثل هذه التجربة تشجع الآخرين من المتقدمين، وتجعل تجربة أخرى تتكرر مما يساعد على نفاق سوق بناتهم.

٢ـ الانفلات الأخلاقي :

الزواج رباط من أسمى الأربطة، له حسنات عدة، وعليه تبعات كثيرة بدأ من التجهيز وانتهاء بالدخول وتجهيز سكن الزوجية ومرورا بالنفقة اليومية لمتطلبات الحياة، وهي نفقات مستمرة ومتزايدة، فالشخص الذي ينظر إليه من هذه النظرة وأنه مكلف، فإنه يقدم رجلا ويؤخر أخرى ويكون مترددا بين الإقدام والإحجام.

وقد يساعد المجتمع في تجذّر هذا المفهوم وتأطيره في نفوس كثير من الرجال الذين ضعفت نفوسهم وارتمت في مستنقعات الرذيلة، وذلك بسماحه للانفلات الأخلاقي لأفراده، فمثلا: تقلب الرجل بين الخدينات مع أمنه من تبعات هذه التقلبات بين العشيقات ونتائج قضاء هذه الأوطار، من إقامة حد ومجيء أولاد وذرية، وتأسيس بيت والقيام بالنفقة على امرأة واحدة يقصر نفسه عليها، يحيض كلما حاضت ويلد عند ولادها، وأرتال النساء الموجودات في الساحة اللاتي لا أزواج لهن فلماذا لا يقر عينه بهن، ويكون كالأعشى الذي قال:

وأقررت عيني من الغانيا   ت إما نكاحا وإما أُزَنْ[3]

---

[1] غربها : أسنانها

[2] البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ١٣ ص ٣٢٨

[3] طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ج ١ ص ٤٣

فلماذا ينشغل بتربية الأولاد فالوقت والجهد والمال الذي يصرفه في تربية الأولاد والانشغال بهم وتوفير احتياجاتهم من طعام وشراب وكساء ودواء، لو صرفه في تتبع بائعات الهوى والمسافحات وإغواء الغانيات لكان أجدر وأحرى به، فنتيجة الانفلات الأخلاقي أن الرجل يقابل عشيقة فيعاشرها حتى إذا ملها ذهب إلى غيرها فيكون كالقرد لا يستقر على واحدة[1] لأن كل نساء البلد نساؤه كما قال أحد المستغربين في بلد من

---

[1] قيل : أزنى من قرد لأن القرد أزنى الحيوان. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٥٨]

ولكن السنة تدل على أن للقرد تزاوجا وعدم مشاعية فعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ. [صحيح البخاري كتاب : القسامة في الجاهلية ، باب المناقب حديث رقم ٣٥٦٠]

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : قوله: (رأيت في الجاهلية قردة) بكسر القاف وسكون الراء واحدة القرود، وقوله: " اجتمع عليها قردة " بفتح الراء جمع قرد. وقد ساق الإسماعيلي هذه القصة من وجه آخر مطولة من طريق عيسى بن حطان عن عمرو بن ميمون قال: " كنت في اليمن في غنم لأهلي وأنا على شرف، فجاء قرد من قردة فتوسد يدها، فجاء قرد أصغر منه فغمزها، فسلت يدها من تحت رأس القرد الأول سلا رفيقا وتبعته، فوقع عليها وأنا أنظر، ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت خد الأول برفق، فاستيقظ فزعا، فشمها فصاح، فاجتمعت القرود، فجعل يصيح ويومئ إليها بيده، فذهب القرود يمنة ويسرة ، فجاءوا بذلك القرد أعرفه، فحفروا لهما حفرة فرجموهما، فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم " واختص القرد بذلك لما فيه من الفطنة الزائدة على غيره من الحيوان وقابلية التعليم لكل صناعة مما ليس لأكثر الحيوان، ومن خصاله أنه يضحك ويطرب ويحكي ما يراه، وفيه من شدة الغيرة ما يوازي الآدمي ولا يتعدى أحدهم إلى غير زوجته، فلا يدع في الغالب أن يحملها ما ركب فيها من غيرة على عقوبة من اعتدى إلى ما لم يختص به من الأنثى، ومن خصائصه أن الأنثى تحمل أولادها كهيئة الآدمية، وربما مشى القرد على رجليه لكن لا يستمر على ذلك، ويتناول الشيء بيده ويأكل بيده، وله أصابع مفصلة إلى أنامل وأظفار، ولشفر عينيه أهداب. وقد استنكر ابن

بلاد المسلمين مجيبا عمن سأله عن سبب عدم زواجه، فهو كالزنبور يلسع ويهرب، قال الشاعر:

يا طالبَ التزويجِ إنك بالـذي   تَبْغيهِ منه جاهلٌ مغرورُ
هل أبصرَتْ عيناكَ صاحبَ زوجةٍ   إلا حزيناً ما لديه سرورُ
لا تبغِ في الدنيا نكاحاً لازماً   وافعلْ بها ما يفعلُ الزنبورُ
إذا ما تراهُ حينَ يدركُ فرصةً   يدنو ويلسعُ لسعةً ويطيرُ

ومن هذه الشاكلة: م.ح. عازف عن الزواج عمره ٤٥ عاما (موظف في إحدى الدوائر الحكومية) تتكون أسرته من عشرة إخوة بالإضافة إلى الأم والأب وهو أكبرهم سنا وكان أكثرهم تمتعا (بالدلال) ويعترف بأنه كان يحصل طوال حياته على ما يريده.

عبد البر قصة عمرو بن ميمون هذه وقال: فيها إضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحد على البهائم وهذا منكر عند أهل العلم، قال: فإن كانت الطريق صحيحة فلعل هؤلاء كانوا من الجن لأنهم من جملة المكلفين، وإنما قال ذلك لأنه تكلم على الطريق التي أخرجها الإسماعيلي حسب، وأجيب بأنه لا يلزم من كون صورة الواقعة صورة الزنا والرجم أن يكون ذلك زنا حقيقة ولا حدا، وإنما أطلق ذلك عليه لشبهه به. فلا يستلزم ذلك إيقاع التكليف على الحيوان. وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في " كتاب الخيل " له من طريق الأوزاعي أن مهرا أنزي على أمه فامتنع، فأدخلت في بيت وجللت بكساء وأنزي عليها فنزى، فلما شم ريح أمه عمد إلى ذكره فقطعه بأسنانه من أصله، فإذا كان هذا الفهم في الخيل مع كونها أبعد في الفطنة من القرد فجوازها في القرد أولى.[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ١٩٨ـ٢٠٠]

يقول: كنت كالنحلة أنتقل من زهرة إلى أخرى، وأتمتع بالحرية الكاملة فكيف في النهاية. أرتبط بامرأة وأكتفي بزهرة واحدة وأفقد حريتي؟ لقد أثرت أحداث تلك الفترة على حياتي كثيرا فلم أعد أثق بالمرأة أو الارتباط بها، ولا أجد فرقا بين امرأة وأخرى.[١]

كما أن الانفلات الأخلاقي يجعل الرجال يفرون من تبعات تحمل مسئولية البيت والأولاد فما دام أنه سيقضي وطره بمنتهى اليسر والسهولة وفي أحايين كثيرة بلا مقابل مادي يدفعه، فالبلد المنفلتة أخلاقيا مليئة بالبغايا المحترفات اللاتي يردن العائد المادي كما أنها لا تخلو من بائعات الهوى اللاتي لا يأخذن شيئا فهن يبحثن عن المتعة ويحتسبن في أمثال هؤلاء الرجال فساء احتسابهن وخسر.[٢]

ومن الانفلات الأخلاقي التبرج ومشاهدة النساء السافرات ومراقبة الآتية منهن والذاهبة يوميا، الذي مما لا شك فيه أنه يقلل الشهوة ويضعفها، فالمجتمعات المحافظة تكون رغبة أفرادها في الزواج أكثر من غيرها من ذوات الانحلال والاختلاط، كما أن الأفراد الذين لا يختلطون يكونون أكثر رغبة في الزواج من بين أفراد المجتمعات الأخرى المختلطة.

فيا أيها الأب راقب ابنك وابنتك في دخولهما وخروجهما، فإن ذلك يساعد كثيرا على انتشار العفة ومن ثم المسارعة بالزواج، كما أن على الدولة أن تتقي الله في

---

(١) زهرة الخليج ، العدد : ١١١٦ ، ٢١/٨/٢٠٠٠م

(٢) قال العجلوني: مثل الرجل الذي يصيب المال من الحرام ثم يتصدق به لم يقبل منه إلا كما يتقبل من الزانية التي تزني ثم تتصدق به على المرضى.رواه الديلمي عن الحسين بن علي، وفي معناه:

ومطعمة الأيتام من كد فرجها ... لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

[كشف الخفاء، للعجلوني، حرف الميم. حديث رقم: ٢٧٦٠]

رعيتها فلا تطلق لهم الحبل على الغارب[١] بل تطبق شرع الله وتقيم الحدود على المقارفين [٢]لهذه القاذورات.

٣ ـ العادات والتقاليد :

كثير من المجتمعات الإسلامية محاطة بعادات وتقاليد وأخلاق فيها كثير من الخير والأشياء الطيبة، كالتكافل بين أفراد المجتمع والتعاضد والتناصر، وقوة الترابط بين أفراد المجتمع بعامة والأسر بخاصة فجاء الإسلام متمما لأحسن الأخلاق ناهيا عن سيئها فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ.[٣]

والعادات والتقاليد لها دور كبير في تفشي العنوسة في المجتمع، فالرجل له واجب تجاه أبويه وأخواته وإخوته، والأخوات عليهن الطاعة المطلقة والموافقة على ما يقوله الأولياء أحببن أم كرهن ما يقال لهن، رضين أم أبين، وإلا عدهن المجتمع من سواقطه. وكفى بذلك عارا في المجتمع.

فالرجل لا يستطيع أن يقدم على الزواج دون إيفاء بعض هذه الواجبات وأدائها، هذا إن لم يكن له أخوات، فإن كان له أخوات فزواجه قد يتأخر انتظارا لزواجهن ونفاق أمرهن، فالمجتمع يقول: لا كساد ولا عنوسة لرجل، ولكن البنت أمرها

---

(١) قيل: أَلْقِ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ. أصلُه الناقة، إذا أرادوا إِرْسَالَهَا للرَّعْي أَلْقَوا جديلها على الغارب، ولا يترك ساقطا فيمنعها من الرعي.[مجمع الأمثال، رقم : ٣٤٨٣]

(٢) المُقارفة والقِراف: الجماع. وقارَف امرأَته: جامعها. ومنه حديث عائشة، رضي اللّه عنها: إنْ كان النبي، صلى اللّه عليه وسلم، لَيُصْبِح جُنُباً من قِرافٍ غير احتلام ثم يصومُ، أَي من جماع. وفي الحديث في دَفْن أُم كُلْثوم: من كان منكم لم يُقارِف أَهله الليلة فلْيَدْخُل قبرَها.[لسان العرب مادة : قرف]

(٣) مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة ، حديث رقم : ٨٥٩٥

خلاف ذلك، كما أن البنت قد تجبر على ابن عمها أو قريبها الذي لا ترغب فيه، قال الشاعر:

ألا رب حوراء المحاجر طفلة   تساق إلى وغد من القوم تنبال

يقولون جرته إليها قرابة   فويح العذارى من بني العم والخال[١]

وإن لم توافق عليه فلا زواج لها بل ستجلس طول عمرها عانسا.

كما أن الابن قد يجبر على الزواج من بنت عمه أو ما يسميه بعض الناس بتغطية القدح، تشبيها لبنت العم بالإناء الكبير وهو القدح وابن العم بالغطاء لهذا الإناء، وعندما تقول الأسرة لابنها عليك أن تغطي قدحك فعليه أن يستجيب لهذا الأمر شاء أم أبى، أحب أم كره، ومن الطرائف التي تحكى في هذا الشأن: أن موظفا كان يعمل في دائرة من دوائر العمل وكان يعمل معه في المكتب عدد من الموظفين والموظفات، فاتفق مع إحدى الزميلات على الزواج منها، ولكن أهله كان في مخيلتهم أمر آخر عندما فاتحهم بما اعتزمه من الزواج من هذه الزميلة فقالوا له: لا بد أن تغطي قدحك، فاعترض ورفض ولكنهم أصروا عليه وقالوا له: نحن لا نعف عنك إن لم تتزوج بنت عمك، فجاء إلى مكان عمله وأخبرهم بما حدث واعتذر للفتاة، وفي يوم الزواج دعاهم إلى زواجه فلبوا جميعا، وحضروا للزواج واستقبلوهم استقبالا حسنا وأكرموهم، وكان من ضمن المستقبلين رجل رث الهيئة وكان قد استقبلهم بحفاوة شديدة فسأل أحد الأصدقاء زميلهم قائلا: من هذا الرجل المسكين الذي استقبلنا بهذه الحفاوة وهذا الإكرام فقال له: هذا أبو القدح. يعني هذا والد بنت عمي وأبو القدح في العامية السودانية تعني السلحفاة لما في ظهره من غطاء شبيه بالقدح.

---

[١] تحفة العروس ونزهة النفوس ص ١٣٥

ويأنف أرباب الأسر أنفة كبيرة من تزويج البنت الصغيرة مع وجود الكبيرة أو الكبرى إن كن أكثر من واحدة، ـ رغم أهن كلهن في عز سن الزواج ـ وقد تكون البنت الكبرى شوهاء أو عرجاء أو بها ما ينقصها، والبنت الصغرى على درجة من الجمال وسوقها قائمة، فتنتظر البنت الصغرى تحرك سوق البنت الكبرى، فلا تتحرك هذه السوق بل تنام نوما عميقا، كما أنه ليس هنالك بوادر في الأفق لتحركها، بل استقراء الواقع يدل على غير ذلك تماما، فتصير الصغرى ضحية لهذه العادة.

كما أن أولياء أمور الأسر لا يعطون أي متقدم حتى وإن توفر فيه شرطا الدين والخلق. فلا بد من معرفة أصله، وأن لا يضع في ذهنه أن تأخر زواج ابنتهم يجعلهم يوافقون عليه، فعلى المتقدم أن يقيس نفسه قبل تقدمه ويهون على بعض الأسر والمجتمعات أن تموت ابنتهم من غير زواج من أن يتزوجها أحد الأزواج الذين هو في نظر مجتمعهم من رجرجة القوم ومن دهمائهم.- كما أنهم لا يسمحون لأحد من أبنائهم أن يكون قضأة فيتزوج من هي أقل منه منزلة ومكانة.(١) بل يريدون أن يتزوج بهيرة.(٢)

٤ـ تقدم أحد كبارات المجتمع ورجالاته لفتاة ثم فراقه لها:

قد يكون من حظ إحدى الفتيات أن يتقدم لها كبير من كبراء المجتمع ووجيها من وجهائه، وزعيما من زعمائه الصوفيين أو الاجتماعيين، ورغم فرح هذه الفتاة وفرح أهلها بهذا الزوج للوهلة الأولى، إلا أنه إذا حدث بينهما عدم وفاق نتج عنه فراق أو هجر أو تعليق من هذا الزعيم لهذه الفتاة، فإن أحدا من الناس لا يجرؤ للسعي نحو حل

---

(١) قال ابن منظور: يقال للرجل إذا نكَح في غير كَفاءَة: نكح في قُضْأَة. ابن بُزُرْجَ يقال: إنهم لَيَتَقَضَّؤُون منه أن يُزَوِّجُوه أي يَستَخِسُّون حَسَبه، من القُضْأَة.[لسان العرب لابن منظور : مادة قضأ]

(٢) قال ابن منظور: أَبْهَرَ: تزوج سيدة، وهي البَهِيرَةُ. ويقال: فلانة بَهِيرَةٌ مَهِيرَةٌ.[لسان العرب. مادة: بهر]

مشكلة هذه المرأة ابتداء، ولا يجرؤ على الاقتران بها والإقدام على ذلك احتراما منهم لهذا الكبير وحفظا لشعوره أو خوفا منه، وذلك لشدة بأسه وزيادة غيرته كما كان سعد بن عبادة زعيم الأنصار: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ (١) قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ أَهَكَذَا نَزَلَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَلُمْهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ وَاللَّهِ مَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا بِكْرًا وَمَا طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ.(٢)

وفي بعض البيئات الصوفية يهب المريدون مواليدهم لشيخهم ويكون ذلك بنذرهم لهؤلاء المشايخ قبل ولادة هؤلاء الأطفال، فإن حملت المرأة يكون أهلها ينتظرون مولودها على أحر من الجمر ليفوا بنذرهم، (٣) ودفعه للشيخ طمعا في رضاه وخوفا وفرقا من بأسه، فإن جاء المولود ولدا فإن الشيخ يستخدمه في أعماله الخاصة كالزراعة والرعي وجمع الحطب ونحوها من الأعمال، وإن جاء المولود بنتا فإن الشيخ يجعلها كالأمة عنده فتقوم بخدمته الخاصة من غسل ملابس وتجهيز طعام وغمز أرجل وترجيل شعر ونحو ذلك من الأعمال مما تقوم به الإماء ومن ثم فلا يتزوجها أحد لأنها موهوبة للشيخ.

---

(١) سورة النور آية ٤

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن العباس، حديث رقم : ٢٠٢٤

(٣) من أسباب هبة هؤلاء الأولاد للشيوخ: تعسر ولادة الزوجة أو تأخرها أو عقمها لفترة من الزمن ثم ولادها بعد ذلك، فيدفع أبوهم هذا المولود الذي طال انتظاره للشيخ.

وأما إذا تقدم شيخ من مشايخ الصوفية لامرأة من النساء وتزوجها وطلقها فلا يجرؤ أحد على الزواج منها لأنها مطلقة الشيخ، ولذا قالت إحدى مطلقات الشيوخ: أشقى النساء من يتزوجها شيخ.

وقد يبلغ من طغيان الزعماء والوجهاء أن ينذر الواحد منهم ويهدد مطلقته بأنها إذا تزوجت فلن ينالها خير ولم تنعم هي ولا زوجها براحة، كما لا ينسى أن يطلق أمثال هذه التهديدات للراغبين في الاقتران من هذه المطلقة.

وكأن المجتمعات قد أعطت هؤلاء الزعماء والكبراء منزلة كمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم وجعلتهم في مكانه ومن ثم فلا يؤذى بنكاح نسائه بعد وفاته أو طلاقه لهن، قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [1]

---

[1] سورة الأحزاب آية ٥٣

قال القرطبي رحمه الله تعالى: يروى أن رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بعد أبي سلمة، وحفصة بعد خنيس بن حذافة: ما بال محمد يتزوج نساءنا! والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه، فنزلت الآية في هذا، فحرم الله نكاح أزواجه من بعده، وجعل لهن حكم الأمهات. وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته صلى الله عليه وسلم. قال الشافعي رحمه الله: وأزواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافرا، لقول تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ وقد قيل: إنما منع من التزوج بزوجاته، لأنهن أزواجه في الجنة، وأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها. قال حذيفة لامرأته: إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة إن جمعنا الله فيها فلا تزوجي

وفي المقابل نجد بعض الكبراء والزعماء إذا فارق زوجته أو طلقها وأرادت أن تتزوج فإنه لا يكتفي بالموافقة على ذلك فحسب بل يقوم بتشجيعها واختيار الزوج المناسب لها، فيحذرها من أنواع من الأزواج ويقترح لها آخرين، كما فعل عدة أزواج منهم ويكون هذا الاقتراح مبنيا على صفات حسية في الزوج المرتقب كما قال هدبة بن خشرم العذري لامرأته:

فلا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا   أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والغمم أن يسيل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا. والنزع: انحسار شعر الرأس من جانب الجبهة والعرب تتيمن بالأنزع وتذم الغمم وتتشاءم بالأغم.[1]

ـ وقال آخر لامرأته مركزا على الصفات المعنوية :

فإما هلكت فلا تنكحي   ظلوم العشيرة حسّادها

يرى مجده ثلب أعراضها   لديه ويبغض من سادها[2]

ـ أو يركز على الجانب الخلقي والخلقي في الزوج المرتقب كما قال امرؤ القيس:

أيا هند لا تنكحي بوهة[3]   عليه عقيقته[1]أحسبا[2]

من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ يعني أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نكاح أزواجه، فجعل ذلك من جملة الكبائر ولا ذنب أعظم منه.[انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٧ج ١٤ص ٢٢٨ـ٢٢٩]

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد ٢ ج ٢ ص ١٥

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد ٢ ج ٢ ص ١٥

(٣) البوهة: الرجل الضاري أو الأحمق

مرسعة[٣]وسط أرباعه[٤] به عسم يبتغي أرنبا

ليجعل في ساقه كعبها حذار المنية أن يعطبا[٥]

٥ ـ السخرية والاستهزاء من الحلول الجماعية :

قد يشعر بعض أفراد المجتمع وأولو الحل والعقد فيه بعظم أمر العنوسة وفداحة الخطب وجلل المصيبة وأنها تشكل خطرا على بنية المجتمع وتركيبته برمتها، فيفكرون في إيجاد حلول لهذه المشكلة المعضلة، فيعقدون عدة مؤتمرات تتمخض عنها عدة اجتماعات تنبعث عنها عدة لجان، تقرر أمورا على النحو التالي مثلا:

ـ القيام بمحاولة تخفيف المهور ووضع سقف لها.

ـ عدم تمسك أولياء أمور الفتيات مع المتقدمين لأيدي بناتهم وإرهاقهم بالطلبات والاشتطاط فيها.

ـ القيام بزواجات جماعية فيختارون الراغبين في الزواج من الفتيان والفتيات وتسجل أسماؤهم، وتوضع لهم مغريات ومساعدات مادية ومعنوية.

---

[١] عقيقته: يعني شعره الذي خرج به من بطن أمه يريد أنه لا يطلي

[٢] أحسبا: أحمرا

[٣] مرسعة: فاسدة

[٤] أرباعه: أرساغه

[٥] يريد أنه جاهل يظن أن كعب الأرنب إذا علقه دفع عنه الموت. (انظر : كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م. ج١ص٥٦٣ـ٥٦٤)

ـ التركيز والطرق على عدم وجود أي غضاضة ولا أدنى حرج في أن يطلب أحد أولياء أمور الفتيات من أحد الشباب أن يتقدم لطلب يد ابنته وعدم وجود أدنى حرج في سؤال إحدى الفتيات رجلا صالحا وإبداء رغبتها في الاقتران به.

فتكون أضواء وأصداء هذه الحلول وأمثالها في المجتمع على النحو التالي:

ـ الاستحسان والتشجيع والدعم من العاقلين من أفراد المجتمع رجالا ونساء، شيبا وشبابا، متزوجين وعانسين.

ـ السخرية منها والتقليل من شأنها من أصحاب الفساد، ومن كثير من الفتيات، والغريب في الأمر أن منهن أو أكثرهن من أصحاب الشأن ومن المكتويات بداء العنوسة، وذلك للآتي:

ـ رؤية كثير من العوانس أن الزواج الجماعي جرح لشعورهن وأن أمرهن تفاقم وأعيى الناس حتى قاموا بمثل هذه الأشياء.

ـ الجميلات من العوانس لا يعترفن بالعنوسة وأن الواحدة منهن ترى أنها ستأتي بزوجها دون إعانة أحد لها، لأنها ترى أن هذه الإعانة وهذا التدخل انتقاص لشأنها وتمريغ لكرامتها ومسح لعزتها.

ـ المتزوجات من الفتيات اللاتي يرين أن هذا الأمر لا يهمهن في قليل ولا كثير بل يسخرن من مشجعات هذا الأمر ويضربن مثلا بأنفسهن بأنهن قد تزوجن من غير زواج جماعي بل يقلن : قد تقدم لنا عدة خطاب فانتقينا منهم من شئنا.

ـ صغيرات السن من الفتيات اللاتي يرين أنهن بينهن وبين العنوسة وبين الموافقة على هذه الأمور وأمثالها مسافات شاسعة.

وبصفة عامة فإن المجتمع السوداني لو أخذناه مثلا يسمي الزواج الجماعي (زواج الكورة) وإن قطاعا عريضا من المجتمع رجاله ونسائه يسخر من زواج الكورة، وهي

مكيال تكال به الحبوب كالقمح والذرة والفول ونحوها، أي كأن هؤلاء الفتيات أن الواحدة منهن كيلت بالمكيال ولم تنتق انتقاء، فالمكيال يكيل الصالح من الحبوب والطالح بل إن الصالح من الحبوب يكون قد أصابه غبار الطالح الذي يرمى ولا ينتفع به.

وعندما قيام الزواج الجماعي المتكرر في السودان ـ وفق الله القائمين به لعقد المزيد منه ـ تسمع غير واحد يقول ساخرا: جزى الله الرئيس خيرا فقد نال أجرا كبيرا في بنات بائرات كثيرات وينفجر ضاحكا.

أو يقول قائل : قد حدث طلاق جماعي وذلك لعلمه بحدوث بعض حالات الطلاق أو انفكاك مثل هذه الأقوال وحدوث الطلاق في مجموع زواجات أمر طبيعي فلو افترضنا مثلا قيام ١٠٠٠ حالة زواج جماعي وتم فيها ١٠٠ حالة طلاق فإن هذا الزواج الجماعي يعتبر زواجا ناجحا بكل المقاييس.

أو يقول قائل : إن امرأة اختلفت مع زوجها فقالت له : أرجعني إلى بيت أبي فقام بإيصالها إلى الحديقة التي تم فيها عقد النكاح وأقيم فيها الاحتفال بالزواج الجماعي قائلا لها : هذا المكان الذي أخذتك منه . وتكون هذه الحالات من نسج الخيال وليست من الواقع في شيء.

فيا عبد الله ويا أمة الله إن لم يكن فيكما خير بتشجيع أمثال هذه الأمور فلا تثبطا غيركما عنها، فتكونا من الذين يحاربون الزواج ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

٦ ـ مواجهة الزواج المبكر لدى الشبان والشابات:

لا يخلو المجتمع من شرذمة تحب الباطل وتدافع عنه وتتضايق من الحق وتناصبه العداء بل تحاربه تارة سرا وتارات جهرة وفي الوقت الذي تتزايد فيه مطالبة النشطين في مجال العمل الأهلي والاجتماعي في مصر بتدعيم اتجاهات الشباب نحو الزواج المبكر في

مصر حلا لمشكلة انحراف الشباب، وممارسة الجنس قبل الزواج ما زالت الجهات الحكومية ومراكز الأبحاث شبه الرسمية تواصل برامجها التي تهدف إلى محاربة هذا النوع من الزواج.[١]

وفي ذلك الإطار فقد دعت دراسة علمية أخيرة حول الزواج المبكر أعدتها الدكتورة إقبال الأمير السمالوطي الحكومة المصرية إلى وضع استراتيجية لمواجهة ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع المصري، مشيرة إلى أن الزواج المبكر من الظواهر الاجتماعية التي تنتشر في مصر خاصة في المناطق الشعبية والريفية.

واستندت الدراسة إلى إحصاءات رسمية تشير إلى أن نسبة ١٨,٢% من الفتيات في الفترة من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٤ تزوجن في سن مبكرة في حين بلغت النسبة ٤٠,٣% في الفترة من ١٩٦٠ وحتى ١٩٦٤ وقالت إن نسبة الزواج المبكر في الحضر تصل إلى ٩,٥% في حين تمثل في الريف ٢٦,٣% وتصل النسبة في الوجه القبلي إلى ٢٨,٩% بينما تصل ١٦,٩% في الوجه البحري.

ودعت الباحثة إلى ضرورة أن تراعي استراتيجية المواجهة طبيعة وخصوصية المجتمع المصري وزيادة الوعي لدى المواطنين بالآثار السلبية للزواج المبكر، والاهتمام بالتوعية الدينية للفتيات المقبلات على الزواج وتعريفهن بحقوقهن الشرعية والقانونية لاختيار الزوج المناسب، وتعقيد الإجراءات الخاصة بالزواج المبكر، وتغليظ عقوبات التلاعب في عقود الزواج.

ومضت الدراسة في تعديد أضرار الزواج المبكر مشيرة إلى أنه قد يؤدي إلى ارتفاع حالات الطلاق نتيجة لعدم التوافق الزواجي، وحرمان الفتيات من حقوقهن في

---

[١] القاهرة–أحمد عطية–إسلام أون لاين الجمعة ٢٢ رجب ١٤٢١هـ–٢٠ أكتوبر ٢٠٠٠م

اختيار أزواجهن. ووضع الفتاة في موقف المسئولية الاجتماعية قبل بلوغ مرحلة النضج، كما يؤدي إلى متاعب صحية للأم نتيجة الحمل والولادة المتكررة.

وقالت الدراسة إن هذا الزواج يعتبر سمة من سمات المجتمعات الريفية إذ أن ٣٦٪ من إجمالي عدد الزوجات في الأسر الريفية تزوجن في سن أقل من ١٦ سنة في حين تبلغ نسبة الإناث اللاتي تزوجن دون السن القانونية في الحضر ٩.١٪. وترجع الباحثة تزايد النسبة في الريف إلى رغبة الريفيين في الإكثار من الأولاد وقصر الفاصل الزمني بين الآباء والأبناء والخوف على الشرف والعرض ودعم الروابط الأسرية ورغبة الأباء في تزويج أولادهم مبكرا لإثبات الرجولة وتأكيد السيطرة.

وقالت الدراسة أيضا إن العوامل الدينية تعد من أهم العوامل في شيوع الزواج المبكر في البلاد العربية والإسلامية، هذا بجانب أن بعض الأسر تزوج فتياتها الصغيرات اللاتي لم يبلغن السن القانونية من أزواج أثرياء مصريين أو عرب لديهم القدرة على تلبية الشروط التي تضعها أسرة الفتاة على الزوج وتخلص الباحثة إلى القول: إنه رغم السلبيات فإن الزواج المبكر يؤدي إلى تدعيم الروابط والعلاقات الأسرية وسيادة روح التكافل خاصة في المجتمعات الريفية، حيث يترتب على هذا الزواج نشأة حقوق وواجبات بين ذوي القربى، وتعاون في المجالات المختلفة من خلال علاقة المصاهرة.

وفي مقابل وجهة النظر السابقة التي سجلتها الدراسة التي تأخذ بها المؤسسات الرسمية المصرية فإن هناك باحثين ونشطين في مجال العمل الأهلي والاجتماعي يعددون عددا من الآثار الضارة للزواج المتأخر في عصر شهد ثورة جنسية عن طريق الأطباق الفضائية والإنترنت بما تحويه هذه الوسائل من ثقافة جنسية غير منضبطة وبصورة متاحة للجميع، وهي العوامل التي أدت إلى انخفاض سن ممارسة الزواج في البلاد العربية وتورط العديد من الشباب في البلاد العربية في ممارسة الجنس قبل الزواج. ويقول هؤلاء إن الحد

من الزواج المبكر لا يمكن أن تكون دعوة صحيحة في وقت تعاني فيه أعداد كبيرة من الفتيات العربيات من العنوسة لأسباب اقتصادية أو اجتماعية.

ويؤيد ذلك الدراسة المهمة التي أجرتها الباحثة المصرية نوال أبو الفضل الخبيرة الاجتماعية إلى أن سن الخامسة والعشرين بالنسبة للرجل، وسن الثانية والعشرين بالنسبة للفتاة هي بداية مرحلة الشعور بالخوف من الحرمان من الزواج،وهي بداية هم العنوسة عند الفتاة المتعلمة، وأن هذه السن تقل بنسبة سبع سنوات عند غير المتعلمات والمتعلمين، كما أن تفاعل الظروف الاجتماعية والاقتصادية مع معيار تأخر سن الزواج يؤدي بالضرورة إلى القلق النفسي وعدم النضج الاجتماعي كما ذكرت "جريدة المسلمون".

وانتهت الدراسة إلى عدة نتائج علمية ذات دلالة هامة منها:

١- أن الزواج المبكر يدفع الزوج إلى العمل والكد وتكون الفرصة في النجاح أكبر.

٢- الزواج المبكر يجعل الزوجين أكثر ارتباطا ببعضهما البعض ويجعل كل طرف أدنى إلى مسايرة الطرف الآخر، بعكس الزواج بعد الثلاثين حيث يتمسك كل واحد برأيه أكثر.

٣- أن ٨٠% من مجموعة الأسر التي تم زواجها بعد العشرين أبدت سعادتها من القرار، ورغبتها في أن يتكرر ذلك مع الأبناء و ٦٠% من الأسر التي تزوجت في حدود الثلاثين أبدت رغبتها في الزواج المبكر.

٤- أن المرأة أكثر سعادة بالزواج المبكر من الرجل، حيث كانت النسبة ٥: ٣ لمن في سن العشرين، و ٤ : ٣ لمن في سن الثلاثين، وأن المسئولية المادية على الزوج هي السبب الأول وراء ذلك، و ٨٠% ممن أجري عليهم البحث اعترفوا بذلك وشملت

العينة ٤٠ أسرة، ٢٠ منها تزوجت في سن ٢٥ عاما والـ ٢٠ الأخرى تزوجت في سن الثلاثين.

كما تظهر النسب والأرقام من خلال الملفات والاستمارات التي توزعها جمعية أنصار السنة المحمدية للواقعين تحت وطأة العنوسة التي تزداد يوما بعد يوم بسبب الظروف الاقتصادية التي يمر بها الشباب، والتباعد وضعف العلاقات الاجتماعية بين الأقارب والجيران، واللهث الدائم وراء متطلبات الحياة المتزايدة تظهر هذه الملفات والاستمارات وما تحتويه من الأمور السرية للغاية بعض الحقائق كما ذكرت جريدة "المسلمون " منها:

- ٩٥% من الراغبات يؤكدن على شرط الالتزام والتدين في الاختيار.

- يمثل المتقدمون كل فئات المجتمع من الناحية الثقافية والاجتماعية، ويمثل المثقفون إلى المهنيين نسبة أربعة إلى واحد.

- ٣٥% يشيرون إلى شرط الجمال عند الاختيار، وتشير النسبة الغالبة إلى أن يكون الجمال متوسطا.

- نحو ٥٦% من المتقدمين فوق سن الثلاثين و ٤٧% من المتقدمات فوق الثلاثين.

- ٧٦% من الشباب طلبوا أن تكون الفتاة مرتدية الخمار، و٤٤% طلبوا أن تكون منقبة ونحو ١٧% لم يحددوا.

-٦٣% من الفتيات لا يطلبن التعجيل بالزواج فيما يطلب ٧٢% من الشباب التعجيل.[١]

---

[١] نقلا عن كتاب: تفشي العنوسة – أسبابها – آثارها، الباب السابع من كتاب تعـدد الزوجـات، تأليف : الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي

الفصل الثاني

أسباب العنوسة عند الأسرة

١ ـ الاشتطاط في المهر

٢ ـ مطاوعة البنت في رفضها للمتقدمين لها من دون مبرر شرعي ولا مسوغ عقلي

٣ ـ التعنيس والإعضال

٤ ـ الوضع الاجتماعي

٥ ـ عدم البحث عن زوج للعانس أنفة وكبرا

٦ ـ عدم وضع عنوسة الأولاد في الاعتبار

٧ ـ التاريخ السيئ للعائلة

٨ ـ تقصير الأسرة في تربية وتعليم الأبناء

٩ ـ إصرار الأسرة على زواج الفتى من فتاة معينة ورفضه لذل

١٠ ـ عدم ترحيب الوالدين بزواج الابن بل رفضهما له بحجة أنه لم يقدم لهما شيئا

الفصل الثاني

أسباب العنوسة عند الأسرة

لوالدي الفتاة دور كبير في تسبب العنوسة لابنتهم وابنهم على السواء، ونمثل لذلك بالآتي:

١ـ الاشتطاط في المهر:

ينسى أولياء البنات، أن العنوسة ضاربة الأطناب في المجتمع، وأنه طوفان ابتلع المنتظرات منهن ويريد المزيد، وأنه في ازدياد وتفاقم، فإن تقدم لهم زوج وكانت ابنتهم على درجة من الجمال والمكانة العلمية، فإنهم يفترضون على هذا الزوج ويشترطون عليه ما شاءوا من شروط، أما إن كانت ابنتهم عانسا، وتقدم لها خاطب بعد طول انتظار منهم ومنها، فإنهم ينسون عنوستها ويرون في ابنتهم عجوز الأمس أنها صارت منية المتمني وبغية العشاق، وهم بالأمس القريب كان يفكرون في البحث لها عن زوج ولكن غرورهم لم يطاوعهم لذلك.

وإذا كانت البنت رائجة السوق فإن كثيرا من الأولياء يجاهرون قائلين: على من يريد أن يتقدم لكريمتنا أن يحضر كذا وكذا،[1] وأنه: بئسما تزويجٌ ولا مَهْـر، [2]كما عكس ذلك عروة بن حزام العذري الذي خطب ابنة عمه، فوافق عمه، ثم طلب منه العم مهرا كبيرا فقال عروة مخاطبا له مصورا موقفه معه:

يكلفني عمي ثمانين بكرة   وما لي والرحمن غير ثمان[3]

---

[1] قال أعرابي (عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد ٢ ج ٢ ص ٧٢):

يقولون تزويج وأشهد أنه هو   البيع إلا أن من شاء يكذب

[2] قيل: بئسما تزويجٌ ولا مَهْر، والمعنى فيه: بئس تزويج ولا مهر.[لسان العرب، مادة: بأس]

[3] خزانة الأدب للبغدادي ج٣ص٣٤٦ـ٣٤٧

وإذا كانت البنت على درجة أقل من الجمال وخلافه فإن مهرها يقل بقدر ما نقص من جمالها، قال أعرابي:

خطبت فقالوا هات عشرين بكرة   ودرعا وجلبابا فذا أيسر المهر[١]

ويجاري كثير من المتقدمين للزواج المرأة وأهلها في زيادة المهر بل قد يرغبهم فيه إذا رفضوا، قال أبو محمد الفَقْعَسيّ:

يا لَيْلُ، أَسْقاكِ البُرَيْقُ الوامِضُ   هلْ لكِ، والعارِضُ[٢] منكِ عائِضُ

في هَجْمَةٍ يُسْئِرُ منها القابِضُ

قاله يخاطب امرأة خطبها إلى نفسها ورَغَّبها في أنْ تَنْكِحه فقال: هل لك رَغْبةٌ في مائة من الإبل أو أكثر من ذلك؟ لأَن الهجمة أَوَّلُها الأَربعون إلى ما زادت يجعلها لها مَهْراً، وفيه تقديم وتأْخير، والمعنى هل لك في مائة من الإبل أو أكثر يُسْئِرُ منها قابِضُها الذي يسوقها أي يُبْقِي لأَنه لا يَقْدِر على سَوْقها لكثرتها وقوتها لأَنها تَفَرَّقُ عليه، ثم قال: والعارِضُ منك عائِضٌ أي المُعْطِي بدلَ بُضْعِكِ عَرْضاً عائِضٌ أي آخِذٌ عِوَضاً مِنْكِ بالتزويج يكون كِفاءً لما عَرَضَ منك.[٣]

والاشتطاط في المهور سبب في بغض الزوج لزوجته وعداوته لامرأته وأهلها، قال رجل يخاطب امرأته ويهجو أباها لأنه كان أمهرها عشرين بعيراً كلها بنات لبون، فطالبه بذلك فكان إذا رأى في إبله حقَّة سمينة يقول هذه بنت لَبون ليأخذها، وإذا رأى بنت لَبون مهزولة يقول هذه بنت مخاض ليتركها؛ فقال:

---

[١] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري ج ١ص ٦٢٠

[٢] يقال: عَرَّضْتُك أي عَوَّضْتُك. والعارِضُ: ما عَرَضَ من الأَعْطِيَة.

[٣] لسان العرب ، مادة : عرض

لأَجْعَلَنْ لابْنَةِ عَثْمٍ فَنَّا[١] مِنْ أَينَ عِشْرُونَ لها مِنْ أَنَّى
حتى يَكُونَ مَهْرُها دُهْدُنَّا[٢] يا كَرَواناً صُكَّ فَاكْبَأَنَّا
فَشَنَّ بالسَّلْحِ، فَلَمَّا شَنَّا بَلَّ الذُّنابَى عَبَساً مُبِنَّا
أَإِبِلي تَأْكُلُها مُصِنَّا خافِضَ سِنٍّ ومُشِيلاً سِنّا[٣]

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي الْعَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَا تُغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ كَانَ أَوْلَاكُمْ وَأَحَقَّكُمْ بِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَلَا أُصْدِقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُثَقِّلُ صَدَقَةَ امْرَأَتِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولُ قَدْ كَلِفْتُ إِلَيْكِ عَلَقَ الْقِرْبَةِ أَوْ عَرَقَ الْقِرْبَةِ وَكُنْتُ رَجُلًا عَرَبِيًّا مُوَلَّدًا مَا أَدْرِي مَا عَلَقُ الْقِرْبَةِ أَوْ عَرَقُ الْقِرْبَةِ.[٤]

وبسبب غلاء المهور كم من شاب عزف عن الزواج؟ وآخر حزم حقائبه متوجها خارج بلاده بغية البحث عن شريكة حياة مناسبة من نساء رخيصات المهور، تاركا بنات

---

[١] الفَنُّ: العَناء. فَنَنْتُ الرجلَ أَفُنُّه فَنّاً إِذا عَنَّيْتَه، وفَنَّه يَفُنُّه فَنّاً: عَنَّاه؛ والفَنُّ: المَطْلُ. والفَنُّ: الغَبْنُ، والفعل كالفعل، والمصدر كالمصدر. وامرأَة مِفَنَّة: يكون من الغَبْنِ ويكون من الطَّرْدِ والتَّعْبِيَة .[لسان العرب ، مادة : فنن]

[٢] دهدن: الدُّهْدُنُّ، بالضم: معناه الباطل. قال ابن بري: الدُّهْدُنُّ كلام ليس له فعل.[لسان العرب، مادة: دهدن]

[٣] لسان العرب، مادة : خفض

[٤] صحيح سنن النسائي كتاب النكاح باب: القسط في الأصدقة حديث رقم ٣١٤١/ سنن ابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: صداق النساء، حديث رقم: ١٨٧٧/ سنن الدارمي، كتاب النكاح، باب: كم كانت مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته، حديث رقم: ٢١٠٣

عمه وأهله وعشيرته ومنطقته بل بلاده كلها، فيتجه قاصدا بلاد المسلمين الأخرى أو يذهب لإحدى بلاد الشقراوات مع ما يكتنف هذا الأمر من مخاطر عليه وعلى أبنائه منها، مضحيا بما يلاقيه من تساهل في دينهن وأخلاقهن إن كن مسلمات وما يناله من خطر إن كن غير ذلك.

وإذا كان لبعض المتقدمين أموال مع نقص في أوضاعهم الاجتماعية، وتقدموا خاطبين لإحدى النساء، فإن أولياء الأمر غالبا لا يوافقون، وإذا وافق وليها رغبة في المال فإن المجتمع لا يتركه وشأنه ولا يبارك له ما اختار بل يسفه ما قام به، ويضلل سعيه، ونمثل لذلك بقصة: يحيى بن يحيى بن أبي حفصة الذي تزوج خولة بنت طلبة بن مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم سيد أهل الوبر وكان يحيى ذا يسار فقال جرير يعير طلبة وقومه:

لقد أنكحتم عبدا لعبد ... من الصهب المشوهة السبال[١]

وقال القلاح :

نبئت خولة قالت حين أنكحها ... لطال ما كنت منك العار أنتظر

أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما ... في فيك مما رجوت الترب والحجر

لله در جياد أنت سائسها ... برذنتها وبها التحجيل والغرر[٢]

وقد يدافع ولي البنت إذا وافق على متقدم نوعه من هذا كما في هذه الحادثة، قال ابن قتيبة: وكان أيضا [٣] تزوج بنت إبراهيم بن النعمان بن بشير، على عشرين ألفا فعيره الناس فقال إبراهيم:

---

[١] الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٢٢٩

[٢] الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٦٣– ٧٦٤

[٣] أي يحيى بن يحيى بن أبي حفصة

ما تركت عشـــرون ألفــا لقائـــل مقالا فـــلا تحفـــل مقـــالة لائـــم

فإن أك قد زوجت مولى فقد مضت به سنة قبلي وحـــب الـــدراهـــم[١]

قال أحمد شوقي مصورا سحر المال ووقعه في القلوب:

المــالُ حللَ كُلَّ غير محللٍ حتى زواجَ الشيبِ بالأبكــارِ

ما زُوِّجَتْ تلكَ الفتاةُ وإنمــا بيعَ الصِّبا والحُسْنُ بالدينـارِ

فَتشَّتُ لم أرَ في الزواجِ كفاءةً ككفاءةِ الأزواجِ في الأعمـارِ

سحـــرَ القلوبَ فربَّ أمٍ قلبُها من سحرِه حجرٌ من الأحجارِ

٢ ـ مطاوعة البنت في رفضها للمتقدمين لها من دون مبرر شرعي ولا مسوغ عقلي:

قد يطرق باب الأب رجل خاطبا ودهم مريدا القرب منهم بتقدمه لطلـــب يـــد ابنتهم ويكون لا بأس به، فيراه ولي البنت مناسبا لها لتوفر الدين والخلق فيه، وأنـــه مـــن الذين لا تسب ابنتهم بهم بل تكرم فيوافق عليه، ويستشير ابنته، فترفضه البنـــت بحجـــة الدراسة أو بغيرها فيوافق أبوها على رفضها له ويصرفه بلباقة وحنكة من غـــير جـــرح لشعوره أو بغير لباقة، إن كان على درجة من الغلظة والفظاظة، وكانت ابنته على درجة من الجمال وكان هو على درجة من الاستسلام والانقياد لها ويعقبه خاطب آخر فترفضه البنت وهكذا دواليك ويكون رفضها مبينا على أسباب واهية من إرادة مواصلتها تعليمها أو عدم جمال الخاطب وأحيانا من غير إبداء أسباب.

فالبنت غالبا لا تعرف مصلحتها وذلك لضعف عقل المرأة بصورة عامة ولحداثـــة سن هذه الفتاة وأنها غرة ساذجة وقليلة التجربة وظنها أن أمور الزواج في يدها أو في يد أبويها وأن الزوج متواجد في أي لحظة بل يمكن شراؤه من السوق والإتيـــان بـــه في أي

---

[١] الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٦٤

وقت ومن أي مكان وعلى الأوصاف المطلوبة وتتعمق هذه المطاوعة وتتأصل جذورها إذا كانت البنت قد نالت حظا من تعليم أكثر من أبويها، أو كان أبواها على أمية، فيسلمان لها القيادة ويعطيانها زمام الأمر تسير كيفما شاءت وكيفما أرادت ويملكانها من دفة المركب ويجعلان لها الحبل على الغارب.

كما أن كثيرا من البنات لا يكتفين برفض المتقدم لهن فحسب بل يقمن بفضحه بين لداتهن مصورات درجة تلهفه على الظفر بها وانكسافه من ضياعها منه وانكساره عند مغادرة البيت وكيف أنه كان يلهث وراءها وكيف أنه كان يذرف دموع الأسى والحزن لذهابها عنه، وتقوم بإضافات من عندها لا حقيقة لها في الواقع تزيّدا منها وتكبيرا لشأنها.

ودور الأب ليس توفير لقمة العيش والكساء والدواء والتعليم وخلافه من متطلبات الحياة لأبنائه فقط، بل إن من أخص أداوره وأعظمها، هو البحث عن الزوج المناسب لابنته والموافقة على المتقدم المناسب من الأزواج، فعلى الأب أن يوضح لابنته أن رفضها المتكرر للمتقدمين من غير مبررات قد يتسبب في عنوستها فإن عادت إلى رشدها وارعوت فبها ونعمت وإن تمادت في غيها ولم تقبل قول ناصح، ولم ترفع بذلك رأسا فعليه أن يجبرها: فعَنْ مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَسَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّه كَانَا يُنْكِحَانِ بَنَاتِهِمَا الْأَبْكَارَ وَلَا يَسْتَأْمِرَانِهِنَّ قَالَ مَالِك وَذَلِكَ الْأَمْرُ عِنْدَنَا فِي نِكَاحِ الْأَبْكَارِ.[1]

فليس إن جاء خاطب مرضي الدين والخلق فأشار الأب على البنت وأمها بتزويجه أو عزم على ذلك افتئات على حق البنت أو انتقاص لقدرها.

فالبنت نفسها ترى أن أباها يجب أن لا يجاريها في كل أحوالها ولنمثل لذلك بالآتي:

---

(١) موطأ الإمام مالك: كتاب النكاح

ــ قال محمد رشيد العويد تحت عنوان : حرية من غير توجيه: نقلت لي زوجتي عن فتاة سورية، تبلغ الثانية والثلاثين من عمرها، ولم تتزوج حتى الآن، قولها لها: "ليت والدي أجبراني على الزواج"!!

وأضافت الفتاة وهي تحدث زوجتي: "لقد ضربني والدي كثيرا حين ترك لنا الحرية في تأجيل الزواج بمواصلة تعليمنا، وكذلك ضرتني والدتي حين لم تحذرني من أنني قد أندم حين أكبر وأبقى دون زواج ". تقول زوجتي: "أحسست بالدموع محتبسة في عينيها، وتريد أن تنساب على خديها لتفرج بها عن بعض ما تحمله في نفسها من حزن وأسى". وبلغ من تعاطف زوجتي مع الفتاة، وتأثرها بحزنها؟ أن قالت لي: "تزوجها أنت "! واستدركت "أو انظر من تعرف فهي غاية في الأدب، ومتدينة، وحاصلة على الليسانس في اللغة الفرنسية وآدابها، وتحمل مدرسة في وزارة التربية بدولة الكويت، وهي على قدر غير قليل من الجمال ".[1]

ــ يقول أحد الناصحين لرعيتهم: عندي ابنة تدرس في الجامعة، تقدم لها خاطب كفء، فرفضته بحجة إكمال الدراسة، فطلبتُ منه أن ينتظر بعض الوقت، لنحاول إقناعها في نهاية العام الدراسي، ولكنه لم يوافق، فعز عليّ أن ينطلق من يدي، أخشى أن لا يتقدم مثله، وخفت على نفسي ألا تبرأ ذمتي برده، فرأيت من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا ذلك تكن فتنة وفساد كبير. يقول: فرجعت إلى البنت وأمها عازما على إتمام الزواج، والدراسة لا يهمني أمرها، واستعملت قوامتي عليها منفذا لقول الله عز وجل ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ

---

(١) غير متزوجات ولكن سعيدات محمد رشيد العويد

عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ .....الآية ﴾[1] وأوضحت نصحي لهن، وشفقتي عليهن، فهدأت الأمور ولان الجانب، فاستدعيت الخاطب، وعقدت له في الحال. فخضعت الأم وابنتها للأمر الواقع. يقول بعد عام فقط دخلتُ على ابنتي وهي تلاعب طفلتها الجميلة، فقلت لها: ما رأيك يا فلانة الآن؟ يقول: فأقبلت عليّ، وقبلت يدي وقال: جزاك الله خيرا يا والدي، فإن المرأة يجب أن لا تطاع، فهي لا تدرك ما يدرك الرجال.[2]

٢ ـ التعنيس والإعضال :

هذا السبب يكاد يكون تاريخيا لارتباط أكثر ما يرد فيه من شواهد وأمثلة بمسألة الوأد. وليس موجودا في حياتنا بحمد الله تعالى، مع أن وجوده يعني انتفاء وجود العنوسة. وإنما ذكرنا هذا السبب وتناولناه بحديثنا ليكون بحثنا متكاملا. وحسب تتبع أنواع الإعضال والتعنيس في المجتمعات العربية نجدها كالآتي:

أ ـ منع المرأة من الرجوع إلى مطلقها:

قال الله تعالى ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾[3]

---

[1] سورة النساء آية ٣٤

[2] من وحي الواقع ، لمحمد بن ناصر العريني ، العدد الثاني، ص ١٦ــ١٧، الطبعة الأولى ١٤١٥هــ. مطابع ابن تيمية بالقاهرة. ويقول مؤلفه: وهذه القصة حصلت قريبا وسمعتها من صاحب الشأن بنفسي.

[3] سورة البقرة آية ٢٣٢

قال ابن فارس: عضلت المرأة عضلا، وعضّلتها تعضيلا، إذا منعتها من التزوج ظلما قال تعالى ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي تحبسوهن، ويقال: عضّلت المرأة، إذا نشب الولد في رحمها فلم يسهل مخرجه.[1]

ويعني منع المرأة من الزواج أو الرجوع إلى مطلقها. وسبب نزول هذه الآية: فعَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ أَنَّ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ كَانَتْ أُخْتُهُ[2] تَحْتَ رَجُلٍ[3] فَطَلَّقَهَا ثُمَّ خَلَّى عَنْهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ثُمَّ خَطَبَهَا فَحَمِيَ مَعْقِلٌ مِنْ ذَلِكَ أَنَفًا[4] فَقَالَ خَلَّى عَنْهَا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَخْطُبُهَا فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا[5] فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ

---

[1] معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ٧٨٤ ــ ٧٨٥

[2] ذكر ابن حجر أن اسمها جمل فقال : جمل بضم أوله وسكون الميم وقيل بصيغة التصغير بن يسار المزنية أخت معقل بن يسار يقال هي التي عضلها أخوها لما طلقها زوجها ثم أراد أن يعيدها فمنعه. [الإصابة لابن حجر، ترجمة : ١٠٩٧٩]

[3] قال ابن حجر هو : أبو البداح بن عاصم الأنصاري ذكر إسماعيل بن إسحاق القاضي في أحكام القرآن أنه زوج أخت معقل بن يسار التي نزل بسببها ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾وساق من طريق بن جريج أخبرني عبد الله بن معقل أن جمل بنت يسار أخت معقل بن يسار كانت تحت أبي البداح بن عاصم فطلقها فانقضت عدتها فخطبها وهذا سند صحيح.[الإصابة لابن حجر، ترجمة: ٩٥٩٥]

[4] قال ابن منظور : فَحَمِيَ من ذلك أَنَفاً أي أَخَذَتْه الحَمِيَّة، وهي الأَنَفَة والغَيْرة. [لسان العرب. مادة: حما]

[5] وفي رواية كان الرجل لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه

أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ .. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴾ (١) فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ فَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ وَاسْتَقَادَ لِأَمْرِ اللَّهِ.(٢)

قال الشوكاني: الخطاب في هذه الآية بقوله ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ (٣) وبقوله ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ (٤) إما أن يكون للأزواج ويكون معنى العضل منهم أن يمنعوهن من أن يتزوجن من أردن من الأزواج بعد انقضاء عدتهن لحمية. وأما أن يكون للأولياء ويكون معنى إسناد الطلاق إليهم أنهم سبب له لكونهم المزوجين للنساء المطلقات من الأزواج المطلقين لهن.(٥)

ب ـ تعنيس المرأة ومنعها من الزواج ابتداء:

كان لذي الإصبع(٦) العدواني بنات أربع، فعنسهن، ثم أشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه، فقلن لتقل: كل واحدة منا ما في نفسها، فقالت الكبرى:

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٢

(٢) البخاري كتاب الطلاق باب : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ في العدة وكيف يراجع المرأة إذا طلقها واحدة أو ثنتين وقوله ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ [انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١١ص٤٠٨]

(٣) سورة النساء آية ١٩

(٤) سورة البقرة آية ٢٣٢

(٥) فتح القدير ج١ص٢٤٣

(٦) الإِصْبَعُ، مُثَلَّثَةَ الهَمْزَةِ، ومع كلِّ حركةٍ تثلَّثُ الباءُ: تِسْعُ لُغاتٍ. والعاشر أُصْبوعٌ، بالضم: كلُّ ذلك عن كُراعٍ. وقد تُذَكَّرُ، ج: أَصابِعُ وأصابيعُ. [القاموس المحيط، باب العين. فصْلُ الصّاد]

ألا هل أراها مرة وضجيعها أشم كنصل السيف عين مهند
عليم بأدواء النساء وأصله إذا ما انتمى من أهل سري ومحتدي

فقلن لها: أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية:

ألا ليت زوجي من أناس أولي غنى حديث شباب طيب الثوب والعطر
لصوق بأكباد النساء كأنه خليقة جان لا ينام على هجري

فقلن لها: أنت تريدين فتى ليس من أهلك . ثم قالت الثالثة:

ألا ليته يكسو الجمال ندية له جفنة تشقى بها المعز والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة تشين فلا وان ولا ضرع غمر

فقلن لها: أنت تريدين سيدا شريفا. وقلن للرابعة قولي: فقالت: لا أقول فقلن لها: يا عدوة نفسها علمت ما في أنفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك. فقالت: زوج من عود خير من قعود. فمضت مثلا فزوجهن أربعهن.[1]

ج ـ منع المرأة وحبسها عن زوجها :

كان أبو أزيهر الدوسي قد زوج بنته الوليد بن المغيرة ثم أمسكها عنه، فلم يدخلها عليه، وكان بلغه بعد ما زوجه وأخذ المهر منه أنه غليظ على النساء يضربهن فحبس أبو أزيهر ابنته عنه، وأمسك المهر فأتى بنو الوليد بن المغيرة فقتلوه.[2]

---

[1] مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢

[2] ذكر ابن حبيب أن الوليد بن المغيرة سألها: أنا أشرف أم أبوك؟ قالت: لا بل أبي لأن أبي سيد أهل السراة وأن العرب يصدرون عن رأيه ، وإنما أنت سيد بني أبيك وفيهم من ينازعك الشرف فرفع يده فلطمها، فهربت إلى أبيها، فحلف أن لا يراها وأمسك المهر. [المنمق ص١٩٩ــ٢٠٠]

د ـ التعنيس بسبب الطمع المادي:

قد يبلغ الطمع ببعض الآباء أن يمنع ابنته من الزواج ويعضلها لينال جزء من مهرها أو كله وهذا السبب يكاد أن يكون منعدما لأن الآباء دائما يساهمون في زواج بناهم ويسعون في تزويجهن وسترهن، لأن الأمر يهمهن، فنجد أكثر الآباء يكملون نواقص الزواج من أموالهم الخاصة فإذا فنيت أموالهم فإنهم يبيعون ما تحت أيديهم من عقارات وممتلكات حتى يقضوا نفقات الزواج، وفي أحيان كثيرة يقترضون من معارفهم وذويهم، وقد تنعم البنت مع زوجها سنوات ويكون أبوها مغموما بسداد الديون التي اقترضها لزواجها، والتي أقضت مضجعه وأذهبت النوم عن عينيه وأطالت سهره.

ولكن المجتمعات لا تخلو من نوع من الآباء يتاجر ببناته وإن كان في رأي أن مثل هذه الظواهر غير موجودة أو تكاد تكون منعدمة أو أن لها أصلا صغيرا فزاد عليه الناس من عندهم لأن هذا الأمر لا يتصور حدوثه من أب عاقل يحمل هم بناته.

وعلى العموم فهي حالات فردية لا يقاس ولا يطرد عليها حكم.

هـ ـ التعنيس بسبب حاجة الوالد الكبير للبنت لتخدمه:

قد يكون من أسباب تعنيس البنت حاجة الوالد لها، من أجل أن تخدمه لكبر سنه، ولموت زوجته، ولعدم وجود غيرها ممن يقوم بهذا الأمر فيرفض الأب المتقدمين من الأزواج لطلب يدها والاقتران بها، لا لعلة فيهم سوى أنه محتاج إلى ابنته، وهذا الحاجة من الأب الشيخ مستمرة ولا يأتي يوم إلا والأب قد ازداد ضعفا مع ضعفه وازدادت حاجته لابنته،[1] والرجل إذا كبر فإنه يحتاج إلى أبنائه للقيام عليه وخدمته، والاهتمام به،

---

[1] قال القرطبي رحمه الله تعالى في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ وإذا تنزلنا على القول بأن المراد بالخطاب في العضل الأولياء ففقهه أنه متى صح في ولي أنه عاضل نظر

والبنت غالبا قد ترضى بذلك أو قد تتبرم بخدمة أبيها وبحبس نفسها عليه، لأن هذه الخدمة لا تنتهي إلا بوفاة هذا الشيخ، وقد تعكس هذا التبرم والتضجر على صفحات وجهها وفي فلتات لسانها، لذا قال أب يستعطف ابنته:

ألا يا ابنتي لا تتركي أباك ... ولا تطيعي فيه من نهاك
عن بره أو ترقبي حماك ... واخشي من الله الذي براك
ثم اشكري الله ما أعطاك ... فطال ما بنفسه وقاك
واقتحم الأهوال من جراك ... لو يستطيع فدية فداك[1]

وهذا الحبس والتأخير لزواج البنت يسميه الفقهاء العصرة[2] وكل شيء منعته، فقد عصَرْته. سُئل القاسم بن مُخَيْمِرَة عن العُصْرَة للمرأة، فقال: لا أعْلَم رُخّصَ فيها إلاّ

القاضي في أمر المرأة وزوجها. إلا الأب في بناته؛ فإنه إن كان في عضله صلاح فلا يعترض، قولا واحدا، وذلك بالخاطب والخاطبين وإن صح عضله ففيه قولان في مذهب مالك: أنه كسائر الأولياء، يزوج القاضي من شاء التزويج من بناته وطلبه. والقول الآخر – لا يعرض له. [تفسير القرطبي (طبع دار الحديث)، ج٥ ص ١٠٢]

(١) الحماسة البصرية ج ٢ ص ٤٠٤

(٢) امرأة في السابعة والثلاثين من عمرها. تعمل اختصاصية اجتماعية. تشرح سبب عدم زواجها حتى الآن بقولها: في أثناء دراستي في الجامعة، وأثناء عملي بعد تخرجي. تقدم لي كثير من الشباب الذين يرغبون في الزواج مني. ورغم ارتياحي إلى بعضهم، وعدم رفضي لهم،– فقد كانوا ذوي ثراء أو منصب علمي– ورغم قدرة الكثيرين منهم على تكوين أسرة والإنفاق عليها، فإنني كنت أرفض هذه الفرص للزواج حرصا على والدتي المريضة، التي لم يكن لها أحد غيري، لأن شقيقاتي صغيرات وغير قادرات على رعايتها من بعدي، بل كن هن في حاجة إلى من يرعاهن. لهذا رفضت الزواج في سن

للشيخ المَعْقُوفِ المُنْحَنِي[1] العُصْرة ها هنا: منْع البنْتِ من التَّزويج، وهو من الاعْتصار: المَنعِ، أراد ليسَ لأحد مَنْعُ امرأةٍ من التزويج إلا شيخٌ كبيرٌ أعْقَفُ له بنت وهو مُضْطَرٌّ إلى اسْتِخْدامها.[2]

٤ـ **الوضع الاجتماعي**:

دقة الأصل والوضع الاجتماعي مشكلة عويصة من مشكلات طبقات المجتمع وتفاوتها، فالناس لا يدعون الفخر بالآباء، والطعن في أنساب الآخرين، مع أن هذه الأمور من صفات الجاهلية البغيضة المقيتة التي نهى الإسلام عنها، عن أَبِي سَلَّامٍ أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ.[3]

فالناس كلهم من آدم وآدم من تراب فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ

مبكرة حتى تكبر شقيقاتي ويصبحن قادرات على رعاية والدتنا بعد زواجي وتركي منزل أسرتي.(مقال بعنوان: يتأخر زواجهن لأنهن غير أنانيات! غير متزوجات ولكن سعيدات لمحمد رشيد العويد)

[1] العَقْفُ: العَطْف والتلْوِيةُ. والأعْقَفُ: المنْحَني المُعْوَجّ.والشيخ المَعْقُوف أي الذي انْعَقَفَ من شدَّة الكِبَر فانْحنى واعْوجّ حتى صار كالعُقَافةِ، وهي الصَّوْلَجانُ.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عقف}]

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عصر} / لسان العرب، مادة: عصر

[3] مسند الإمام أحمد: مسند أبي مالك الأشعري ، حديث رقم : ٢١٨٢٩

وفاجرٌ شقيٌّ أَنْتُم بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ.[١]

والكفاءة تتوفر في الدين والخلق، كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ[٢] عَرِيضٌ.[٣]

إلا أن المجتمعات لها نظرات خلاف ذلك، فيرون أن بعض الأقوام والملل والشعوب دون بعض، وأن القبائل تتفاوت تفاوتا واضحا بينها، وأن بعضهم لا يصاهر

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب: في التفاخر بالأحساب، حديث رقم: ٤٤٥٢/ مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة، حديث رقم: ١٠٣٦٣

(٢) قوله: (إذا خطب إليكم) أي طلب منكم أن تزوجوه امرأة من أولادكم وأقاربكم (من ترضون) أي تستحسنون (دينه) أي ديانته (وخلقه) أي معاشرته (فزوجوه) أي إياها (إلا تفعلوا) أي إن لم تزوجوا من ترضون دينه وخلقه وترغبوا في مجرد الحسب والجمال أو المال (وفساد عريض) أي ذو عرض أي كبير ، وذلك لأنكم إن لم تزوجوها إلا من ذي مال أو جاه ، ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج. وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الافتتان بالزنا، وربما يلحق الأولياء عار فتهيج الفتن والفساد. ويترتب عليه قطع النسب وقلة الصلاح والعفة . قال الطيبي : وفي الحديث دليل لمالك، فإنه يقول لا يراعى في الكفاءة إلا الدين وحده. ومذهب الجمهور : أنه يراعى أربعة أشياء الدين والحرية والنسب والصنعة ، فلا تزوج المسلمة من كافر ، ولا الصالحة من فاسق ، ولا الحرة من عبد، ولا المشهورة النسب من الخامل ، ولا بنت تاجر أو من له حرفة طيبة ممن له حرفة خبيثة أو مكروهة، فإن رضيت المرأة أو وليها بغير كفء صح النكاح كذا في المرقاة. (تحفة الأحوذي ج ٤ ص ١٧٣)

(٣) سنن الترمذي: كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: بَاب مَا جَاءَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، حديث رقم: ١٠٠٤

أقواما ولو صاروا يحبونه كل يوم دنانير ذهبا، رغم أن المعروف في الزواج أن الزوج هو الذي يدفع المهر، ويحبو امرأته، ولكنه عكس الأمر فقال:

ما سرني أني من بني أسد وأن ربي ينجيني من النــار

وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار[1]

أما تزويج هؤلاء الأشراف بناتهم لهؤلاء الرجرجة والدهماء فدونها خرط القتــاد، ولو أراد بعض الناس أن يتزوج من أصحاب الدقة والقلة فإن المجتمع لا يتركه وشــأنه، ولا يترك من تزوجها وما أرادت ولا يبارك لها ما اختارت، بل يسخر منهم ويســتهزئ بهم، قال عروة بن الورد في امرأة تزوجت عبدا لفقرها:

أمن حذر الهزال نكحت عبدا وصهر العبد أقرب للهزال[2]

وأهل الدقة يرغبون أن يتزوجوا بمن هن فوقهم نســبا ومكانــة ولونــا[3] وأن يزوجوا بناتهم بمن هم فوقهن فبنات نصيب وهو عبد نوبي، صرن مثلا للبنت يضــن بهــا أبوها فلا يرضى من يخطبها، ولا يرغب فيها من يرضاه لها.فقد كن لفقرهن وســوادهن يرغب أبوهن في البيضان ويرغب بهن عن السودان، ويرغب البيضان عنهن والســودان فيهن وعكس ذلك لعمر بن عبد العزيز عندما سأله عن حاله فقــال: كــبر ســني ورق عظمي، وبليت ببنات نفضت عليهن من لوني، فكسدن علي فبكى عمر من قوله.[4]

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٦٥

[2] كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ج٣ص١٢٣٥

[3] انظر قصة نصيب وتزوجه من بيضاء في الخلافات بين الزوجين ص

[4] محاضرات الأدباء ج٢ص٣٢٦

وأهل البيوتات يوصي بعضهم بعضا بعدم الزواج من أصحاب الدناءة والقلة،[1] لأن اختيار الزوجة ابتداء له ما بعده، فقد يكون حسن الاختيار سببا في نفاق سوق بناتك وسوء الاختيار سببا في بوارهن وتعنيسهن وفي عدم نجابة أولادك، [2] فلتتنبه لذلك.

ويستنكف علية القوم وأشرافهم ووجهاؤهم من تزويج بناهم من أصحاب الدقة، وإن اغتنى أصحاب الدقة وافتقر ذوو الشرف، مؤثرين الفقر والجوع على الإتيان بمثل هذه السبة وفعل هذه المذمة والعار في نظرهم ونظر مجتمعهم.

ومن أمثلة ذلك: أنه لما حضرت الوفاة سعيد بن العاص قال لبنيه وكانوا ثلاثة عمرو بن سعيد الأشدق وأمية وموسى فقال لهم: من يتحمل ما علي فبدر ابنه عمرو هذا وقال: أنا يا أبة وما عليك قال: ثلاثون ألف دينار قال: نعم قال: وأخواتك لا تزوجهن إلا بالأكفاء[3] ولو أكلن خبز الشعير قال: نعم قال: وأصحابي من بعدي إن فقدوا وجهي فلا يفقدوا معروفي قال: نعم قال: أما لئن قلت ذلك فلقد كنت أعرفه من حماليق وجهك وأنت في مهدك.[4]

وقال أبو العيناء: خطب رجل دنئ إلى شريف قد مسته حاجة، فأنشأ يقول:

---

(1) انظر الخلافات بين الزوجين ص

(2) انظر الخلافات بين الزوجين ص

(3) قال ابن كثير: ذكر ابن عساكر أن زياد بن أبي سفيان بعث إلى سعيد بن العاص هدايا وأموالا وكتابا ذكر فيه أنه يخطب إليه ابنته أم عثمان من آمنة بنت جرير بن عبد الله البجلي فلما وصلت الهدايا والأموال والكتاب قرأه ثم فرق الهدايا في جلسائه ثم كتب إليه كتابا لطيفا فيه بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ والسلام.[البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ٨ ص ٨٢]

(4) البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ٦ ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠

قل للذين سعوا يبغون رخصتهـا ما أرخص الجوع عندي أم كلثوم
الجوع خير لها من بعل منقصـة ساقت أباهـا إليه جلة كـوم[1]

ويبالغ بعض أفراد المجتمع في رفضهم واستنكافهم من تزويج ممن يرون أهم دوهم مترلة ولو كانوا حكاما وكان أهل البنت سوقة، وهددهم هذا الملك أو الحاكم وأوعدهم بأن ينالهم بعذاب وقتل وتشريد واستئصال فإنهم لا يفعلون ما يريده هذا الملك ويطلبه منهم ولا يتلطخون بما يرونه يغض من مكانتهم ويمرغ مترلتهم ويدني غرورهم حتى وإن تسبب ذلك الرفض في استئصال شأفتهم وهلاكهم، قال الأَسود بن يعفر:

ما بَعدَ زَيْد في فَتاةٍ فُرِّقُـوا قَتلاً وسَبْياً، بَعدَ طُولِ تَآدي
في آلِ عَرْف لَوْ بَغَيْتَ الأسى لَوَجَدْتَ فيهم أُسوةَ العُـوَّادِ
فتَخَيَّرُوا الأَرضَ الفَضاءَ لِعِزِّهِمْ ويَزيدُ رافِدُهُمْ على الرُّفَّادِ

قال ابن الكلبي: هؤلاء قوم من بني حنظلة[2] خطب إليهم بعض الملوك جارية يقال لها أُم كَهْف فلم يُزوِّجوه، فغزاهم وأَجْلاهم من بلادهم وقَتلهم؛ وقال أَبوها:

أَبَيْتُ أَبَيْتُ نِكاحَ المُلُـوك كـأَني امْرُؤٌ منْ تَميم بن مُـرْ
أَبَيْتُ اللِّئـامَ وأَقْلِيهـمُ وهل يُنْكِحُ العَبْدَ حُرٌّ بن حرْ؟[3]

والمجتمع لا يسمح بزواج المرأة الصلبية من الرجل الهجين وأهلها أشد للهجين رفضا وأكثر نفورا وإعراضا عن التلطخ بالاقتران به والمرأة غالبا لا توافق عليه ولو

---

[1] البصائر والذخائر مجلد٣ ج٤ص٣١٧

[2] قال الجوهري: خطب بعض الملوك إلى زيد بن مالك الأصغر ابن حنظلة بن مالك الأكبر أو إلى بعض ولده ابنته يقال لها أم كهف. قال: وزيد ههنا قبيلة.

[3] لسان العرب، مادة: فتا

جلست من غير زواج، لأنها تعير بذلك قالت هند بنت النعمان بن بشير في زوجها روح بن زنباع:[1]

وهل هند إلا مهـــرة عربيـــة سليلـة أفـــراس تجللهـــا نَغْـــل
فإن نُتجتْ مهرا كريما فبالحَـرَّي وإن يلك إقراف[2]فقد أقرف الفحل[3]

فعلى من يصنفهم المجتمع ويصفهم بأنهم من أهل الدقة والقلة السمو بأنفســـهم والعلـــو والارتقاء بها والتمسك بالدين والخلق ورفع الكفايات والمقدرات المالية والعلمية المتوفرة لهم والمتاحة لديهم حتى يرغب فيهم علية القوم وأشرافهم، حتى يكونوا أفضل بكثير من نطايح ومترديات وموقوذات علية القوم.

٥ ـ عدم البحث عن زوج للعانس أنفة وكبرا :

بعض الآباء يكون له بنات قد كدرن حياته، ونغصن لذاته، وشيبن رأســـه قبـــل أوانه، وحنين ظهره، وأضعفن قوته، بكثرتهن وكسادهن وعدم قيام سوقهن ونفاقها، وهو مع كثرة معارفه ورموق مكانته وعلو منزلته في المجتمع وغناه يستحي أن يطلب من أحـــد الشباب الذين يرضى دينهم وخلقهم أن يتقدم لطلب يد ابنته، فيعرض عليه ابنته وأنـــه

(١) كان روح بن زنباع سيد يمانية الشام يومئذ وقائدها وخطيبها ومحربها وشجاعها ، وإنما قالت لـــه ذلك لأنه كان مسه يوم المرج أسر، وقيل بل مسه قبل ذلك في حرب غسان فافتدى فقالت له قـــول العربية الشريفة للمولى وعيرته بالإقراف .(سمط اللآلي في شرح أمالي القـــالي للبكـــري ، ج ١ ص ١٧٩)

(٢) القراف : المداناة والمماسة ، ومن هذا قيل للجماع : قراف.

(٣) الهجنة والإقراف في الخيل ، فالهجنة إنما تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليســـت كذلك كان الولد هجينا. والإقراف من قبل الأب ، فإذا كانت الأم من العتاق والأب ليس كـــذلك كان الولد مقرفا.

يرغب فيه ويعتبره مثل ولده وأنه لا يطالبه بشيء وأنه سيسكنه معه وإن أحب أن يعمل معه فبها ونعمت وإن أحب أن يعمل لوحده فلنتعاون جميعا، وأن يشرح له أن غرضه من سكناه معه أن يحافظ على ابنته التي يزوجها له وأخواتها وأن يرعاهن.

كما أن الأخ لا يبحث عن زوج لأخته حياء من القيام بمثل هذا الفعل أو تأثرا بمفاهيم غربية ترى أن في مثل هذا التصرف تخلفا وعدم مواكبة للعصر.

فأب مثل هذا وأخ لا شك أنه لا يفكر في العوانس الأخريات من بنات إخوانه وأخواته ومجتمعه، فهو يستحي من البحث عن زوج لبناته أنفة وكبرا، فلا شك أن أنفته ستزيد عند العوانس الأخريات.

والبحث عن الزوج شيء مشروع بل هو أمر عادي لا غبار عليه ، فقد كان السابقون يبحثون عن أزواج لمولياتهم وما قول الرجل الصالح لنبي الله موسى ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1] وما قول عمر لأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر،[2] وما قول أم حبيبة بنت أبي

---

[1] سورة القصص الآيات ٢٧

[2] انظر ص من هذا الكتاب.

سفيان رضي الله عنها : يا رسول أنكح أختي بنت أبي سفيان،[1] وما قول الصحابي لمجاهد بن جبر: أما إن عندنا جارية أما إنها عوراء.[2] وغيرها من القصص المبثوثة في دواوين السنة وكتب التراجم ببعيدة عنا.

وإنصافا لبعض الآباء والإخوان فإنهم قد يستنكفون عن البحث عن أزواج لبناتهم[3] ولأخواتهم وينشطون في البحث والسعي عن أزواج لغيرهن من الفتيات والنساء الأخريات وذلك حياء من مسبة البحث لبناتهم وأخواتهم.

٦ ـ عدم وضع عنوسة الأولاد في الاعتبار :

يكون هاجس الأسر وشغلها الشاغل الاهتمام ببناتها من تزويج، وإنفاق سوق، وتأمين مستقبل طمعا في مجيء سعيد حظ لهن. وأما الأولاد فيرون أنه لا مشكلة لديهم، وأنهم سيتزوجون متى شاءوا وبمن شاءوا ولذا فلا تضع الأسر عنوسة أبنائها في الاعتبار، فهم رجال وأمرهم بيدهم ويتزوجون متى أرادوا، لا يعوقهم عائق ولا يقف في طريقهم شيء ولا يحول بينهم وبين الزواج حائل، ولكن المهم هو زواج البنات.

وتمضي الأيام والشهور، وتتعاقب السنون والأزمان والدهور ولا يطرق الباب طارق خاطبا للبنات أو قد يتزوج بعضهن ـ إن كن كثر ـ ويبقى الولد منتظرا تصريفهن جميعا. ويتجاوز الولد سن الزواج المتعارف عليها في المجتمع ، والتي يصعب

---

[1] صحيح البخاري : كتاب النكاح باب ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴾ فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١١ص٤٤/ صحيح مسلم : كتاب النكاح باب : تحريم أخت المرأة والربيبة مسلم بشرح النووي ج٤ص١٦٥

[2] انظر الأدب المفرد للبخاري ص ٢٣٦

[3] من أمثال المصريين : اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك.

بعدها التغلب عليها وقد يتخطاها الفتى بمراحل، فيصعب عليه بعد ذلك أن يتزوج فتبرد حرارته ومطالبته بالزواج بل يتهرب ممن يطلب منه الزواج أن يفاتحه في أمره، ويكيف نفسه على ذلك وينفق زهرة عمره ويفني شبابه في عدم الزواج.

بل نجد بعض الأسر ذوات البنات إذا أراد أحد أبنائها أن يحصن نفسه وأن يتزوج، وأن يكون له أسرة يواجهونه بصرامة وقسوة بأنه أناني لا إيثار له فأخواته لم يتزوجن ولم ينفق سوقهن فما العجلة له.

فعلى الأسر أن تعلم أن أمور الزواج مقدرة ومسطرة، فإن أخفقوا في زواج بناهم مع سعيهم نحو تزويجهن من توفيرِ سكن ووضع مغريات ولكنهم مع ذلك لم يوفقوا عليهم أن يزوجوا أولادهم ، حتى لا تفقد الأسر زواج أولادها مع فقدها زواج بناها.

٧ـ التاريخ السيئ للعائلة :

الموصون بالزواج يوصون غيرهم أن يختاروا المرأة ذات الأصل الطيب، والأسرة المعروفة كما أن السنة حثت على مراعاة هذا في اختيار المرأة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا [١] وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ. [٢]

---

[١] قال ابن الأثير : ومنه حديث عبد الملك بن عُمَير :السَّوْآءُ بنتُ السَّيد أحبُّ إليَّ من الحَسْنَاء بنْت الظُّنُون. أي المُتَهَمَة.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ظنن}/ لسان العرب، مادة: ظنن]

[٢] صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين، حديث رقم: ٤٧٠٠/ صحيح مسلم: كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين ، حديث رقم : ٢٦٦١

والذين يرغبون في تكوين علاقة مع بعضهم بعضا يراعون فيها الأحساب، فأهل الأحساب إن لم يكن لهم دين، لهم أحساب يخافون عليها[1] ويخشون مغبة الاستطالة عليها ويرهبون لوم الآخرين لهم ولذا يحرصون إلا يأتي أحدهم بسبة تسيء إلى عشيرتهم وقد يبلغ الخوف من مسبة العشيرة والخوف من لومها أن يأتي الرجل خلاف ما يعتقد وفعل ما يعلم خطأه، ولذا كان الخوف من مسبة العشيرة سببا في كفر كثير من المشركين، ونمثل لذلك بأبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، الذي قال معللا سبب كفره:

فوالله لولا أن أجيء بسبة   تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة   من الدهر جدا غير قول التهازل
فأصبح فينا أحمد ذو أرومة   تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته   ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره   وأظهر دينا حقه غير باطل[2]

وقد يكون تاريخ الأسرة سببا في عنوسة ابنتهم ، فإذا عرفت الأسرة بسوء الأدب وإساءة معاملة الآخرين، أو يكون أفرادها شراب خمر وزناة وقتلة ومجرمين ومستعملي مخدرات أو مروجيها فهذا يؤثر تأثيرا بالغا على زواج أختهم أو ابنتهم أو قريبتهم ويكون سببا في صدوف كثير من الأزواج عنها.

---

[1] قال عمر بن عبد العزيز لرجل : أشر عليّ فيمن أستعمل. فقال أما أرباب الدين فلا يريدونك ــ أي لا يسألونك الرياسة ــ وأما أرباب الدنيا فلا تردهم، ولكن عليك بالأشراف، فإنهم يصونون شرفهم عما لا يصلح. [صيد الخاطر لابن الجوزي، المكتبة العلمية، بيروت، (ب.ت) ص ٢٥٧]

[2] انظر : البداية والنهاية لابن كثير مجلد٢ ج٣ص٥١ـ٥٥

فالرجل يريد امرأة إذا اختلف معها يكون له ما يرجع إليه من أب يهاب، وأخ يخاف وعم يحترم وعشيرة لها أثر عليها فلو كان الأب سارقا وكان الأخ مدمنا للخمور أو متعاطيا للمخدرات، وكان العم مجرما وكذلك أخواتها من الفتيات لهن أخلاق سيئة وسلوك مبتذل وقد تجمع هذه العائلات مع هذا السلوك، الحشف وسوء الكيلة فتكون مع إجرامها لهم سلاطة اللسان وبذاءة الأقوال والتسبب في الأذى بالأيدي وقد يكون لهم تجارب زواجات سابقة فاشلة، ومن ثم يحجم الأزواج عن الاقتران بواحدة من فتيات هذه الأسرة حتى لو جمعت الواحدة منهن الملاحة وكثيرا من محفزّات الرجال ومحبباتهم تجاه النساء، فهن من خضراء الدمن كما أن الناس يرغبون عن إعطاء أحد أفراد هذه الأسر السيئة إحدى فتياتهم فصلاح الفرد يصلح ذريته وإخوانه وأخواته وأبويه وأهله وعشيرته وأقاربه وفساده يكون سببا في إفساد من سبق ذكره وعنوسة قريبة من قريباته.
قال محمود الوراق:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويعديهم داء الفساد إذا فسد
يعظم في الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد[1]

٨ـ تقصير الأسرة في تربية وتعليم الأبناء :

كثير من الأسر لا تهتم بتربية أبنائها وبناتها وتطلق لهم الحبل على الغارب فالبنات يدخلن ويخرجن كما يشأن ويأتين في أوقات متأخرة من الليل يفعلن كل هذا ولا حسيب ولا رقيب ، ويلبسن ما يشأن من اللباس الضيق والقصير، وتكون الأسرة مع هذا التقصير منتظرة أولاد الحلال ــ كما يقولون ــ ليتزوجوا فتياتها، وأبناء الحلال لا يرغبون في هذا الصنف من الفتيات مهما كان لهن من الجمال والتعليم ومهما سمون في

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (تحقيق قميحة) ج ٢ ص ٢٦١

مراقي العز والمكانة، فانحلال الأسر وتفككها سبب رئيس من أسباب عنوسة فتياتها وإهمال آباء الفتيات لهن وعدم اهتمامهم بتربيتهن سبب في بوارهن.

كما أنها سبب في رغبة كثير من أهل البيوتات عن إعطاء بناتهم واقترانهم بأبناء أمثال هذه الأسر. فتقصير الأسر يتسبب في عنوسة بناتها وأولادها على السواء فأهل الدقة المتوارثة والأخلاق السيئة يتقيهم الناس وينأون عنهم ويربئون عن القرب منهم، قال بعضهم: سألت ناسا من أهل اليمن: إلى من أنكح؟ فقالوا : اتق الدقة المتوارثة وأنكح إلى من شئت. قلت: وما الدقة المتوارثة؟ قالوا: أخلاق سيئة يرثها آخر عن أول.[١]

فيا أيها الأب وولي أمر الفتيان والفتيات اهتمامك بتربيتهم سبب رئيس لنفاق سوقهن والتسابق والتهافت عليهن، وسبب أساسي لاشرئباب أعناق أصحاب البيوتات لربط الصلة بك ورغبتهم في أن يتزوج أحد أبنائك إحدى بناتهم.

٩ـ إصرار الأسرة على زواج الفتى من فتاة معينة ورفضه لذلك:

بعض الأسر تصر على أن يتزوج ابنها فتاة بعينها ويكون الدافع لهم لهذا الاختيار أن تكون بنت أخ الزوج أو بنت أخته أو بنت أخ الزوجة أو بنت أختها أو أن من عادة هذه الأسرة أن لا يتزوج أفرادها خارجا منهم فهم ممن قرمهم العز والشرف فأضواهم: قال الشاعر:

(١) تحفة العروس للتجاني ص٦٧

قرمه العز وأضواه الكرم

قال أبو عبيد يعنى أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا في أهله فجاء ولده ضاويا. وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: مالي أراك ضعيفا نحيفا وصغير الحجم قليلا مهزولا؟ قال: قرمني العز.[١]

فهؤلاء القوم يرون أن العز ارتفع بهم وكرم الأرومة والأصل نبا بهم دون غيرهم فلا يتخطون بنات عمهم إلى غيرهن من الهجينات والنساء الغريبات. أو قد يكون سبب اتخاذ هذه الفتاة المعينة والإصرار عليها لأن أبويها صديقان حميمان للأسرة وهما يريدان أن يروهم بعض جميل الآثار من هذه الصداقة فيطلبون من ابنهم أن يتزوج بابنتهم ولا يتعداها لغيرها وقد تكون هذه الفتاة المختارة ليست على درجة كبيرة من الجمال ويفوقها غيرها كثيرات في الأدب والأخلاق الحسنة أو قد تكون جميلة مؤدبة ولكن الولد لا يرغب فيها وأن الذي جعله يزهد فيها ويرفض الزواج منها هو اختيار والديه وإرغامه عليها وأنهما قد جرحا كبرياءه ومرغا غروره في التراب وأنهما يحركانه كقطعة الشطرنج فيختاران له ويزوجانه ويمكن أن يطلقا عنه ويفرقا بينه وبين من زوجاه بها إن تعثرت خطا زواجهما وبقي عليهما أن يدخلا بزوجته بدلا منه ويصر الوالدان على هذه الفتاة ويحاول الابن إثناءهما عن عزمهما وتغيير رأيهما من غير جدوى فإذا يئس الفتى من إقناع والديه بالعدول عن هذه الفتاة التي اختاراها له ورفضا غيرها ممن اقترحها الابن عليهما فإنه قد يعزف عن الزواج ويرفضه جملة وتفصيلا.

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق الدكتور محمد مرسى الخولي الطبعة الرابعة مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م ص١٥

فعلى الآباء أن لا يرغما أحدا من أبنائهما على زوجة لا يريدانها وليس على الابن أن ينصرف عن الزواج لأنه لا يلزمه طاعة أبويه في هذا الأمر ولكن عليه مراعاة شعورهما ومداراتهما.

١٠ـ عدم ترحيب الوالدين بزواج الابن بل رفضهما له بحجة أنه لم يقدم لهما شيئا:

قد يتخرج شاب حديثا في الجامعة ويرزقه الله عملا يرتزق منه فيفكر هذا الشاب في إحصان نفسه وإعفافها ويخبر أبويه برغبته في الزواج ويختار فتاة يعرضها عليهما أو يطلب منهما أن يرشحا له فتاة معينة صفاتها كذا وكذا ويعطيهما رغبته الخاصة في الشروط التي يرغب توفرها في شريكة حياته غير الشروط التي يتفق عليها بنو البشر من كرم الأرومة، ونبل المحتد ، والجمال وحسن الخلق فيرفض أبواه طلبه جملة وتفصيلا لأنهما يريانه أنه قد استعجل في زواجه، وأنه لم يقدم لهما شيئا وأنهما قد تعبا في تربيته وشقيا في تعليمه حتى بلغ ما بلغ من مرحلة سامية يجني ثمارها ويقترف مجانيها ويتقلب في نعيمها الآن، وأنه فكر في نفسه ولم يقدم لهما أي شيء وأنه يريد أن يتزوج وأن يكون أول نفعه وخيره لغيرهما وأن تناله هذه البنت ــ الزوجة الجديدة ــ التي عانت كل حياتها هي وأهلها من البؤس وشظف العيش فهذا الذي تفكر فيه الآن يا غلام[1] عليك أن تستحي منه فهو لن يكون ولن نرضى به أبدا.وقد يذهب الأبوان أبعد من ذلك فيهددانه بعدم العفو عنه، إن هو أقدم على الزواج في هذه الفترة، فيحجم الشاب عن الزواج ويرفضه جملة وتفصيلا وتعزف نفسه عنه.وليست هذه عادة مطردة في كل الآباء بل هي ظاهرة قليلة ذكرناها للتنبيه عليها والإشارة إليها لأن الغالب على الآباء أن يساعدوا أبناءهم

(١) ومن ثم يصير ابنهما غلاما بعد إن كان مهندسا كبيرا أو طبيبا مشهورا أو أستاذا يشار له بالبنان.

على زواجهم ، فالأب يربي ابنه ويعلمه ويساهم في زواجه إن لم يقم به كله بل يساعد ابنه بعد زواجه كذلك[1] ويسكنه معه في بيته.

فعلى الابن الذي يطلب منه أبواه إرجاء زواجه وتأخيره الآن أن يقول لهما: إني قد أرجأته وأخرته بل صرفت عنه النظر الآن وأنا لا أعصي لكما أمرا وإن أمرتماني بعدم الزواج طول عمري وأن أجلس من غير زوجة فعلت فيرضيهما ويشبع غرورهما بهذا الكلام وأشباهه ويمكنه بعد فترة قصيرة من الزمن أن يسألهما عن رأيهما في أن يختارا له زوجة تسعده وتكون له سكنا وتعيش معهما في البيت فتكون لهما ابنة مطيعة وخادمة سميعة. فيقبل الوالدان بهذا الطلب غالبا بل يتوليا أمر زواج ابنهما وإن حدث أن اختارا له فتاة لا يرغب فيها صرف فكرهما عنها بصورة لا تجرح شعورهما لأن الوالدين مما لا شك فيه أن راحتهما في راحة أبنائهما وهما يسعيان لها ويعملان من أجلها ولكن لهما آراء قد تكون صائبة وقد تكون خاطئة في زواج الأبناء من اختيار الزوجة إلى التدخل في المبادرة بالزواج أو تأخيره ريثما يريان أن ابنهما أسدى إليهما بعض حقهما عليه.

---

[1] قال سعيد بن العاص: إذا علمت ولدي القرآن وحججته وزوجته فقد قضيت حقه وبقي حقي عليه.[الخطب المنبرية للسدحان، ص ٢١]

الفصل الثالث

أسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات

١ ـ مواصلة التعليم والانشغال بالدراسة

٢ ـ القبح والدمامة

٣ـ العاهات والإعاقات

٤ ـ الزهد في الزواج

٥ ـ مقارفة الفاحشة والفساد الخلقي

٦ ـ الغلو في اختيار شريك الحياة

٧ ـ الوفاء لزوج أو عشيق

٨ ـ وجود بنات بالبيت لم يتزوجن

٩ ـ وجود أطفال

١٠ ـ الطلاق

١١ ـ كثرة اللقاءات بين الخطيبين

١٢ ـ جواز سن الزواج والغفلة عن العنوسة

١٣ ـ العقم

الفصل الثالث

أسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات

مما ينبغي التنبيه عليه وأنه لن يفوت على فطنة القارئ الكريم أن بعض الأسباب التي سيرد ذكرها أسباب مباشرة من أسباب العنوسة، وأخرى ليست أسبابا مباشرة لها كما أنه سيرد بعض الأسباب التي تكون ضحاياها نساء غير متزوجات من مطلقات وأرامل ومعلقات ومغيبات ورافضات للزواج عازفات عنه لسبب أو لآخر وهن في حقيقة الأمر من غير العوانس لأن العانس هي التي لم يسبق لها الزواج من قبل ولم تذق عسيلته وترغب فيه ولكني ألحقت هؤلاء النسوة بالعوانس لأنهن حاليا ليس لهن أزواج وهن ينتظرن في قطار المنتظرات للزواج أو عودة الأزواج والمجتمع لا يصنفهن من العوانس وإن كان النسوة اللاتي لم يتزوجن من قبل هن العوانس البائسات الحقيقيات الحريات بكل عطف المستحقات لكل عون ومساعدة فعلى الجميع استشعار مشاكلهن والمساهمة في حل معضلاتهن وأسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات عدة منها:

١ـ مواصلة التعليم والانشغال بالدراسة:

أولا: ـ مواصلة التعليم عند الفتاة:

بعض البنات لهن هوس بالتعليم وتعلق شديد به ـ ويكون ذلك غالبا عند غياب المرشد العاقل الأمين الذي بإمكانه أن يوضح للواحدة منهن أنها يمكن لها أن تتزوج وتواصل تعليمها بعد ذلك ـ فتنسى البنت أو تتناسى في خضم دراستها الجامعية أنها امرأة تحتاج إلى زوج تعيش في كنفه وتستظل تحت ظله وتحتمي بحماه ورغبتها في أطفال تنعم بمداعبتهم والفيض عليهم من حنانها، وتظن أنها لم تزل طالبة، مما يوحي لها ويوعز بصغرها، فتلبس ملابس الطالبات، وتحمل حقائبهن، رغم أن طالبة الصف الخامس والسادس في المرحلة الابتدائية جديرة أن تكون في سن الزواج والمقدرة على الإنجاب،

ويكون هم البنت وشغلها الشاغل الحصول على الشهادة الجامعية لظنها أن في حصولها عليها السعادة الكاملة، لأن للناس أراء في السعادة أجملها لنا الشيخ محمد صادق عرنوس رحمه الله تعالى في قوله:

أعيى الورى فهم السعادة كل يحملها مراده
قالوا بأن وجودها في المال مضطرد الزيادة
والبعض يحسبها نياشين تعلق أو قلادة
ويجيبك التلميذ لا إن السعادة في الشهادة
يا ويحهم جهلوا أمرها إن الله عرفها عبادة
لغز بسيط حله أن تقوى القلوب هي السعادة

وإن حدث أن تقدم للفتاة في هذه الفترة ــ فترة الدراسة ــ خاطب وطالب ليدها فإنها سترفض بشدة متعللة بضرورة إكمال هذه الفترة ونيل درجة الليسانس أو البكالوريا لأن المرأة لابد لها من شهادة تحفظ بها حقها، وتؤمن مستقبلها خوفا من توقع حدوث أشياء مع زوجها، فإن حدث أن طلقت فشهادتها هذه تحفظ لها المطالبة بحقوقها من زوجها وحق العمل وتؤمنها من نوائب الدهر وغوائل الزمان وتقلباته، ومع ما في هذا الأمر من توقع السوء قبل حدوثه وسوء الظن بالله عز وجل فإنه يعطي طابع الندية من المرأة لزوج لم تعرفه ولم تعاشره فهو بمثابة إعداد الشفار للذبيحة قبل ذبحها وتجهيزها ناسية هذه البنت أو متناسية أن أمها وجدتها وخالتها أفضل منها وأنهن نجحن في حياتهن الزوجية رغم قلة تعليمهن، بدليل أنهن أنجبن مثلها، فيا أختاه إن مدرسة الحياة الزوجية لها علم خاص لا يتلقى غالبا في المدارس، بل يؤخذ عن تجارب السابقين من الأزواج والزوجات الناجحين وغيرهم من المخفقين في تجاربهم الزوجية.

وبعد حصول البنت على الشهادة الجامعية تتوقع أن تكون سوقها قائمة وأن يكون طلب الأزواج عليها أكثر تزايدا من حال كونها طالبة، وأن الخطاب سيتهافتون عليها تهافت الذباب والحشرات على النار، فعليها أن تذب من شاءت منهم وأن توافق على من تشاء، وأنهم سيقتتلون للفوز والظفر والاقتران بها فما عليها إلا أن تنتقي وأن تختار من المتيمين بها، فهي الآن قد صارت لها شهادة عليا في الدنيا تساعد في أن يكون لها دخل يسهم في تكوين البيت ومساعدته وأن يكون لها دور قيادي ريادي فيه وتنسى هذه البنت أن الليل والنهار قد عملا عملهما فيها، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن غدا من اليوم قريب، ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر.(١) ونزيد من عندنا: وما أسرع الشهور في السنوات، وما أسرع ما تدني السنوات من الشيخوخة والممات.

ولتعلم البنت إن المتقدمين من الأزواج كما يرغبون في الجمال والعلم فكذلك يرغبون في صغر السن ويولونها عناية خاصة لأن الزواج استثمار بشري فليستثمر المرء في فتاة غضة طرية، تسمع كلامه وتطيعه وتمتعه ولا يخاطر باستثماره في فتاة ترى نفسها أنها ليست دون بعلها في قليل وأن الحياة الزوجية اتفاق بين طرفين متكافئين، مع أنه ليس بينها وبين سن اليأس سوى القليل كما علل أحدهم رفضه لفتاة كما سنرى في هذا الكتاب.(٢)

---

(١) الإدارة في التراث الإسلامي مع حكم وأمثال للمسئولين ورجال الأعمال، الدكتور: محمد بن عبد الله البرعي، والدكتور: عدنان بن حمدي عابدين، مكتبة الخدمات الحديثة . المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م، ص ٢٨٨

(٢) انظر ص   من هذا الكتاب.

ويرى الرجال أن الفتاة الغرة الساذجة هي من أجل الرغبات وأعظم الغايات وأن السلفع الجريئة من الفتيات هي من مبغوضات النساء عند الرجال، وأهن قد أصبنهم بالصداع والزكام والغثيان في الجامعات والمكاتب.

ولتعلم المرأة إن المتقدمين يفكرون تفكيرا جادا في بنات المرحلة المتوسطة والثانوية لأسباب عدة، فعلى طالبة المرحلة المتوسطة والثانوية أن تفكر في الزواج وألا ترفض من يتقدم لطلب يدها متعللة بمواصلة إكمال مشوار تعلميها، فلتوافق على المتقدم ولتتزوجه إن كان مناسبا ويمكنها أن تتزوج وأن تواصل تعليمها بعد زواجها إن شاءت.

وليس المقصود أن تجلس البنت في البيت وتنتظر الأزواج، بل لتواصل تعليمها بعد مراعاة الجوانب الشرعية فيه من عدم اختلاط وتبرج والتزام بالحجاب كما ينبغي أن تكون المواد المتعلمة ملائمة لطبيعتها وتكوينها وحاجة المسلمين إليها، ولكن المقصود. عدم رفضها للمتقدمين بحجة الدراسة فلتوافق على الزوج المتقدم ولتواصل دراستها بعد ذلك إن أرادت حتى لا تندم ولات حين مندم.

وينبغي للمرأة أن تعلم أن الله عز وجل خلقها لعبادته؟ وفطرها على الزواج والزوج هو المسئول عن الإنفاق عليها فالمرأة ابتداء مسئول عن الإنفاق عليها أبوها ثم وليها من أخ ونحوه ثم زوج فعليها أن تتقي الله في نفسها بعدم تسببها في شقاء نفسها وتعاستها برفضها للمتقدمين من الأزواج كما عليها اختيار العلم المتعلم ومراعاة موافقته للشريعة فهي أم ومربية ثم طالبة إن استطاعت ذلك بعد تحقيق الأول.

ثانيا ـ الانشغال بالدارسة عند الفتى:

كثير من الدارسين بعد انتهائهم من المرحلة الجامعية لا يفكرون في الزواج، وإذا تكلم أحد الناس مع أحدهم عن هذا الأمر فإنه يستبعد الإقدام عليه حاليا لأنه يريد أن يبحث عن وظيفة كما أنه يريد أن يواصل دراساته العليا ويذهب ويسجل لمرحلة

الماجستير في إحدى الجامعات وبما أن نظام الدارسات العليا يختلف عن نظام الدارسة الجامعية التي يبدأ العام الدراسي فيها في وقت محدد وينتهي في آخر معين ويتخرج الطالب في مدة معلومة فالدراسات العليا خلاف ذلك فبعد الانتهاء من الدورات الدراسية في مرحلة الماجستير يكون التفرغ لكتابة البحث ــ هذه إن كانت الجامعة تسير على نظام الدورات ــ وفترة كتابة البحث فيها مراحل دنيا تكون سنتين وفيها فترة سماح قد تمتد إلى خمس سنوات وإذا انتهت الفترة المحددة فيمكن للطالب أن يسترحم فيطلب فترة تمديد فيعطى فرصة سنة أو سنتين فينتهي الطالب من الماجستير في سنوات قد تطول وقد تقصر حسب طاقته واجتهاده ورغبته والسنون تعمل عملها فيه وهو لا يشعر ويخط رأسه الشيب وبعد الانتهاء من الماجستير قد يفكر في التسجيل لمرحلة الدكتوراه وزمن الدكتوراه أطول من الماجستير ويكاد يكون ضعفها إن لم يزد على ذلك ، ويحتج هذا الطالب أو المتهرب عن الزواج بقوله : إن الزواج سيشغلني عن دراستي أو قل عني بالأحرى أني قد تزوجت الدراسة وكفى بها زوجة مطيعة.

وبعد الانتهاء من الدكتوراه يكون قد تجاوز سن الزواج المتعارف عليها في المجتمع فيكون من العسير عليه جدا أن يتزوج.

٢ ـ القبح والدمامة:

أولا: القبح والدمامة عند الفتيان :

أعطى الله نبيه يوسف عليه السلام نصف الحسن وبقية الناس مشتركون في النصف الباقي: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ شَطْرَ الْحُسْنِ[١]

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم ٢٣٤

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أجمل الناس: فعَنْ الْبَرَاءِ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ[1] مُتَرَجِّلًا لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ.[2]

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ.[3]

واشتهر عدد من الصحابة والتابعين والسلف الصالح بالجمال الباهر، ولنقتصر على نموذج واحد من النماذج الكثيرة وهو الصحابي، دحية بن خليفة الكلبي، الذي كان يأتي جبريل عليه السلام على صورته، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ قَالَ وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ.[4]

---

[1] قال السندي : قوله (مترجلا) الترجل تسريح الشعر وتنظيفه بالأمشاط (في حلة حمراء) قال ابن القيم وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وإنما الحلة الحمراء في بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط وإلا فالأحمر البحت ينهي عنه أشد النهي وكراهية شديدة فكيف يظن به أنه لبس الثاني صلى الله عليه وسلم وإنما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء .(شرح سنن ابن ماجة لأبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، تحقيق الشيخ: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م، ج ٤ ص ١٥٩)

[2] سنن النسائي، كتاب الزينة، باب: لبس الحلل، حديث رقم : ٥٢١٩/ سنن ابن ماجة، كتاب: اللباس، باب: لبس الأحمر للرجال، حديث رقم : ٣٥٨٩

[3] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٢٨٥

[4] مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عمر ،حديث رقم : ٥٥٩٢

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: دحية بن خليفة الكلبي كان يضرب بـه المثـل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام يترل على صورته. فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي وكان دحية رجلا جميـلا، وعن بن عباس كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر[١] إلا خرجت تنظر إليه.[٢]

والجمال من الأشياء التي تحبب النساء في الرجال، وتجعل سوق الرجال قائمـة عندهن، ولا تخلو مجالس النساء من التطرق لذكر أجمل الرجال بالبلدة: فعن عبد الله بـن بريدة: أن عمر رضوان الله عليه خرج يعس المدينة ، فإذا هو بنسوة يتحدثن، فإذا هـن يقلن: أي أهل المدينة أصبح؟ فقالت امرأة: يقال أبو ذئب، ، فلما أصبح سأل عنه، فـإذا هو من بني سليم، فأرسل إليه فإذا هو من أصبح الناس فلما نظر عمر إليه: قـال: أنـت والله دينهن، أنت والله دينهن، مرتين أو ثلاثا لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنـا بها. فقال: إن كنت لابد مسيري فسيرني حيث سيرت ابن عمي، فأمر له بما يصلح وسيره إلى البصرة. [٣]

حتى أن بعض النساء تؤثر نظرة من زيد أو من عمرو من المشهورين بالجمال بمـا تملك من حاجياتها التي على جسمها، قالت امرأة في سعيد بن الأسود وكـان في زمـن عثمان:

---

(١) قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : وفي حديث ابن عبَّاس كان إذا قدم دِحْيةُ الكَلْبيّ لم تبْق مُعْصِرٌ إلاَّ خَرَجَتْ تنظُر إليه من حُسْنه المُعْصِرُ: الجارِيةُ أوّلَ ما تَحيض لانْعصَار رَحِمها، وإنما خصَّ المُعْصِر بالذّكر للمُبَالغة في خُرُوج غيرها من النِّساء.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عصر}]

(٢) الإصابة لابن حجر. ترجمة رقم: ٢٣٩٢

(٣) مناقب عمر لابن الجوزي دار مكتبة الهلال بيروت، دراسة وشرح وتقديم: سعيد محمد اللحـام. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـــ ١٩٨٩م. ص ١١٠

ألا ليتني أشري[1] وشاحي ودملجي بنظرة عين من سعيد بن أسود[2]

والقبح والدمامة من الأشياء التي يسب بها أصحابها، قال حماد عجرد يهجو بشار بن برد الأعمى:

ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد[3]

وكان بشار يتوجع لهذا الهجاء ويقول : يراني فيصفني ولا أراه. والسواد من أعظم أسباب القبح، وقد كان يعاني منه عدة أشخاص منهم أغربةُ العَرَبِ وهم : سُودانُهم، شُبِّهوا بالأغْرِبَةِ في لَوْنِهِم. والأَغْرِبَةُ في الجاهلية: عَنْترةُ،[4]وخُفافُ ابن نَدْبَةَ[5] السُّلَمِيُّ، وأبو عُمَيرِ بنُ الحُبابِ السُّلَمِيُّ ، وسُلَيْكُ بنُ السُّلَكَةِ، وهشامُ بنُ عُقْبة بنِ أبي مُعَيْط، إلا أَنَّ هشاماً هذا مُخَضْرَمٌ، قد وَلِيَ في الإِسلام. قال ابن الأَعرابي: وأَظُنُّهُ قد وَلِيَ الصائفَةَ وبعضَ الكُوَرِ؛ ومن الإِسلاميين: عبدُ اللّه بنُ خازم، وعُمَيْرُ بنُ أَبي عُمَيرِ بنِ الحُبابِ السُّلَمِيُّ، وهَمّامُ بنُ مُطَرِّفٍ التَّغْلَبِيّ، ومُنْتَشِرُ بنُ وَهْبٍ الباهِليُّ، ومَطَرُ ابن

---

(١) أشري : أبيع

(٢) الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٤٩

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ج ١ ص ٦٤٥

(٤) قال ابن قتيبة: كان عنترة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة، حتى سابه رجل من بني عبس، فذكر سواد أمه وإخوته ، وعيره بذلك. [الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ١٧٢]

(٥) قال خفاف بن ندبة وهو ابن عم الخنساء:

كلانا يسوده قومه على ذلك النسب المظلم

يعني السودان. [الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥٨]

أَوْفى المازِنِيّ، وتأَبـــَّطَ شَرّاً، والشَنْفَرَى. [١] وثابت بن قيس بن شماس، ونصيب الذي كان يكنى أبا الحجناء، وفيه يقول كثير:

رأيت أبا الحجناء في الناس جائزا ولون أبي الحجناء لون البهـــائم
تراه على ما لاحه من ســــواده وإن كان مظلوما له وجه ظالم[٢]

وأوضح الحبشي سحيم عبد بني الحسحاس أن سبب عزوف وازورار الفتيـــات عنه هو سواده لونه وقبح وجهه فقال:

فلو كنت وردا لونه لعشقنني ولكن ربي شانني بسواديا[٣]

بل كان يخشى بعض الناس أن يؤثر سوادهم يوم القيامة في مكانتهم ومترلتـــهم فيها[٤] والقبح والدمامة في الرجال من الأشياء التي تجعل النساء بصفة خاصة يســـخرن منها ومن وجودها فيهم، قال سحيم:

أتيت نساء الحارثيين غـــدوة بوجـــه براه الله غير جميل
فشبهنني كلبـــا ولست بفوقـــه ولا دونه وإن كان غير قليل[١]

---

[١] لسان العرب لابن منظور : مادة غرب

[٢] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٣٢٣

[٣] انظر ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، ص ٢٤

[٤] عن قتادة عن أنس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيمنـــع ســـوادي ودمامتي من دخول الجنة قال لا الحديث وفيه إنه قال وإني لفي حسب من قومي بني ســـليم ثم مـــن ذكوان معروف الآباء ولكن غلب علي سواد أخوالي وفيه إنه زوجه بنت عمر أو عمرو بن وهـــب الثقفي فذكر قصة شبيهة بقصة جليبيب ومحمد بن عمر ذكر الحاكم أنه روى حديثا موضوعا يعـــني هذا. [الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ٣٢١٩]

كما أن القبح والدمامة من الأشياء المؤثرة في موافقة النساء على زواجهن من الرجال قال أبو العيناء: خطبت امرأة فاستقبحتني ، فكتبت إليها:

فإن تنفري من قبح وجهي فإنني   أريب أديب لا غبي ولا فدم

فأجابتني ليس لديوان الرسائل أريدك.[٢]

وعلى الأب وولي أمر الفتاة وضع هذا الأمر في الحسبان، من غير أن يكون فتحا لباب عنوسة لابنته بجعلها تضع معايير قياسية في بعلها المرتقب بل المقصود عدم إجبارها على بعل غاية في القبح والدمامة بحجة أن الرجل لا يعيبه شيء، فعن عمر قال: لا تكرهوا فتياتكم على الرجل الدميم – وفي لفظ: القبيح – فإنهن يحببن مثل ما تحبون.[٣]

وعن عمر قال: يعمد أحدكم إلى بنته فيزوجها القبيح، إنهن يحببن مثل – ما تحبون.[٤]

وإن كانت المرأة في هذا الزمن بالذات لا ترفض متقدما له وتعيبه بقبحه ودمامته غالبا، وذلك لأسباب:

ـ أن تكون لهذا المتقدم قرابة بينه وبين المتقدم لها ، فتوافق عليه ابتداء أو يجبرها أهلها على الموافقة عليه، كما مر بنا قول الشاعر:

ألا رب حوراء المحاجر طفلة   تساق إلى وغد من القوم تنبال

---

[١] ديوان سحيم ص٦٩ / الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٣٢١

[٢] نهاية الأرب للنويري ج٢ص٢٢

[٣]كتر العمال، حديث رقم: ٤٥٩٦٤

[٤]كتر العمال. حديث رقم: ٤٥٩٦٣

يقولون جــرته إليهــا قرابـــة فويح العذارى من بني العم والخال[1]

ـــ لهذا الطوفان الجارف والتيار العارم من العنوسة ولخوفها إن ردت هذا المتقدم أن لا تجد غيره، فتوافق عليه لأجل ذلك.

ـــ أن يكون قد حدث مع هذا القبيح ما أجبر الفتاة وأهلها على تزويجــه منــها درء للفضيحة، وسترا للأمر، ويتضح هذا جليا في هذه القصة: قال الأصمعي: أخــبرني رجل من بني أسد أنه خرج في طلب إبل قد ضلت، فبينا هو يسير في بلاء وتعب، وقــد أمسى في عشية باردة إذ رفعت له أعلام، قال: فقصدت بيتا منها، فإذا أنا بامرأة جميلــة ذات جزالة، فسلمت فردت علي السلام، ثم قالــت: ادخــل، فــدخلت فبســطت لي ومهدت، وإذا في حجرها صبي أطيب ما يكون من الولدان، فبينا هي تقبله إذ أقبل رجل أمام الإبل ضئيل الجسم كأنه بعرة دمامة واحتقارا، فلما بصر به الصبي هش إليه وعدا في تلقائه، فاحتمله وجعل يقبله ويفديه، فقلت في نفسي: أظنه عبدا لها، فجاءني ووقف بباب الخيمة، وسلم فرددت عليه السلام، فقال: من ضيفكم هذا؟ فأخبرته فجلس إلى جانبــها وجعل يداعبها، فطفقت أنظر إليها تارة وإليه أخرى، وأتعجب من اختلافهمــا، كأنهــا الشمس حسنا، وكأنه القرد قبحا، ففطن لنظري، وقال: يا أخا بني أسد أتــرى عجبــا؟ تقول أحسن الناس وجها وأقبح الناس وجها، فليت شعري كيف جمع بينــهما، أخــبرك كيف كان ذلك؟ قلت: ما أحوجني إلى ذلك. قال: كنت سابع إخوتي كلهم أصحاب إبل وخيل، وكنت من بينهم مطروحا، لكل عمل دني للعبودية تارة ولرعي الإبل أخرى، فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب إذ ضل لنا بعير، فتوجه إخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه، فأتوا أبي وقالوا: ابعث فلانا ينشد لنا هذا البعير، فدعاني أبي وقال: اخرج فانشــد هــذا

---

[1] تحفة العروس ونزهة النفوس ص ١٣٥

البعير، فقلت: والله ما أنصفتني ولا بنوك، أما إذا الإبل درت ألبانها وطاب ركوبها فأنتم جماعة أهل البيت أربابها، وإذا ندّت ضلالها فأنا باغيها، فقال: قم يا لكع[1] فإني أراه آخر يومك، فغدوت مقهورا خلق الثياب حتى أتيت بلادا لا أنيس بها، فطفقت يومي ذلك أجول القفر، فلما أمسيت رفعت لي أبيات، فقصدت أعظم بيت منها، فإذا امرأة جميلة، مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتني بالتحية، وقالت: انزل عن الفرس وأرح نفسك، فأتتني بعشاء فتعشيت، وأقبلت هذه تسخر مني، وتقول: ما رأيت كالعشية أطيب ريحا منك، ولا أنظف ثوبا، ولا أجمل وجها، فقلت: يا هذه دعيني وما أنا فيه، فإنني في شغل شاغل، فأبت عليّ، وقالت: هل لك أن تلج عليّ السجف إذا نام الناس؟ فأغراني والله الشيطان، فلما شبعت من القرى وجاء أبوها وإخوتها فضجعوا أمام الخيمة، قمت ووكزته برجلي، قالت: ومن أنت؟ قلت: الضيف، قالت: لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله، فعلمت أني ليس في شيء من أمرها، فوليت راجعا، فواثبني كلب لهم كأنه السبع، لا يطاق، فأراد أكلي فأنشب أنيابه في مدرعة صوف كانت علي، وجعل يمزقني فردني القهقرى، وتعذر عليّ الخلاص، فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فأحسن الله إليّ أن لا ماء فيها، فلما سمعت المرأة الواغية[2] أتت بحبل فأدلته وقالت: ارتق لعنك الله، فوالله لولا أن يقتص أثري غدا لوددت أنها قبرك، فاعتنقت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها تهور ما تحت قدميها، فإذا أنا وهي والكلب في قرار البئر، بئر أيما بئر، لا طيّ لها ولا مرقاة[3] كأشد بلية بنا، الكلب ينبح من ناحية، وهي تدعو بالويل والثبور من ناحية، وأنا منقبع قد برد

---

[1] لكع : لئيم

[2] الواغية : الصياح

[3] مرقاة : سلّم

جلدي على القتل من ناحية، فلما أصبحت أمها فقدتها، فلما لم ترها أتت أباها، فقالت: يا شيخ أتعلم أن ابنتك ليس بها أثر يحس؟ وكان أبوها عالما بالآثار تابعا لها، فلما وقف على شفير البئر ولّى فقال: لولده: يا بنيّ أتعلمون أن أختكم وضيفكم وكلبكم في البئر، فبادروا كالسباع، فمن بين آخذ حجرا وآخذ سيفا أو عصا، وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبري وقبرها، فلما وقفوا على شفير البئر، قال أبوهم: إن قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه، وإن تركتموه افتضحتم، وقد رأيت أن أزوجه إياه، فوالله ما يقدح لها في نسب ولا في حسب، ثم قال لي: أفيك خير؟ فلما شممت روح الحياة، وثاب إليّ عقلي، قلت: وهل الخير كله إلا فيّ فهات احتكم، فقال: مائة بكرة وبكرة وجارية وعبد. فقلت: لك ذلك، وإن شئت فازدد. فأخرجت أولا، والكلب ثانيا، وأخرجت ثالثا، فأتيت أبي فقال: لا أفلحت أين البعير، قلت: أربع عليك أيها الشيخ، إنه كان من القصة كيت وكيت. قال: أفعل والله ولا أخذلك، فدعا بالإبل فعد منها مائة بكرة وبكرة وسقناها مع جارية وعبد، وأخذت منه هذه غرة نفسها، قال: هي والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها وربما قالت: لا أطاب الله خبرك.[1]

ولكن إن كان هذا الرجل المتقدم على درجة كبيرة من القبح والدمامة وأنه سيكون مما تعاب الفتاة وتعير به وتذم بسببه فإنها ستتوقف في الموافقة عليه بل سترفضه حتى ولو ظلت عانسا طوال حياتها.

وقد تسخر المرأة من طلب الرجل القبيح الاقتران بها كما حدث للفضل بن الربيع والفرج الرخجي، وكانا بمكة، وكان الفضل صبيحا ظريفا، وكان الفرج دميما

---

[1] المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٢٨٧ ــ ٢٨٩

قبيحا. فخرجا إلى الطواف ثم انصرفا إلى بعض طرقات مكة، وقعدا يتغذيان، فبينا هما كذلك على طعامهما إذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهية حسنة شكلة، وعليها برقع فرفعته عن وجهها فإذا وجه كالدينار، وذراع كالجمار، فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معهما، قال الفضل: فأعجبني ما رأيت من جمالها وهيئتها، فقلت: هل لك من بعل؟ قالت: لا قلت: فهل في بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخَلق والخُلق؟ قالت: وأين هو؟ فأشرت إلى الفرج، فقالت: جوابك عند فراغنا. فلما أكلت قالت: أتقرأ شيئا من كتاب الله؟ قلت: نعم قالت: فتؤمن به؟ قلت: نعم قالت: فإن الله يقول ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [1]

ويستنكر المجتمع ويستقبح التصابي من كبار السن وادعاء الجمال من القبيحين، فيسخر ممن يفعل ذلك ويأمره بالاتئاد والتأني وأن يقيس شبره بفتره . قال صفوان الأنصاري في تصابي بشار بن برد الأعمى:

تواثب أقمارا وأنت مشوه وأقرب خلق الله من نسب القرد[2]

ويحاول القبيح أن يبرر قبحه إن اعترف به بأن له تبريزا في نواح أخرى ومنفعة لا يحسنها غيره من الجميلين رغم ازدراء الناس له لقبحه، قال نضلة السلمي في يوم غول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة وبأس:

ألم تسل الفوارس يوم غول بنضلة وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو حر وينفع أهله الرجل القبيح [1]

---

[1] المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٩٦، والآية ٣٨ من سورة النساء

[2] الفرق بين الفرق ص ٧١

وقال الخَنْجَر بن صخر الأَسدي:

فإنْ لا تَكُ المِرآةُ أَبْدَتْ وَسامةً فقد أَبْدَتِ المِرآةُ جَبْهةَ ضَيْغَمِ[٢]

أو قد يكابر القبيح في قبحه وينفيه ملقيا ذلك إلى تحامل الناس عليه وسوء تقيمهم وعدم معرفتهم بمعايير الجمال، وأن كل الأشياء متحاملة عليه حتى المرآة التي ينظر فيها، فمن الطرف التي تحكي أن أحد الأعراب نظر في مرآة ملقاة في مزبلة وكان الأعرابي سمج الوجه قبيحا فعندما رأى قبح صورته قال مخاطبا المرآة: ما ألقاك أهلك من خير.[٣]

ووصف حميد بن ثور امرأة ألقت تبعة قبحها على المرآة ولامتها بأنها شوهت صورتها وحجبت جمالها وذكر أن هذا التصرف ظلم من هذه المرأة للمرآة لأن المرآة تعكس ما يلقى عليها ولا تملك غير ذلك ، يقول حميد:

لقد ظلمت مرآتها أم مالك بما لامت المرآة بان محردا
أرتها بخديها غضونا كأنها مَجَرٌّ غصون الطلح ما ذقن فدفدا
رأت محجرا تبغي الغضاريف غيره وفرعا أبى إلا انحدارا فأصعدا
وأسنان سوء شاخصات كأنها سوام أناس سارح قد تبددا[٤]

ويضاف إلى القبح والدمامة الفوارق الاجتماعية التي تتسبب في عنوسة كثير من الرجال ورفض كثير من النساء لهم، من أمثلة رفض الزوج لوضعه الاجتماعي ما جاء:

---

[١] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ٥٣

[٢] لسان العرب لابن منظور : مادة كون

[٣] قيل : من شر ما ألقاك أهلك. يقول لو كان فيك خير ما تحاماك الناس ويروى من شر ما طرحك يضرب للبخيل يزهد فيه الناس .[مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٨٤]

[٤] الأشباه والنظائر ج ٢ ص ٢٩٢

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّ جُلَيْبِيبًا[١] كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ يَمُرُّ بِهِنَّ وَيُلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبِيبٌ فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ قَالَ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيِّمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ فَقَالَ نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنُعْمَ عَيْنِي فَقَالَ إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي قَالَ فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِجُلَيْبِيبٍ قَالَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُشَاوِرُ أُمَّهَا فَأَتَى أُمَّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ابْنَتَكِ فَقَالَتْ نِعِمَّ وَنُعْمَةُ عَيْنِي فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيبٍ فَقَالَتْ أَجُلَيْبِيبٌ ابْنَهْ أَجُلَيْبِيبٌ ابْنَهْ أَجُلَيْبِيبٌ ابْنَهْ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تُزَوَّجُهُ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا قَالَتْ الْجَارِيَةُ مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا فَقَالَتْ أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ ادْفَعُونِي فَإِنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْنِي فَانْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ شَأْنَكَ بِهَا فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيبًا قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ لَهُ قَالَ فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا نَفْقِدُ فُلَانًا وَنَفْقِدُ فُلَانًا قَالَ انْظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا لَا قَالَ لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا قَالَ فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلَى قَالَ فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ قَتَلَ سَبْعَةً وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَاعِدَيْهِ وَحُفِرَ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُ غَسَّلَهُ قَالَ ثَابِتٌ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ

---

[١] جليبيب غير منسوب وهو تصغير جلباب. (الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٨١)

أَنْفَقَ مِنْهَا وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا[١] قَالَ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا.[٢]

مع العلم أن هذه الفتاة كانت رائجة السوق، كثيرة الخطاب كما جاء في رواية أخرى للحديث: فعَنْ أَنَسٍ قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا فَقَالَ حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَعَمْ إِذًا قَالَ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ لَاهَا اللَّهُ إِذًا مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جُلَيْبِيبًا وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ قَالَ وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ قَالَ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا وَقَالَا صَدَقْتِ فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ قَالَ فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ فَزَوَّجَهَا ثُمَّ فُزِّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ قَالَ أَنَسٌ فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ.[٣]

ثانيا: القبح والدمامة عند الفتيات:

الدمامة من أهم الأسباب التي تؤثر في عنوسة الفتاة، فالبنت الجميلة سوقها قائمة وتجارتها رائجة وأمرها نافق بين الخطاب، وأمامها فرص واسعة للانتقاء والاختيار من

---

[١] الكَدُّ: الإتعاب، يُقال: كَدّ يَكُدّ في عَمَله كَدّاً، إذا استَعْجل وتَعِب. ومنه حديث جُلَيبِيب: ولا تجْعَل عَيْشَهُما كدّاً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {كدد}]

[٢] مسند الإمام أحمد، مسند أبي برزة الأسلمي، حديث رقم: ١٨٩٤٨

[٣] مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، حديث رقم: ١١٩٤٤

الخطاب المتقدمين، ولها أن تضع ما تشاء من الصفات وتشترط ما تريد من الشروط في الزوج المرتقب، ولو تم زواجها فإن جمالها يكون شافعا لها عند زوجها فلا يغيرها بضرة غالبا، قال ضمرة بن ربيعة، عن عبد الله بن شوذب: دخلت امرأة جميلة على الحسن البصري فقالت: يا أبا سعيد ينبغي على الرجال أن يتزوجوا على النساء؟ قال: نعم. قالت: وعلى مثلي؟ ثم أسفرت عن وجه لم ير مثله حسنا وقالت: يا أبا سعيد لا تفتوا الرجال بهذا. ثم ولت. فقال الحسن: ما على رجل كانت هذه في زاوية بيته ما فاته من الدنيا.[1]

كما أن الجمال يغفر زلات الزوجة وأخطائها: فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أطوف بالبيت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكفي في كفه، فإذا بأعرابي يحمل امرأة كأنها مهاة يطوف وهو يقول شعرا:

عُدْتُ لهذي جَمَلاً ذَلولا مُوَطَّأً أَتَّبِعُ السُّهولا
أَعْدِلُها بالكَفِّ أن تَميلا أحذَر أن تسقط أو تزولا
أَرْجو بذاك نائلاً جَزِيلا

فقال له عمر: رضي الله عنه من هذه؟ قال: يا أمير المؤمنين امرأتي. فقال: برب هذا البيت لقد جازيتها فقال: أما إنها مع ذلك لحمقاء مرغامة،[2] أكول تلقامة، مشئومة

---

(١) روضة المحبين ص ٢٢٣

(٢) امرأة مِرْغامة: مغضِبة لبَعْلها.

الهامة، فقال: ما تصنع بها يا أعرابي؟ حسناء فلا تفرك، وأم عيال فلا تترك، فقال: شأنك بها.[١]

أما الفتاة الدميمة فيقل خطابها إن لم يتعدموا، وقد يأتيها ابن عمها أو قريبها رغبة منه في إرضاء أهله وأهلها أو إرغاما عليها أو رغبة في مصلحة مادية رآها فيها ودمامتها وقبحها يلاحقاها بعد زواجها فيمكن أن تطلق لأتفه الأسباب فلا حسن يشفع لها ولا جمال يدفع عنها غوائل الزمان وتقلبات الأحداث. ويمكن أن تطلق في ليلة زفافها،[٢] كما تزوج أحدهم إحدى النساء وطلقها في يوم زفافها فعندما سئل عن ذلك قال: شنئتها في أهلها.[٣]

---

[١] لسان العرب، مادة: رغم / ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار، لإسماعيل بن نصر بن عبد المحسن المعروف بابن قطعة، تحقيق: رياض مصطفى العبد الله، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٢٧٧ / البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب بيروت، (ب. ت) ج ١ ص ٢٦١

[٢] زف الإبل يزف زفا وزفيفا، وأزفها ساقها، قال تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ أي: يسرعون، و ﴿ يُزِفُّونَ ﴾ من أزف الظليم: دخل في الزفيف، وهو الإسراع أي: يحملون أصحابهم على الزفيف. وأصل الزفيف في هبوب الريح، وسرعة النعام التي تخلط الطيران بالمشي. وزفزف النعام: أسرع، ومنه استعير: زف العروس. واستعارة ما يقتضي السرعة لا لأجل مشيتها، ولكن للذهاب بها على خفة من السرور. [مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة: زف]

[٣] قيل: شنئتها في أهلها من قبل أن تزوى إلي. أي أبغضتها من قبل أن تزف إليّ. يضرب للمشنوء. وتزوى: أي تضم تجمع (مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٥٢٢)

ورغم أن العنوسة داء منتشر ومستشر إلا أنه أكثر انتشارا واستشراء في أوساط الفتيات القبيحات فالعانس الجميلة يحدوها أمل الظفر بزوج ويكون في سابق عمرها قد تقدم لها متقدمون فرفضتهم لعدم ملاءمتهم لها، أما القبيحة فلا أمل لها في المستقبل القريب، ولا ماضي يسليها ويجعلها تقول: قد تقدم لي متقدم فرفضته، ولو تجرأ إنسان وجازف وتزوج قبيحة لأسباب رآها فيها أو لطمع مادي، فإن المجتمع لا يدعه وشأنه بل قد يواجهه من يواجهه من أفراد المجتمع قائلا: هل كنت في كامل وعيك وقواك العقلية عند اختيارك لهذه الشيطانة.[1]

والفتاة القبيحة لا تحمل همها وحدها بل الهم يتعداها إلى غيرها من أهل وأقارب وأناس راحمين لها، وأكثر من يحمل همها ويكتوي بقبحها والدها ، كما في هذه القصة: كان زياد بن أبيه يعشي الناس كل يوم، فرأى يوما رجلا قبيحا يأكل أكلا ذريعا، فسأله متلطفا: هل لك ولد؟ فقال الرجل: ثمان بنات هن آكل مني وأنا أجمل منهن. فقال زياد: لطالما تلطفت في المسألة ثم أعطاه عطية.

ورغم تباين وجهات نظر الناس في الجمال، فإنهم لا يختلفون في جمال القمر وقبح القرد وتباين وجهات نظرهم في الألوان من تفضيل الصفرة على السمرة، وفي الأشكال من تفضيل الطول أو التوسط وفي تفضيل الأحجام من السمن والبدانة أو النحافة

---

[1] قال جعفر بن قدامة: كنا عند عبد الله بن المعتز يوما ، ومعنا النميري، وعنده جارية لبعض بنات المعتز تغنيه، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية القبح، فجعل عبد الله يتعاشق، فلما قامت، قال له النميري: أيها الأمير سألتك بالله أتعشق هذه التي ما رأيت أقبح منها؟ فقال وهو يضحك:

قلبي وثاب إلى ذا وذا   ليس يرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي   ويرحم القباح فيهواه

(معاهد التنصيص ج ٢ ص٤١)

والتوسط، فلا يختلفون في تفضيل البياض على السواد وفي تفضيل درامة الكعبين على ظهور عراقيبها وطولها وتفضيل غلظ الساقين وخدالتها على حموشتهما ودقتهما ونحافتهما وأشعار العرب مليئة بذلك، أنشد العجاج أبا هريرة رضي الله عنه:

قامت تريك خشية أن تُصرما   ساقا بخنداة [١] وكعبا أدرما[٢]

كما أنهم مجمعون على مدح الطول وذم القصر ، قال أعرابي من بني سعد محبذا الطول:

تبين لي أن القماءة ذلة   وأن خيار الرجال طيالها[٣]

وفي رأي كثير من الناس أن القصر مذموم وأن القصار من النساء هن شر النساء. قال كثير عزة:

وأنت التي حببت كل قصيرة   إليَّ ولم تشعر بذاك القصائر

---

[١] البخنداة من النساء : التامة القصب والساق البخنداة : الساق الممتلئة وجمع بخنداة : بخاند وبخاد. [لسان العرب ج ١ص ٢٢٣]

[٢] الأدرم الذي لا حجم لعظامه، يريد أن كعبها مستو مع الساق ليس بنات، فإن استواءه دليل السمن. ونتوه دليل الضعف. وامرأة درماء لا تستبين كعوبها. [انظر : لسان العرب ج ١ص ٢٢٣/ ج٢ ص ١٣٦٦]

[٣] الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد (طبع مؤسسة المعارف ببيروت)، ج ١ ص ٥٥

عنيت قصيرات (1) الحجال ولم أرد قصار الخطى شر النساء البحاتر(2)

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الزوجة التي تسر الزوج عند نظره إليها من أفضل النساء، فعَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ قَالَ الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ(3) وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا (4) وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ(5)

وقال عروة بن الزبير: ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق، ولا وضع أحد نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء! ثم قال: لعن الله فلانة ألفت بني فلان بيضا طوالا، فقلبتهم سودا قصارا.(6)

والقبح ليس سببا في رفض كثير من الفتيات أن تقترن بالشخص القبيح فحسب، بل قد يكون سببا لفسخ الخطوبة أو الاختلاع بين الزوج والزوجة بعد أن يتم زواجهما، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ كَانَتْ حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ تَحْتَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ

---

(1) قال الحجاج بن يوسف: من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلي صداقها.[المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٨٦-١٨٧]

(2) كتاب المعاني لابن قتيبة ج١ص٥٠٥

(3) إذا نظر : أي لحسنها ظاهرا أو لحسن أخلاقها باطنا ودوام اشتغالها بطاعة الله والتقوى.

(4) في نفسها: بتمكين أحد من نفسها.

(5) سنن النسائي، كتاب النكاح، باب: أي النساء خير؟ حديث رقم :٣١٧٩

(6) العقد الفريد ج٧ص٨٨

لَصَقْتُ [١] فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ قَالَتْ نَعَمْ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ قَالَ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[٢]

رغم أن الأشياء الأخرى من مال ودين قد يكون لا غبار عليها عند كثير من الفتيات بل قد توافق على زوج لا دين له ولا أخلاق.

وقد تتجرأ الفتاة وتؤذي القبيح المتقدم لها قال أبو عبيدة: خطب رجل من بكر بن وائل إلى رجل من مراد ابنته، فهم أن يزوجها، فبينما الجارية تلعب مع الجواري إذ جاء البكري، فقلن لها: هذا خاطبك. فقالت: ما رجل هو أحب إلي أن أكون قد رأيت منه، فلما رأت رجلا كبير السن قبيح الوجه، قالت: أوقد رضي أبي؟ قلن: نعم. فدخلت البيت واشتملت على السيف، وشدت عليه فسبقها عدوا، ونالته بضربة. فقال ابن همام السلولي يشبب بامرأة:

أخاف بأن يجزى المحب كما جزت ... فتاة مراد شيخ بكر بن وائل
فلو لم يُرع روع الحبارى تفتخت ... ذانبه منها بأبيض ناصل
ولا ذنب للحسناء لما بدا لها ... ضعيف كخط الصوف رخو المفاصل[٣]

---

[١] عن ابن عباس: أول خلع كان في الإسلام امرأة ثابت بن قيس، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله لا يجتمع رأسي ورأس ثابت أبدا، إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة. فإذا هو أشدهم سوادا، وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها، فقال: أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم. وإن شاء زدته ففرق بينهما (فتح الباري ج١١ص٣١٨)

[٢] مسند الإمام أحمد، مسند سهل بن أبي حثمة، حديث رقم : ١٥٥١٣ / سنن ابن ماجة : كتاب الطلاق، باب: المختلعة تأخذ ما أعطاها ، حديث رقم : ٢٠٤٧

[٣] أمالي ابن دريد ص١٨٣

أو قد تفرك زوجة القبيح زوجها وتقيم معه لاعتبارات تحسبها وتعرفها تمام المعرفة، وتحاول إيذائه وإسماعه ما يكره.(١)

ومن أهم أسباب القبح السواد وهو سبب في عنوسة أصحابه، قال نصيب عن بناته وكن سوداوات:

كسدن من الفقر في بيتهن   وقد زادهن سوادا كسودى(٢)

مما سبق يتضح لنا أن القبح والدمامة من أسباب العنوسة عند الفتيات. لذا فالشوهاء من النساء لا يجرؤ أحد على الاقتران بها، بل يكون مثار التهكم والسخرية إن تزوجها رجل من أفراد المجتمع.

وللعلماء آراء حول الجمال وما يستحب وجوده من صفات حسية ومعنوية في المرأة وما يكره وهذه الآراء والصفات مبثوثة في كتبهم.(٣)

وقد يقدم أحد المتقدمين لفتاة لرؤيته لأخيها الجميل، وهو يظن تمام الظن أن أخته في مثل جمال أخيها وزيادة ولكنه قد يجد الأمر خلاف ذلك، كما حدث ذلك للحسن بن علي رضي الله عنه الذي تزوج أم حبيب بنت عمرو بن الأهتم، وكان لعمرو بن الأهتم

---

(١) انظر الخلافات بين الزوجين ص

(٢) انظر شرح ديوان أبي تمام للتبريزي

(٣) انظر هذه الصفات في كتابي: روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم، وذم الهوى لابن الجوزي

ابن يقال له نعيم بن عمرو، من أجمل الناس، فتزوجها الحسن بن علي، وقدر أن تكون في جمال أخيها،[1] فوجدها قبيحة فطلقها.[2]

٢ ـ العاهات والإعاقات :

أولا: العاهات والإعاقات عند الفتى:

قد يكون الرجل مصابا بعاهة، كأن يكون كسيحا، أو مفلوجا أو ضعيف البنية ضعفا بينا يعيقه كثيرا عن أداء مهامه، أو يكون عقيما معروف العقم، فيتقدم للفتيات فيرفضنه ولا يوافقن عليه ولا يقبلن به زوجا لهن ولا شريكا لحياتهن، لمرضه ولزمانته، ومن أمثال العرب: كسير وعوير وكل غير خير: قال المفضل أول من قال ذلك أمامة بنت نشبة بن مرة، كان تزوجها رجل من غطفان أعور يقال له: خلف بن رواحة، فمكثت عنده زمانا حتى ولدت له خمسة ثم نشزت عليه، ولم تصبر معه فطلقها، ثم إن أباها وأخاها خرجا في سفر لهما فلقيهما رجل من بني سليم، يقال له حارثة بن مرة، فخطب أمامة وأحسن العطية، فزوجاها منه، وكان أعرج مكسور الفخذ، فلما دخلت عليه رأته محطوم الفخذ فقالت: كسير وعوير وكل غير خير.[3]

وإن وافقت إحدى الفتيات على المعاق فذلك لخوفها أن لا تجد غيره. لأن في الحقيقة أن البنت المعاقة أكثر رفضا من الرجال وعدم قبول للزواج منها من الرجل المعاق. لأن البنت المعاقة ترفض جملة وتفصيلا، أما الرجل المعاق، إن كانت إعاقته إعاقة بسيطة فإنها لا تؤثر فيه تأثيرا كبيرا، لأن لكل ساقطة لاقطة. قال الشاعر:

---

[1] من الأمثال العامية السودانية: إذا أردت إن تعرف فاطمة فانظر إلى محمد (يعنون شقيقها).

[2] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٥٢٩

[3] مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٢٢

لكل ساقطة في الحي لاقطة   وكل كاسدة يوما لها سوق[١]

فقد تقبله بعض الفتيات ليس حبا فيه ولكن خوفا من عدم الظفر بغيره.

ثانيا: العاهات والإعاقات عند الفتاة:

قد تكون العانس معاقة إعاقة تامة فهي ذات عاهة مستديمة، أو معاقة إعاقة جزئية، كأن تكون شلاء أو عرجاء أو عمياء، أو عوراء، أو ناقصة عضو من الأعضاء، فلا يفكر أحد في الاقتران والارتباط بها، لأن الرجل يريد زوجة غير معيبة ـ وهذه العاهات والإعاقات في نظر المجتمع عيب كبير ـ والرجل جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، فهو إن رضي بمساعدة معاقة بالزواج منها فإن المجتمع لا يتركه وشأنه.[٢] والاحتساب في الرجال في هذا الجانب قليل جدا بل يكاد أن يكون منعدما لأن الرجل يريد امرأة تخدمه ولا يريد امرأة يخدمها بل قد يخاطب نفسه عند مراودة مثل هذه الأفكار ويقول لغيره صراحة إذا طلب منه ذلك: إنه ليس دارا للعجزة وذوي العاهات ولا مستشفى للمرضى والمعاقين.

وقد ترضى فتاة سوية لا عيب فيها، ولم تصل إلى مرحلة العنوسة في نظرها ولا نظر المجتمع، لصغرها أو لغفلتها عنها، بالزواج من معاق، كأن يكون أعمى، أو أشل، والعانس أكثر رضا، أما المطلقة فهي أكثر تهافتا على هذا النوع من الرجال من سابقاتها وهذا مشاهد ملموس في حياتنا.

---

(١) أي لكل نادرة من الكلام من يحملها ويشيعها. (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٥١)

(٢) انظر قصة: أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الواعظ الزاهد الحيري الذي تزوج معاقة وكيف أن أهله ومجتمعه سخر منه، وكيف عد صبره على تحملها من أعظم القربات وأجل الطاعات التي يتقرب بها إلى الله تعالى في العلاج الوقائي من الفتاة العانس.

ويعلم المعاق تمام العلم أن هذه الفتاة لم توافق عليه إلا أنه لم تجد غيره وأنها لو كان فيها خير لما تركها له المعافون، قيل: تزوج أعمى امرأة فقالت له: لو رأيت حسني وبياضي لعجبت فقال لها: لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء.[1]

وقد يكون من حظ المرأة أن تفاضل بين معاقين تقدما لخطبتها فتفضل أحدهما على الآخر، ومن أمثال العرب: عي أبأس من شلل. وأصل المثل: أن رجلين خطبا امرأة، وكان أحدهما عي اللسان كثير المال، والآخر أشل لا مال له، فاختارت الأشل، وقالت: عي أبأس من شلل. أي شر واشد احتمالا.[2]

أما أن يرضى رجل سوي بامرأة معاقة ويجعل من هذه المعاقة الزوجة الأولى، فهذا في حكم الاستحالة والعدم، إلا لحاجة في نفسه، كأن يتشرف بها في المجالس لمكانة أسرتها لكون أبيها زعيما كبيرا أو صاحب مال أو نحو ذلك من الأسباب المرغبة في نكاح مثلها، ومن أمثلة ذلك:

ـ حكي أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار إلى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت: من أنت؟ قال: المغيرة بن شعبة الثقفي قالت: ما حاجتك؟ قال: جئت خاطبا. قالت: إنك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر وإلا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور.[3]

---

(1) كتاب الأذكياء لأبي الفرج عبد الرحمن بن الفرج بن علي بن الجوزي، مكتبة الغزالي (ب ت) ص ١٤٥

(2) مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٦٢٩

(3) المستطرف ج ٢ ص ٤٨٢

ـ خطب أحدهم بنت معاوية بن أبي سفيان فقال له أبوها: إنها عرجاء[١] فبين له سبب تقدمه وقبوله لها، فقد روى عمرو عن أبيه أنه قال: خَطَبَ رجلٌ إلى معاوية بِنْتاً لـه عَرْجاء، فقال: إِنَّها ضَمِيلةٌ، [٢] فقال: إنِّي أَردت أن أَتشرَّف بمُصاهَرَتك ولا أُريدها للسِّباق في الحَلْبة، فَزوَّجه إيَّاها؛ الضَّمِيلُ: الزَّمِن، والضَّميلة الزَّمِنة؛ قال الزمخشري: إن صحت الرواية فاللام بدل من النون من الضَّمَانة، وإلا فهي بالصاد المهملة، قيل لها ذلك لِيُبْسٍ وجُسُوءٍ في ساقها، وكُلُّ يابسٍ ضامِلٌ وصَمِيلٌ.[٣]

والرجل غالبا لا يقدم على الزواج من المعاقة ولا يخاطر بالاقتران بمثلها، حتى ولا يرضى بها زوجة ثانية ولا ثالثة. لأن الرجال قد تربوا على البعد عن أمثال هذه الأنواع من النساء، وتلقوا ذلك من وصايا آبائهم وأجدادهم، قال يزيد بن عمر بن هبيرة: لا تنكحن برشاء، ولا عمشاء، ولا وقصاء،[٤] ولا لثغاء، [٥] فيجيئك ولد ألثغ، فوالله لولد أعمى أحب من ولد ألثغ.[٦]

---

[١] قال ابن شوذب: أحصن المغيرة أربعين من بنات أبي سفيان، وكان آخر من تزوج منهن بها عرج.[سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٠]

[٢] الضَّميلة: المرأة الزَّمِنَة

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ضمل} / لسان العرب، مادة: ضمل / الفائق للزمخشري ٢ ص ٣٤٨

[٤] الوقص : قصر العنق خلقة

[٥] اللَّثَغُ، مُحرَّكةً، واللُّثْغَةُ، بالضمِّ: تَحوُّلُ اللسان مِنَ السينِ إلى الثاء، أو مِنَ الراءِ إلى الغيْنِ أوِ اللامِ أو الياء، أو مِنْ حرفٍ إلى حرف، أو أن لا يَتِمَّ رَفْعُ لِسانِه وفيه ثِقَلٌ، لَثِغَ، كفَرِحَ، فهو أَلْثَغُ. وكنَصَرَهُ: جَعَلَهُ أَلْثغ.واللَّثَغَةُ، مُحرَّكةً: الفَمُ.[القاموس المحيط، باب الغين. فَصْلُ اللاَم.]

[٦] العقد الفريد ج٧ص١٢٢

ــ وذكر أن رجلا تزوج امرأة، معاقة وكان لا يعلم بها، فعندما دخل بها، نزعت يدها ورجليها الصناعتين، وحركت رأسها فبدأ شعرها المستعار وطقم أسنانها الصناعي، فخلعت ذلك ووضعت ما نزعته من جسمها جانبا وقالت لها: ادن يا حبيبي مني، فقال الرجل: أنا مع الأغلبية.

ــ وتزوج أبو الغول[1] الطهوي امرأة فوجدها عرجاء من رجليها جميعا فقال :

أعوذ بالله من زلاء[2] فاحشة ... كأنما نيط ثوباها على عود

لا يمسك الحبل حقواها[3] إذا انتطقت ... وفي الذنابي وفي العرقوب تحديد

أعوذ بالله من ساق بها عوج ... كأنها من حديد القين سفّود[4]

أما المعاقون من الرجال والنساء فلا يتزوجون من بعضهم ولا يقترن بعضهم ببعض. ويعلل الناس رفضهم للمعاقات بأن نتاج هذا الزواج ولادة أطفال معاقين بفعل عوامل الوراثة، كما أن الرجل يريد زوجة كاملة معافاة تكون سكنا له، يبادلها حبا بحب، وودا بود، يشاركها الهموم وتشاركه، لا يريد امرأة تكون هما عليه، أو كلا عليه أينما يوجهها لا تأت بخير فهل تستوي هي مع امرأة سوية الخلق والخلق؟ قال الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا

---

[1] سمي بذلك لأنه زعم أنه قتل غولا

[2] زلاء : قليلة لحم الوركين

[3] الحقو : الخصر

[4] المؤتلف والمختلف ص١٦٣ ، البرصان والعرجان ص١٣٤

رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١]

ومن القصص المحزنة للمعاقات وصاحبات العاهات التي عثرت عليها وقلنها بألسنتهن الآتي:

قصة رقم ١:

أنا فتاة أبلغ من العمر ٣٣ سنة، حكم علي القدر بأن أعيش مشوهة الوجه، (إرادته سبحانه تعالى ولا يمكن الاعتراض عليها) (الحادثة) كان لي موعد (معها) وأنا عمري ٤ سنوات، حين تعرضت لحادث مريع، حيث صدمتني سيارة، وقد خلف لي هذا الحادث تشوها في الوجه، هذا التشوه أصبح عقدتي. وبمرور السنوات وأنا أكبر لم أنتبه لحجم المعاناة. لكني اليوم أدركت حجمها. نعم لطالما حلمت بالزواج وبالأمومة، لكن، من يقبل بي؟ [٢]

قصة رقم ٢ :

سأسرد لك مشكلتي التي طالما آلمت أعصابي إني بحاجة إلى إنسان أحكي له مكبوتات صدري المؤلمة لقد درست خمس سنوات ونصف وتركت المدرسة بعد إصابتي بمرض عرفت فيما بعد أنه مرض ((التأتأة)) وقد كان ولا يزال سببا في تحطيمي، وصعوبة النطق سببت لي الكثير من المتاعب والشعور بفقدان الثقة وللأسف كنت أظن أن أهلي سيرفقون بي، ولكنهم عايروني بهذا المرض، حتى صار يتردد على ألسنة الصغار، مما زاد ألمي وحزني إن جروح قلبي لازالت دائمة النزيف لا تندمل، وأصبحت أرفض

---

[١] سورة النحل آية : ٧٦

[٢] www.mana.ae /word/means/٩.htm

الزواج رفضا باتا، وكيف أوافق عليه وأنا في هذه الحالة؟ صرت لا أنام ولا آكل ولا أشرب حتى ضعف جسمي وأنهكتني الأحزان وتدهورت صحتي النفسية والبدنية، حتى قال لي الطبيب: تجنبي القلق والوسوسة وإلا أصبت بمرض القلب لا محالة هذه هي مشكلتي. [1]

قصة رقم ٣ :

أنا فتاة أبلغ من العمر ٢١ عاما، معاقة حركيا، لكن ذلك لم يكن عائقا بالنسبة لي، لأن الله أعطاني قوة إيمان جعلتني أتحدى كل الصعاب لأنني أعرف أن الحياة سقوط ونهوض، نجاح وفشل لكن مشكلتي الوحيدة هي (الناس) فالناس لا ترحم، ولا يحترمون شعوري، فالبعض ينظر إلى نظرة احتقار أو شفقة، بل إن البعض يضحك من إعاقتي ويطلقون علي أسماء تترك الحزن في نفسي الضحكات والسخرية لا لشيء إلا لعدم قدرتي على المشي، مع أنني أعلم جيدا أنه لا ذنب لي أما المشكلة الثانية فهي أنه من حقي أن (أحب) [2] مثل جميع بنات جنسي، طبعا في الحدود الشرعية أم أنه لا حق للمعاق في الحب ؟! [3]

قصة رقم : ٤

أنا فتاة في السابعة والعشرين من عمري، تخرجت من الجامعة، ومنذ سنوات أصبت بمرض جلدي ((البهاق)) جعلني إنسانة معقدة، وكدت أنزوي وأترك الدراسة،

---

[1] مشكلات الشباب والفتيات زينب الغزالي الجبيلي ج ١

[2] لعلها تقصد أن تتزوج فكلمة الحب من المفاهيم الغربية التي ينبغي الترفع عنها لأنها في حقيقتها الزنا.

[3] مشكلات الشباب والفتيات زينب الغزالي الجبيلي ج ١

ولكن ثقتي بالله كانت كبيرة، وعدت لحالتي النفسية الطبيعية، ورجوت الله أن يغفـــر لي، حتى صرت إنسانة طبيعية، وفي الفترة الأخيرة تقدم لخطبتي زميل لي في العمـــل إلا أنـــني مترددة جدا لإعطائه رد الموافقة، علما بأنه تقدم لخطبتي كثيرون، ورفضتهم بسبب هـــذا المرض الجلدي لقد حرت في أمري والعمر يجري. [١]

كما أن على أولياء الأمور أن لا يغرروا بالمتقدمين لكريماتهم ويخبروهم بمثل هذه العلل، حتى لا تحدث نتائج سلبية بعدم إخبارهم، لأن الإخبار غالبا يجعل مكانـــة أهـــل البنت تكبر في المتقدم فلا يرجع القهقرى ولا ينكص على عقبيه. قال محمد بـــن بحـــر: حدثني عمي: لما اجتمعنا لتزويج أبي عبد الله [٢]بأخت محمد بن ريحان، قال له أبوها: يـــا أبا عبد الله إنها ــ ووضع إصبعه على عينها يعني أنها بفرد عين ــ فقال له أبو عبـــد الله: قد علمت. [٣]

وقد يلجأ المعاق إلى التبريز في شيء آخر، تعويضا عما يعانيه من صراع في نفسه وإشغالا لنفسه وإن يرى غيره أن إعاقته لم تكسر من شوكته وأن مصابه لم يفل في عضده ولم يفت في عزمه وأنه أفضل من كثير من الأصحاء. قال الحربي: كان محمد بـــن عبـــد الرحمن الأوقص عنقه داخل بدنه، وكان منكباه غاصين كأنهما زجان، فقالت أمه: يا بـــني لا تكون في مجلس قوم، إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلـــم فإنـــه

---

[١] www.mana.ae /word/means/٩.htm

[٢] أحمد بن حنبل

[٣] مناقب الإمام أحمد ص٤٠٣

يرفعك فولي قضاء مكة عشرين سنة، قال: وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرعد حتى يقوم.[١]

٤ ـ الزهد في الزواج :

أولا: الزهد في الزواج عند الفتى:

تفكير الرجل في إعفاف نفسه والسعي نحو إحصانها هو الشيء الطبيعي لكل الرجال تقريبا ، فالرجل مفطور بطبيعته للانجذاب نحو الأنثى كما هو شأنها أيضا. ولكن الرجل قد يزهد في الزواج لأسباب عدة منها:

أ ـ الزهد في الزواج للحصر وعدم المقدرة على إتيان النساء :

قال الله تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا[٢] وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣] قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ وَحَصُورًا[٤] لَا يَأْتِي النِّسَاءَ.[٥]

---

[١] البحر الرائق في الزهد والرقائق، لأحمد فريد، ص ٣٨، مكتبة الصحابة، جدة، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م

[٢] قال ابن الأعرابي: هو الذي لا يشتهي النساء ولا يقربهنّ. الأزهري: رجل حَصُورٌ إِذا حُصِرَ عن النساء فلا يستطيعهنّ والحَصُورُ: الذي لا يأْتي النساء.[لسان العرب لابن منظور : مادة حصر]

[٣] سورة آل عمران آية ٣٩

[٤] قال ابن حجر رحمه الله تعالى : أصل الحصر الحبس والمنع ، يقال لمن لا يأتي النساء أعم من أن يكون ذلك بطبعه كالعنين أو بمجاهدة نفسه، وهو الممدوح والمراد في وصف السيد يحي عليه السلام. (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٥٧)

[٥] صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن

وهذا السبب من أعظم الأسباب في عزوف الرجال عن النساء، فقد يكون رجلا حصورا، علم هذا الداء من نفسه، ولا يود أن يطلع على علته أحد من الناس، فيسأله الناس عن زواجه متى وممن وأين؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الطبيعية، فيجيب إجابات توحي بأنه راغب في الزواج ولكنه لم يتيسر له حاليا، والحصر سبب لانصراف كثير من الناس عن الزواج مع محاولتهم لعلاجه، ومن طرائف ما حدث في ذلك، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كان ابن أبي يحيى أحمق أو قال: أبله، كان لا يمكنه الجماع، فأخبرني من رآه معه فأس، فقال: بلغني أنه من بال في ثقب فأس أمكنه الجماع، فدخل خربة فبال في الفأس.[1]

ب ـ الزهد في الزواج بخلا من الإنفاق على الزوجة والأولاد:

بعض الناس يغلب عليه البخل، وأنه يأخذ ولا يعطي ويدخل ولا يخرج، قال يزيد بن عمير لبنيه: يا بني، اعلموا أن يكون عند أحدكم مائة ألف أعظم له في صدور بني تميم، وأعظم شرفا له من أن يقسمها فيهم، ولأن يقال لأحدكم شحيح وهو غني، خير له من أن يقال سخي وقد افتقر، ولأن يقال لأحدكم جبان وهو حي خير من أن يقال شجاع وقد قتل، وتعلموا الرد فوالله لهو أشد من الإعطاء.[2] وكما ذكر عن أحد البخلاء، وهو أبو عبس، وكان إذا وقع الدرهم في يده نقره بإصبعه ثم يقول: كم من مدينة قد دخلتها، ويد قد وقعت فيها، فالآن استقر بك القرار، واطمأنت بك الدار، ثم يرمي به في صندوقه، فيكون آخر العهد به.[3]

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٤٥٤

(٢) كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ص ١٣٦

(٣) المحاسن والمساوئ للجاحظ ص ٧٩

شخص مثل هذا قبل أن يقدم على الزواج يحسب حسابه تماما فيحسب كم تصرف منه الزوجة من مهر ونفقة، ومتطلبات معيشة، قد يسوف في توفيرها ويماطل فيها ويأمر غيره بذلك، كما كان يفعل الحجاج بن عنبسة الذي قيل عنه: مر بالحجاج بن عنبسة، رجل في يوم صر وهو يرعد فقال له: ما الذي أخرجك من بيتك في مثل هذا اليوم؟ قال: خرجت أشتري لزوجتي بردا، قال: لا كسا الله عريها، أما لها برد. قال: نعم ولكنه خلق، قال: ارقعه ما دام فيه مستمتع فإذا لم تبق فيه بقية فماطلها أربعة أشهر وعشرا، عدة المتوفى عنها زوجها.[١]

كما أنه يحسب كم تكون تكاليف هذا المولود من عقيقة وملابس وأكل وخلافه، قال المعري:

كم صَرَفَ المولودُ، عن والدٍ   خيراً، وكم أمٍ له لم يمنْ[٢]
الرُّبْعُ للزوجةِ، إن لـم يكنْ   نَسْلٌ، وإن كان غَدَتْ بالثمنْ

فالخوف من القيام بتكاليف النساء والإنفاق عليهن ابتداء سبب لترك الزواج وذاك لطبيعة البخل الغالبة على الرجل، رغم ما في أمر الإنفاق على الزوجة من أجر عظيم، فعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ.[٣]

قال النووي رحمه الله تعالى: فيه استحباب الإنفاق في وجوه الخير. وفيه: أن الأعمال بالنيات، وأنه إنما يثاب على عمله بنيته، وفيه أن الإنفاق على العيال يثاب عليه

---

[١] سمط اللآلي ج ١ ص ٢٨٠

[٢] يمن: يحتمل مؤنته.

[٣] صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب: الوصية بالثلث، حديث رقم: ٣٠٧٦

إذا قصد به وجه الله تعالى. وفيه: أن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة، ويثاب عليه، وقد نبه صلى الله عليه وسلم على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك)؛ لأن زوجة الإنسان هي من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى، حصل له الأجر بذلك، فغير هذه الحالة أولى بحصول الأجر إذا أراد وجه الله تعالى، ويتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئا أصله على الإباحة، وقصد به وجه الله تعالى يثاب عليه، وذلك كالأكل بنية التقوي على طاعة الله تعالى، والنوم للاستراحة؛ ليقوم إلى العبادة نشيطا، والاستمتاع بزوجته وجاريته؛ ليكف نفسه وبصره ونحوهما عن الحرام؛ وليقضي حقها؛ وليحصل ولدا صالحا، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم:"وفي بضع أحدكم صدقة ."[1]

كما أن الخوف من مضايقة الأولاد الذين هم نتاج الزواج لآبائهم في الأرزاق، سبب آخر لترك الزواج والعزوف عنه والزهد فيه، فيمتنع الرجل من الزواج أصلا أو يتخلص من نتاج هذا الزواج، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[2]

---

[1] مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٧ ص ٤٤٣

[2] سورة الإسراء آية : ٣١

وعَنْ عَبْدِ اللَّه قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّه نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قُلْتُ إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ [1] قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ.[2]

ج ـ الزهد في الزواج خوفا من مسئولية النساء أمام الله يوم القيامة :

قد يزهد أحد الناس في الزواج خوفا من مسئولية النساء أمام الله يوم القيامة، باعتبار أهن رعية، وأن كل راع مسئول عن هذه الرعية، وأنه يخشى التقصير والتفريط في هذا الأمر، وأن أفضل السبل وأنجى الطرق هو الانصراف عنهن والازورار عن التلطخ والاقتران بهن وإيثار حياة العزوبة، فالمسئولية أمام الله عز وجل عن النساء عظيمة جدا، فالإنسان مسئول عن الإطعام والنفقة والكسوة وتوفير السكن والإعفاف وغيره. فالسلامة لا يعدلها شيء، قال عبادة بن علي بن صالح الأنصاري: لو كانت الشركة تصح في الزوجات لشاركت في جزء من أربعة وعشرين جزء.

وهو مسبوق إليه بنحوه من الأوزاعي فإنه قال لصديق له: إن استطعت أن تكتفي من هذا الزمان بنصف امرأة فافعل.[3] قال بعضهم:

---

[1] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله : (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) أي من جهة إيثار نفسه عليه عند عدم ما يكفي ، أو من جهة البخل مع الوجدان. (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٦٠٧)

[2] صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب : قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حديث رقم: ٦٩٦٦/ صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، حديث رقم: ١٢٤

[3] الضياء اللامع ج ٤ ص ١٧، نقلا عن الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهم وأسباب ذلك ، ص ٩٧ ــ ٩٨

قالوا تزوج فلا دنيا بلا امـــــرأة وراقب الله واقرأ آي ياسينـــــا
لما تزوجت طاب العيش لي وحلا وصرت بعد وجود الخير مسكينـــا
جاء البنون وجــــاء الهم يتبعهم ثم التفت فلا دنيــا ولا دينـــا
هذا الزمان الذي قال الرسول لنا خفوا الرحال فقد فاز المخفونا[1]

د ـ الزهد في الزواج خوفا من عقوق الأبناء الذين هم نتاج الزواج :

قد يكون من سبب عدم زواج أحد الأفراد الخوف من عقوق الأبناء كما فعـل بعض من عاين عقوق الأبناء لآبائهم ممن حوله من الأسر، ومما قرأه من أخبـار العققـة وسوء معاملتهم لوالديهم مما جمعه الشعوبي أبو عبيدة معمر بن المثنى الخـارجي[2] الـذي

---

[1] عن أنس قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو آخذ بيد أبي ذر فقال يا أبا ذر أعلمت أن بين أيدينا عقبة كؤدا لا يصعدها إلا المخفون فقال رجل يا رسول الله أمن المخفين أنا أم من المثقلين فقال عندك طعام يوم قال نعم وطعام غد قال نعم وطعام بعد غد قال لا قال لو كان عنـدك طعام ثلاث كنت من المثقلين.[رواه الطبراني في الأوسط وفيه جنادة بن مروان قال أبو حـاتم لـيس بالقوي، وبقية رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد، حديث رقم: ١٧٠٥٩]

[2] أبو عبيدة معمر بن المثنى. البصري اللغوي النحوي العلامة، قال الجـاحظ: لم يكـن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه، وكان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتبا، وكان يـرى رأي الخوارج، وكان أبو نواس يتعلم منه ويصفه، ويسب الأصمعي ويهجوه. وكان إذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه، وإذا تحدث أو قرأ ألحن، ويقول: النحو محدود، ولم يزل يصنف حتى مـات، وتصـانيفه تقارب مائتي مصنف، ذُكر منها عدد وافر في ابن خلكان، وقال: ولولا خوف الإطالة لذكرت جميعها.

وكان الأصمعي إذا أراد الدخول إلى المسجد قال: انظروا لا يكون فيه ذاك، يعني أبا عبيدة، خوفا من لسانه، فلما مات لم يحضر جنازته أحد، لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحـد، لا شـريف ولا غيره، وكان وسخا، ألثغ، مدخول النسب، مدخول الدين، وأخباره كثيرة، ذكر جملة صالحة منها في

ألف كتابا جمع فيه أخبار عققة العرب خاصة، وتتبع أخبارهم وقصصهم، فقرأ هذه القصص وشاهد بعينه عقوق أبناء الجيران والأهل وممن يعرف لآبائهم، فكان هذا سببا لزهده في الزواج، والرغبة عن الإتيان بنغل يربيه وينفق عليه ويعقه في آخر المطاف، وممن فعل ذلك الزمخشري وكان قد عاين عقوق كثير من الأولاد لآبائهم، فقال في ذلك:

ما نسل قلبي كنسل صلبي   من قاس رد له قياسه[1]

وقال المعري:

خيرُ النساءِ اللواتي لا يَلِدْنَ لكم   فإنَ وَلَدْنَ، فخيرُ النَّسْلِ ما نَفَعا
وأكثرُ النسلِ يشقي الوالدان به   فليتَهُ كان عن آبائِه دفَعا
أضاعَ داريكَ من ديناً وآخرةٍ   لا الحيُّ أغنى، ولا في هالكٍ رَفَعا
وكم سليلٍ رَجاهُ للجمالِ أبٌ   فكان خِزْياً بأعلى هَضْبةٍ رَفعا

أو قد يؤخر الرجل زواجه فيتزوج في آخر عمره كما فعل أحدهم فيما ذكره الراغب الأصفهاني الذي قال: قيل لرجل في التزويج فقال: أريد أن أستبق أولادي في اليتم قبل أن يسبقوني في العقوق.[2]

هـ- النظرات الفلسفية في الزواج :

بعض النظرات الفلسفية ترى أن هذه الحياة لا تستحق أن يتزوج الإنسان فيها وأن يتخذ أهلا وذرية ، لأنها ترى أن الزواج وإتيان الرجل زوجته واستجابة المرأة لذلك

وفيات الأعيان، ولد في سنة ١١٠ في الليلة التي توفي بها الحسن البصري، وتوفي في سنة ٢٠٩ .[انظر:الرحيق المختوم، من تراجم أئمة العلوم]

[1] انظر الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهم وأسباب ذلك ، ص ٩٧ ــ ٩٨

[2] محاضرات الأدباء مجلد ١ ج ١ ص ٣٢٣

نوع من البهيمية التي يجب على الإنسان أن يربأ بنفسه عنها، وممن فعل ذلك، محمد بن بشير بن محمد بن هلال الغزي ١٣٣٩هـ الذي قال عنه أخوه لأمه كامل الغزي: لم يتزوج مطلقا، وكنت إذا عرضت له بالزواج ورغبته فيه ينشدني قول المتنبي:

وما الدهر أهل أن يؤمل عنده   حياة أو أن يشتاق فيه إلى النسل[1]

والمتنبي يرى أن الزواج ونتاجه من ما يعلل به المرء نفسه، فالدنيا لا تستحق هذا، وعكس هذا في قوله:

هل الولدُ المحبوبُ إلا تَعِلَّةٌ   وهل خلوةُ الحسناءِ إلا أذى البعلِ
وما الدهرُ أهلٌ أن يؤمل عنده   حياة وأن يُشتاقَ فيه إلى النَّسْلِ

وقال رفيق الفاخوري:

قالَ وفي قَلبه حريقٌ   مازلتُ أعدو وراءَ شطري
فقلْتُ: بعدَ الرباطِ جَرٌّ   فخُذْ له صاحِ كُلَّ حِذْرِ
سرورُ شهرٍ. وغَمُّ دَهْرٍ   وغرمُ مهرٍ، ودقُّ ظَهْرِ

والملاحظ أن أصحاب هذه الآراء إما من الزنادقة كأبي العلاء المعري، أو رقيقي الدين كالمتنبي.

و- ابتداع الزوج:

الملتزمون أهل السنة لا يزوجون المخالفين في الدين مخالفة واضحة، من أصحاب البدع العقائدية كالجهمية والروافض، بل يرون أن تزويج البنت من أحد سفهاء أهل

---

[1] محاضرات الأدباء مجلد ١ ج ١ ص ٣٢١

السنة قطع لرحمها واستهانة بها، قيل: من زوج كريمته من سفيه فقد عقها.[١] قال ابن مهدي عن الجهمية: ما كنت لأناكحهم، ولا أصلي خلفهم.[٢]

والرجل المرفوض زواجه من قبل الأسر والفتيات بسبب فساد معتقده، أمام خيارات:

ـ أن يتزوج من هي على شاكلته من موافقة مذهبه الباطل.

ـ أن يغير ما هو عليه من طريق انتهجها، رفضه بسببها الناس، كما فعل عمران بن حطان الذي كان من أهل السنة وصار خارجيا، قال محمد بن سيرين: تزوج عمران بن حطان امرأة من الخوارج فكلموه فيها فقال: سأردها إلى الجماعة فصرفته إلى مذهبها. وكانت المرأة من عشيرته.[٣]

ـ أن يستمر على ما يرى ويعتقد ويزهد في الزواج.

ز ـ الزهد في الزواج رغبة في الحور العين بدلا عن الحور الطين[٤]:

قد يكون أحد الشباب في عنفوان شبابه وقمة نشاطه ومظنة استطاعة الباءة من قوة جسمية ومالية ونحوها مع العفة التامة والبعد عن الفواحش ولكنه لا يفكر في الزواج

---

[١] نثر الدر ج٤ص٢٢٨

[٢] سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٢٠٤

[٣] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، التاشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠ ص ١٥٥

[٤] قال أبو سليمان: أقام داود الطائي أربعا وستين سنة أعزب فقيل له: كيف صبرت عن النساء؟ قال: قاسيت شهوهن ثم إدراكي سنة ثم ذهبت شهوهن من قلبي قال أبو سليمان فنرى أنه من صبر عنهن ثم إدراكه سنة لم يعرفهن حلالا ولا حراما إنه يكفى مؤنتهن. [الحلية ج ٧ ص ٣٤٩]

بل هو صارف النظر عنه وعند استطلاع جلية أمره واستكشاف كنهه يتضح أنه زاهد في الزواج عازف عنه لأنه يريد يقرن أسبابه ويربط حباله من نساء أخريات هن الحور العين ، بل يدعو غيره إلى احتذاء منهجه والسير على خطواته قال أبو نواس:

فاسـم بعينيك إلى نسـوة مهورهن العمل الصالـح

لا يجتلي الحوراء في خدرها إلا امرؤ ميزانه راجـح [١]

وإذا خوطب هذا الشخص في الزواج أعرض عن الكلام وصدف عن الإجابة أو أجاب بأنه يرغب في الحور العين وفي الأزواج المطهرة، ولذا فهو راغب فيهن ساع إليهن ومن ثم فهو يقيم الليل ويصوم النهار ويكثر من الذكر والتسبيح والاستغفار وقراءة القرآن رغبة في الظفر بهن والفوز بهن كما أنه راغب عن نساء الدنيا لأنهن جمعن بين الحشف وسوء الكيلة فهن قد جمعن بين القذر الحسي من حيض وبول ومخاط والسوء المعنوي فهن لا يخلين من البذاء والإيذاء دلاجات ولاجات ولذا فهو راغب في نسوة مطهرات من اللاتي لم يصبهن شمس ولا دخان، لم يعذبن في البلايا. ولم يكلمن في الرزايا، ولم تغيرهن الأحزان ناعمات لا ييأسن، خالدات فلا يمتن، مقيمات فلا يظعن، لهن أخبار يعجز عن نعتهن الأوهام.[٢] من اللاتي يتغنين بأعذب الألحان ويقلن: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلاَ نَبِيدُ، وَنَحْنُ النّاعِمَاتُ فَلاَ نبأسُ، وَنَحْنُ الرّاضِيَاتُ فَلاَ نَسْخَطُ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنا وَكُنا لَهُ". [٣]

---

[١] انظر البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٥١

[٢] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٦ ص ٢٠٤ـ ٢٠٥

[٣] تحفة الأحوذي للمباركفوري، كتاب صفة الجنة. باب ما جَاءَ فِي كَلاَمِ الْحُورِ الْعِين. حديث رقم: ٢٦٢

وعن عباد بن راشد عن ثابت البناني قال: كنت عند أنس بن مالك فقدم عليه ابن له من غزاة يقال له أبو بكر، فسأله ثم قال: ألا أخبرك عن صاحبنا فلان؟ بينما نحن في غزاتنا إذ ثار، وهو يقول: واأهلاه واأهلاه، فترلنا إليه وظننا أن عارضا عرض له، فقلنا له: فقال: إني كنت أحدث نفسي أن لا أتزوج حتى أستشهد فيزوجني الله من الحور العين، فلما طالت علي الشهادة حدثت نفسي في سري إن أنا رجعت تزوجت فأتاني آت في منامي، فقال: أنت القائل إن أنا رجعت تزوجت؟ قم فإن الله قد زوجك العيناء، فانطلق بي إلى روضة خضراء معشبة فيها عشر جوار في يد كل واحدة صنعة تصنعها لم أر مثلهن في الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء؟ قلن: لا، نحن من خدمها وهي أمامك، فانطلقت فإذا بروضة أعشب من الأولى وأحسن، فيها عشرون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها ليس العشر إليهن في شيء من الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء؟ قلن: لا، نحن من خدمها، وهي أمامك، فمضيت، فإذا أنا بروضة أخرى أعشب من الأولى والثانية وأحسن، فيها أربعون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها ليس العشر والعشرون إليهن بشيء من الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء؟ قلن: لا، نحن من خدمها. وهي أمامك، فانطلقت فإذا أنا بقبة مجوفة فيها سرير عليه امرأة قد فضل جنبها عن السرير، فقلت: أنت العيناء؟ قالت: نعم مرحبا وذهبت لأضع يدي عليها، قالت: مه إن فيك شيئا من الروح بعد، ولكن فطرك عندنا الليلة، فما فرغ الرجل من حديثه حتى نادى مناديا خيل الله اركبي، فجعلت أنظر إلى الرجل، وأنظر إلى الشمس ونحن نصاف العدو، وأذكر حديثه، فما أدري أيهما بدر رأسه أو الشمس سقطت أولا. [1]

---

[1] الزهد لهناد ج١ص ٥٨ـ ٥٩، حديث رقم: ٢٥ /تهذيب الكمال ج ٣٣ ص٨٦ ـ٨٧ / الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٢ـ٢١٣

ح ـ معايشة تجارب زواج فاشلة :

ــ إذا رأى الرجل مَن حوله من الأزواج الذين يعيشون في شقاء ونكد وصراع وخصام وسباب وضرب ولطم دائم فإنه يزهد في الارتباط والاقتران بواحدة تزيده عناء ، ويزيد هذا الأمر ما يعكسه له الرجال المتزوجون وما يحكونه من معاناقم مع زوجاقم ومن حسن معاملتهم لهن ومن سوء معاملة زوجاقم لهم فهن قد فعلن وفعلن ويقص له أشياء حدثت قبل سنوات واعتذرت منها المرأة ولكنه مدون لها في دفاتره حافظ لها في ذاكرته وذلك لتذكيرها بها في كل وقت بمناسبة وبغير مناسبة وأنه فعل لها وفعل من إكرام وتقدير ــ وينسى الرجل أو يتناسى ما قام به نحوها من شتم وضرب وإساءة ــ ولكن النساء كفورات للنعم جاحدات لها ويزيد الرجال ما شاءوا من صفات سوء يضيفونها على النساء، ويضيف أحدهم ما سمعه من حكايات إلى ما وقع له من مشاهدات.

ومن ثم يزهد هذا الرجل في الزواج عندما يسمع هذا الحديث وأشباهه عن النساء زهدا تاما ويصرف عنه النظر صرفا كليا ويشمئز من النساء ويصاب بفرط تعميم فيحكم عليهن بأهن مكمن السوء وبؤر الشر والفساد ومأوى للنكد وعدم راحة البال وأن الواحدة منهن لو جاورت أهل النار لرفضوا جوارها وتأذوا بها أكثر من تأذيهم بعذاب جهنم، وهي كما وصف أحد الأعراب امرأته قائلا:

أنت العتيقة في المكائد والأذى ... والقبح فيك طبيعة وعلامة
ما الحية الرقطاء أبشع منظرا ... منك وليس القرد أقبح قامة
الجان يهرب صارخا مسترحما ... من سوء طبعك لا يريد إقامة
لو ترحلين إلى جهنم ساعة ... لخلت من السكان دون ملامة

بل هي غل قمل يحيط بعنق الزوج، فلماذا يأتي الواحد بأفعى منهن تلدغه وبعقرب تلسعه فالأفضل والأحسن والأكرم له أن يعيش عزبا [1] فهو لا يطيق نفسه ولو وجد سبيلا لطلقها ولفارقها فكيف يطيق ويحتمل غيره وهذا الغير لم يعرف عنه خير قط. [2]

وينسى هذا الرجل في تعميمه الذي أطلقه عن النساء أمه وخالاته وعماته وأخواته اللاتي إذا سئل عنهن فإنه يقول بملء فيه : إنهن أفضل النساء بل هن من حور الدنيا فهن صاحبات الجمال والعفاف والطهر فهن عرب[3] حييات خرائد[4] لا يخزي

---

[1] هذا إن كان عفيفا في نفسه وله دين وخلق وإن كان فاجرا فسيقضي وطره كيف شاء وأنى شاء ومتى شاء.

[2] قال سفيان بن عيينة، قيل لإبراهيم بن أدهم: لو تزوجت؟ قال : لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت.[البداية والنهاية لابن كثير ج١٠ ص ١٣٨/ سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٩٢]

[3] عُرُب – بضمتين – جمع عَرُوب، وهي المرأةُ الحَسْناء المُتحبِّبة إلى زَوْجها.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عرب}]

[4] الخَرِيدَة والخَرِيد والخَرُود من النساء هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخَفِرة المتسترة قد جاوزت الإِغْصار ولم تعنس. والجمع خرائد وخُرُد وخُرَّد. وصوت خَريدٌ: لين عليه أثر الحياء؛ أنشد ابن الأعرابي:

من البيض، أما الدَّلُّ منها فكامل   مَليح، وأما صَوْتُها فَخريدُ

والخَرَد: طول السكوت. والمُخرِد: الساكت. وأَخْرَد: أطال السكوت. أبو عمرو: الخارد الساكت من حياء لا ذل، والمُخْرِد: الساكت من ذُلٍّ لا حياء. [القاموس المحيط، للفيروز آبادي باب الدّال. فَصْلُ الخَاء/ لسان العرب، مادة: خرد]

نثاهن أزواجهن، وأهن أحق بقول الشنفرى الأزدي في وصف زوجته من زوجته، التي قال فيها:

أميمة لا يُخزي نثاها حليلها   إذا ذكر النسوان عفّت وجلّت[١]

وأهن من الخفرات اللاتي لم يفضحن آباءهن ولم يكسبن إخواهن شنارا، وهن كما قال السليك بن السلكة :

من الخفرات لم تفضح أباها   ولم ترفع لأخوتها شنارا[٢]

وأهن من الممنعات النوار وأن الواحدة منهن لا تحسن السب وإن سبوها فهن كما أنشد أبو عبد الله بن لبانة الأعرابي :

كريمة يحبها أبوها   مليحة العينين عذبا فوها

لا تحسن السب وإن سبوها[٣]

وأهن قواعد بيوهن فجدته ــ رحمها الله تعالى ــ لم تخرج من بيتها إلا ثلاث مرات في حياها: واحدة من بطن أمها والثانية من بيت أبيها إلى بيت زوجها والثالثة من بيت زوجها إلى قبرها بل في الحقيقة مرتين فقط لأن الخروج الأخير وهو الذي كان من بيت زوجها إلى قبرها لم تقم به بل قمنا نحن به، عندما دفناها وواريناها جثمانها الثرى، فأخرجناها من بيتها إخراجا وأدرجناها في أكفاها إدراجا، وأولجناها في رمسها إيلاجا فرحمها ربي وأنزل شآبيب رحمته على قبرها غدوا وإدلاجا.

---

[١] انظر المفضليات للمفضل بن سلمة مفضلية رقم ٢٠ ص ١٠٨ ــ ١٠٩

[٢] انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢٠ ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤ (تحقيق : علي النجدي ناصف)

[٣] العقد الفريد ج٤ص٨٧

وهذا الرجل في حقيقة الأمر يكيل بمكيالين ويزن الأمور بمعيارين فيكتال مستوفيا عند ذكر أمه وأخواته وعماته وخالاته وقريباته ويطفف الميزان عندما يكيل للأخريات ويظن أنهن لسن من عالم نساء الدنيا التي هن من جنس أمه وقريباته بل هن من عالم الشياطين.

إما إن كان هذا الرجل عديم الدين والأخلاق فإنه يقضي وطره متى شاء وأين شاء وبمن شاء من النساء وذلك لفتح باب الفواحش في كثير من أقطار المسلمين التي لها دور بارز في ظهور العنوسة عند الفتيان، وذلك أن الشاب يستطيع أن يقضي شهوته وأن ينال ما يريد من غير كبير جهد ولا كثير عناء، فالنساء كثر وهن أشكال وألوان فيتقلب الشاب بين الخدينات والعشيقات فيخادن هذه حتى إذا ملها ذهب إلى غيرها هذا غير بائعات الهوى أو قد يمارس الاستمناء ويكتفي ويستغني به عن النساء.

ط ـ الزهد في الزواج تبتلا[1]:

قد يجنح فكر الإنسان فيرى أن العلاقة الزوجية مجرد شهوة بهيمية وقضاء وطر حيواني فيأنف عن التلبس بها ويزور عن مقارفتها ويرى أن مظاهر رقي الإنسان وتقدمه الحضاري وارتقائه في سموق المدنية النأي بهذه النفس عن هذه الأرجاس والقاذورات والارتقاء بها عن هذه الأدناس ومن ثم التفكير في العزوف عن عالم النساء والإعراض عنه

(1) بتل: البَتْل: القَطْع. وقالوا لمريم العَذْراء البَتول والبَتِيل لذلك، والبَتُول من النساء: العَذْراء المنقطعة من الأزواج، ويقال: هي المنقطعة إلى الله عز وجل عن الدنيا. والتَّبَتُّل: ترك النكاح والزهدُ فيه والانقطاع عنه. [لسان العرب مادة بتل]

وقد يعزف الإنسان عن الزواج بنية التفرغ لطلب العلم،[1] أو يقلل من مقارفة النساء طمعا في نيل أمور من الدنيا يرى أن الانشغال بالنساء يصرفه عنها كأبي مسلم الخراساني فقد كان أبو مسلم الخراساني يقارف النساء في العام مرة واحدة فقط.[2]

والتبتل سبب من أسباب العنوسة عند الذكور والإناث على السواء، وهو رفض الزواج بنية التقرب إلى الله تعالى ودفعه وعدم العمل به بحجة أنه من الأسباب التي تباعد عن الله عز وجل والعزوف عنه من الأسباب التي تقرب إلى الله عز وجل وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم التبتل واستنكر فعله وأنكر على من فعله واعتبره من صفات النصارى كما في حديث عكاف بن بشر : فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَكَّافُ بْنُ بِشْرٍ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَكَّافُ هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجَةٍ قَالَ لَا قَالَ وَلَا جَارِيَةٍ قَالَ وَلَا جَارِيَةَ قَالَ وَأَنْتَ مُوسِرٌ بِخَيْرٍ قَالَ وَأَنَا مُوسِرٌ بِخَيْرٍ قَالَ أَنْتَ إِذًا مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ وَلَوْ كُنْتَ فِي النَّصَارَى كُنْتَ مِنْ رُهْبَانِهِمْ إِنَّ سُنَّتَنَا النِّكَاحُ شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ أَبِالشَّيْطَانِ تَمَرَّسُونَ مَا لِلشَّيْطَانِ مِنْ سِلَاحٍ أَبْلَغُ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا الْمُتَزَوِّجُونَ أُولَئِكَ الْمُطَهَّرُونَ الْمُبَرَّءُونَ مِنْ الْخَنَا وَيْحَكَ يَا عَكَّافُ إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ أَيُّوبَ وَدَاوُدَ وَيُوسُفَ

---

[1] قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: تَفقَّهوا قبل أن تُسَوَّدوا؛ قال شَمِر: معناه تعلَّموا الفقه قبل أن تُزَوَّجوا فتصيروا أرباب بيوت فَتُشْغَلوا بالزواج عن العلم، من قولهم استاد الرجلُ، يقول: إذا تَزوّج في سادة. [لسان العرب مادة سود]

[2] قال الذهبي، قال ابن خلكان: كان أبو مسلم: تأتيه الفتوح العظام فلا يظهر عليه أثر السرور، وتترل به الفادحة الشديدة فلا يرى مكتئبا، وكان إذا غضب لم يستفزه الغضب ... إلى أن قال: وكان لا يأتي النساء في العام إلا مرة، يشير إلى شرف نفسه وتشاغلها بالملك. [سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٤٨]

وَكُرْسُفَ فَقَالَ لَهُ بِشْرُ بْنُ عَطِيَّةَ وَمَنْ كُرْسُفُ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ رَجُلٌ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بِسَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ثَلَاثَ مِائَةِ عَامٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ثُمَّ إِنَّهُ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فِي سَبَبِ امْرَأَةٍ عَشِقَهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ اسْتَدْرَكَهُ اللَّهُ بِبَعْضِ مَا كَانَ مِنْهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَيْحَكَ يَا عَكَّافُ تَزَوَّجْ وَإِلَّا فَأَنْتَ مِنْ الْمُذَبْذَبِينَ قَالَ زَوِّجْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قَدْ زَوَّجْتُكَ كَرِيمَةَ بِنْتَ كُلْثُومٍ الْحِمْيَرِيِّ.[1]

وشنع النبي صلى الله عليه وسلم على من اعتبر ترك الزواج مقربا إلى الله تعالى بل أوضح أن العكس هو الصواب : فعن حُمَيْدِ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.[2]

---

[1] مسند الإمام أحمد، مسند أبي ذر الغفاري، حديث رقم : ٢٠٤٧٧

قال الحافظ ابن حجر: والطرق المذكورة كلها لا تخلو من ضعف واضطراب.

[انظر:الإصابة، ترجمة رقم: ٥٦٤٠]

[2] صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث رقم: ٤٦٧٥/ صحيح مسلم: كتاب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة، حديث رقم : ٢٤٨٧

وقد استأذن بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم في التبتل والرهبانية فلم يأذن لهم ، ولو ترك لهم النبي صلى الله عليه وسلم الحبل على الغارب لاختصى البعض منهم فقد قال سَعِيد بْن الْمُسَيَّبِ سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا.(١)

قال ابن حجر : قال الطبري : التبتل الذي أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به ، فلهذا أنزل في حقه ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٢) وقال الطيبي : قوله " ولو أذن له لاختصينا " كان الظاهر أن يقول ولو أذن له لتبتلنا ، لكنه عدل عن هذا الظاهر إلى قوله " لاختصينا " لإرادة المبالغة ، أي لبالغنا في التبتل حتى يفضي بنا الأمر إلى الاختصاء ، ولم يرد به حقيقة الاختصاء لأنه حرام ، وقيل بل هو على ظاهره ، وكان ذلك قبل النهي عن الاختصاء ، ويؤيده توارد استئذان جماعة من الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كأبي هريرة وابن مسعود وغيرهما ، وإنما كان التعبير بالخصاء أبلغ من التعبير بالتبتل لأن وجود الآلة يقتضي استمرار وجود الشهوة ، موجود الشهوة ينافي المراد من التبتل ، فيتعين الخصاء طريقا إلى تحصيل المطلوب ، وغايته أن فيه ألما عظيما في العاجل يغتفر في جنب ما يندفع به الآجل ، فهو كقطع الإصبع إذا وقعت في اليد الأكلة صيانة لبقية اليد ، وليس الهلاك بالخصاء محققا بل هو نادر ، ويشهد له كثرة وجوده في البهائم مع بقائها ، وعلى هذا فلعل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّبَتُّلِ وَالْخِصَاءِ، حديث رقم: ٤٦٨٥/ صحيح مسلم: كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة، حديث رقم: ٢٤٨٩

(٢) سورة المائدة آية ٨٧

الراوي عبر بالخصاء عن الجب لأنه هو الذي يحصل المقصود . والحكمة في منعهم من الاختصاء إرادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار، وإلا لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار ، فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية.[1]

قال النووي: قوله: (رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا) قال العلماء: التبتل هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعا إلى عبادة الله، وأصل التبتل: القطع، ومنه مريم البتول، وفاطمة البتول؛ لانقطاعهما عن نساء زمانهما دينا وفضلا ورغبة في الآخرة، ومنه: صدقة بتلة، أي: منقطعة عن تصرف مالكها. قال الطبري: التبتل: هو ترك لذات الدنيا وشهواتها، والانقطاع إلى الله تعالى بالتفرغ لعبادته. وقوله: (رد عليه التبتل) معناه: نهاه عنه. وهذا محمول على من تاقت نفسه إلى النكاح. ووجد مؤنه، وعلى من أضر به التبتل بالعبادات الكثيرة الشاقة. أما الإعراض عن الشهوات واللذات من غير إضرار بنفسه ولا تفويت حق لزوجة ولا غيرها، ففضيلة للمنع منها، بل مأمور به. وأما قوله: (لو أذن له لاختصينا) فمعناه : لو أذن له في الانقطاع عن النساء وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا؛ لدفع شهوة النساء، ليمكنا التبتل. وهذا محمول على أنهم كانوا يظنون جواز الاختصاء باجتهادهم، ولم يكن ظنهم هذا موافقا. فإن الاختصاء في الآدمي حرام صغيرا كان أو كبيرا، قال البغوي: وكذا يحرم خصاء كل حيوان لا يؤكل، وأما المأكول فيجوز خصاؤه في صغره. ويحرم في كبره.[2]

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٤٢ ــ ١٤٣

[2] مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٦ ص ٣٧٣٩

وترك الزواج مؤشر من مؤشرات العجز وعدم المقدرة عليه أو للفجور والتبتل من الرهبانية التي لا يقرها الإسلام، وعندما ترك الرهبان الزواج وانقطعوا في الأديرة للعبادة، وقعوا في شر الأشياء وأقبحها بعد الشرك بالله تعالى وهو الزنا ولنمثل على ذلك بالآتي:

ـ قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: قال أبو المهند يهجو أحدهم:

وأفجر من راهب يدعـي بأن النساء عليه حـرام
يحرّم بيضاء ممكـورة[١] ويغنيه في البضع عنها غلام
إذا ما مشى غض من طـرفه وفي الليل بالدير منه عـرام
ودير العذارى فضوح لـه وعند اللصوص حديث الأنام

هؤلاء لصوص نزلوا دير العذارى ليلا،[٢] فأخذوا القس فشدوه وثاقا، ثم أخذ كل رجل منهم جارية، فوجدوهن مفتضات قد افتضهن القس كلهن[١]

---

[١] المَكْرَةُ: الساقُ الغليظة الحسناء، والمَكْرُ حُسن خَدالَةِ الساقين. وامرأة مَمْكُورَةٌ: مستديرة الساقين. [لسان العرب، مادة: مكر]

[٢] حدث الجاحظ في كتاب المعلمين قال: حدثني ابن فرج الثعلبي: أن فتيانا من بني ملاص من ثعلبة أرادوا القطع على مال يمر بهم قرب دير العذارى فجاءهم من خبّرهم أن السلطان قد علم بهم وأن الخيل قد أقبلت تريدهم فاستخفوا في دير العذارى فلما حصلوا فيه سمعوا أصوات حوافر الخيل التي تطلبهم وهي راجعة من الطلب فأمنوا فقال بعضهم لبعض ما الذي يمنعكم أن تأخذوا القس وتشدوه وثاقا ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار فإذا طلع الفجر تفرقنا في البلاد وكنا جماعة بعدد الأبكار اللواتي كن أبكارا في حسابنا ففعلنا ما اجتمعنا عليه فوجدنا كلهن ثيبات قد فرغ منهن القس قبلنا. [معجم البلدان ج ٢ ص ٥٢٣]

ـ كان البابا يوحنا الثاني خليعا ماجنا اهم من قبل أربعين أسقفا وسبعة عشر كردنيالا بأنه فسق بعدة نساء وأنه قلد مطرانية طودي لغلام كان سنه عشر سنين. ثم قتل وهو متلبس بجريمة الزنا مع امرأة وكان القاتل له زوجها.[٢]

وكانوا يئدون نتاج هذه العلاقات الآثمة فوقعوا في الشر من ناحيتين من ناحية الزنا وقتل النفس فقد وجد المنقبون عن الآثار في بعض الأديرة في فرنسا عظام أطفال وئدوا بعد ولادهم. إذ الأمهات مشغولات بالعبادة أما الآباء فإنهم كالبهائم[٣] لا يعنيهم إلا فعل الرذيلة وليكن بعد ذلك ما يكون.[٤]

ولو ترك كل الناس الزواج وآثروا الرهبانية فمن يعمر الأرض؟ ومن يجاهد في سبيل الله ؟ ومن يسد الثغور؟ ومن يدفع العدو ؟ ومن يغيظ العدو ويقعد له بالمراصد؟ ومن يكون سببا في مكاثرة الأمم والمباهاة بها يوم القيامة؟ وجاء في الحديث : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنْ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا وَيَقُولُ تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[٥]

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد ٢ ج ٢ ص ١١٢

(٢) معاول الهدم والتدمير ص٧٠

(٣) الغرض من العلاقة التناسلية عند البهائم حفظ النوع ولذا إذا لقحت الأنثى منها فإن الفحل لا يقربها ، قال رؤبة بن العجاج يصف علاقة الذكر بالأنثى بعد لقاحها:

فعف عن إسرارها بعد العسق ولم يُضِعها بين فِرْكٍ وعَشَق

(٤) معاول الهدم والتدمير ص٧١

(٥) مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، حديث رقم : ١٢١٥٢

بل الزواج من العبادة والنسك، قال طاووس بن كيسان اليماني رحمه الله تعالى: لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج.[١]

وقال المروزي: قال أبو عبد الله [٢] ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء، النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أربع عشرة ومات عن تسع ، ولو تزوج بشر بن الحارث لتم أمره، ولو ترك الناس النكاح لم يكن غزو ولا حج ولا كذا وكذا ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح وما عنده شيء ومات عن تسع، وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهو على غير الحق، ويعقوب في حزنه قد تزوج وولد له، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: حبب إليّ من دنياكم النساء، قلت له: فإن إبراهيم بن أدهم يحكى عنه أنه قال: لروعة صاحب العيال فما قدرت أن أتم الحديث، حتى صاح بي وقال: وقعت في بنيات الطريق انظر ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قال: بكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه الخبز أفضل من كذا وكذا ، أين يلحق المتعبد العزب.[٣]

وبحمد الله ظاهرة رفض الزواج لسبب التبتل اختفت وأصبحت ظاهرة تاريخية.

ي ـ الزهد في الزواج اكتفاء بالتجارب الزوجية السابقة :

قد يعرض الفتى عن الزواج لخوضه تجارب زوجية سابقة، قد تكون فاشلة أو غير فاشلة، ولنر الاثنين:

---

[١] سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٤٧ ـــ ٤٨

[٢] الإمام أحمد بن حنبل

[٣] انظر روضة المحبين ص ٢١٤/ الآداب الشرعية ج ٢ ص ٢٦٢

ـ الزهد في تكرار تجربة زواج أخرى :

قد يقوم الفتى بتجربة زواج تكون نتيجتها أنها انتهت بموت الزوجة أو فراقه لها، فيزهد في الزواج ليس من باب الوفاء للمرأة، ولكنه لا يريد تكرار تجربة الزواج مرة أخرى، كما فعل ذلك عز الدين عبد العزيز بن وداعة بن منصور بن محمد بن وداعة الحلبي: قال عنه ابن العماد: لم يخلف ولدا ولا رزقه الله في عمره ولدا، فإنه لم يتزوج إلا امرأة واحدة في صباه ثم فارقها بعد أيام قلائل.[1]

ـ الفشل في تجارب زوجية سابقة:

قد يتزوج شاب من الشباب امرأة من النساء فلا يكتب لزواجهما النجاح وتذيقه مرارات وغصصا لا تنزل من حلقه كلما تذكرها ـــ ويرى الرجل أنه لا غبار عليه وأن السوء والعيب في زوجته ـــ فيسارع لفصم عرى الزوجية التي لم توفق ويبدأ البحث عن زوجة أخرى آملا أن تكون له بلسما لشفي جراحه التي أوجدتها الزوجة السابقة ونكأتها مرارا بلسانها وحكتها حتى أدمتها بفعلها، ويرجو من الزوجة الجديدة أن تكون ضمادا يواسي مصابه ، وقلبا رحيما يغسل أحزانه، ويدا حانية تكفكف دموعه، وتذهب أحزانه فيختار زوجة بعد طول بحث وتنقيب وتأن وصبر وثناء من كثير ممن سألهم عنها، ولكن سوء حظه ونكد طالعه يوقعه في زوجة الزوجة الأولى خير منها فهي زوجة شرسة الطباع سليطة اللسان كثيرة الصياح دائمة النباح منتنة الرائحة فيصاب بحسرة وينقلب فكره رأسا على عقب تجاه النساء فيظن أن كل نساء الدنيا بهذا السوء ـــ الذي وجده وأحسه بعد التي واللتيا [2] زوجتيه السابقتين ـــ وأن الأسر القائمة من حوله كلها قائمة على النكد والشقاء وأن ما يظهر منها من ضحك ومبادئ سرور هو من باب

[1] شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٣٢

[2] انظر : مجمع الأمثال للميداني ، ج ١ ص ١٢٥ ـــ ١٢٦

التجلد فهي لا تريد أن تفشي سرها لغيرها من الأقارب والأباعد خوفا من شماتتهم لـذا فهي تتجلد وتصبر وتتظاهر بالمرح والسرور لمن حولها، قال أبو ذؤيب الهذلي :

وَتَجَلُّدِي للشامِتِينَ أُرِيهِمُ   أَنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ[1]

أما حقيقة الأمر فخلاف ذلك تماما.

ومن ثم يعزم هذا الرجل على عدم الزواج وإسقاط النساء من دائـرة تفكـيره فيعزف ويعرض ويشيح بوجهه ويصرف فكره وذهنه عنهن إلى أشياء أخرى يرى أنها قد تنفعه في حياته التي أضاع جزء كبيرا منها مع زوجتيه، فيؤثر أن يعيش عزبا يكيف حياته على حياة ينظمها حسب ما يريد ولا يجمع إليه امرأة تنكد عليه حياته كما نكدت عليـه الزوجتان السابقتان حياته وتورق ليله كما أرقتاه السابقتان وتقض مضجعه كما أقضت السابقتان مضجعه وتقلق راحته كما أقلت راحته زوجتاه السابقتان اللتان أذهبتا منامـه وزادتا أحزانه وأكثرتا أسقامه وأشابتا رأسه قبل أوانه وبيضتا شعره بعد سواده وسـودتا وجهه بعد بياضه، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين [2] والكيس من وعظ بغيره والشـقي من اتعظ بنفسه فكان هو أعظم الناس جهلا وأبينهم عجزا لأنه وعظ بنفسه مـرة فلـم يتعظ فعاود الكرة بعد المرة فأخفق فلا يريد أن يخوض تجربة ثالثة ففي التجربتين ما يكفي ويزيد بل ينصح المقدمين على الزواج أن يكفوا عنه فالنساء كلهن هموم وغموم.

ويمضي في أمثال هذا الفكر وأشباهه، والذي لو عمل به كل المخفقـين في أمـر زواجهم، لبارت نساء كثر وصار كثير من الرجال عازبين.

---

[1] لسان العرب. مادة : ضعع

[2] حديث لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والإمام أحمد وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنه.

وهذا السبب خلافه مع سبب معايشة تجارب فاشلة أن هذه تجارب شخصية طبقها ومارسها الفتى أما معايشة التجارب الفاشلة فلاحظها وأحسها من غيره.

ثانيا: الزهد في الزواج عند الفتاة:

أ ـ الزهد في الزواج لمعايشة تجارب زواج فاشلة :

قد تعزف الفتاة عن الزواج بسبب ما رأته من إخفاقات زواج لصيقة بها كأمها وأختها وخالتها وعمتها. لأنهن من نسوة صلائف[1] مفركات عند أزواجهن. فأمها لم تحظ عند زوجها الذي هو والد هذه الفتاة العازفة عن الزواج الزاهدة فيه، فوالدها كان ولا يزال يسيء لأمها أمامهم ـــ وما خفي أعظم ـــ ولا يعطيها أدنى ذرة من الاحترام والاعتبار بل هو على النقيض من ذلك فهو يقوم بإهانتها وإذلالها أمام أبنائها من غير مراعاة لها ولا اهتمام بشعورهم بل قد ضربها وشتمها واستأسد عليها وبخاصة عند وفاة أبويها وتفرق أخوتها، قال طرفة بن العبد البكري:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقِي صولةَ المستنفر الحامي[2]

وكذلك خالتها صلفت عند بعلها، وأختها فركها زوجها فطلقها، وعمتها أبغضها حليلها فعلّقها.

ويزيد هذا الأمر ثباتا عندها ورسوخا لديها ما تسمعه من صديقاتها ولداتها من مشاكل يعانينها في بيوتهن وأن صديقتها فلانة تزوجت وأن زوجها قد أهانها وشتمها

---

(١) صلفت المرأة صلفا . فهي صلفة : لم تحظ عند قيمها وزوجها وجمعها صلائف.[لسان العرب ج ٤ ص ٢٤٨٣]

(٢)كتاب جمل من أنساب الأشراف لأحمد بن يحي بن جابر البلاذري حققه وقدم له : د. سهيل زكار و د. رياض زركلي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ج ٣ ص ٣٤٦

وصديقتها الأخرى قد تزوجت فضربها زوجها وهي لم تزل بعد في ثياب زفافها وصديقتها الثالثة مكثت مع زوجها شهرا واحدا وطلقها، فتنشأ الفتاة في هذه الأجواء المفعمة بالبغض المليئة بالكره، فتعتقد هذه الفتاة المسكينة أن الحياة الزوجية كلها نكد ومشاكل أقلها إهانة وعدم إكرام يزيد وينمو إلى سباب وشتم ثم يتطور إلى ضرب ولطام ينتج عنه شجاج وجروح منتهيا بطلاق سريع. فتصاب بفرط تعميم ، تبغض بمقتضاه جنس الرجال، وتظن بهم السوء، وأنهم لا أمان لهم ، وذلك نتيجة الدعاية السيئة من قبل أمها وأختها وعمتها وغيرهن من النساء، اللاتي لم يوفقن في حياتهن الزوجية، فرمين كل اللوم على الرجال، وخرجن منه أنقى من مرآة الغريبة،[1] فترى هذه الفتاة المسكينة أن إجماع هؤلاء النسوة على انتقاص الرجال، دليل على سوء عنصرهم، وأنهم مصدر القلق لجنس النساء، فتزهد فيهم، لأنهم مستأسدون على النساء الضعيفات ظالمون لهن.

ومن ثم تنصرف البنت عن الزواج وترفض المتقدمين لطلب يدها، مؤثرة السلامة والعافية، لأنها أفضل لها أن تجلس بكرا، من أن تتزوج وتفشل في زواجها كما فشلت أمها وأختها وعمتها وخالتها وقريباتها، وهند ودعد وغيرهن ممن تعرف من النسوة المطلقات والمعلقات وممن سمعت عنهن ، وهن أكثر حنكة منها وتجربة وفشلن مع ذلك، ففشلها هي مضمون لا مرية فيه ولا شك، فهي غرة ساذجة بلهاء، ولا تريد أن تعاني من هذا الزواج معاناة نفسية تنتهي بطلاقها من هذا الوحش الكاسر، فتصير مطلقة بعد مدة من الزمان طالت هذه المدة أو قصرت، وتكون لا هي بقيت بكرا. ولا هي حظيت في

---

[1] قيل: أنقى من مرآة الغريبة. يعنون التي تتزوج من غير قومها، فهو تجلو مرآتها أبدا لئلا يخفى عليها من وجهها شيء.[مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٤٠٧]

زواجها. فهي تفضل أن تكون عانسا من أن تكون مطلقة أو في عصمة رجل يهينها ويشتمها ويضربها.

ب ـ الزهد في الزواج لعظم مسئوليته:

قد تزهد فتاة في الزواج لعظم مسئوليته، ولظنها العجز عن الوفاء به، فيغضب عليها زوجها ويترتب على هذا الغضب عقاب في الآخر ودخول النار فتؤثر هذه الفتاة السلامة التي لا تعدلها شيء وتعزف عن الزواج وتمتنع عنه، رغم أن الفتاة تكون راغبة في الزواج والاكتناف بظله والاحتماء بحماه ولكنها راغبة عن ما يترتب على المسئولية من عقاب وحساب لخشيتها وخوفها أن تقصر فيها، وقد سألت إحدى النساء النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر، فبين لها عظم حق زوجها عليها، فظنت أنها لا تستطيع الوفاء بذلك فامتنعت عن الزواج، وكان أبوها قد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستعديا له على ابنته التي رفضت الزواج وعزفت عنه، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة أبيها فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن حق الزوج على الزوجة فأجابها فأصرت على رفضها للزواج، فعن أبي سعيد قال: أتى رجل بابنته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن ابنتي هذه أبت أن تتزوج. فقال: أطيعي أباك. قالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته. فقال: حق الزوج على زوجته: لو كانت به قرحة فلحستها، أو انتثر منخراه صديدا أو دما ثم ابتلعته، ما أدت حقه. قالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج أبدا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تنكحوهن إلا بإذنهن.[1]

---

[1] الجامع الصغير، للسيوطي، حديث رقم: ٣٧٣٩ ، وقال: رواه البزار بإسناد جيد حسن، رواته ثقات مشهورون، وابن حبان في صحيحه. وهو: صحيح

فعلى الفتاة أن تعلم أن حقوق الزوج ليست مستحيلة ولا بهذه المشقة التي تتصورها وإلا لم يوجبها الله على الزوجات فهي أسهل مما تتصور، وعلى الأسرة التي لها فتاة مثل هذه أن توضح لها أن الله يجزي على اجتهاد المرء ونيته فعليها أن تسعى لنيل رضاء زوجها والقيام بحقوقه وسؤال الزوج عما يحب فتفعله وما يكره فتجتنبه وسؤال الله التوفيق على ذلك فإن رضي عنها زوجها فبها ونعمت وإن تعنت ولم يرض عنها فإن الله لا يؤاخذها بتعنته، والله أعلم.

ج ـ الزهد في الزواج لمشاهدة أخلاقيات الأزواج :

قد يكون من سبب زهد الفتاة في الزواج أن تكون قد رأت أباها يخون أمها فيسافر السفرات المريبة إلى البلاد المريبة ويتأخر في مجيئه إلى البيت إلى منتصف الليالي وتكون الأم منتظرة له فيأتي ويعرض عنها هذا إن لم يفتعل مشكلة معها بل تتصل به خديناته وعشيقاته في البيت ويسألن عنه بل أحيانا يأتي بإحداهن على فراش زوجته عند غيابها عند أهلها أو نحو ذلك من الأمور التي تجعلها تخرج من بيتها فيستغل خلو البيت فيأتي بإحداهن فترى البنت آثار ما خلفته هذه الفاجرة مع أبيها.

كما أنها ترى أخاها يخون زوجته أو يسافر خارج البلاد ويسير على نمط أبيه ومن شابه أباه فما ظلم. كما أن زوج أختها لا ينقص عنهما خبثا وعرامة ولم تنج هي من شره فنظراته مريبة نحوها بل قد تجرأ مرة فلمسها وثانية راودها فيها ولاذت هي بالصمت استحياء واحتراما لمشاعر أختها وحفاظا على عشها ، كما أنها تسمع من صديقاتها حديثهن عن مغامرات آبائهن الغرامية وكيف أن والدة إحداهن قد ضبطته مرة ومرات وفي كلها تعفو عنه فتظن هذه الفتاة أن كل الرجال على هذه الشاكلة فتصاب بفرط تعميم وكراهية نحو الرجال وأن كلهم فاجرون فاسدون وأن ديدنهم الفسق وتعدد الخليلات والعشيقات وعدم القنوع بواحدة وأن زوجها المقبل لن يكون أفضل من أبيها

وأخيها وزوج أختها وممن تعرف من الفسقة ومن ثم تزهد في الزواج وتفضل بقاءها عانسا ولا تفكر في أن تتزوج إنسانا تخلص له ويريدها خالصة له من دون الناس ويكون هو كالجمل المغتلم وسط النياق.

٥ ـ الفساد الخلقي :

أولا: الفساد الخلقي عند الفتيان :

ـ قد يعتقد الشاب الفاسد أخلاقيا أن كثرة الفاجرات من النساء، المتقلبات بين الأخدان والعشاق، اللاتي ينطبق على الواحدة منهن قول أبي نواس :

ومظهرة لخلق الله ودا　　وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو إليه　　فلم أخلص إليه في الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل　　ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى　　فهم لا يصبرون على طعام[1]

يعتقد الشاب أن أمثال هؤلاء هن أكثر النساء ، فيصاب بفرط تعميم فيرى أن جنس النساء يغلب عليه الفجور، وأهن غير مأمونات كما عناهن القائل :

لا تأمنن أنثى حبتك بودها　　إن النساء ودهن مقسم
اليوم عندك دلها وحديثها　　وغدا لغيرك كفها والمعصم[2]

ومن ثم يزهد في الزواج لأجل هذا ، لاعتقاده فجور اللاتي لم يعاشرهن من النساء، ومن ثم يقول: لماذا يأتي بواحدة منهن تأتيه بنغل يولد على فراشه ويتربى تحت سمعه وبصره وينفق عليه من ماله، وهو غير مطمئن عن مصدره ومن هو أبوه.

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٦٩٨

[2] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ٥٢

ـــ قد يكون الشاب فاسدا خلقيا فلا يفكر في الزواج وتحمل تبعاته من إنفـــاق وتوفير سكن وتوفير بيت ومسكن وملابس والقيام بعلاج الزوجة إن مرضـــت والقيـــام بنفقات ولادها وعقيقة أطفالها وتربيتهم ـــ وكأن هؤلاء الأطفال أطفالهـــا وحـــدها ـــ فيرى أن أفضل شيء له أن يكون فحلا يتقلب بـــين أحضـــان الخلـــيلات ويســـتبدل بالمومسات [١] والقحاب[٢] وهن في رأيه لسن فاجرات مأوى للصادر والوارد من الرجال الذين يقضون شهواتهم ويفرغون نزواتهم فيهن وأنهن موطن للأمراض وبؤرة للوباء فهذه الصفات السابقة لا تنطبق عليهن بل تنطبق على المرأة الداعرة التي لها بيت وتأخذ رسمـــا من الغاشين لها الواطئين لفراشها ولكن هذه عشيقة، أو بالأحرى يمكنك أن تقول : هـــي زوجة حقيقة إذ لا فرق بينها وبين الزوجة إلا أغلال وإصر هذه الورقة المكتوبة بل هـــي تفوق الزوجة الشرعية إذ أن الزوجة تقيدك بعدة قيود ، وتكبلك بجملة من التكبـــيلات وتسلسلك بما لا يحصى من السلاسل والأغلال المتعددة التي أهونها النفقة وأنهـــا تكـــون عليك شرطيا لا يمل من مراقبة حركاتك وعد أنفاسك ومحاسبتك على الصغيرة والكبيرة وحتى راتبك الذي تشقى فيه بعرق جبينك تسألك عنه ، وأين صرفته وأين ضاع منـــك؟ أما هذه فعفيفة نظيفة ظريفة طاهرة نقية تشاطرك حياتك وتقاسمك أحزانك تقسو عليهـــا متى أردت وتضربها متى شئت ، وتأتيها أنى وكيف شئت ، ومـــتى أردت وفي أي مكـــان تقضي حاجتك معها ففي بيت أحد الأصدقاء أو على قارعة الطريق أو على متن ســـيارة،

---

(١) الوَمْس: احْتِكاك الشيء بالشيء حتى يَنْجَرِد؛ وأَوْمَسَ العِنَب: لانَ للنُّضْـــجِ. وامـــرأَةٌ مُـــومِسٌ ومُومِسَةٌ: فاجرة زانية تميل لمُريدها كما سميت خريعاً من التَخرُّع وهو اللين والضعف.والمُومِســـات: الفواجر مجاهِرة، ويجمع على مَيامِس ومَوامِيس.[لسان العرب، مادة: ومس]

(٢) قيل للبَغـــيِّ قَحْبة، لأنها كانت في الجاهلية تُؤْذِن طُلاَّبَها بقُحابِها، وهو سُعالها. ابن سيده: القَحْبـــة الفاجرة، وأَصلُها من السُّعال، أَرادوا أَنها تَسْعُلُ، أَو تَتَنَحْنَحُ تَرمُزُ به.[لسان العرب: مادة: قحب]

على حين غفلة من الرقباء وخلوة من الناس ، أما الزوجة الشرعية فإنك تكون حذرا في تعاملك معها وفي إتيانك لها خائفا منها فهي تشكوك في أقل شيء إلى أبيك وأبيهــا وإلى أمك وأمها وإلى أخيك وأخيها وإلى أختك وأختها وتفكر جيدا قبــل الاســتغناء عنــها وفراقها أما الأخرى فلا تشكوك لأحد بل أحيانا تفرح إذا أغلظت عليها أو شــتمتها أو ضربتها لأنها ستشعر بشيء من الاعتبار وأنها صارت مهمة لديك ولا يربطك بها شــيء فإذا استغنيت عنها ومللتها تركتها وفارقتها فراق غير وامق وذهبت إلى غيرها وهن كثر ينتظرن أمثالك.

أما الزوجة الشرعية فإنها غيورة ومتكبرة ومتعجرفة تعرف أن لها حقوقا عليــك ستأخذها منك قصرا وستنزعها عنك رغما، من كفالة وحضانة إن كان لها أولاد ومعجل صداق ومؤخره ستأخذه منك في حالة وجود أولاد أو عدمهم وهي كفورة جاحدة للنعم تنسى أنها قد ظفرت بك بعد طول عنوستها وامتداد أيمومها.

وأنت يوجد غيرك من السابقين ممن أدرك هذه الحقيقة فقد أوصى بعضهم بالزهد في الزواج وإتيان القحاب(١) بل تجاوز بعضهم ذلك فأمر بتزوجهن والزهد في العفيفــات الشريفات.(٢)

---

(١) كان صديق لابن الحجاج له ابن يكنى أبا جعفر ،وكان مشتهرا بالقحاب،فسأله أن يعاتبه ويشــير عليه بالتزوج فكتب إليه [معاهد التنصيص ج ٣ ص ١٩٠ ــ ١٩١] :

إياك والعفة إياكــا   إياك أن تفسد معناكــا

أنت بخير يا أبا جعفر   ما دمت ....

(٢) استشار بعضهم أبا الشمقمق بمن يتزوج فقال له: تزوج بقحبة فقال: ما هذا؟ فقال: اسمع القحبة تكون أملح وأحرى بأن تكون عالمة بما يحبه الرجال، وتأخذ نفسها بالتنظيف، ومتى قلت يا زانيــة لم

وينمق له هذا القول وأمثاله ويوشيه له شياطين الجن والإنس التي توحي بعضها إلى بعض زخرف القول غرورا وينسى هذا الشاب أنه بكلامه هذا يقنن للفساد ويستحله.

ثانيا: الفساد الخلقي عند الفتيات:

الفساد الخلقي عند الفتاة من أعظم أسباب عنوستها وذلك لمجيء النهي عن تزوج الزانيات وعن إنكاح الزناة.

إن الفتى الذي يرى أرتال المنحلات أخلاقيا من الفتيات وأسراب البغايا يصيبه زهد وعزوف عن الزواج منهن [1] إن لم يعزف عن الزواج ويصاب بفرط تعميم وأن جميع النساء كذلك فلماذا يأت بواحدة منهن ويعقد عليها وينفق عليها وتأتيه بأنغال من غيره يولدون على فراشه ، ففلانة وفلانة من المتزوجات كلهن منحرفات الأخلاق وينسى هذا الفتى أو يتناسى أن أمه وخالاته وعماته اللاتي هن في نظره أشرف من يمشي على ظهر البسيطة وأطهر من مشى بين لابتي المدينة ينسى أنه يدخلهم بفرط تعميمه في دائرة الفساد والفجور.

وإن الفتاة التي فرطت في نفسها وغرر بها أحد الذئاب ومكنت أحد الفاجرين من النيل منها، لا يتزوجها أحد يعلم فجورها، وتأنف هي إن كانت قد فقدت عذريتها

تأثم، ثم إنها تجتهد أن لا تأتيك بولد، ثم إنها تعرف أنك تعرفها فلا تتكبر. (محاضرات الأدباء ج٢ص٢٣٧)

[1] عرضت الفضائية الليبية في شهر فبراير من عام ٢٠٠١ م صورة فتاة فرطت في نفسها، وذكرت كيف أن خطيبها غرر بها، فمناها بالزواج ودلاها بغرور فنال منها ثم هجرها بعد ذلك قائلا لها: إنه لا يريد أن يقترن بفاجرة، وكانت الفتاة تسفح دموعا غزارا وكان تقطع حديثها من بكائها. رغم أن المخرج حرص على عدم وضوح صورها وتشويهها.

من فضيحة نفسها وأهلها فترفض الزواج وتعزف عنه: ذكر ابن الجوزي أن فتاة كانت تصرع كلما جاءها خاطب، فذهبوا بها إلى شيخ ليقرأ عليها، ولاحظ الشيخ اضطراب الفتاة، فطلب من أهلها الخروج حتى يعرف حقيقة أمرها، فخرجوا، فقالت له الفتاة: استرني يا شيخ سترك الله، أنا لي عشيق وأراد أهلي أن يزوجوني لابن عمي، وقد حدث ما حدث بيني وبين هذا العشيق، فإذا وافقت على الزواج من ابن عمي انكشف أمري وفضحت بين الناس، فقال الرجل، سأسترك ولكن تعاهديني على التوبة ففعلت، فدعا أهلها وقال لهم: هذه البنت متلبس بها، وداخل فيها مارد، وقد تحدثت معه، وأمرته بالخروج، فوافقني على ذلك، ولكنه أخبرني أن المكان الذي سيخرج منه سيتلف، فإن خرج من عينها تلفت، وإن خرج من رجلها شلت، وإن خرج من فرجها ذهبت بكارتها ، فاختاروا أي مكان يخرج منه، فاختاروا الخروج من فرجها، فدخل على الفتاة ثم خرج بعد فترة وقال لهم: لقد خرج المارد منها وشفيت البنت ولكن ذهبت بكارتها، فعلم أهلها بذلك، ثم تزوجها ابن عمها.

وفي الجملة ففساد الفتاة يتسبب في عنوستها هي وفي عنوسة غيرها من بنات جنسها وبخاصة صديقاتها وقريباتها لكونها سبة عليهن، وقد يتسبب فساد الفتاة في عنوسة من قارف معها الفاحشة لاعتقاده أن كل الفتيات على هذه الشاكلة وأنهن متصفات بهذه الصفة صفة الفجور والفساد.

لأنه إذا حدث أن قارفت إحدى الفتيات الفاحشة[1] وعرف زناها وشهر بين القاصي والداني فإن هذا الأمر يكون سببا في عنوستها، وعزوف الرجال عنها، حتى الزناة الذين زنوا بها فإنهم لا يتزوجونها لأنها تسقط في أعينهم، أما الملتزمون من الرجال فإنهم لا

[1] نسأل الله تعالى أن يحفظنا وأن يحفظ نساءنا وبناتنا وأخواتنا ونساء المسلمين.

يجرؤن على ذلك ولا يقدمون عليه استجابة لأمر الله عز وجل الذي حرم نكاح الزانيات من النساء وإنكاح الزناة من الرجال فقال ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

وامتثالا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْكِحُ الزَّانِي الْمَجْلُودُ إِلَّا مِثْلَهُ.(٢)

فعلى الأسر الحفاظ على بناها لأن زواجهن مرهون ومتوقف على عفتهن وبـراءة ساحتهن وبعدهن عن الريبة والفاحشة، وإذا حدث شيء من الفتاة فعلى الأهل ستر هذا الأمر وعدم إشاعته وإماتته بهجره، مع تشديد النكير والإغلاظ على الفتاة.

وكان في السودان قبل تطبيق الشريعة الإسلامية مواخير للخمر وبيوت للبغـاء، يرتادها طلاب الفواحش والخنا، وكان بها مجموعة من البغايا اللاتي يبعن شـرفهن نظـير دراهم معدودة ، ولهن بيوت معلومة فجاء مجموعة من أهل الخير فجلسوا على مرأى من باب أحد بيوت البغاء فإذا جاء أحد يريد الدخول ورأى هؤلاء الناس فبعضـهم يرجـع القهقرى حياء وبعضهم يتقدم نحو البيت ومن يتقدم ويجرؤ علـى الـدخول ينادونـه ويتكلمون معه وينصحونه بأن هذا الأمر حرام وهل ترضاه لزوجتك ولأمك ولأختـك وقريبتك فيرجع فلما طال الأمر على هؤلاء البغايا وانصرف الراغبون فيهن عنهن حيـاء واستجابة لنصح الناصحين خرج مجموعة منهن وأتين لهؤلاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر وقلن لهم : إننا فرطن في أنفسنا وقارفن هذه الفواحش والموبقات وطردنا أهلنا ولا

---

(١) سورة النور آية ٣

(٢) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب قوله تعالى ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ حديث رقم ١٧٥٦

يرغب أحد في الزواج منا فإما أن تتزوجونا ونترك الزنا ونتوب إلى الله عز وجل وإما أن تنصرفوا عنا ، وتدعونا وشأننا.

٦ ـ الغلو في اختيار شريك الحياة

أولا: إصرار الفتى على لون أو جنس أو شكل معين من الفتيات :

لكل رجل صفات يضعها في ذهنه يرى أنه يجب توفرها في شريكة حياته المرتقبة، وأن تتحلى بها قسيمة حياته القادمة، من جمال وأدب، فهي امرأة عَرِيضةٌ أَرِيضةٌ [١] وأنها حصان بكر غرة صغيرة، وما يجب أن يتوفر فيها من مكانة اجتماعية في مجتمعها وذلك لمكانة أهلها فهم ليسوا من الرجرجة والدهماء الذين يغلون الأسعار ويكدرون الماء ويزحمون الطريق، ولا من الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا ولا من الذين لا يستشارون وهم شهود، بل هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ، ويبدأ البحث والانتقاء ويدقق في الاختيار والاستقصاء في هذا الشأن وقد تكون هذه الصفات هاجسا لدى الفتى فهو يقرأ دائما حولها ويكثر الحديث عنها ويسطر ما قرأه في دفاتره دلالة على حرصه عليها وهي تزيد بازدياد عمره وتجربته وقراءاته فهو يريد امرأة لونها كذا وعمرها كذا وطولها كذا ومستوى تعليمها كذا ويدقق في أوصاف زوجته المرتقبة بما يجود له به فكره وذهنه المتوقد وبما تسعفه به قريحته الوقادة فهو يرى أنه ينبغي أن يكون صدرها كذا وبطنها كذا ورجلاها وقدماها وساقاها وقد يضيف إليها أوصافا وشروطا حسية يستحي الإنسان من ذكرها لأنها لا يسأل عنها صراحة من أمور لا يطلع عليها إلا الأزواج أو خواص النساء مما يكون ما بين السرة والركبة وما بين الفخذين ، فيبدأ البحث على هذا الأساس فإن ظفر بواحدة يرى أنها تدخل في منافسة ما وضعه من شروط وأنها قد تتجاوز

---

[١] امرأة عَرِيضةٌ أَرِيضةٌ: وَلُود كاملة. [لسان العرب، مادة: عرض]

قنطرة معاينته ، يبدأ في تطبيق ما وضعه من شروط عليها فيرى أنها قد اجتازت مسألة الجنس والمترلة الاجتماعية واللون والعمر والجمال إلا أنها سقطت في مسألة الحجم فحجمها لم يناسبه فهي ضخمة أكثر من اللازم وهذا العهد هو عهد الرشاقة التي هي للغزلان وليس عهد السمن والبدانة التي هي للبقر ، فهي قد سقطت في شرط من شروطه فيسقطها من حساباته ويبدأ البحث عن غيرها ويقع اختياره على غيرها فيضع عليها مقاييسه فتجتازها إلا أنها تسقط في صفة واحدة فيسقطها كذلك من ذهنه ويبدأ البحث عن غيرها وهكذا دواليك ويكون هذا الشاب غارقا في هذا الهوس وهذه الدوامة من البحث والاستقصاء فترة من السنوات ولا يدري هذا المسكين أن صفاته هذه من صفات نساء الجنة فليسع لها وليعمل من أجلها، ولو علم هذا المسكين أن نساء الدنيا تصيب الواحدة منهن صفة حسنة واحدة وتخطئها صفتان وأكثر لقنع بما وجد.

وقد يقع اختياره على فتاة يرى أنها قد وافقت شروطه واجتازتها وعند دخوله بها يجد جل هذه الشروط التي وضعها متوفرة فيها فيحمد الله عز وجل على ذلك أو قد يجد زوجته على النقيض مما أراد وعلى عكس ما أمّل وعلى الضد مما أحب ، فيحاول أن يتعايش مع هذا الوضع ويرضى به ويمسكها أو قد يرفض هذا الوضع فيؤثر فراقها والبحث عن غيرها فمدمن القرع للأبواب حري أن تفتح له وذو اللب سيحظى بما أراد فعليه البحث والاستقصاء فالنساء كثر وسيجد واحدة ستوافقه، قال محمد بن يسير:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا[1]

وليس المقصود من هذا أن يقع الذي يريد الزواج على أي طرف ويختار أي امرأة وذلك بأن يسمي الله وأن يأخذ بيمينه ومما يليه من النساء . فالاختيار مهم جدا وهو أساس

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٧٥٦

لدوام استمرار الحياة الزوجية بين الزوجين ، ولكن الذي نعترض عليه أن يكون التدقيق في الصفات الحسية والمعنوية هاجسا ومرضا ملازما للذي يريد أن يتزوج.

ثانيا: وضع صفات خيالية ينبغي توفرها في الزوج المتقدم:

بعض الفتيات لا يعشن واقعهن فهن يرغبن في جنس معين من الرجال فإذا تقدم للواحدة منهن غيره رفضته ولم توافق عليه وصرفته بحجة أن ذلك ليس من شروطها ولا من الذين تفكر فيهم ، فهي تضع صفات في مخيلتها في أن المتقدم لها لابد أن يكون شابا جميلا قسيما وسيما، غرا طريرا، غنيا متعلما، حسن الأخلاق، له مركز اجتماعي مرموق ومن أسرة ذات حسب ونسب وإن حدث أن تقدم لها شاب تنقصه كثير من الصفات التي وضعتها لفارس أحلامها، وخاطب يدها، فإنها لن تتردد في رفضه بل سبه أحيانا، أملا منها في الحصول على بغيتها المنشودة فسوقها قائمة، وجمالها أمنية الخطاب، فمكانة والديها وصغر سنها ودرجتها العلمية وغيرها من العوامل تشفع لها في حياتها، وإن تقدم لها خاطب آخر لم ترضها صفاته فإنها ترفضه كذلك، فترفض هذا وتجبه ذاك بما يكره، وتدفع عمرا ، وتسخر من زيد، وتستمرئ هذا الرفض إذا كانت على درجة من الملاحة والوضع الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي المتميز وتكالب من الخطاب عليها، متخذة لمن رفضت من المتقدمين لها مادة للسخرية منهم والتزيّد بهذا الرفض بين لداتها وصديقاتها، ويلقي الشيطان في روعها أن حرارة ورواج سوقها سيستمر وأن تهافت الرجال عليها سيزداد، وتنسى في خضم هذه النشوة، وغمرة هذا السكر نفسها، فلا تضع بالا للسنين المتتالية والأعوام المتعاقبة والحجج المتلاحقة ، التي تعمل عملها فيها حتى يفوتها قطار الزواج وتدخل في مرحلة العنوسة، والتي كانت تظنها فترة زمنية لها علامات تؤذنها بوقت مجيئها، وكانت تظن أن هذه الفترة بعيدة عن الطالبات ولا تذكر أنها طالبة جامعية أو في مرحلة الماجستير، وكانت تظن أنها في المرحلة المتوسطة أو الثانوية، وبعد

ذلك يقل الخطاب بل ينعدم وجودهم وينفض سامرهم فلا يطرق بابها أحد وعندما تسترجع شريط ذكرياتها وتجتر ذاكرتها تجد أن فلانا الأول الذي ردته كان مناسبا لها وأنها اشتطت في رفضها له، وهو الآن قد تزوج فلانة وأنجب منها أولادا وبنات، وأن الذي بعده كانت قد ظلمته فهو لا بأس به، وأن الثالث كان يصلح لها وأن الرابع خير لها من جلوسها الآن. ومن ثم تصير تعدد وتحسب عدد الخطاب الذين تقدموا لطلب يدها وأنهم قد أدخلوا فلانا وفلانا ليستشفع لهم عندها للرضا بهم وأن تحظى بقبول بعضهم ولكنها لم تقبل بهم ولم توافق عليهم ، وهي الآن في قرارة نفسها تود لو أنها كانت زوجة ثانية للمتقدم الأول ولو كانت مثفاة [1] للمتقدم الثاني ولو كانت زوجة رابعة للمتقدم الثالث، ولو كانت مطلقة للمتقدم الأخير، وتعدادها للخطاب المتقدمين من باب إرضاء غرور النفس الذي أوقعها فيما هي فيه الآن وأنها هي التي طلبت ولكنها رفضت، ومن ثم تبدأ التفكير في دراسات عليا، بعد المرحلة الجامعية موهمة نفسها خادعة غيرها بأنها فرغت نفسها ونذرتها للعلم رغم أنها تعلم أنها تكذب في ذلك، فيا صاحبة الصفات الخيالية في الأزواج، عليك أن تتذكري أن الألبان تقل وقد تنعدم أحيانا كثيرة في الشتاء، فلا تضيعينها في الصيف، فيقع عليك قول القائل: الصيف ضيعت اللبن. والمثل في الأصل خوطبت به امرأة، وهي دختنوس بنت لقيط بن زرارة، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس، وكان شيخا كبيرا ففركته فطلقها، ثم تزوجها فتى جميل الوجه، وأجدبت فبعثت إلى عمرو تطلب منه حلوبة، فقال عمرو: في الصيف ضيعت اللبن، فلما رجع الرسول

---

[1] المثفاة بكسر الميم : المرأة التي لزوجها امرأتان سواها، شبهت بأثافي القدر. وثُفِّيت المرأة إذا كان لزوجها امرأتان سواها وهي ثالثتهما، شبهن بأثافي القدر. [لسان العرب مادة : ثفي]

وقال لها ما قال عمرو: ضربت يدها على منكب زوجها وقالت: هذا ومذقة خير. تعني أن هذا الزوج مع عدم اللبن خير من عمرو.[١]

فالفرص قد لا تتكرر فاغتنميها، والريح التي عادتها السكون قد لا تتحرك فبادري بامتطاء هبوبها، وتذكري صديقتك فلانة وفلانة التي قد رضيت بفلان مع أنه ليس من شروطها ولكنها قرت عينا معه ومن قر عينا بعيش نفعه.[٢]

وقد تظفر المرأة بما وضعته من صفات خيالية في الزوج ولكنها عند تزوجه بها ودخوله عليها ومعرفتها حقيقة أمره قد تصدم فيه صدمة كبيرة تجعلها تقلب أفكارها رأسا على عقب. لأنها تكون قد غفلت عن كثير من صفات أخرى أنستها لها غمرة البحث وقلة التجربة وبما أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار مضاد له في الاتجاه فقد توافق على زوج على النقيض تماما من زوجها السابق.

قال المفضل الضبي شارحا المثل القائل: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل، ومناسبته: أول من قال ذلك عثمة بنت مطرود البجيلية، وكانت ذات عقل ورأي مستمع في قومها، وكان لها أخت يقال لها: خود، وكانت ذات جمال وميسم وعقل، وإن سبعة إخوة غلمة من بطن الأزد خطبوا خودا إلى أبيها، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية، وتحتهم النجائب الفره، فقالوا: نحن بنو مالك بن غفيلة ذي النحيين، فقال لهم: انزلوا على الماء، فنزلوا ليلتهم، ثم أصبحوا غادين في الحلل والهيئة، ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء، كاهنة فمروا بوصيدها يتعرضون لها، وكلهم وسيم جميل، وخرج أبوها

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٢٣

(٢) قال رجل من كلب لزوجته لما دخل بها: ما أهزلك؟ قالت: هزالي أولجني بيتك.[الأجوبة المسكتة لمحمد بن إبراهيم الحازمي ج ٢ ص ١٣٠]

فجلسوا إليه، فرحب بهم، فقالوا: بلغنا أن لك بنتا ونحن كما ترى شباب، وكلنا يمنع الجانب ويمنح الراغب، فقال: أبوها كلكم خيار، فأقيموا نرى رأينا، ثم دخل على ابنته فقال: ما ترين؟ فقالت: أنكحني على قدري ولا تشطط في مهري، فإن تخطئني أحلامهم لا تخطئني أجسامهم، لعلي أصيب ولدا، وأكثر عددا، فخرج أبوها فقال: أخبروني عن أفضلكم، قالت ربيبتهم الكاهنة الشعثاء: اسمع أخبرك عنهم. هم إخوة وكلهم إسوة، أما الكبير فمالك جرئ فاتك، يتعب السنابك ويستصغر المهالك. وأما الذي يليه فالغمر، بحر غمر يقصر دونه الفخر، نهد صقر. وأما الذي يليه فعلقمة، صليب المعجمة، منيع المشتمة، قليل الجمجمة، وأما الذي يليه فعاصم، سيد ناعم، جلد صارم، أبي حازم، جيشه غانم، وجاره سالم، وأما الذي يليه فثواب، سريع الجواب، عتيد الصواب، كريم النصاب، كليث الغاب. وأما الذي يليه فمدرك، بذول لما يملك، عزوب عما يترك، يفني ويهلك. وأما الذي يليه فجندل لقرنه مجدّل، مقل لما يحمل، يعطي ويبذل، وعن عدوه لا ينكل.

فشاورت أختها عثمة، فقالت: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل، اسمعي مني كلمة إن شر الغريبة يعلن وخيرها يدفن، أنكحي في قومك ولا تغررك الأجسام، فلم تقبل منها وبعثت إلى أبيها، أنكحني مدركا.

فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورعاتها وحملها مدرك، فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى صبحهم فوارس من بني مالك بن كنانة، فاقتتلوا ساعة ثم إن زوجها وإخوته انكشفوا فسبوها فيمن سبوا، فبينما هي تسير بكت، فقالوا: ما يبكيك أعلى فراق زوجك؟ قالت: قبحه الله قالوا: لقد كان جميلا، قالت: قبح الله جمالا لا نفع فيه، إنما أبكي على عصياني أختي وقولها: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل. وأخبرتهم كيف خطبوها، فقال لها رجل منهم، يكني أبا نواس شاب أسود أفوه مضطرب الخلق،

أترضين بي على أن أمنعك من ذئاب العرب، فقالت لأصحابه: أكذلك هو؟ قالوا: نعم إنه مع ما ترين ليمنع الحليلة، وتتقيه القبيلة، قالت: هذا أجمل جمال وأكمل كمال، قد رضيت به فزوجوها منه.[1]

وقد يعكس ولي أمر الفتاة ما يجيش في صدره، من ألم و تتابع حسرات ناتج عن تبغيل إحدى بناته،[2] فيخرج زفراته متذمرا مما آل إليه أمره، وكيف تقلب الأيام وصروفها، وتغير الأحوال، بأن يكون قد افتقر بعد غناه، أو ترك موطنه فذل وطمع فيه غيره، فتطاول عليه الرويبضات[3] والنكرات من الناس فخطبوا بناته، وطمع فيهن من لم يكن يطمع من قبل أن يحل به ما حل.

ومن أدق الأمثلة لذلك مهلهل بن ربيعة وكان في آخر حربهم حرب البسوس في جنب بن عمرو بن وعلة ابن جلد بن مالك وهو مذحج وجنب حي من أحيائهم وضيع فخطبت ابنته ومهرت أَدَمًا فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال :

---

[1] مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٨٧ــ ١٨٨

[2] قال ابن منظور : نَكَح فيهم فَبَغَلهم وبَغَّلَهم: هَجَّن أَولادهم. وتزوَّج فلان فلانة فَبَغَّل أَولادها إِذا كان فيهم هُجْنة. وهو من البَغْل لأَن البَغْلَ يعْجَز عن شَأْوِ الفَرس. [لسان العرب مادة بغل]

[3] الرويبضات مفردها رويبضة والرُّوَيبضة، تصغير الرَّابِضة وهو العاجز الذي ربَضَ عن مَعالي الأمُور وقعَد عن طَلَبها، وزيادة التَّاء للمبالغَة. والتَّافه: الخَسِيس الحَقير.[النهاية في غريب الحديث والأثر. مادة: {ربض}]

أنكحها فقدها الأراقم[١] في جنب[٢] وكـــان الحبـــاء من أدم[٣]

لو بأبانين[٤] جـــاء يخطبهـــا ضـــرج ما أنف خـــاطب بدم[٥]

وقد حدث تضريج دم لرويبضة تقدم لبنت رجل من علية القوم وهو جار عقيل بن علفة المري، الذي كان له جار من بنى سلامان فخطب إليه فأخذه فقمطه ودهنه بشحم وألقاه في قرية النمل فأكلن بعضه فخلاه وقال: له يخطب إلي عبد الملك فأرده وتجترئ علي.[٦]

ــ وفي الغالب أن تصرفات غير الأكفياء من الأزواج الذين هم من أصحاب الذلة والقلة المتوارثة تنم عن حقد وحب للانتقام من أصحاب البيوتات، كما في هذه القصة: قال الصفدي في ترجمة محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي م سنة ٥٦٥ هـ: أنه

---

(١) الأَراقِمُ بنو بكر وجُشَم ومالك والحرث ومعاوية؛ وسُميت الأَراقِمُ بهذا الاسم لأن ناظراً نظر إليهم تحت الدِّثارِ وهم صِغار فقال: كأَنَّ أَعينهم أَعين الأَراقِمِ، فَلَجَّ عليهم اللقبُ. [لسان العرب، مادة: رقم]

(٢) جَنْبٌ: حيّ من اليمن.

(٣) قال ابن منظور : جعل المُهَلْهِلُ مَهْرَ المرأَة حِباءً فقال:

أَنكَحَها فقدُها الأَراقِمَ في جَنْبٍ، وكان الحِباءُ منْ أَدَمِ

أراد أنهم لم يكونوا أرباب نَعَم فيُمْهِروها الإِبلَ وجعلهم دَبَّاغِين للأَدَمِ.[لسان العرب ، مادة : حبا]

(٤) أبان جبل ، وهما أبنان : أبان الأسود وأبان الأبيض

(٥) انظر الكامل في اللغة الأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ٧٧ــ ٧٨

(٦) طبقات فحول الشعراء : ترجمة علفة بن عقيل

اضطر تحت وطأة الضرورة إلى تزويج ابنته في حماة من زوج غير كفء، وكأنه لم تكفه حالته المزرية حتى رحل بها الزوج عن حماة وباعها في بعض الأمصار.[١]

٧ـ الوفاء لزوج أو عشيق :

أولا: الوفاء لزوج:

الزواج والمبادرة والحرص إليه هي السمة الغالبة على بني البشر. فالعادة أن الرجال يتقدمون للزواج والمرأة المعنية بالأمر توافق أو تمتنع لعلة في الزوج مفسرة العلة أو كاتمة لها ولكن قد ترفض بعض النساء الزواج من زيد وعمرو وغيرهما لا علة فيهم بل لأسباب خارجة عنهما وهذه الأسباب عدة نجتزئ منها بالآتي:

أ ــ أن تمتنع المرأة من الزواج بعد وفاة زوجها، وتحوشها منه،[٢] لكون أن يكون الزوج قد ترك مالا واشترط عليها عدم الزواج وأن يكون المال لها، كما حدث لامرأة عراقية مع عمر بن أبي ربيعة، فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها، فمشى معها حتى عرف موضعها، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته، وخطبها، فقالت: إن هذا لا يصلح هاهنا، ولكن إن جئتني إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوجتك، فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سهم، وقال له: إن لي إليك حاجة أريد أن تساعدني عليها، فقال: نعم، فأخذ بيده ولم يذكر له ما هي. ثم أتى منزله وركب نجيبا وأركبه نجيبا آخر، وأخذ معه ما يصلحه وسارا، لا يشك السهمي في أنه يريد سفر يوم أو يومين. فما زال يخفد[٣] حتى لحق بالرفقة، ثم سار بسيرهم، يحادث المرأة

---

[١] تاريخ الصفدي ج ١ ص ١٤١

[٢] تحوَّشت المرأةُ من زَوْجها: تأيَّمتْ. [القاموس المحيط باب الشين.فَصْلُ الحاء.]

[٣] يخفد : يسير مسرعا

طول طريقه، ويسايرها ويترل عندها إذا نزلت حتى ورد العراق، فأقام أياما ثم راسلها يتنجزها وعدها، فأعلمته أنها كانت متزوجة ابن عم لها، وولدت منه أولادا، ثم مات وأوصى بهم وبمالها إليها ما لم تتزوج، وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة، وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت، فردها عليها، ورحل إلى مكة.(١)

ب ـ أن تتعلق فتاة بفتى من الفتيان ويتعلق بها فيتقدم لطلب يدها فيرفضه أهلها فترفض هذه الفتاة كل الخاطبين بعده. مع أن الصحيح إلحاقها بمن تهوى، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله عندنا يتيمة (٢)قد خطبها رجلان موسر ومعسر وهي تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم ير للمتحابين مثل النكاح.(٣)

ج ـ امرأة خطبها هذا المتوفى وكان يريد الاقتران بها سريعا ولكن المنية اخترمته والمنون داهمه قبل ذلك وحالت بينهما وبين ما أرادا، فتسود الدنيا في عينيها وتظلم الحياة أمامها وتضيق آمال السعادة أمام ناظريها فتعزف عن الاقتران بأحد المتقدين إليها عرفانا لهذا المحبوب ووفاء له ومخافة إن تزوجت بعده أن يكون هذا الوافد على النقيض في

---

(١) الأغاني ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٣ (طبعة الشعب)

(٢) أرادَ باليَتيمة البِكْرَ البَالغَةَ التي مَاتَ أبُوهَا قَبْل بُلُوغِها، فَلَزِمَها اسْمُ اليُتْم فَدُعِيَتْ به وهي بالغة، مَجَازاً. وقيل: المرأةُ لا يزوُل عنها اسْمُ اليُتْم ما لم تَتزوّج، فإذا تَزَوّجَتْ ذَهَبَ عنها. ومنه حديث الشَّعْبي أنّ امْرأةً جاءت إليه فقالت: إنّي امْرأة يَتيمةٌ فَضَحك أصْحابُه، فقال: النِّساء كُلُّهُنَّ يَتَامَى أي ضَعَائفُ. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {يتم}]

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب: ما جاء في فضل النكاح، حديث رقم: ١٨٣٧/ أبو الحسن بن شاذان في مشيخته/ ابن النجار في تاريخ بغداد وانظر البيان والتعريف ج٣ ص١٢٦/ وسلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٦٢٤

السوء من الهالك وتظن هذه المرأة أن في رفضها للزواج نوعا من أنواع الوفاء وحفظ الود والوفاء بالعهد لهذا الهالك رغم أنه لم يتكلم معها: هل ستفكر في شخص آخر بعد هلاكه ولم يتطرق لذلك.

د ـ أن تكون قد اقترنت مع هذا الرجل مدة من الزمان، طالت أم قصرت وكانت قد رأت شمائل هذا البعل وكرمه ونبله وطيب خصاله وسجاياه، وأحبته حبا ظنت أنها لن تستطيع أن تستغني عنه فيشاء الله أن يموت هذا الزوج فتمتنع المرأة عن الزواج وتعزف وتضرب عنه وفاء لهذا الزوج الهالك.ومن الأمثلة لذلك ما يلي:

ـ أسلم أبو الرباب بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس الكلبي على يدي عمر بن الخطاب وأمره عمر على قومه فلما خرج من عنده خطب إليه علي بن أبي طالب أن يزوج ابنه الحسن أو الحسين من بناته فزوج الحسن ابنته سلمى والحسين ابنته الرباب وزوج عليا ابنته الثالثة وهي المحياة بنت امرئ القيس في ساعة واحدة فأحب الحسين زوجته الرباب حبا شديدا وكان بها معجبا يقول فيها الشعر ولما قتل بكربلاء كانت معه فوجدت عليه وجدا شديدا، وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش فقالت ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالله لا يؤويني ورجلا بعد الحسين سقف أبدا ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت ويقال إنها إنما عاشت بعده أياما يسيرة.[1]

ـ كانت عند لقيط بن زرارة بنت قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين. وكان يحبها وتحبه فمات عنها فخلف عليها عمرو بن جون الكندي، وكان يسمعها تكثر ذكر لقيط وتظهر الجزع عليه وتصف محاسنه ، فقال لها: ويلك والله ما لقيط إلا كبعض عبيدي، فصفي لي بعض ما أعجبك من محاسنه، قالت: نعم تطيبت يوما وقد ظعن الحي في

[1] البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ٨ ص ١٩٨

يوم ذي زهر، وظل وكنت نائمة فكره أن يوقظني فقعد ينتظر انتباهي ومعه فضلة من شراب، فجعل يشرب منها حتى استيقظت فحملني وركب فرسه فعرضت لنا عانة فحمل عليها فصرع منها حمارا، ثم رجع إلي ومنه ريح المسك، وريح الشراب وريح الطلاء والزهر، فتدليت إليه فضمني ضمة وشمني شمة فليتني مت ثمة. قال: فتطيب عمرو وتناول من الشراب وخرج فتصيد ثم عاد إليها فضمها إلى نفسه وقال لها: ما أنا من لقيط؟ قالت: مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء، فطلقها فرجعت إلى قومها وقالت: ابنوا علي قبة الأيمة فوالله لا جمعني رجل بعد لقيط أبدا.(١)

هـ ـ أن تتزوج المرأة ويعيشا فترة ثم يموت زوجها ويكونان قد تعاهدا وتعاقدا وتواثقا في حياهما إن سبق أحدهما الآخر أن لا يتزوج الذي بعده فيموت الرجل أولا فتفي له هذه المرأة ولا تتزوج، ولنجتزئ بالأمثلة التالية :

ـ عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر الأنصارية أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب أم مبشر بنت البراء بن معرور فقالت إني شرطت لزوجي أن لا أتزوج بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا لا يصلح.(٢) وبعد أن بين لها النبي صلى الله عليه وسلم عدم صلاحية ذلك الشرط خطبها لأحد أصحابه فتزوجها، فعن محمد بن عبد الرحمن بن خلاد الأنصاري عن أم مبشر الأنصارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها وهي في بعض حالاها وكانت امرأة البراء بن معرور فتوفي عنها فقال إن زيد بن حارثة قد مات أهله ولن آلو أن أختار له امرأة فقد اخترتك له فقالت يا رسول الله إني حلفت للبراء أن لا أتزوج بعده رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأغاني ج١٩ص١٣٠ـ١٣٢

(٢) المعجم الصغير ج ٢ ص ٢٧٤ ، حديث رقم: ١١٥٧

أترغبين عنه قالت أفأرغب عنه وقد أنزله الله بالمترلة منك إنما هي غيرة قالت فالأمر إليك قال فزوجها من زيد بن حارثة ونقلها إلى نسائه فكانت اللقاح تجيء فتحلب فيناولها الحلاب فتشرب ثم يناوله من أراد من نسائه قالت فدخل علي وأنا عند عائشة فوضع يده على ركبتها وأسر إليها شيئا دوني فقالت بيدها في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم تدفعه عن نفسها فقلت مالك تصنعين هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم دعيها فإنها تصنع هذا وأشد من هذا.[1]

ـ عن علي بن يزيد أن عاتكة بنت زيد كانت تحت عبد الله بن أبي بكر فمات عنها واشترط عليها ألا تزوج بعده، فتبتلت وجعلت لا تزوج، وجعل الرجال يخطبونها وجعلت تأبى، فقال عمر لوليها: اذكرني لها، فذكره لها فأبت على عمر أيضا، فقال عمر: زوجنيها: فزوجه إياها، فأتاها عمر فدخل عليها فعاركها حتى غلبها على نفسها فنكحها، فلما فرغ قال: أف أف أفف بها ثم خرج من عندها وتركها لا يأتيها، فأرسلت إليه مولاة لها أن تعال فإني سأتهيأ لك.ابن سعد، وهو منقطع.[2]

ـ واقعة ذكرها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: الرباب غير منسوبة ذكرها محمود بن أحمد الفريابي في كتاب خالصة الحقائق وأنها كانت زوجا لرجل يقال له عمرو فتعاهدا أيهما مات قبل الآخر لا يتزوج الذي يبقى حتى يموت فمات فأقامت مدة فزوجها أبوها فرأت في تلك الليلة عمرا أنشدها أبياتا فأصبحت مذعورة وقصت على النبي صلى الله عليه وسلم القصة فأمرها أن تستأنس بالوحدة حتى تموت وأمر زوجها

---

(١) التاريخ الكبير ج ٨ ص ٢٨٥

(٢) كتر العمال، حديث رقم: ٣٧٦٠٧

بفراقها ففعل ذلك قلت وهي حكاية مشهورة لغير هذين حتى الشعر المذكور في هذه القصة ولكن الزوج اسمه مالك بن نصر وكان في إمارة قتيبة بن مسلم على خراسان وذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة.[1]

و ــ أن تمتنع المرأة عن الزواج من آخر طمعا في الاقتران بزوجها يوم القيامة، كما فعلت سلمى بنت جابر التي استفت ابن مسعود في هذا الأمر، فعَنْ كَرِيمِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ جَدَّتِهِ سَلْمَى بِنْتِ جَابِرٍ أَنَّ زَوْجَهَا اسْتُشْهِدَ فَأَتَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَتْ إِنِّي امْرَأَةٌ قَدْ اسْتُشْهِدَ زَوْجِي وَقَدْ خَطَبَنِي الرِّجَالُ فَأَبَيْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ حَتَّى أَلْقَاهُ فَتَرْجُو لِي إِنْ اجْتَمَعْتُ أَنَا وَهُوَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَزْوَاجِهِ قَالَ نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا رَأَيْنَاكَ نَقَلْتَ هَذَا مُذْ قَاعَدْنَاكَ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَسْرَعَ أُمَّتِي بِي لُحُوقًا فِي الْجَنَّةِ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْمَسَ.[2]

وذكر الحافظ ابن حجر اسم الزوج فقال: حارثة بن سفيان البجلي له إدراك وكان زوج سلمى بنت جابر الأحمسية ذكره عبد الله بن المبارك في كتاب البر والصلة قال حدثنا أبان بن عبد الله البجلي عن فلان بن أبي حازم أن سلمى بنت جابر أتت عبد الله بن مسعود فقالت له إن زوجي حارثة بن سفيان لحق بالله قتل بطبرستان وإنه خطبني رجال وإني حبست نفسي على زوجي أفترجو لي أن أكون من أزواجه في الجنة قال نعم قلت واسم فلان المذكور كريم سماه أبو أحمد الزبيري في روايته عن أبان البجلي وزاد في

(1) الاصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١١٦١

(2) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله مسعود، حديث رقم : ٣٦٣

روايته أن بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول أمتي لحوقا بي امرأة من أحمس.(١)

وذلك لأن المرأة لآخر أزواجها. فعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما امرأة توفي عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لآخر أزواجها.(٢)

قال السيوطي: أيما امرأة توفي عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لآخر أزواجها: أي يكون هو زوجها (ولا يعارض هذا الحديث بالحديثين التاليين لضعفهما: ورد في حديث طويل: "يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقا" - بضم الخاء واللام - ، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي. وورد حديث مثله عن أنس، خاطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة، وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار باختصار وفيه عبيد بن إسحاق وهو متروك وقد رضيه أبو حاتم. وهو أسوأ أهل الإسناد حالا ويمكن الجمع بين الأحاديث الثلاثة بأنها تكون لآخر أزواجها إذا تساووا في الخلق، وإلا فتختار أحسنهم خلقا. والله أعلم.(٣)

---

(١) الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم : ١٩٤٠

(٢) كنز العمال، حديث رقم: ٤٥٥٥٨

(٣) أخرجه، الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء وهو: صحيح[انظر: الجامع الصغير، للسيوطي، حديث رقم: ٢٩٨٣]

وقال المناوي: (المرأة) في الجنة تكون (لآخر أزواجها) في الدنيا قال البيهقي فلذا حرم على أزواج النبي صلى اللّه عليه وسلم أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة.[١]

قال بعضهم وإنما كانت لآخرهم لأنها تركت الزوج ولم يتركها هو ولا يعارضه خبر أنه سئل عن المرأة يموت زوجها فتتزوج آخر ثم يموت فلمن هي؟ قال لأحسنهما خلقاً كان معها لأن المراد به من فرق بينهما الطلاق لا الموت لأنه إذا وقع علي غير بأس فهو لسوء الخلق لأنه أبغض الحلال إلى اللّه.[٢]

وعن حذيفة أنه قال لامرأته: إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا.[٣]

ز ـ أن يموت زوجها ويكون لها أولاد منه فتمتنع عن الزواج حفظا لقلوب أقارب زوجها ووفاء وتقديرا لزوجها وإشبالا على أولادها وإذحاجا عليهم،[٤] وقد أفردنا امتناع المرأة عن الزواج بسبب الإشبال على الأطفال بحديث خاص من هذا الكتاب فليراجع في موضعه.

---

[١] قال المناوي: قالوا: وهذا هو أحد الأسباب المانعة من نكاح زوجات النبي صلى اللّه عليه وسلم بعده لما أنه سبق أنهنّ زوجاته في الجنة.[فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للمناوي، حديث رقم: ٢٩٨٣]

[٢] قال المناوي: رواه الطبراني عن أبي الدرداء والخطيب عن عائشة، قال الحافظ العراقي إسناده ضعيف.[فيض القدير، حديث رقم:٩١٩٢]

[٣] انظر: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٠٨

[٤] أذْحَجَتِ المرأة على ولدها: أقامت. ومَذْحِجٌ: مالكٌ وطيءٌ، سُمّيا بذلك لأن أُمهما لما هلك بعلها أَذْحجتْ على ابْنَيْها طَيِّ ومالكٍ هذين، فلم تتزوَّجْ بَعْدَ أُدَدٍ.[لسان العرب ، مادة : ذحج]

ح ــ أن يكون الزوج قد أوصاها أن لا تتزوج بعده كما أوصى حذيفة بن اليمان زوجته[١] وأبو الدرداء زوجته.[٢]

ــ وعموما فإن الوفاء للمحبوب عند النساء قليل جدا مقارنة بعدد النساء اللاتي كن يفضلن الزواج من زيد ولكن الواقع فرض عليهن الزواج من عمرو فينسين زيدا نسيانا كاملا ولا يشعرن بأدنى حرج من ذلك وهناك كثير من النساء لم يفين لأزواجهن رغم أنهما كانا قد تعاهدا في حياتهما على أن لا يتزوج الآخر عند موت الأول، ونجتزئ من الأمثلة الكثيرة بالآتي :

ـ سلمى زوجة صخر بن عمرو بن الشريد السلمي:

كان صخر بن عمرو بن الشريد السلمي سيد قومه فأغار على بني أسد فأصابته طعنة وطال مرضه، وزوجته اسمها سلمى قد قال لها رجل من الحي: أيباع هذا الكفل؟[٣] قالت: عما قريب. وسمعها صخر من داخل البيت ثم سألتها امرأة كيف صخر؟ قالت: لا حي فيرجى ولا ميت فينعى، وسألت امرأة أمه فقالت: بخير ما رأينا شمسه بيننا. وسمع صخر كل ذلك في ساعة واحدة فأراد قتل امرأته، فلما دخلت البيت قال لها: ناوليني سيفي لأنظر هل تقله يدي أم لا؟ فناولته السيف، فإذا هو لا يقدر أن يقله فقال:

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
ولست أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان

---

[١] انظر ص من هذا الكتاب

[٢] انظر ص من هذا الكتاب

[٣] كان صخر قد عاهد سلمى أن لا تتزوج بعده وعاهدته كذلك. وكان يقول إذا نظر إليها يقول: لا أكره الموت إلا أنه يفرق بيني وبين هذه ويشير إليها. (تزيين الأسواق ص١٥٤)

أهم بأمر الحزم لـــو أستطيعـــه　　　وقد حيل بين العيـر والنــزوان
لعمري لقد نبهت من كان نائمـــا　　　وأسمعت من كانت له أذنـــان
وأي امرئ ساوى بـــأم حليلـــة　　　فلا عاش إلا في شقاء وهوان[1]

ـ غادر جارية موسى الهادي :

كان لموسى الهادي جارية اسمها غادر وكان يحبها حبا شديدا جدا، وكانت تحسن الغناء جدا فبينما هي تغنيه يوما إذ أخذته فكرة غيبته عنها وتغير لونـــه، فســـأل بعـــض الحاضرين: ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال: أخذتني فكرة أني أموت وأخي هارون يتـــولى الخلافة بعدي ويتزوج جاريتي هذه. ففداه الحاضرون ودعوا له بطول العمر، ثم استدعى أخاه فأخبره بما وقع فعوّذه الرشيد من ذلك. فاستحلفه الهادي بالأيمان المغلظة من الطلاق والعتاق والحج ماشيا حافيا أن لا يتزوجها فحلف له، واستحلف الجارية كذلك. فحلفت له. فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات، ثم خطبها الرشيد ، فقالت: كيـــف بالأيمـــان التي حلفناها أنا وأنت ؟ فقال : إني أكفر عني وعنك، فتزوجها وحظيت عنده جدا، حتى كانت تنام في حجره فلا يتحرك خشية أن يزعجها، فبينما هي نائمة ذات ليلة إذ انتبهت مذعورة تبكي، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين رأيت الهادي في منامي هذا وهو يقول:

أخلفت عهدي بعدي مـــا　　　جـــاورت سكـــان المقـــابـــر
ونسيتنـــي وحنثت فـــي　　　أيمانك الكذب الفواجـــر
ونكحت غـــادرة أخـــي　　　صدق الذي سماك غـــادر
أمسيتُ في أهـــل البلـــى　　　وعددتُ في الموتى الغوابر

---

[1] محاضرات الأدباء مجلد٢ ج٣ص٢١٧، نوادر المخطوطات ج٢ص٢٣٥ــ٢٣٦

لا يهنك الإلف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصباح وصرت حيث غدوت صائر

فقال لها الرشيد: أضغاث أحلام. فقالت: كلا والله يا أمير المؤمنين، فكأنما كتبت هذه الأبيات في قلبي، ثم ما زالت ترتعد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح.[1]

- أم سلمة بنت يعقوب المخزومية:

انظر تفاصيل قصتها في الخلافات بين الزوجين.[2]

وعلى الزوج أن لا يدخل في مثل هذه الأمور مثل أن يأمر امرأته ألا تتزوج بعده وأن يترك الأمر على سجيته. بل يكون على العكس من ذلك فيأمرها أن تتزوج إن شاءت. فعن زياد بن أبي مريم، قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج، إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي، ولا أتزوج بعدك، قال: أتطيعينني؟ قالت: نعم قال: إذا مت تزوجي. اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيرا مني ، لا يحزنها ولا يؤذيها، فلما مات، قلت: من خير من أبي سلمة؟ فما لبثت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها أو ابنها، فقالت: أرد على رسول الله أو أتقدم عليه بعيالي، ثم جاء الغد فخطب.[3]

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ١٧٦ ـ ١٧٧

[2] انظر الخلافات بين الزوجين ص

[3] انظر: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٠٣/ الإصابة لابن حجر، ترجمة : ١١٨٤٥

ثانيا: العشق :

العِشْقُ: فرط الحب، وقيل: هو عُجْب المحب بالمحبوب يكون في عَفاف الحُب ودَعارته. ورجل عاشِقٌ من قوم عُشّاق، وعِشِّيقٌ مثال فِسِّيقٍ: كثير العِشْقِ. وامرأَة عاشِقٌ، بغير هاء، وعاشِقةٌ. وسئل أَبو العباس أَحمد بن يحيى عن الحُبِّ والعِشْقِ: أَيّهما أَحمد؟ فقال: الحُب لأَن العِشْقَ فيه إِفراط، وسمي العاشِقُ عاشِقاً لأَنه يَذْبُلُ من شدة الهوى كما تَذْبُل العَشَقَةُ إِذا قطعت، والعَشَقَةُ: شجرة تَخْضَرُّ ثم تَدِقُّ وتَصْفَرُّ، واشتقاق العاشق منه. [1]

والحب له مراتب ذكرها العلماء في مصنفاتهم كابن القيم وابن الجوزي وغيرهما وورد في القرآن الكريم ذكر مرتبتين من مراتب الحب وهما العشق والغرام، قال الله تعالى عن العشق ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [2]

وقال تعالى عن الغرام ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [3]

قال الطبري: قوله إن عذابها كان غراما يقول إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ومهلكا له ومنه قولهم رجل مغرم من

---

[1] لسان العرب، مادة : عشق

[2] سورة يوسف آية ٣٠

[3] سورة الفرقان آية ٦٥

الغرم والدين. ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه وإلحاحه على صاحبه فيه. ومنه قيل للرجل المولع بالنساء إنه لمغرم بالنساء وفلان مغرم بفلان إذا لم يصبر عنه. [١]

وليس المقصود أن ذكر مراتب الحب في القرآن أنه مأمور به أو محبذ فيه، كلا بل حتى أن بعض الناس الذين يدمنون قراءة سورة يوسف التي فيها آيات العشق دون غيرها مذمومون ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: من الناس والنساء من يحب سماع هذه السورة ــ سورة يوسف ــ لما فيها من ذكر العشق وما يتعلق به ، لمحبته ذلك ورغبته في الفاحشة ، حتى إن من الناس من يقصد إسماعها للنساء وغيرهن لمحبتهم للسوء ، ويعطفون على ذلك ، ولا يختارون أن يسمعوا ما في سورة النور من العقوبة والنهي عن ذلك، حتى قال بعض السلف: كل ما حصلته في سورة النور أنفقته في سورة يوسف، وقد قال الله تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم قال﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [٢] وقال ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [٣] فكل أحد يحب سماع ذلك

---

[١] تفسير الطبري ج ١٩ ص ٣٥

[٢] سورة الإسراء آية ٨٢

[٣] سورة التوبة آية ١٢٤ــ١٢٥

لتحريك المحبة المذمومة ، ويبغض سماع ذلك إعراضا عن دفع المحبة وإزالتها فهو مذموم.(١)

والعشق سكرة لا يفيق صاحبها إلا بعد جهد جهيد وحرص شديد، قال الشاعر:

سكرات خمس إذا سكر المرء بها صار ضحكة للزمان
سكرة الحرص والحداثة والعشق وسكر الشراب والسلطان(٢)

والعشق لا يعرف عمرا ولا جنسا فقد يصاب ويبتلى به الذكر والأنثى والحيوان والطير ، والصغير والكبير ومن أمثلة إصابته كبار السن وعشقهم لصغار السن، القصة الآتية، قال الخليفة هرون الرشيد للأصمعي: يا عبد الملك أنا ضجر وأحب أن تسمعني حديثا مما سمعت من أعاجيب الزمان، نفرح به، فقلت : يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان، وكنت أغشاه وأتحدث معه، وقد أتت عليه ست وتسعون سنة، وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا، فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن، كاسف البال، فسألته عن سبب تغيره، فقال: قصدت بعض القرابة، فألفيت عندهم جارية قد طلت بالورس(٣) بدنها، وفي عنقها طبل تنشد عليه:

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم ابن تيميه الحراني الدمشقي، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ١٤٠٦هـ ، ج١٥ص٣٣٥

(٢) الإدارة في التراث الإسلامي ، ص ٢٦١

(٣) الوَرْس بوزن الفلس نبت أصفر كالسِّمْسِم، يكون باليمن تتخذ منه الغُمرة للوجه، يُزْرَعُ فَيَبْقَى عِشْرِينَ سنةً نافعٌ للكَلَفِ طِلاءً، تقول منه أَوْرَسَ المكان فهو وَارِسٌ ولا يقال مُوْرِسٌ وهو من النوادر و وَرَّسَ الثوب تَوْرِيسا صبغه بالورس. [مختار الصحاح، مادة: ورس / القاموس المحيط للفيروز آبادي باب السِّين.فَصْلُ الواو]

محاسنها سهام للمنايا مريّشة بأنواع الخطوب
ترى ريب المنون بهن سهما تصيب بنصله مخ القلوب

فقلت :

قفي شفتي من موضع الطبل ترتعي كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن
هبيني عودا جوفه تحت متنه يمتّعني ما بين نحرك والذقن

فلما سمعت شعري رمت الطبل في وجهي ودخلت الخيمة، فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقي ولم تخرج، فانصرفت قريح القلب، فهذا التغير من عشقي لها، فضحك الرشيد حتى استلقى، وقال: ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق، فقلت قد كان هذا.[1]

وقد يعشق إنسان امرأة كبيرة، وعجوزا لا رغبة لأحد فيها، قال أبو الأسود الدؤلي وكانت له امرأة اسمها أم عوف وكانت لها عنده منزلة ، فتزوج امرأة، فقالت له أم عوف: ما هذا ؟ فقال:

أَبى القَلْبُ إلاَّ أُمّ عَمْرٍو وحُبّها عَجُوزاً، ومَن يُحْبِبْ عَجُوزاً يُفَنَّدِ
كثَوْبِ اليماني قد تَقادَمَ عَهْدُه ورُقْعَتُه ما شِئْتَ في العينِ واليدِ[2]

وقد يستغرب العاشق تعلق قلبه بهذا المعشوق دون غيره ، فمثلا يتعلق الرجل بامرأة دون غيرها مما يدفعه للتساؤل : هل لهذه المرأة مزية على غيرها من النسوان كما تساءل المجنون فقال :

---

[1] المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣١٦

[2] شرح حماسة أبي تمام ج ٢ ص ٨٧٠

فوالله ما أدري أزيــدت ملاحـــة وحسنا على النسوان أم ليس لي عقل[1]

وقد يبلغ العشق بصاحبه درجة أن يقبل آثار معشوقه ومنازله قال الشاعر:

أمر على الديـــار ديار سلمــى أقبل ذا الجدارا وذا ا الجــدارا

وما حب الديــار شغفن قلبـي ولكن حب من سكن الديــارا[2]

أو قد يتعلق بآثار معشوقه ويحاول اقتناء مثلها ، قال ابــن القــيم : وفي أخبــار العشاق أن عاشقا عشق السراويلات من أجل سراويل معشوقه فوجد في تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويلات، وعشق آخر الهاونات من أجل صوت هاون محبوبه فوجــد في تركته عدة آلاف منه.[3]

أو قد يتعلق العاشق بالمرأة بعد زواجها فينتظر موت زوجها أو طلاقها منه، قــال الشاعر :

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما أو يموت حليلها[4]

وقد يكون العشق من جانب واحد ويكون الجانب المعشوق على النقيض تمامــا فهو قد يبغض عاشقه ولا يطيق النظر إليه ولا يحتمل البقاء معه كما في قصة بريرة مولاة عائشة رضي الله عنها وزوجها مغيث، [5] وقد تعجب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الأمر ولفت نظر عمه العباس إليه: فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَــالُ لَــهُ

---

(1) روضة المحبين ص ٦٨

(2) روضة المحبين ص ٢٦٢

(3) روضة المحبين ص ٢٦٣

(4) التربص: التأني والتأخر، مقلوب التصبر.

(5) مغيث زوج بريرة وهو مولى أبي أحمد بن جحش الأسدي.[الإصابة لابن حجر، ترجمة: ٨١٧٨]

مُغيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعبَّاسٍ يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ رَاجَعْتِهِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي قَالَ إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ قَالَتْ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.(١)

وقال الشاعر :

فيا رب أشغلها بحبي كما بها … شغلت فؤادي كي يخف الذي بيا (٢)

وقد يسلو العاشق عن معشوقه بل قد يتحول عشقه إلى بغض، قال ابن الجوزي: حدثني بعض إخواني عن صديق له: أنه عشق امرأة كانت في نهاية الحسن والجمال، وأنه كان يخاطر بنفسه ليجتمع بها.

قال فقال لي يوما: والله لو اجتمعت بها ثم قدمت فضربت عنقي ما باليت، ثم إنه تزوجها، فمضى عليه قليل، ثم طلقها.

قال فمررت يوما أنا وهو في بعض الطريق بحمأة منتنة، فقال لي: يا فلان، والله لفلانة اليوم أقبح عندي حالا من هذه الحمأة.(٣)

ويكون العشق سببا في عنوسة العاشق سواء أكان ذكرا أو أنثى لأنه يتعلق بمن عشقه ويرفض الاقتران بغيره ويكون هذا المعشوق قد تزوج وحيل بينهما وبين ما يشتهيان، وقد عزف كل من مجنون بني عامر قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى (٤)

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الطلاق باب: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة (انظر: فتح الباري ج١١ص٣٢٨)

(٢) روضة المحبين لابن القيم ص ٧٩

(٣) ذم الهوى لابن الجوزي ص ٤٨٩

(٤) انظر قصة المجنون في ذم الهوى لابن الجوزي ص ٢٩٤ ــ ٣١٢

وعروة بن حزام العذري،[1] وغيرهم من العشاق عن الزواج بسبب العشق، ورفض الرجال للزواج بسبب العشق أكثر منه في النساء لأن المرأة يجبرها أولياؤها على الزواج بزيد أو عمرو، فلا تستطيع المخالفة غالبا.

وقد تتعلق إحدى النساء بأحد الرجال، وتعرض عليه نفسها مباشرة، وتفاتحه في هذا الأمر صراحة طالبة منه إجابة رغبتها بزواجه منها، أو تراسله عن طريق المرأة المراسلة أو من يقوم مقامها من وسائل الاتصال، في رغبتها فيه، وتعلقها به، ولكن رغبة هذه المرأة بهذا الرجل لا يفيد بالضرورة تعلق الرجل بها أو استجابته لرغبتها، فقد يكون راغبا عنها لأسباب كامنة فيها من قبح ودمامة، أو كبر وتقدم سن، أو استهجانا منه لهذا التصرف منها بجرأتها وإقدامها على خطبته، بينما كان ينبغي عليها أن تلزم قعر بيتها وأن تلتزم الخفر والدلال وأن تنتظر أن يتقدم لخطبتها هو لا هي، أو قد يكون رغبته عنها لأسباب خاصة به، كأن يكون متزوجا ولا يرغب في الزواج من أخرى، أو أنه لا يريد أن يُضِرّ امرأته. أو غيرها من أسباب الرفض التي يراها مناسبة في رده لهذه المرأة وعدم استجابته لرغبتها، وتضحيتها بمشاعرها وجرحه لكرامتها.

فإذا لم توفق المرأة في طلبها ولم تظفر بربط حبالها مع حبال هذا الرجل الذي أشغل فكرها ولم تنجح في جمع شملها مع شمله، مع شدة تعلقها به وحرصها عليها، وشدة وقع صدمة رفضه لها عليها، قد تفكر هذه المرأة في العزوف عن الزواج وتركه كلية والنأي عن عالم الرجال والبعد عنه واستئثار أن تكون عانسا كما فعلت أم شريك القرشية العامرية رضي الله عنها التي عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم كما مر علينا في المقدمة، ولم يقبل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتركت الزواج

---

[1] انظر قصة عروة بن حزام في ذم الهوى لابن الجوزي ص ٣١٢ ــ ٣٢٠

وانصرفت عنه، فعن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال كانت أم شريك من بني عامر بن لؤي معيصية وهبت نفسها للنبي فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت.[١]

٨ـ وجود بنات بالبيت لم يتزوجن :

أولا: وجود بنات بالبيت لم يتزوجن بالنسبة للفتى :

الشاب غالبا لا يفكر في الزواج إن كان أمامه ــ أكبر منه أو أصغر ــ أخوات عوانس لم يساعفهن الحظ في الزواج وتكون البنات يأملن في أن يتزوجن وتكون الأسرة كذلك فهو يصبر على عزوبته وعدم زواجه انتظارا لنفاق سوقهن فوجود الأخوات في البيت وعدم نفاق سوقهن يؤثر في عدم تزوج الأخ بل إن وجودهن يؤثر في اختياره لزوجته فقد يحبذ امرأة ثيبا على بكر رغبة منه في قيامها بمصالح أخواته ومساعدتهن كما في حديث جابر بن عبد الله: فعَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ نَكَحْتَ يَا جَابِرُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ مَاذَا أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا قُلْتُ لَا بَلْ ثَيِّبًا قَالَ فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ كُنَّ لِي تِسْعَ أَخَوَاتٍ فَكَرِهْتُ أَنْ أَجْمَعَ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةً خَرْقَاءَ مِثْلَهُنَّ وَلَكِنْ امْرَأَةً تَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ قَالَ أَصَبْتَ.[٢]

ومن ضمن المصالح التي يراعيها الشاب في اختياره أن لا تدخل هذه الغريبة بين الأخ وأخواته كما في إحدى روايات حديث جابر في مسلم وغيره: فعَنْ عَطَاءٍ أَخْبَرَنِي

---

[١] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم : ١٢٠٩٩]

[٢] صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب قوله تعالى ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حديث رقم : ٣٧٤٦)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى قوله : (تسع بنات) في رواية الشعبي " ست بنات " فكأن ثلاثا منهن كن متزوجات أو بالعكس.[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٤٤١]

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا جَابِرُ تَزَوَّجْتَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ بِكْرٌ أَمْ ثَيِّبٌ قُلْتُ ثَيِّبٌ قَالَ فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَخَشِيتُ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ قَالَ فَذَاكَ إِذَنْ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكَحُ عَلَى دِينِهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ. [1]

قال السندي: قوله (فهلا بكرا) أي فهلا تزوجت وفي بعض النسخ بكر بلا ألف وهو بالنصب كما هو المشهور رواية ولا عبرة بسقوط الألف خطا في علم الحديث قوله (تلاعبها وتلاعبك) تعليل للترغيب في الأبكار سواء كانت الجملة مستأنفة كما هو الظاهر أو صفة لبكرا أي ليكون بينكما كمال التآلف والتآنس فإن الثيب قد تكون معلقة القلب بالسابق (أن تدخل) أي البكر لصغرها وخفة عقلها (بيني وبينهن) فتورث الفتن وتؤدي إلى الفراق (فذاك) الذي فعلت من أخذ الثيب أحسن وأولى أو خير (إذن) أي إذا كان لهذا الغرض بتلك النية فإن الدين خير من لذة الدنيا. [2]

وإذا استعجل الشاب الذي له أخوات لم يتزوجن وأراد إعفاف نفسه وإحصانها فإن كثيرا من المجتمعات تعتبر هذا الاستعجال منه نوعا من أنواع العقوق وعدم الوفاء والعرفان والنظرات الذاتية الضيقة.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، حديث رقم: ٢٦٦٢/ سنن النسائي، كتاب: النكاح، باب: على ما تنكح المرأة، حديث رقم: ٣١٧٤ / سنن ابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: تزويج الأبكار، حديث رقم: ١٨٥٠

[2] شرح سنن ابن ماجة للسندي، ج ٢ ص ٤١٦

ثانيا: وجود أخوات أكبر من الفتاة لم يتزوجن:

مجتمعنا الإسلامي لا يزال بحمد الله فيه كثير من الصفات الحميدة، والخصال المجيدة الكثيرة، ولنأخذ صفة واحدة من الصفات وهي صفة الترابط وعدم جرح مشاعر الآخرين التي نجدها السمة الغالبة في المجتمع، فقد تكون أسرة لها عدد من البنات تتفاوت أعمارهن كما تتفاوت درجات جمالهن وتعليمهن، فقد تكون الكبرى، على درجة من الجمال ومن توفر المغريات التي ترغب فيها الرجال وتحضهم عليها فيتهافت عليها الرجال الخطاب تهافتا كتهافت الجنادب والفراش على النار، مما يجعل سوق أخواتها قائمة إضافة لنفاق سوقها هي فتكون سببا في تزويج أخواتها ونَفاقهن، أو قد تكون على العكس من ذلك تماما فتكون غاية في القبح والدمامة، أو تكون مصابة بعاهة ككساح أو عرج أو حَوَل وغير ذلك من الأمور التي تزهد المتقدمين إليها وتنقص رغبتهم فيها، وتكون أختها التي بعدها آية من آيات الجمال، فيتحرج المتقدمون من الخطاب من بني عمها وأقاربها وجيرانها والمطلعين على أحوال الأسرة، من أن يتخطوا هذه الكبرى ويتزوجوا الصغرى، ولا يجرؤ أحد منهم ولا يخاطر بخطبة الكبرى لرغبته في الجمال التي تفوقت فيه أختها عليها ومن ثم فإنه يؤثر البحث عن زوجة غيرها من بنات حواء.

وإذا حدث أن تقدم أحد المتقدمين للصغرى فإنها ترفض ذلك بحجة أن أختها الأكبر منها لم تتزوج، وإذا وافقت فإن أهلها لا يوافقون.[1] وإذا وافقت الأسرة على زواج الصغرى فقد يكون ذلك خوفا على عنوسة جميع فتياتها، فتزويج واحدة أفضل من بوار الجميع، كما أنها تشعر بحرج عظيم وتذمم كبير وقد تعتذر للبنت الكبرى علانية وإذا خافت من جرح مشاعرها فكتمت الاعتذار فإنها تعطف عليها عطفا واضحا

[1] قد تختلف هذه العادات من بلد لأخر.

وتزيدها برا وعطفا وإكراما أكثر من قبل أن تخطب أختها الصغرى أو تتزوج وكل ذلك بقصد إدخال السرور على قلبها والفرح على نفسها وجعلها تنسى ولا تفكر فيما حدث وتمرره من غير أن يؤثر فيها بشيء.

نقلت وكالة الأنباء الفرنسية (في ١٥ محرم ١٤١٧ الموافق ١٩٩٦/٦/١) خبر إقدام ثلاث أخوات هنديات على الانتحار بتناول مبيد للحشرات؛ لعدم قدرتهن على احتمال فكرة البقاء دون زوج.

وقال ناطق باسم شرطة بومباي: إن الأخوات الثلاث كن يعتبرن أن حظوظهن في الزواج تكاد تكون معدومة، واعتبرن أنهن لا يملكن خيارا آخر سوى الانتحار.

وقد انتحرت الأخوات الثلاث: فيجايانتي (٣٠ عاما) وشاكونتالا (٢٥ عاما) ويامونا سوفارنا (٢٠ عاما) في ضاحية العاصمة الاقتصادية والمالية للهند.

وقال الناطق باسم الشرطة: إن والد المنتحرات الثلاث أعلن أنه لم يتمكن من العثور على زوج لابنته الكبرى، ورفض السماح لابنتيه الأخريين بالزواج طالما لم تتزوج الأولى.

ويذكر أن معظم حالات الزواج في الهند يجري ترتيبها من قبل العائلات التي تختار لأبنائها أزواجا من الفئة نفسها التي تنتمي إليها. وتتزوج الفتيات عادة صغيرات السن.. ويجدن صعوبة في العثور على زوج بعد الخامسة والعشرين.

وحول سيطرة فكرة "لابد من الترتيب وتزويج الكبرى أولا" على بعض الأسر أجرت جريدة عكاظ في العدد ١٠٠٤٣ بتاريخ ٢ شعبان ١٤١٤ هـ تحقيقا مع عدد من الأمهات والبنات والآباء وعلماء الشرع تجاه هذه العادة الغريبة نقتطف من ثناياه بعض الآراء:

رأي يقول: إن الإصرار على زواج الكبرى أولا ينم عن جهل بمتغيرات العصر، حيث إن بعض الآباء والأمهات يصرون على زواج الأخت الكبرى قبل الصغرى، ويغلقون باب التفاهم أمام كل من يتقدم لطلب يد الصغرى خصوصا إذا كانت تتمتع بميزات تختلف عن الكبرى، فهناك العديد من الأسر التي رفضت زواج الصغرى قبل الكبرى، وكانت النتيجة الموجعة هي بقاء الشقيقتين بلا زواج بعد أن فاهما قطار العمر.

فتاة أخرى محبطة تحكي أنها عانت من هذا الموضوع حيث تقدم لها عدد من الشباب ولكن والدها أصرت على زواج أختها الكبرى قبلها، وبعد أن تزوجت الكبرى أصبحت الصغرى بحالة نفسية جعلتها ترفض كل من يتقدم لها.

وجهة نظر تقول: إن الانتظار حتى تتزوج الكبرى من الممكن أن يفوت الفرص الثمينة لبقية أخواتها، وقد تقدم خطبتها بعض الشباب من ذوي المراكز المرموقة، ولكن أسرتها رفضت لحين تتزوج الأخوات الكبيرات، مما جعلها تصاب بإحباط شديد بعد أن فاتت فرص كثيرة لم تجد منها شيئا في المتقدمين بعد ذلك.

وترفض إحدى الأمهات مبدأ زواج الأخت الصغرى قبل الكبرى، لأن هذا التصرف ربما يصيب الكبرى بالإحباط، تحقد على أختها الصغرى.

ويرى أب أن موضوع زواج البنت الكبرى قبل الصغرى يجب إلغاؤه وتهميشه من ذاكرة أفراد المجتمع، لأنه يفتح الباب أمام شبح العنوسة، وقد زوج هذا الأب الابنة الصغرى قبل الكبرى دون أدنى حرج أو خوف من إقدامه على هذا التصرف، لأن الزواج قسمة ونصيب.

وجهة نظر أخرى ترى أن إصرار الأهل على زواج البنت كبرى قبل الصغرى من شأنه أن يفرز مشكلات كثيرة للشقيقتين، إذ إنه من الممكن أن يفوتهما قطار الزواج وتكون المهلة النهائية الندم والدموع لكل أفراد الأسرة التي تقوم بمثل هذا التصرف.

وحول هذا الموضوع يرى د. أحمد سليم عسكر الأستاذ المساعد بقسم الاجتماع بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود أن عزوف الآباء عن تزويج الابنة الصغرى قبل الكبرى ينبع من الإرث الاجتماعي للبيئة وهو بمثابة البوصلة التي توجه أنماط السلوك الجمعي للأفراد والجماعات، وهذا التصرف يحد من العادات والتقاليد البالية، وهو من المؤشرات المعتمة للإرث الاجتماعي، حيث تجر بعض المشاكل الاجتماعية للأسرة مما يؤدي إلى فرط عقد الود بين أفراد الأسرة الواحدة. وللتنشئة الاجتماعية دور كبير في بث أبجديات التربية السليمة بين أفراد الأسرة، كما أن للتوعية والتوجيه عبر وسائل الإعلام المختلفة دورا كبيرا في تهميش مثل هذه الظاهرة، وبهذا تستطيع الأسرة تجاوز هذه الأمور دون أن تؤثر في العلاقات بين أفرادها.

إن الإحجام عن زواج الصغرى قبل الكبرى فيها إجحاف كبير وشديد كما يقول د. جبريل بصيلي المحاضر بكلية الشريعة، كما يجب على الآباء وأولياء أمور البنات عدم القيام بمثل هذا التصرف، لأن ذلك يؤدي إلى ازدياد العنوسة، كما يجب عدم رفض الشخص الكفء سواء جاء للصغرى أو الكبرى، بل على الأب أن يتقي الله في هذه الأمانة التي حملها. [1]

٩ ـ وجود أطفال:

أولا: وجود أطفال بالنسبة للرجل:

لا يؤثر وجود الأطفال كثيرا بالنسبة لرجل له أطفال ولكن يقف الذين تقدم لهم لخطبة ابنتهم أمام هذا الأمر وقفات ما سبب وجود هؤلاء الأطفال أهو موت أمهم وهنا يهون الأمر أم هو سبب طلاق أبيهم لأمهم وقد يفعل ذلك مع ابنتهم كما أنهم يتساءلون ما هي أعمار هؤلاء الأطفال؟ وكم عددهم؟ وكم عمر أكبرهم وأصغرهم؟ وهل هم

---

[1] انظر: العنوسة المشكلة والعلاج تأليف: شقير حمود شقير العتيبي

أولاد أم بنات؟ أم مزيج من الأولاد والبنات؟ وكيف سيكون موقف ابنتهم ووضعها وراحتها مع هؤلاء الأطفال؟

كما أن وجود الأطفال يؤثر على الرجل من ناحية اختياره فهو يرغب كأي شخص راغب في الزواج في صفات وشكل وعمر معين ولكن واقعه يفرض عليه غير ذلك فغالبا أنه لا يوافق عليه من النساء إلا المطلقات والأرامل والعقيمات والمعاقات وكبيرات السن أما الفتيات الصغيرات اللاتي لهن آمال في الظفر بزوج مناسب فلا يوافقن غالبا على أمثال هؤلاء الصنف من الرجال.

وإن كان هذا الأمر لا يعتبر من صميم مشكلة العنوسة لأن صاحب الأطفال سبق أن تزوج ورزق أولادا فقد أمهم نتيجة موتها أو طلاقها.

ثانيا: وجود أطفال للمرأة :

تكون المرأة ذات الأطفال أمام إحدى الخيارات الآتية :

أ ـ رغبة المرأة في الزواج وإحجام المتقدمين لها لوجود الأطفال:

قد يكون من حظ إحدى النساء أن يطلقها زوجها أو تختلع منه لسوء معاملته أو يموت عنها، فتصير خالية من الأزواج وقد تكون خلية من الأطفال أو يترك لها الزوج المتوفى عنها أو المفارق لها عددا من الأطفال، فترغب هذه المرأة في الزواج وتحب أن تقترن بزوج تستظل بظله وتحتمي بحماه وتعيش في كنفه معوضا لها ما ذاقته من سوء معاملة من مطلقها السابق أو مسليا ومواسيا لها من فراق زوجها المتوفى عنها ولكن يعوق هذه الرغبة ويحول بينها وبين تحقيقها أمور عدة منها:

ــ الخوف على أطفالها وكيف سيعاملهم هذا الزوج القادم، وهل سيترك هؤلاء الأطفال أهل الزوج لها ويدعونها تنعم بهم بعد زواجها؟

ـ عدم رغبة أهل الزوج المتوفى في إتيان شخص آخر يكون في مكان ابنهم المتوفى رغم أنه كان بإمكانهم أن يزوجوا هذه المرأة من أحد إخوان الزوج المتوفى إن كان له إخوة أو السماح لها بالزواج إن لم يكن له إخوة.

ـ كراهية كثير من الأبناء والبنات لزواج الأم بعد وفاة أبيهم واعتبار أن ذلك عيبا، فعن هشام بن عروة عن رجل حدثه أن امرأة سألت ابنها أن يزوجها فكره ذلك وذهب إلى عمر فذكر ذلك له فقال اذهب فإذا كان غدا أتيتكم قال فجاء عمر فكلمها ولم يكثر ثم أخذ بيد ابنها فقال له زوجها فوالذي نفس عمر بيده لو أن حنتمة بنت هشام يعني عمر أم نفسه سألتني أن أزوجها لزوجتها فزوج الرجل أمه.[1]

ـ قد يوصي الوالد الأبناء بالانتقام من الأم إن هي تزوجت، أنشد ابن الأعرابي لرجل له ولد اسمه غياث أوصاه بالانتقام من والدته إن هي تزوجت بعد وفاته:

غياثُ إذا متُّ وعشتَ بعدي وأشرفت أمك للتصدي

وارتقنت[2] بالزعفران الوردي فاضرب فداك والدي وجدي

بين الرعاث ومناط العقد ضربة لا وان ولا ابن عبد[3]

والرجال لا يريدون غالبا أن يقترنوا بهذا النوع من النساء، من المطلقات والأرامل ذوات الأولاد، وذلك للآتي:

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة ج ٤ ص ٤٧، باب: ما قالوا في الرجل يزوج أمه، حديث رقم: ٢٥٦

[2] رقنتِ الجارية ورقّنت وترقّنت إذا اختضبت بالحناء

[3] لسان العرب مادة رقن ج ٥ ص ٢٩٢

ــ الغالب على هذا الصنف من النساء أن تكون الواحدة منهن لفوتا، قال الأصمعي: اللفوت التي لها زوج ولها ولد من غيره، وهي تتلفت إلى ولدها، وهي البروك أيضا.[١]

ــ سيسأل نفسه لماذا لا يأتي بشابة غضة طرية تهتم به وتسعده، فالفتيات الصغيرات كثر، فلماذا يأتي بهذه المرأة ذات الأطفال؟ هل هو جمعية خيرية أو مؤسسة كفالة أيتام؟ ولماذا يرهق نفسه ماديا بالإنفاق عليهم وعلى أمهم ومعنويا بأخذهم واستقطاعهم وقتا من راحته ووقتا من أمهم كان من المفترض أن تنفقه عليه فأنفقته عليهم، وفي نهاية الأمر وخاتمة المطاف يخرج غير محمود ولا مشكور من أمهم ولا منهم فمن المعروف أن الأولاد يكرهون زوج أمهم، كما الغالب على النساء كفران النعم والإحسان، فستأتي هذه المرأة بعد أن يكبر هؤلاء الأولاد وتقول بملء فيها: لقد ربيت أبنائي وحدي ولم يساعدني فيهم أحد بفلس.

ب ـ الإشبال على الأطفال: [٢]

أَشْبَلَتِ المرأةُ على ولدها، فهي مُشْبِلٌ: أقامت بعد زوجها وصَبَرَت على أولادها فلم تتزوَّج. وأشْبَل عليه: عَطَف عليه وأعانه.[٣]

والأطفال هم ثمرة من أكبر ثمرات الزواج، وهم نعمة من نعم الله عز وجل التي امتن بها على عباده بعامة وعلى الزوجين بخاصة، ووجود الأطفال يسهم كثيرا في ترابط

---

[١] غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ص٣٣٥

[٢] سنستعرض عادات المجتمع في رفضه لزواج المرأة بعد وفاة زوجها ، وتأثم أفراده من ذلك وتحرجهم منه رغم حله.

[٣] لسان العرب مادة شبل/ معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ٥٤٨/ القاموس المحيط للفيروز آبادي باب اللام. فَصْلُ الشِّين

الأسرة وتماسكها وحل المشاكل المعترضة وإزالة الشوائب العالقة وإزاحة العوائق العادية التي تطفو على سطح الحياة الزوجية أحيانا وتثبيت العلائق.(١)

والحياة الزوجية تنتهي بالموت أو الطلاق عند انفصام عرى حياة الزوجين، وإذا اختطفت المنايا أحد الزوجين فإن نظام الباقي من الزوجين سيتغير ويتأثر بفراق رفيقه وينقلب رأسا على عقب ، فمثلا إذا ماتت الزوجة قبل زوجها وتركت أطفالا فإن بعض الآباء يعزفون عن الزواج ويعكفون على أبنائهم ويكونون لهم أبا وأما وأخا وأختا وصاحبا وصديقا، ولكن الرجل الذي تتوفى زوجته غالبا يفكر في الاقتران بأخت زوجته المتوفاة إن وجدت حفاظا على هؤلاء الأطفال لأن خالتهم في مقام والدهم فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ .(٢)

ومن ثم فلا تقسو عليهم ولا تفكر في إيذائهم وإن لم يكن للزوجة المتوفاة أخت فإن الأب يختار قريبة لها لصيقة بها كبنت عمها أو خالها أو نحوها من أقاربها وكل ذلك من أجل هؤلاء الأطفال وإن أعوزه ذلك فإنه يختار لهم امرأة عاقلة جامعة تكون مظنة للخير والنبل والطيبة وسماحة الخلق ، ويوصيها بأولاده خيرا ويشدد عليها في ذلك واضعا أمامها شروطا إن أرادت الاستمرار معه والعيش في كنفه من أهمها:

الإحسان إلى أولاده وأن الإساءة إليهم ستكون عاقبتها الفراق بينهما ويسألها باستمرار عن معاملتها للأولاد وهل هي تحسن إليهم وهل تكيفت معهم وهل اتخذتهم أبناء لها؟ كما أنه لا ينسى سؤال الأولاد عن مدى ارتياحهم مع هذه الوافدة وهل تحسن

---

(١) انظر : الخلافات بين الزوجين، العقم وتأخر وتأخير الإنجاب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: كيف يكتب هذا ما صالح عليه فلان بن فلان، وفلان بن فلان. حديث رقم: ٢٥٠١

معاملتهم، وهل هي ظئر رؤوم أم هي سئوم ويسأل الأهل والجيران عنها ويفاجئ البيت بزيارات مفاجئة على حين غرة ليرى كيف تعامل هذه المرأة هؤلاء الأبناء يفعل الأب كل هذه الأفعال ويتصرف كل هذه التصرفات حفاظا على هؤلاء الأبناء وعطفا عليهم وزيادة في الحنان عليهم تعويضا لهم عما فقدوه من وفاة والدهم.

أما إذا كان المتوفى الرجل فإن إخوانه ــ إن كان له إخوان ــ عادة يفكرون في الاقتران بزوجة أخيهم حفاظا على أولاده فيجتمع الإخوة ويحددون واحدا منهم ليتزوج بهذه المرأة والباقون يعاونونه ابتداء من تجهيز الزواج والقيام بمستلزماته ــ ويكون عادة زواجا مبسطا ــ وانتهاء بالإسهام في المعيشة اليومية وتحس المرأة غالبا بالسعادة إن تم هذا الأمر فهي قد أصبح لها زوج تستظل بظله وتحتمي بحماه وتستدفئ بدفئه ويرعى أبناءها الذين هم أبناؤه لأن العم والد فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ.[1]

كما أن الأولاد لا يجدون أي غضاضة ولا يحسون بأدنى حرج في زواج أمهم من عمهم، خلافا لمن تزوجت رجلا بعيدا.[2]

أما إذا لم يكن لزوج المرأة أخ أو قريب من أقاربه تقدم للارتباط بها جمعا لشملها وشمل أولادها فإنها تكون أمام عدة خيارات منها:

ــ أن تتجمل للخطاب وتعرض نفسها عليهم آملة أن تظفر بواحد منهم مضحية بسعادة أبنائها[1] متحدية غضب من حولها ووصفهم إياها بالغلمة والشبق وعدم

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، حديث رقم: ١٦٣٤

(2) انظر: الخلافات بين الأقارب: زواج الأم بعد موت زوجها.

المقدرة على الصبر عن الرجال وأنها لم تنظر إلا إلى نفسها ولم تتأس بهند ودعد وغيرهن ويعدد المجتمع النساء الأرامل اللواتي لم يتزوجن بعد موت أزواجهن وأشبلن على أولادهن، واصفا إياهن بأنهن أصغر منها وأجمل والمتقدمون لهن كانوا أكثر ولكنهن رفضن ذلك وآثرن الصبر وتربية أولادهن. كما أن أولادها قد يتمردون عليها وقد يذهب بهم أقاربهم من أعمام ونحوهم، أو قد يذهبون هم إليهم.

ــ أن تعزف عن الزواج وتقطع الأمل فيه مؤثرة رغبة من حولها على رغبتها إن كانت لها رغبة في الزواج حافظة مشاعر أبنائها بأنها لم تأتهم بزوج يكون في مكان أبيهم.

ــ أن تتزين مع دعواها أنها مشبل وحانية على أطفالها مع أن واقعها يكذب دعواها، ومن أمثال العرب : حانِيَةٌ مُخْتَضِبَةٌ، وذلك أن امرأة مات زوجها ولها ولد، فزعمت أنها تحنو على ولدها ولا تتزوج، وكانت في ذلك تخضب يديها.[2]

وقد تصبر المرأة ــ وإن كانت صغيرة ــ على أطفالها حتى يكبروا ويأمروها بالزواج إن بدأ لهم ذلك. كما فعلت أم سليم والدة أنس بن مالك فعن أم سليم: أنها آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت : فجاء أبو أنس وكان غائبا، فقال: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكني آمنت! وجعلت تلقن أنسا: قل: لا إله إلا الله قل: أشهد أن محمدا رسول الله ففعل. فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليّ ابني فتقول: إني لا

---

[1] قال مجاهد: كنت في جنازة رجل، فسمعت رجلا يقول لامرأة الميت: لا تسبقيني بنفسك. قالت: قد سبقت. [سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٥٥]

[2] المستقصى من أمثال العرب الحاء مع الباء ص ٥٦ / مجمع الأمثال، للميداني، ١٠٤٩

أفسده! فخرج مالك فلقيه عدو له فقتله، فقالت: لا جرم لا أفطم أنسا حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس. فخطبها أبو طلحة، وهو يومئذ مشرك،(١) فأبت.(٢)

قال أنس بن مالك: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت إني قد آمنت بهذا الرجل وشهدت بأنه رسول الله فإن تابعتني تزوجتك قال فأنا على ما أنت عليه فتزوجته أم سليم وكان صداقها الإسلام وبه خطب أبو طلحة أم سليم وكانت أم سليم تقول لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس فيقول جزى الله أمي عني خيرا لقد أحسنت ولايتي فقال لها أبو طلحة فقد جلس أنس وتكلم فتزوجها.(٣)

وقد جاءت المبشرات للمرأة المقيمة على أولادها. فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوْمَأَ يَزِيدُ بِالْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ(٤) وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا.(٥)

---

(١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ تَزَوَّجَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَكَانَ صِدَاقُ مَا بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامَ أَسْلَمَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ قَبْلَ أَبِي طَلْحَةَ فَخَطَبَهَا فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمْتَ نَكَحْتُكَ فَأَسْلَمَ فَكَانَ صِدَاقَ مَا بَيْنَهُمَا. [سنن النسائي، كتاب النكاح، باب: التزويج على الإسلام، حديث رقم: ٣٢٨٨]

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٠٥

(٣) الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٢٠٧٣

(٤) السُّفْعَةُ: نوعٌ من السواد ليس بالكثير. وقيل هو سوادٌ مع لون آخر، أراد أنها بذلت نفسَها، وتركَت الزِّينة والترفُّة حتى شَحِب لونها واسودّ إقامةً على وَلَدها بعد وفاة زوجها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {سفع}]

(٥) سنن أبي داود، كتاب: الأدب باب: في فضل من عال يتيما حديث رقم: ٤٤٨٢/ مسند الإمام أحمد، مسند عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري، حديث رقم: ٢٢٨٨٠

ج ـ خوف المرأة من أذى وإزعاج الأطفال للزوج المتقدم:

قد تتأيم بعض النساء وتترمل من زوجها الذي فارقها وتركها في عز شبابها مخلفا وراءه عددا من الأطفال الصغار ، وتريد هذه المرأة أن تربي أولادها وتخشى من عجزها عن ذلك، وذلك لوفاة عائلها وعائل أولادها . فهي تريد الزواج من هذه الناحية، وترغب فيه، وقد يتقدم لهذه المرأة خاطب له مكانة عظيمة جدا في نفسها من الحب والتقدير، وله منزلة لا تساميها منزلة بين الناس ، فهو محبوب ومطاع، فيخطبها ويتقدم لها وتكون كلها رغبة في الاقتران به والتعلق بأسبابه ولكنها ترغب عن ذلك حفظا لشعوره ولمكانته عندها فترى هذه المرأة أنها إن وافقت عليه فإن هؤلاء الأطفال الصغار يؤذونه بالبكاء والصياح صباح مساء، والبول عليه كما هو شأن الصبيان الصغار، فهي تشفق عليه من هذا ومن ثم ترفض الاقتران به لهذه العلة، وتؤثر بقاءها من غير زواج إكراما لهذا المتقدم وحفظا له وإيثارا لراحته.

وكان هذا الأمر سببا في رفض إحدى الصحابيات النبي صلى الله عليه وسلم وعدم موافقتها عليه رغم حبها له، وتمنيها له، ولكن حال دون ذلك صبيانها: فعن عَبْد اللَّه بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا سَوْدَةُ [1] وَكَانَتْ مُصْبِيَةً كَانَ لَهَا خَمْسَةُ صِبْيَةٍ أَوْ سِتَّةٌ مِنْ بَعْلٍ لَهَا مَاتَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَمْنَعُكِ مِنِّي قَالَتْ وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ أَنْ لَا تَكُونَ أَحَبَّ الْبَرِيَّةِ إِلَيَّ وَلَكِنِّي أُكْرِمُكَ أَنْ يَضْغُوَ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةُ عِنْدَ رَأْسِكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً قَالَ فَهَلْ مَنَعَكِ مِنِّي شَيْءٌ غَيْرُ ذَلِكَ قَالَتْ لَا وَاللَّهِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

[1] السَّوْدُ: سَفْحٌ من الجبل مُسْتَدِقٌّ في الأَرض خَشِنٌ أَسود، والجمع أَسوادٌ، والقِطْعَةُ منه سَوْدَةٌ وبها سميت المرأَة سَوْدَةَ. [لسان العرب مادة : سود]

يَرْحَمُكِ اللَّهُ إِنَّ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ[١] عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرٍ وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ بِذَاتِ يَدٍ.[٢]

وإذا وافقت المرأة ذات الأطفال على الزواج فإن أهلها يراقبون أطفالها ويحولون بينهم وبين إيذاء الزوج كما فعل أولياء أم سلمة معها: فعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ أُمَّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي تَعْنِي شَاهِدًا فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ فَقَالَتْ يَا عُمَرُ زَوِّجْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنِّي لَا أَنْقُصُكِ مِمَّا أَعْطَيْتُ أَخَوَاتِكِ رَحَيَيْنِ وَجَرَّةً وَمِرْفَقَةً مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيهَا لِيَدْخُلَ بِهَا فَإِذَا رَأَتْهُ أَخَذَتْ زَيْنَبَ ابْنَتَهَا فَجَعَلَتْهَا فِي حِجْرِهَا فَيَنْصَرِفُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلِمَ ذَلِكَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَكَانَ أَخَاهَا مِنْ الرَّضَاعَةِ فَأَتَاهَا وَقَالَ أَيْنَ هَذِهِ الْمَشْقُوحَةُ[٣] الْمَقْبُوحَةُ الَّتِي قَدْ آذَيْتِ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهَا فَذَهَبَ بِهَا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِبَصَرِهِ فِي نَوَاحِي الْبَيْتِ فَقَالَ مَا فَعَلَتْ زَنَابُ فَقَالَتْ جَاءَ عَمَّارٌ

---

(١) أحناه على " بمهملة ثم نون من الحنو وهو العطف والشفقة " وأرعاه " من الرعاية وهي الإبقاء. قال ابن التين : الحانية عند أهل اللغة التي تقيم على ولدها فلا تتزوج ، فإن تزوجت فليست كانية. [فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٦١٧]

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم : ٢٧٧٤

(٣) قال ابن الأثير: المشقوح: المكْسُور. أو المُبْعَد. من الشَّقْح: الكسر أو البعد.[النهاية في غريب الحديث والأثر. مادة: {شقح}]

فَأَخَذَهَا فَذَهَبَ بِهَا فَدَخَلَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهَا إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي.[١]

وعندما يكبر أبناء المرأة قد تفكر في الزواج كما فعلت أم سليم، وكما عرضت أم هانئ نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر بن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب أم هانئ وخطبها منه هبيرة فزوج هبيرة فعاتبه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يا بن أخي إنا قد صاهرنا إليهم والكريم يكافئ الكريم ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت والله إني كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام ولكني امرأة مصبية فأكره أن يؤذوك فقال خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد الحديث وأخرج بن سعد بسند صحيح عن الشعبي قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم أم هانئ فقالت يا رسول الله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج فقال فذكر الحديث ومن طريق أبي نوفل بن أبي عقرب قال خطبها فقالت لولدين بين يديها كفى بهذا رضيعا وبهذا ضجيعا فذكر الحديث وهذان مرسلان ومن طريق السدي عن أبي صالح مولى أم هانئ قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم أم هانئ فقالت إني مؤيمة فلما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه فقال أما الآن فلا لأن الله أنزل عليه في قوله ﴿ وبنات عمك وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾[٢] ولم تكن من المهاجرات.[٣]

---

[١] مسند الإمام أحمد، مسند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم : ٢٥٣٢٠

[٢] سورة الأحزاب آية : ٥٠

[٣] الإصابة، ترجمة : ١٢٢٨٥

١٠ـ الطلاق :

أولا: الطلاق عند الفتيان:

قد يحدث طلاق بين زوجين وهذه شيء طبيعي فالحياة اجتماع كما أنها افتراق، وقد يكون سبب الطلاق الزوجة وذلك بطلبها المباشر له والإلحاح فيه كما فعلت النوار زوجة الفرزدق معه: قال أبو شفقل عبيد راوية الفرزدق: أتتني النوار فقالت: كلم هذا الرجل أن يطلقني. قلت: وما تريدين إلى ذلك؟ قالت: كلمه. قال: فأتيت الفرزدق فقلت: يا أبا فراس، إن النوار تطلب الطلاق. فقال ما تطيب نفسي حتى أشهد الحسن. فأتى الحسن فقال: يا أبا سعيد أشهد أن النور طالق ثلاثا. قال: قد شهدنا. قال فلما صار في بعض الطريق قال: طلقتك؟ قالت: نعم. قال: كلا. قالت: إذن يخزيك الله عز وجل يشهد عليك الحسن وحلقته فترجم، فقال:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار
فكنت كفاقئ عينيه عمدا ... فأصبح ما يضئ له النهار
ولو أني ملكت يدي وقلبي ... لكان عليَّ للقدر الخيار
وما طلقتها شبعا ولكن ... رأيت الدهر يأخذ ما يُعار[1]

وقد تتعنت المرأة وتجبر زوجها على الإقدام على الطلاق والتلفظ والتفوه به، بل خديعته أحيانا واستلال الطلاق منه استلالا كما فعلت أم كلثوم بنت عقبة مع زوجها الزبير بين العوام رضي الله عنه.[2]

---

[1] مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٤٥ ـــ ١٤٦

[2] انظر : الطلاق وآثاره في الخلافات بين الزوجين

كما أن الزوج قد يكون سببا فيه لأننا لا نريد أن نحمل كل حدوث طلاق للمرأة كما أننا لا نريد استقصاء أسباب الطلاق وكيفية تداركها والتحرز منها فهي مبسوطة في غير هذا المكان ولكن نريد أن نتناول أثر الطلاق في العنوسة هذا إذا اعتبرنا المطلقة عانسا ومن المعلوم أن العرب لا يصنفون المطلقات من ضمن العوانس لأن لها تجربة زوجية سابقة بغض النظر عن نجاح هذه التجربة من فشلها كما مر بنا في تعريف العنوسة.

والرجل عند تفوهه بكلمة الطلاق وتلفظه بها فإن الأمر عنده ينتهي بذلك وقد يتزوج مباشرة بعد طلاقه ويجد امرأة ولكن زواجه قد يتعثر ويصعب بعض الشيء إذا كثر طلاقه للنساء وتعددت مراته فإن تقدم لمن حوله ممن يعرفون حاله فإنهم يتحفظون في إعطائه بناتهم لأنهم يكونون قد صنفوه ووضعوه من مجموعة الرجال الذواقين المطلاقين الذين لا يطمئن لهم قرار ولا تستقر بهم دار مع زوجة فترة من الزمن فهم إن عاش الواحد منهم مع امرأة شهرا اعتبره فترة كافية لفراقها فيستبدل بها غيرها وإن كانت أقل من زوجته التي فارقها جمالا وعلما وأكبر عمرا وأكثر قبحا ولكنه تحت نشوة التغيير وحبه فكل شيء يحتمل والنساء الراغبات في الزواج المنتظرات للأزواج فإن الواحدة منهن تتساءل عند تقدم رجل طلق من قبل لها: لماذا طلق هذا الرجل؟ وما هي أسباب ذلك؟ وهل سأنفع أنا معه أم سيكون مصيري كمصير سابقتي أو سابقاتي إن كن أكثر من واحدة ؟ وهل سيوفق معي؟ ولعله من الملولين الذين لا يصبرون على الأصحاب أو هو من المزواجين المطلاقين الذين لا يقرون على قرار ولا يهدأ لهم بال فيه خصلة من خصال إخوان القردة والخنازير الذين لا يصبرون على طعام واحد بني إسرائيل الذين لم يصبروا على طعام واحد فاستبدلوا المن والسلوى بالعدس والبصل والأدنى مع أنه أدنى وأخس مما

كان عندهم ومما كانوا فيه من حالة قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [١] ومن ثم فقد ترفضه الواحدة منهن.

وإذا طلق الرجل مرة أو مرتين فإن المجتمع يقبل منه هذا وإذا زاد على ذلك فإنه يضع العيب والتقصير فيه ويكيل اللوم له ويرفض إعطاءه بناته ولكن الرجل يمكنه التغلب على هذه المشكلة ـ رفض النساء له ـ غير المعضلة بالذهاب إلى مكان آخر لا يعرف فيه أحد من الناس عن حقيقته وأمره شيئا ولا عن حياته السابقة وقد يجد امرأة في نفس بلده ومن ضمن معارفه بل قد تكون من أقاربه ولكن تكون من اختارها من النساء غالبا أقل من اللاتي فارقها أو اللواتي فارقهن أو قد يجد من نطيحات النساء ومترديـاتهن وما أكل الدهر من مطلقات وأرامل ومعاقات يرين فيه تطبيق قول القائل: زوج من عود خير من قعود فتوافق عليه إحداهن لأنها متأكدة أنها لن تجد غيره.

كما أن بعض أفراد المجتمع وشذاذه يتواصون باستخدام الطلاق والإكثار منه.[٢] أما المرأة فإن الأمر يختلف عندها فهي إذا كانت مطلقة طلقة رجعية فإنها تعتد ثلاثة أشهر ويكون لبعلها الحق في إرجاعها خلال عدتها شاءت أم أبت ، أما إذا كان الطلاق بائنا بينونة كبرى وكانت خلية من وجود شيء في رحمها فإنها تتربص بنفسها ثلاثة قروء

---

[١] سورة البقرة آية ٦١

[٢] انظر الطلاق وآثاره في كتاب: الخلافات بين الزوجين للمؤلف

وهي ثلاثة أشهر، قال الله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [١] أما إذا كانت حبلى فإنها تتربص بنفسها حتى ولادتها سواء أطالت المدة عن عدة الطلاق ــ الثلاثة الأشهر ــ أم قصرت عنها. قال الله تعالى ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [٢]

وبعد انتهاء عدتها فإنها تتجمل للخطاب وتنتظر الأزواج ، هذا إن لم تكن قد عزفت عن الزواج لأن بعض النساء يعزفن عن الزواج بعد طلاقهن من أزواجهن السابقين أو موتهم لعدة أسباب :

ــ إن كانت المرأة على درجة من الموافقة والمواتاة مع زوجها واخترمته المنية فإنها تعزف عن الزواج امتنانا له وحفظا لمكانته عندها وطمعا أن تجتمع معه يوم القيامة، لأنه قد بغض لها الرجال، بل بغض لها الحياة بأسرها.[٣]

ــ قد تمتنع المرأة المطلقة عن الزواج لمعاناتها مع زوجها معاناة كبيرة انتهت بطلاقها منه، ونالت الطلاق منه بشق الأنفس بمحاكم وقضاء واختلاع، وبذل مال منها

---

[١] سورة البقرة آية ٢٢٨

[٢] سورة الطلاق آية ٤

[٣] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: عن أبي البركات يحيى بن عيسى بن إدريس، كان زاهدا عابدا ورعا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ورزق أولادا صالحين وحفظهم القرآن كلهم بنفسه وختم خلقا كثيرا وكان هو وزوجته يصومان الدهر ويقومان الليل ولا يفطران إلا بعد العشاء وكانت له كرامات ومنامات صالحة ولما مات قالت زوجته: اللهم لا تحيني بعده فماتت بعده بخمسة عشر يوما. [البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ١٢ ص ٢٥٦]

ومن أهلها ناله منها زوجها، ومن ثم أطلق سراحها، فهي لا تريد أن تكون أسيرة زوج آخر يكون كسابقه أو شرا منه فهي تعزف عن الزواج خوفا من تكرار التجربة.

ـ أن يكون لها أولاد من زوجها الذي طلقها أو الذي مات عنها، وهي ترغب في الزواج حقيقة ولكنها تخشى من أهل زوجها إن كان ميتا ومنه إن كان مطلقا لها أن ينتزعوا منها هؤلاء الأولاد، فوازنت بين الأمور فآثرت عدم الزواج حفظا لأولادها وصونا لنفسها من أن تطالها ألسنة الناس بأنها تركت أولادها واستغنت عنهم وذهبت تبحث عن الأزواج.

قلنا إن بعض النساء بعد انتهاء عدتها قد تتجمل للخطاب وتنتظر الأزواج، وتستعد لهم نفسيا وقد يكون عمليا بشراء بعض لوازم البيت من متاع وأثاث وعدم التفريط فيما عندها مما تحصلت عليه في حياتها الماضية مع زوجها أو مما اشتراه لها أبوها.

فإن كانت خرجت من زواجها هذا من غير أولاد فهذا في ظنها وظن كثير ممن حولها ـ إن كان الطلاق تم مبكرا ـ أن هذا من حسن حظها، لأن زواجها سيسهل ويقل أو تنعدم أي بوادر رباط و رجوع لزوجها الأول، فهي تمني نفسها أن تكون زوجة مع بعل يسعدها ويسعى لراحتها وتحاول هي بدورها أن تسعده وقد ترضى بأن تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة.

أما إن كان لها أولاد فإن زواجها سيكون أكثر صعوبة والمتقدم لها يكون أكثر مغامرة أو استهتارا في نظر المجتمع.

لأن بعض المجتمعات لها نظرة خاصة للمطلقات بل يتواصى أفراد المجتمع بهذه السياسة غالبا، عاقلوه وغيرهم[١] وقال الشاعر:

لا تنكحن عجوزا أو مطلقة ولا يسوقنها في حبلك القدرا

وإن أتوك فقالوا : إنها نصف فإن أطيب نصفيها الذي غبرا[٢]

فالشباب غير المتزوجين من قبل عادة لا يتزوجوهن والمجتمعات لا تترك الصغار وشأنهم إذا تزوجوا من مطلقات يصفهم المجتمع أن الواحدة منهن في عمر أم الزوج وإن كانت هي في الحقيقة أصغر منه أو في مثل عمره ولذا فإنهم يتساءلون: ما الدافع لهذا الزواج؟ وما سببه؟ وهل انتهت النساء الأبكار [٣]الناعمات الغضات الهينات اللينات البض البيض الغريرات [٤]اللاتي هن في عمر الزهور بل أصغر وأنضر ولم تبق إلا تلك العجوز التي يجب التخلص منها وطلاقها إن كانت متزوجة. قال رؤبة بن العجاج:

---

(١) أراد رجل النكاح فقال: لأستشيرن أول من يطلع ثم لأعملن برأيه، فكان أول من طلع عليه هبنقة القيسي، وهو راكب على قصبة فقال له: إني أردت النكاح فما تشير علي؟ قال: البكر لك والثيب عليك وذات الولد لا تقربها واحذر جوادي لا ينفحك.

(٢) لسان العرب لابن منظور ، ج ٦ ص ٤٩١٦ / فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ، ص ٦٠

(٣) قال ابن الأثير : ومنه الحديث : عليكم بالأبكار فإنّهنّ أغَرُّ غُرَّة يحتمل أن يكون من غُرّة البَياض وصَفاء اللّون . قال الهروي: وذلك أن الأيمة والتعنيس يحيلان اللون . ويَحْتَمل أن يكون من حُسْن الخُلُق والعِشْرة، ويؤيدّه الحديث الآخر: عليكم بالأبكار فإنّهنّ أغَرُّ أخلاقا أي أنّهنّ أبْعَدُ من فِطْنة الشّرّ ومعرفته، من الغِرّة: الغَفْلة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {غرر}]

(٤) البَيْضاء الغَرِيرة : هي الشَّابَّة الحديثة التي لم تُجَرِّب الأمور.

إذا العَجوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ ولا تَرَضَّاهَا ولا تَمَلَّقِ

واعمدْ لأخرى ذاتِ دلٍ مونقِ لينةِ المسِّ كمسِّ الخِرْنقِ[1]

إذا مَضَتْ مثل السياط المشَقِ[2]

فلماذا اقترن هذا الغبي الفدم بهذه المرأة العجوز المدبرة أم أن وراء الأكمة ما وراءها وأن له مأربا خفي عنا فهي لو كان فيها خير لحافظت على زوجها ولما طلقها وإلا فلماذا يستثمر هذا الشاب الأرض البور البلقع ولماذا يستزرع هذا الشاب الصخر ويستصلح الصحراء ويستمطر الجهام فالزواج استثمار ركنه وأسه الاستثمار في الإنسان وهو أعظم بناء وأكبر استثمار.

ومن هذه النظرة القاتمة السوداء من المجتمع للمطلقة أصبحت المطلقة من نصيب الرجال كبار السن والشيوخ المهدمين المحطمين وذوي الزوجات المتعددات وأشخاص ورعاع وأوباش ونكرات ورويبضات لم يكونوا يطمعوا فيها عندما كانت بكرا ويرون أن لهم حقا في ذلك فهي أيم قد مل منها وملت. قال الشاعر :

لا تنكحن[3] الدهر ما عشت أيما[4] مجربة[5] قد مل منها وملت[1]

---

[1] الخِرْنِقُ، كَزِبْرِجٍ: ولد الأرنب، يكون للذكر والأُنثى؛ وقيل: هو الفَتِيُّ من الأَرانِبِ.[لسان العرب. مادة: خرنق]

[2] المَشْقُ سُرعة الطعن والضرب والأكل والكتابة وبابه نصر وجارية مَمْشُوقَةٌ أي حسنة القوام.[لسان العرب، مادة : رضا / مختار الصحاح، مادة: مشق]

[3] أراد بالنكاح العقد أي لا تتزوج

[4] الأيم من النساء التي فارقها زوجها بموت أو طلاق

[5] مجربة رواية اللسان وجاء في الحماسة : مخرمة أي كثر الدعاء عليها أن تخترمها المنية أي تأخذها

تحك قفاها[2] من وراء خمارها إذا فقدت شيئا من البيت جنت[3]

تجود برجليها[4] وتمنع درها[5] وإن طلبت منها المودة هرت[6]

كما أن المطلقة في كثير من المجتمعات تكون مطمعا لقضاء شهوات الرجال وهم أجرأ على مراودها والنيل منها من البكر وذات الزوج والأرملة وبعض الرجال يتزوج المطلقات ليحذو بهن ما حذاه أسلافهم من أزواج قاموا بطلاقهن. قال الأصمعي: سمعت بعض الهلاليين يقول لبنيه: يا بني، تزوجوا المطلقات فإنهن أضعف النساء، وإنكم لتضربوهن برؤوسهن بمن كان قبلكم.[7]

ثانيا: الطلاق عند الفتيات :

طلاق المرأة قد يكون سببا من أسباب عنوستها فقد تكون المرأة فروكا عند زوجها صلوفا في المكوث والمقام معه، فيطلقها زوجها وقد تتزوج مرة أخرى ولا يكتب لها النجاح في زواجها فتسعى لعتق نفسها وإخراجها من هذا الفخ الذي وقعت فيه ويكون سعيها للخلاص والفكاك من هذا الزوج كسعيها للزواج والرغبة فيه من قبل أو

---

(١) قد مل منها وملت، يريد أنها طعنت في السن وقضت مآرب الشهوات وقضيت منها

(٢) تحك قفاها أي من وسخها وكثرة القمل عليها

(٣) قوله إذا فقدت شيئا الخ أي إذا فقدت ما لا قيمة له ولا خطر كان عندها كالشيء الذي لا عوض عنه فيصيبها كالجنون

(٤) تجود برجليها الخ هذا مثل أي تسرع بشرها وتمنع خيرها

(٥) وتمنع درها أي خيرها

(٦) هرت نبحت مثل الكلاب والمعنى ظاهر [ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٢٣٧]

(٧) ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار ، لابن قطعة ، ص ٣٣٧

أشد وقد يكون من سوء طالع هذه المرأة أن زوجيها الذين طلقاها سيئان فلم تطقهما ففركتهما وأرادت الخلاص منهما والانعتاق من شرهما ولكن المجتمع لا يصدق أن الزوجين الاثنين سيئان وأنها هي الحسنة الأخلاق وأنها مبرأة من كل عيب فكأنها خلقت كما تشاء، وأن الزوجين الاثنين ظلماها فلم يراعيا حقها ولم يعرفا قدرها وأنها قد أحسنت إليهما وأكرمتهما ولكنهما قابلا إحسانها بالإساءة ومعروفها بالكفران وجميلها بالنكران ويرى المجتمع أن هذه المرأة ذواقة ملولة تحب تغيير الأزواج بإقلاق راحتهم والاختلاع منهم فيستنكف الراغبون في الزواج عن التقدم إليها ويكف الخاطبون عن التفكير فيها لأنها قد طلقت من زوجها الأول، وأنها أجبرته على فراقها إجبارا وأكرهته على طلاقها إكراها، وقهرته قهرا وقسرته قسرا على ذلك، وأنها قد اختلعت من زوجها الثاني اختلاعا لأنها طمحت وجمحت[1] من زوجها ويزيد المجتمع وينسج من منواله على هذه المرأة المسكينة ويكون حقيقة الأمر وواقع الحال خلاف ذلك تماما.ومن ثم تؤثر هذه الدعايات والترهات في ميول الراغبين في الزواج فلا يتقدم منهم أحد لهذه المرأة ومن ثم لا تظفر بواحد من الراغبين في الزواج لأنهم آثروا التقدم لغيرها.

ومن محاسن هذا الأمر أنه قد يكون سببا لأن يتمسك زوجات أخريات بأزواجهم ويتشبثن بهم رغم ما فيهم من علل وظلم وعسف وجور وتوجيه إهانات لهن

---

[1] جمح: جَمَحَتِ المرأةُ تَجْمَحُ جِماحاً من زوجها: خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها، ومثله طَمَحَتْ طِماحاً؛ قال:

إذا رأتني ذاتُ ضِغْنٍ حَنَّتِ   وجَمَحَتْ من زوجِها وأَنَّتِ

[لسان العرب، مادة: جمح]

خشية إذا فرطت الواحدة منهن في زوجها وطلقها أن يكون مصيرها كمصير فلانة التي طلقها زوجها فجلست في بيت أبيها حتى فاتها قطار الزواج، ولم تسلم من لسان المجتمع.

١١ـ كثرة اللقاءات بين الخطيبين:

كانت الخطبة في السابق تتم لتعرف أن هذه الفتاة محجوزة لزيد فلا يتقدم لها عمرو ولا بكر حتى يمضي زيد في هذا الأمر أو يترك، وتأثر بعض المسلمين بعادات علوج أوربا،(١) من اختلاط وغيره من سيئ العادات ، فصار الخطيبان يلتقيان بغية تعرف كل واحد منهما على الآخر ، وقد تزيد هذه اللقاءات وتكثر وتطول مدتها حسب قوة المخطوبين وهشاشتهم، وتمسكهم بدينهم أو تفريطهم فيه، ولكن لنعلم أن كثرة اللقاءات تظهر أخطاء الخطيبين ويضخمها شياطين الجن والإنس والناصحون لكلا الخطيبين وكان يمكن لهذه الأخطاء والملاحظات أن تغفر وأن تستر بدلا من أن تذاع وتشهر إذا كان الزوجان قد تزوجا، أما وهما على بر السلامة والخلو من الارتباطات والأمن من تبعات المسئوليات فإن الأمر يختلف، وليس معنى ذلك أن لا يتحرى الإنسان في بحثه عن شريكة حياته وأن لا تتحرى البنت في بحثها وبذل جهدها في الاستقصاء عن شريك حياتها وانتقائه وتمحيصه من غير وضع صفات خيالية لأنه لا يوجد شخص مكمل من كل النقائص والعيوب، سليم من كل الهنات والآفات وقد أحسن من قال:

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء فضلا أن تعد معائبه(٢)

---

(١) العِلْج الرَّجُل من كُفار العَجم وغيرهم، والأعْلاج: جَمْعه، ويُجْمَع على عُلُوج، أيضا.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {علج}]

(٢) قرى الضيف ج ١ ص ١٨١

فيا أيها الرجل اعلم أن المرأة خلقت من ضلع أعوج وأنها لا تستقيم على طريقة واحدة واعلمي أيتها المرأة إنه يوجد رجال ذواقون ملولون يحبون التغيير والتجديد يجلسون مع هذه فترة بقصد الخطوبة حتى إذا ملوها ذهبوا إلى غيرها وهكذا دواليك.

كما أن هذه اللقاءات لا تؤمن نتيجتها فقد تتوج بحدوث الفاحشة لإمكان حدوث الخلوة وأن يكون الشيطان جليسا ثالثا لهما : فَعَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا.(١)

وبعض الذئاب من الرجال يخدع نعجته ويسوقها إلى حتفها برجليها ويجعلها تبحث عن المدية بأظلافها ويذبحها بها بعد ذلك(٢) فينمق لها الكلام ويوشي لها الحديث وينمنم ويزخرف لها القول ، ويسايسها ويداريها، ويخدعها بمعسول كلامه ولكن حقيقته أن السم الزعاف وراء حديثه ، قائلا لها: إنه سيكون زوجها المرتقب وفارس أحلامها المرجو وبعلها المنتظر وأن قبلة منها ستعطيه زادا يساعده في مسيرة الإعداد لهذا الزواج الميمون المبارك والذي بقي منه أقل من ما ذهب وأنه لا بأس من غمزة في خلوة من أعين الناس فهو سيكون عبدا لها وستكون هي أمة له وسيكون بعلها وستكون زوجه.

فما تظن بهذه الفتاة أمام هذه الأقوال المعسولة أظنها تكون كما قال بعض الأعراب:

ما يُظن بليلى إذا ألم بها مرجّل الرأس ذو بردين مزاح

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، أول مسند عمر بن الخطاب، حديث رقم: ١٠٩

(٢) قيل: كالباحث عن المدية، وأصله أن رجلا وجد صيدا، ولم يكن معه ما يذبحه به، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض فسقط على شفرة فذبحه بها.[مجمع الأمثال للميداني ج ٢ص ١٣٥]

حلو فكـــاهته خز عمامتـــه في كفه من رقى إبليس مفتاح[1]

فتصدق المسكينة هذه الأقوال وتعطيه ما أراد وتمكنه مما أحب وإذا نال منها مـا نال طمع في أكبر من ذلك لأنه لو نهي عن الأولى لما عاد إلى الثانية،[2] وما أشـد فطـام الكبير[3] ويذكر لها أن لصديقه زيدا شقة فارغة، ولعمرو وبكر كذلك، وهم يأتون دائما بمخطوباتهم، ويقضون أوقاتا ممتعة، فلماذا لا نفعل مثلهم، ونذهب فلا بأس من الـذهاب إليهم لنكون بعيدا عن أعين الرقباء من بغضاء هذا المجتمع ومتخلفيه. ويصب جام غضبه على تقاليد المجتمع، وأن بلاد الخواجات لا غضاضة فيها أن يقابـل الشـخص خطيبتـه وعشيقته وأن يفعلا ما شاءا، ولكن في بلادنا لا بد لهذه التقاليد البالية أن تزول ولابد أن نسهم في إزالتها فهي لن تزول لوحدها، ولا بعصا سحرية، ولكن لا بد أن يكون لنا دور في ذلك وقد جاء دورنا الآن وواتتنا الفرصة فلنغتنمها فإن الفرص عادتها أن تأتي في قلتها كالفلتة، وأن اللذات إذا لم تغتنم فستذهب، فلنبادرها ولا نبك عليها بعد فواتها لأنها لن تعود، قال العتابي:

(١) عيون الأخبار ، المجلد ٢ ج٤ ص ١١١

(٢) قيل: لو نَهَيْتُ الأولى لانتهت الثانية، قائله أنس بن الحجير الإيادي لما لطمه الحارث بن أبي شمـر لطمة بعد لطمة، والمعنى لو عاقبتك بأول ما جنيت لم تجترئ عليّ.[مجمع الأمثال للميـداني ج ٢ ص ١٦١]

(٣) قال مالك بن دينار: ما أشد فطام الكبير. [الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ١٠٠]

بادر إلى اللذات مهما أمكنت   بورودهن بوادر الآفات
كم من مؤخر لذةٍ قد أمكنت   لغد وليس غد له بمـوات
حتى إذا فاتت وفات طلابها   ذهبت عليها نفسه حسرات
تأتي المكاره حين تأتي جملة   وترى السرور يجئ في الفلتات[1]

فلنقض ما أردنا ونكون قد أسهمنا في إزالة تقاليد المجتمع. وأن هذه المجتمع يحتاج للجسورين حتى يفوزوا بما شاءوا.

فلنذهب إلى هنالك ولننظر إلى خالد ومخطوبته، وتستسلم هذه الغريرة لقوله. وتبرر بينها وبين نفسها أن هذا الذهاب حدث بعيدا عن أعين والديها وإخوتها فلا ضير ولا خوف منه، ولا خطر ينالها من جرائه، فهو خطيبها وسيتزوجان قريبا جدا.

ولا ينسى هذا الذئب الماكر عندما تذهب هذه النعجة إلى هذا الوكر أن يقول لها: إن المصافحة قد استحلها فلان وفلان فهي لا غبار عليها وأما الخلوة المأمونة فهي مأمور بها حتى إن العلماء قد اختلفوا في القبلة، وأما الغمزة فهذه من اللمم التي رخص الله فيها وذكرها في كتابه، فقال ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[2] وقد استعملها السابقون مع السابقات قال وضاح اليمن:

---

[1] محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ج ٢ ص ٦٧٣

[2] سورة النجم آية ٣٢

إذا قلت هاتي نوليني تبسمـــت وقالت : معاذ الله من فعل ما حـــرم
فما نوّلت حتى تضرعـــت عندها وأعلمتها ما أرخص الله في اللمم[١]

وهذه الأمور لا بأس بهما وأن من راقب الناس مات هما ، قال بشار بن برد :

لا خير في العيش إن دمنا كذا أبدا لا نلتقي وسبيل الملتقى نهـــج
قالوا حـرام تلاقينـا فقلت لهـــــم ما في التلاقي ولا في غيره حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجتـه وفاز بالطيبات الفاتك اللهـج[٢]

وينصب هذا الذئب نفسه مفتيا، قال الزبير بن بكار عن عبد الملك بـــن عبـــد العزيـــز الماجشون قال: أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح اليمن:

فما نولت حتى تضرعت حولها وقرأتها ما رخص الله في اللمم

فضحك محمد وقال : إن كان وضاح لمفتيا في نفسه.[٣]

وينسيه الشيطان في خضم شهواته أنه يحلل بذلك حراما مما يجعل حاله يتحـــول من فسق ارتكاب المعصية إلى الكفر لتحليله الحرام. قال أبو جعفر الطحاوي: ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.[٤]

---

[١] بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٢٧٦

[٢] معاهد التنصيص ج ٤ ص ٢٦ ــ ٢٧

[٣] روضة المحبين لابن القيم ص ٣١٩

[٤] شرح الطحاوية الميسر للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميّس ضمن سلسلة رسائل ودراسات في منهج أهل السنة والجماعة، دار الوطن الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ ص ٦٥

وإذا ثارت ثائرة هذه الفتاة ورفضت طلبه بشدة وهذا شيء طبيعي في النساء العفيفات فإنه سيصبر عليها فعسر النساء إلى مياسرة، ويتبع أسلوب المسايسة والمراوضة مع هذه الناقة العروض، [1] ويعاود هذا الذئب الماكر محاولاته مرة بعد مرة وكرة بعد كرة حتى تذعن هذه النعجة المسكينة وتمكنه من نفسها. ويكون في ذلك محتذيا بأمثاله من الفاجرين السابقين: قال أحد الشعراء: أتيت بشارا الأعمى وبين يديه مائتا دينار فقال لي: خذ منها ما شئت، أو تدري ما سببها؟ قلت: لا، قال: جاءني فتى فقال لي: أنت بشار؟ فقلت نعم. فقال: إني آليت أن أدفع إليك مائتي دينار وذلك أني عشقت امرأة فجئت إليها فكلمتها فلم تلتفت إليَّ فهممت أن أتركها فذكرت قولك:

لا يؤنسنك من مخبأة ... قول تغلّظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا

فعدت إليها فلازمتها حتى نلت منها حاجتي. [2]

وعندما تذهب معه لا تجد زيدا ولا فتاة مع أحد فتحاول أن تتخلص من مما هي فيه فتجد نفسها قد حيل بينها وبين ما تحب.

فيفجر بها ثم بعد ذلك يتنمر لها ويهرب منها ويزهد فيها لأن الزانية أول ما تسقط تسقط في عين من زنى بها، ويهددها بأنه سيفضحها إن لم تطاوعه في كل وقت وفي

---

[1] قال ابن السكيت: ناقة عَرُوضٌ إذا قَبِلَتْ بعض الرياضة ولم تَسْتَحْكِم؛ وقال شمر في قول ابن أحمر يصف جارية:

وَمَنَحْتُها قَوْلي على عُرْضِيَّةٍ ... عُلُطٍ، أُداري ضِغْنَها بِتَوَدُّدِ

قال ابن الأعرابي: شبهها بناقة صعبة في كلامه إياها ورفقه بها. [لسان العرب، مادة : عرض]

[2] الأغاني ج ٣ ص ١٠٥٤ ـــ ١٠٥٥

أي مكان، ومتى أراد وأين ما شاء فتتحطم هذه المسكينة وتكون أسوأ حالا من بـــراقش، فبراقش جنت على أهلها أما هي فقد جنت على نفسها وعلى أهلها وعلى مجتمعها علـــى السواء [1] ثم بعد ذلك تكون هذه البنت فريسة لأمور عدة منها:

أ ــ ذهاب بكارتها، وهذا ما سيعرف عند زواجها إن تزوجت.

ب ــ جعلها نهبا لحديث الناس وغرضا لرمي سهامهم:

ــ لماذا ترك هذا الرجل هذه البنت؟

ــ وما سبب ذلك أهو لم يرض شيئا من أخلاقها وسلوكها؟ فهي سليطة اللسان صعبة العشرة شديدة المراس؟

ــ أم أن سبب تركه لها أنها خرقاء لا تحسن شيئا، وليست يد الخرقــاء كيد الصناع.

ــ أهي قد مكنته من نفسها ففجر بها فقــد كانــا كــثيري الــدخول والخروج سويا؟

ومن ثم يكون هذا الرجل لا هو تزوج هذه البنت ولا هي سلمت مـــن القيـــل والقال ، كما أنها قد أضاعت فرصا كانت يمكن أن تسنح قبل وجود هذا الشخص أمام عينها وأمام الآخرين، فالمتقدمون حينما يسألون يعلمون أنها مخطوبة فلا يتقدمون لخطبتها

---

[1] قيل: على أهلها تجني براقش : كانت بَرَاقشُ كلبةً لقوم من العرب، فأغير عليهم، فهَرَبُوا ومعهم بَرَاقش، فاتبع القومُ آثارَهُم بنُبَاح بَرَقش، فهجموا عليهم فاصطلموهم.[مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٦٣٧]

حتى لا تكون خطبة فوق خطبة[1] وهو بعد تركها وهجره لها تكون في نظر الناس كشيء قد تذوقه الآخرون ، فلماذا آخذ فضلة من الآخرين ولا أخذ شيئا غضا طريا لم يتعرف عليه أحد.

١٢ـ جواز سن الزواج والغفلة عن العنوسة:

أولا: جواز الفتى سن الزواج المتعارف عليها في المجتمع :

الزواج له سن محددة، وفترة معروفة في نظر المجتمعات، رغم أن الرجل يصلح له من بداية بلوغه إلى مرحلة متقدمة من عمره [2] ولا تنتهي هذه الصلاحية إلا بموت الإنسان ولكنه لا شك أنه يضعف ضعفا بينا في كبره وتقدم عمره عن مرحلة شبابه.

والفتى الذي تتقدم به السن ولم يتزوج من قبل ـ كأن يتجاوز الأربعين من عمره ـ فإن الإقدام منه على الزواج سيكون صعبا عليه بعد هذه السن لأنه يكون قد كيّف نفسه على حياة محددة، وعلى طريقة معينة، وعلى حالة يرى أنه لا يستطيع أن يغيرها، فلا مجال عنده لواحدة تغير من طريقته وتحوّل من نظامه فهو قد نظّم نفسه على أنه يستيقظ في ساعة معينة من الصباح فيؤدي صلاته ويعمل بعدها كذا ويليه كذا واضعا كل برامج اليوم في أطر ثابتة محددة لا تتغير عنده ولا تتبدل فيرى أن الزواج يغير من نظام نومه وتناول طعامه وشرابه وطريقة لباسه وأنه قد اعتاد على نظام لا يطيق معه

---

[1] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ فَلَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ.[صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب: تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن او يترك، حديث رقم ٢٥٣٦]

[2] قال عاصم بن كليب: تزوج سويد بن غفلة بكرا وهو ابن مائة وست عشرة سنة [سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٧٢]

نفسه إن حاد عنه لأي سبب من الأسباب فكيف سيطيق معه هذه القادمة أو على الأقل كيف سيسعدها وكيف سيتكيف معها وكيف ستتكيف معه فيعزف عن الزواج راضيا من الغنيمة بالإياب.(١)

ثانيا: الغفلة عن العنوسة عند الفتاة:

قد تنسى البنت في خضم معاركها الدراسية أنها قد وصلت إلى مرحلة النضج والاستعداد، فتظن أنها تستطيع أن تستغني برأيها عن آراء أهلها من والدين وإخوة وأعمام ونحوهم، ومن ثم تنسى نفسها وأنها قد وصلت إلى سن الزواج فهي تريد أن تواصل تعليمها وتكمل دراستها ، فأما أن تتزوج من المرحلة الابتدائية ــ وقد يكون فيها عمرها أربع عشرة سنة ــ فهذا ما لا تفكر فيه ولا يخطر لها على بال، فهي صغيرة بل طفلة غريرة فإذا جاء طالب ليدها في هذه المرحلة من عمرها فإنها ترفضه بلا أدنى تردد ويساعدها أهلها على ذلك ولا يثنونها عن رأيها بل قد يشجعونها على رفضها لها بحجة أنها صغيرة وقد يعيرون المتقدم لها كيف تتقدم لطفلة لم تبلغ سن الرشد بعد؟

أما في المرحلة الثانوية ــ وقد تنتهي منها الفتاة وهي في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة سنة ــ من سني دارستها فقد توافق على المتقدمين إليها أكثر من سابقتها، ولكن الرفض هو السمة الغالبة على الفتيات في هذه السن.

أما دخول الفتاة المرحلة الجامعية وإكمالها فعند بعضهن أنه حقها المشروع الذي لا يناقشها فيه أحد، ولا ينازعها فيه فرد، ولا يفتات عليها فيه زيد ولا عمرو، فلا أبوها

---

(١) قال امرؤ القيس :

وقد نَقَّبْتُ في الآفاقِ، حتى رَضِيتُ من السَّلامةِ بالإِيابِ

أي ضَرَبْتُ في البلادِ، أَقْبَلْتُ وأَدْبَرْتُ. [لسان العرب، مادة: نقب]

ولا أخوها ولا عمها يحق له منعها، فترى أنها في زمن العلم والدراسة وفي عهد التكنولوجيا والإنترنت والحاسوب وانتهى عهد الحريم وولى غير مأسوف عليه.

وبعد مرحلة الجامعة التي قد تنتهي منها الفتاة وهي في الرابعة والعشرين من عمرها هذا إن لم تتعثر دارستها، ولم يعقها شيء ، وسارت دراستها على خطى مستقيمة ثابتة، وكانت البنت الجامعية سابقا تعتبر عانسا في معظم بلاد المسلمين لنظرهم إلى عمرها وما مضى منه، وما بقي منه، مقارنة بما تبقى من سنوات إخصابها وإن كان في بعض البلاد إلى الآن تعتبر من تكون من في مثل هذه السن عانسا، ومن ثم يقل خطابها، وهي لا تشعر بذلك وقد يكون في ذهنها أنها تريد أن تعمل بضعة أعوام لتكون نفسها ولتساعد أسرتها التي عانت كثيرا في سبيل تعليمها وصرفت دم قلبها من أموال. وقد يكون في ذهنها أنها تريد أن تواصل دراساتها العليا ـــ فثمرة الدراسة الماجستير والدكتوراه ـــ وترى أن بينها وبين الزواج مفاوز تنقطع دونها أعناق الإبل ولا تجتازها الخيل المضمرة.

وتمتد هذه السنون ولا تشعر الفتاة أنها في مرحلة الخطر الحقيقي فهي قد اقتربت من العقد الثالث، هذا إذا عملت بعد تخرجها لمدة خمس سنوات. وبعد ذلك تلتفت إلى نفسها فتجد أنها في زمن العنوسة الذي تتكلم عنه أجهزة الإعلام،[1] والتي كانت تظن أنها ضرب من ضروب الخيال أو أنها قصص من كوكب آخر وفي بعض قصص العنوسة المؤلمة كانت صاحبة الفاجعة لم تحس بها لانصرافها عنها بأمور أخرى كالدراسة الجامعية وما فوقها وعندما الالتفات إلى نفسها تتبين لها أن هذا الالتفات قد جاء متأخرا جدا لأن الليل والنهار عملا عملهما في الجسم والأيام والشهور والسنوات تتابعت. وقد عملت

---

[1] قالت إحدى العوانس التي غفلت عن عنوستها : أيقنت أنني دخلت في زمن العنوسة التي تتحدث عنه وسائل الإعلام من حين لآخر.[انظر ص من هذا الكتاب]

في وجهها الجميل فظهر تخديد وتجعيد طغى على الكريمات والأصباغ وابيضت شعيرات نصل خضابها وتكون قد صارت بمنزلة العجوز المتصابية.

وتجد هذه الفتاة أن بعض لداتها وأترابها اللاتي كانت تسخر منهن لأنهن تزوجن وتركن الدراسة أن أطفالهن قد صاروا رجالا وأن بناتهن قد صرن في سن الزواج وكانت سخريتها منهن تحت نشوة الدراسة وسكرة التفوق والظفر بالشهادة ونيلها لظنها أن كل السعادة في شهادتها هذه، كما تجد هذه الفتاة أن بعضا من لداتها اللاتي تزوجن بعد المرحلة الثانوية ينعمن الآن مع أزواجهن ويداعبن أطفالهن. وهي الآن تقرأ في شهاداتها، التي أنستها نفسها حتى فاتها الركب، هذا إن اجتهدت وتحصلت عليها.

ومن ثم يتحول انصراف هذه الفتاة عن الزواج وانشغالها عن الزواج إلى انشغال دائم به وإدمان فكر وعض أنامل من الغيظ على سنوات قضتها في الدراسة وفرطت فيها فذهبت زهرة شبابها وتندم على خطاب قد ردتهم وعلى آخرين قد جبهتهم. وتكون نهبا للهواجس والأفكار السيئة والتساؤلات:

هل ستتزوج بعد بلوغها هذه السن؟ أو سيكون مصيرها كفلانة التي هي أجمل وأصغر وشهاداتها أعلى منها فلم تتزوج وتحسب وتعدد من تعرف من النساء اللاتي لم يتزوجن.

فيا أيتها الفتاة لا تنسي في خضم دراستك نفسك فعدم إدراكك أنك في طور العنوسة يجعلك تلتفتين إلى نفسك فتجدينها قد حيل بينك وبين ما تشتهين كما فعل بكثير من نظيراتك.

١٣ـ العقم:

إذا عُلم عقم الرجل والمرأة فإن ذلك يكون من أعظم أسباب عنوستهما، فالعقم من أعظم أسباب عنوسة الفتيات لمجيء النهي في السنة المشرفة عن نكاح المرأة العقيم،

كما أنها من أكبر أسباب عدم ظفر الشاب بفتاة ينعم بها، كما أن الرجل إذا غرر بالمرأة وكان عالما بعقمه فهي بالخيار إن شاءت فسخت العقد وإن شاءت بقت معه.

وإن تزوج الرجل العقيم من المرأة غير العقيم أو المرأة العقيم من الرجل غير العقيم فإن الحياة بينهما تكون حافلة بالمشاكل والخلافات.

ولا نريد أن نعيد ما قلناه عن النهي عن تزوج المرأة العقيم وتزويج الرجل العقيم وأن من أسباب ذلك نشوء الخلافات بينهما فلتراجع في موضعها.[1]

[1] انظر: الخلافات بين الزوجين: العقم وتأخر وتأخير الإنجاب.

الفصل الرابع

أسباب العنوسة عند الفتيات

١ ـ الاستلاب الحضاري

٢ ـ الاغترار بالجمال والمال والعلم

٣ ـ الفقر

٤ـ السحر والمس

٥ ـ الوقوع في المخالفات الشرعية ككثرة الدخول والخروج والتبرج ونحوه

٦ ـ زواج الفتيان من نساء أجنبيات

٧ ـ التشاؤم ببعض النساء

٨ ـ القوة والبأس والشدة

٩ ـ فسخ خطوبة الفتاة

١٠ ـ طبيعة عمل المرأة

١١ ـ اتصاف المرأة بصفات تعلم أنها لا تمكنها من الزواج

١٢ ـ الاعتداء على الفتاة في الصغر

الفصل الرابع

أسباب العنوسة عند الفتيات

١ـ الاستلاب الحضاري

التأثر بالتيارات الغربية في العادات والتقاليد كعدم الموافقة على الخطبة إلا بعد التعرف على أخلاق الخاطب وغيره مما وفد إلى بلاد المسلمين من سيئ العادات، وقبيح المعتقدات، ففي بعض البلدان من بلاد المسلمين أن المرأة لا توافق على شخص ما إلا بعد الجلوس والدخول والخروج معه بغية التعرف عليه واستمرار هذه العلاقة فترة من الزمن ثم تعلن الخطوبة أو تفض العلاقة بزعم أنهما لم يتوافقا، ومن ثم يتم الزواج إذا أتت هذه اللقاءات أكلها ويكون ذلك بعد إعلان الخطوبة بفترة زمنية قد تطول وتقصر حسب ظروف المخطوبين.

وهذا الأمر مع ما فيه من محاذير شرعية فإنه قد يجعل كلا المتعارفين أو أحدهما يكذب على الآخر ويمثل ويجيد التمثيل بتقمصه شخصية خلاف شخصيته ولا يخرج صورته الحقيقية، خوفا من فشل هذه التجربة وعدم تكللها بالنجاح أو طمعا في النيل منه، كما أن هذه الخلوات تفضي إلى محذورات شرعية كثيرة كالمصافحة وغللة النظر واللمس والجس والغمز والقبل وقد تفضي إلى الزنا، فالرجال منهم ذئاب ماكرون خداعون، والنساء ضعيفات غريرات والعنوسة مستشرية ضاربة الأطناب، فيمكن لهذا الرجل أن يخدع هذه الفتاة ويكذب عليها بأن مصيرهما الزواج والارتباط الأبدي وينال منها ويهتك عرضها ومن ثم تسقط في نظره[١] فيهرب منها تاركا لها ذاهبا إلى نعجة أخرى ليغرر بها لافتراسها والتغرير بها فما أكثر النعاج وما أمكر الذئاب وأعقها.

---

[١] قال ابن حزم: الزانية أول ما تسقط ، تسقط في نظر من زنى بها.

وكان السابقون يتحينون الفرص للنظر لمن يودون خطبتها من النساء فعَنْ ابْنِ أبي زَائِدَةَ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ يُطَارِدُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ يُرِيدُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا قَالَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ بُثَيْنَةَ ابْنَةَ الضَّحَّاكِ[١] يُرِيدُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا فَقُلْتُ أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفْعَلُ هَذَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِ امْرِئٍ خِطْبَةَ امْرَأَةٍ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا.[٢]

كما أنهم كانوا يتخبئون للنظر لمن يودون خطبتها من النساء فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ قَالَ فَخَطَبْتُ جَارِيَةً فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ لَهَا حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَا وَتَزَوُّجِهَا فَتَزَوَّجْتُهَا.[٣]

وكانوا يستأذنون أهل من يريدون الزواج منهن في النظر إليهن، فعن المغيرة بن شعبة قال: خطبت جارية من الأنصار فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي

---

(١) هي بثينة بنت الضحاك بن خليفة الأنصارية الأشهلية أخت أبي جبيرة ولدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.(الإصابة، ترجمة رقم: ١٠٩٦٥)

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج٣ص٤٩٣،وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٨

(٣) صحيح سنن أبي داود كتاب النكاح باب : في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها حديث رقم : ١٨٣٢

رأيتها؟ فقلت: لا، قال: فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما،[١] فأتيتها فذكرت ذلك لوالديها، فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقمت فخرجت، فقالت الجارية علي الرجل، فرجعت فوقفت ناحية خدرها، فقالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر إلي فانظر، وإلا فإني أحرج عليك أن تنظر، فنظرت إليها فتزوجتها، فما تزوجت امرأة قط كانت أحب إلي منها ولا أكرم علي منها، وقد تزوجت سبعين امرأة.[٢]

وليس المقصود أن تقع المرأة في شريك حياة لا تعرف عنه شيئا، وتتزوج به من غير معرفة سابقة له، فيمكنها أن تسأل عنه وتستفسر وتجمع المعلومات الكاملة عنه كما يمكن للرجل أن يرسل أخواته وأمه وخالاته لمعرفة جمال وقوام وتقاطيع جسم من يريد خطبتها بالنظر إلى ساقيها وعراقيب رجليها ولمعرفة طيب ريحها بشم أعطافها، ولمعرفة طيب فمها بشم عوارضها كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ أُمَّ سُلَيْمٍ تَنْظُرُ إِلَى جَارِيَةٍ فَقَالَ شُمِّي عَوَارِضَهَا[٣] وَانْظُرِي إِلَى [١]عُرْقُوبِهَا.[٢]

---

[١] قال الكسائي: يُؤدَم بينكما يعني أن تكون بينهما المحبَّة والاتِّفاق؛ قال أبو عبيد: لا أرى الأصل فيه إلا من أَدْمِ الطعام لأن صَلاحَه وطِيبَه إنما يكون بالإدام، ولذلك يقال طعام مَأْدُومٌ. [لسان العرب. مادة : أدم]

[٢] مسند الإمام أحمد، مسند المغيرة بن شعبة، حديث رقم: ١٧٤٣٥/كتر العمال، حديث رقم: ٤٥٦١٩

[٣] العَوارِضُ: الثنايا سُميت عَوارِضَ لأنها في عُرْضِ الفَم. وفي الحديث: أن النبي، صلّى اللّه عليه وسلّم، بَعَثَ أُمَّ سُلَيْمٍ لتنظر إلى امرأَة فقال: شَمِّي عَوارِضَها، قال شمر: هي الأَسنان التي في عُرْضِ الفم وهي ما بين الثنايا والأَضراس. واحدها عارِضٌ، أَمَرَها بذلك لتَبُورَ به نَكْهَتَها وريح فَمِها أَطَيِّبٌ أَم خبيث. وامرأَة نقِيَّةُ العَوارِضِ أي نقِيَّةُ عُرْضِ الفم.[لسان العرب مادة : عرض]

كما أننا يجب أن نعلم أن الحب يبنى بعد الزواج وليس قبله، وأن انتفاءه ليس عائقا في استمرار الحياة الزوجية.[٣]

٢ ـ الاغترار بالجمال والمال[٤] والعلم:

قد تكون البنت على مسحة من ملاحة وعلى درجة من الجمال والصباحة في وجهها والوسامة في شكلها والقسامة في جسمها فبدلا من شكر هذه النعمة يصيبها الغرور والكبر على لداتها اللاتي أقل منها جمالا فتحاول إظهار هذا الجمال وإبراز تلك المحاسن، مستفهمة: هل هي على درجة عالية مما توصف به أم أن المتهالكين عليها من الخطّاب مبالغون في وصفها. كما صور ذلك عمر بن أبي ربيعة عاكسا قول امرأة تخاطب صديقاتها في قولهن في رأي واصفيها وتستفسر منهن هل هم محقون في ذلك أم مبالغون في قولهم فقال:

أكما ينعتنني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد[٥]

كما أنها مع هذا الجمال قد أحرزت أعلى الدرجات ونالت أرفع الشهادات فمن مثلها، فهي جميلة ومتعلمة.

---

(١) العرقوب: عصب موثق خلف الكعبين والجمع عراقيب مثل عصفور وعصافير.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، حديث رقم: ١٢٩٤٣ / كنز العمال، حديث رقم: ٤٤٥٧٥/ مجمع الزوائد، حديث رقم: ٧١٧٥

(٣) انظر الخلافات بين الزوجين ص

(٤) قال ابن الأثير: المال سمي بذلك لكونه مائلا أبدا وزائلا، ولذلك سمي عرضا، وعلى هذا دل قول من قال: المال قحبة تكون يوما في بيت عطار، ويوما في بيت بيطار. [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: ميل]

(٥) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ١٦٥

ومن ثم تتعامل الفتاة مع الخطاب بهذا المفهوم فترفض من تشاء منهم بل قد تسيء إلى بعضهم ولا ترده ردا جميلا ولتعلم البنت أن طول الزمن له تأثير عظيم على الجمال، فيمكن للجمال أن تبقى بقايا منه، كما أن المرض يؤثر فيه فيزوى الجمال، وتذبل النضارة وتذهب الغضارة، وتجد المرأة نفسها أمام واقعها حين يكون أبوها قد مات كما أنها ليست هي الجميلة الوحيدة بين بنات حواء فالجميلات كثيرات ومستعدات لأن يتزوجن بمن رفضته بلا تردد.

إذا كان والد الفتاة على درجة من الغنى(١) والمكانة المرموقة، فإن هذا غالبا يؤثر في تعاملها مع الآخرين فتتعالى وتتكبر عليهم، فالفتيات ذوات الأسر الغنية غالبا الواحدة منهن قد يؤثر غنى والديها في أمر زواجها فقد ترفض كفيا لا ذنب له إلا فقره وغناها. وترد خاطبا لا جرم له إلا أنه أقل من مستواها.

ومن الأمثلة لرد رجل لا لشيء إلا أنه فقير، وأن المخطوبة تأمل في متقدم أكثر غنى : حَيَّةَ بن خلف الطائي وكان قد تقدم لامرأة من بني شمحَى بن جرم يقال لها أسماءُ، فقالت: ما لِحَيَّة مال فقال مجاوباً لها:

---

(١) قال ابنُ هِشامٍ: حَفَرَ السَّيْلُ عن قَبْرٍ باليَمنِ، فيه امرأةٌ في عُنُقِها سَبْعُ مَخانِقَ من دُرٍّ، وفي يَدَيْها ورِجْلَيْها من الأَسْوِرَةِ والخَلاخِيلِ والدَّمالِيجِ سَبْعَةٌ سَبْعَةٌ، وفي كُلِّ إِصْبَعٍ خاتَمٌ فيه جَوْهَرَةٌ مُثْمِنَةٌ، وعِنْدَ رَأْسِها تابوتٌ مَمْلُوءٌ مالاً، ولَوْحٌ فيه مَكْتُوبٌ: باسْمِكَ اللَّهُمَّ اله حِمْيَرَ، أنا تاجَةُ بنتُ ذي شُفْرٍ. بَعَثْتُ مائِرَنا إلى يُوسُفَ. فأَبْطَأَ عَلينا، فَبَعَثْتُ لاذَتِي بمُدٍّ من وَرِقٍ لتَأتِيني بِمُدٍّ من طَحينٍ، فَلَمْ تجِدْهُ، فَبَعَثْتُ بِمُدٍّ من ذَهَبٍ، فلم تَجِدْهُ، فَبَعَثْتُ بِمُدٍّ من بَحْرِيٍّ، فلم تَجِدْه، فأَمَرْتُ به، فَطُحِنَ، فلم أَنْتَفِعْ بِهِ، فاقْتُفِلْتُ، فمن سَمِعَ بِي، فَلْيَرْحَمْنِي، وأَيَّةُ امرأةٍ لبِسَتْ حَلْياً من حُلِيِّي، فلا ماتَتْ إلا مِيتَتِي. [القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الراء. فَصْلُ الشِّيْن]

تقول أَسماء لما جئت خاطبها ... يا حيُّ ما أَربي إلاَّ لذي مالِ
أَسماءُ لا تفعليها رُبّ ذي إِبل ... يغشى الفَواحش لا عَفّ ولا نال
الفقر يزري بأقوام ذوي حسب ... وقد يسوّد غيرَ السيد المالُ
والمال يغشى أُناساً لا طَبَاخ لهم ... كالسيل يغشى أُصول الدِّندِن البالي
أَصون عرضي بمالي لا أُدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أَودى فأكسبه ... ولست للعرض إن أودى بمحتال[1]

فعلى البنت أن تستفيد مما تعلمته ولا يكون وبالا عليها ونكالا يحل بشخصها، وعلى والديها وممن حولها نصحها أو اعتبارها سفيهة يؤخذ على يديها.

٣ـ الفقر:

كان الفقر والغنى يؤثران تأثيرا بالغا في تزويج الفتاة في الجاهلية وصدرا من الإسلام، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ فِي أُحُدٍ شَهِيدًا وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا وَلَا يُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ قَالَ فَقَالَ يَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ قَالَ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَمِّهِمَا فَقَالَ أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ وَأُمَّهُمَا الثُّمُنَ وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ.[2]

---

[1] لسان العرب لابن منظر، مادة: طبخ

[2] سنن الترمذي، كتاب الفرائض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب : ما جاء في ميراث البنات، حديث رقم: ٢٠١٨

قال تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾[١]

وقال هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ إِلَى قَوْلِهِ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَالَتْ عَائِشَةُ هُوَ الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ الْيَتِيمَةُ هُوَ وَلِيُّهَا وَوَارِثُهَا فَأَشْرَكَتْهُ فِي مَالِهِ حَتَّى فِي الْعَذْقِ فَيَرْغَبُ أَنْ يَنْكِحَهَا وَيَكْرَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا رَجُلًا فَيَشْرَكُهُ فِي مَالِهِ بِمَا شَرِكَتْهُ فَيَعْضُلُهَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.[٢]

ولكن الملاحظ الآن أن الرجل الباحث عن الزواج غالبا لا يحبذ في زوجته الغنى المفرط الذي يجعلها فوقه مكانة ومترلة، حتى تستمر حياتهما ولا يؤثر غناها وفقره في قوامته عليها، ولكنه لا يريدها فقيرة فقرا مدقعا، يشينه هذه الفقر ويقض مضجعه ويزري به ولكنه يكفيه من غناها أن يتزيد به بين أقرانه وأصدقائه معارفه بأنه متزوج من ابنة فلان الثري صاحب الأملاك والعقارات رغم أنه قد لا تطيب نفسه بأخذ شيء مما تملك أو مما يملك والدها وذووها وذلك لخوفه من تسلطها وتنمرها وامتنانها عليه، لأن المرأة

---

[١] سورة النساء آية ١٢٧

[٢] صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ حديث رقم: ٤٢٣٤

التي تنفق عليها من مالك إذا غضبت عليك تقول لك: ما رأيت منك خيرا قط، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [١] فماذا تقول لك: التي تنفق عليك؟ فلا شك أنها ستهين زوجها إن لم تشتمه أو تطرده عن بيتها وتأخذ منه كل ما أعطته عند حدوث خلاف بينهما.

وتختلف طبائع الشعوب وعاداتها فبعضها من عاداتها أن المرأة هي التي تجهز البيت وتقوم به وعلى الرجل دفع المهر الذي قد يفي بمتطلبات تجهيز البيت وقد يقصر عنها فالفتيات الغنيات لا يجدن مشكلة في إتمام هذا النقص أما الفقيرات فيقف فقرهن حائلا بينهن وبين ذلك.

ولكن كثيرا من الرجال يفضلون أن تكون زوجاتهم من أسر متوسطة الحال، مستورة الشأن، يكون هو أكثر منها غنى ومنزلة وأعظم جاها، تنظر إلى ما في يده ولا ينظر إلى ما في يدها، حتى تسلس له قيادها، وتتركز له عليها قوامته.

وقد تتغير بعض النساء لزوجها بعد تغير حاله وفقره، كما قيل لابن سيابة: قد كرهت امرأتك شيبك، فمالت عنك إلى آخر، فقال: إنما مالت إلى الآخر لقلة المال، والله لو كنت في سن نوح، وشيبة إبليس، وخلقة منكر ونكير، ومعي مال، لكنت أحب الناس إليها من فقير في جمال يوسف، وخلق داود، وسن عيسى، وجود هاشم، وحلم أحنف بن قيس.[٢]

---

(١) انظر ص من هذا الكتاب.

(٢) محاضرات الأدباء مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٠٨

٤ـ السحر والمس:

تختلف طبائع البشر وأخلاقهم كما تختلف ألوانهم وسحناتهم فبعضهم إذا تقدم لبنت ولم توافق عليه أو رفضه أهلها فإن الأمر يكاد أن يكون عنده عاديا إلا شعورا يشعر به كل من أخفق في مهمة ولم يوفق فيها فهذا يستوي فيه كل الناس ولا يكاد ينجو منه أحد فيغضب لساعات ويتمعر وجهه لحظات ثم يكون اعتياديا ويتقبل الواقع بكل سرور وارتياح بل يحمد الله الذي أراه حقيقة هؤلاء الناس من قبل أن يرتبط بهم بزواج وأولاد وتنجم مشاكل بعد ذلك لا يعلم مداها إلا الله تعالى فيتقبل أمر رفضها له ويتمنى لها حياة زوجية سعيدة مع زوجها القادم وقد يكون في قرارة نفسه يرى أنها قد فرطت فيه تفريطا ستندم عليه لأنها لن تجد مثله.

ـ بينما توجد مجموعة أخرى من البشر تتمنى لهذه المرأة موتا عاجلا وسما زعافا فهي إما أن تكون له أو لا. قال حفص العليمي:

فيا رب إن لم تقضها لي فلا تدع ... قذور لهم واقبض قذور كما هيا[1]

ويا ليت إن الله إن لم ألاقها ... قضى بين كل اثنين ألا تلاقيا[2]

ـ أو يتمنى لها الذي تقدم للخطبتها الإخفاق في زواجها هذا إن تزوجت وأن ترزق زوجا يذيقها الذل والهوان ويغاديها بالضرب الموجع ويرواوحها بالشتم المقذع قال ابن أخي زرّ بن حبيش الفقيه القارئ وكان قد خطب امرأة من أقاربه فردته فقال:

فإمّا نَكَحْتِ فلا بالرِّفاء ... إذا ما نَكَحْتِ ولا بالبَنِينا

---

[1] قال الشماخ بن ضرار التغلبي [البيان والتبيين ج ١ ص ١٥١]:

يقر بعيني أن أنبا أنها ... وإن لم أنلها أيم لم تزوج

[2] شرح ديوان حماسة أبي تمام ج٢ص٨٥١ـ٨٥٢

وزُوِّجْتِ أَشْمَطَ في غُرْبة ... تُجَنُّ الحَلِيلَة منه جُنونا
خَليلَ إماءٍ يُراوِحْنَهُ ... وللمُحْصَناتِ ضَرُوباً مُهِينا
إذا ما نُقِلْتِ إلى دارِهِ ... أَعَدَّ لظهرِكِ سوطاً مَتِينا[1]

ـ شعور الخاطب بالمرارة والحسرة التي تدفعه إلى القيام بهجاء التي تقدم لخطبتها وشتمها وانتقاصها قالبا كل الصفات التي رغبته في زواجه منها من جمال وصغر ومال وكرم أصل إلى سيئات ومثالب ويزيد من عنده مضيفا ما جادت به قريحته من إلصاق صفات السوء والخزي بها ومن ذلك كان أعرابي من بني عامر قد خطب امرأة منهم كانت قد تزوجت قبله وكان لها مال فلم تتزوجه وردته فقال:

أترجو العامرية زوج صدق ... وقد زادت على مائة سنوها
يطفطف ما يريد الزوج منها ... وأنتن من طول العمر فوها
ونقِّل رحلها في كل حي ... وجربت الرجال وجربوها
فما وجدت مناسبها كراما ... ولاهم عند خلوتها رضوها
ولا هي بالولود لمن آتاها ... ولو ولدت لشين بها بنوها
وفيها لابنها خزي طويل ... كما قد كان أخزاها أبوها[2]

ـ أو قد يقوم الخاطب بقتل هذه المرأة حتى لا يظفر بها غيره، فعن عطاء بن يسار عن بن عباس أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل لي من توبة قال: أمك؟ حية قال: لا. قال:

---

(1) لسان العرب، مادة: حرم

(2) الأشباه والنظائر، ج ١ ص ٩٤

تب إلى الله وتقرب إليه ما استطعت فذهبت فسألت بن عباس: لم سألته عن حياة أمه! فقال: إني لا أعلم عملا أقرب من بر الوالدة.[١]

وقد يتقدم شاب لفتاة وكله أمل في أن توافق عليه، ولكنها ترفضه أو يرفض أهلها ويتعثر الزواج ولا يتم ولا يكتمل فيحقد هذا الشاب على تلك الفتاة وأهلها وأسرتها فيريد الانتقام منهم ويستحكم هذا الرأي عليه فيريد أن يغالهم بالسوء وينالهم بكل شر فيذهب إلى أحد السحرة الفجرة المكرة ويطلب منه أن يكتب له كتابا وأن يعمل له عملا يسحر به هذه الفتاة ويطلب الساحر منه أن يحضر له شيئا من الأشياء التي تخص هذه الفتاة كخصلة من شعرها أو قطعة من ثيابها أو نحوه فينفث فيها عقده ويصادفها سحره عزلاء لا سلاح لها من تحرز وتحصن من الشياطين والسحرة كقراءة المعوذات التي تحفظ الإنسان وتصونه،[٢] وقراءة آية الكرسي التي لا يقرب قارئها شيطان[٣] وقراءة سورة البقرة التي أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ والْبَطَلَةُ السَّحَرَةُ.[٤]

ويزيد من تمكن السحر واستحواذه على الفتاة عدم معرفتها ومعرفة أهلها بأنه سحر ومس، ومن ثم فلا يفكران في علاجه بالقرآن الكريم والرقى الشرعية بل قد يكونا من عقلاني هذه الأمة وعصرانيها الذين ينكرون هذه الأشياء ويعتبرونها نوعا من أنواع

---

[١] الأدب المفرد ج ١ ص ١٥، باب بر الأم، حديث رقم: ٤

[٢] انظر: سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب: في المعوذتين، حديث رقم : ١٢٥١

[٣] انظر: صحيح البخاري : كتاب الوكالة ، بَاب إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ الْمُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ.

[٤] انظر: صحيح مسلم: كتاب ، صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث رقم : ١٣٣٧

الدجل والشعوذة والمنكرات التي يجب تجاوزها وعدم الانتباه لها بل يجب محاربتها أو قد يكونا من المخرفين أرباب العقائد الفاسدة فيحلان هذا السحر بالذهاب إلى من يسمونهم بالأولياء والصالحين أو يذهبون إلى سحرة ومشعوذين فيحلان لهم هذا السحر بسحر مثله مما يزيد ابنتهم رهقا وعناء وشقاء وعنتا.

ومن ثم يعمل هذا السحر في هذه الفتاة عمله فتذبل نضرتها ويضعف جسمها ويسود لونها فتكره الخطاب وتوافق على أحدهم ساعة قدومه ولكنها تنقلب رأسا على عقب بعد انصرافه مباشرة فترفضه بشدة زاعمة أنه قد أتاها في صورة قبيحة ويكون الشيطان قد أتاها في صورة قبيحة لهذا الخاطب.

أو تكره زوجها إن كانت قد تزوجت قال الله تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [١] وتعلم السحر والعمل به كفر، قال الله تعالى ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٢]

---

[١] سورة البقرة آية ١٠٢

[٢] سورة البقرة آية ١٠٢

٥ـ الوقوع في المخالفات الشرعية ككثرة الدخول والخروج والتبرج ونحوه:

المخالفات الشرعية والمعاصي لها عواقب وخيمة على صاحبها في الدنيا قبل الآخرة، فهي تؤثر في دين المرء كما تؤثر في دنياه ولا نريد أن نتناول هنا فاحشة الزنا ـ أعاذنا الله من ذلك ـ لأن الفاجرة لا يتزوجها إلا فاجر مثلها، أما صاحبة المخالفات التي دون الفواحش ككثيرة الخروج من البيت الكثيرة الدخول في بيوت الآخرين الكثيرة التجوال في الأسواق والطرقات الكثيرة الكلام مع الرجال المتبرجة التي تعرض زينتها أمام الرجال والتي تمهش وجهها بالموسى ونحوها[١] وتضع الأصباغ على شفتيها وصدغيها والكريمات على وجهها وتتعطر بأكثر أنواع العطور فوحا المتزينة عند خروجها ولسان حالها يقول:

إنني فتاة ببذل الود سامحة   أجيب من رامني يوما بلبيك

فهذه وإن كان الفتيان يودون منها أن تجود عليهم بنظرة وأن تتكرم عليهم بكلمة وأن تنفحهم بما فوق ذلك من توابع سلم العلاقات الذي لخصه شوقي قائلا:

نظرة فابتسامة فسلام   فكلام فموعد فلقاء

وتكون نتيجة هذا اللقاء كما قال ابن المعتز:

فكان ما كان ممن لست أذكره   فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر[٢]

---

[١] مهش: المُتَمَهِّشةُ من النساء: التي تَحْلِقُ وجْهَها بالمُوسَى. وفي الحديث:أنه، صلى الله عليه وسلم، لعَن من النّساء المُتَمَهِّشَة. وقال القتيبي: لا أعرف الحديث إلا أن تكون الهاء مبدلة من الحاء. يقال: مرّ بي جَملٌ فمحشني، إذا حاكّه فسَحَج جِلدَه. وقال غيره: مَحشَتْه النارُ، ومهَشَتْه، إذا أحرقته.[النهاية في غريب الحديث والأثر. مادة: {مهش}/ لسان العرب، مادة: مهش / القاموس المحيط. باب الشين. فصلُ الميمْ.]

[٢] معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ ص ٥٢٢

فالشباب ينتظرون مجيئها ويترصدونها على الطريق الذي تمر به، ويرونها أنها معشوقة لهم بإظهار الوله والتيم والشغف بها وأنهم يسهرون الليالي الطوال في تذكرها وأنهم لا غنى لهم عنها وأنهم وأنهم، ولكنهم في المحك الحقيقي، عندما يفكر أحدهم في إحصان نفسه وإعفافها واختيار شريكة حياته وأم أولاده، فإنه لا يفكر في هذه التي كان يتكلم معها ويهاتفها ويراسلها وكان يطمع منها في أكبر من ذلك، من تمكينه من نفسها وكان يعدها بالزواج ويمنيها وما يعدها إلا غرورا، بل يذهب إلى فتاة مخدرة مقصورة محصورة في بيت أبويها صغيرة غريرة، لم تر رجلا ولم يرها رجل فيقترن بها تاركا هذه البلهاء لماكر آخر ومخادع حصيف لبق بصير بملاينة النساء وترويض عسرهن.

فيا أختاه اتقي الله في نفسك واعلمي: أن الوقوع في المخالفات الشرعية ككثرة الدخول والخروج والاختلاط والتبرج ونحوه يزهد الرجال فيك فالرجال حتى الفاجر منهم ومع كثرة تنقلاته بين الخليلات والخدينات والعشيقات يرغب في المرأة قعيدة البيت، وهو دائما يزهد في المرأة غير الملتزمة رغم عدم التزامه هو، والزانية تسقط أولا في عين من زنى بها، لأن الرجل يريد امرأة خفرة حيية لم تفضح أهلها ولم تأتهم بشنار.

والأمثلة على زهد رجال تنمروا لفتيات خرجن معهم كثيرة، فبعضهن لا زلن يعتصرن مرارة الألم وخزي الأبد وبعضهن أفلتن من هذه الذئاب بجريعة[1]

(١) عن عطاء بن يَسار قال : قلت للوليد بن عبد الملك قال عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه : وَدِدْتُ أنّي سَلِمْتُ من الخلافة كَفافا لا عليَّ ولا لِيَ . فقال: كذبت ، الخليفة يقول هذا ؟ فقلت : كُذِّبت ؟ قال : فأَفْلَتُّ منه بِجُرَيْعَة الذَّقَن.[غريب الحديث لابن قتيبة ج ٢ ص ٦٢]

الذقن، [١] ونجتزئ من القصص بالآتي[٢]:

ــ أنا فتاة في التاسعة عشرة من العمر، متوسطة الجمال، تعرفت إلى شاب يكبرني بعشر سنوات كان خلوقا وعلى قدر كبير من الوسامة استمرت علاقتي به سنتين، وكان يؤكد لي دائما أنه يرغب في الزواج مني، وأنه سيتقدم إلى أهلي ويطلب يدي منهم وفي هذه الفترة، كنت أخرج معه، وكان يتصرف معي بدرجة عالية من التهذيب ، الأمر الذي جعلني أطمئن إليه، وأزداد تعلقا به يوما بعد الآخر، ولكنني فوجئت به في المرة الأخيرة يتحول إلى ذئب حقيقي ويزرع مخالبه المدنسة في لحمي، ويسلبني عفافي وطهري ولم يكتف بما فعل، بل راح يهددني بالفضيحة إذا لم أوافق على الخروج معه. إنني في حيرة وخوف شديدين ماذا أفعل؟ هل أخبر أهلي؟ أم ألزم الصمت.

ــ المشكلة بدأت قبل سنة عندما سافرت إلى بلدي، حيث تعرفت إلى شاب قريب لي. المهم بعدما تعرفت إليه طلبني للزواج، وقال إنه يريدني زوجة. لكن الذي حدث أنه بعد فترة عرفته على حقيقته، وماذا يضمر لي. لكن كل هذا جرى بعد أن دخل قلبي. المهم، في اليوم المشؤوم ذهبنا في رحلة مدرسية إلى البر لتغيير جو المدرسة، لكنه انتهز فرصة بعد التلاميذ عني وأخذ أغلى شيء عندي، وذهب وكأنه لم يفعل شيئا.

---

(١) عن الأصمعي قال هذا مثل يقال : " أَفْلَت فُلان بِجُرَيْعَة الذَّقَن". يراد أن نَفْسه صارَتْ في فِيه ، قال أبو حاتم وقال أبو زيد يقال : أفلتني فلان جُرَيعَة الذَّقَن ، إذا كان قريباً منه كجُرعة الذَّقَن.

والجُرَيْعَةُ تَصْغِير الْجُرْعَةِ، وهو آخر ما يَخْرُج من النَّفْس عند الموت، يعني أفلتُّ على الهلاك، أي أنه كان قَرِيباً من الهلاك كقُرْب الجُرْعة من الذَّقَن.[النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير، مادة: {جرع}]

[٢] هذه القصص مأخوذة من موقع [Free Web site hosting - Freeservers.com]

حتى الأستاذ سألني ما بك؟ فلم أستطع الكلام بسبب ما أحدثه لي ذلك الفعل من صدمة عنيفة.

المهم الآن، عدت إلى موطني وأصبحت مريضة نفسيا، أحاول مساعدة نفسي، لكني لا أستطيع، لأنه لا يوجد من يعلم بما حدث. وتظن أمي أني مريضة و لا أريد جرحها.

أمي الثانية فاطمة (الأخصائية النفسية)، رجاء ما هي نصيحتك لي، فأنا متعبة نفسيا وأصبحت منعزلة عن الجميع؟

ـ أنا فتاة أبلغ .من العمر ٢٠ عاما، ماكثة في البيت بعد فشلي في (الدراسة)، وأتقنت العمل في البيت، حلمت بالزوج الذي يملأ على حياتي، لكن كل علاقة أدخل فيها مع شاب تبوء بالفشل، لأنهم كانوا يطلبون مني الثمن، و رأيت أن الرجولة ماتت وحلت محلها (ذئاب بشرية) كانوا عشاق جسد ومتع، والحمد لله الذي نجاني منهم، لكن واحدا منهم أراد أن ينصب شباكه حولي، عندما أتى بأمه إلى بيتنا ليؤكد لي مدى صدقة وحسن نيته، فصدقته، وبعد زيارة أمه بحوالي ٦ أشهر أخبرني في الهاتف أنه يريد رؤيتي لكي يتمم مراسم الخطوبة بشكل رسمي. فذهبت إليه، وعاملني بأدب لكنه سرعان ما تحول إلى إنسان آخر يريد مداعبتي، ولكنني استطعت أن أنجو منه وحزنت كثيرا وعاتبت نفسي، وعندما طالبته بأن نتزوج قال (بكل وقاحة) إنه لم يتذوق مني ما يشتهيه!! وقال بأنني فاتنة ويجب أن يعيش الحب معي، وقال كلاما معسولا كي يرمي بشباكه حولي، لكن الله كان يحميني فلست أنا من تعيش الحب الزائف في الحرام وتترك جسدها للعبث وفجأة علمت أنه خطب فتاة أخرى فاتصلت به فأخبرني أنه ذاق منها ما دعاه لخطبتها! عندها قررت أن أنساه، وأبكي على ما فات من حياتي وأحسست بأن الله نجاني. فالتجأت إليه راجية أن يتقبل توبتي.

ـــ أنا فتاة عمري ١٧ عاما، منذ سنة كنت أسير في الطريق فقابلت شابا، وبعد محاولات مستمرة منه تكلمت معه، وبدأنا نلتقي، وكنت خجولة، لكن زال هذا الخجل بعد فترة، و أصبح هذا الشاب جزءا من حياتي، يعيش في عروقي، وصار يطلب مني القبلات، فخشيت أن أخسره، ونفذت ما يريده، وكنت أشعر بأنني غير راضية عن تصرفي، لكنني أدمنت لقاءه و.. و.. وكان يؤكد لي أنه لن يتركني أبدا وبعد ذلك صار يفاتحني في الانفصال إن أردت أنا! وتوقفت عن لقائه؛ لأنه أهانني وطعن كرامتي. وانتظرت أن يأتي لمقابلتي والاعتذار لي، ولكن خاب ظني.

٦ ـ زواج الفتيان من نساء أجنبيات: [١]

البعد في اختيار الزوجة والنأي بها من أن تكون من الأهل والأقارب مما يزيد الأبناء قوة وشدة بأس ويعطيهم منعة قال النابغة الذبياني:

فَتىً لَمْ تَلِدهُ بِنْتُ عَمٍّ قَرِيبَـةٌ   فَيَضْوَى وقَدْ يَضْوَى رَدِيدُ القَرَائِبِ[٢]

ولكن لكل شيء محاسن ومعائب وله تأثيرات حسنة وأخرى جانبية فالدواء مع أنه يعالج إلا أنه يترك أثرا جانبيا من إصابة الجسم بالفتور والإرهاق إلى غير ذلك مما لا يذكر مقارنة بفائدة الدواء فكذلك الزواج من خارج محيط الأسرة والأقارب والنأي عنهم وقد يفكر المرء في البعد عن دائرة الأسرة، بأن يختار امرأة ذات خلق ودين من جاراته أو إحدى بنات قريته أو مدينته أو بلده أو يتجه بفكره إلى مدينة أخرى داخل قطره، أو خارجه من بلاد المسلمين، أو من إحدى مسلمات بلاد الثغور كألبانيا والبوسنة

---

[١] انظر للمؤلف: الخلافات بين الأقارب: زواج القريب من أجنبية، وكذلك: المعلم الداعية لغير الناطقين بالعربية في مناطق الثغور: توجيهات واقتراحات فصل: زواج المعلم الداعية من نساء الثغور.

[٢] ديوان النابغة ص٢٥. اللسان مادة : ضوا

والجمهوريات الإسلامية وهذا كله مقبول لا غبار عليه وقد يشتط في تفكيره ويذهب بعيدا بأن يحاول أن يتزوج امرأة أجنبية تخالفه في الدين والجنس واللغة والمفكرون في الاقتران من الأجنبيات لهم أسباب عدة، ودوافع متنوعة، منها:

ــ الرغبة في التغيير والتنويع فكل إخوانه وأقاربه تزوجوا من بلاده أن لم يكن من قريباهم.

ــ التزين والتزيد بالأجنبية بين الأهل والأقارب والأصدقاء والأقران.

ــ البعد عن الأهل والأقارب لما رأى هذا الذي آثر الأجنبية من شقاق وتناحر ناجم عن فشل زواجهم المتعدد الذي انتهى أكثره بالطلاق وأورث مشاكل جمة وعداوات كثيرة.

ــ الرغبة في الجمال ولوازمه من البياض والشقرة.

وهذا الرجل الذي آثر الزواج من أجنبية إن حدث أن تقدم أجنبي لأخته من نفس بلد زوجته التي اقترن بها فإنه سيكون أول الرافضين له الواقفين أمام زواجه منها.

ولا أريد أن أستقصي ما لزواج الأجنبية من آثار على الفرد والمجتمع ولكني أريد أن أؤكد أن الزواج من الأجنبيات سبب من أسباب العنوسة وأن الذي يتزوج من أجنبية قد تسبب في عنوسة بنت من بنات بلده، لأن الذي يتزوج أجنبية يتزوج امرأة واحدة فقط هي الأجنبية هذه التي يكتفي بها غالبا ولا يعدد عليها وكان من الطبيعي أن يكون في مكانها إحدى بنات بلده فآثر الأجنبية وأبقى بنت بلده حبيسة جدران بيت أبويها متأثرة بعنوستها والزواج من الأجنبيات يتعرض للفشل والإخفاق أكثر من الزواج من بنات البلد.

وصور لنا الرافعي رحمه الله تعالى قصة رجل مر بتجربة زواج فاشلة من أجنبية [١] فقال محذرا غيره في أن يقع فيما ما وقع فيه: إياكم إياكم أن تغتروا بمعاني المرأة تحسبونها معاني الزوجة، وفرقوا بين الزوجة بخصائصها، وبين المرأة بمعانيها، فإن كل زوجة امرأة، ولكن ليس في كل امرأة زوجة.

واعلموا أن المرأة في أنوثتها. وفتونها النسائية الفردية، كهذا السحاب الملون في الشفق حين يبدو، له وقت محدود ثم يمسخ مسخا، ولكن الزوجة في نسائيتها الاجتماعية كالشمس: قد يحجبها ذلك السحاب، بَيْدَ أن البقاء لها وحدها، والاعتبار لها وحدها، ولها وحدها الوقت كله.

لا تتزوجوا يا أخويّ المصريين بأجنبية، إن أجنبية يتزوج بها مصري. هي مسدس جرائم فيه ست قذائف:

الأولى: بوار امرأة مصرية وضياعها بضياع حقها في هذا الزواج، وتلك جريمة وطنية فهذه واحدة.

والثانية: إقحام الأخلاق الأجنبية على طباعنا وفضائلنا في هذا الاجتماع الشرقي وتوهينه بها وصدعه، وهي جريمة أخلاقية.

والثالثة: دس العروق الزائغة في دمائنا ونسلنا، وهي جريمة اجتماعية.

والرابعة: التمكين للأجنبي في بيت من بيوتنا يملكه ويحكمه ويصرفه على ما يشاء، وهي جريمة سياسية.

والخامسة: للمسلم منا إيثار غير أخته المسلمة، ثم تحكيمه الهوى في الدين من ما يعجبه وما لا يعجبه، ثم إلقاؤه السم الديني في نبع ذريته المقبلة ثم صيرورته خزيا لأجداده

---

[١] حديث الرافعي هنا عن الأجنبية الكافرة.

الفاتحين الذين كانوا يأخذونهن سبايا، ويجعلونهن في المترلة الثانية أو الثالثة بعد الزوجة، فأخذته هي رقيقا لها، وصار معها في المترلة الثانية أو الثالثة بعد،[١]وهذه جريمة دينية.

والسادسة: بعد ذلك كله: أن هذا المسكين يؤثر أسفله على أعلاه، ولا يبالي في ذلك خمس جرائم فظيعة، وهذه السادسة جريمة إنسانية.

ما كنت أحسب يا إخواني وقد رجعت بزوجتي الأوربية إلى مصر أني أحضرت معي من أوربا آلة تصنع أحزاني ومصائبي ، ولم يكن أحد وعظني بما أعظكم به الآن ، ولا تنبهت بذكائي إلى أن الزوجة الأجنبية تثبت لي غربتي في بلادي ، وتثبت أني غير وطني أو غير تام الوطنية ، ثم تكون مني حماقة تثبت للناس أني أحمق فيما اخترت، ثم تعود مشكلة دولية في بيتي، يزورها أبناء جنسها و يستزيرونها رغم أنفي وفمي ووجهي كله.

إن الشيطان في أوربا شيطان عالم مخترع، فقد زين من تلك الزوجة ثلاث نساء معا: زوجة عقلية، وزوجة قلبية، وزوجة نفسية، ثم نفث اللعين في روعي أن المرأة الشرقية ليس فيها إلا واحدة، وهي مع ذلك ليست من هؤلاء الثلاث ولا واحدة. قال الخبيث: لأنها زوجة الجسم وحده، فلا تسمو بالعقل، ولا تتصل بالقلب، ولا تمتزج بالنفس، وأنها بذلك جاهلة غليظة الحس، خشنة الطبع، لا تكون مع المصري إلا كما تكون الأرض المصرية مع فلاحها.[٢]

والذي يتزوج أجنبية لا يضع في ذهنه أولاده الذين سيخلفهم هذا الزواج وكيف ينشئون كما أنه لا ينظر إلى تبعات الوصول إليها وإزارتها أهلها من تذاكر طيران

---

[١] يريد بعد عشيقها.

[٢] وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ج ١ ص ٢٨٥ — ٢٨٧

وإقلاق راحة تغنيه عنها من تكون في بلده من النساء كما أن هناك عاملا نفسيا مهما هو أن الأجنبية تشعر بالاستعلاء وأن من تزوجها فإنه قد فضلها على سائر نساء بلده فقطع إليها الفيافي والقفار والأودية بل تجاوز للمجيء إليها القارات ليأتيَ بها، كما أن الأجنبية تنظر نظرة ندية ومساواة لزوجها لغياب مفهوم القوامة عند هؤلاء القوم، وعدم تحديد ماهيته رغم أنه قانونا عند الرجل. وسلب الرجل المرأة في الغرب من كل شيء حتى من اسم أبيها وعائلتها فهي تنسب له، رغم أنه في الظاهر قد أعطاها الحرية على مطلقها فعل كل هذا ليتاجر بها، فجعلها أمة في أسواق الرقيق الأبيض فأرهقها ماديا ونفسيا وابتزها جسديا.

وخير مثال لذلك وإن شئت فقل شر مثال لذلك طه حسين المسمى بعميد الأدب العربي الذي كان يرى أن زوجته الفرنسية سوزان ملاكا أرسلته إليه العناية الإلهية واختص بها اختصاصا وكان يرى أن هذا الملاك أشد عطفا عليه وأكثر برا به من أمه التي ولدته ، كما ذكر ذلك في رسالة وجهها إلى ابنته، كما هو مسطور في كتابه الأيام وهو عبارة عن مذكرات كتبها عن حياته.[1]

في إحصائية حديثة عن حالات الزواج في الكويت ثبت أن أكثر زيجات المواطنين العرب في البلاد هي من مواطنات آسيويات، بل ثبت أن المواطن العربي يفضل الزواج من آسيوية على الزواج من مواطنته العربية، وربما صاحبة الجنسية التي يحملها(!).

فطبقاً للإحصائية- التي تناولت جميع حالات الزواج الموثقة في وزارة العدل بالكويت حتى نهاية عام١٩٩٩ لمختلف الجنسيات – تبين أن المرأة الآسيوية جاءت في الاختيار الأول للزواج لدى الرجل العماني، والاختيار الثاني – بعد الكويتية – عند

---

[1] انظر : كتاب الأيام لطه حسين

الإماراتي، والثاني بعد السورية لدى السوري، والثاني بعد اللبنانية بالنسبة للرجل اللبناني، والثاني كذلك بعد الكويتية لدي البحريني، وحلت في المرتبة الرابعة بالنسبة للرجل السعودي، وذلك بعد الكويتية والسعودية، وغير محددة الجنسية (البدون)، على التوالي، أما بالنسبة للرجل العراقي المتواجد في الكويت فقد كانت المرأة الآسيوية هي الاختيار الثالث، بعد العراقية ثم الكويتية (!).

الميل للزواج من آسيويات ظهر كذلك لدى الرجال الكويتيين أنفسهم الذين جاء اختيارهم للمرأة الآسيوية للزواج في المرتبة الرابعة، فمن بين ما مجموعه ٧٢٤٥ كويتياً اختار ٦١٣٧ من بينهم المرأة الكويتية للزواج، فيما فضل ٣٤١ كويتياً المرأة السعودية، كما اختار٢٢٥ كويتياً الزواج من غير محددة الجنسية، فيما فضل ١٦٨ المرأة الآسيوية!.

وبالنسبة للأزواج المصريين، جاءت المرأة الآسيوية الاختيار الأول لهم، وذلك قبل مواطناتهم المصريات!، فمن بين ٣٩٧ حالة زواج تمت للرجال المصريين خلال عام ١٩٩٩؛ اختار الرجال المصريون ٢١٤ مواطنة آسيوية للزواج، وتلا ذلك اختيارهم لـ ١٠٢ مواطنة مصرية (!)، فيما جاء في المرتبة الثالثة الزواج من كويتية بمجموع حالات زواج بلغ ٢٧ حالة ثم اللبنانية١٤ حالة؛ فالزواج من سوريات ٨ حالات ثم الفلسطينيات ٨ حالات فالزواج من الأردنيات ٤ حالات، ثم الزواج من أفريقيات ٣، ثم ثلاث سعوديات، وأمريكيتين، وأوروبية، وعراقية واحدة!.

وفي تحليل هذه الظاهرة الغريبة يشير علماء الاجتماع والنفس إلى أن من أهم أسباب ميول الرجال العرب للزواج من آسيويات، هو رخص الزواج، وانخفاض التكاليف؛ إذ لا تشترط المرأة الآسيوية للزواج سوى المكان المناسب للسكنى، ولو كان

غرفة، ولا شيء بعد ذلك. بينما تشترط المرأة العربية عموما، أو أهلها خصوصاً، شروطاً باهظة للزواج.

والأمر الثاني هو حب المرأة الآسيوية للخضوع لزوجها، وربط حياتها معه بتلبية جميع رغباته، واستعدادها لتحمل شظف العيش، وشتى صنوف الحياة معه.

لكن علماء الاجتماع والنفس يشيرون - في الوقت نفسه - إلى سلبيات هذا الزواج من مثل: اختلاف العادات، والتقاليد، والإرث الحضاري؛ مما ينعكس سلباً، خاصة عند تربية الأبناء، ومحاولة ربطهم بأسرة الأبوين معا، وإحداهما في الشرق الأوسط، والأخرى في الشرق الأقصى، سواء في الفليبين أو الهند أو تايلاند، أو باكستان، أو إندونيسيا، أو سريلانكا ... الخ.

وفيما تلاحظ ظاهرة إقبال الرجال العرب على الزواج من آسيويات لا تشير الأرقام إلى شيوع هذه الظاهرة بين النساء العربيات في الاقتران بأزواج غير عرب. الأمر الذي يعني ببساطة ارتفاع نسبة العنوسة بينهن!.

وفي السياق نفسه، تؤكد الإحصائية أن المرأة الكويتية هي الأكثر حظاً في الزواج بالكويت وفي الطلاق أيضا! فقد سجلت أعلى نسبة من الزواج (تليها الآسيوية!)، كما سجلت أعلى نسبة في طلاقها (٣٣%)، وبالنسبة للرجال تأتي نسبة طلاق الكويتيين في المرتبة الأولي، يليهم المصريون، ثم السعوديون.[١]

وتشير الإحصائيات إلى أن ٣٧ من العرائس أجنبيات مع اختلاف العادات والقيم والتقاليد عندهن عنها في الإمارات، بل إن وجود الأجنبيات كخادمة أو سكرتيرة أو زميلة في العمل كان وراء تدهور العلاقة وتدمير زيجات كثيرة بين المواطنين، كما أن

---

(١) الكويت ـــ عبد الرحمن سعد - إسلام أون لاين.نت/ ٦-٥-٢٠٠١

نسبة ٥٠ من الزيجات بالأجنبيات في الإمارات تنتهي بالطلاق، مخلفة وراءها أطفالا مشردين وعائلات مفككة، كما أدى هذا الزواج بالأجنبية إلى استفحال العنوسة، وارتفاع نسبة الطلاق بين الأسر الإماراتية.

ولقد كان الزواج بأجنبيات يتم قبل خمسة عشر عاما في نطاق محدود بين كبار السن الإماراتيين ونسوة من شبه القارة الهندية، مع وجود فارق كبير في السن، أما الآن فقد زادت المشكلة واستفحلت لسهولة الارتباط وانعدام التكلفة بمقارنتها بتكاليف الزواج من فتاة إماراتية.

وتختلف نسبة الزواج من أجنبيات من إمارة لأخرى كما تقول د. آمنة خليفة مديرة مركز الانتساب بالشارقة وذلك تبعا للحالة الاقتصادية والاجتماعية فترتفع النسبة في ((دبي)) ثم "أبو ظبي"، وتقل في "عجمان" "وأم القوين ".

وتكمن الخطورة في الزواج بأجنبيات مسلمات وغير مسلمات، في التأثيرات المباشرة على الأطفال وهويتهم اللغوية، وبالتالي على هوية المجتمع بأكمله، وبخاصة الزيجات من غير المسلمات التي تنتشر في الإمارات بوجه خاص، ويرجع ذلك إلى السفر والإقامة الطويلة في الخارج من أجل الدراسة، وتختلف الآثار النفسية والاجتماعية للزواج من أجنبية تبعا للزوجة وجنسيتها ولغتها، ولكن الضحية الأولى هم الأطفال وتنشئتهم الاجتماعية.

وتؤكد الإحصائيات أن نسبة الطلاق بين المواطنين تبلغ٤١,٢%، أما نسبة الطلاق بين الشباب الإماراتي وأجنبيات فهي ٦٣% في أبو ظبي، أما نسبة طلاق المواطنات الإماراتيات من أجانب فهي ٢٤,١%.

وفي الشارقة بلغت نسبة الزواج من غير المواطنات ٣٨,٣% ونسبة الطلاق ٥٤%.

وفي عجمان بلغت نسبة الزواج بالأجنبيات ٣٧,٣٪ ونسبة الطلاق ٥٣٪.

وفي البحث الميداني الذي أجرته وزارة العمل بدولة الإمارات أعطى المواطنون الذين شملهم البحث آراءهم حول سبل معالجة الزواج من أجنبيات كما يلي:

٢٧,٥٪ قالوا بضرورة ابتعاد الأهل عن التدخل بين الزوجين.

٨,٤٪ طالبوا برفع المستوى التعليمي والثقافي للفتاة المواطنة.

١٤,٥٪ طالبوا الحكومة بتقديم مساعدات مادية للراغبين في الزواج من مواطنات.

٦,٦٪ طالبوا الفتاة المواطنة بقبول الزواج ممن سبق لهم الزواج.

وفي المملكة المغربية تبرز ظاهرة الزواج بأجنبيات بشكل واضح وذلك لموقع المغرب الجغرافي، إضافة لهجرة العمالة المغربية باتجاه أوروبا، فهناك أكثر من مليوني شخص مهاجر إلى فرنسا وإيطاليا وألمانيا نسبة كبيرة منهم من المتزوجين بأجنبيات.

فهذا مغربي يعمل في صناعة السيارات بفرنسا وتزوج بفرنسية، لأنه لم يكن هناك الوقت للتعرف على أسرة مغربية أو عربية خلال شهر الإجازة.

وهذا آخر يعمل في مدينة ليون وضعه أكثر مأساوية، فقد تزوج فرنسية تعرف عليها في متجر. وعندما كبر ابنهما، وأصبح في حاجة ليتعلم اللغة العربية وجد من أمه تقاعسا كبيرا. كأنها تريد فصل الابن عن جذوره.

قال الحاج محمد الهراوي محذرا عن الزواج من الأجنبيات:

وإن زواج المرء من غير جنسه ... قطيعة أرحام وفك صلات
وإن هوى يدنيه من أجنبية ... خروج على الأوطان بالنزغات
فكم من فتى بان على غير أهله ... تقلب فوق الشوك والجمرات

ترى نفسها أعلى وأشرف بيئة ولو أنها من بيئة الطرقات
وإن لها فضلا عليه وإنه على فضله خال من الحسنات
فيا ضيعة الآمال من فتية الحمى إذا استسلموا للغي والنزغات
ويا ذل أوطان رمى البين شملها وقاطع فيها الأخوة الأخوات
نساؤكم يا قوم أولى بقربكم فهن المعين الحق في النكبات
هبوهن أدنى من سواهن رتبة وأسوأ في تغربكم درجات
فمن الذي يرقى بهن إلى العلى سواكم ومن يتبعن في الخطوات؟

٧ـ التشاؤم ببعض النساء[١]:

من أسباب عنوسة بعض النساء التشاؤم بها وذلك بأن يكون قد مات لها زوج أو زوجان من قبل أو افتقر أحدهما بعد غناه الذي كان يتمتع به قبل الاقتران بها، أو مرض بعد صحته وعافيته التي كان يتحدث بها من حوله قبل أن يقع في حبالها، أو أن يحصل له مكروه كان في عافية وسعة منه قبل أن يجمعها إلى بيته، فتكون هذه المرأة محط أنظار الناس، ومكمن خطر، ويكون قد رسخ في أذهانهم أن هذه المرأة مشئومة وأنها تصيب وتعدي بشؤمها من يقترب منها، قيل:تزوج رجل امرأة قد مات عنها خمسة أزواج فمرض السادس فقالت: إلى من تكلني قال: إلى السابع الشقي.[٢]

---

[١] ترى آنسة أرملة مات زوجها بعد عقد القران أن موت زوجها حولها من فتاة خفيفة الظل إلى "وجه النحس " يخاف منها الكبار والصغار، ولم يتقدم أحد لخطبتها، وفقدت الأمل وتيبس شعورها وتحول العالم إلى كآبة مستمرة، فعمرها واحد وأربعون عاما، ومن سيغامر ويتزوجها؟!

[٢] محاضرات الأدباء مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٢٠

وقال الحكم بن عبدل حاكيا تجربته عن زواجه من عجوز وكيف وجدها وكيف أنها كانت تحدثه بما مضى من زمانها وأزواجها المتعددين وكيف أنهم أحسنوا إليها حتى تمنت أن تموت وتدفن مع بعضهم حبا وشوقا لهم:

أعاذلتي من لوم دعاني ... أقلا اللوم إن لم تعذراني
فإني قد دللت على عجوز ... مبرقعة مخضبة البنان
تغضن جلدها واخضر ... إلا إذا ما ضرجت بالزعفران
فلما أن دخلت وحادثتني ... أظلتني بيوم أرونان
تحدثني عن الأزمان حتى ... سمعت نداء حر بالأذان
فقالت قد نكحت اثنين ... شتى فلما صاحباني طلقاني
وأربعة نكحتهم فماتوا ... فليت عريف حي قد نعاني[1]

ويشتهر شؤم المرأة بين الناس وينتشر انتشار النار في الهشيم[2] وقد تدرك المرأة ذلك عن نفسها فترفض متقدما لها لأجل ذلك[3] ويترسخ هذا المفهوم ويزيد ثباتا إن كان قد سبق

---

(١) الأغاني ج ٢ ص ٤١٠

(٢) قال الراغب: روي أن أم حبيب بنت قيس العدوية قالت: لا أنكح إلا العدويين المحمديين. فنكحت محمد بن عمرو بن العاص ففارقها، ثم محمد بن خليفة فقتل، ثم محمد بن أبي بكر فقتل. ثم محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات، ثم محمد بن إياس فتوفيت معه. وكان ابن عمر يقول: من أراد الشهادة الحاضرة فليتزوج بها. [محاضرات الأدباء مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٢٠]

(٣) قال ابن حجر رحمه الله: أخرج ابن سعد بسند حسن عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب كانت عاتكة تحت عبد الله بن أبي بكر فجعل لها طائفة من ماله على ألا تتزوج بعده ومات فأرسل عمر إلى عاتكة أن قد حرمت ما أحل الله لك فردى إلى أهله المال الذي أخذته ففعلت فخطبها عمر فنكحها فقتل عنها ثم تزوجها الزبير بن العوام ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو

لأمها أو جدة من جداتها أو أختها أو إحدى قريباتها أن توفي لها زوجان أو كانت مثفِّية [١] فإنها تصير مجمعا للشر وبؤرة للشؤم والنحس بلا أدنى شك ولا ريب ويتواصى أفراد المجتمع بالنفور من المرأة المشئومة وعدم الزواج منها، بل عدم الاقتراب منها ، قال الأصمعي: سمعت بعض الهلاليين يقول لبنيه: يا بني لا تتزوجوا المميتات[٢] فإنهن يضربن على رؤوسكم بمن كان قبلكم، وتزوجوا المطلقات فإنهن أضعف النساء، وإنكم لتضربوهن برؤوسهن بمن كان قبلكن.[٣] لأنها أمرها في إدبار وهي تصيب وتعدي من يكون قريبا منها، قال نصر بن شبث عن بني أمية وإدبار أمرهم وخوفه من عدوى هذا الإدبار: أولئك قوم قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل أبدا، لو سلَّم عليَّ رجل مدبر لأعداني إدباره.[٤]

نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر فقتل عنها بمصر ويقال إن عليا خطبها فقالت إني لأضن بك عن القتل. فأبت أن تتزوجه ولو تزوجته لقتل عنها أيضا وكانت تقول : إني لأحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم. [الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم :١١٤٤٨/ البداية والنهاية، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح) ج ٨ ص ٢٣ / المستطرف ج ٢ ص ٤٨٤]

(١) قال ابن فارس: الثاء والفاء والحرف المعتل أصل واحد، وهو الأثفية والجمع أثافي، ومما يشتق من هذا المرأة المثفِّية، التي مات عنها ثلاثة أزواج، والرجل المثفِّي الذي يموت عنه ثلاثة نسوة. [معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ١٨٤]

(٢) المميتة أو الفاقدُ من النساءِ: التي يموتُ زَوْجُها أو ولدُها أو حميمها. أو هي التي تتزوج بعدما كان لها زوج فمات. قال: والعرب تقول: لا تَتَزَوَّجَنَّ فاقداً وتزوج مطلقة.[لسان العرب ، مادة فقد]

(٣) انظر: ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار، لابن قطعة، ص ٣٣٧

(٤) تاريخ ابن خلدون ج٣ص٢٥٢

وتستحي المرأة المميتة من النظر في وجه من فجعتهم بأبنائهم، ذكر أبو بشر الدولابي في الذرية الطاهرة من طريق أبي إسحاق عن الحسن بن الحسن بن علي قال لما تأيمت أم كلثوم بنت علي عن عمر فدخل عليها أخواها الحسن والحسين فقالا لها إن أردت أن تصيبي بنفسك مالا عظيما لتصيبن فدخل علي فحمد الله وأثنى عليه وقال أي بنية إن الله قد جعل أمرك بيدك فإن أحببت أن تجعليه بيدي فقالت: يا أبت إني امرأة أرغب فيما ترغب فيه النساء وأحب أن أصيب من الدنيا فقال: هذا من عمل هذين ثم قام يقول والله لا أكلم واحدا منهما أو تفعلين فأخذا شأنها وسألاها ففعلت فتزوجها عوف بن جعفر بن أبي طالب وذكرها الدار قطني في كتاب الإخوة أن عوفا مات عنها فتزوجها أخوه محمد ثم مات عنها فتزوجها أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده وذكر بن سعد نحوه وقال في آخره فكانت تقول إني لأستحي من أسماء بنت عميس مات ولداها عندي فأتخوف على الثالث قال فهلكت عنده ولم تلد لأحد منهم.[1]

وفي رأي كثير من الناس أن المرأة حديدة العرقوب[2]عارية الظنبوب[3] ناتئة عظام الكعبين أنها من مشائيم النساء . وأن المرأة الدرماء الكعبين من ميامين النساء.

---

[1] الإصابة لابن حجر. ترجمة رقم، ١٢٢٣٣

[2] قال الشاعر (بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٥٦٩):

نبئت أن فتاة كنت أخطبها   عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

[3] الظُّنْبوب: هو حَرْف العَظْم اليَابِسُ من السَّاق: أي عرىَ عَظْمُ سَاقها من اللحم لهُزالها.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ظنب}]

وليس الشؤم في كل النساء بل تختص به امرأة دون أخرى، فعن سَالِم بْن عَبْد اللَّه أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالدَّارِ.(١)

وجاء شؤم المرأة مفسرا في الحديث بأنه عقم رحمها وعدم ولادها وأنه سوء الخلق.(٢)

قال ابن حجر : قوله (باب ما يتقى من شؤم المرأة) الشؤم بضم المعجمة بعدها واو ساكنة وقد همز وهو ضد اليمن ، يقال تشاءمت بكذا وتيمنت بكذا. قوله (وقوله تعالى :﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾(٣) (كأنه يشير إلى اختصاص الشؤم ببعض النساء دون بعض مما دلت عليه الآية من التبعيض. وقد جاء في بعض الأحاديث ما لعله يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعا " من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح . ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء " وفي رواية لابن حبان " المركب الهني ، والمسكن الواسع " وفي رواية للحاكم " وثلاثة من الشقاء: المرأة تراها فتسوء وتحمل لسانها عليك، والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك ، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق" . وللطبراني من حديث

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، بَاب مَا يُذْكَرُ مِنْ شُؤْمِ الْفَرَسِ، حديث رقم: ٢٦٤٦/ صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم، حديث رقم: ٤١٢٨

(٢) عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشُّؤْمُ سُوءُ الْخُلُقِ. [مسند الإمام أحمد، مسند السيدة عائشة، حديث رقم : ٢٣٤٠٨]

(٣) سورة التغابن آية ١٤

أسماء " إن من شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة " وفيه سوء الدار ضيق مساحتها وخبث جيرانها وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها، وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها.[١]

قال النووي: اختلف العلماء في هذا الحديث، فقال مالك وطائفة: هو على ظاهره، وإن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى. ومعناه قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة كما صرح به في رواية: (إن يكن الشؤم في شيء) وقال الخطابي وكثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه. وطلاق المرأة. وقال آخرون: شؤم الدار ضيقها، وسوء جيرانها، وأذاهم. وشؤم المرأة عدم ولادتها، وسلاطة لسانها، وتعرضها للريب. وشؤم الفرس: أن لا يغزى عليها، وقيل: حرانها وغلاء ثمنها. وشؤم الخادم سوء خلقه، وقلة تعهده لما فوض إليه. وقيل: المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة. واعترض بعض الملاحدة بحديث (لا طيرة) على هذا ، فأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هذا مخصوص من حديث (لا طيرة إلا في هذه الثلاثة) قال القاضي : قال بعض العلماء : الجامع لهذه الفصول السابقة في الأحاديث ثلاثة أقسام: أحدها ما لم يقع الضرر به ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة، فهذا لا يلتفت إليه، وأنكر الشرع الالتفات إليه، وهو الطيرة. والثاني ما يقع عنده الضرر عموما لا يخصه، ونادرا لا متكررا

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٦٦ــ١٦٧

كالوباء، فلا يقدم عليه، ولا يخرج منه. والثالث ما يخص ولا يعم كالدار والفرس والمرأة ، فهذا يباح الفرار منه.[١]

وقد يتزوج مميت من الرجال مميتة من النساء فينتظر الناس وينتظران هما نتيجة هذا الزواج، قال الراغب الأصفهاني: تزوج أعرابي أربع نسوة متن عنده، ثم تزوج امرأة مات عنها خمسة أزواج فقال:

بوازل أعوام أذاعت بخمسة   وتعتدني إن لم يق الله ساديا
ومن قبلها أهلكتُ بالشؤم أربعا   وواحدة أعتدها في حسابيا
كلانا مطل مشرف لغنيمة   ويقضي إله الخلق ما كان قاضيا[٢]

٨ـ القوة والبأس والشدة :

الزواج يقوم على طرف قوي يأمر وآخر يتلقى ويقر ، فالذي يأمر هو الزوج والذي يقر هو الزوجة، قال البعيث:

ألست كليبيا إذا سيم خطة   أقر كإقرار الحليلة للبعل[٣]

ولا يعني هذا أن يستأسد الطرف القوي على الضعيف ولكن تكون بينهما المودة والرحمة التي بين الله سبحانه وتعالى أنها آية من آياته قال الله تعالى﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ

---

(١) مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز)ج ٩ ص ٥٩٧٠ ــ ٥٩٧٢

(٢) محاضرات الأدباء مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٢٠

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة (طبع دار الثقافة بيروت)ج ١ ص ٤٠٦

مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١]

ولكن إن كان الزوجان قويين تصادما وإن كانا ضعيفين ضاعا وإن كان الزوج قويا والمرأة ضعيفة أمامه عاشا وإن كان الرجل ضعيفا والمرأة قوية فيكون قد انقلب الميزان فهي صارت الرجل وهو قد صار في مكانها.

قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: إذا كان الرجل مذكرا والمرأة مذكرة تصادما العيش، وإذا كان الرجل مؤنثا والمرأة مؤنثة ماتا هزلا، وإن كان الرجل مؤنثا والمرأة مذكرة كان الرجل هو المرأة، والمرأة هي الرجل، وإذا كان الرجل مذكرا والمرأة مؤنثة طاب عيشهما.[٢]

والقوة تكون في الشخصية كما أنها تكون في البدن، فقوة الشخصية عند المرأة أن توجه زوجها حيث شاءت وأن تأمره بما أرادت فعليه أن يفعل كذا ويترك كذا وقد تتلذذ المرأة بأمر زوجها بأن يعمل كذا وكذا من أعمال البيت وهو قد يعمل ذلك تخفيفا لها ومساعدة وائتمارا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم: فَعَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قِيلَ لِعَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ.[٣]

---

[١] سورة الروم آية ٢١

[٢] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص٣٦ـ٣٧

[٣] مسند الإمام أحمد، مسند السيدة عائشة، حديث رقم: ٢٣٦٠٦

والرجل قد يفعل ذلك غير فطن لما تريد بل قد تفكر في عصيانه وعدم الائتمار بأمره تأكيدا لشخصيتها وهيمنة وسيطرة عليه وهو يفعل ما تقول له لعدة أسباب:

ـ أن تكون المرأة سليطة اللسان ذربة القول، فحلة،(١) كثيرة الصياح، دائمة النباح، تسلق بلسان حاد، فيكون زوجها خائفا من لسانها وحدته متواريا من فظاظتها وغلظتها يخشى منها خوفا من الفضيحة بين الجيران فيريد ستر الأمور وغطاءها.

ـ ان يكون الرجل ضعيف الشخصية يخاف منها حقيقة.

كما أن القوة تكون في البدن فقد تكون زوجته ضخمة جدا، ويكون الرجل ضعيف البنية فيكون خائفا من أن تناله بسوء أو تتناوله بيدها الغليظة أو تصفعه أو تلكمه أو تركله برجلها أو تضربه بعصا أو نحوها أو تجمع كل ذلك له.(٢) وقد يكون زوجها ضعيف البنية هزيل الجسم مختل التكوين خلقة وطبيعة لذا فالرجال دائما يرغبون في المرأة الغضة الطرية ، فبعضهم لأجل ذلك يفضل البدانة على النحافة فلا يعقل أن يتزوج رجل بملاكمة أو مصارعة أو رياضية أو ممن تشارك في ألعاب القوى لأن الرجل يريد بخنداة لا سبنتاة(٣) يريد نعجة لا يريد لبوة،(٤) يريد امرأة تشعر أمامه بقوته وجبروته، لا امرأة

---

(١) امرأةٌ فَحْلَةٌ: سَلِيطَةٌ. [القاموس المحيط باب اللام. فَصْلُ الفَاء]

(٢) انظر قصة جران العود مع زوجتيه اللتين ضربتاه وخنقتاه وكيف أن إحداهما جرته نحو الماء وذلك بعد أن فقد الوحي وقد صور ذلك في حوار طريف بديع انظر ذلك في : غنية المحتاج في أنواع الأسرة وبناء الزواج للمؤلف

(٣) قيل: سبنتاة في جلد بخنداة. والسبنتى النمر، وألفه ليست للتأنيث، ويقال للمؤنث سبنتاة، الجمع سبانت، ومنهم من يقول سبانيت، ويضرب المثل للمرأة السليطة الصخابة. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٨٤]

(٤) قال جران العود [محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٢٣] :

تشعره بضعفه وأن قزم لا حول له ولا قوة وإن فعلت المرأة فعلا يوحي بوقتها وشدة بأسها فإن الرجل يحذرها ويخافها ولا يكون معها في أمان وقوة المرأة المفرطة وشدة بأسها قد تكون سببا في عنوستها وعزوف الرجال عنها كما في هذه القصة:

قال المفضل الضبي: أخبرني مسعر بن كدام عن معبد بن خالد الجدلي، قال: خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد، وكان النساء يجلسن لخطابهن، قال: فجئت لأنظر إليها، وكان بيني وبينها رواق فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم ، فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن عظيم مملوء لبنا ، فشربته حتى أكفأته على وجهها، وقالت: يا جارية ارفعي السجف ، فإذا هي جالسة على جلد أسد وإذا هي امرأة جميلة شابة، فقالت: يا عبد الله إنني أسدة من بني أسد، وعلى جلد أسد ، وهذا طعامي وشرابي، فعلام ترى؟ فقلت: أستخير الله في أمري وأنظر. قال: فخرجت ولم أعد.[1]

أن قوة المرأة المفرطة تجعل الرجل يخاف أن تتحول هذه الشدة وأن ينقلب هذا البأس عليه. كما أن أقل درجات هذه القوة والشدة التي تؤثر في الحياة الزوجية هي: أن تمنع المرأة زوجها نفسها فلا تمكنه منها وهو يستحي من لطم ذات السوار،[2] وقد يكون حقيقة يفرق ويخشى إن صارعها أن لا ينتصر عليها أو أن تغلبه حتى ولو انتصر عليها فما الفخر الذي يجنيه بتفوقه على امرأة أعدت ليوم الروع ردعا ومجمرا وأما إن تفوقت عليه فتلك قاصمة الظهر التي لا تقال، وسوءة لن تغتفر ولا تنسى.

يقولون في البيت لي نعجة   وفي البيت لو يعلمون النمر

[1] العقد الفريد لابن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين ، ج٦ص١٠٤

[2] قيل: لو ذات سوار لطمتني، أي لو ظلمني من هو كفئا لي لهان عليّ، ولكن ظلمني من هو دوني.[مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٦١]

٩ـ فسخ خطوبة الفتاة :

إذا خطبت فتاة من الفتيات مدة من الزمان وعرف خطبتها القاصي والداني والقريب والبعيد والصديق والعدو من الناس ، فإن خطبة هذه الفتاة في وقتها تفرح بعض الناس وتغضب آخرين من أهلها ومعارفها بخاصة الذين لهم بنات لم يتزوجن ولم يخطبن و يشاركهم في هذا الأمر بناهم وبدافع الغضب حسدا من عند أنفسهم، وإذا تمت هذه الخطوبة على مسمع ومرأى من الناس وألبس الخطيب خطيبته دبلة الخطوبة[1] ورأى الناس ما أحضره من حاجيات وهدايا وأقاما حفلا حضره أهلهما وأقاربهما وأصدقاؤهما وصارا يتهاتفان ويتقابلان ويتزاوران ـ إن لم يكونا على درجة من الالتزام بدينهما[2] ـ ويجهزان مستلزمات عرسهما ويفكران في تحديد مواعيد فرحهما ثم حدث أن فسخ هذا الخطيب الخطبة فإن هذا الأمر يحدث ضجة في مجتمعهما ومن حولهما من الناس،

---

(١) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى عن دبلة الخطوبة ومشابهتها لعادات النصارى: ويرجع ذلك إلى عادة قديمة عندما كان العروس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى، ويقول: باسم الأب، ثم يضعه على اليسرى ويقول: وباسم الابن، ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول: وباسم روح القدس، وعندما يقول: آمين يضعه أخيرا في البنصر حيث يستقر.

وقد وجه سؤال إلى مجلة المرأة التي تصدر في لندن في عدد ١٩ آذار ١٩٦٠م ص ٨. أجابت عنه أنجولا تلبوت محررة هذه الأسئلة والسؤال هو: لماذا يوضع خاتم الزواج في بنصر اليد اليسرى والجواب: يقال انه يوجد عرق في هذه الإصبع يتصل مباشرة بالقلب وهناك أيضا الأصل القديم عندما يضع العريس الخاتم على رأس إبهام العروسة اليسرى ويقول باسم الأب فعلى رأس السبابة وبقول وباسم الابن فعلى رأس الوسطى ويقول وباسم روح القدس وأخيرا يضعه في البنصر حيث يستقر ويقول آمين.[انظر آداب الزفاف للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ص ٨٠]

(٢) انظر الحديث عن الخلوة ومفاسد اللقاءات بين الخطيبين في هذا الكتاب.

الذين يكونون من بين مشفق حزين وشامت مسرور ــ والناس لا شغل لبعضهم إن لم يكونوا كلهم إلا تتبع أخبار الآخرين والانشغال بها ــ فإنهم يتساءلون عدة تساؤلات منها:

ــ لماذا فسخ هذه الرجل خطبة هذه الفتاة؟

ــ ما الذي علمه عنها فلا شك أنه علم شيئا لم نعلمه وأن وراء الأكمة ما وراءها.

ــ أظن أن هذه الفتاة المسكينة لم تنج من هذه الذئب الماكر. وأنه كان بينهما ما كان مما لا يود ذكره فظن شرا ولا تسأل عن الخبر.

ومن ثم تصاب الفتاة بإحباط شديد، نحو هذا الرجل ــ إن لم يكن نحو جنس الرجال ــ الذي أهدر كرامتها ، وحطم إنسانيتها ، ولم يراع حقها ، فما أغدر الرجال وما أحمق النساء.

أما المجتمع الذي لا تهدأ ثائرته، وتفور نائرته، وأهله من بين مشفق وشامت، فإن بعضه يرثى لحال هذه الفتاة وبعضه يسخر منها ويستهزئ بها بل يفرح بما حل بها .

ولا يدري هذه الرجل أنه بفسخه لخطوبة هذه الفتاة أنها حطمها تحطيما، وأن تحطيمه لها لم يقف في تركه لها فقط بل أنه وقف حاجزا منيعا في أن يتقدم لها شخص آخر. لأن الرجل غالبا لا يريد فتاة قد تركها خطيبها ولا يعلم أحد ما هو سبب الترك لها، فهو قد جعلها نهبا للشائعات، فأفضل الأشياء وأكرمها هو البعد عنها، وفي بنات حواء غنية عنها، فلا يجرؤ أحد أن يتقدم لها وإن كانت على درجة من الجمال والأدب وكل الأشياء التي ترغب الرجال فيها، وهي عز الطلب كما يقال، فالراغبون في الزواج يقولون: لو كان فيها خير لما تركها الأول.

١٠ـ طبيعة عمل المرأة:

قد تنسى المرأة في غمرة سكرة الحصول على الشهرة والمال، نفسها وأنها امرأة فتوافق على عمل لا يناسب طبيعتها ولا تكوينها فتوافق على أن تكون راقصة أو مضيفة أو غير ذلك من وظائف تعيقها عن الزواج.

فتوافق المرأة على أن تكون مضيفة في شركة طيران،[١] وهي تحت نشوة السياحة والسفر ومشاهدة بلاد الدنيا شرقيها وغربيها، وشمالها وجنوبها، وأنها ما تنتهي من رحلة حتى تبدأ رحلة أخرى وهكذا دواليك، إلى أن تمضي أفضل سني عمرها، وتفنى زهرة شبابها، وتعمل السنون والأعوام عملها فيها ولا ينفعها ما تستعمل من كريمات ومساحيق لإخفاء التجاعيد والشحوب وأصباغ تزور بها شيبها، وهي في غمرة نشوتها لا يروعها إلا استغناء شركة الطيران عنها، فتلتفت إلى نفسها مجبرة ولسان حالها يقول: مكره أخاك لا بطل[٢] وتجد أن قطار الزواج قد فاتها وأن عمرها قد ولى وأن شبابها قد ارجحن وأفل فتندم ولات مندم.

١١ـ اتصاف المرأة بصفات تعلم أنها لا تمكنها من الزواج:

قد ترفض إحدى النساء وبخاصة الثيبات منهن المتقدمين لهن من الأزواج لصفات تعلمها من نفسها، وقد تفصح عن بعضها وتطوي بعضها مؤثرة الصمت والسكوت عليها، ومن هذه الصفات التي ترى أنها لا تمكنها من الزواج، الإفراط الشديد في الغيرة، وأنها قد توافق على زوج يتخذها زوجة واحدة، أو تشترط عليه فراق امرأته أو نسائه ــ إن كان مقترنا بأكثر من واحدة ــ حتى ترتبط به، ولا تطيق ولا تقبل أن يأتيها زوجها بزوجة أخرى.

---

[١] من المعلوم والمشاهد أن شركات الطيران تشترط على العاملات لديها عدم الزواج.

[٢] قال : جَرْوَل بنُ مُجاشِع : مُكْرَهٌ أخاك لا بَطَل.[لسان العرب ، مادة : جرل]

والغيرة عند بعض النساء أشبه بالجنون وعدم الوعي، فالغيراء من النساء لا تسمع ولا تبصر، عند اشتداد غيرتها، والغيرة لها شيطان مخصوص بها يذكيها ويوريها ويزيد في إشعالها واشتداد أوراها، فعن : عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ[١] قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ نَعَمْ.[٢]

وقد تتسبب الغيرة في طلاق المرأة بعد زواجها، كما حدث لريحانة بنت شمعون بن زيد: قال بن سعد أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني صالح بن جعفر عن محمد بن كعب قال كانت ريحانة مما أفاء الله على رسوله وكانت جميلة وسيمة فلما قتل زوجها وقعت في السبي فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها وضرب عليها الحجاب فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها فشق عليها وأكثرت البكاء فراجعها فكانت عنده حتى ماتت قبل وفاته.[٣]

والغيرة كانت تعاني منها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها قبل زواجها منه ولذا عللت رفضها للنبي صلى الله عليه وسلم وعدم قبولها به لعدة

---

[١] قد جاءك شيطانك: أي فأوقع عليك إني قد ذهبت إلى بعض أزواجي فأنت لذلك متحيرة متفتشة عني.

[٢] صحيح مسلم ، كتاب، صفة القيامة والجنة والنار ، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، حديث رقم : ٥٠٣٥ / سنن النسائي، كتاب: عشرة النساء ، باب: الغيرة ، حديث رقم : ٣٨٩٨

[٣] الإصابة لابن حجر، ترجمة:١١١٩٧

أسباب ومن بينها هذا السبب، فدعا لها النبي صلى الله عليه وسلم فأذهب عنها الغيرة، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا فَسُرِرْتُ بِهِ قَالَ لَا تُصِيبُ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي قُلْتُ مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنْ الْقَرَظِ وَأَذِنْتُ لَهُ فَوَضَعْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَقَعَدَ عَلَيْهَا فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ بِهِ وَأَنَا امْرَأَةٌ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ فَقَالَ أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكِ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي قَالَتْ فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[١]

١٢ ـ الاعتداء على الفتاة في الصغر:

قد يفترس ذئب نعجة بريئة لا تدري ما كنه هذه العملية فيفترعها هذا الحيوان تاركها تعتصر الألم في حاضرها وتتجرع الندم والحسرة في مستقبلها بعد وعيها ومعرفتها أنها قد فقدت بكارتها، وتسهر الليالي متذكرة هذا الحادث الذي أثر في مجريات حياتها.

---

[١] مسند الإمام أحمد، مسند أبي سلمة بن عبد الأسد، حديث رقم: ١٥٧٥١

وخصصت ذكر الاغتصاب وحددته بالصغر للآتي:

ـ تستطيع الكبيرة التي تتعرض للاغتصاب الدفاع عن نفسها غالبا وذلك بصياحها وامتناعها وفضح من قام باغتصابها وإشهار أمره مما يوجد لها عذرا في المجتمع وتعاطفا منه معها وقد يقوم أحدهم بالإقدام على الزواج منها.

ـ الكبيرة المغتصبة إن آثرت الصمت ولاذت بالسكوت يكون في مخيلتها محاولة إصلاح ما أفسده هذا الذئب بعملية ترقيع البكارة.

والاغتصاب من أقوى أسباب عنوسة الفتيات لأنهن يمتنعن عن الزواج خشية الفضيحة والعار فيفضلن عدم الزواج متذرعات بمواصفات ومقاييس لا توجد في رجال الدنيا حتى يفشل زواجهن ولا يكتشف أمرهن.

فالمغتصبة لا تستطيع مصارحة أهلها لأنهم سيقتلونها رغم أنهم قد يكونون هم السبب الرئيس في اغتصابها.

ولنأخذ قصصا من اغتصاب فتيات تسبب هذا الاغتصاب في عنوستهن وصرفهن النظر عن الزواج وهي مأخوذة من موقع : العانس على الإنترنت.

قصة رقم : ١

كنت صغيرة عند الحادثة التي مزقت كياني وجعلتني أسيرة التفكير والأرق وجعلت الأرق مهربي الوحيد أو سندي في حياتي.

أستطيع القول بعد كل هذه الأعوام إنني أحمل قلبا أسود لأني أكتم كل ما فيني ولا أبوح لأحد وهذا هو الشيء الذي يسود علي عيشتي، كلما أردت الكلام أو الحديث بموضوعي مع أمي أتلعثم، لا أجد الكلام يخرج وأفضل السكوت، عشر سنوات أكتم، عندما كنت بالعاشرة من العمر كنت أخاف البوح بسبب تهديد الجاني. أما الآن وبعد أن كبرت وفهمت ودرست وقرأت لا أريد البوح خوفا من ردة فعل أهلي، هل

سيتقبلونني كما أنا أم سيغضبون من كتماني؟ أم أن هنالك ردة فعل سيئة جدا قلت في نفسي الكتمان أحسن فلماذا أعذبهم؟

أحاول الآن أن أتبع أشياء للنسيان اليوغا الأكل كل هذه الأشياء لم تنفعني فكرت بالطبيب النفسي ولكن لا أحب قول ما في نفسي لا أريد مع ذلك أحترق يوما بعد يوم وأتذكر كل لحظة في الحادث فهو كالفيلم يعرض في صالات دماغي الأزمة دمرت طفولتي ومراهقتي وها هي تستمر في تدميري أصبحت الآن بالعشرين وإن قررت الزواج سوف لن أخفي على من اخترته حقيقة الأمر بل سوف يرضى بي كما أنا، إن كان يريدني، هذه قاعدتي والمشكلة أن أهلي يتساءلون عن سبب رفضي للزواج حاليا ويظنون أنني مجنونة بشروطي التي طلبتها، لم أطلب مالا ولا جاها ولا فرحا ولا ثوبا أبيض لكن أطلب الحماية والحنان وزوجا يرضى بغرفة لوحدي دونه لأجل مسمى.[١]

قصة رقم : ٢

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٨ عاما، طالبة في المرحلة الثانوية ومن عائلة محترمة، أعيش مع والدي وعمتي الوحيدة، إنها قاسية معي جدا وتكرهني، بسبب والدتي، إلى حد أنها تعيرني بأمي، التي من جنسية أخرى والتي انفصلت عن والدي منذ سبع سنوات بسبب عمتي وأنا أكره عمتي جدا. فأنا ابنة أبي الوحيدة. تصوري إنها أقنعت أبي بأن يتزوج ويحضر لي زوجة أبي تقوم بتربيتي، حسب زعمها، لأنها عجزت هي عن ذلك، فأنا أعيش في أسرة لا يسودها الحوار والصراحة. مشكلتي الأخرى التي أحتار فيها، هي أنني تعرضت للاغتصاب عندما كنت في السادسة من عمري على يد خادم كان يعمل عندنا، حسبي الله ونعم الوكيل. لقد دمر الخادم حياتي وحولها إلى جحيم، وزوجة أبي تريد أن

---

(١) مجلة الأسرة نيو استايل الشهرية مايو ٢٠٠١م

تزوجني لابن أخيها، وأبي موافق، وهنا تبدأ المشكلة، فأنا لا أستطيع مصارحة أحد من عائلتي، وخاصة أمي بمشكلتي، وذلك لأنها بعيدة عني كل البعد، وأبي يكرهها ولا يريد أن أكون على اتصال بها، وهذا شيء يعذبني جدا.

إنني لم أسمع صوت أمي منذ خمس سنوات لا أعرف أين أذهب لحل مشكلتي. (١)

قصة رقم ٣ :

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٩ عاما، أعاني من مشكلتين، الأولى بدأت وأنا في التاسعة من عمري عندما تعرضت للاغتصاب من قبل أحد أقاربي، فأنا أعاني من تأنيب الضمير كلما تذكرت ذلك، فأنا لا أستطيع أن أقول لأحد عن هذا الموضوع، لأنه مضى عليه وقت طويل.

وأريد أن أعرف. هل أستطيع الزواج من دون أن يفتضح أمري؟ كما أنني. هل أكون ظالمة الرجل الذي سأرتبط به، لأنني لم أخبره عن هذا الأمر ؟

أما المشكلة الثانية، فهي أنني أحب شابا منذ ثماني سنوات، واكتشفت عن طريق رجل فاضل أنه يتسلى بي. فكانت الصدمة كبيرة علي، ولم أستطع أن أصدق ذلك عنه لأنه على خلق ودين، كما أنه لا ينظر لأية بنت سواي، وذلك لقرب مترله من مترلنا. كما أنه عندما كنت في الصف الثالث الثانوي سأل أبي عن نتيجتي، وبارك له. فأنا أريد أن أعرف: ماذا يريد مني؟ وماذا تعني نظراته لي؟ وهل تصدقين أنه كلما تقدم لي شاب للزواج أشعر بالضيق الشديد، نظرا لما أعاني منه؟ (٢)

قصة رقم :٤

---

(١) زهرة الخليج عدد ١١٤٠ ، ٢٠٠١/١/٢٧م

(٢) زهرة الخليج العدد ١١٥٢ ، ٢٠٠١/٤/٢١م

أبلغ من العمر ١٦ سنة، وعشت طفولتي في صراعات بين أمي وأبي من ناحية، وبين أبي وأمي وإخوتي من ناحية أخرى، وبالرغم من أن والدتي وأختي تحيطانني بالرعاية والحب، إلا أن الرعاية لم تمنع خادمنا من اغتصابي في سنوات عمري الأولى.

وتكررت إغتصاباته لي عدة مرات آخرها وعمري ٨ سنوات، ثم رحل عن بيتنا، وأحمد الله لأنني لم أكن بالغة في تلك الفترة، وبعد رحيله بأربع سنوات رحل أبي بعد سنوات من الصراع مع أمي وأبنائه (أي أنه متزوج بامرأة أخرى قبل أمي). وهم ٤ أولاد و٣ بنات. وأخرجوا أمي من الميراث بحجة أنها مطلقة وهي ليست كذلك. ونحن الآن وبعد مرور ٤ سنوات على وفاة أبي لم ننته من مشكلات الميراث

أنا فتاة جميلة الوجه ورشيقة القوام، وبالرغم من مسلسل معاناتي الطويل، إلا أنني تعلمت أن أومن بقضاء الله وقدره. وأنا إنسانة متفائلة ولي روح مرحة وحيوية جدا، ولا أحاول التفكير في ماضي التعيس، بل أجعل نظراتي إلى المستقبل هي الأهم.

لكن مشكلتي هي أنني أركض وراء أحدهم حتى يحبني وحالما يصارحني بحبه، أصدمه وأرفض مع العلم أنني لم أخبر أحدا بقصة اغتصابي. ولكن عندما أتذكر ذلك أرجع إلى البيت خائفة وتنتابني نوبات من البكاء الحاد، ولا أخرج إلى الشارع حتى اليوم التالي. لكني بعد أيام أعود إلى حالتي الطبيعية. أحس بأني فتاة بائسة وليس لي الحق في الحياة. [1]

قصة رقم ٥ :

---

[1] زهرة الخليج العدد ١١٥٩ ، ٢٠٠١/٦/٢٩م

لقد ضاقت بي الحياة، فلم أعد أريد العيش فيها فترة أطول، أسمع من الناس أن الحياة جميلة، ولكن للأسف لم تعد جميلة بالنسبة إليّ. أحس بأنني أتعس إنسانة في الحياة، وأحس بأنني لا أستحق العيش في هذه الدنيا.

فأنا فتاة أبلغ من العمر الخامسة عشر عاما، من عائلة محترمة وعلى قدر كبير من الأخلاق، وطالبة في المرحلة الثانوية. والآن تسألين: لم أنا أكره (أن أكون في هذه الحياة) ولا أتمنى أن أعيش فيها فترة أطول؟ (لأني ظلمت فيها كثيرا) أولا بانفصال والدي عندما كنت في السابعة من عمري، فعشت طفولة تكاد تخلو من الحنان والعطف بسبب انفصالهما، وقامت بتربيتي جدتي، فعشت وحيدة أعاني من قسوة الأيام في هذه الحياة. فعندما أمرض لا أجد أمي إلى جانبي. وعندما أبكي، لا أجد من يجفف دموعي الحزينة والبريئة.

وثانيا، تعرضت للاغتصاب، وأنا طفله فعشت كل لحظات حياتي في رعب وخوف. وعندما سمعت أن زوجة خالي حامل، حسبت أنني أنا أيضا حامل فحاولت الانتحار.

رابعا: [1] لكنني لم أتصور أن (سيأتي ويخطبني شاب) ويقول: إنه يحبني ويريدني شريكة لحياته. فرحت بهذا الخبر، لكن ((يا فرحة ما تمت)) لقد تذكرت أنني لست عذراء وبكيت وحزنت، وكدت أموت من الغم. وفكرت وقلت في نفسي : إذا رفضته فسأخسره للأبد، وإذا قبلت به فسأخسر ثقته بي وسيكرهني مدى عمره. ومع ذلك قررت أن أرفضه وأن أبقى في خياله تلك الصورة للفتاة الطاهرة البريئة والوفية، ولكن

---

[1] لم تذكر الأمر الثالث.

ماذا أفعل؟ هذا مصيري في الحياة لكن تفكير يشغله ذلك (الخطيب)، الذي لن أنساه ما دمت حية، وأنا دائما أدعو له بالخير.

ستتساءلين أين أمي في مثل هذه اللحظات؟ وأنا أقول لك: إنها ليس لها حول ولا قوة، وهي غاضبة مني لأنني رفضت (خطيبي). وأنا لا أستطيع مصارحتها لأنني سأقتلها بهذه المصارحة. وأبي إذا صارحته فإنه سيقتلني ليغسل شرفه. وأقسمت بأن أحمل هذا السر حتى أموت. [١]

قصة رقم : ٦

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٨ عاما، أعاني من مشكلة مريرة دامت سبع سنوات، فقد انفصل والدي عن والدتي وأنا طفلة، وعشت طفولة خالية من الحنان. فالأب لا يستطيع أن يعوض حنان الأم. وأبي حاد الطباع، حتى إنني لا أستطيع التحدث إليه كباقي الفتيات. وأمي بعيدة عني جدا ولا أستطيع مصارحتها بالمشكلة. وأبي إذا قلت له عن المشكلة فسيقتلني، لأنه إنسان غير متفهم. أنا آسفة لذلك، ولكن هذه الحقيقة. ورغم ذلك فأنا أحب أبي وأحترمه.

مشكلتي المريرة هي شرفي، لقد فقدته وأنا طفلة. والسبب في ذلك هو الخادم، الذي كان يعمل في بيتنا، فاستغل الفرصة، حيث كان أبي في العمل، وأنا كنت طفلة لا أعرف شيئا. وحدث ذلك أكثر من مرة، والآن أنا أعيش حياة صعبة للغاية ولا أعرف كيف سأتغلب على مشكلتي المريرة. لقد تقدم لي أكثر من عريس، وأنا رفضتهم بسبب ذلك الشيء. ولكن الوالد، أقسم في هذه المرة أنه إذا تقدم لخطبتي أحد فسيزوجني. كلي أمل في أن تحلي لي مشكلتي (الأخصائية الاجتماعية). أرجوك أن تساعديني وتنتشليني

---

[١] زهرة الخليج العدد ١١٤٠ ، ٢٠٠١/١/٢٧م

من مصيبتي، التي أحس بأنها كالجبل على قلبي. وكل ذلك لأنه لا يوجد أحد إلى جانبي يساعدني، فأنا لا أستطيع الذهاب إلى أحد الأطباء في قريتي وعرض المشكلة عليه، لأن قريتي صغيرة جدا والناس يعرفون بعضهم جيدا.

أرجوك أن لا تهملي رسالتي وأن تردي علي في أسرع وقت ممكن، وأنا متلهفة لتلقي الرد. أخبريني ماذا أفعل، وماذا أقول، لكن لا تقولي لي أن أصارح الوالد، لأن هذا شيء صعب تتوقف عليه حياتي، وأنا وحيدة ويائسة. [١]

قصة رقم : ٧

فتاة تبلغ ١٨ سنة / ثانوي تقول بعد كلام لا علاقة له بموضوعنا فرأينا حذفه :

أود أن اذكر هنا أمرا ربما لابد من ذكره عندما كنت صغيرة في السادسة من عمري، وكنت أقوم بزيارة إلى بيت خالي قام ابن خالي باستدراجي والاعتداء علي، ووقتها لم أكن أدرك شيئا، وبقيت صامتة، على الرغم من أن هذا الأمر تكرر. وبعد ذلك تزوج ابن خالي من أختي، وظل بين الحين والآخر يحاول ملامستي وبقيت صامتة. [٢]

قصة رقم ٨ :

أنا فتاة في العشرين من عمري، أعيش مع زوجة أب لا ضمير لها، تجعلني أقوم بكل أعمال المنزل وحدي، وهي جالسة مع جيرانها طول اليوم تدخن السجائر وتحتسي القهوة، فإذا ما عادت إلى البيت قبيل عودة أبي من عمله، ووجدت أن الغسيل لم ينشر مثلا، تجرني من شعري، وتنهال علي صفعا وركلا، فإذا ما شكوت لأبي قسوتها، يقول لي: هي في مكانة أمك وتقوم بتربيتك وتعليمك.

---

[١] زهرة الخليج العدد ١١٦٦ ، ٢٠٠١/٨/٢٧م

[٢] كل الأسرة العدد ٤١١ ، ٢٠٠١/٨/٢٩م

الشيء الفظيع الذي أعاني منه هو أن لها ابنا من رجل آخر، يتردد على بيتنا أثناء وجود أبي في عمله أو خلال سفره، فتتعمد أن تتركنا وحدنا، وهو شاب فاسد يتعاطى (المخدرات)، يتحرش بي وهو قوي البنية لا أقدر على مقاومته، فينال مني ما يريد بعد أن يشل حركتي، ولقد شكوت لأمه مرارا، فتضحك باستهتار (وتطلب أن استحمله فهـو مثل أخي) هل أخي يمكن أن يفعل بي ذلك؟ فأدخل غرفتي وأبكي.

وذات يوم فوجئت به يأتي في الصباح ومعه زميله في عمله علمت منه أنه رئيسه جلسا يدخنان، فقالت لي أمه إنها ذاهبة لزيارة جارتنا، وتركتني معهما، فإذا بـه يقـتحم على غرفتي ويطلب مني أن أكون ((لطيفه)) مع رئيسه في العمل حتى يرضـى عنـه، فصرخت فيه: لن أفعل شيئا وبكيت، لكنه صفعني بقسوة ثم نادى صـاحبه إلى غـرفتي وأغلق علينا الباب.

وتكررت هذه الزيارات مع شبان آخرين من أصحابه، علمت منهم أنه يتقاضى ر م (مبلغ من المال) من كل شاب يأتي معه.

ابي أبي لا يعرف شيئا، ولا أجرؤ على مصارحته بما يحدث معي، فقد يقتلني، وهو لن يلقي يلقي اللوم على زوجته أبدا، لأنها تسيطر عليه سيطرة كاملة، ويصدقها في كل ما تقول، أفكر في الانتحار حتى أتخلص من عاري الذي فرضته على ظروف لا ذنب لي فيها، فأنـا لا لا أعرف مكانا لأخوالي أو أسرة أمي الذين انقطعت صلتهم بنا منذ وفاة أمي. [1]

ق قصة رقم :٩

---

(١) الميدان ، العدد ٤١٩ ، ٢٠٠١/٩/١١م

يستغل بنغالي ٣٢ سنة رغم إقامته الطويلة في منزل الأسرة ، غياب أولياء الأمور فيعتدي على الفتاة عدت مرات فيهددها بالقتل ثم يطلب السفر إلى بلاده ليغادر البيت تاركا طفله لا تتجاوز الرابعة عشرة وجنينا يتحرك في أحشائها .[١]

قصة رقم : ١٠

خادمة نشيطة نظيفة، كسبت مودة أهل البيت ومحبتهم حتى البنت المراهقة في الأسرة، ومن ثم استغلت الخادمة هذه الثقة فأتت عن طريق زوجها السائق بأفلام الجنس لتجنس أمامها البنت وتراها ومن ثم تدعو زوجها للدخول على البنت ويفعل بها الفاحشة.[٢]

تعقيب على السابق لا بد منه :

قبل أن نعقب على القصص السابقة يجدر بنا أن نتناول آثار الاغتصاب وإلى متى يستمر الأذى النفسي الذي يلحق بالمغتصبة؟ هل يستمر يوماً؟أسبوعاً؟ شهراً؟ سنة؟ أكثر من ذلك؟وإلى أي مدى يبلغ هذا الأذى بالمغتصبة؟ هل يبلغ بها إلى حد الكآبة ؟إلى حد الحزن؟ إلى حد العزلة والانطواء؟ إلى حد التفكير في الانتحار والإقدام عليه؟جاء في دراسة نشرت في مجلة "محفوظات الطب النفسي العام " أن النساء اللواتي تعرضن إلى اعتداءات جنسية قبل سن السادسة عشرة هن أكثر ميلا" إلى الانتحار من بقية النساء. ولاحظت الدراسة التي أعدها باحثو المركز الطبي في جامعة "ديوك " في الشمالية"، وشملت ٢٩١٨ امرأة تعرضن لاعتداءات جنسية في شبابهن المبكر، أن ١٤،٩في المائة منهن حاولن الانتحار، بينما تتدنى هذه النسبة إلى ١,٤ في المائة عند من لم يتعرضن لمثل هذه التجربة. ويؤكد "جوناثان ديفيدسون " الباحث في مركز علم النفس والسلوك أن

---

(١) الخليج العدد ٨١٤٣ ، ٢٠٠١/٩/٤م

(٢) كتيب : كيف تعامل خدمك؟ أم عبد الله بنت خالد ص ٤٠

هناك علاقة واضحة بين محاولات الانتحار والتعرض لاعتداءات جنسية في سن مبكـرة. هل رأيتم كيف أن من حاولن الانتحار ممن تعرضن لاعتداءات جنسية هن عشرة أضعاف من لم يتعرضن لهذا الاعتداء؟!ألا يشير هذا إلى أن جريمة الاغتصاب تحفر في أعماق نفس المرأة أخاديد ألم لا يمحوها مرور الزمن؟!! قد يحاول بعض المماحكين أن يفسـر جريمـة الاغتصاب بأنها نتيجة كبت جنسي،ومن ثم فهو يدعو إلى مزيد من التحلـل والإباحيـة للتخفيف من هذا الكبت المسبب للاغتصاب.وهذه دعوى باطلة؛ لأن المجتمـع الغـربي، الذي تتزايد فيه جرائم الاغتصاب، بلغ درجة من التحلل والإباحية لم يبلغهـا مجتمـع آخر.كما أن المجتمعات المسلمة، رغم عدم تمسكها التام بالإسلام، تنـدر فيهـا جـرائم الاغتصاب مع قلة التحلل والإباحية.وهذا ما أكدته الدراسات، ومنها دراسـة للباحثـة "بيغي ربفزساندي " التي وصلت إلى أن الاغتصاب استجابة لتنظيم اجتمـاعي معـين لا حاجة بيولوجية. ووجدت من مقارنة معلومات عن ١٥٦ مجتمعا، أن السلوك الجنسـي عند الإنسان يتخذ صوراً ثقافية معينة، حتى ولو كان حاجة جنسية.نصف المجتمعات، التي تناولتها الدراسة المذكورة، لا أثر فيها للاغتصاب، أو أنه نادر فيها. في حين أن النصف الآخر منقسم بين اعتبار الاغتصاب تدبيراً اجتماعياً لتهديد المرأة أو معاقبتها وبين اعتباره ظاهرة ولو أنه محدود.لم يكن للاغتصاب أثر في ٤٧% من هذه المجتمعات، ومحـدود في ٣٦% منها، وقائم فعلاً في ١٧% منها. [1]

---

[1] نقلا عن كتاب إنهم يتفرجون على اغتصابها لمحمد رشيد العويد الاغتصاب. ألم لا يمحوه الـزمن. نقلا عن موقع العانس

ــ معظم حالات الاغتصاب التي مرت بنا وصرحت صاحباتها بالمغتصبين لهن نجدهم إما أن يكونوا من الخدم ويمكن أن تشارك في الجريمة خادمة كما في القصة رقم : ١٠

أو أن يكون المغتصبون من الأقارب عدا القصة رقم : ٨ والتي كان صاحبها ابن زوجة أبي المغتصبة.

ــ حوادث الاغتصاب لا تنسى بل تكون محفورة في ذاكرة الفتاة.

ــ تشتط المغتصبة في مواصفات الزوج وتجعلها شبه خيالية حتى لا يوافق عليها أحد فستر نفسها بذلك. كما في القصة رقم: ١

ــ أكثر حالات الاغتصاب حدثت في حالة طلاق الوالدين ووجود البنت بعيدة عن الأم أنظر قصة رقم : ٢ وقصة رقم : ٤ وقصة رقم : ٥ وقصة رقم : ٦ وقصة رقم : ٨

ــ الغفلة عن الأطفال وتركهم للخدم في البيوت والقول أن هؤلاء الخدم أمناء هذا قول ليس صحيحا فالخدم غالبا عزاب وفيهم حقد لفقرهم وحب للانتقام ممن يعلمون معهم لظلم كثير من أصحاب العمل لهم والواحد منهم إن وجد شيئا غفلت عنه العيون اختلسه وإن وجد عرضا نام عنه حارسه انتهكه. انظر القصة رقم : ٢ وقصة رقم : ٤

ــ القول بأن هؤلاء أطفال صغار دون البلوغ ولا يعرفون شيئا عن أمور النساء عجز وتفريط فالحضارة لم تترك جاهلا في مثل الأمور ولا طفلا صغيرا كما أنه يجب حفظ الأولاد والبنات من ذئاب الأقارب الذين لا خلاق لهم ولا أخلاق عندهم. قصة رقم : ٣

ـ كثير من المغتصبات من غوافل النساء اللاتي لا تزن إحداهن بريبة ولا يعرفن الفاحشة ولا عواقبها فإحداهن لا تعرف هل الاغتصاب يذهب البكارة أم لا انظر القصة رقم : ٣

ـ قلة التجربة وضيق الأفق سمة عند مغتصبة ذكرت أنها ستتزوج وستخبر زوجها بحقيقة الأمر فإن قبل فبها ونعمت وإن رفض ففي ستين انظر قصة رقم : ١

أظن أن هذا الكلام لا يصدر عن عاقل يعرف طبيعة الشعوب العربية.

ـ على الآباء فتح صدورهم لبناهم وجلوسهم معهن وخلق روابط صلة قوية بينهم وبينهن، فقد يكون للبنت ما تود أن همس به لأبيه من مضايقة زيد أو عمرو لها فإخبارها لوالدها يوقفه عند حده قبل أن يقع المحذور.

ـ على الآباء وأولياء أمور الفتيات معرفة أسباب عزوف البنت عن الزواج وتقصي الأمر فإن كان قد حدث ما يكره عليهم ملافاة الأمر وتدارك الحال ومعالجة ورتق غشاء البكارة وتزويج الفتاة تزويج الأبكار وكتمان الأمر وإذا كشف أمر بكارة الفتاة فيمكن التعريض بأنها قد ذهبت بحادث وأن البكارة يذهبها المرض والحيض والوثبة.

الفصل الخامس

أسباب العنوسة عند الفتيان

١ـ إطالة أمد الخطبة

٢ ـ التمسك بمبدأ تكوين النفس ومطاطيته

٣ ـ عدم الاستعداد لتحمل مسئوليات الزواج وما ينتج منه

٤ـ تكرار الرفض للفتى مما سبب له إحباطا وعزوفا عن الزواج

٥ـ إعالة الفتى لأسرته

٦ـ العطالة

٧ـ الانشغال بالسفر

الفصل الخامس

أسباب العنوسة عند الفتيان

للعنوسة عند الفتيان أسباب عدة نجتزئ منها بالآتي:

١ـ إطالة أمد الخطبة :

قد يخطب شاب فتاة فترة من الزمن ويعمل الشيطان عمله مثبطا الخاطب عن هذه الفتاة ويلقي في روعه أن فلانة ـ فتاة يزينها له الشيطان ـ أكثر من التي خطبها جمالا وأدبا وعلما وأهلها لهم وضع اجتماعي متميز أكثر من الفتاة التي خطبها ، أما الفتاة التي خطبها فهي من أسرة فقيرة جاهلة متخلفة ويصفهم بما شاء من صفات كانت في السابق حسنات لها وهي التي رغبته في التقدم لخطبتها واختيارها على غيرها من الفتيات وعلى التي زينها له الشيطان حاليا فهي كانت موجودة ولم تكن مخطوبة فصارت حسنات التي خطبها سيئات بتزيين الشيطان ومن ثم يعمل الشاب تفكيره في الخلاص منها والفكاك من الوقوع في حبالها فيبدأ في المراوغة والزوغان ومحاولة إطالة أمد الخطوبة كما أن الشيطان لا ينسى أن ينال المخطوبة بشظية من شظاياه ويصيبها بوسوسته فيريها أن هذا الخاطب متردد وأنه غير صادق وأنها لو تخلت عنه وطلبت منه فسخ خطوبتها فإنها ستظفر بأفضل منه فزيد وعمرو وأمثالهما من غير المتزوجين أكثر من عدد الرمل وهما أكثر غنى وتعليما وجمالا وقوة وشبابا أما هذا الشاب فهو قبيح المنظر، كريه الشكل ، ضعيف البنية ، أسود اللون قصير القامة ، وهو رغم أنه من أسرة متواضعة جدا فله أخوات متكبرات ، وأم سمعنة نظرنة أعوذ بالله من شرها وأسأل الله أن لا يوقع عزيزا لدي في حبالها فهي ككلب السوء الذي يتلمظ بدم عراقيب الضيفان . وذلك بتحكمها في كل فرد من أفراد بيتها بدأ من أبيهم الذي يقبع بين يديها قبوع الفأر أمام الهر ضعفا أمامها واستكانة منه لها ، وهي تحاسب كل أحد في البيت على كل شيء وعن كل شيء

فلا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها وحاسبت عليها وتتحول كل حسنات الشاب السابقة وحسنات أمه وأخواته التي رغبتها في الموافقة على خطبته عند تقدمه لها إلى سيئات ومساوئ ومعائب فتبدأ هذه البنت المسكينة في معاكسة خطيبها والتمرد عليه بغية التخلص منه والإفلات من شباكه وعدم الوقوع في شراكه، وكل هذه الأشياء من أقوال وأفعال تصل إلى الخاطب من عدة مصادر بعضها حادب على الشاب وبعضها حاسد له وللتي خطبها يريد أن لا يتم هذا الزواج.

وتنسى الفتاة في غمرة تفكيرها أو تتناسى طوفان عنوسة البنات والأرتال المنتظرات منهن للزواج كما أنها تنسى أخواتها في البيت اللاتي لم يتزوجن إلى الآن.

وكما يقال: خير البر عاجله، [1]والتسويف والتأخير من الشيطان فلو حزم هذا الشاب أمره وأتم ما بدأه من خير بتتويج خطوبته بالزواج السريع كان ذلك أقرب مدعاة للم الشمل ورأب الصدع وجمع الشتات، ولو أخر خطبته فإن الشياطين تحاول تأخيرها وإرجاءها والتثبيط عنها والشياطين كما نعلم نوعان يناصر بعضها بعضا ويعاضده ويساعده قال الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [2] وهذان النوعان كما في الآية السابقة هما:

---

[1] قال ابن عباس: لن يصلح المعروف إلا بتعجيله وستره وتصغيره، فإنك إذا عجّلته هنأته، وإذا سترته أتممته، وإذا صغّرته عظمته، وإذا مطلته نكّدته ونغّصته.[كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ٥٧]

[2] سورة الأنعام آية ١١٢

ــ شياطين[1] الجن وهم الذين يهمهم من إطالة الخطبة عدم إتمامها بغية انتشار الفساد والفواحش بين الناس فدأبهم التفريق بين المتزوجين ابتداء : فعَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ قَالَ الْأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ فَيَلْتَزِمُهُ.[2] فإذا كان الشيطان يفعل هذا مع المتزوجين فما بالك بالذين هم على عتبات الزواج وبدايته.

ــ شياطين الإنس وهدفهم من عدم إتمام هذا الزواج وإكماله الحسد منهم لأن هذه البنت قد ظفرت بزوج ليس في مقامها في ظنهم فاستكثروه عليها، ويأتي هذا الأمر كثيرا وبخاصة من البنات العوانس من قريبات الخاطب اللاتي كانت تطمع الواحدة منهن أن يكون هذا الخاطب من نصيبها هي،[3] فطالما أنهن عوانس لم يظفرن بأزواج ولا خاطبين ولا أمل لهن في القريب العاجل على ما يبدو في الأفق فلماذا تخطب هذه البنت وتتزوج ونترك نحن ، فنحن أقرب رحما منها لهذا الخاطب وأولى منها ببره ومعروفه ولا بر ولا معروف أكبر من أن يتزوج واحدة منا ومن ثم فإنهن يهمسن في أذن هذا الخاطب

---

[1] الشيطان: معروف وكل عات متمرد من الجن والأنس والدواب شيطان. قال ابن قتيبة: قال محمد بن إسحاق: إنما سمي شيطانا لأنه شطن عن أمر ربه، والشطون: البعيد النازح، ومنه قيل : نوى شطون وبئر شطون. (غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ص٣٦٧)

[2] صحيح مسلم: كتاب صفة الجنة والنار باب : تحريش الشيطان وبعثه سراياه مسلم بشرح النووي ج٨ص١٣٨

[3] ويشاركهن في هذا الشعور أخواتهن المتزوجات وأمهاتهن

زاعمات النصح له فهو أخوهن: بأن هذه الفتاة كذا وكذا، وأنه لو تخلى عنها فإن سليمى وسلمى والرباب وغيرهن كثيرات في انتظاره وأنه بإشارة من إصبع قدمه فإن الواحدة منهن توافق عليه كما أهن لا ينسين أن ينصحن ـ في زعمهن ـ هذه الفتاة بأن هذا الخاطب كذا وكذا وأهن شفوقات بها نصوحات لها فهي غرة صغيرة لا تعرف مكر الرجال وخداعهن فخذي حذرك واقعدي لخطيبك هذا كل مرصد وأنك لو تخليت عنه وصرفت النظر عنه فإنك ستجدين الآلاف من الشباب الذين يتمنونك ودلالة على ذلك فإن زيدا ذكرك قبل أيام وقال عمرو أيضا: لو كانت فلانة غير مخطوبة لتقدمنا لطلب يدها، ولاقترعنا على الفوز بها، والظفر بالزواج منها ونيل قربها، وهن كاذبات في أقوالهن فتصدق البنت المسكينة هذه الأقوال وتحاول التخلص من خطيبها وبعد أن يتم لها ما أرادت تنقشع السحب أمامها على سراب بقيعة ويأتي صاحبات الأمس اللاتي نصحنها يأتين حولها عاذلات لائمات ويصفنها بقلة العقل والحمق وأنها أضاعت فرصة من يديها لا تعوض وأن زيدا وعمرا وصفاها بالعقوق والغدر وعدم الوفاء ولهذا صرفا النظر عنها.

الـ التمسك بمبدأ تكوين النفس ومطالبته:

بعض بعض الشباب لا يفكر في الزواج بحجة أنه يريد أن يتزوج من غير إعانة أحد له من والد أو أخ أو غيرهما من الأهل والأقارب والأصدقاء وهذا الأمر في حد ذاته ـ الاعتماد على النفس ـ مما يحمد عليه الشاب ويجب أن تنميه الأسر في كل شبابها لأنه مؤشر لاهتمام الشخص لأنه يجعل الشاب أهلا لتحمل المسئولية وتبعات الزواج من نفقة وتأسيس بيت وخلافه من متطلبات الزواج.

وقد وقد يكون رفض الشاب لقبول إعانة أحد من أهله زعمه أن إعانة والده تؤثر في اختياره لأن بعض الوالدين يرهن مساعدة ابنه بأن يتزوج ابنه فتاة معينة يعينها ويحددها له وإن تجاوزها إلى غيرها وإن كانت أختها فلن يساعده وهذا المبدأ والتصرف من الوالد

لا شك أنه خطأ محض وتصرف غير مسئول كما أنه لا يجب على الابن أن يتزوج من يختارها له والده ولا يعتبر مجاوزتها إلى غيرها عقوقا لوالده ولكنه عليه مداراة والده وملاينته وعدم جبهه برفضه لمن اختارها له وقد يكون الفتى غض العود لدن الجذع قليل الخبرة تخرج لتوه من الجامعة وظفر بوظيفة يراها كثيرا دون مؤهله ودون ما يستحق ولكنه قبل بها لأنه لا يريد أن يجلس عاطلا ومتطلبات الحياة لا يفي بها راتبه البسيط وهذه المتطلبات في زيادة مستمرة وراتبه لا يتجاوز ملبسه ومصاريف عمله من مواصلات ونحوها و كما أن طبيعته المبذرة ويده المبعثرة للفلوس لا تساعد على جمع ما تبقى من فتات راتبه إن كان قد بقي منه شيء.

ومن ثم يزهد هذا الشاب في أن يفي هذا المتبقي من الراتب بشيء من تجهيزات الزواج والاستعداد له وإن أفلح واشترى شيئا فإن أشياءه تتسع ومتطلباته تزداد وأن بيته ــ الذي بناه في خياله ــ والذي لم يحدد أوتاده بعد من زوجة يحتاج إلى كذا وينقصه كذا ولا بد له من كذا وأنه لا يستغني عن كذا وأنه يعوزه كذا وتزداد هذه المتطلبات بتتابع الزمان وتمضي الأيام والأسابيع والشهور وتتعاقب السنون والأعوام ويخط الشيب رأسه وعندما يلتفت إلى نفسه يجدها قد وصلت إلى مرحلة تجاوزت فيها السن المتعارف عليها في الزواج بين الناس فيعود هذا الأمر هاجسا ومثبطا له ومن ثم يزهد في الزواج.

فعلى الشاب ابتداء الاقتصاد في صرف ما يتحصل عليه من فلوس لتساعده في أمور زواجه كما أن عليه ألا يشتط في طلباته وفي مبدأ تكوين نفسه فكل أهل الدنيا يرون أنهم تنقصهم أشياء مهمة جدا لهم، فأغنى أغنيا الدنيا لو سئل عما ينقصه لحسب ولعدد أشياء كثيرة جدا، ولوجدنا أنه تنقصه حسب زعمه أشياء أكثر مما تنقص الفقير.
كما أن على الشاب أن يقبل مساعدة أبيه فلا حرج في هذا الأمر البتة ولا جرح فيه لكرامته. فَعَنِ ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه

وسلم كَانَ يُعْطِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَطَاءَ. فَيَقُولُ لَهُ عُمَرُ: أَعْطِهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ. وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ، وَمَا لاَ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ".قَالَ سَالِمٌ: فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لاَ يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً. وَلاَ يَرُدُّ شَيْئاً أُعْطِيَهُ. [1]

٣ـ عدم الاستعداد لتحمل مسئوليات الزواج وما ينتج منه:

للآباء في عدم تحمل الأبناء للمسئولية واستعدادهم نصيب وافر لأنهم قصرّوا في تعويد أبنائهم على تحمل المسئولية وتبعاتها فالشاب غالبا يكون تحت مسئولية والده منذ ولادته إلى أن تتقدم السن به ويقوم والده بتزويجه بمن يحب والصرف عليه بعد زواجه،[2] وقد يكون الشاب غرا ساذجا بسيطا يظن أن الحياة كلها لعب وضحك فيصرف كل وقته في الهزل ويجعل كل اهتمامه في المزاح فشاب مثل هذا لا يفكر في الزواج وإن عرفه الذين تقدم لهم لخطبة ابنتهم فإنهم لا يعطونها له وإن جهلوا أمره وتزوج فإن زواجه لا يوفق لأنه غير مسئول ولا مبال ولا مكترث بما يحدث له ولا لزوجته ولا يهمه أمر من الأمور والحياة الزوجية ليست كلها عسلا ولا مزاحا فهو قد تعود على الضحك وقد يكون الشاب لا يريد الزواج لأنه لا يريد زوجة يصرف عليها ويتحمل مسئوليتها وذلك لبخل فيه وشح في تركيبته.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف / سنن النسائي، كتاب: الزكاة، باب: من آتاه الله عز وجل مالاً من غير مسألة، حديث رقم: ٢٥٩٦

[2] على الآباء السماح لأبنائهم وإعطائهم قدرا من الحرية تمكنهم من تأهيل أنفسهم وتدربهم على تحمل المسئولية .

وأذكر أنني في صباي أوصاني أحدهم مقترحا علي أن أتزوج من بنات خارج العاصمة. فسألته لماذا؟ فقال: إن بنات القرى سمان، وإن بنات العاصمة ضعاف مهازيل مما قد يكون سببا في موت الواحدة منهن. فتكون قد خسرت مالك.

فهذا الموعي جعل كل اهتمامه في خسارة تكاليف الزواج ولم ينظر إلى ما يتكلم عنه وهو موت الزوجة الذي لم يحرك فيه ساكنا وكأنها موت بقرة أو تلف قطعة أثاث، ولعل هذه الحاجيات والأثاثات عنده أهم.

٤ـ تكرار الرفض للفتى مما سبب له إحباطا وعزوفا عن الزواج:

قد يتقدم شاب لفتاة من الفتيات، فترفضه هذه الفتاة معللة رفضها أو غير معللة لرفضها، فيصفها بالجهل والغرور وأنها أضاعت فرصة واتتها وذلك بتقدمه لها ثم يتركها ويتقدم لخطبة فتاة ثانية غيرها، فترفضه وتجرح كبرياءه ، فيستغرب ويتعجب من سذاجة فتيات هذا العصر وخفة عقولهن مع هذه العنوسة المخيمة عليهن، ثم يحزم أمتعته ويذهب لفتاة ثالثة خاطبا لها فترفضه كذلك فيتوقف هذا الرجل مع نفسه وقفات ويسألها أسئلة هذه ثالث مرة أرفض فيها فما السبب في ذلك ويظن هذا المسكين أن إجماع هؤلاء الفتيات الثلاثة على رفضه راجع لعلة به، ولنقص كامن فيه، إذ ليس من المعقول أن تكون الفتيات الثلاثة جاهلات ومغرورات وغبيات ومخطئات وأنه المبرأ من كل عيب فهو كأنه خلق كما يشاء، فهذه العلة فيه لا ريب ولا مرية في ذلك فيعزف الشاب عن خطبة فتيات غيرهن ويحجم عن التقدم لسواهن ويرفض النساء ويتقوقع على نفسه.[1]

---

[1] قال سفيان الثوري إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم.[المستطرف ج ٢ ص ١٢٢]

ولكن يجب على الفتى أن يتساءل لماذا رفضته هؤلاء الفتيات مع هذا الطوفان العارم من العنوسة وهن اللاتي أقضت العنوسة مضاجعهن وأقلقت راحتهن ومنعتهن النوم بالليل وشغلتهن بالنهار وهن يرين أن زوجا من عود خير من قعود بغيره.

ولنفترض افتراضات جعلت البنات يرفضن هذا الشاب ولا يقبلنه زوجا وفضلن قعودهن في البيت من غير زواج:

ـ أن يظن الفتى أن بوار سوق البنات والعنوسة الضاربة الأطناب الثابتة الجذور وهذا الكم الهائل من الفتيات الذي ملأ المدارس والأسواق والشوارع والبيوت والمكاتب ودواوين الدولة يجعله يظفر بمن يريد منهن وبمن شاء منهن بإشارة من يده أو غمزة من عينه فيشتط في اختياره ويتعدى طوره وذلك لتقدمه لفتاة يعلم سلفا رفضها له ولأسرته لأسباب مجتمعة فيه وفوارق اجتماعية [١] واقتصادية وتعليمية وفوارق في السن والعمر. واختلاف في اللون والسنحة فقد يكون المتقدم لونه كالغراب سوادا ووجهه كالقرد [٢] قبحا ودمامة[٣] ورأسه كالثغامة بياضا وهو يرغب في بيضاء رعبوبة، بالشحم مكروبة، بالطيب مشبوبة، ـ كما ذكر ذلك امرؤ القيس ووصف أنها من متع الدنيا ـ فمن الطبيعي أن ترفضه هذه الفتاة، ولو تقدم لواحدة قريبة منه لقبلته واقترنت به ولكنه رام

---

[١] انظر: قصة يسار الكواعب. [كتاب الأذكياء، لابن الجوزي، ص ٢٢٨]

[٢] قيل: اطَّلَعَ الْقِرْدُ فِي الْكَنِيف. فقَالَ: هَذِهِ المِرْآةُ لِهَذَا الْوَجْه الظريف. [مجمع الأمثال، للميداني، ج١ ص ٢٢٤ / المستطرف ج ١ ص ٧٠]

[٣] قال المتنبي:

وإذا أشارَ محدثاً فكأنه قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطمُ

مراما بعيدا في مجتمعه. وكما أن المتقدم قد تكون ظروفه الصحية غير ملائمة للفتاة فهو قد يكون ضعيف البنية جدا أو أنه يعاني من مرض يزهد البنات فيه.

ـ أن يكون هؤلاء الفتيات اللاتي تقدم لهن الفتى على درجة كبيرة من الجمال والمكانة المرموقة، وأمثالهن لا تمتد عنوستهن، وهن يطمعن في زوج أفضل منه في كل الصفات، ولذا رفضنه.

ـ أن تكون للفتى شروطا معينة يطلبها في مخطوبته ويكون هو دون هذه الصفات التي اشترطها كثيرا.[1]

فيا أيها الشاب: اعلم أن البنات غير المتزوجات أكثر من الهموم على قلوب الناس بل هن هم من همومهم فهن هم لآبائهن ولإخوانهن ولكل ذي قرابة منهن ولا يعني هذا أن هؤلاء الآباء والأبناء والقرابة سيوافقون على كل من يقرع الباب خاطبا لابنتهم فيضيفون هما جديدا إلى همومهم من ثوران مشاكل وقيام خصومات بين المتقدم لابنتهم وبينها مستقبلا وذلك لفظاظة هذا المتقدم وغلظته وشدته ولا يريدون أن يشمت بهم أهلهم وعشيرتهم وأقرانهم من أصدقاء وجيران ومعارف بإعطائهم ابنتهم لهذا الرويبضة من رويبضات المجتمع والنكرة من نكراته ففكر في أمر تقدمك للزواج جيدا قبل أن تتقدم وقدر لرجلك قبل سيرها حتى لا تزل وتسقط سقطة لا قيام بعدها ولا جبور منها، فعليك أن تكون حصيفا وأن تعرف أن تضع قدمك، قال محمد بن بشير:

---

[1] انظر إصرار الفتى على لون وصنف وصفة معينة من الفتاة التي يرغب في الزواج منها في هذا الكتاب.

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرة زلجا[١]

حتى وإن رفضت فلا تكون الصدمة عليك كبيرة فقد يقولون لك: إن البنت اعتذرت بأنها تريد أن تقرأ وتواصل دراستها [٢] أو غيرها من أسباب الرفض المغلفة التي يستعملها المجتمع ويلقنها للفتيات لصرف من لا يحبون بالحسنى ، لأنه لا يعني أن كل من تقدم لامرأة مشابهة له ستقبل به من غير تردد فقد ترفض.

وفي الحقيقة إن المرأة لا تريد زوجا تسب به لأن المجتمع لا يرحم أمثال هذه الحالات ولا يغفلها ولا يراعي دافع هذه الفتاة للموافقة على هذا الزواج ويلتمس لها عذرا بأنها عانس طفح بها مكيال عنوستها فوافقت على هذا الروبيضة من الرجال محتذية قول القائل: زوج من عود خير من قعود، بل يطلق لسانه بما حدث ويزيد عليه من عنده من باطل يأتفكه وكذب يوشيه وفاكهة نساء يستعذب أكلها، ويجادلها بأن العود أفضل من زوجها هذا، والمجتمع يسخر من موافقة المرأة على الزواج من هذا الصنف من الأزواج من جانبين: الجانب الخَلقي والخُلقي على السواء، ومن أمثلة سخرية المجتمع ما ذكره ابن منظور بقوله: رجل مُمْقَرُّ النَّسَا، بتشديد الراء: ناتِئُ العِرْق؛ عن ابن الأَعرابي؛ وأَنشد:

---

[١] الإدارة في التراث الإسلامي ، ص ٣٧

[٢] ذكر أن شابا كان يتقدم للزواج من فتيات هن في نظر المجتمع لسن من طبقته فيصرفه أهلهن صرفا مهذبا قائلين له: بنتنا تريد أن تقرأ، ـــ أي تواصل دراستها ـــ وفي مرة من المرات رآه رجل وقال له: إني سأزوجك ابنتي. فرحب الشاب بهذا الأمر وأكبره من هذا الرجل إكبارا عظيما. وعندما رأى العروس المرتقبة وجدها في غاية القبح والدمامة وتقدم السن فما كان منه إلا أن قال: أنا أريد أن أقرأ.

نَكَحَتْ أُمامةُ عاجِزاً تَرْعِيَةً   مُتَشَقِّقَ الرِّجْلَيْنِ مُمْقَرَّ النَّسا[١]

وقال:

تَزَوَّجْتَ مِصْلاخاً رَقُوباً خَضِيرَةً،[٢] فَخُذْها   على ذا النَّعْتِ، إن شِئْتَ، أَوْ دَعِ[٣]

وكثير من النساء والفتيات تفضل الموت والعنوسة على الاقتران بمن يشينها وتعاب به قال المتنبي:

وإذا لم تجدْ من الناسِ كفؤاً   ذاتُ خِدْرٍ تَمَنَّتِ الموتَ بَعْلاً

وكثير من الناس بل جلهم إذا تقدم لامرأة ورفضت ثم بدأ لها فوافقت عليه ورغبت فيه فإن الرفض في هذه المرة يكون منه لهذه المرأة وليس لجنس الزواج فيتزوج غيرها تاركا لها عازفا عنها، وكانت هذه صفة لنبينا صلى الله عليه وسلم، فكان إذا خطب فرد لم يعد. فخطب امرأة فأبت ثم عادت، فقال: قد التحفنا لحافا غيرك[٤]

قال المناوي : (كان إذا خطب) امرأة (فردّ لم يعد) إلى خطبتها ثانيا (فخطب امرأة فأبت ثم عادت) فأجابت (فقال قد التحفنا لحافا) بكسر اللام كل ثوب يتغطى به كني به عن المرأة لكونها تستر الرجل من جهة الإعفاف وغيره (غيرك) أي تزوّجت امرأة غيرك وهذا من شرف النفس وعلو الهمة.[٥]

---

[١] لسان العرب، مادة: مقر

[٢] الخَضِيرَةُ من النساء: التي لا تكاد تُتِمُّ حَمْلاً حتى تُسْقِطَه.

[٣] لسان العرب، مادة: خضر

[٤] رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا وحسنه السيوطي (انظر: الجامع الصغير، حديث رقم: ٦٦٦٠؛ كنز العمال، حديث رقم: ١٨٣٢٦

[٥] فيض القدير، حديث رقم: ٦٦٦٠

٥- إعالة الفتى لأسرته:

قد تخترم المنايا الوالد فتأخذه مؤثرة له عن غيره تاركا وراءه زوجة شابة وأولادا وبنات عدة ، أو قد يصاب بإصابة تعيقه عن العمل أو تتقدم به السن فيعجز عن العمل. فيتحمل الولد المسئولية غالبا فيترك دراسته إن كان يدرس في مرحلة من المراحل الدراسية سواء أكان في المرحلة الثانوية أو الجامعية ويبحث عن عمل يقوت به أمه وأخواته ويعمل ليل نهار ليوفر لهن لقمة العيش الكريمة ويكف أسرته ويغنيهم عن سؤال الناس ويحفظ ماء وجههم مما تجود به فتات موائدهم من صدقات هي لسقاط الناس وأوساخهم.

ويكون هذا الشاب كله أمل أن تتزوج أخواته ويأتي لهن أزواج صالحون أو كما يقولون : ابن الحلال الذي يسعدهن ، وليس هدف الابن من ذلك أن تذهب أخواته من طريقه ويفتك منهن وأن يتفرغ لنفسه ليتزوج هو ولكن يكون هدفه أن يتزوج الأخوات وأن يساعفهن الحظ فيظفرن بأزواج يكونون سببا لسعادتهن تعويضا لهن عما قاسوه من يتم وفقدان أب في صغرهن .ويكون هذا الأمر بالنسبة له من أعظم السعادة وأمنى الأمنيات التي يرجوها أن تتحقق.

ومما ينبغي التنبيه عليه ووضعه في الأذهان أن وفاة الوالد لا تؤثر على الفتيان في عدم مبادرتهم للزواج أو عزوفهم عنه فقط بل تؤثر كذلك في اختيار الفتى إن أراد أن يتزوج فقد يفكر الفتى في الزواج بامرأة مرغوبا عنها لعلة فيها كتقدم سن [1] أو قلة

---

[1] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَكُنْتُ عَلَى جَمَلٍ ثَفَالٍ إِنَّمَا هُوَ فِي آخِرِ الْقَوْمِ فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ هَذَا قُلْتُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَا لَكَ قُلْتُ إِنِّي عَلَى جَمَلٍ ثَفَالٍ قَالَ أَمَعَكَ قَضِيبٌ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَعْطِنِيهِ فَأَعْطَيْتُهُ فَضَرَبَهُ فَزَجَرَهُ فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ أَوَّلِ الْقَوْمِ قَالَ بِعْنِيهِ فَقُلْتُ بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بَلْ

جمال ونحوه حفظا لأخواته وصونا لهن فيأتي بزوجة ترعاهن وتحفظهن وتقوم بمصالحهن كما فعل ذلك جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما : فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَابِرُ أَلَكَ امْرَأَةٌ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَثَيِّبًا نَكَحْتَ أَمْ بِكْرًا قَالَ قُلْتُ لَهُ تَزَوَّجْتُهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ قَالَ فَقَالَ لِي فَهَلَّا تَزَوَّجْتَهَا جُوَيْرِيَةً قَالَ قُلْتُ لَهُ قُتِلَ أَبِي مَعَكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَتَرَكَ جَوَارِيَ فَكَرِهْتُ أَنْ أَضُمَّ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةً كَإِحْدَاهُنَّ فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا تَقْصَعُ قَمْلَةَ إِحْدَاهُنَّ وَتَخِيطُ دِرْعَ إِحْدَاهُنَّ إِذَا تَخَرَّقَ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّكَ نِعْمَ مَا رَأَيْتَ.[1]

ومثل هذا الأمر يتم غالبا عند وفاة الأم وإذا كان وضع الأسرة المالي على ما يرام، أما إذا كانت الأم موجودة ووضع الأسرة دون ذلك فإن الولد يجلس عازبا.

٦ـ العطالة:

قد يتخرج شاب حديثا في جامعة من الجامعات ويكون كله أمل أن يجد وظيفة تدر عليه مالا ويسجل اسمه في مكاتب العمل ضمن مجموعات الخريجين المنتظرين للتوظيف ولكن قد يتأخر توظيفه نسبة لعدم وجود ميزانيات أو لتفشي نظام المحسوبية في مجتمعه أو لتصنيفه سياسيا من الدولة التي خالفها في آرائها فرأت عزله وإبعاده سواء

بعنيه قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْتَحِلُ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ خَلَا مِنْهَا قَالَ فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ قُلْتُ إِنَّ أَبِي تُوُفِّيَ وَتَرَكَ بَنَاتٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْكِحَ امْرَأَةً قَدْ جَرَّبَتْ خَلَا مِنْهَا قَالَ فَذَلِكَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ يَا بِلَالُ اقْضِهِ وَزِدْهُ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ وَزَادَهُ قِيرَاطًا قَالَ جَابِرٌ لَا تُفَارِقُنِي زِيَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُنْ الْقِيرَاطُ يُفَارِقُ جِرَابَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.[صحيح البخاري، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجل رجلا أن يعطي شيئا ولم يبين، حديث رقم : ٢١٤٣]

[1] مسند الإمام أحمد، مسند جابر بن عبد الله ، حديث رقم : ١٤٣٣٢

أكانت محقة في ذلك أو ظالمة له وكان هذا الشاب يدور في خلده وفكره أنه سيتم تعيينه بمجرد استلامه شهادته فيبدأ هذا الشاب في العمل بأعمال هامشية أو يمارس عملا في غير مجال تخصصه ودراسته ويكون لعمله الجديد كارها لأنه لم يأته عن رغبة وإنما أجبر عليه وأكرهته ظروفه عليه إكراها ، وأرغمته عليه الحوجة إرغاما ، وقبل به لأنه لم يجد غيره ولأنه لا يريد أن يجلس في البيت مع أمه وأخواته ، ولا يريد أن يمد يده لأحد. بل يريد أن يساعد أسرته التي شقيت من أجله وتعبت حتى علمته ونال الشهادة التي كان يأملها.

وقد يكون الشاب غير معايش لواقعه وغير راض به فيقدم اسمه في مكاتب التوظيف وينتظر في عداد المنتظرين ولا يزاول أي عمل ولا يمتهن أي مهنة فيجلس في البيت فيكون كل وقته راقدا في سرير حتى إذا تعب منه ومله ذهب إلى سرير آخر عائدا إلى الأول ريثما ارتاح من تعب نومه الدائم متنقلا من غرفة إلى غرفة ومن سرير لآخر وهكذا دواليك، وإذا قيل له : دع البطالة ومارس أي عمل. يكون رد هذا الشاب: إنني قدمت اسمي وأنا منتظر مع المنتظرين ووعدت خيرا في القريب العاجل وإذا قيل له: لماذا لا تمارس أي عمل وتمتهن أي مهنة حتى يأتيّ تعينك ثم بعد ذلك تفاضل بين الوظيفة التي وفرها لك مكتب العمل ــ في القريب العاجل الذي قد يطول ــ وعملك الحالي وتستمر في الأحسن والأفضل لك فيرفض هذا الشاب ويقول : أنا لم أدرس كل هذه السنين ولم أصبر على سهر الليالي للقراءة والاستعداد للامتحانات وشقيت كل هذا الشقاء لأعمل في وظيفة زبال ولا وظيفة كناس ، ويعدد أدنى الوظائف وأحطها في نظر المجتمع ويكون ما ذكر منها لم يخطر ببال أحد من الذين عرضوا عليه أمر مزاولته العمل وعدم جلوسه عاطلا ويواصل هذا الشاب قائلا : كان بإمكاني أن أعمل هذا العمل الذي تقوله وأمتهن هذه المهنة التي ذكرتها قبل عشر سنوات ولا أضيع الزمن والوقت الذي أضعته ولا أنفق المال الذي أنفقته في دراستي.

ولا ينسى هذا الشاب أن يقول : انظر إلى أمثالي الذين تخرجوا قبل عدة سنوات وقدموا أسماءهم ولم يتم تعيين واحد منهم إلى الآن ويعدد من يعرف من أمثاله من أصحابه الكسالى والخاملين ويترك الذين قدموا أوراقهم ولكنهم مارسوا مهنا أخرى خوفا من العطالة والبطالة.

ويستمر الشاب في عطالته وبطالته ويستمر هذا القريب العاجل الذي وعد به سنوات عديدة وأزمانا مديدة ومن ثم فلا يفكر هذا الشاب في الزواج وإذا تجرأ وفكر في الزواج فإن والداه يقولان له : يكفي أننا نقوم بسد رمقك وإطعامك وكسوتك وعلاجك وتوفير المسكن لك، فلسنا مستعدين لنكفل شخصا آخر معك ولأبويه وجاهة في رد طلبه ورفض رغبته لأن شخصا مثل هذا غالبا يكون غير مسئول لم يستطع كفالة نفسه فكيف يكفل غيره؟

٧ـ الانشغال بالسفر:

يسافر الناس لأسباب كثيرة وعلل عدة ، فبعضهم يسافر لاكتساب المعيشة ولتحسين الأوضاع الاقتصادية وآخرون يسافرون للسياحة والنزهة والفرجة، وصنف ثالث يسافر للتطبيب والعلاج، وصنف رابع يدمن السفر ويعشقه ويكون شغله الشاغل والهاجس الذي لا يفارقه ليلا ولا نهارا فما يرجع من سفر إلا ويحزم أمتعته لسفر آخر، قال محمد بن زريق البغدادي في إدمانه السفر وعشقه له وتعلقه به :

ما آب من سفر وإلا وأزعجه ... رأي إلى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو من حل ومرتحل ... موكل بفضاء الأرض يذرعه
إذا الزمان أراه في الرحيل غنى ... ولو إلى السند أضحى وهو يُزمعه

تأبى المطامع إلا أن تجشمه   للرزق كدا وكم ممن يودعه[١]

وقد يسافر المرء دون النظر في عواقب السفر وجدواه وفي سفره هذا يستنكف أن يتزوج من غير بلده ويمني نفسه برجوعه إلى بلده واختياره إحدى فتيات بلده المعروفة نسبا ومكانة فيقترن بها أو قد يجد في السفر بغيته فيشبع رغبته من شقراوات بني الأصفر ومفلفلات بنات حام ويمتع نفسه من الغانيات. ويشجعه على هذا الأمر وجود الفواحش وكثرتها في هذه البلاد وغياب الرقيب وضعف الإيمان وجراءة نساء البلاد التي يؤمها هؤلاء المسافرون غالبا وكان بعض السابقين يسافرون ويتزوجون وينتقون من يريدون ويدققون الاختيار ويظفرون بما يريدون من نساء صغيرات غرروا بأهليهن ودلسوا عليهم ومن أمثال العرب التي يصفون بها هذا النوع من الأزواج قولهم : أكذب من الشيخ الغريب [٢]لأنه يتزوج في غربته وهو ابن سبعين فيزعم أنه ابن أربعين.[٣]

ـ ملاحظة وتنبيه :

في الحقيقة أن بعض أسباب العنوسة التي ذكرناها كالتبتل والعشق والفساد الخلقي ـــ هذا إذا اعتبرنا أن العنوسة تشمل الرجال والنساء ـــ ليست من الأسباب المباشرة للعنوسة لأن أصحابها رفضوا الزواج ورغبوا عنه بأنفسهم أما العانس فهي من ترغب في الزواج ولم تظفر بزوج.إما إذا اقتصرنا بمفهوم العنوسة على النساء فقط فتبتل

---

[١] جواهر الأدب للهاشمي ج ٢ ص ٦٠١ ـــ ٦٠٣

[٢] عن أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن الحارث بن هشام أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أنَّها لَمَّا قَدِمَتْ الْمَدِينَةَ أَخْبَرَتْهُمْ أَنَّهَا ابْنَةُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَكَذَّبُوهَا وَيَقُولُونَ مَا أَكْذَبَ الْغَرَائِبَ حَتَّى أَنْشَأَ نَاسٌ مِنْهُمْ إِلَى الْحَجِّ فَقَالُوا مَا تَكْتُبِينَ إِلَى أَهْلِكِ فَكَتَبَتْ مَعَهُمْ فَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَة يُصَدِّقُونَهَا فَازْدَادَتْ عَلَيْهِمْ كَرَامَةً.[مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٥٤٠٣]

[٣] انظر : مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٤٩

الرجال وعشقهم وفسادهم الخلقي وكل الأسباب التي ترينا أن الشخص ترك الزواج بمحض اختياره لأسباب خاصة به لا يدخل في أسباب العنوسة المباشرة وذلك لسببين هما:

ـ تعلق العنوسة بالنساء فقط وعدم دخول الرجال فيها لإمكان الرجل إزالة عنوسته إذا رغب أما المرأة فلا.

ـ رأينا أن تعريف العانس أنها من ترغب في الزواج من النساء ولم تجده، وأما المتبتل والعاشق والداعر فانصرف عن الزواج بمحض اختياره وإرادته وطوعه ورغبته.

الباب الثالث
آثار العنوسة

الفصل الأول
آثار العنوسة على الفتاة

الفصل الثاني
آثار العنوسة على أهل الفتاة

الفصل الأول
آثار العنوسة على الفتاة

المبحث الأول
الآثار الجسمانية للعنوسة

المبحث الثاني
الآثار النفسية للعنوسة

المبحث الثالث
الآثار الاقتصادية للعنوسة

المبحث الرابع
الآثار الأخلاقية للعنوسة

المبحث الأول
الآثار الجسمانية للعنوسة

١ـ الذبول

٢ـ شحوب الوجه واللون

٣ـ هزال الجسم

٤ـ تخدد الوجه

٥ـ ذهاب البكارة

٦ـ شيب الرأس

٧ ـ مشاكل وتغيرات صحية

المبحث الأول

الآثار الجسمانية للعنوسة :

تقول الدكتورة فوزية الدريع : البنت غير المتزوجة في عمر متقدم تعيش ألم الحياة بعزوبية في كل دقيقة ولكن هناك لحظات وأوقات يكون فيها الوجع أكبر، مثل :

ـ زواج صديقة أخرى لها وإحساسها بأنها باقية وحدها والقطار يأخذ الجميع إلا هي.

ـ مولد طفل جديد في العائلة يحرك أمومتها ويشعرها بالحرمان.

ـ حيض كل شهر إنذار أحمر يقول لها : بويضة ودعت هذا الشهر أيضا بلا زوج بلا جنين، بلا إخصاب.

ـ ذكرى يوم ميلادها وهو يضيف كل عام سنة جديدة كالمطرقة على إحساسها تخبرها بأنها أكبر وهذا يعني أنها أقل حظا في الزواج.

ـ الإعلام العصري بندواته وأبحاثه وأفكاره وبحسن نية يطارد البنت غير المتزوجة ويعرض مشكلتها طبعا، النية الصافية في طرح الموضوع هي وراء ذلك لكن البنت تتعب نفسيا وهي تفتح مجلة لترى موضوع العنوسة، تضغط زر الراديو في سيارتها لتسمع رأيا في العنوسة. التلفزيون والندوات – كلها مرايا تخبرها بوجعها.

كل نهار فيه لهث يأتي وراءه ليل الليل سكون، خلود، ومخدة، وفراش والبنت غير المتزوجة كل ليلة حين تخلد في غرفتها، وفراشها وحدها تكون في مواجهة مؤلمة مع واقع عمرها.[1]

---

[1] كتيب الحياة بلا رجل للدكتورة : فوزية الدريع / مقال بعنوان مصانع الرجال المتوقفة من : موقع العانس.

وأشار الدكتور محمد الرواشدة أستاذ العلاج الطبيعي إلى أن زواج المتأخر يترافق معه عدة مشكلات متعددة في الولادة وصحة الجنين مبينا أن بعض الدراسات أكدت أن الحمل المتأخر بعد سن الأربعين يؤدي إلى ولادات مشوهة أما الإنجاب بعد سن الـ ٣٥ يؤدي إلى طفل منغولي لكل ٢٦٠ ولادة فيما تزداد النسبة بعد هذا العمر. [١]

ومشكلة العانس ليست ذات أبعاد اجتماعية فقط، بل هي ذات أبعاد صحية أيضاً، وقد يفاجأ القارئ وتفاجأ القارئة بذلك، لكن هذا هو الواقع ، كما يقول الدكتور الأميركي بيدي سيجل في كتابه الطب والحب ومعجزات الشفاء: إن الأبحاث أظهرت وجود علاقة بين حدوث مختلف أنواع السرطان وغياب العاطفة الإيجابية ، فالكراهية العنيفة والانفعالات العصبية وراء العديد من أمراض العصر الحديث المادية مثل قرحة المعدة. [٢]

١ـ الذبول:

للعنوسة آثار على المبتلى بها، فكم من عانس تعاني من هذه الآثار، وكم من أب يهتم بعانس في بيته، مما يجعل ذلك الاهتمام يظهر ذلك على ابيضاض شعره وانحناء ظهره، وكم من أم ترأف على ابنتها العانس، ويظهر ذلك شكلها العام ومظهرها، كما أن هذه الآثار تظهر على صفحات وجوه المبتلين بها وفلتات لسانهم، وتقاطيع جسومهم، فيكون الجسم ذابلا ضاويا وبخاصة عند الفتاة العانس، بينما نجد لداتها المتزوجات يكن على درجة كبيرة من الحيوية وطيب النفس فالجسم ينمو بعوامل عدة من غذاء ودواء وراحة واستجمام وخلو بال من مشاكل وتفرغ من هموم ومشغوليات فالهموم والغموم

---

[١] جريدة الخليج العدد : ٧٣٦٥ ، ١٧/٨/٢٠٠٠م

[٢] موقع نبض الشارع، مجلة القيثارة، مقال بعنوان: عالمها : العنوسة مشكلة تتعقد.

إذا لزمت الإنسان أقضت مضجعه وأصابه الأرق وأثرت في جسمه وتعابير وجهه وأخرجت ما بداخله من ألم ومعاناة.ومن ثم يذبل جسم الفتاة العانس ويزوى عودها وتضمر بعض أعضائها ، بينما نجد الفتاة المتزوجة يكون جسمها غضا طريا متوردا مفرهدا منفرجة الأسارير والعانس مقضبة الجبين دائمة العبوس ذابلة الجسم.

٢ـ شحوب الوجه واللون :

وجه الإنسان ولونه يتأثران بالبيئة التي حوله من فرح وسرور وطعام وراحة واستقرار، فالتنقل والأسفار يؤثران في الإنسان تأثيرا عجيبا أنشد الأصمعي:

غيَّرَ، يا بِنْتَ الحُلَيْسِ، لَوْني طُولُ اللَّيالي واخْتِلافُ الجَوْنِ

وسَفَرٌ كانَ قَلِيلَ الأَوْنِ[١]

ونعم الله عز وجل على أصحاب الجنة كثيرة متعددة وتظهر هذه النعم نضرة على الوجوه يحس بها من رآهم دون أن يشاهد شيئا منها ويتلمس هذه النعم التي يعيشون فيها من نظر إليهم، قال الله تعالى﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٢] فهم سعداء بما هم فيه من نعيم، ويتوقعون وينتظرون المزيد من الخير، وهم لا يحزنون على شيء مضى من نصب الدنيا وتعبها فقد أذهبه الله عنهم بذهاب الدنيا وزوالها، ولا يخافون من شيء آت يؤرقهم ويقض مضجعهم، ممتنون بهذه النعمة على خالقهم جل شأنه قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَار

[١] يريد النهار. [لسان العرب ، مادة جون]

[٢] سورة القيامة آية ٢٢ ــ ٢٣

الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [١] وقال الله تعالى ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٢] وهم مقيمون لا يظعنون، باقون خالدون، شباب غير كبار في السن: فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ [٣] أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. [٤]

ويدخل أهل الجنة الجنة أقوياء غير ضعاف، أصحاء غير مرضى فرحين بما هم فيه من النعيم لا يبغون منه بدلا ولا عنه حولا قال الله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [٥] وفي المقابل يكون الكفار على وجوههم البؤس والضر والضنك والشقاء والتعاسة قال الله تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [٦] فهم في آلام وعذاب في الحاضر والمستقبل أضل وأشد قتامة وسوادا قال الله تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

---

[١] سورة فاطر آية ٣٤ ــ ٣٥

[٢] سورة البقرة آية ٦٢

[٣] قال المباركفوري: قوله: (يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين) أي خلقة (أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة) أو للشك من الراوي . وقد وقع في حديث أبي هريرة عند أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي أبناء ثلاث وثلاثين بالجزم.[تحفة الأحوذي ج ٧ ص ٢١٥]

[٤] سنن الترمذي، كتاب: صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في سن أهل الجنة، حديث رقم: ٢٤٦٨/ مسند الإمام أحمد: مسند معاذ بن جبل، حديث رقم: ٢١٠١٦، ورقم: ٢١٠٦٧

[٥] سورة الكهف آية ١٠٨

[٦] سورة القيامة آية ٢٤ ــ ٢٥

عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ (١) والهموم والغموم تؤثران في الوجه ولون الجسم تأثيرا كبيرا فتجد العانس بادية الشحوب كأنها من سكان القبور، وترى وجوه العوانس ظمآنة عجفاء، مقروفة (٢) مسنونة، (٣) والبشرة شاحبة خضراء، تتجمع الغضون حول زوايا الأفواه، وتحملق العيون، وتسترخي الجفون، وترى اللون شاحبا والجلد خشنا . يابسا لا ينفع فيه استعمال الأدهان والمساحيق بغية المحافظة على بضاضة البشرة، ورفاغتها (٤) وجعلها لامعة غضة بينما تكون المتزوجات لطيفات الجوانح ممشوقات القوام رشيقات القدود منخرطات الجسم كالسارية أو كخوط البان أو قضيب الخيزران.

٢ـ هزال الجسم:

السعادة تظهر على وجه المرء كما تظهر على جسده، فالسعيد ترى الاغتباط في وجهه وتحس الانشراح في صدره، والحيوية والصحة في بدنه. وليس معنى ذلك أن كل هزيل الجسم ضامر البدن، شقيا أو أنه يعيش جملة من المشاكل والهموم، ولكن الغالب على السعداء، أن تظهر آثار السعادة على وجوههم، من نضرة وجه وانشراح صدر وطيبة نفس، كما أنها تظهر على الجسد من وفور صحة ولحظ عافية وزيادة وزن وضخامة حجم ولذا نلاحظ أن أوزان النساء المتزوجات أكثر من غير المتزوجات مع العلم أن الرشاقة صارت هوسا عاما لدى النساء في هذا العصر ولذا فهن يتبعن أنواعا

---

(١) سورة عبس آية ٤٠ ـ ٤٢

(٢) ضامرة نحيفة

(٣) مخرضة

(٤) لينها [انظر : البحر الرائق في الزهد والرقائق، لأحمد فريد]

معينة من الطعام ويمتنعن عن أخرى، ويمارسن رياضات معلومة لديهن، يفعلن كل ذلك خوفا من الإصابة بالبدانة وفرارا من مداهمة السمنة، وهذا من تغير مفاهيم الجمال عند المرأة المعاصرة خلافا لسابقتها، وكان الرجل العربي بصفة عامة ـ ولا يزال البعض منهم ـ يفضل المرأة البدينة على غيرها، وتعلم المرأة ذلك تمام العلم ولذا تتبع بدلا من التخسيس التسمين والتلحيم،(١) والتصنع لذلك(٢) وتساعد البيئة في هذا الأمر، وقد تستعمل أغذية معينة كالقشدة(٣) والفتيت والسويق(٤) والعفاوة(٥) والرطب بالقثاء حتى

---

(١) التسمين والتلحيم عند العرب يسمى الودن : والوَدْنُ والوِدانُ: حُسْن القيام على العَرُوس، وقد ودَنوها. ابن الأعرابي: أخذوا في وِدَانِ العروس إذا عَلَّلُوها بالسَّوِيق والتَّرَفُّه للسِّمَنِ. يقال: وَدَنوه وأَخذوا في وِدَانه؛ وأنشد:

بئس الوِدانُ للفَتى العَرُوسِ ضَرْبُكَ بالمِنْقار والفُؤُوسِ

[لسان العرب، مادة: ودن]

(٢) صُنِعَت الجاريةُ، كعُنِيَ: أُحْسِنَ إليها حتى سَمِنَتْ، كصُنِّعَتْ، بالضم، تَصْنيعاً، وصَنَّعِ الجاريةَ، بالتشديد، أي: أَحْسِنْ إليها وسَمِّنْها، لأن تَصْنيعَ الجاريةِ لا يكونُ إلا بأشياءَ كثيرةٍ وعِلاجٍ. [القاموس المحيط، باب العين. فَصْلُ الصَّاد]

(٣) القِشْذَةُ هي الزبدة الرقيقة. والقِشْذَة أنك تذيب الزبدة فإذا نضجت أفرغتها وتركت في القدر منها شيئاً في أسفلها ثم تصب عليه لبناً محضاً قدر ما تريد، فإذا نَضِجَ اللبن صببْتَ عليه سمناً، بعد ذلك، تسمن به الجواري. والمحفوظ عن الثقات القِشْدَة، بالدال، ولعل الذال فيها لغة لم نعرفها.[لسان العرب، مادة: قشذ]

(٤) قال الشاعر [لسان العرب، مادة بدد، ج ٤ ص ٣٣٨]:

جارية أعظمها أجمها قد سمنتها بالسويق أمها

(٥) العفاوةُ: الشيءُ يُرْفَع من الطَّعام للجارية تُسَمَّنُ فَتُؤْثَرُ به؛ قال الكميت[لسان العرب، مادة: عفا]:

وظَلَّ غُلامُ الحَيِّ طَيَّانَ ساغِباً وكاعِبُهُم ذاتُ العِفاوَةِ أَسْغَبُ

تسمن، فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَرَادَتْ أُمِّي أَنْ تُسَمِّنَنِي لِدُخُولِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَقْبَلْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ مِمَّا تُرِيدُ حَتَّى أَطْعَمَتْنِي الْقِثَّاءَ [1] بِالرُّطَبِ فَسَمِنْتُ عَلَيْهِ كَأَحْسَنِ السَّمْنِ. [2]

مع أنه بصفة عامة فالممدوح في المرأة العربية قلة الأكل وعدم الشراهة، مدح المرأة بقلة الطعام وأن تكون المرأة مجدا: والمجد نَحْوٌ من نصف الشبع؛ وقال أبو حية يصف امرأة:

ولَيْسَت بماجِدةٍ للطعامِ ولا الشراب

أي ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب. [3]

والهموم سبب لضعف البدن ولهزال الجسم قال الشاعر:

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ونقصد بالهزال، الهزال المفرط وبروز العظام ونتوئها وظهور رواهش اليدين وعروق القدمين ونتوء عظام الوجه، وأن تكون العانس كأنها من الناجين من المجاعات.

د. تخدد الوجه:

خَدَّدَ لحمُه وتَخَدَّدَ: هُزِل ونقص؛ وقيل: التَّخَدُّد أَن يضطرب اللحم من الهزال. والمُتَخَدِّدُ: المهزول. رجل مُتَخَدِّد: مهزول، قليل اللحم. وقد خَدَّد لحمُه وتَخَدَّد أَي تَشَنَّج. وامرأَة مُتَخَدِّدة إِذا نقص جسمها وهي سمينة. [4] والتخدد هو اضطراب الجلد

---

[1] القثاء بكسر القاف اسم لما يسميه الناس الخيار وبعض الناس يطلق القثاء على نوع يشبه الخيار.

[2] سنن أبي داود، كتاب: الطب، باب: في السمنة، حديث رقم: ٣٤٠٤/ سنن ابن ماجة كتاب الأطعمة، باب: القثاء والرطب يجمعان، حديث رقم: ٣٣١٥

[3] لسان العرب، مادة: مجد

[4] لسان العرب مادة: خدد

واسترخاء اللحم وهو أن يصير فيه خدود ويقال: قد خدد جلده وقد نغض وقد انخنث كل ذلك إذا تكسّر، قال طرفة بن العبد البكري:

ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه نقي اللـون لم يتخـدد

أي لم يضطرب والتخدد مشتق من الخد لأنه يضطرب عند الأكل.[1] والتخدد يحدث في جسم الإنسان ووجهه لعوامل عدة منها :

أ ـ الكبر ب ـ المرض

ج ـ الهم د ـ الخوف

هـ ـ السهر و ـ الحزن

ز ـ التعب والإرهاق المتواصل ح ـ الجوع

ط ـ الهزال وانحسار اللحم بعد السمن

وترى وجوه العوانس متخددة فالعانس بنت الثلاثين تكون صورة وجهها مماثلة لامرأة متزوجة في الأربعين أو الخامسة والأربعين من العمر، فوجه العانس يكون شاحبا شحوب الموتى متخددا كتخدد امرأة بلغت من العمر عتيا بينما تكون المرأة المتزوجة ناضرة الوجه ظاهر السرور، ويكون هذا بسبب الحزن على ما مضى والخوف مما سيأتي مما سبب لهن سهرا نتج عنه هذا التخدد.

٥ـ ذهاب البكارة :

غشاء البكارة غشاء رقيق يغطي قبل الفتاة العذراء[1] وتكون به ثقوب تمكن من نزول البول ودم الحيض، وهذا الغشاء يزول بأول جماع محدثا صوت فرقعة مسموعا للزوج والزوجة مع نزول قطرات دم تتفاوت قلة وكثرة من فتاة لأخرى.

---

[1] انظر شرح المعلقات العشر ص ١٤٠ / شرح السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ص ١٤٧

وتوجد أنواع من أغشية البكارة لا تحدث صوتا عند الجماع تسمى الأغشية المطاطية وهي تزول بقدوم أول مولود للمرأة. ولذا يظن كثير من الأزواج أن عدم حدوث صوت أو نزول دم سببه تفريط الفتاة في نفسها، ولعل السبب أن تكون بكارة هذه الفتاة من هذا النوع، وهذا يمكن إثباته طبيا.

وفي المرأة البالغة تكون البويضة جاهزة كل شهر للإخصاب فإن وجدت تلقيحا وإلا نزلت في شكل دم، كما أن هذا الغشاء مع طول الزمن واستمرار عنوسة الفتاة وعدم ظفرها بزوج يكون بين احتمالين:

ـ أن يزداد صلابة وهذا هو الأعم الأشهر عند معظم الفتيات ولذا تعاني الفتاة غير المتزوجة أو العانس في نزول دم الحيض أكثر من الفتاة المتزوجة. وإن تزوجت الفتاة العانس بعد طول انتظار وتقدم سن فإن افتضاضها لزوجها يكون أصعب بكثير من الفتاة صغيرة السن نسبة لصلابة غشاء البكارة.

ـ أن تتسع فتحات غشاء البكارة وثقوبه أو يذهب بالكلية لأن دم الحيض يكون أحيانا كثيفا جدا [٢] وأحيانا في شكل قطع دم تؤثر في هذا الغشاء وتزيد من اتساعه وقد تذهب به وهذا نادر الحدوث وهو من الأشياء التي يسئل عنها أهل العلم والقضاة والأطباء.

---

[١] قال ابن الأثير: العَذْرَاء: الجَارِيةُ التي لم يمسَّها رجل، وهي البِكْر، والذي يَفْتَضُّها أبو عُذْرها وأبو عُذْرَتها. والعُذْرة: ما لِلبكْر من الالْتِحَام قبل الافْتِضاضِ.[النهاية في غريب الحديث والأثر. مادة: {عذر}]

[٢] روضة الطالبين ج ٧ ص ٥٤ / بدائع الصنائع ج ٢ ص ٢٤٤

سئل الشعبي عن رجل دخل بامرأة على أنها بكر ، فقال: لم أجدها عذراء ، فقال: لا شيء عليه لأَن العُذْرةَ قد تُذْهِبُها الحيضةُ والوثْبةُ وطولُ التَّعْنيس.[١]

وعن حجاج عن عطاء قال: سألت عن الرجل يقول لامرأته لم أجدك عذراء قال: ليس عليه شيء إن العذرة تذهب من الوثبة والمرض وطول التعنيس.[٢]

وعن معمر عن الحكم بن أبان عن سالم قال: سألته عن الرجل يقول لامرأته: لم أجدك عذراء قال: لا بأس العذرة تذهبها الوثبة والشيء.[٣]

٦ـ شيب الرأس:

الإنسان في مراحل حياته يمر بمراحل وأطوار من طفولة وصبا وكهولة وشيخوخة، وسواد الشعر من علامات الشباب وبياضه من علامات الشيخوخة، وقد يأتِ الشيب للإنسان مبكرا فقد يهاجم الشيب المرء قد أوانه ويخط رأسه، ويرى القتير ويأتيه النذير ولا يكون ذلك بسبب إعذار الله[٤] له وبلوغه الستين،[٥] ولا بسبب قراءة

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عذر} ومادة: {عنس} / لسان العرب ، مادة : عذر

[٢] مصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٤٩٣ ـــ ٤٩٤، في الرجل يقول لامرأته لم أجدك عذراء، حديث رقم: ٢٨٣٠٧

[٣] مصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٤٩٣ ـــ ٤٩٤، في الرجل يقول لامرأته لم أجدك عذراء، حديث رقم: ٢٨٣٠٨

[٤] قال ابن الأثير: لقد أعْذَر اللّهُ مَنْ بَلَغَ العمْر ستِّين سَنَة أي لم يُبْق فيه مَوْضعاً للاعْتذار حيث أمْهَله طولَ المُدَّة ولم يَعْتَذِر. يقال: أعذَرَ الرَّجُل إذا بَلَغ أقْصَى الغايَة من العُذْر. وقد يكونُ أعْذَر بمعنى عذر.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عذر}]

[٥] قال البخاري رحمه الله تعالى: بَاب مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ لِقَوْلِهِ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يَعْنِي الشَّيْبَ.[صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب

سورة هود وأخواهّا التي شيبت النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ [1] قَالَ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ.[2]

ولكن يكون شيبه بسبب عوامل عدة منها:

ـ الخوف : قال الله تعالى ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [3]

ـ تقدم العمر : قال الصلتان العبدي :

مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ لِقَوْلِهِ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾]

[1] قال المباركفوري: قوله: (قد شبت) من الشيب هو بياض الشعر. قال القاري: أي ظهر عليك آثار الضعف قبل أوان الكبر وليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الأبيض عليه لما روى الترمذي عن أنس قال ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء (شيبتني) من التشييب . وذلك لما في هذه السور من أهوال يوم القيامة . والمثلات النوازل بالأمم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شبت قبل أوانه.[تحفة الأحوذي ج ٩ ص ١٣١]

[2] سنن الترمذي: كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة الواقعة، حديث رقم: ٣٢١٩

[3] سورة المزمل آية ١٧

أشاب الصغير وأفنى الكبير   كرور الغداة ومر العشي[1]

ــ الهموم والانشغال: قال السليك بن السلكة موضحا سبب شيبه وأنه رؤية امتهان خالاته وعجزه عن تخليصهن:

أشاب الرأس أني كل يوم   أرى لي خالة وسط الرجـال

عز عليَّ أن يلقين ضيمــا   ويعجز عن تخلصهن مـالي[2]

وقد صور أحد الأعراب وكان له أولاد، الهموم التي لزمته والديون والأطفـال الـذين أحنوا ظهره، حتى تمنى التخلص منهم وفراقهم، رغم أنه كلف في زواج أمهم مـالا مـن مهر وجهاز ووليمة ونحوها، فقال :

النـاس يُعطـون أمـوالا وميسـرة   وأنت أعطيتني يا رب صبيانـا

خذهم إليك فكل صار في خلـق   وأنت أعطيته يا رب عريانـا

قد كنت كُلفتهم في أمهم ثمنـا   فخذهم عاجلا يا رب مجانا[3]

بما أن العنوسة من أعظم أسباب الهموم على الفتيات فإنها تؤثر فيهن فتشيب رؤوسـهن ويبيض سواد شـعورهن ويسـود بيـاض وجـوههن وتشـحب ألـوانهن وتـنحني ظهورهن.وتحرص النساء بصفة عامة حرصا شديدا على إخفاء الشيب وتغييره فيستعملن الأصباغ السوداء والحناء وغيرها لإخفاء آثار الشيب لتمام معرفة النساء بعزوف الرجال

---

(1) الشوارد، لعبد الله بن محمد خميس ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، سنة ١٣٩٤هـــ ــ ١٩٧٤م ،ج٢، ص ٦٢٣

(2) خزانة الأدب ج ٣ ص ١٢٨ / الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، ص ٥٠

(3) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٣٢٦

وازورارهم عن ذوات الشيب من النساء وزهدهم فيهن مع علم الرجال ذي الشيب أن فيهم مستمتعا للنساء، قال دعبل بن علي الخزاعي:

تعجبت إذا رأت شيبي فقلت لها ... لا تعجبي من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة ... وشيبكن لكن الويل فاكتئبي
فينا لكن وإن شيب بدا أرب ... وليس فيكن بعد الشيب من أرب[1]

٧ ـ مشاكل وتغيرات صحية :

عن المشاكل والتغيرات الصحية الناجمة عن تقدم العمر وتأخير الزواج توضح د. فتحية بنت إبراهيم الجامع (أمراض نساء وتوليد) أن المرأة يحدث لها عدم التوازن إذا ما اقتربت من سن اليأس. فإذا لم يدركها الحظ بالزواج والإنجاب تبدأ الحالة النفسية عندها بالاضطراب مما يترتب عليه إصابتها بالاكتئاب والقلق النفسي.

كما أن نسبة الخصوبة عند المرأة تصل إلى القمة في سن الخامسة والعشرين. وبعد ذلك تقل تدريجيا حتى سن اليأس ونتيجة للاضطرابات الهرمونية التي تحدث في سن الإنجاب المتأخر تصبح نسبة الحمل في تناقص مستمر، وبذلك تزيد نسبة العقم عند المرأة كلما اقتربت من سن الأربعين.

وتكثر الأورام الليفية في النساء ما بين عمر ٣٠ إلى ٤٥ سنة، فإذا وصلت المرأة إلى هذا العمر ولم تنجب فإن هناك علاقة بنسبة بسيطة بين هذا الورم وعملية الإنجاب تتراوح بين ٢:١٠ بالمائة. كما أن نسبة الإجهاض التلقائي والولادة المبكرة، وتعسر الولادة مصاحبة لهذا الورم فإذا ما استؤصل كان له تأثير سلبي في عملية الحمل والولادة. فكل امرأة تحمل بعد سن الخامسة والثلاثين لأول مرة تعد في سن الإنجاب المتأخر، كما

---

[1] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ٥٠

أن المرأة تكبر في السن، وتكبر معها البويضات مما يؤدي إلى زيادة نسبة الأطفال المغوليين، و لا سيما بعد الأربعين ففي سن العشرين طفل واحد بين كل ١٩٢٣ طفلا – وفي سن الخامسة والعشرين طفل بين كل ٣٦٥، وفي سن الأربعين طفل بين كل ١٠٩ أطفال، وفي سن الخامسة والأربعين طفل بين كل ٣٢ طفلا، ويتزايد الإجهاض التلقائي مع زيادة عمر المرأة، إضافة لحدوث الحمل العنقودي كما تزيد نسبة الولادة القيصرية بمعدل ٤ مرات عند الأمهات المتقدمات في السن عن مثيلاتهن في سن الإنجاب المبكر.[1]

وتقدم لنا الباحثة الإماراتية نورة عبيد الزعابي الآثار الطبية لتأخر سن الزواج لدى البنات كالتالي:

تنخفض قدرة المرأة بعد سن الثلاثين على الحمل والإخصاب.

تزداد احتمالات الإجهاض.

بعد سن الأربعين تصاب البويضات بالشيخوخة فيؤدي الحمل إلى عيوب في الانقسام والتكوين فتظهر العيوب الخلقية.

الحمل بعد سن الأربعين يحتاج لرعاية مكثفة لصحة الحامل لأن هناك أمراضا قد تصادف الحامل في هذا العمر مثل ارتفاع ضغط الدم والسكري.

تؤكد الأبحاث الطبية أن السيدات اللائي ينجبن في سن مبكرة يكن اقل قابلية للإصابة بسرطان الثدي.

---

[1] انظر موقع العانس على الإنترنت، مقال : (العنوسة، أسباب وملابسات) للشيخ عقل بن عبد العزيز العقل المنشور بجريدة الجزيرة عدد: ٧٧٠٦

تؤكد الأبحاث أن مشكلات الحمل والولادة اقل ما تكون في العشرينات وترتفع باطراد مع زيادة تقدم سن المرأة.[١]

[١] انظر موقع العانس على الإنترنت / أسرار في حياة العانسات بثينة العراقي

المبحث الثاني

الآثار النفسية للعنوسة

١ـ الحزن والاكتئاب

٢ـ القلق والسهر

٣ـ الشك وسوء الظن والتأويل

٤ـ نظرات المجتمع إلى العانس

٥ ـ نشوء أمراض الحسد والبغض

٦ـ الانتحار

٧ـ الإغراق في الأماني والإسقاط عما في دواخل النفس

٨ـ الخداع والتغرير وإخفاء العمر الحقيقي

٩ـ الذهاب إلى الكهنة والعرافين

١٠ـ الوقوع في المخالفات الشرعية

١١ـ الشرود الذهني وإدمان الفكر

١٢ـ اليأس والإحباط

المبحث الثاني

الآثار النفسية للعنوسة

يكاد علماء النفس والاجتماع يجمعون على أن تداعيات العنوسة لا تتوقف علي الفتاة وحدها، وإنما تمتد لتشمل باقي أفراد الأسرة جميعا، فالأب ــ مثلا ــ قد ينساق وراء نصائح زوجته بالبحث عن عريس لابنته بين كل المحيطين به والمتعاملين معه. فيلجأ إلى عرض ابنته بطرق غير مباشرة على بعض زملائه أو أبنائهم، وإذا فشل في ذلك فإنه يلجأ إلى أساليب لا شعورية تخفف عنه، كأن يبلغ الآخرين مثلا بأن ابنته قد تقدم لها الكثيرون ولكنه رفض ــ أو رفضت هي ــ لأسباب متعددة، وربما تعايش مع هذا الكذب حتى يعتقد بأن ما يرويه من أكاذيب هو الحقيقة بالفعل، وهو ما يقوده في نهاية المطاف إلى كثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تمتد هذه التداعيات لتشمل علاقة الأب بابنته العانس، فينهج في تعامله معها طريقة من بين ثلاث طرق، فإما التغاضي عن هذه المشكلة ، وترديد عبارات مثل "القسمة والنصيب" و" ربنا عايز كده "، وإما التشدد والعنف في تعامله مع ابنته وتشديد الرقابة عليها، لأنه يظن ــ لا شعوريا ــ أن في ابنته شيئا ما خطأ جعل الآخرين يعزفون عن التقدم إليها، وإما ترك الحبل لها على الغارب بدعوى أن كثرة خروج ابنته ورؤية الآخرين لها قد يدفع أحد الشباب إلى الاقتران بها. وبينما يكون هذا حال الأب، فإن الأم تعيش هذه المشكلة بكامل طاقتها وعصبيتها وقلقها واكتئابها، فهي كأم تشعر بعمق أحاسيس ابنتها، وتعيش على حلم أن ترى ابنتها في عش الزوجية وأن ترى أحفادها. ومن ثم فقد تنتابها حالات من الاكتئاب، وقد تلجأ إلى السحرة والدجالين ظنا منها أن ابنتها " معمول لها عمل"، وقد تلجأ إلى الدلالات لتعرض عليهن مشكلة ابنتها. مع وعدهن بمكافأة سخية إذا أحضرن لابنتها عريس المستقبل غير أن الأم في بعض الأحيان

قد يكون إيمانها قويا فتقوم بالتخفيف عن ابنتها وحثها على الرضا بقضاء الله. أما الأخت الصغرى. فلاشك أن مشاعرها تكون مبهمة وغامضة، وقد تهيئ نفسها لأن تكون في الوضع ذاته وتعيش نفس المأساة ـ أي لا تتزوج مثل أختها ـ وقد تتفنن في ابتكار طرق مختلفة لجذب أنظار الشباب والدخول في علاقات آثمة مع بعضهم، ظنا منها أنه إذا وقع المحظور فإن هذا يضمن لها الفوز بعريس المستقبل وألا تواجه نفس مصير شقيقتها بينما إذا كانت شقيقات الفتاة متزوجات فإنهن يشعرن بالأسى تجاه أختهن، وفي الوقت ذاته يشعرن أيضا بالنقص أمام أزواجهن، خاصة إذا سألوهن عن سر عدم زواج أختهن أو حملت أسئلتهم تلميحات حول سلوك الفتاة وطباعها. ومن البدهي بطبيعة الحال أن تكون الفتاة نفسها أكثر أفراد الأسرة معاناة من مضاعفات العنوسة، وعلى رأسها المضاعفات الجسدية، فعلى مستوى الجسد تشعر الفتاة العانس بألم في أسفل البطن، نظرا لأن غشاء البكارة يمنع في بعض الحالات خروج دم الحيض بسهولة فضلا عن ارتفاع نسبة الإصابة بسرطان الثدي لدي العوانس كما تشير بعض الدراسات التي أجريت مؤخرا. وتمتد تداعيات العنوسة لتشمل قائمة طويلة من الأمراض النفسية، أقلها الشعور بالاضطرابات والقلق والتخوف من المستقبل وعدم الاستقرار أو راحة البال ففي المجتمعات العربية تحديدا يعد الزواج " سترة " للفتاة وحفظا لكرامة أسرتها، ومن ثم فإن تقدمها في السن دون زواج قد يثير العديد من الأقاويل التي تمس سمعة الفتاة وسمعة الأسرة، من قبيل أن البنت "بارت" أو أنها غير صالحة للزواج، فتشعر بالدونية وبأنها أقل من الأخريات، وبخاصة عندما تصرخ بداخلها نداءات الأنوثة والأمومة، وهو ما قد يدخلها في دوامات من القلق والاكتئاب واليأس والتشاؤم من الحياة وربما حاولت الفتاة التغلب على هذه الدوامات باللجوء إلى توثيق صلتها بالله أكثر. غير أنها قد تغلو دينيا فتمارس دور المفتي في التحليل والتحريم. وقد تسلك الفتاة العانس طريقا مغايرا تماما

للهروب من دوامات القلق واليأس هذه، فتلجأ إلى الابتذال والسفور غير الطبيعي في ملابسها وهندامها بطريقة تثير غرائز الشباب، رغبة في إثبات الذات والشعور بأنها مرغوبة مثل باقي أترابها ، بل وربما سعت في الوقت ذاته إلى كثرة الاختلاط بالشباب في الأماكن العامة وفي العمل والأسواق تحت زعم ما يسمى بالصداقة. ورويدا رويدا قد يتحول هذا الابتذال والسفور إلى انحلال خلقي، فتندفع الفتاة إلى الانحراف وإقامة علاقات جنسية سرية وعابرة لإشباع رغباتها خارج مؤسسة الزواج، أو إلى ما يسمى بالزواج العرفي أو السري ، بيد أنها رغم ذلك تظل في كلتا الحالتين محرومة من مشاعر الأمومة ومن الإحساس بالأمان . وفي الوقت الذي أعلنت فيه وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية ارتفاع معدلات الزواج العرفي بين طلبة الجامعات، فقد أكدت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر وجود أكثر من ١٥٠٠٠ دعوى لإثبات بنوة المواليد من زواج عرفي أو زنا، والزيادة المطردة في أعداد اللقطاء الذين يعثر عليهم أمام المساجد أو المساكن أو في صناديق القمامة، وعودة ظاهرة قتل المواليد من سفاح، فضلا عن تفشي الانحلال في المدن الكبرى وربما كان من نافلة القول هنا أن نشير إلى أن الانحلال الخلقي والزواج العرفي ليس الطريق الحتمي لهروب الفتاة العانس من دوامات القلق والخوف والاكتئاب ، فمن البدهي أن ذلك يرتبط في نهاية المطاف بمدى تدينها وبثقافتها وتعليمها . بالإضافة إلى طبيعة شخصيتها بالقطع، فإذا كانت الفتاة ذات شخصية ضعيفة فإن الانحلال والزواج العرفي يكونان أقصر وأسهل الطرق التي ترتمي الفتاة في أحضانها وتسلم لها قيادها أما إذا كانت الفتاة تتمتع بشخصية قوية فإنها تنأى بنفسها عن ذلك ، ولكنها في الوقت نفسه قد تضطر ــ رغبة في التخلص من شبح العنوسة ــ إلى القبول بأي زوج يتقدم إليها . حتى لو كان اختيارها اختيارا غير متكافئ (تشير إحصائيات وزارة العدل المصرية ــ مثلا ــ إلى زواج نحو ٢٠٠ ألف فتاة مصرية

من أثرياء أجانب كبار السن) ، وهو ما يفضي في النهاية إلى طلاق مؤلم . سواء أكـان طلاقا محسوسا أو معنويا وكم من زوجات وأزواج يجمعهما بيت واحد إلا أنهما منفصلان نفسيا ومعنويا !! ويأتي ارتفاع ظاهرة الزواج من أجنبيات ليشكل بعدا آخر من أبعـاد مشكلة العنوسة . إذ بدأت هذه الظاهرة تغزو أغلب المجتمعات العربية بكثافة شديدة . لدرجة أن دراسة صادرة عن وزارة الداخلية السعودية قد طالبت بمنـع زواج الشـبان السعوديين من أجنبيات بعد أن بلغ عدد الزوجات الأجنبيات اللاتي حصلن على الجنسية السعودية خلال السنوات الخمس الأخيرة نحو تسعة آلاف زوجة، مشددة على أن تفشي هذه الظاهرة يؤثر سلباً على الأطفال وعلى استقرار الأسرة في حالة حدوث خـلاف أو طلاق بينما كشفت دراسة أخرى لوزارة العدل المصرية عن أن هناك اتجاهاً يسود بـين الشباب المصريين للارتباط بزوجات من روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق وأوروبـا الشرقية. كل هذه التداعيات السلبية التي أفرزها تفشي ظاهرة العنوسـة في المجتمعـات العربية ترسم العديد من علامات الاستفهام العريضة ، وتطرح السؤال الـذي يفـرض نفسه بقوة : إذن ما الحل ؟ وما هو دور المؤسسات الاجتماعيـة العربيـة – الحكوميـة والخاصة – في معالجة ظاهرة العنوسة؟[١]

بعد هذه المقدمة المستفيضة التي نسأل أن يثيب كاتبها خيرا يمكن حصر بعـض الآثار النفسية في الآتي:

---

(١) مداخلة للمشارك عمرو سالم بعنوان عودة لازمة للعنوسة. على موقع: إسلام أون لاين

١ـ الحزن والاكتئاب :

راحة البال وخلوه من المنغصات من النعم التي أنعم الله عز وجل بها على أهل الجنة قال الله تعالى ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [١] كما أن من نعم الله عز وجل عليهم أن أذهب عنهم الحزن، قال تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٢] والهم والغم والحزن من أعظم أسباب الكآبة [٣] قال عمر بن أبي ربيعة :

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم   من الحزن تذري عبرة تتحدر[٤]

والكآبة لا تقتصر على صاحبها والمكتوي بنارها فحسب بل تتعدى آثارها إلى غيره من الأهل والأحباب ، قال هدبة بن خشرم العذري بعد أن حبس وحكم عليه بالقتل وحزن أهله عليه واكتأبوا وبخاصة ابن عمه أبو نمير، فقال معزيا له ولهم :

---

(١) سورة محمد آية ٥

(٢) سورة فاطر آية ٣٤

(٣) الكَآبةُ بالمد سوء الحال والانكسار من الحزن وقد كَئِبَ من باب سلم وكَأْبَةً أيضا بوزن رهبة فهو كَئِيبٌ وامرأة كَئِيبَةٌ وكَأْبَاءُ بالمد.[مختار الصحاح: للرازي باب الكاف ص ٥٨٦]

(٤) الأغاني ج ١ ص ٧٩ ــ ٨٠ (طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي)

يؤرقني اكتئاب أبي نمير　　　فقلبي من كآبته كئيب[1]

والكآبة موت دماغي لأنها تشل حركة الإنسان وفكره ، فلا يستطيع أن يكون سوي التفكير، فيكون صاحبها ميتا بين الناس، قال صالح بن عبد القدوس البصري:

ليس من مات فاستراح بميت　　　إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا　　　كاسفا باله قليل الرجاء[2]

وتتسبب الكآبة في مرض الاكتئاب وهو مرض خطير وداء عضال يخشى بأسه ، لشبهه بالجنون.

والعنوسة من أعظم أسباب الكآبة عند الفتيات فترى العانس كئيبة كاسفة البال دائمة التفكير مبلبلة الخواطر.

٢ـ القلق والسهر :

النوم بالليل آية من آيات الله تعالى نبه سبحانه وتعالى عباده إليها ممتنا بها عليهم فقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [3] فهو سبات يرتاح فيه الناس ويسكنون فيه من عناء يومهم قال

---

(1) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٩٣/ شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر / الطبعة الرابعة عشرة جمادى الأولى ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ج ١ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨

(2) تاريخ بغداد ج٩ص٣٠٣

(3) سورة الروم آية ٢٣

الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (١) وقال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٢) وترك النوم يكون لأسباب عدة:

ـ أحيانا يكون السهر للتهجد، قال الله تعالى ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣) قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ(٤)

ـ أحيانا يكون ترك النوم للمرض ، لأن أعضاء الجسم إذا اشتكى منها عضو تتأثر له البقية : فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى .(٥)

ـ أحيانا ترك النوم يكون للعشق، والتتيم بالمحبوب والتفكير في محاسنه، والتأمل في صفاته ، قال المتنبي :

---

(١) سورة عم آية ١٠ ـ ١١

(٢) سورة الفرقان آية ٤٧

(٣) سورة السجدة آية ١٦

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب : من تعار من الليل فصلى، حديث رقم: ١٠٨٧

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٥٥٥٢/ صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٤٦٨٥

ليالي بعد الظاعنين شكـول طوال وليل العاشقين طـويل
يبن لي البدر الذي لا أريده ويخفين بدرا ما إليه وصول[١]

ـ وقد يكون ترك النوم للانشغال بالعلم والبحث والتنقيب بين الكتب ، وقد يبلغ استلذاذ صاحب العلم بسهره في حل معضلات العلم والاطلاع والتنقيب في بطون الكتب مبلغا يفوق سهر استلذاذ صاحب اللهو بلهوه ، بل يستغرب مدمن السهر من أجل العلم نوم الآخرين مع رغبتهم في منافسة الساهرين ، وقد عكس هذا الزمخشري بقوله :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لـي من وصل غانية وطيب عنـاق
أأبيت سهران الدجى وتبيته نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي[٢]

ـ كما أن ترك النوم يكون في أحايين أخر للهموم والانشغال بأمر من الأمور التي أهمت هذا الشخص فأقضت مضجعه وأرقت ليله، وهذه صفة الزعماء كالزعيم الذي يهمه أمر رعيته، والوالي الذي يعنيه أمر من ولوه، قال لقيط بن يعمر الإيادي يصف صفات الزعيم المرتقب لقبيلة إياد الذي يجب أن يولوه في حربهم ضد فارس آخذين من الصفات التي ذكرها ما يتعلق بالسهر وترك النوم تاركين غيرها:

وقلـدوا أمـركم لله دركـم رحب الذراع بأمر الحرب مضلعا
لا يطعـم النـوم إلا ريث يبعثه هم يكاد حشـاه يقطـع الضلعا
مسهـد النوم تعنيه ثغـوركـم يروم منهـا للأعـداء مضلعـا[٣]

---

[١] قرى الضيف ج ١ ص ١٨٥
[٢] الكشاف للزمخشري ج٤ص٣٠٩ـ٣١٠
[٣] الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

هذا وقد يتخذ بعضهم الليل مطية لقضاء مآربه، ودرعا ومجنا يتقي به الوقوع في سوء ما يعمل.(١)

وترك النوم في الجملة علامة من علامات التعب والعلل التي تشكى للآخرين ، قال بعضهم :

قال لي كيف أنت قلت عليل   سهر دائم وحزن طويل(٢)

وبصفة عامة فقلة النوم من الصفات التي يتمدح بها العرب،(٣) وتوجد أدعية في السنة لجلب النوم ودرء السهر.

ومن آثار العنوسة ، أن العانس تسهر سهرا كثيرا، ويتجافى جنبها عن مضجعها ليلا طويلا، وتكون في أحلام يقظة سوداء، فتفكر في شؤمها ونكدها، وسوء طالعها، وعدم حظها، وأنها لم تتزوج إلى الآن، وتتساءل بينها وبين نفسها عدة تساؤلات: هل سيكتب لها الزواج؟ ومن هو الذي سيتزوج بها؟ ومتى يكون ذلك؟ ومن سيرضى بها بعد هذا العمر؟ وتستمر معها هذه الأفكار السوداء، والنظرة القاتمة، التي تكتنفها السحب الغائمة، تأخذ منها هذه الأفكار فترة طويلة من الليل، ولو غلب النوم هذه الفتاة فقطع عليها هذه الأفكار السوداء المظلمة، فإن أفكارها هذه تتحول إلى أحلام وتتواصل معها إلى بزوغ الفجر، ومن ثم فهي تنام نوما قلقا مضطربا، مليئا بالهواجس والأفكار المزعجة،

---

(١) قيل: الليل أخفى للويل [مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٨٦]

(٢) دلائل الأعجاز للجرجاني ج ١ ص ١٨٤/ الإيضاح في علوم البلاغة ج ١ ص ١٥٣

(٣) قال ابن منظور: رجل سُهُدٌ: قليلُ النوم؛ قال أبو كبير الهذلي[لسان العرب ، مادة : سهد]:

فَأَتَتْ به حُوشَ الفُؤادِ مُبَطَّناً   سُهُداً، إذا ما نامَ ليلُ الهَوْجَلِ

فهي تترآى لها مشاكلها في نومها، في صور محزنة، وأشكال مخيفة مفزعة، لأنها مشغولة بها في يقظتها.[١]

ولو علمت هذه الفتاة أن أمر المؤمن كله خير في سرائه وضرائه وأفراحه وأحزانه لكفاها ذلك وقرت عينها ، فعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.[٢]

٣ـ الشك وسوء الظن والتأويل :

تعاني العوانس بصفة عامة من الشك في تصرفات الآخرين، وسوء الظن بهم، وتفسير ما يصدر منهم من أفعال، وتأويل ما يتفوهون به من أقوال تفسيرا سيئا بعيدا عن الحقيقة، لم يخطر ببال من صدر منه الفعل أو بدر منه القول. فهي تظن أن كل نظرة نحوها هي نظرة شك وارتياب، وأن أي ضحكة صدرت من آخر المقصود منها التهكم والسخرية منها، وأن كل كلام ونجوى بين اثنين، هي المعنية والمراد به، فقصد هؤلاء المتناجين المتهامسين الضاحكين، السخرية منها والاستهزاء بها والانتقاص من قدرها فهي عانس، وهي تريكة [٣] وهي مقلمة، [٤] ويكفيها ذلك خزيا وعارا ونقصا.وتبني العانس

---

(١) انظر أنواع الرؤى والأحلام في: المخالفات الشرعية في الأشعار العربية للمؤلف

(٢) صحيح مسلم: كتاب الرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: ٥٣١٨

(٣) التَّريكة: التي تُتْرَكُ فلا تتزوج، ولا يقال ذلك للذكر ، قال ابن الأعرابي: تَرِكَ الرجلُ إذا تزوج بالتَّريكة وهي العانسُ في بيت أبويها.[لسان العرب، مادة: ترك]

(٤) القَلَمُ: طول أَيْمة المرأة. وامرأة مُقَلَّمة أي أَيِّم. قال ابن الأعرابي وخَطَب رجل إلى نسوة فلم يُزَوِّجنه، فقال: أظنكنّ مُقَلَّماتٍ أي ليس لكنّ رجل ولا أحد يدفع عنكن. ابن الأعرابي: القَلَمة

الحقائق على الأوهام، وتجاهر الآخرين بالعداوة، وتقابلهم بالغلظة في القول والفظاظة في الفعل، نتيجة التفسيرات الخاطئة والظنون الكاذبة، والوشايات المغرضة، [١] وقد تتشابك مع لداهّا وبنات جلدهّا بالأيدي، فتخدش أجسامهن، وتخمش وجوههن، وتخدش خدودهن، وتنتف شعورهن، لا لشيء سوى أن هندا ودعدا صادف ضحكهما مرورها، فظنتهما يعنياها بالأمر، [٢] ويضحكان ويسخران منها، وواقع الأمر أهما يضحكان في أمر آخر خلاف ما تصورته هذه العانس، ولكنها أخطأت سمعا فأخطأت إجابة. [٣] وساءت فعلا.

٤ـ نظرات المجتمع إلى العانس:

العوانس قطاع عريض من قطاعات المجتمع ، فعلى المجتمع التعامل معهن بحيطة وحذر ، وذلك بعدم جرح مشاعرهن واعتبارهن عبأ عليه وكلفة زائدة على أسرهن ،

الغُزّاب من الرجال، الواحد قالِمٌ. ونساء مُقَلّمات: بغير أزواج.[النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {قلم}/ لسان العرب، مادة: قلم]

[١] انظر سوء الظن في الخلافات بين الأقارب

[٢] قال الله تعالى ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة المنافقون آية ٤)

[٣] قيل: أَسَاءَ سَمْعاً فأَساءَ جَابَةً. قال المفضل: إن أول من قال ذلك سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن هشام، فولدت له أنس بن سهيل، فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهه، يريد التحتي، فوقفا بحزورة مكة، فأقبل الأخنس بن شريق الثقفي، فقال: من هذا؟ قال سهيل: ابني، قال الأخنس: حياك الله يا فتى، قال: لا والله ما أمي في البيت، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقا، فقال أبوه: أساء سمعا فأساء جابة، فأرسلها مثلا، فلما رجعا قال أبوه: فضحني ابنك اليوم عند الأخنس قال كذا وكذا، فقالت الأم: إنما ابني صبي، قال سهيل: أشبه امرؤ بعض بزه. فأرسلها مثلا.[مجمع الأمثال، للميداني، رقم: ١٧٧٣]

كما أن على المجتمع عدم المبالغة في نظرة الشفقة والرثاء عليهن والحرص على عدم التلفظ بأي عبارة من عبارات المواساة أمامهن حتى لا يحزن ولا يكتئبن كما أن على أفراد المجتمع الاهتمام بهن وذلك بإيجاد حلول لمشاكلهن فالنساء بصفة عامة يردن أن يرحمن غيرهن لا أن يرحمهن غيرهم ويزيد هذا الأمر عند العوانس فالمرأة بصفة عامة تميل إلى التزيد والمبالغة في الأمور فهي تريد أن تري غيرها أن لها فضلا عليهم لا أن لهم فضلا عليها فعلى أفراد المجتمع فهم حقيقة هذا الأمر وتتفاوت نظرات المجتمع نحو العانس ما بين الشفقة والرحمة المفرطة والشماتة والسخرية والسعي نحو حل مشاكلها والتخفيف من معاناتها دون جرح مشاعرها لأن الرحمة لا تفهمها كل النساء بل هي تريد أن ترحم لا أن تُرحم وبعض أفراد المجتمع ينظر إلى المتزوجات والعوانس من الثيبات [١] أنهن يمكنهن قضاء أوطارهن وأنه يمكنه مساعدتهن في هذا الأمر باعتباره دينا يمكن تقاضيه بينهما قال التبريزي: ورد أعرابي البصرة فحضر الجامع وسمع المؤذنين يؤذنون . فقال: ما هؤلاء يصيحون: ولم يكن له بالأذان عهد. فقال بعض المجان: كل من كان في قلبه شئ وصعد وباح بما في قلبه أعطي مناه فقال الأعرابي : إني والله صاعد إذا. فقال الماجن لنقيب المؤذنين : هذا أعرابي جيد الأذان يريد أن يؤذن. فقال : ليصعد. فصعد وكان جهير الصوت ورفع صوته بهذه الأبيات:

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت ... على عزب حتى يكون له أهل
فإنا سنجزيها بما فعلت بنا ... إذا ما تزوجنا وليس لها بعل

---

(١) كالنساء المطلقات والأرامل والمعلقات والمغيبات.

أفيضوا على عزابكم من نسائكم   فما في كتاب الله أن يحرم الفضل

فعدا الناس إليه فطرحوه من المنارة فهلك. فسُمع بعض نساء البصرة تقول: رحم الله ذلك المؤذن ما كان أطيب أذانه.[١]

٥ـ نشوء أمراض الحسد والبغض :

الحسد صفة ملازمة لليهود لعنهم الله، قال الله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٢] وهو صفة مذمومة ومرض عضال وداء لا دواء له إلا تركه ، وله أسباب وظواهر بسطنا الحديث عنها في كتابنا الخلافات بين الأقارب فليراجع في موضعه. والحسد لا ينشأ إلا مع ظهور نعمة على أحد الأفراد ــ وبخاصة اللصيقين بهم من الأقارب والمعارف من الجيران والزملاء ونحوهم ، والحسد تذكيه الغيرة وتزيد من أواره ، فالنساء المتزوجات يواجهن بشدة الغيرة من النساء غير المتزوجات فالفتاة العانس قد تحسد غيرها من لداها ونظائرها اللاتي ساعفهن الحظ فتزوجن وسعدن مع أزواجهن[٣] رغم أنهن دونها في كل شيء من جمال وعلم ونحوه من مشوقات الرجال نحو النساء ولكن عمى الرجال لا حدود له فهم قد فضلوا هذا القبيحة الجاهلة عليها كما أنه قد تحسد الفتاة العانس أختها على زوجها وأطفالها[٤] أو قد يذهب بها الرأي والفكر أن تحسد أمها على أبيها لا طمعا

---

[١] شرح ديوان حماسة أبي تمام ج٢ص١٢١٠/ شرح التبريزي ج٤ص١٦٥

[٢] سورة النساء آية ٥٤

[٣] ليست هذه ظواهر مطردة عند كل النساء ولكن قد تحدث ولذا تناولناها بحديثنا.

[٤] انظر قصة رقم : ١٥ـ **العنوسة تولد الحقد من هذا الكتاب.**

في أن يتزوجها أبوها ولكن مجرد تساؤلات لماذا ؟ أمها منعمة ولها زوج وهي فارغ خلية عنه كما أن أهل الفتاة العانس يحسدون الأسر التي نفقت بناهم وتزوجن والفتاة العانس في غمرة حسدها ونشوة غضبها تنسى محاسن كل النساء المتزوجات وتتمثل أما ناظريها مساوئهن كما أنها تتذكر محاسنها وتنسى أو تتناسى مساوئها بل تحول هذه المساوئ إلى حسنات.

والبغض والكره للمحسود نتيجة حتمية للحسد فهي تبغضهن وتتربص بهن الدوائر عليها دائرة السوء ومن ثم تنتقصهن وتسعى جاهدة لانتقاص أقدارهن والتقليل من شأنهن والغض منهن ورميهن بكل سوء وباطل واختلاق الأكاذيب وائتفاك الباطل وافتعال الأراجيف فتشيع مثلا : أن عمرا قد تزوج خالدة لأنه كان بينهما ما كان ممن لست أذكره من الشر والفساد فخالدة قد فرطت في نفسها ومكنت عمرا من النيل منها لأنه كان قد وعدها بالزواج منها ومناها الارتباط بها وكان رجلا شهما فوفى لها بذلك . كما أن الحسد يولد الحقد وحب الانتقام الذي يدفع العانس للتفكير في إلحاق الأذى بغيرها من المتزوجات والإيقاع والإضرار بهن.[1]

٦- الانتحار:

عندما تعرف العانس أن قطار الزواج قد فات وأن الركب قد ارتحل وأن المطايا قد سرت وأنه قد انفض سامر زواجها لأفول العمر ولارجحان الشباب و بدء ابيضاض الشعيرات والذوائب التي لم تخفها الحناء ولا الأصباغ التي أخذت من هذه العانس وقتا وجهدا ومالا كما أن الشيطان يحزنها ويلقي في روعها أن الراغبين في الزواج لم يتركوها إلا لأنهم يرونها أنه قد نيل منها وأنها قد فرطت في نفسها ، ولذلك تركوها وزهدوا فيها

(١) انظر قصة رقم : ٢ ـ **أحزان خلف الجدران**: **وقصة رقم** : ١٥ ـ **العنوسة تولد الحقد من هذا الكتاب**.

وأحجموا عن التقدم إليها فانظري إلى فلانة ويذكرها بواحدة متزوجة غاية في القبح والدمامة ويلقي عليها تساؤلات : كيف أنها قد تزوجت رغم قبحها ؟ وما الدافع لهذا الزواج سوى أن المتقدم لها يظن فيها العفة فقط لا غير . فتفكر المسكينة في إنهاء حياتها وتبادر الله عز وجل بنفسها فتجأ نفسها بسكين أو نحوها أو تحتسي صبغا قاتلا أو تصعق نفسها بالكهرباء ، فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (١) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا. (٢)

وتنسى هذه المسكينة في غمرة هذه الأفكار السوداء أن الزواج مقسوم وأن عدمه مصيبة من المصائب التي يجب الصبر عليها والاسترجاع فيها فالقدر يمضي على ما أرضانا وما أمضنا فعلينا الصبر حتى ينال العبد الثواب والأجر الجزيل.

---

(١) سورة النساء آية ٢٩

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب: شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث. حديث رقم: ٥٣٣٣ / صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، حديث رقم: ١٥٨

٧ـ الإغراق في الأماني والإسقاط عما في دواخل النفس :

أ ـ الإغراق في الأماني: [١]

الإغراق في الأماني صفة ملازمة للعجز والجهل[٢] وبعضها جيد، وبعضها من الإفلاس، قال الشاعر:

إذا تمنيت مالا بت مغتبطا   إن المنى رؤوس أموال المفاليس

لولا المنى مت من هم ومن حزن   إذا تذكرت ما في داخل الكيس[٣]

وكل أمنية تعكس ما يدور بخلد صاحبها وما يجيش بخاطره، وما يعتمل في ذهنه، فأمنية الداعية المسلم أن يخرج داعية يحمل مقود النور ومشعل الفضيلة بلسان وبيان، فداعية مثل عمر بن الخطاب يتمنى دعاة مثله: فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله. قال: تمنوا فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبا فأنفقه في سبيل الله. قال: تمنوا قال آخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرا أو نحوه فأنفقه في سبيل الله. فقال عمر: تنموا فقالوا: ما تمنينا بعد هذا. قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله. قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة، قال: انظر ما يصنع، قال: فلما أتاه قسمه. ثم

---

[١] التَمَنِّي: تَشَهِّي حُصُولِ الأمْرِ المَرْغُوبِ فيه، وحديث النَّفْس بما يكون وما لا يكون.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {منا}]

[٢] قال ابن زياد: ثلاث من علامات الجاهل: الإغراب في الضحك، وكثرة الالتفات، والإغراق في الأماني.

[٣] الإدارة في التراث الإسلامي، ص ٣٦٩

بعث بمال إلى معاذ بن جبل فقسمه. ثم بعث بمال يعني إلى أبي عبيدة قال: انظر ما يصنع، فقسمه، فقال عمر: قد قلت لكم.[1]

وكل امرئ أمانيه تليق بمعاليه ومكانته فأمنية المحدث عكسها الإمام أحمد الذي قيل له: ما تتمنى؟ قال: سندا عاليا وبيتا خاليا، وقيل لبعض الوراقين: ما تتمنى؟ قال: قلما مشاقا، وحبرا براقا، وجلدا وأوراقا.[2]

كما أن أمنية التاجر أو التويجر هي اتساع تجارته وكثرة أمواله : يحكى أن رجلا كانت له بقرة فحلب لبنها ومخضه واستخرج منه سمنا ، ثم أخذه إلى السوق يريد بيعه، وجلس منتظرا زبونا لشراء زجاجة السمن التي أمامه، فسرح في أفكاره وتخيل أنه قد باع هذه الزجاجة واشترى بثمنها بقرة أخرى فزاد لبنه وزاد مبيع زجاجات السمن، وتزوج امرأة وأنجب منها ولدا وأمر هذا الولد بأمر من أمور الحياة العادية فخالفه ولم يسمع كلامه، فما كان منه إلا أن ضربه بعصاه ضربة أحسنت أدبه، ورفع العصا وضرب الزجاجة التي أمامه وأراق السمن.

كما أن أمنية الأب أن يزوج بناته إن كان له بنات وأن يأتي خطاب لهن فيشترط عليهم ما يشاء متمنيا نفاق سوق بناته وقيامها، فيرفض منهم من يشاء ، ويشترط على من يوافق عليه منهم ما يشاء ، قال أحدهم يزفن[3] ابنته متمنيا لها أن تصبح شابة جميلة تتبرقع ويجيئها خطابها فقال:

---

(1) التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص ١٠٢/ سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٤

(2) معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٤١

(3) التزفين : هو ضرب من الحركة مع صوت

يا ليتها قد لبست وصواصا[١] وعلقت حاجبها تنماصا[٢]
حتى يجيئوا عصبا حراصا ويرقصوا من حولنا إرقاصا
فيجدوني عكرا حياصا[٣]

كما أن الجائع أمنيته أن يسهل الله عز وجل له لقمة يسد بها رمقه أو أكلة هنيئة مريئة وأن يسهل له أبوابها وسبل الوصول إليها: قال الشيباني: أن أعرابيا قال: كنت أشتهي ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص، ذات حِفافين من اللحم، لها جناحان من العُراق ، أضرب فيها كما يضرب ولى السوء في مال اليتيم.[٤]

وأمنية المجاهد أن ينتصر في جهاده على عدوه ، وأن ينال الشهادة وأن يدخل الجنة، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه عندما قال له الناس: ردك الله إلى أهلك سالما:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا[٥]

---

[١] الوصاوص : البرقع

[٢] النمص: ترقيق شعر الحاجبين أو نتف شعر الوجه

[٣] حاص: فر / أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي تأليف أحمد أبو سعد دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، كانون الثاني ١٩٨٢ص ٩٩

[٤] نوادر الظرفاء والقصص عند العرب، نديم كامل ص١٤٨

[٥] البداية والنهاية لابن كثير مجلد٢ ج٤ص٢٤٢

وأمنية الطالب النجاح في دراسته ، وتحقيق وظيفة تسره مستقبلا قال أحد الأطفال عاكسا هذه الأمنية:

إنني طفل صغير اتخذت العلم نورا ... يا ترى ماذا أصير عندما أغدو كبيرا
هل ترى أغدو طبيبا أو وزيرا ... أو أغدو زعيما أو صحفيا شهيرا
سوف أسعى غير وَانٍ أطلب العلم الكثيرا ... راجيا نيل الأماني عندما أغدو كبيرا

وأمنية العاشق التمكن من معشوقته والخلوة بها ، قال كثير عزة متمنيا له ولعزة أن يمسخا بعيرين حتى يخلوا وحدهما أطول مدة :

ألا ليتنا يا عز من غير ريبة ... بعيران نرعى في الخلاء ونعزب[1]
كلانا به عر فمن يرنا يقل ... على حسنها جرباء تعدي وأجرب
إذا ما وردنا منهلا صاح أهله ... علينا فما ننفك نرمى ونضرب
وددت وبيت الله أنك بكرة ... هِجان وأني مصعب ثم نهرب
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا ... فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

واعترض عمر بن أبي ربيعة ونصيب والأحوص، على كثير في أبياته هذه وقال له عمر: ويلك تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والطرد والمسخ فأي مكروه لم تتمن لها ولنفسك! ولقد أصابها منك قول الأول : معاداة عاقل خير من مودة أحمق.[2]

والعانس تبني قصورا من الرمال في خيالها ثم تعود فتهدمها وتنشئها بناء آخر، وتنسج أحاديث على منوال هذه الأماني، بأنها قد تزوجت وأنها قد سعدت في حياتها وأنها قد أنجبت طفلا أسمته زيدا أو عمرا أو غيرهما من الأسماء التي تجود بها قريحتها وتسعفها بها

---

[1] نعزب : نبعد. ومنه الأعزب أي البعيد عن النساء.

[2] قصص العرب ج ٣ ص ١٩٥

مخيلتها، وأن هذا الطفل قد ناغته وأرضعته وذهبت به إلى دار الحضانة، ورياض الأطفال وأدخلته المدرسة، وترعرع ونشأ وبلغ مبلغ الصبيان ثم التحق بالمدرسة الثانوية.

يحكى أن فتاة كانت تركب مركبة عامة تسافر بين المدن، فوقع مقعدها مجاورا لشاب وسيم، وكانت البنت عانسا، وبطول ساعات السفر نامت على مقعدها، وتخيلت الفتاة أن هذا الشاب قد تقدم لخطبتها، ووافق أبوها عليه، وتم تحديد يوم العقد [1] وبدءوا التجهيزات للزواج، وجاء اليوم المحدد للزواج وتوافد الناس، وأولم أبوها عليها وليمة كبيرة، وأطعموا المدعوين، وفي هذا الأثناء انفجر إطار السيارة انفجارا مدويا، فاستيقظت الفتاة وصاحت: هل تم العقد ؟ أي عقد الزواج . وظنت أن هذا الانفجار عيار ناري أطلق بهذا السبب ، لأن الناس في الزواج عادة يطلقون الأعيرة النارية.

ب ـ الإسقاط عما في دواخل النفس:

تخرج عن الإنسان بصفة عامة كلمات وعبارات، توحي بما يجيش في صدره، وما تخفيه مكنونات نفسه، وما يسبب له شغلا وهاجسا، فمن خلال هذه الكلمات المنفلتة، والعبارات الصادرة، تستطيع أن تكون فكرة عن ما يشغل بال هذا الشخص.

والعانس جزء من مجتمع الناس، وعنوستها تشكل لها مشكلة كبرى تتأثر بها أطراف أخرى، من والدين وإخوان، وأخوات متزوجات، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، وغيرهم.ولنأخذ مثالا واحدا لعبارات تخرج من العوانس، وهي أغاني البنات، التي كانت قبل العنوسة في شكل والآن بعد طوفان العنوسة أخذت شكلا آخر، ولا نريد أن نتطرق للأغاني من حيث مشروعيتها أو عدمه . فحكمها معروف فهي حرام لقول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

---

[1] أي عقد النكاح.

وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾(١) أما الغناء بالدف للجواري في الأعراس فهو مباح لم يخالف فيه أحد من الناس وقد كان يمارس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع مراعاة عدم اختلاط الجنسين، و عدم احتوائه على ما يخالف الشريعة ، وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن ما يخالف فيها من مخالفة : فعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ:

وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ.(٢)

وأغاني البنات في الأعراس في القديم كانت تدور غالبا حول ما بذله الزوج من جهاز لزوجته وما سيقوم به من تجهيزات، كما قالت إحدى نساء الأنصار تصف ما أحضر زوج امرأة عروس: فعن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنساء من الأنصار في عرس لهن وهن يغنين:

وأهدى لها أكبشا تبحبح(٣) في المربد(٤)

---

(١) سورة لقمان آية ٦

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: ضرب الدف في النكاح والوليمة، حديث رقم : ٤٧٥٠/ سنن أبي داود. كتاب الأدب، باب في النهي عن الغناء، حديث رقم: ٤٢٧٦/ سنن الترمذي، كتاب: النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في إعلان النكاح، حديث رقم: ١٠١٠

(٣) تُبَحْبِح في المِرْبَد: أي مُتمَكِّنة في المِرْبد وهو الموضع.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {بحبح} / لسان العرب، مادة: بحح]

(٤) المعجم الصغير، ج ١ ص ٢١٤، حديث رقم: ٣٤٣

أي أنها تمجد الزوج وأن زوجته قد فازت ببغيتها فعليها أن تحمد الله وتشكره على ما أولاها من نعم ، وعلى بقية البنات أن لا يحسدنها لما فازت به من زوج كما أنها لا تنسى وصف الزوجة بأنها على درجة من الجمال وأن زوجها قد فاز بما لم يفز به غيره من جمال وأدب وصفات كثيرة يحبذها الرجال الراغبون في الزواج وعند ساعة زفاف العروس [1] لزوجها تجلس مجموعة من الفتيات اللاتي يكن غالبا غير متزوجات ويتغنين بعض الأغاني، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَنْكَحَتْ عَائِشَةُ ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا مِنْ الْأَنْصَارِ [2] فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَهْدَيْتُمْ [3] الْفَتَاةَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ أَرْسَلْتُمْ مَعَهَا مَنْ يُغَنِّي قَالَتْ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ فَلَوْ بَعَثْتُمْ مَعَهَا مَنْ يَقُولُ:

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ

---

[1] عرس الرجل امرأته وهو أيضا عرسها ولا يقال للزوجين عروسين إلا أيام البناء واتخاذ العرس، والمرأة تسمى عرس الرجل في كل وقت.

[2] هي: فارعة بنت أبي أمامة أسعد بن زرارة الأنصارية، قال أبو عمر كان أبو أمامة أوصى ببناته فارعة وحبيبة وكبشة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فزوج النبي صلى الله عليه وسلم الفارعة نبيط بن جابر من بني مالك بن النجار. وقال بن سعد أمها عميرة بنت سهل وكانت الفريعة أكبر بنات أسعد بن زرارة فلما بلغت خطبها نبيط بن جابر فلما كانت الليلة التي زفت فيها قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قولوا أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم فولدت لنبيط عبد الملك فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرك فيه وكانت الفريعة من المبايعات.[الإصابة لابن حجر، ترجمة: ١١٥٧٣]

[3] قال السندي: قوله (أهديتم الفتاة) أي أرسلتموها إلى بيت بعلها، والغزل بفتحتين اسم من المغازلة بمعنى محادثة النساء ومثلهم لا يخلو عن حب التغني (فحيانا وحياكم) قيل وآخره لولا الحنطة السمراء لم تسمن عذاراكم. (شرح سنن ابن ماجة للسندي: ج ٢ ص ٤٣٩)

لولا الحنطة السمراء لم تسمن عذاراكم[1]

ويكون هذا الاجتماع غالبا خلوا من الرجال عدا الزوج الذي أحضر لجلوة العروس ويتغنين بمجموعة أغاني بعضها مما ذكرناه آنفا من إضفاء صفات تمجيد وثناء على الزوجين وما نالتهن من فرحة بعقد هذا الزواج المبارك الميمون متمنيات لهما حياة زوجية سعيدة. وأن يغلبها الزوج بالمال وتغلبه الزوجة بالعيال.

وفي السودان لو أخذناه مثلا ويمكنك قياس أكثر البلاد الإسلامية عليه للتشابه في معظمها، كانت أغاني البنات في الماضي القريب تدور حول الحرية المتوفرة للفتاة في الاختيار الواسع للزوج فهي لا تريد شريك حياتها أن يكون من أبناء عمها وتدعو لابن عمها أن يصيبه الغم، ولا أن يكون ابن خالها داعية الله له أن يخلخل حاله وأن يكثر بلباله، ولا أن يكون جارا ولا قريبا من الأهل والعشيرة، ولا أن يكون أصلع ولا شيخا كبيرا سواء أكان قريبا لها أم بعيدا عنها داعية الله عز وجل أن يحول بينها وبين الشيوخ

[1] سنن ابن ماجة : كتاب النكاح، باب: الغناء والدف، حديث رقم : ١٨٩٠

وعن عبد الرحمن بن نبيط عن أبيه هو نبيط بن جابر عن جدته أم نبيط قالت أهدينا جارية لنا من بني النجار إلى زوجها فكنت مع نسوة من بني النجار ومعي دف أضرب به وأنا أقول

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

قالت فوقف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا أم نبيط فقلت بأبي أنت وأمي يا نبي الله جارية منا من بني النجار تهديها إلى زوجها قالت فتقولين ماذا قالت فأعدت عليه قولي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي

لولا الحنطة السمراء ما سمن عذاريكم

[الإصابة لابن حجر، ترجمة : ١٢٢٧٩]

المتصابين الناهضين كالفروخ المتقدمين للفتيات اللاتي هن في عمر الزهور وأن يصيبهم العمى من جراء آلة حادة تدخل في أعينهم فتذهب بضوئها ولا تنسى أن تذكر صفات زوجها المرتقب، وفارس أحلامها المنتظر، فشريك الحياة المتقدم لهن يجب أن يكون مغتربا أو تاجرا من تجار الغرب [١] أو أن يكون زوجها المرتقب من هيئة التدريس في الجامعات وأن يكون وسيما جميلا ينتقي ملابسة انتقاء وأنه كان من المبتعثين إلى البلاد الأوربية وبخاصة فرنسا عاصمة الرقي والجمال وأن يكون بالتحديد قادما من عاصمتها باريس، كما أن الفتاة لا تنسى أن تشمت بالعازبين وأنهم سيموتون كمدا وحسرة، وأن الهم والغم سيلازمانهم، وأن الكرب والحزن سيحالفانهم لأنهم لم ولن يظفروا بها ، هكذا كانت تدور أغاني البنات عندما كانت سوقهن قائمة، وكان التهافت عليهن كبيرا ، وكان الإقبال عليهن متتاليا ، وعندما تبدلت الحال، بعوامل عدة ككثرة البنات المطردة ، وفتح أبواب الفواحش على مصراعيها في بعض بلدان المسلمين علانية أو عن طريق الاختلاط في الجامعات والمعاهد العليا، والزواج من الأجنبيات والظروف الاقتصادية لبعض الأزواج والمغالاة في المهور، صارت العنوسة مشكلة تعاني منها المجتمعات فانعكس ذلك على أغاني البنات فصارت توجد مجموعة أخرى من أغاني البنات في الأعراس تعكس لنا ما تعانيه هؤلاء الفتيات من صراعات وما يكتنفهن من عنوسة أحسسن بها فأسقطن عما في أنفسهن مما صار هاجسا وشبحا يترآى لهن في حلهن وترحالهن ويقظتهن ومنامهن ومن ثم تغيرت أغاني البنات في الأعراس وبدأ التحول التدريجي في الأغاني بفعل العنوسة فصارت أغانيهن اللاتي كن يطلبن فيهن ما ذكرناه آنفا من مغترب أو تاجر أو أستاذ

---

[١] أي مغتربا في إحدى دول النفط كالسعودية ودول الخليج. أو تاجرا من تجار غرب السودان وهم أصحاب أبقار وتجارات واسعة.

جامعي بالتنازل عن هذه الطلبات وعدم الاشتطاط في الاشتراطات، فتنازلن عن اشتراط المال، إلى الرضا بأدنى المستويات ليست الوظيفية بل العمالية ومن أقل الوظائف العمالية وأخسها وهي وظيفة صاحب عربة الكارو وهي العربة التي تجرها الحيوانات كالخيل والحمير وتطلب منه أن يتقدم لخطبتها بما عنده وذلك في حوار طويل وأنه إن لم يكن عنده شيء فإن أباها سيتكفل بكل شيء حتى وإن لم تكن عنده ملابس فسيلبس من ملابس والدها مع أشياء كثيرة من هذا الضرب.ويصور لنا مقطع آخر من أغاني البنات قول واحدة : أنها ملت من جلوسها في البيت من غير زواج ، وتدعو أحد الصالحين الأموات وتسميه باسمه وتسأله مستغيثة به أن ييسر لها زوجا [١] وسترضى من هذا الشيخ بما سيعطيه لها حتى وإن كان زوجا له امرأة بل حتى ولو كان زوج أختها مما يعني أنها إن كانت تعي ما تقول شيئين لا ثالث لهما :

ـ أن تتمنى موت أختها وأن تخلفها في مكانها.

ـ أن يجمع زوج أختها بينها وبين أختها في غمد واحد.

وهي تعلم تمام العلم أن زوج أختها لن يطلق أختها ـ حتى ولو أراد ذلك وكانت له الرغبة الملحة فيها ـ ويتزوجها لأن المجتمع لا يوافق على ذلك وينكره، أما والداها فموافقتهم دونها خرط القتاد، لأنهما لا يريدان استفحال [٢] هذا الزوج وأن

---

[١] هذا الأمر من الشرك الأكبر لأنه دعاء لغير الله تعالى.

[٢] الاستفحال الإتيان بفحل للمرأة، قال الفيروز آبادي : الاسْتِفْحالُ: ما يَفْعَلُهُ أعْلاجُ كابُل إذا رأوا رجُلاً جَسيماً من العَرَبِ خَلَّوْا بينه وبين نسائِهِم لِيُولَدَ فيهم مثلُهُ. [القاموس المحيط باب اللام. فَصْلُ الفَاء]

يطلق هذه ويتزوج تلك بل المتبادر إلى الذهن أن تموت أختها فتخلفها هي في مكانها عند زوجها. ولكن يلتمس لهؤلاء الفتيات عذرا أنهن يتفوهن بما لا يعيين.[1]

٨ـ الخداع والتغرير وإخفاء العمر الحقيقي:

من الجدير بالذكر أن الإنسان بصفة عامة يرغب في أن يصغر عمره والمرأة أشد رغبة في ذلك فهي قد تكون أكبر من عجوز بني إسرائيل[2] وتوهم نفسها وتري غيرها أنها شابة يافعة في مقتبل العمر وأنها غضة في عمر الزهور وأنها أمنية المستمني وأن ابيضاض شعرها واشمطاط فرقها رغوة من رغوات الشباب، وقد تستشهد بقول ابن الرومي:

قد يشيب الفتى وليس عجيبا   أن يرى النور في القضيب الرطيب[3]

وتعطيك درسا في الشيب وظهوره المبكر في الرأس فتفدك علما عليك أن تقيده بقيد وإلا فر منك بنسيانه ، فالشيب له عوامل ومسببات عدة منها:

ــ الخوف وهي قد خافت بما فيه الكفاية فحياتها كلها خوف والتياع وأسى.

ــ والانشغال وهي لم تفرغ ذهنيا ولا بدنيا يوما ما فكل الدهر انشغال وتفكير.

ــ كما أن من عوامل الشيب المصائب وهي كل مصائب الدنيا ومشاكلها قد اجتمعت عليها وتكالبت على ظهرها.

ــ كما أن من أسباب الشيب الهموم وهي قد لزمتها الهموم والغموم وأحالت حالها إلى ما ترى من شيب فشيبها حقيقة ليس من سنين تتابعت عليها ولكن شيبتها المصائب والملمات، قال الشاعر:

---

(١) راجع : موقع النيلين، سوادنيات، مقال بعنوان: أغاني البنات.

(٢) قيل: أكبر من عجوز بني إسرائيل، وهي شارخ بنت يسير بن يعقوب، كانت لها مائتا سنة وعشر سنين ، فلما مضت لها سبعون عادت شابة. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٥٠]

(٣) ثمار القلوب للثعالبي ج ١ ص ٤٩٢

وما شاب رأسي من سنين تتابعت   عليّ ولكـن شيبتني الوقـائع[١]

وما أكثر الوقائع والملمات والأحداث التي أصابتها والتي لو نزلت بصم الجبال لصدعتها ولو نزلت بأشاوس الرجال لحنت ظهورهم وألانت عمودهم ولكنها لصلب عودها وقوة صبرها وشدة شكيمتها شابت شعيرات رأسها هذا الشيب الخفيف الذي تراه ، وتجعد وجهها هذه التجعدات الطفيفة، وأدوات التجميل كفيلة بإزالتها.

ـ كما أن من أسباب الشيب تقدم العمر وتتابع السنين كما هو معروف ومتبادر إلى الأذهان لرؤية شيب على الرؤوس من أول وهلة، قال الله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [٢]

كما أن المرأة التي خالط رأسها شيب تود لو انتشر هذا الشيب في رؤوس غيرها من لداها وبنات جنسها، أنشد ابن الأعرابي على لسان امرأة مستنكرة مشيب رأسها دون غيرها من أترابها، وأن رغبتها ومناها أن يأتي الشيب لكل النساء فقال:

عَلامَ بَنَتْ أُخْتُ اليَرابِيعِ بَيْتَها   عَلَيَّ، وقالَتْ لي: بِلَيْلٍ تَعَمَّمِ؟

معناه أنها لما رأت الشيبَ قالت لا تأْتنا حِلْماً ولكن ائتنا عَمّاً.[٣]

والنساء غالبا يخفين أعمارهن الحقيقية ولا يخبرن بها أحدا ولذلك فالمرأة لا تحتمل أن يسألها أحد من الناس عن عمرها ، وهي تستخدم الحناء لخضاب الرأس هذا إن لم

---

[١] الإدارة في التراث الإسلامي، ص ١٠٦

[٢] سورة الروم آية ٥٤

[٣] لسان العرب ، مادة : عمم

تستعمل الأصباغ السوداء كما أنها تستعمل كريمات لإزالة النمش والكلف من الوجه هذا إن لم تذهب إلى طبيبة التجميل لشد بعض أجزاء جسمها كما أنها تحرص على استخدام الأحزمة لشد البطن خوفا من بروزه وظهوره ورجاء أن تكون هيفاء[١] ضامرة وقد صور لنا أحد شعراء الأعراب ـ وهو ابن أبي الزوائد الأعرابي ـ امرأة قابلها فظنها على مسحة من جمال وعلى درجة من ملاحة وأنها شابة يافعة لأنه رأى خضابها فظنه مؤشرا لكثرة خطابها فدفعه هذا لخطبتها فوافقت فتزوجها وطلب تعجيل دخولها عليه فدخل بها فوجدها عجوزا قد مضى منها وأدبر زمانها وأفل عمرها وارجحن شبابها، ونصل خضابها وتخلعت أسنانها وكان الذي خدعته المظاهر ودلس عليه أمرها خضابها وفي حقيقة الأمر أن هذا الخضاب تصابٍ منها فقال مصورا هذا المشهد :

عجوز ترجي أن تكون فتية … وقد لحب الجنبان وأحدودب الظهر
تدس إلى العطار ميرة أهلها … وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر
وما راعني إلا خضاب بكفها … وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
وزوجتها قبل المحاق بليلة … فكان محاقا كله ذلك الشهر[٢]

وكما أن المظاهر تخدع الرجال فكذلك تخدع النساء فقد ترى المرأة رجلا ملابسه جيدة ومظهره يوحي بغناه، فتمني نفسها بالتعرف عليه والقرب منه، والزواج به، وعندما تتحقق أمنيتها تجد الأمر خلاف

---

(١) الهَيَفُ بفتحتين ضمر البطن والخاصرة ورجل أَهْيَفُ وامرأة هَيْفَاءُ وقوم هِيفٌ وفرس هَيْفَاءُ ضامرة. [مختار الصحاح للرازي، باب الهاء مادة: هيف]

(٢) الأضداد لابن الأنباري ص ١٥٤ ، أمالي ابن دريد ٢١٠

مـــــــا ظنـــت والـــــواقـــــــــع غـــير مـــــا أملـــــــت.[١]

وليس من الحكمة واللباقة سؤال أحد من الناس عن عمره كما أنه لـيس مـن الحصافة للرجال والنساء على السواء الإخبار بأعمارهم ابتداء من غير سؤال كما قـال الشافعي رحمه الله تعالى: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، لأنـه إن كـان صـغيرا استحقروه، وإن كان كبيرا استهرموه [٢] كما أنه يمكن للإنسان أن يسـتعمل التوريـة والمعاريض إن كان لا يريد ذكر عمره الحقيقي.

وقد تلجأ كثير من النساء التي تخفق في التورية للكذب والخداع الذي ينتج عنه الشعور بالذنب أو موت القلب عند إدمان الكذب.

٩ـ الذهاب إلى الكهنة والعرافين:

قال ابن منظور: يقال للحازي عراف، وللقنان عراف، وللطبيب عراف، لمعرفـة كل منهم بعلمه، والعراف الكاهن. قال عروة بن حزام :

فقلت لعراف اليمامة داوني   فإنك إن أبرأتنـي لطبيب

وفي الحديث: من أتى عرافا أو كاهنا، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. أراد بالعراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.[٣]

---

[١] قيل: غرَّني بُرْداكَ من خَدافِلي": الخَدافِلُ: المَعاوِزُ، بلا واحدٍ. يُضْرَبُ لِمَنْ ضَيَّعَ شَيْئَهُ طَمَعاً في شيءِ غَيْرِه، قالَتْه امرأةٌ رأتْ على رجُلٍ بُرْدَيْنِ، فَتَزَوَّجَتْهُ طامِعَةً في يَساره، فألْفَتْه مُعْسِراً.[القاموس المحيط، باب اللام. فَصْلُ الخاء. / لسان العرب، مادة : خذفل]

[٢] مختصر صفوة الصفوة ص ٢٠٧

[٣] لسان العرب ج ٤ ص ٢٨٩٨

والكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب.[١]

يزداد انتشار العقائد الفاسدة في المصائب والملمات من فقر ومرض ومدلهمات وينتشر الكهنة والعرافون في عصرنا الحالي انتشارا واسعا ومعظم آميهم وقاصديهم من النساء، وهن يأتين لهؤلاء الدجالين في الغالب للأسباب الآتية:

ــ بعض النساء اللاتي فاتهن قطار الزواج والراغبات فيه، لأنهن خليات عن الأزواج وقد أقضت العنوسة مضجعهن، وأرقت لياليهن وأطالتها.

ــ وبعضهن ظفرت بزوج فهي تريد تقييده وربطه والاستئثار به وحدها حتى لا يلتفت إلى غيرها ولا يفكر في سواها ولا يرتبط بشيء دونها.[٢]

ــ وبعضهن عقيم لا تنجب فهي تريد من الدجاجلة أن يهبوا لها غلاما زكيا تقر به عينها وتداعبه وتشغل به فراغها القاتل.

ــ وبعضهن يعانين من خلافات ومشاكل مع أزواجهن فهن مهانات مسبوبات مشتومات إن لم يكن مشجوجات مضروبات فهن يرغبن في إيقاف هذا النكد وفي حل هذه المشاكل ومن ثم العيش والتنعم مع أزواجهم في هناء ونعيم معززات مكرمات.

ــ وبعضهن متنعمات مع أزواجهم يخشين العين ويخفن الحسد ويوجلن من زوال هذه النعمة وتحولها ويحذرن فجاءة النغمة وتحول العافية فهن يردن من هذا الشيخ أن يكتب لهن شيئا تحافظ به إحداهن على نعمتها فما أكثر العوانس البائسات وجلهن من ذوات الحسد.

---

[١] كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٣٥

[٢] انظر تأخيذ الأزواج وتقييدهم في الخلافات بين الزوجين

فتريد من هذا الدجال أن يعمل لها شيئا يضمن لها استمرار الحياة على هذا النسق وتلك الوتيرة وأن يقيها العوارض والمحن ويدفع عنها الشرور والإحن.

ـ وبعضهن مغيبات طال غياب أزواجهن عنهن، فهن يردن عودهم بأي طريقة، شرعية أو غيرها، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به قالت عائشة رضي الله عنها لعروة يا بن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى أني لأرحمها تقول إني لأخاف أن أكون قد هلكت كان لي زوج فغاب عني فدخلت علي عجوز فشكوت إليها ذلك فقالت إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فأبيت وقلت : لا قالا فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت ففزعت ولم تفعل فرجعت إليهما فقالا فعلت فقلت نعم فقالا هل رأيت شيئا قلت لم أر شيئا فقالا لم تفعلي ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ثم ائتي فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت لم أر شيئا فقالا كذبت لم تفعلي فارجعي إلى بلادك ولا تكفري فإنك على رأس التابعين فأبيت فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد قد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني فجئتهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت رأيت فارسا مقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى فقالا صدقت ذلك إيمانك خرج منك اذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيئا وما قال لي شيئا قالت بلى لن تريدي شيئا إلا كان خذي هذا القمح فابذري

فبذرت فقلت اطلعي فطلعت فقلت احقلي فأحقلت ثم قلت افركي فأفركت ثم قلت أيبسي فأيبست ثم قلت اطحني فأطحنت ثم قلت اخبزي فأخبزت فلما رأيت أني لا أريد شيئا إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لو كان أبواك حيين أو أحدهما لكانا يكفيانك. [1]

والكاهن والعراف له معرفة بأحوال النساء من جراء طول تعامله معهن فيمكنه أن يذكر حقائق تعتمد على الاستنتاج وقوة القريحة فتظنها المرأة الهالكة في الشرك والضلالة ضربا من علم الغيب الذي استأثر الله عز وجل به وخص به نفسه وحجبه عن رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [2] وقال تعالى عن ملائكته نافيا عنهم علمهم الغيب ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا

---

[1] سنن البيهقي الكبرى ٨ ص ١٣٧ ، حديث رقم: ١٦٢٨٢/ المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ١٧١ ، حديث رقم: ٧٢٦٢

[2] سورة الأعراف آية ١٨٨

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١) وقال تعالى عن جميع المخلوقات ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى عن الجن خاصة ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (٣)

ولنضرب مثلا على ما نقول: قد تأتي مجموعة من النسوة إلى أحد الكهان، وتكون إحداهن عليها مظاهر الزواج من حناء وزينة وطيب خاص بالنساء المتزوجات، فتأتيه على هذه الحال فيخمن إما أن هذه المرأة تريد:

- أن تسعد مع زوجها
- أو أنها عقيم تريد ذرية طيبة.

وكأن تكون الأخرى مكورة البطن أو تحمل طفلا وتبدو كأنها قلقلة مشغولة فيستنتج أنها تعاني من مشاكل مع زوجها، فيجيبها بأنه بإمكانه استصلاح زوجها فتظن أنه يعلم الغيب لأنه بادرها بمشكلتها من قبل طرحها عليه وأنه لم يسألها عنها.

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ ــ ٣٣

(٢) سورة النمل آية ٦٥

(٣) سورة سبأ آية ١٤

وكأن تكون الثالثة سلتاء[1] اليدين، سفعاء الخدين، بادية الشحوب، ساهمة الفكر، فيعرف أن هذه عانس تريد زوجا، فيبادرها قائلا: سيأتيك زوج صفاته كذا وكذا، وتظن هذه البلهاء أن هذا الشيخ على شيء ولا تدري أنها ألقمته الحجة بحالتها التي يعرف منها أنها غير متزوجة أغبى أغبياء بني آدم وأنها راغبة في زوج لأن كل عانس ترغب في ذلك، ولم يأت هذا الكاهن الكاذب بجديد.

ومن مكر هؤلاء الكهنة أنهم إذا أعوزهم شيء من الأمور فإنهم يسألون هؤلاء النساء بعض الأسئلة التي يعرفون بها حقيقة أمرهن ثم يقول الكاهن لكل واحدة منهن: أنت كذا وكذا ويكون قد استنتج كلامه من إجابة إحداهن على أسئلته لها.فتظن كل واحدة منهن أنه يعلم الغيب وأنه يمكنه مساعدتها، ويعكس هؤلاء النسوة تجارهن لأخواتهن فيرغبن فيما فعلن ومن ثم قد تلجأ غيرهن من العوانس للذهاب إلى هؤلاء الكهنة والعرافين ظنا منهن أن لهم يدا في تغيير واقعهن.

وقد حدثت قصة حقيقية لعروة بن حزام العذري حينما ذهب به أهله إلى أحد الكهنة والعرافين، وإليك القصة: قيل: إنه كان باليمامة عراف له قرين من الجن يعرفه الأخبار ودواء بعض الأدواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته أبو كحلاء مولى لبني يشكر فحملوه إليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه وأصل ذلك أن العرب كانت إذا تخيلت بشخص سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت

---

(١) السِّلْتاء من النساء: التي لا تَخْتَضِبُ. وسَلَتَتِ المرأةُ الخِضاب عن يَدها إذا مَسَحَتْهُ وأَلْقَتْه.[لسان العرب، مادة: سلت]

الرصاص وسكبته في ذلك الماء ودفنته في فضاء من الأرض فيزول عن الشخص ما به وأن الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع أخبرهم أن ما به ليس إلا من العشق[١]

وقد صور عروة مشاهد ذهابه للعراف وما قال للعراف وما قاله له العراف، في قوله:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... ولعراف نجد إن هما شفياني
فقالا نعم تشفى من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا ... ليستخبراني قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا سلوة[٢] إلا وقد سقياني
وما شفيا الداء الذي بي كله ... ولا ادخرا نصحا ولا ألواني
فقالا شفاك الله والله مالنا ... بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتي ... عن الرأس ما ألتاثها ببنان[٣]

وقد جاء النهي عن الذهاب إلى الكهنة والعرافين في أحاديث كثيرة نجتزئ منها بالآتي

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [١]

---

[١] تزيين الأسواق ص ٧١

[٢] السُّلْوَانَةُ بالضم خرزة بيضاء شفافة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا واسم ذلك الماء السُّلْوانُ بالضم أيضا وقيل السلوان دواء يسقاه الحزين فيسلو والأطباء يسمونه المفرح[مختار الصحاح للرازي باب السين، مادة: سلا/ (بلوغ الأرب ج ٣ ص ٥)]

[٣] تزيين الأسواق ص ٧٤

ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام.[٢]

١٠ـ الوقوع في المخالفات الشرعية :

يستغل الشيطان حال العانس وما تكون فيه من حزن، فيوسوس ويزين لها أن السبب الذي جعلها عانسا هو تقوقعها في البيت ولزومها قعر بيتها حبيسة حيطان أربعة وأنها لا تبادر بالاختلاط بالشباب والتعرف عليهم بغية اصطياد واحد منهم فإن:

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور[٣]

ويزين لها الشيطان السير في هذا المضمار ويذكرها بأمثلة من فتيات كن أقل منها التزاما وجمالا ومنزلة ومكانة وساعفتهن الظروف وتزوجن ، فمثلا فلانة مع قبحها كانت كثيرة الخروج فظفرت بزوج، وأن فلانة كانت تراسل غيرها من الشبان وتكتب لهم الرسائل الغرامية وكانت تهاتف بعضهم وراسلها عدة من الشباب وهاتفها آخرون فاختارت منهم من أعجبها وتركت الباقين، وأن فلانة كانت كثيرة الاختلاط بالشباب فعرفتهم حق المعرفة وخبرتهم حق الخبرة مع ذلك لم يزهد فيها الزاهدون كما يوجع رأسنا كثير من الدعاة بقولهم: إن الفتاة كثيرة الاختلاط كثيرة الخروج يزهد فيها الخطاب ، بل الأعجب

---

(١) مسند الإمام أحمد، حديث رقم : ٩١٧١

(٢) سنن ابن ماجة: كتاب الطهارة وسننها، باب: النهي عن إتيان الحائض، حديث رقم : ٦٣١/ مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، حديث رقم : ٨٩٢٢/ سنن الدارمي: كتاب الطهارة، باب من أتى امرأته في دبرها، حديث رقم: ١١١٦

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبد الله بن مفلح المقدسي الحنبلي، طبع جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية، ج ١ ص ١٤٣

من ذلك أن فلانة كانت كثيرة الخروج وأنها فرطت في نفسها ونيل منها وتزوجت بعد ذلك.وتنسى هذه الفتاة في غمرة وساوس الشيطان العوانس اللاتي مثلها ومن هن أكثر منها التزاما وجلوسا في البيت بل وجمالا ومكانة ولم يتزوجن حتى الآن.فيزين لها الشيطان التبرج والسفور وإبداء الزينة والخروج والاختلاط بالرجال وكلها أمل ويحدوها شوق أن تظفر بواحد منهم.ويقودها الشيطان نحو خطواته خطوة خطوة فيزين لها النظر والاسترسال فيه ثم يقودها إلى الكلام مع الرجال ثم يتدرج بها إلى مصافحتهم ثم الجلوس معهم ثم إلى مراحل متقدمة بعد ذلك ، ثم بعد ذلك يبرأ منها ويزهّد فيها أول من يزهّد من صافحوها وجلسوا معها ونالوا منها قال الله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[1]

وسبب نزول الآية ما يلي:

قال وهب بن منبه: إن عابدا كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، وكانت بكرا، ليست لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا عند من يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها. قال فاجتمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده، فتكون في كنفه وجواره إلى أن يقفلوا من غزاتهم، فأبى ذلك عليهم وتعوذ بالله منهم ومن أختهم. قال فلم يزالوا به حتى أطمعهم فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي، فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا، يترل إليها الطعام من صومعته، فيضعه عند باب

---

[1] سورة الحشر آية ١٦

الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام. قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها. قال: فلبث بذلك زمانا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر، وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك؛ قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها، قال: فلبثت بذلك زمانا ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه، وقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة. قال: فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من فوق صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها، وتخرج الجارية من بيتها، فلبثا زمانا يتحدثان، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها، وقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا من باب بيتها كان آنس لها. فلم يزل به حتى فعل. قال: فلبثا زمانا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال له: لو دنوت من باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها، ففعل. فكان ينزل من صومعته فيقعد على باب بيتها فيحدثها. فلبثا بذلك حينا ثم جاءه إبليس فقال: لو دخلت البيت معها تحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك. فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها نهاره كله، فإذا أمسى صعد في صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها. فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها، فولدت له غلاما، فجاءه إبليس فقال له: أرأيت إن جاء إخوة هذه الجارية وقد ولدت منك! كيف تصنع! لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك! فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على

ما صنعت بها، ففعل. فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها! خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها. فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفيرة مع ابنها، وأطبق عليها صخرة عظيمة، وسوى عليها التراب، وصعد في صومعته يتعبد فيها؛ فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث؛ حتى قفل إخوتها من الغزو، فجاءوه فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها، وبكى لهم وقال: كانت خير أمة، وهذا قبرها فانظروا إليه. فأتى إخوتها القبر فبكوا على قبرها وترحموا عليها، وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا إلى أهاليهم. فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم، أتاهم الشيطان في صورة رجل مسافر، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم؛ فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها؛ فكذبه الشيطان وقال: لم يصدقكم أمر أختكم، إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه فزعا منكم، وألقاها في حفيرة احتفرها خلف الباب الذي كانت فيه عن يمين من دخله. فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونهما هنالك جميعا كما أخبرتكم. قال: وأتى الأوسط في منامه وقال له مثل ذلك. ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك. فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لما رأى كل واحد منهم. فأقبل بعضهم على بعض، يقول كل واحد منهم: لقد رأيت عجبا، فأخبر بعضهم بعضا بما رأى. قال أكبرهم: هذا حلم ليس بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا. قال أصغرهم: لا أمضي حتى آتي ذلك المكان فأنظر فيه. قال: فانطلقوا جميعا حتى دخلوا البيت الذي كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما. فاستعدوا عليه ملكهم، فأنزل من صومعته فقدموه ليصلب. فلما أوقفوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له: قد علمت أني صاحبك الذي فتنتك في المرأة حتى أحبلتها وذبحتها وذبحت ابنها، فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلصتك

مما أنت فيه. قال: فكفر العابد بالله؛ فلما كفر خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه. قال: ففيه نزلت هذه الآية. [١]

وتلجأ بعض الفتيات وبخاصة العوانس منهن إلى إطالة الأظافر وطليها بالطلاء الثقيل التي يطلق عليه المنكير، وإطالة الأظافر مخالفة لصفات الجمال عند السابقين فعندما ذكر السابقون صفات الجمال التي يجب توفرها عند المرأة لم يذكروا الأظافر الطويلة، وإنما ذكروا ليونة الأصابع ولطفها وأنه يمكن عقدها لمن أراد ذلك لأنها تشبه العنم، [٢] في رقتها ولينها، قال النابغة:

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ، كأَنَّ بَنانَهُ عَنَمٌ على أَغصانه لم يَعْقِدِ[٣]

فالأظافر الطويلة من صفات القطط والكلاب والسباع، التي تذم بالتشبيه بها الفتاة المسترجلة، وليست من صفات الظباء التي تشبه بها الحسناء من الفتيات، وقد أحسن من قال:

قل للمليحة أرسلت أظفارها إني لخوف كدت أمضى هاربا

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الإسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي. انظر: تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي، حديث رقم: ٣ / كنز العمال، حديث رقم: ١٧١٠

[٢] العَنَمُ: شجر لَيِّنُ الأَغصانُ لَطِيفُها يُشَبَّهُ به البَنان كأَنه بَنان العَذارى، واحدها عَنَمةٌ، وهو مما يستاك به، وقيل: العَنَمُ أَغصان تنبت في سُوق العِضاه رطبة لا تشبه سائر أَغصانها حُمْرُ اللون، وقيل: هو ضرب من الشجر له نَوْرٌ أَحمر تشبَّه به الأَصابع المخضوبة.قال ابن الأَعرابي: العَنَم شجرة حجازية، لها ثمرة حمراء يُشَبَّه بها البَنان المخضوب.[لسان العرب مادة : عنم]

[٣] لسان العرب مادة : عنم

إن المخالب للوحوش نخالها فمتى رأينا للظباء مخالبا
بالأمس أنت قصصت شعرك غيلة ونقلت عن وجه الطبيعة حاجبا
وغدا نراك نقلت ثغرك للقفا وأزحت أنفك رغم أنفك جانبا
من علّم الحسناء أن جمالها في أن تخالف خلقها وتجانبا
إن الجمال في الطبيعة رسمه إن شذ خط منه لم يك صائبا

فكون الفتاة ترسل أظفارها حتى تكون شبيهة بالمخالب فهذا يخالف مزايا الجمال عند العرب وصفاته كما أنه مخالف لسنن الفطرة : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْفِطْرَةُ خَمْسٌ الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَنَتْفُ الْآبَاطِ. [١]

وقد تلجأ بعض الفتيات العوانس وغيرهن إلى تقصير طول الثياب وتضييق أحجامها، ولله در من قال:

أفوق الركبتين تشمرينا بربك أي نهر تعبرينا
جعلت ملابسي صوفا طوالا أخاف البرد يجعلني طعينا
وأنت هنيئة في شبه عري بجو بارد لا تشعرينا
عيون المعجبين لديك جمر ستشتعل إن أردت هوى دفينا
فتاة الجيل مثلك لا يجارى سفيهات يبعن تقى ودينا

فيا أيتها العانس لا يخدعنك الشيطان فيزين لك اتباع خطواته ممنيك بالظفر بزوج ومن ثم يتخلى عنك.

---

[١] صحيح البخاري: كتاب اللباس ، باب : تقليم الأظافر ، حديث رقم: ٥٤٤١/ صحيح مسلم: كتاب الطهارة بَاب: خِصَالِ الْفِطْرَةِ، حديث رقم: ٣٧٧

ولتعلم الفتاة تمام العلم ولتعي كل الوعي أن الذي يريد أن يتزوج لا يتزوج فتاة خرج معها أو فجر بها كما أنه لا يتزوج فتاة كثيرة الدخول والخروج والتبرج بل يتزوج فتاة مؤدبة قاصرة الطرف حيية الطرف ملازمة للبيت متسترة.

١١- الشرود الذهني وإدمان الفكر:

قد يكون الزواج شغل العانس الشاغل فهي تفكر فيه في يقظتها ويتراءى لها زوجها في منامها وتلهج به بعد كبرها، كما ذكر أن امرأة أهترت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعلت تقول: زوجوني زوجوني، [1] قولوا لزوجي فليدخل، مهدوا الطريق لزوجي، فقال عمر رضي الله عنه: ما أهتر به النمر خير مما أهترت به هذه، وكان النمر بن تولب رضي الله عنه خرّف فجعل يقول: ضيفكم لا يضع، أكرموا الضيف أنزلوا الضيف، أغبقوا الضيف، وذلك لما كان يفعله في ماضي حياته.[2]

وتكون العانس شاردة الذهن، فهي جالسة في المجلس ببدنها، وقلبها وعقلها خارجه، بل فكرها يطوف في أماكن متعددة هنا وهناك من العالم ويمكن للإنسان أن يلاحظ ذلك من قسمات وجهها واختلاجات نفسها وفلتات لسانها وذلك بالتفوه ببعض العبارات التي تكون لا علاقة لها بما يدور داخل المجلس، ويمكنه التأكد من ذلك بسؤالها سؤالا مباغتا فيجدها غير متواجدة في المجلس لا علم لها بما يدور.أما ليل العانس فليل طويل جدا والذي يراها صباحا يعلم مقدار ما عانته من البرح والشدة والعنت والسهر فعيونها محمرة وذلك من جراء تفكيرها فيما حل بها من المصائب وما نزل بساحتها من

---

[1] وقد يكون لهج هذه المرأة بالزواج هو حرارة سوقها في شبابها وتهافت الخطّاب عليها وتعدد مرات زواجها.

[2] انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (طبع دار الثقافة بيروت) ص ٢٢٧

المدلهمات وأنها ترى نفسها أنها دخلت في سن اليأس وتحدث نفسها وتسائلها: هل ستظفر بزوج بعد هذا العمر الطويل؟ ولو ظفرت به هل ستشعر معه بسعادة كانت تمني بها نفسها وتعوضها ما مضى من عمرها؟ وهل ستنجب أم أنها قد بلغت سن اليأس وصارت من القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فلا بأس عليها أن تتخفف من حجابها غير متبرجة بزينة والعفاف خير لها. قال الله تعالى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)

وهذه العانس في هذه الأفكار السوداء وأمثالها لا تتذكر نعم الله عليها التي لا تحصى ولا تعد، قال الله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣) وهذه النعم تبدأ بالإسلام الذي هدانا الله له. فالإسلام نعمة يجب الشكر عليها قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٤)

---

(١) سورة النور آية ٦٠

(٢) سورة النحل آية ١٨

(٣) سورة إبراهيم آية ٣٤

(٤) سورة المائدة آية ٣

والعافية التي أولاها الله لها نعمة عظيمة من نعم الله علينا فلتتذكرها العانس ولتعلم أن الله سبحانه وتعالى قد عافاها في بدنها وفي سمعها وفي بصرها وأن هناك عوانس عدة غيرها جمعن بين العنوسة والإعاقة وأن هناك نساء متزوجات خير منهن الخليات من الأزواج كالعوانس ونحوهن من النساء وذلك لما يعايشنه مع أزواجهن من عنت وشدة وبرح فهن مسبوبات مشتومات مضروبات وأن هناك نساء معلقات وأخر مطلقات وغيرهن من أرامل النساء ومغيباتهن[1] اللاتي غاب عنهن أزواجهن في سفر طويل ولا أمل لهن في رجوعهم كما أن هناك من النساء من ينعمن مع أزواجهن فهذه قسمة ربنا عز وجل وهو على ما يشاء قدير وهو يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ومن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

فيا أيتها العانس اتقي الله عز وجل واعلمي أن إدمانك الفكر في هذه الأمور وسهرك الدائم من أجلها لن يغير من واقعك شيئا فعليك بالجؤار إلى الله بالدعاء والاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل وتوجيه هذا السهر في تلاوة القرآن الكريم والتهجد فستظهر آثار ذلك عليك: حيوية في جسمك ونضارة في وجهك ونشاطا في نفسك، فعليك بالعبادات والإكثار من الطاعات، فقيام الليل مثلا يضفي على الوجه جمالا ونضارة وحيوية، قال أحمد بن عبد القادر الحفظي في منظومة قيام الليل:

---

[1] يقال امرأةٌ مُشْهِدٌ إذا كان زَوجُها حاضراً عندها، وامرأةٌ مُغيب إذا كان زوجُها غائبا عَنْها. ويقال فيه مُغيبة، ولا يقال مُشهِدَة. أرادَت أن زوجَها حاضرٌ لكنّه لا يَقْرَبُها فهو كالغائب عنها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:{شهد}]

يا مدثر قم فأنذر ثم طهر كل شملة ثم صلي تصل معالي قاب قوسين يقينا

فاز من قام الليالي بصلاة الخاشعينا

ثم ناداه جهارا لا تزمل بالبجاد وقم الليل اصطبارا وتزود للمعاد

واقترب واسجد مرارا واجتنب طول الرقاد فظلام الليل جال لوجه القائمينا

فاز من قام الليالي بصلاة الخاشعينا

١٢ـ اليأس[1] والإحباط:

بعض الناس إن أصابه سوء يرى كأن الدنيا قد اسودت أمام ناظريه وأن الأبواب قد أوصدت أمامه وأن السبل قد سدت مسالكها بين يديه ولم يبق لحياته معنى وأنه الأليق والأجدر والأحرى به انتظار الموت فلا سبيل أمامه إلا ذلك وهو راحة له من خضم هذه المشاكل التي حنت رقبته وقصمت ظهره فتراه حائر الفكر خائر القوى لا يهمه أن يقوم بشيء من الأعمال فيعطل طاقاته الكامنة ويستولي عليه الذهول والخمول ويصير كالمجنون ومن هذا الصنف بعض العوانس فترى أنها بعدم زواجها كأن الدنيا قد انقلبت رأسا على عقب، ولذا فهي تكون محبطة في حاضرها الذي يتقلب ليله ونهاره ويعملان فيها، كما أنها تكون حزينة على ما مضى من عمرها وارجحن من شبابها وتغضن من وجهها وتخدد من جسمها، وتكون يائسة من مستقبلها متشائمة لمرحلة ما بعد زواجها هذا إن ظفرت بزوج وتتساءل: هل ستسعد مع هذا الزوج الذي جاء بعد طول انتظار أم أنها ستشقى معه شقاء يفوق شقاءها وهي عانس.وهي في الغالب تكون يائسة من الظفر بزوج، ويقفز إلى ذهنها فلانة التي كانت أجمل منها وأكثر غنى وتعليما ومكانة اجتماعية ولم تظفر بزوج

---

[1] اليأس: قطع الرجاء

حتى صارت من القواعد من النساء التي لا يرجون نكاحا[1] وبلغت سن اليأس وصارت من ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ [2] فكيف تظفر هي بزوج مع قبحها ودمامتها وضعة مكانة والديها وفقرهما وقلة تعليمها؟ وتنسى هذه العانس أو تتناسى ما كانت تصرح به في مقتبل شبابها من أن فلانة تزوجت مع قبحها ودمامتها وشؤمها مما ذكرناه مستوفى في المقدمة مما يجيش بصدور العوانس وتسقطه فلتات ألسنتهن مما تحويه مكنونات صدورهن ، وتطفح به قلوبهن مما لا نريد أن نجتره مرة أخرى.واليأس والقنوط من رحمة الله صفة من صفات الكفرة قال الله تعالى ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [3] قَالَ أبو عَبْد اللَّهِ البخاري : ﴿لَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ مَعْنَاهُ

---

[1] قال الزجاج: هن اللواتي قعدن عن الأزواج. ابن السكيت: امرأة قاعدٌ إذا قعدت عن المحيض، فإذا أردت القُعود قلت: قاعدة. قال: ويقولون امرأة واضعٌ إذا لم يكن عليها خمار، وأتانٌ جامعٌ إذا حملت. قال أبو الهيثم: القواعد من صفات الإناث لا يقال رجال قواعدُ، وفي حديث أسماءَ الأَشْهَلِيَّة: إنا مَعاشرَ النساءِ محصوراتٌ مقصوراتٌ قواعدُ بيوتِكم وحواملُ أولادِكم؛ القواعد: جمع قاعِد وهي المرأة الكبيرة المسنة، هكذا يقال بغير هاء أي أنها ذات قعود، فأما قاعدة فهي فاعلة من قَعَدَتْ قعوداً، ويجمع على قواعد فهي فاعلة من قَعَدَتْ قعوداً، ويجمع على قواعد أيضاً.[لسان العرب، مادة: قعد]

[2] سورة الطلاق آية ٤

[3] سورة يوسف آية : ٨٧

الرَّجَاءُ.[١] فعلى المسلم أن ينتظر رحمة الله عز وجل وفرجه وانتظار الفرج من أعظم العبادات وأفضلها لما جاء: عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ.[٢]

قال المباركفوري: قوله: " سلوا الله من فضله " أي بعض فضله فإن فضله واسع وليس هناك مانع " فإن الله يحب أن يسأل " أي من فضله لأن يده تعالى ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار " وأفضل العبادة انتظار الفرج " أي ارتقاب ذهاب البلاء والحزن بترك الشكاية إلى غيره تعالى وكونه أفضل العبادة لأن الصبر في البلاء انقياد للقضاء . والفرج بفتحتين يقال فرج الله الغم عنه أي كشفه وأذهبه.[٣]

وليعلم المسلم أن كل أمره خير وأن ما أصابه كله بقدر الله عز وجل وأن الصبر سيعقبه فرج قال تعالى ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [٤] وقال الله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [٥] وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه، قال بلغ: عمر أن أبا

---

[١] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ حديث رقم: ٣١٣٧

[٢] سنن الترمذي، كتاب: الدعوات عن رسول الله، بَاب: فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حديث رقم: ٣٤٩٤

[٣] تحفة الأحوذي ج ١٠ ص ١٧

[٤] سورة الطلاق آية ٧

[٥] سورة الشرح آية ٥ ـ ٦

عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة، إلا جعل الله بعدها فرجا، وإنه لا يغلب عسر يسرين.(١)

قال ابن الأثير: لنْ يَغْلب عُسْرٌ يُسْرَين. قال الخطَّابي: قيل: معناه أن العُسْر بين يُسْرين إما فرَجٌ عاجلٌ في الدُّنيا، وإمَّا ثوابٌ آجِلٌ في الآخرة. وقيل: أراد أن العُسْر الثاني هو الأوّل لأنه ذكَره مُعَرَّفا باللام، وذكَر اليُسْرين نَكرَتين، فكانا اثْنين، تقولُ: كسَبْتُ درْهما ثم أنْفَقت الدِّرهم، فالثاني هو الأوَّلُ المُكْتَسَب.(٢) وقال هدبة بن خشرم:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب(٣)

(١) سير أعلام النبلاء ج١ ص ١٥

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عسر}

(٣) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٩٣/ شرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٢٧ ــ ٣٢٨

المبحث الثالث

الآثار الاقتصادية للعنوسة

١ـ التأنق في الملبس

٢ـ الإكثار من استعمال الكريمات والأصباغ والعطور

٣ـ إرهاق الوالدين بكثرة المطالب

٤ـ الاستغلال

المبحث الثالث

الآثار الاقتصادية للعنوسة

١ـ التأنق في الملبس :

الاهتمام بالثياب شيء ضروري لأن الملابس تعطي الإنسان تقييما خاصا، فالناظر لإنسان يلفته أول شيء مظهره . فإن كان حسن الهندام جيد المظهر فإنه يروعه شكله ويروقه منظره وإن كان غير مهتم بثيابه ولا ملبسه من نظافة وتناسق ألوان فإنه يزهد فيه، قال الشاعر :

تجمل بالثياب تعش حميدا ... فإن العين قبل الاختبار
فلو لبس الحمار ثياب خز ... لقال الناس يالك من حمار[1]

ولكن الغريب اللافت للنظر أن يكون الإنسان مهتما بهندامه متأنقا في زيه تأنقا يفوق الأمر العادي ويتجاوز الشيء المعتاد ، فتراه يجلس الساعات الطوال أمام المرآة ينظر لنفسه ويحضر أنواع الكريمات والمرطّبات للجسم وأنواع العطور والروائح فيصاب بنوع من النرجسية[2] فالناس وإن كانوا يعجبهم صاحب الملابس الجميلة لكنهم لا يعتبرونها كل شيء فلابد من معرفة حقيقته ليتسنى إعطاؤه تقييما في خلقه وعلمه وفضله ثم يضاف إليه بعد ذلك ملابسه، أنشد ابن دريد لبعض الأعراب :

يغايظوننا بقمصان لهم جدد ... كأننا لا نرى في السوق قمصانا
ليس القميص إن جددت رقعته ... بجاعل رجلا إلا كما كانا[3]

---

[1] انظر: موارد الظمآن لدروس الزمان ، لعبد العزيز السلمان ، ج ٢ ص ٥٧٨

[2] النرجسية أو عشق الذات: يقصد بها عشق الذات، أو غرام الفرد بذاته، وإعجابه بنفسه وشكله وجسمه.

[3] تاريخ دمشق، ج٧، ص ١٦

ونجد بعض العوانس تهتم بهندامها اهتماما كبيرا ، وتتأنق في ملبسها تأنقا ملفتا للنظر، وتتعرض للرجال، بغية أن تظفر بواحد منهم، وهي تتابع الموديلات الجديدة من الموضى، وتشتري المجلات التي تعكس إنتاج بيوت الأزياء والجمال في الشرق والغرب، وما ابتدعته عواصم الجمال في لندن وباريس ونيويورك ـ زعموا ـ كما أنها لا تنسى أن تشتري ملابس للصيف وأخرى للشتاء، وتعدد من ألوان ومقاسات ما تشتري وتتفنن في انتقاء ما تقتني فمن ملابس طويلة الأكمام إلى أخرى قصيرتها كما تتفنن في التنويع في أطوالها وأحجامها، لأنها تعلم أن الثياب زينة وأنها تضفي على القبح جمالا وعلى الدمامة صباحة.وقد تلجأ العانس إلى الملابس الضيقة والقصيرة لعرض مفاتنها ولإغراء الحاضرين ولاصطياد الناظرين حتى تظفر بمعجب.

والذي يريد أن يتزوج يروقه في الفتاة هندامها وزيها ولكنه لا يكتفي به فقط فسيسأل عنها وعن أسرتها وعن أخلاقها وعن تدينها ويجعل هذه الأمور هي الأساس ثم يضيف إليها الهندام وغيره من المظاهر بعد ذلك.وليس المراد أن تخرج الفتاة متبذلة الثياب ظاهرة البذاذة منتنة الرائحة ولكن لا تبالغ في التأنق مبالغة ملفتة للأنظار ومكلفة اقتصاديا مع الحذر من استعمال العطور عند الخروج لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك: فعَنْ غُنَيْمِ بْنِ قَيْسٍ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ. (١)

---

(١) سنن النسائي: كتاب الزينة، باب: ما يكره للنساء من الطيب، حديث رقم: ٥٠٣٦/مسند الإمام أحمد: حديث رقم: ١٨٨٧٩

٢ـ الإكثار من استعمال الكريمات والأصباغ والعطور :

كل الفتيات يسعين بل كل النساء تسعى لتحسين خلقهن مع غفلة أكثرهن وإغفال بعضهن عن تحسين الخلق ومن ثم فهي تهتم بمظهرها وجمالها ورشاقتها وتحاول زيادتها بكل السبل المتاحة دون التوقف عند مشروعيتها عند بعضهن مع أن كثيرا من الناس يرون أن الجمال الطبيعي يفوق الجمال المستعار والمستحدث بمراحل عدة وبينهما فرق واسع وبون شاسع ، فالجمال المجلوب في نظر كثير من الناس سراب بقيعة وبرق خلب وجعجعة لا طحن فيها وقد عكس ذلك المتنبي وكان يرى أن الجمال في البادية وأن نساء الحضر جمالهن مزور مصنوع مستحدث ومجلوب بالكريمات ومستحضرات التجميل وغيرها وليس أصليا فقال :

ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب[1]
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب[2]

وكثير من الناس يرون أن غانية النساء من استغنت بجمالها [3] عن التجمل وبحسنها عن التحسن وأن أطيبهن من كان طيبها منبعثا منها، وأن حسناوات النساء من

---

(١) جارية رعبوبة: شابة شطبة تارة (الشطبة: الحسنة، والتارة: الممتلئة الجسم)، والجمع الرعابيب. [المفردات للراغب، مادة: رعب]

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري ، ج ١ص ٤٥٧

(٣) قال الثعالبي عن مراتب الجمال عند المرأة عَنِ الإئمَة: إذا كَانَتْ بِهَا مَسْحَة مِن جَمَال فَهِيَ وضيئة وجَميلَةٌ، فإذا أُشْبَهَ بَعْضُهَا بَعْضاً في الحُسْنِ فهي حُسَّانَة، فإذا اسْتَغْنت بجَمَالِهَا عَنِ الزِّينة فَهِيَ غَانِية، فإذا كَانَتْ لا تُبالِي أنْ لا تَلْبَسَ ثَوْباً حَسَناً ولا تَتَقَلّدَ قلادَةً فاخِرَةً فَهِيَ مِعْطَال، فإذا كانَ حُسْنُها ثابتاً

تغيظ الحلي وتفوقه ومن تزيد الجمال جمالا وقد صور ذلك مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري في زوجته التي كان يرى أن جمالها يفوق الجمال كله وأن طيبها يزيد الطيب عبقا وفواحا وأن حسنها يحسن به الحلي فقال :

وتزيدين أطيب الطيب طيبا أن تمسيه أين مثلك أينا
وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا[1]

ومع حرص المرأة بصفة عامة على التجمل والتحسن واستعمال الكريمات والأصباغ ومستلزمات التجميل ولكن يتفاوت اهتمام النساء تفاوتا ملحوظا بينهن فالنساء الحديثات الزواج أكثر اهتماما بهذا الأمر من النساء قديمات الزواج مع إهمال القواعد واليائسات لذلك مع حرصهن على خضاب الرأس وقد أحسن من قال واصفا حال النساء العجائز اللاتي يتشببن:

عجائز يطلبن شيئا ذاهبا يخضبن بالحناء شيبا شائبا
يقلن كنا مرة شبائبا[2]

والعجوز تعلم تمام العلم أن الشباب لا يأتي به الخضاب والحناء قالت إحدى العجائز تصف عدم غناء صبغها وحنائها عن الحقيقة شيئا:

وخضبتُ ما صبغ الزمان فلم يدم صبغي ودامت صبغة الأيام[3]

كأنَّهُ قَدْ وُسِمَ فَهِيَ وَسِيمَةٌ، فإذا قُسِمَ لَهَا حَظ وَافِر مِنَ الحُسْنِ فَهِيَ قَسِيمَة، فإذا كانَ النَّظَرُ إِلَيْهَا يسُرُّ الرُّوعَ فَهِي رَائعَةٌ. فإذا غَلَبَتِ النِّسَاءَ بِحُسْنِها فَهِيَ بَاهِرَةٌ.

[1] الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٨٢ /لسان العرب ج ٥ ص ٤٠١٣

[2] قصرَ شابَّة فجعلها شَبَّةً ثم جمعها على الشَّبائب. (انظر: لسان العرب ج ٧ ص ١٢)

[3] رسائل الجاحظ ج٢ص١٣٥ ، دار الجيل بيروت تحقيق عبد السلام محمد هرون . رسالة مفاخرة الغلمان والجواري

وقال محمد بن علي: لا يدرك الشباب بالخضاب، ولا الغنى بـالمنى، ولا العلـم بالإدعاء.(١)

والفتيات اللاتي في مقتبل العمر يستعملن أنواعا من الكريمات بعضـها خـاص لإزالة النمش والكلف عن الوجه وبعضها لإزالة البثور والدهون ولإخفاء حب الشـباب وأخرى مختصة بفتح لون الوجه وإشبابه (٢) وإضفاء نضرة وشباب عليه، وتفرط بعـض الفتيات إفراطا شديدا في استعمال الكريمات والمساحيق حتى يصير لون وجههـا مغـايرا للون جسمها فيكون الوجه أبيض شديد البياض ويكون باقي الجسم مخالفا مما اضـطر بعض الفتيات إلى لبس القفازات لإخفاء لون الأيدي وباقي الجسـم فـالملابس كفيلـة بإخفائه، ومن الطريف المحزن ما ذكر أن رجلا كان يركب مركبة عامة فرأى يدا سوداء على خد أبيض فاحتملته الحمية وغضب غضبة مضرية وقال : يا فتى ألا تسـتحي لمـاذا تضع يدك على وجه هذه الفتاة في هذه المركبة العامة ولا تحترم مشاعر النـاس، ولكـن الفتاة أجابته قائلة: هذه يدي يا عمي.

---

(١) كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ١١١

(٢) قال ابن منظور : شَبَّ لَوْنَ المرأَةِ خِمارٌ أَسْوَدُ لَبِسَتْهُ أَي زاد في بياضها ولونها، فحَسَّنَها، لأَنَّ الضدّ يزيد في ضدّه، ويُبْدي ما خَفِـيَ منه، ولذلك قالوا: وبضدِّها تَتَبَيَّنُ الأَشياءُ ، ورجل مَشْبُوبٌ إِذا كان أَبْيضَ الوَجْهِ أَسْوَدَ الشَّعَرِ، وأَصْلُه من شَبَّ النارَ إِذا أَوْقَدَها، فتَلأْلأَتْ ضِـياءً ونُوراً. وفي حديث أُمّ سلمة، رضي اللّه عنها، حين تُوفِّـيَ أَبو سلمة، قالت: جعَلْتُ على وجهي صَبِراً، فقال النبي، صـلى اللّه عليه وسلم: إِنه يَشُبُّ الوجهَ، فلا تَفْعَلِـيه؛ أَي يُلَوِّنُه ويُحَسِّنُه. [لسان العرب مادة : شبب]

وعند الهاجرة واشتداد الحر ينتقع لون الفتاة ويمتلئ وجهها ماء وجسمها غبارا.وقد ذكر صاحب رسالة الجواري عن أحد النخاسين أنه قال: ربع درهم حناء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم فضة.[١]

وهذه الكريمات التي توضع على الوجه وتذهب لونه مع كلفتها الاقتصادية لغلاء أثمانها، فيها نوع من التغرير بالناظر إلى وجه المرأة لأنه ليس لون وجهها الطبيعي، بل هي منهي عنها، فعن آمِنَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهَا شَهِدَتْ عَائِشَةَ فَقَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْعَنُ الْقَاشِرَةَ وَالْمَقْشُورَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُوتَشِمَةَ وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُتَّصِلَةَ.[٢]

قال المناوي: (لعن الله القاشرة) بقاف وشين معجمة تعالج وجهها أو وجه غيرها بالحمرة ليصفو لونها (والمقشورة) التي يفعل بها ذلك كأنها تقشر أعلى الجلد قال الزمخشري القشر أن يعالج وجهها بالحمرة حتى ينسحق أعلى الجلد ويصفو اللون وفيه أن

---

[١] انظر: شراء الرقيق وتقليب العبيد لأبي الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي المتطبب ج ١ ص ٣٨٧، من ضمن مجموعة نوادر المخطوطات الطبعة الأولى، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ ـ١٩٩١م.

[٢] مسند الإمام أحمد، باب: باقي مسند الأنصار، باقي المسند السابق، حديث رقم: ٢٤٩٣٣ / كنز العمال، حديث رقم: ٤٥٠١٩ / الجامع الصغير. للسيوطي، حديث رقم: ٧٢٦٣ ، وضعفه

ذلك حرام لأنه تغيير لخلق اللّه. (عن عائشة) قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه[١] من النساء.[٢]

قال أبو عبيد : نراه أراد هذه الغُمرة التي تعالج بها النساء وجوههن حتى ينسحق أعلى الجلد و يبدو ما تحته من البشرة.[٣] لأن القَشْر : أن تعالج المرأة وجهها بالغُمْرَة[٤] حتى يَنْسَحِقَ أَعْلَى الجلْد ، ويصفو اللون.[٥] والقاشرة: التي تُعالج وَجْهَها أو وَجْهَ غيرها بالغَمْرة ليَصْفُوَ لَوْنُها، والمَقشورة: التي يُفْعل بها ذلك، كأَنها تَقْشِر أَعْلَى الجلد.[٦] والقَشُورُ: دواء يُقْشَرُ به الوجه ليَصْفُوَ لونُه. والقاشرةُ: هي التي تَقْشِرُ بالدواء بشرة وجهها ليصفو لونه وتعالج وجهها أَو وجه غيرها بالغُمْرة. والمَقْشُورة: التي يفعل بها ذلك كأَنها تَقْشِرُ أَعلى الجلد.[٧]

---

(١) عن أم نهار عن عمتها أمينة أنها لقيت عائشة رضي الله عنها فسألتها عن الحناء فقالت لا بأس به بقلة رطبة ولا تقربنه وانتن حيض وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن القاشرة والمقشورة والواصلة والموصوله. هذا حديث غريب فرد والمقشورة التي تقشر وجهها بالغمرة [سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٥٦]

(٢) فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للمناوي، حديث رقم: ٧٢٦٣

(٣) الغريب لابن سلام ج ٣ ص ١٢٣ ، مادة: قشر

(٤) الغُمْرةُ بوزن الجمرة طلاء يُتخذ من الورس وقد غمَّرَت المرأة وجهها تَغْميرا أي طلت وجهها ليصفو لونها و تَغَمَّرَت مثله.والوَرْس: شيء أَصفر مثل اللطخ يخرج على الرِّمْث بين آخر الصيف وأَوَّل الشتاء إِذا أَصاب الثوبَ لَوَّنه. التهذيب: الوَرْس صِبْغ، والتَّوْرِيس مثله. [مختار الصحاح، مادة: غمر/ لسان العرب، مادة: ورس، مادة: غمر]

(٥) الفائق للزمخشري ٣ ص١٩٦، القاف مع الشين

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {قشر}

(٧) لسان العرب، مادة: قشر

٣- إرهاق الوالدين بكثرة المطالب :

قد لا تشعر العانس أن تأنقها في ملبسها والإكثار من استعمال الكريمات المتعددة التي تكون لإزالة كلف الوجه والنمش والإكثار من تصفيف الشعر وتغيير الثياب وكثرة الدخول والخروج وإرهاق الوالد بكثرة الطلبات أن هذه الأمور تسبب للوالدين كلفة زائدة ، ومشقة مالية كبيرة.

والأب المسكين مع محدودية دخله يريد أن لا يحرج ابنته برد طلب من طلباتها يريدها أن لا تكون مكسورة الخاطر مهيضة الجناح منكسفة بين لداتها وأترابها اللاتي تزوجن ويراعي أن هذه البنت لم يكتب لها نصيب الزواج وبخاصة إذا تزوجت أخواتها اللاتي هن أصغر منها فيريد أن يعوضها بعض ما فقدت من عدم ظفرها بزوج تنعم معه ويكون عونا لها على تقلبات الزمان وصروفه ومعينا على دوائره.

وقد تكون طلبات البنت فوق مقدور الوالد واستطاعته فيضطر إلى إنفاق مدخراته التي ادخرها لغوائل الزمان أو الاقتراض والاستدانة أو بيع ممتلكاته كمنزل أو سيارة ونحوها.ومطالب العانس عدة فهي تتنوع بين ملبوس، واختيار آخر صيحاته وأحذية ، وحلي وقلائد على المخانق والصدور وأساور ورعاث [١] وقلب [٢] وأقراط وخلاخيل وشنف [٣]

---

[١] الرِّعاثُ: القِرَطةُ، وهي من حُليِّ الأُذُن، واحدتُها: رَعْثة، ورَعَثة أيضاً، بالتحريك، وهو القُـرْطُ، وجِنسُها: الرَّعْثُ والرَّعَثُ. ابن الأعرابي: الرَّعْثة في أسفل الأذن، والشَّنْفُ في أعْلى الأُذن، والرَّعْثة دُرَّة تُعَلَّقُ في القُرْط.[لسان العرب، مادة : رعث]

[٢] القلب: بضم القاف وسكون اللام آخرها موحدة هو السوار وقيل هو مخصوص بما كان من عظم.

[٣] الشَّنْفُ، وبالضم لَحْنٌ: القُرْطُ الأَعْلَى، أو مِعْلاقٌ في قُوفِ الأُذُن، أو ما عُلِّقَ في أعْلاها، وأمّا ما عُلِّقَ في أسْفَلِها فَقُرْطٌ، ج: شُنُوفٌ.[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الفاء. فَصْلُ الشِّيْن]

وخواتيم وفتخ [١] وخرص، [٢] والتي تكون من الذهب الأحمر الرنان أو الأحجار الكريمة، كما أنها تحتاج إلى مصروف في يدها تشتري به ما تريد من كتب ودفاتر وأقلام وجرائد ومجلات نسائية تتتبع فيها آخر صيحات الموضى وكريمات وأصباغ ومنكير ومزيلات له وتكلفة دخول وخروج ، كما أنها تريد أن تشتري حاسوبا وما يتبعه من أقراص صلبة ومرنة كما أنها تريد أن تشترك في الإنترنت كما أن لها مطلبا وقتيا تفرضه ظروفها فتطلب تلبية ما يطرأ في عقلها.وإن كان والد الفتاة العانس غالبا يبادر لشراء بعض الحاجيات لابنته من غير طلب للحاجيات منها ولا سؤال لها فيشتري لها بعض المصوغات والأسورة والملابس ويؤمن لها بيتا إن كان مستطيعا حتى يرغب الراغبون فيها من المتقدمين يفعل كل هذه الأشياء تطييبا لخاطرها وتحفيزا وإغراء للراغبين في الزواج علهم أن يقترنوا بها وأن يطمعوا فيها.وهي قد لا تشعر أن هذه الأشياء لها ثمنها وأن الدخول والخروج وما يتبعه من ذهاب إلى الأسواق له ثمنه وقد يعجز الوالد عن ذلك وقد لا يصرح لها بعجزه حياء منها ومراعاة لخاطرها وحفظا لقلبها. والوالد يكثر من دعاء ربه عز وجل أن يكثر نقوده التي يستطيع أن يوفر بها الأصباغ والكريمات وسائر المستلزمات.

---

(١) بفتحتين، جمع فَتَخَةَ، وهي خَواتِيم كِبارٌ تُلْبس في الأيْدِي، ورُبما وُضعَت في أصابع الأرْجُل. وقيل: هي خَواتيمُ لا فُصُوص لها، وتُجْمع أيضا على: فَتَخات وفِتَاخ.[النهاية في غريب الحديث والأثر. مادة: {فتخ}]

(٢) الخُرْصُ – بالضم والكسر – الحلْقة الصغيرة من الحَلْي، وهو من حَلْى الأذُن.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {خرص}]

٤ـ الاستغلال :

قد يكون من نتيجة عنوسة الفتيات الاستغلال فعندما يرى أحد الرجال أو بالمعنى الأدق أحد الذئاب عديمي الرحمة فتاة عانسا أثرت فيها عنوستها وأهمتها أيموتها فظهرت آثارها على صفحات وجهها من هم وحزن واكتئاب وشحوب لون وعلى فلتات لسانها فصارت تبدر منها عبارات توحي بعدم الثقة في النفس وباليأس من هذه الحياة والإحباط منها فبدلا من أن يرحم ضعفها ويبذل جهده في جبر كسرها ويسعى جاهدا في حل مشكلتها بأن يتقدم لخطبتها شخصيا أو يبحث لها عن زوج متقدم تكتنف بكنفه وتحتمي به ، أو أن يواسيها مواساة تذهب ببعض معاناتها ويذكّرها بأن هناك أمثلة لفتيات كثيرات غيرها لم يوفقن للزواج وأنها ليست هي العانس الوحيد فالعنوسة داء مستشر أو على الأقل يكف عنها ويتركها وشأنها، فإنه يستغلها استغلالا يزيد من معاناتها والاستغلال الذي تواجه الفتاة العانس أنواع منه:

أـ الاستغلال المالي :

وهو أن يطمع رجل في مال امرأة عانس فيغريها بالزواج منها ويطمعها فيه ويعدها به ويمنيها وما يعدها إلا غرورا ، ولكنه يعتذر عن الإقدام على الزواج منها بالعوز وقلة ذات اليد وأنها لو أعانته بشيء من مالها ليتجمل به أمام الناس وليكف به ألسنتهم عن تناوله وعن الكلام عنه وحتى لا يقول قائل منهم ويتخرص متخرص منهم وما أكثرهم بأنها : قد تزوجته ، وهذا ليس كريما في حقه ولا حقها ، فلو أعطته قليلا من المال فسيقدم على هذا الأمر بلا أدنى تردد ودون أقل توقف.مع أنه عند قبوله لهذا الأمر يود أن لا يطلع عليه زيد ولا عمرو لأن هذا الأمر عظيم وقعه على نفسه وإنما فعله تقديرا لها وإيثارا لمكانتها عنده ولنيل رضاها ومحبتها التي تمكنت منه وخالطت شغاف قلبه وعصبه ومخه.

ولو تعقلت هذه المسكينة لعلمت أن هذا الذئب يكذب عليها: كما يتضح لنا في هذه القصة وأمثالها من القصص التي يتداولها أفراد المجتمع، فقد ذكرت إحدى الصحف قصة بعنوان:

ثرية وعانس تشكو ظلما

كنت المفتاح الضائع وسر اللغز إلى الثروة

سرقني واكتفى بالفتات ... وجعلني أذرف دمعا

قالت إحدى العوانس : الأخ محرر هذه الصفحة[١] أنا صاحبة مشكلة، ولكن لن أقول لك إلا الأحداث وسأبقي الأسماء والأماكن بحوزتيّ وعندي رقم الهاتف والفاكس الخاص بصحيفتكم قد لا تصدق إذا قلت لك إنني الآن في الثامنة والثلاثين من عمري (٣٨) عاما وما زلت عانسة[٢] رغم أنني ثرية بنت أثرياء ولي حظ لا بأس به من الجمال، وكنت مخطوبة لأحد أقاربي وكان من الفرع الفقير في الأسرة، كان يريد أن يصل إلى خزانة أبي وكنت في نظره المفتاح الضائع، وسر اللغز وكان يطيعني بصورة مخجلة تجعلني أراه أقل قامة مني، نعم كان يتقزم أمامي معتقدا أن ذلك سيكسبه رضائي ولكن لم يكن يعرف أنني لا أحب الرجل الخنوع، أريد رجلا ألوذ بـه، يكـون لي سـندا وحمايـة،

---

[١] صفحة هموم الشباب بجريدة الوطن السودانية

[٢] الأفصح أن يقال امرأة عانس ولكن قد وردت كلمة عانسة في الشعر، قال الشاعر [معجم البلدان ج ٣ ص ج ٣ ص ٢٤٠]:

وهل تعودن ليلاتي بذي سلم ... كما عهدت وأيامي بها الأول

أيام ليلى عانسة وأنت أمرد ... معروفا لك الغزل و ذو سلم

(درقة[1] وسيفا) أنا لا أريد رجلا يتحول خاتما في إصبعي، لا أريد عبدا مطيعا ـ إن كان هناك عبودية تذكر ـ وعندما واجهته بما أريد قال لي بجراءة يحسد عليها ، أنا لم أخطبك لأنك حسناء أو لأنك ذات قوام، أنا رأيتك محفظة مكدسة ومفتاحا لخزانة لا تنضب وأن الطريق إلى المال يكون عبرك، لقد عشت فقيرا ومحروما جربت أن ألوك الصبر وأن أبيت ليالي عديدة في عز الشتاء جائعا، لم أملك في حياتي ملابس لائقة، رغم أنني جامعي أعمل مدرسا ، إنني أساعد والدي الذي ينوء بحمل كوم لحم هم إخوتي أنا لا أعرف كلمات الغزل ولا الحب، ولا أريد أن أكون كاذبا أمامك ،[2] وأنا لا أتقزم أمامك أنا تربيت على أن أقول : نعم وحاضر، وأن أكون منفذا لأوامر من يملكون، وواصل قائلا: عاملتك برقة، وطاعة لأنك الحلم الذي أبحث عنه، حلم أن أكون ثريا، وأن يكون لي أبناء لا يعرفون طعم الجوع، وأن ......وانهمرت دموعه.

وقلت لنفسي: ماذا يضيرني أن أعطيه فرصة أخرى وقد كان، وخلال تلك الفترة اشتريت له وعلى شكل هدايا كل الملابس والبدل الفاخرة التي تمناها وحلم بها، بل دفعت له ثمن عربة نصف مستعملة، وحتى لا أحرجه فقد أعطيته حق الإمضاء معي،

---

[1] الدرقة: الترس من الحديد في العامية السودانية، وفي الفصحى، الدَّرَقُ: ضرب من التِّرَسةِ، الواحدة دَرَقة تتخذ من الجلود. والجمع دَرَقٌ وأدراق ودِراقٌ.[لسان العرب: مادة درق]

[2] لقد صدقك هذا الرجل وأفصح لك عن خزائن نفسه مكنونات صدره ولكنه لعل الخوف من جانبك أن تجدي عازبا غيره مع تقدم السن وتمني النفس بأن تجعليه يغير رأيه هو الذي دفعك إلى التمسك به.

عليك رتق الأمر واستدراك الحال بالموافقة بزوج يكون دون تطلعاتك كأن يكون متزوجا أو أرملا أو متقدما في السن. والله يعينك ويأخذ بيديك وسائر عوانس المسلمين.

في حسابي الذي كان وضعه والدي باسمي، كان به مبلغ يقارب الـ (٣) ملايين جنيه، ولم أكن أصرف منها.

وحصل خطيبي على إعارة في بلد عربي وسعدت كثيرا بذلك، وودعني على أن يعود ليعقد قرانه عليّ ويصحبني معه حزنت لفراقه واكتشفت أنني كنت أحبه، وكنت أحاول أن أخفي ذلك وبعد أسبوع من سفره ، كانت المفاجأة أعطيت شيكا بمبلغ ربع مليون جنيه لصديقة مسافرة لتجلب لي ما أحتاج من الدولة التي هي ذاهبة إليها ، وعادت إلي في اليوم التالي لأن الشيك ارتد لعدم وجود رصيد، وكادت المفاجأة تشلني، وذهبت إلى البنك وهناك رأيت أن خطيبي وفي شهر واحد قبل سفره، قد سحب المبلغ على دفعات بالتوقيع الذي سمحت به له أن يتصرف في رصيدي لقد سرقني الرجل الذي كنت أدخره للمستقبل.

وكان بإمكاني أن أقاضيه ولكن أعلنت فسخ الخطوبة من جانبي وأخبرت والدي، وشعرت بحسرة وطالعتني الشماتة في عيون أسرتي ووصفوني بالمغفلة وقالوا: إنني مغفلة، ولم أكن كذلك، كنت إنسانة [١] طيبة، رأت خطيبا في مأزق، فمددت يدا للمساعدة، ولكنه داس على اليد الممدودة، واكتفى بعظمة من مأدبة حافلة بالثراء.

إنني أسألك سؤالا واحدا : هل كنت ساذجة أم أن النية الطيبة خذلتني؟

مخذولة

من المحرر :

---

[١] قال ابن منظور: يقال للمرأة أيضاً إِنسانٌ ولا يقال إنسانة، والعامة تقوله.[لسان العرب، مادة: أنس]

إنك لست ساذجة ولا غبية فقط أعطيتي ثقة غالية لرجل رخيص لا يعرف قدر نفسه، ولا مقدار الثقة. أركليه بعيدا واحتسبي ما ضاع عند المولى وثقي في نفسك أنه درس، والدروس ليست مجانية ما أخذه ذاك النكرة كان ثمنا لدرس بليغ، وإن كان مؤلما.[1]

ب ـ الاستغلال البطني :

من أنواع الاستغلال التي كانت معروفة عند العرب سابقا أن يذهب رجل إلى أناس زاعما منه أنه يريد خطبة ابنتهم ونيل ودهم والقرب منهم وربط أسبابه بأسبابهم فيكرمونه فيذبحون ويقدمون له ما يستطيعون من أنواع المأكول والمشروب ويكون هدفه نيل هذا الأكل والشرب وملء بطنه والاكتفاء بهذا ثم الذهاب إلى آخرين لتكرار نفس الفعلة ، قال ابن منظور يصف هذا النوع من الخطّاب الذين لا تجاوز خطبتهم بطونهم، وأن واحدا منهم ذهب إلى مجموعة من أناس لهم بنات في سن الزواج وكان أمامهم لبن في قربة كبيرة فنظر إلى القربة وقال جئتكم خاطبا، وعلموا هدفه الحقيقي من الخطبة بنظراته نحو وطب اللبن وهو أن يشرب هذا اللبن، بعضه أو كله فقال: ورجل خطّاب كثير التصرف في الخطبة قال :

بَرَّحَ، بالعَيْنَينِ، خَطّابُ الكُثَبْ   يقولُ: إني خاطِبٌ، وقد كذَبْ

وإنما يخْطُبُ عُسًّا من حلَبْ[2]

ج ـ الاستغلال الاستمتاعي:

الاستغلال الاستمتاعي أنواع منه :

---

[1] جريد الوطن السودانية عد ٢٦٢ / الاثنين ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ ـ الموافق ٦ / ٨ / ٢٠٠١م

[2] لسان العرب ج ٤ ص ١٣٥

أ ـــ يريد الخاطب إمتاع نفسه بإدامة النظر إلى من خدعها بخطبته لها والحديث معها والمفاكهة والمضاحكة والمغازلة وإمضاء الساعات الطوال في الجلوس سويا موهما لها أنه يريد الزواج منها والتعرف عليها تمهيدا لخطبتها. ولكنه يكون في حقيقة الأمر يريد إنفاق الأوقات معها وتزجيتها والتخلي عنها بعد ذلك.

ب ـــ يريد الخاطب إمتاع نفسه بالدخول والخروج معها والتدرج إلى مراحل أعلى من ذلك من اللمس والتجميش [1] والتقبيل.

ج ـــ يريد الخاطب إمتاع نفسه بالاستغلال الجنسي فيوهمها هذا الذئب بأنهما سيتزوجان وأنها ستكون له ويكون لها فينال من عرضها ثم يذهب تاركها تجتر الحسرات وتأكل الندم وتعض الأنامل من الغيظ على تفريطها في نفسها وركونها إلى خداعه ذاهبا ليغرر بعانس أخرى فما أكثرهن وما أسهل خداعهن. مع عدم نسيان الحديث عنها وفضيحتها وإشانة سمعتها وأنه تركها لأنها أخبرته بأنها ليست بكرا وأنه كان يريد سترها وراقبها فوجدها مع فلان وفلان.

د ـ استغلال مكانة وجاه العانس ومكانة أهلها وجاههم:

قد تكون بعض العوانس من أسر مرموقة لها مكانة اجتماعية كبيرة وسط المجتمع، أو تكون العانس نفسها لها وظيفة كبيرة في ديوان من دواوين الدولة، ويكون هذا الخاطب رويبضة من رويبضات المجتمع ونكرة من نكراته فيأتي إليها مطمعا لها في الارتباط بها والزواج منها فتصدق المسكينة ويكون هدفه الحقيقي استغلال مكانتها الاجتماعية المرموقة ومكانة أهلها في تحقيق مكاسب خاصة به من نيل وظيفة أو دفع شر محدق به، أو

---

(1) الجَمْش: ضرْبٌ من المُغَازَلة بقَرْص ولعِب، وقد جَمَّشَه وهو يُجَمِّشها أي يُقَرِّصُها ويُلاعِبُها. [لسان العرب: مادة جمش]

إخراج حقوق له مهضومة. أو نحو ذلك من الأغراض والمطامع وتركها ولفظها بعد نيل مراده منها وقضاء مآربه وتحقيق مطامعه.

هـ- استغلال إيذاء الشعور:

قد يريد أحدهم إمتاع نفسه بالدنو من العانس ومحادثتها وإيهامها أنه يريد حل مشكلتها ويكون في الحقيقة يريد أن يقضي وقتا وأن يري غيره من الناس أنه يهتم بمشاكل الآخرين وقضاياهم ، أو يقول ضاحكا بملء فيه لأحد أصدقائه أو الماكرين مثله : ما رأيك في الزواج من هذه المرأة ولست مطالبا بشيء سوى أن تكون رجلا أو بالمعنى الأدق أن تكون فحلا ، فلست مطالبا بمهر ولا بيت ولا نفقة فكل هذا متوفر لك وإنما الناقص هو الرجل فكن أنت . فيجرح شعورها ولا يفيدها شيئا بل يتخذها أضحوكة وسخرية.

ـ وحتى بعض الباعة المتجولين لا تسلم من أذاهم العوانس، فمن القصص التي حدثت أن بائعا متجولا كان يعرض أنواعا من الأكواب تسمى [بايركس] [(١)] فيأتي ويصيح وسط الحارات والمنازل بأعلى صوته: خذوا البايركس ويكون في الحقيقة يقصد الفتيات البائرات.

فخرج إليه أحد الرجال الغيورين فقال له: والله لو سمعت منك هذه العبارة بعد هذا اليوم، فلن تنال خيرا ولن تسلم مني، فقل أي شيء تبيع به بضاعتك وتروجها، ويمكنك أن تقول: خذوا الأواني والصحون ونحوها من عبارات التسويق ولكن لن نسمح لك أن تؤذينا في بناتنا.

---

(١) أي الممتنعة عن الكسر

الفصل الثاني

آثار العنوسة على أهل الفتاة

١ـ الانشغال الدائم بالعانس والتفكير فيها

٢ـ الاقتصار على الإقامة بالبلاد والحد من حرية التنقل

٣ـ حمل هم العانس والاهتمام بها إلى آخر لحظة من حياة وليها

الفصل الثاني

آثار العنوسة على أهل الفتاة

١ـ الانشغال الدائم بالعانس والتفكير فيها :

والد العانس دائم التفكير فيها والانشغال بها فتراه قد ظهرت عليه علامات الكبر ووخط رأسه الشيب قبل أوانه ليس بسبب هود وأخواتها ولكن بسبب سليمى وسلمى من بناته وبنات إخوانه وأخواته اللاتي أهرمنه وأمرضه وأسقمه التفكير فيهن فهن قد زوى عودهن وطال قعودهن ولا أمل لهن في خاطب فهذا واحد تقدم فرفضته ابنته الصغيرة بحجة أنه تجاوز أخواتها الأكبر منها ، وهذا خاطب آخر فرفضته بحجة أنه أقل منها تعليما ومنزلة فليس هو من رجالها. أو البت الكبيرة فقد انزوت في غرفتها واسود لونها وأبيض شعرها قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى مصورا حمل والد البنات همومهن:

إذا المرء شب له بنات عصبن برأسه عنتا وعارا[١]

وأنشد ابن الأعرابي لرجل عنده بنات حمل همهن منذ صغرهن فإذا زوجهن[٢] بأزواج أغنياء احتقروهن وأهانوهن وشتموهن وضربوهن وإن زوجهن بأزواج فقراء لم يستطيعوا أن يقوموا بمستلزماتهن وتلبية طلباتهن، ولذا تمنى لهن الموت حتى يرتاح ويرتحن معه وذلك في ظنه فقال:

أحب بنيتي ووددت أني ستـرت بنيتي في قعر لحد
وما إن ذاك من بغض ولكن مخافة أن تذوق البؤس بعدي
فإن زوجتها رجلا فقيرا أراها عنده والهم عندي
وإن زوجتها رجلا غنيا فيلطم خدها ويسب جدي

---

[١] محاضرات الأدباء ج٢ص٣٢٥

[٢] هذا عندما كان الزواج سهلا ميسورا

سألت الله يأخذها قريبا وإن كانت أحب الناس عندي[١]

٢ـ الاقتصار على الإقامة بالبلاد والحد من حرية التنقل :

تختلف حركة الإنسان وتنقلاته بحسب أحواله فالأعزب أكثر حركة وتنقلا وضربا في الأرض من المتزوج الذي له زوجته ولم يرزق بأولاد بعد كما أن المتزوج الذي ليس له ولد يكون أكثر حركة من الذي له أولاد فإذا جاءه الأولاد قلت حركته ، كما أن صاحب الأولاد يكون أكثر حركة من الذي له بنات فصاحب البنات غالبا يخلد إلى الجلوس في بلده وملازمة بناته فيجبره بناته على تحديد الإقامة وعدم حرية التنقل فهو لا يذهب إلى أماكن بعيدة خوفا على بناته أن يمسهن سوء أو يناهن مكروه فهو يخشى عليهن من إلمام الجوع والعري بغيابه والغلظة والشدة من الذي يقوم بشأهن في حالة عدم تواجده كما أهن عرض يخشى عليه أن ينتهك وحرمات يهمه الحفاظ عليها ، قال حطان بن المعلى مصورا حبس بناته له وإنه لولاهن لكان كل يوم في بلد :

لولا بنيات كزغب القطا ينهضن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض
إن هبت الريح على بعضهم لم تطعم العين من الغمض
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض[٢]

فإذا زوج الإنسان بناته عادت له حريته من التنقل والتحرك كما يشاء، إما إذا كانت بناته صغارا أو كن كبارا ولم يتزوجن ولا إخوة كبار لهن فإنه يلازم بيته ومدينته ويقل خروجه. وإذا أمن الإنسان مكانا لبناته ووجد لهن حرزا منيعا فإنه لا يستطيع

---

(١) عيون الأخبار ج٣ص٩٣

(٢) بهجة المجالس القسم ١ص٧٦٧ـ٧٦٨

الجلوس بل سيسافر لتوفير لقمة العيش الكريم لهن ، وإن كان من غير وجود هؤلاء البنات لا يخشى الفقر وإنما صار يخشاه الآن لوجودهن ، قال إسحاق بن خلف البهراني:

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ... ذل اليتيمة يجفوها ذو الرحم
أحاذر الفقر أن يلم بساحتها ... فيهتك الستر عن لحم على وضم
أخشى إضاعة عم أو جفاء أخ ... وكنت أحنو عليها من أذى الكلم
ما أنس لا أنس منها إذا تودعني ... والدمع يجري على الخدين ذا سجم
لا تبرحن فإن متنا فإن لنا ربا ... تكفل بالأرزاق والقسم
تهوى حياتي وأهوى متوتا شفقا ... والموت أكرم نزال على الحرم[1]

٣ـ حمل هم العانس والاهتمام بها إلى آخر لحظة من حياة وليها :

يستعذب بعض الآباء الموت ويرحب به ويطيب به نفسا عندما يكون لا بنات له، ويهتم بالموت ويفرق منه ويخشاه عند وجود البنات، قال ابن الأعرابي: سمعت شيخا أعرابيا يقول: إني لأسر بالموت ولا دين ولا بنات.[2]

ويعتبر كثير من الناس أن تزويج البنات والانتهاء من همومهن من أكبر النجاح وأن وجودهن في البيت من غير زواج من أكبر المشغوليات وأنهن يأخذن حيزا كبيرا من تفكير آبائهن وأولياء أمورهن وأن الانتهاء منهن يجعل المرء يفكر في إنجازات أخرى. وقد ظن مشركو مكة أن تزويج النبي صلى الله عليه وسلم لبناته وانتهائه من همومهن والفراغ منهن تركه من غير شيء يشغل باله ففكر في شغل نفسه بادعاء النبوة فادعاها ولذلك

---

[1] عيون الأخبار ج٣ص٩٣ ، الحماسة لأبي تمام ج١ص١٠٧ ، محاضرات الأدباء ج١ص١٥٧

[2] البيان والتبيين ج٣ص٤٦١

أمروا أزواج بنات النبي صلى الله عليه وسلم بتطليقهن حتى ينشغل بهن وينسى دعوته ويتضح لنا هذا الأمر في هذه القصص:

ـ سألت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يزوج بنتها زينب من ابن أختها أبي العاص بن الربيع وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين أمانة ومالا وتجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها وذلك قبل نزول الوحي عليه وكانت خديجة تعُدُّ أبا العاص بمنزلة ولدها فلما أكرم الله عز وجل نبيه بالنبوة قال أهل مكة : إنكم فرّغتم محمدا من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت قال : لا والله لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه في صهره خيرا.[1]

ـ عند نزول قوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾[2] أمر أبو لهب ابنيه عتبة وعتيبة بطلاق رقية وأم كلثوم وقالا لهما: رأسي من رؤوسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد . وقالت لهما أمهما حمالة الحطب: إن رقية وأم كلثوم صبتا فطلّقاهما فطلّقاهما قبل الدخول عليهما.[3]

---

(1) المعارف لابن قتيبة الدينوري ص١٤٢، البداية والنهاية لابن كثير مجلد٢ ج٣ص٣١٢ـ٣١٣

(2) سورة المسد آية ١ ـ ٥

(3) الإصابة لابن حجر ج٨ص٢٨٩ ترجمة رقم: ١٢٢٢٢

ـ زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته رقية عتبة بن أبي لهب فأمره أبو لهب أن يطلقها وقالت له قريش: طلق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة في قريش. قال: إن زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص أو بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها وذلك قبل أن يدخل بها ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد في بعض أسفاره.(١)

والبنت بصفة عامة يحمل أهلها همها منذ لحظة ولادتها وحتى وفاتها ، وبعضهم يستعجل وفاتها ليرتاح منها قال عقيل بن علفة في ابنته الجرباء:

إني وإن سيق إليّ المهر ألف وعبدان وذود عشر

أحب أصهاري إليّ القبر(٢)

فيهتم الأهل بابنتهم وبإطعامها أحسن الطعام وإلباسها أفخر الألبسة وتربيتها وتعليمها ويحاولون جاهدين إرضاءها وتدليلها وفي رأي كثير من أرباب الأسر عدم جدوى تعليم البنت فوق المرحلة الثانوية مع فعلهم لذلك، والدافع لذلك هو الاستجابة لرغبة بناتهم وتلبية لطلبهن، ولو انتهت البنت من جامعتها وفكرت في الالتحاق بوظيفة تليق بالفتيات كالتعليم ونحوه من الوظائف فإنهم يسمحون لها بذلك ولا يأخذون من راتبها شيئا ولا ينتظرون منها شيئا بل يتمون لها ما نقص من مستلزماتها إن لم يكف راتبها ولم يف بأغراضها ، أما أخوها الذي معها في البيت والذي يمكن أن يكون أقل تعليما منها

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص٢٠ وص ١٤٢، السيرة النبوية لابن هشام ج٢ص٣٠٧، أسد الغابة لابن الأثير ج٦ص١١٤ ترجمة رقم ٦٩٢١ وكذلك ص٣٨٤ ترجمة رقم ٧٥٧٣. والإصابة لابن حجر ج٧ص٦٤٩ ترجمة رقم ١١١٨١

(٢) بهجة المجالس القسم ١ص٧٦٦

وفي وظيفة أقل منها فإن أهله ينتظرون منه الكثير ويطالبونه بذلك ، يفعل أولياء أمور الفتيات كل هذه الأشياء نحوهن جبرا لخاطرهن وتطييبا لأنفسهن ولعلمهم أهن إذا تزوجن وظفرن بزوج كفاهن أنفسهن فقد أتين بالمطلوب منهن وزيادة، كما أن أباها يهتم بها بعد زواجها توقعا لطلاقها من زوجها ورجوعها لبيته.

وقد جاء في الإحسان إلى البنت في مثل هذه الحالة أجر عظيم، فعن مُوسَى بْن عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ بَلَغَنِي عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ يَا سُرَاقَةُ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْظَمِ الصَّدَقَةِ أَوْ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَةِ قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ابْنَتُكَ مَرْدُودَةٌ إِلَيْكَ [1] لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيْرَكَ.[2]

ويمتد هذه الاهتمام بالفتاة طول حياة والدها وعند مرضه وشعوره باحتضاره ودنو أجله فإنه لا يخاف من الموت لأنه لا بد منه وإنما يخاف الموت لأنه يفرق بينه وبين بناته ويخشى عليهن الضيعة وجفاء أخ أو غلظة قريب ولعل الذي يخلفه عليهن يقسو عليهن أو يكون فظا غليظ القلب في معاملته لهن ، قال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود بنفسه أما ذنوبي فإني أرجو لها المغفرة ولكني أخاف على بناتي الضيعة فقال له صاحبه: فالذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فأرجه لحفظ بناتك.[3]

---

[1] قال ابن الأثير : المَرْدودةُ: التي تُطَلَّقُ وتُرَدُّ إلى بيت أبيها، وأراد: ألاَ أدُلّك على أفضل أهل الصدقة؟ فحذف المضاف.ومنه حديث الزبير في وصيَّته بدَار وَقَفها وللمَرْدُودة من بَنَاته أن تَسْكُنها لأن المُطَلَّقة لا مَسْكَن لها على زَوجها.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ردد}]

[2] سنن ابن ماجة، كتاب: الأدب، باب: بر الولد والإحسان إلى البنات، حديث رقم: ٣٦٥٧ / مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث سراقة بن مالك بن جعشم، حديث رقم: ١٦٩٢٥

[3] البيان والتبيين ج١ص١٢٠

ويوصي الأب عند وفاته أقرب أبنائه وألصقهم به بأخواته خيرا أن يهتم بهن ويراعيهن كما أوصى عبد الله بن حرام ابنه جابرا بأخواته بمراعاتهن والإحسان إليهن والحفاظ عليهن ، عَنْ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا .[١]

وهذه الوصية أثرت على جابر رضي الله عنه وعلى اختياره لزوجه فاختار ثيبا بدلا من بكر لترعى أخواته وتقوم بمصالحهن كما مر بنا.[٢]

أما الولد فلا يشكل هاجسا كبيرا لوالده في أي شيء كالبنت فانحراف البنت مثلا عار الأبد وعثرة لا تقال وفضيحة الدهر التي لا تغتفر وسوءة لا بعدها سوءة أما انحراف الولد فهو صبي والصبا والتصابي من شأن الصبيان كما أنه فحل وشأن الفحل الهجوم على الإناث وهذا شيء عادى وأمر طبيعي فعلى الإناث الابتعاد عن طريق الفحول وعلى أهل الإناث عدم التفريط فيهن وإلا تعرضت لها الفحول.[٣]

يحمل كثير من الآباء هذه المفاهيم ويكون عند الواحد منهم أولاد وبنات فيطبق هذه المفاهيم على أولاده فيتسامح معهم ويطلق لهم الحبل على الغارب بل يعتذر لهم

---

[١] صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة، حديث رقم: ١٢٦٤

[٢] انظر ص من هذا الكتاب

[٣] قال المعري:

واطلبْ لبنتِكَ زوجاً كي يراعيَها   وَخَوِّفِ ابنكَ من نسلٍ وتزويجِ

وأحيانا يشجعهم على هذه الأمور وفي الشعر العامي السوداني امرأة لها ولد اسمه حسين يدرس في كتاب من كتاتيب القرآن وله لوح يكتب عليه آيات من القرآن ليحفظها ويمحوها ويكتب فيه غيرها ويحفظها، وكان الولد منهمكا في قراءة القرآن غير منشغل بعالم النساء، منصرفا عنهن فقالت له أمه:

يا حسين أنا أمك وأنت ماك ولـدي	بطنك كرشت[1]غي البنات ناسي[2]
ودقنك حمست جلدك خرش ما في[3]	لا ك مضروب بالسيف تكمد فـي
متين يا حسين أشوف لوحك معلـق[4]	لا حسين كتل[5] لا حسين مفلَّـق[6]
لا حسين ركب الفي الشاية علّـق	قاعد للزكاة ولفظ المحلـق[7]

---

[1] أي صارت بطنك كبيرة وصار لك كرش ضخمة من جراء قعودك للأكل وحفظ القرآن ولا تتحرك.

[2] وتجيب هذه المرأة بأن ما حدث لحسين خلاف ما تحبه وترغب فيه ، فلحيته كثرت وبطنه صارت ضخمة ونسي هذا الحسين مغازلة البنات والانشغال بهن ، والتعرض لهن ، وانصرف لقراءة القرآن.

[3] أي صار جلدك أملس كجلد الفتاة لا فيه جرح وخدش من ملاقاة الأعداء

[4] تسأل هذه المرأة متعجبة ابنها حسينا متى ترى لوحه معلقا على المشجب في البيت، واللوح هو الذي يكتب به في المدارس القرآنية وهو مصنوع من خشب.

[5] كتل: أي قتل في حرب بينه وبين أعداءه

[6] وتتعجب أمه أيضا أن ابنها لم تسمع عنه أنه: قتل (كتل) في معركة من المعارك أو فلق رأسه أو جرح في جسمه.

[7] انظر كتاب: الهمبته في السودان ، تأليف : شرف الدين الأمين عبد الله، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص ٦٩

يكون بعض الآباء كهذه الأم في التهاون بالأبناء الذكور وعدم مراقبتهم ولكنه يراقب حركات ابنته ويفرط في المراقبة والتدقيق وهذا أمر يحمد عليه ولكن ينبغي النظر للأمر من الجانبين، وتعظيم الانحراف من الاثنين.

الفصل الثالث

آثار العنوسة على المجتمع

١ـ كثرة العوانس مظهر من مظاهر عدم التعاون في المجتمع

٢ـ ظهور أمراض وعادات وافدة على المجتمع المسلم

٣ ـ المكابرة في الثوابت والمسلمات

٤ ـ ظهور الفواحش وكثرتها

الفصل الثالث

آثار العنوسة على المجتمع

١ـ كثرة العوانس مظهر من مظاهر عدم التعاون في المجتمع :

الإنسان بطبعه اجتماعي، فهو محتاج لغيره وغيره محتاج إليه، فهو يخدم غيره منتظرا أن يخدمه غيره: عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه قال: كان عمر بن الخطاب إذا سافر لا يقوم في الظل، وكان يرحل رحالنا، ويرحل رحله وحده، وقال ذات يوم:

لا يأخذ عليك الليل بالهم   والبس له القميص واعتم

وكن شريك نافع وأسلم   ثم اخدم الأقوام حتى تُخدم(١)

والمجتمع المسلم جسد واحد يتأثر أفراده بتأثر بعضهم بعضا، عَنْ النُّعْمَانِ بْنَ بَشِيرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.(٢)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: (ترى المؤمنين في تراحمهم) قال ابن أبي جمرة المراد من يكون إيمانه كاملا. قوله: (وتوادهم) بتشديد الدال، والأصل التوادد فأدغم، والتوادد تفاعل من المودة، والود والوداد بمعنى وهو تقرب شخص من آخر بما يحب. قوله: (وتعاطفهم) قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب المحبة

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٦٤

(٢) صحيح البخاري: كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٥٥٥٢/ صحيح مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، حديث رقم : ٤٦٨٥ .

كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه.

قوله: (تداعى) أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في الألم، ومنه قولهم تداعت الحيطان أي تساقطت أو كادت. قوله: (بالسهر والحمى) أما السهر فلأن الألم يمنع النوم. وأما الحمى فلأن فقد النوم يثيرها. وقد عرف أهل الحذق الحمى بأنها حرارة غريزية تشتعل في القلب فتشب منه في جميع البدن فتشتعل اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية. قال القاضي عياض: فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا. وقال ابن أبي جمرة : شبه النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء، لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أخل المرء بشيء من التكاليف شان ذلك الإخلال الأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب.[١]

وبما أن العنوسة من أعضل أدواء هذا العصر فهي تبرز معدن المجتمع على حقيقته وتظهر خفاياه وخباياه وتظهرها واضحة لا خفاء فيها ولا ريب فكثرة العوانس تعكس تفكير المجتمع وأن كل أفراده يفكرون في أنفسهم لا يتجاوزونها إلى غيرها ولا يهمهم غيرهم وإذا أمعنا النظر في عوانس هذا المجتمع فمن هن ؟ هن أختي وأختك وابنة خالي وابنة خالك وابنة خالتي وابنة خالتك وابنة عمي وابنة عمك وابنة عمتي وابنة عمتك

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠

وجارتي وجارتك وكل ذي قرابة وجوار ومعرفة من البنات لك وكل ذي قرابة وجوار ومعرفة من البنات لي.

ومن هم العانسون من الرجال ؟ هم : أنا وأنت وأخي وأخوك وابن عمي وابن عمك وابن عمتي وابن عمتك ، وابن خالي وابن خالك وابن خالتي وابن خالتك ، وكل ذي قرابة وجوار ومعرفة لك وكل ذي قرابة وجوار ومعرفة لي.

فلو تركنا التفكير المستمر في مصالحنا ساعة وألقينا نظرة على هؤلاء النساء وشعرنا أن لهن نقصا وتنغيصا في حياتهن وأنهن بشر لهن أحاسيس مثل أحاسيسنا ونسأل أنفسنا لماذا لا نسهم في حل مشاكل العانسين من الرجال والعانسات من النساء؟؟

٢ـ ظهور أمراض وعادات وافدة على المجتمع المسلم :

زيادة نسبة الفتيات غير المتزوجات وعنوسة الأولاد العزاب الذين هم في سن الزواج يؤدي هذان الأمران إلى عادات سيئة وعواقب وخيمة كظهور العادات الوافدة على المجتمع المسلم والتي منها :

ـ الإكثار من استخدام الهاتف في المعاكسات وإنفاق الساعات الطويلة في تجربة أرقام الهواتف العشوائية لاصطياد المناسب من الضحايا وثم تتطور المحادثات إلى مغازلات وإقامة العلاقات والتي يكون قصد الفتاة منها بريئا ولكنها قد تتطور إلى لقاءات وخروج ومقابلات وقد تتطور إلى أن ينال منها هذا الذئب ثم يرمي بها ذاهبا إلى ضحية غيرها.

ـ الخروج إلى الأسواق من غير حاجة للتفرس في وجوه الغادين والرائحين ودخول أماكن الباعة والتحدث معهم ومضاحكتهم بقصد تزجية الوقت وإنفاقه وتسويل الشيطان لهن بأنهن يمكن أن يظفرن بزوج، والملابس الجديدة تساعد على ذلك.(١)

ـ الخروج في الرحلات الجامعية والتي قد تكون مختلطة بغية التقرب من الشباب والتعرف عليهم لعل الواحدة منهن تظفر بزوج عبر هذا اللقاء.

ـ استعمال البريد الإلكتروني في المراسلات الغرامية، ترينا مدى انحدار أخلاقيات كثير من بنات المسلمين وفقداهن الحياء، ولعل الدافع طول معاناتهن من العنوسة فالرسائل التي ترسلها الفتيات الراغبات في الزواج تذكر الواحدة منهن في الرسالة عمرها وبلدها ومستوى تعليمها وصفاها الحسية والمعنوية ومستوى جمالها وهواياها المفضلة وما تحب من الأشياء وما تكره منها وميولها ورغباها وبعضهن تودع اسمها دون حياء ورقم هاتفها وبريدها الإلكتروني وقد ترفق أحيانا صورها كما أنها تذكر صفات زوجها المرتقب وفارس أحلامها المنتظر إلى غير ذلك من الأشياء والأمور التي يندى لها الجبين وتنذر بشر مستطير يرينا ما آل إليه أمر المسلمين ومما هووا فيه من دركات الانحطاط وما تردوا فيه من مهاوي عدم الحياء وقلة الأخلاق كما أن المرء يستشعر عظم الأمر وفداحة خطب العنوسة عند الفتيات.

٢ ـ المكابرة في الثوابت والمسلّمات:

هذه العنوسة المتفشية، والخضم الهائل من العزاب والعازبات يؤدي إلى ظهور عادات وتقاليد كثيرة بعضها يعترف مقارفوه بخطئه ويحاولون ستره والتنصل منه

---

(١) قال ابن الأثير: وفي حديث ابن مسعود: أنّ امرأته سألته أنْ يَكْسُوَهَا جلْبَابا فقال: إني أخْشَى أنْ تَدَعِي جلْبَابَ اللّه الذي جَلْبَبك، قالت: وما هو؟ قال بَيْتُك. [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {أجَنَ}]

كممارسة الزنا والاستمناء والمعاكسات ونحوها وبعضها يكابر فيه الواقعون فيه بل يحاولون تقنينه وتبريره كالزواج العرفي الذي انتشر بين طلاب الجامعات حتى أن نسبته في الجامعات المصرية فاقت ١٧% من عدد الطلاب[1] رغم أن هذا الزواج غير مستوف شروط الزواج من ولي وإشهار، ومن أمثلة ذلك ما جاء على موقع إسلام أون لاين:

- نريد حلا أو زواجا عرفيا[2]!

أحمد فتحي -إسلام أون لاين.نت/ ٢٢-٦-٢٠٠١

"دعوا الشباب يتزوج عرفيا؛ فهو الحل الوحيد، أليس في هذا الزواج إيجاب وقبول؟ إذن الزواج العرفي هو الحل حتى ولو كان ناقصا شرعا، أليس نصف الحلال خيرا من الحرام كله؟".

بهذه الكلمات يبدأ محمود مداخلته في ساحات حوار "إسلام أون لاين.نت" والتي وصل عدد الردود عليها ما يقرب من ٥٠ رسالة في خلال أسبوع واحد فقط في الفترة من ٢٠٠١/٦/١١ حتى ٢٠٠١/٦/١٨، وما يلفت النظر هو الكم الهائل من الردود في وقت قصير، وهو ما يعكس أهمية الموضوع والتنوع في الردود ما بين المؤيد والمعارض.

يقول" شاب مسلم" أحد رواد الساحة "إذن فلتتركوا الشباب يتزوج عرفيا عله يستطيع أن يتم هذا الزواج ليكون صحيحا بعد ذلك، ولتكن هذه الخطوة دافعا له ليفعل شيئا في حياته بدلا من إحساسه بالعجز الذي قد يدفعه إلى الاتجاه إلى الحرام والعياذ بالله. فإما أن تجدوا حلا وإما أن تتركونا نتزوج عرفيا يرحمكم الله".

---

[1] أحمد فتحي -إسلام أون لاين.نت/ ٢٢-٦-٢٠٠١ / نريد حلا.. أو زواجا عرفيا!

[2] أكدت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر وجود أكثر من ١٥٠٠٠ دعوى لإثبات بنوة المواليد من زواج عرفي أو زنا

فتاة أخرى خرجت عن صمتها لتعلن قبولها لهذا الزواج ضاربة بقيود الأسرة والمجتمع عُرض الحائط، وهي التي تقترح في مداخلتها على الشاب أن يتزوجها عرفيا؛ فتقول شهيرة تحت عنوان "أرحب كفتاة تخشى العنوسة بهذا الزواج": "دعوا الشباب يتزوج عرفيا، الشباب في هذه الأيام لا يكاد يقدم على الزواج من أجل ما يلاقيه من غلاء وبطالة وتعسف مع ما يلاقيه من غزو فكري وبث جنسي على الإنترنت والدش وخلافه، وهو ما يجعله زاهدا في الزواج، وقد حسمت موقفي، سأعرض عليه فكرة الزواج العرفي، وإن رضي بالفكرة ورحب بها فسوف أجبر أهلي على الاعتراف به بعد أن يتم الزواج".

ويرى أحمد أن الزواج العرفي حل لمشكلة الزواج المتعثر فيقول: "وهذه الأيام تكاليف الزواج غير العرفي مرتفعة جدا جدا، حيث غلاء المهور وتعسف أولياء الأمور، أما الزواج العرفي فتكاليفه المادية قليلة جدا، كما أنه السلاح الذي ينهزم به أولياء الأمور، بل يجعلهم يسعون في إتمام الزواج الرسمي دون تعقيدات.

ويرد أحدهم بسؤال استنكاري: "لو جاءك شاب يطلب الزواج من أختك أو ابنتك زواجا عرفيا فهل توافق؟"، فيجيبه "العربي": "ولِمَ لا؟ أتدري لماذا أقول هذا؟ لأنه -وفي منتهى البساطة- سيكون هذا الزواج حلالاً للأسباب الآتية:

هذا الزواج سيكون عرضًا "طلب وقبول".

هذا الزواج سيتوافر به ركن الإشهار؛ لأن هذا الأخ لن يرضى بأن يكون زواج شقيقته هذا سرًا.

هذا الزواج سيتوافر له ركن الشهود.

ويراه آخر حلا. "والسؤال: لماذا لا يكون شرعيا بالإيجاب والقبول بين الطرفين، بولي وشاهدين أيًا كانت حالة العريس ما دام مقبولا، قال تعالى ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [1] صدق الله العظيم.

أما الآراء الرافضة فيعكسها شاب رافض للزواج العرفي ومحملا الأهل مسئوليتهم المباشرة عن انتشار هذه الظاهرة، ومستعرضا تجربته الشخصية في الزواج، وهو في سن الثانية والعشرين فيقول في مداخلته التي بعنوان "تمسكوا بتقوى الله": " تفكير الشباب والأهل في الزواج الآن أصبح تفكيرا خاطئا لا يعتمد إلا على المظهر والمال والشقة والأثاث، ونسي الناس أن الهدف من الزواج هو عفة الشباب وتطهير المجتمع من الآثام، ولقد نسيت كل فتاة تعرض نفسها لهذا الزواج أنها باعت دينها وشرفها من أجل شهوة تنقضي في دقائق وبعدها فهو لا يعرفها".

ويقول آخر مازحا تحت عنوان "زواج Take Awa„ وعواطف Ice Cream": "أي فتاة تلك التي تقبل أن تكون مجرد Sandwich في يد الرجل، هو يريدها الآن فيلتهمها الآن؟ لا عذر لمن قال المعيشة مرتفعة فالقيم الجميلة، والحياة المستقرة تستحق منا مزيدا من العناء، وبعض الصبر. فمن يتصور نزوعه للارتباط الأسري مثل Ice Cream ما لم يلحقه الآن فسيذوب هذا الشخص سيفاجأ بأن كل حياته لا تعدو أن تكون Ice Cream يذوب مع الوقت".

قصص من الزواج العرفي جنت على أصحابها[2]:

---

[1] سورة النور آية ٣٢

[2] هذه القصص مأخوذة من موقع العانس على الإنترنت.

يقول خالد إنه قد سول له الشيطان في إحدى سفراته (تحت تحريض بعض أعوانه) بأن يتزوج عرفيا من إحدى الفتيات وحاول هذا الشيطان أن يزين له الأمر ويحلله له ويعترف بأنه قد وقع في هذا الخطأ الشنيع وقد تخلص منه قبل عودته إلى بلده ولكنه ندم أي ما ندم على هذه الغلطة التي لن تزول من ذاكرته خصوصا بعد أن علم أنه قد ارتكب محرما يخالف الشريعة الإسلامية. (١)

ـ تقول ن. ي. : فتاة في السابعة عشرة سبق أن تزوجت عرفيا مرتين، في المرة الأولى كان مقابل مبلغا ماليا كبيرا ضمن لي مستقبلي الدراسي وطلقني زوجي بعد شهر واحد فقط وقد تزوجت بعدها مرة أخرى واشتريت سيارة وطلقني الآخر أيضا وأظن أني لن أكررها ثالثة فليتكم تعلمون ما مقدار الخسارة الكبيرة التي حدثت لي في هاتين الزيجتين. (٢)

ـ س التي تبلغ من العمر ١٩ عاما، قامت بالزواج العرفي من أحد أقربائها، الذي ربطتها به علاقة عاطفية منذ سنوات الطفولة.

تقول س : لقد لجأت إلى الزواج العرفي، كحل مؤقت، أمام رفض أهلي القاطع وغير المبرر للارتباط بمن أحبه قلبي، وقد قررنا الإقدام على هذه الخطوة، بأسلوب الأمر الواقع، حتى نرغم الأهل على الموافقة بالارتباط الرسمي، وقد نجحت خطتنا إلى أقصى درجة وبصورة لم نتخيلها!

لقد وافقت أسرة س. على الزواج درءا للفضيحة، بعد أن ظهرت على الفتاة أعراض الحمل فتم الزواج بسرعة فائقة، بعد أن قامت الأسرة وفي زمن قياسي بتوفير

---

(١) مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

(٢) مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

مسكن مناسب، وأثاث فاخر للعروسين !! غير أن س. نفسها تفجر قنبلة مدوية عندما تقول: لم نكد نفيق من هذا الحلم الجميل، حتى تفجرت المشكلات، بعد أن اكتشفت زوجي على حقيقته وبعد أن أصبحنا في مترل واحد، لقد كان يثور لأتفه الأسباب، ويسيء معاشرتي بصورة دفعتني بعد شهور قليلة لطلب الطلاق.[1]

ـ أبو عمر أيضا شاب يقول: كنت في أحد البلدان دلني أحد أصدقائي على رجل يقوم بعقد الزيجات العرفية ذهبت إليه فوجدت عنده ما أريد، لم يكن لدي رغبة جادة في الدخول بمشروع غير إنساني وحقير كنت أتمنع وأختلق الحجج لكنهم لم يتركوا لي فرصة قاموا بكتابة عقد من نسختين نسخة تخص الزوج ونسخة تخص الزوجة ورفضت أن تأخذ الفتاة نسختها وقالت يجب أن تكون النسختان معي ولم يمانعوا في ذلك لكي أطمئن طبعا بأنه لن يكون هناك أي مسؤولية علي ومن شروط الزواج العرفي أن يسجل العقد في المحكمة.

ورفضت هذا الشرط ولم يمانعوا أيضا وكأن الشيطان يدفعهم حثيثا إلى الزج بي في هذه الكارثة ومن دون إرادتي وجدت نفسي متزوجا زواجا عرفيا وأصدقكم أني لم أكن سعيدا بل كنت طوال فترة زواجي بين قلق، يمزقني هاجس الخوف.[2]

ـ هدى متزوجة تقول: منذ أن أنجبت طفلي الأول تغير زوجي أصبح كثير الأسفار يغيب عني كثيرا مع أني أحبه جدا وأهتم به وببيتي وفي ليلة من ليالي عودته من سفر طويل أردت أن أعرف السر قمت بتفتيش حقيبة سفره شاهدت صورا له مع فتاة صغيرة وشاهدت صورا لعقود فهمت منها أنه متزوج علي جن جنوني ذهبت إلى أهلي

---

[1] كل الأسرة عدد ٢١١ ٢٩/١٠/١٩٩٧م

[2] مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

وأنا أقلب ذهولي بين يدي أقسم لي أنه زواج عرفي أقسم أنه زواج (أي كلام) !! لكن لم يهنأ لي العيش إلا بعد أن حصلت على ورقة طلاقي من رجل لا يعرف معنى الإخلاص! [1]

ـ ومن خلال محاضر الشرطة يقول مصطفى مكي المحامي: إن رفع العديد من قضايا فسخ عقد الزواج العرفي قد أبرزت انتشار هذا النوع من الارتباط ففي الوسط الإعلامي نجد مذيعة تتقدم بطلب لفسخ عقد زواجها العرفي وتطليقها من زوجها المذيع الذي تزوجته بعد وفاة زوجها بعد أن ترك لها أولادا، وبعد سنتين من وفاته حصلت على إعارة للعمل مذيعة لمدة خمس سنوات في دولة (خليجية مجاورة)، فاضطرت إلى الزواج العرفي من زميل لها ليسافر معها كمحرم، وتركا عملهما بالإذاعة وسافرا بعد العودة طلبت منه الطلاق فرفض، ورفض تسليمها أصل عقد الزواج فطلبت في دعواها فسخ العقد.

لم يقتصر هذا النوع من الزواج على فئة معينة فيقول مكي: كانت هناك دعوى أخرى تقول إن أحد العاملين بالحكومة تزوج من سيدة ثرية بعد وفاة زوجها بموجب عقد عرفي وفرض فيه مهرا قيمته خمسة آلاف، وأنه بعد أن دخل بزوجته وعاشرها، تنكرت لهذه الزيجة، ورفضت الاعتراف بها، كما منعته من دخول مسكن الزوجية، فأقام دعوى لإثبات الزواج فرفضته المحكمة، وأعطت الحماية القانونية للعقد إذا أنكره أحد الطرفين. [2]

[1] مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

[2] مجلة هلا عدد ٤٧٠ ١٩٩٨/١١/٥م

ـ تحكي إحدى السيدات قصتها مع الزواج العرفي فتقول: جمعتني بزميل لي مشاعر ود قوية رغم علمي بأنه متزوج ولديه أطفال وكنا نعرف أن زواجنا مستحيل فنظرة المجتمع للزوجة الثانية متدنية ففضلنا الزواج العرفي، والذي لم يدم لأكثر من عام ونصف، شعرت خلال هذه الفترة إنني زوجة درجة ثانية ولست زوجة ثانية، وساءت حالتي النفسية، فالزوجة الأولى هي الحقيقة الوحيدة في حياة زوجي، أما أنا العشيقة التي حرمت من إنجاب الأطفال فلم أجد بدا من طلب الطلاق.[1]

ـ سالم شاب تعرض لنكبة كبيرة يقول: كانت فترة سفري لمدة شهرين تزوجت خلالها زواجا عرفيا من فتاة وقبل أيام من انتهاء إجازتي فاجأتني بأنها (حامل) وبأنه يجب علي أن لا أتركها واجهت الأمر بكره شديد نحوها قامت برفع شكوى ضدي ومازلت أعاني الأمرين حيث أن الطفل سينسب إلي لا محالة! فعلمت بعدها أن الزواج العرفي كارثة حقيقية أحذر كل الشباب منها ومن الاستسلام للشيطان وأعوانه بالوقوع في هذا الخطأ.[2]

ـ تروي ع. قصة إحدى صديقاتها بحيرة شديدة، فلقد تزوجت من أحد زملائها بالجامعة، واستمرت علاقتهما كزوجين طوال فترة الدراسة، حيث كانا يلتقيان في إحدى الشقق المفروشة إلى أن أوشكت المرحلة الدراسية على الانتهاء وكشف أهل صديقتي ع. لابنتهم عن مفاجأة : عريس يريد الارتباط بها على عجل قبل سفره للخارج!!

وتقول ع. : لقد وقعت صديقتي في مأزق شديد، فهي لا تستطيع أن تخبر أسرتها بقصة زواجها من زميل الجامعة، لأن في ذلك موتها! كما أنها لا تستطيع أن تدفع زوجها

---

[1] مجلة هلا عدد ٤٧٠ ١٩٩٨/١١/٥م

[2] مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

للتقدم إلى أسرتها حيث أنه لا يملك المال في الوقت الحالي، وفي نفس الوقت لا تملك حجة واحدة لرفضه وأمام رغبة أسرتها تكون بذلك قد جمعت بين زوجين في وقت واحد! [١]

ـ وتروي ف. قصتها قائلة: لم يستمر زواجنا أكثر من ٧ أشهر كنا نلتقي فيها بأحد الفنادق أو في منازل بعض الأصدقاء، وقد مرت علينا لحظات عصبية أدت إلى حدوث فجوة رهيبة في مشاعره تجاهي، فاختفى فجأة، بعد أن تركني معلقة هكذا منذ ما يقرب من ٣ سنوات، ولا أعرف عنه شيئا إنه حتى لم يفكر بالاتصال بي. [٢]

وقبل ختم الحديث عن هذا السبب لابد من ذكر حكم الزواج العرفي، فقد جاء في كتاب بيان للناس الذي يصدره الأزهر تعريف للزواج العرفي والفرق بينه وبين الزواج السري، وهذا نص فتواه :

الزواج العُرْفي: اصطلاح حديث يُطلَق على عَقْد الزواج غير المُوَثَّق بوثيقة رسمية، سواء أكان مكتوبًا أم غير مكتوب.

وهو نَوْعان: نوع يكون مستوفيًا لأركانه وشروطه، ونوع لا يكون مستوفيًا لذلك.

١ـ فالنوع الأول إذا تمَّ على هذه الصورة يكون عقدًا صحيحًا شرعًا، وتترتب عليه كل أثاره من حِلِّ التمتُّع وثبوت الحقوق لكل من الزوجين، وللذرية الناتجة منه، وكذلك التوارُث عند الوفاة، وغير ذلك من الآثار، دون الحاجة إلى توثيقه توثيقًا رسميًا، وكان ذلك هو السائد قبل أن تُوجَد الأنظِمَة الحديثة لتقييد العقود وسماع الدَّعاوى والفصل في المنازعات.

---

[١] كل الأسرة عدد ٢١١ ٢٩/١٠/١٩٩٧م

[٢] كل الأسرة عدد ٢١١ ٢٩/١٠/١٩٩٧م

ويُمكن إثبات هذا العقد أمام المحاكم بطرُق الإثبات المعروفة، وكان للتوثيق الرسمي أهميته في حفظ الحقوق الزوجية، ومنع سماع دعاوَى الزواج الذي يَتِمُّ لأغراض سيئة.

٢ ـ والنوع الثاني يتم بعِدَّة صور، منها أن تجري صيغة العقد بين الرجل والمرأة دون شهود على ذلك، وهو الزواج السرِّي، ومنها أن يتم العقد أمام الشهود ولكن لفترة معينة.

وهاتان الصورتان باطلتان باتفاق مذاهب أهل السنة، لفُقْدان الإشهاد في الصورة الأولى، ولتحديد العقد في الصورة الثانية؛ لأن المفروض في عقد الزواج أن يكون خاليًا من التحديد بمدة ليَتِمَّ السكَن والاستقرار في الأسرة.

والذي يدعو إلى الزواج العرفي بنوعَيْه أمور، منها:

١ـ أن تكون الزوجة مُستَحِقَّة لمعاش من زوجها الأول، وتُريد أن تحتفظ به؛ لأنه يسقط بالزواج بعده إن وُثِّق، أو تكون مستحقة لمعونة أو مُتَمَتِّعة بامتيازات ما دامت غير متزوجة، كأن تكون حاضنة لأولادها تتمتَّع بالمسكَن وأجر الحضانة ووجود أولادها معها ولو تزَوَّجت زواجًا موثقًا من غير محرم لهؤلاء الأولاد سقط ما كانت تتمتع به.

٢ـ أن يكون الزوج متزوجًا بزوجة أخرى، ويخشى من توثيق زواجِه الثاني ما يترتب عليه من مشاكل بينه وبين أسرته، وما يتعرَّض له من عقوبات تَفْرِضها بعض النظم.

٣ ـ أن يكون الزوج مغتربًا ويخشى الانحراف بدون زواج، لكن لو قيد رسميًّا تترتب عليه مشاكل فيلجأ إلى الزواج العرفي.

وإذا كان النوع الثاني من الزواج العرفي باطلًا ومحرمًا باتفاق مذاهب أهل السنة، لعدم استكمال مقوماته؛ فإن النوع الأول ـ على الرغم من صحته ـ ممنوع للآثار التي

لا يُقِرُّها الشرع، ومنها استيلاء صاحبه المعاش أو المُتَمَتِّعة بامتيازات أو مَعُونات أو حقوق على غير حقها الذي لا تستحقه بالزواج، ومعلوم أن أخذ ما ليس بحق حرام، فهو أكل للأموال بالباطل، وظُلْم لَمن يدفع هذا الحق، أو لمن ضاع عليه حق بسبب مُزاحمة الزوجة له، وكل ذلك حرام.

ومنها تعريض حقها أو حقه في الميراث للضياع، حيث لا تُسْمَع الدعوى بدون وثيقة، وكذلك حقها في النفقة على الزوج إذا هجرها، وكذلك في الطلاق إذا ضارَها، وفي الزواج من غيره إذا لم يطلقها، وفي غير ذلك من الحقوق التي تختلف النظُم في وسائل إثباتها وسماع الدعوى من أجلها.

ومن أجل هذه الآثار يكون الزواج العرفي الذي لم يُوَثَّق ممنوعًا ـ على الرغم من صحة المعاشرة الزوجية إن كان مستوفيًا لأركانه وشروطه، فقد يكون الشيء صحيحًا ومع ذلك يكون حرامًا، كالصلاة في ثوب مغصوب، والحج من مال حرام. ولا مانع أن يتخذ أولياء الأمور إجراءات تُحِدُّ منه، وذلك لدَرْء المَفْسَدة في مثل الحالات المذكورة. والله أعلم.

٤ ـ ظهور الفواحش وكثرتها :

عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الشباب بالزواج وحضهم عليه وحثهم عليه علل ذلك بأنه سيكون سببا لغض البصر وإحصان الفرج : فعَنْ عَبْد اللَّه قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ [1] فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ.[2]

كما أن الإسلام فرق بين عقوبة الزناة وجعلها تتفاوت ما بين المحصنين وغير المحصنين فعقوبة الزاني المحصن هي الرجم والزاني غير المحصن الجلد مائة جلدة وتغريب عام، قال الله تعالى﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]

وعن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ.[4]

---

(1) قال ابن حجر رحمه الله تعالى : ويستدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة ، فلو كان الاستمناء مباحا لكان الإرشاد إليه أسهل.(فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٣٥)

(2) البخاري كتاب النكاح باب: من لم يستطع الباءة فليصم فتح الباري ج١١ص١٣ ومسلم كتاب النكاح مسلم بشرح النووي ج٤ص١٢٨.

(3) سورة النور آية : ٢

(4) صحيح البخاري: كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ حديث رقم: ٦٣٧٠/ صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: ما يباح من دم المسلم، حديث رقم: ٣١٧٥

ومن أسماء المرأة عند العرب الغانية ومن معانيها التي استغنت بزوجها عن الرجال.[١]

سقت هذه الأشياء لأدلل على اختلاف الشهوة بين الشخص المتزوج وغير المتزوج من الجنسين على السواء فالمتزوج غالبا يكون بعيدا عن الفواحش لأنه يقضي وطره حلالا مع زوجه أما غير المتزوج فإن العفة عنده تحتاج إلى صبر وطول معالجة.

والعنوسة تكون سببا لظهور أمراض وآفات كثيرة منها:

أ ـ اللواط[٢]:

يلجأ بعض العانسين إلى إفراغ شهواتهم في الجنس المماثل، ويكون ذلك نتيجة لعدم الزواج عند بعض العانسين، وإلى العيش في مجموعات رجالية مغلقة كمعسكرات الجنود وثكناتهم وسكن الطلاب واللواط هو إتيان الرجل رجلا لشهوة.

ب ـ السحاق:[٣]

وهو جماع المرأة للمرأة أو اشتهاء المماثل بين الإناث.

---

(١) الغانيَةُ من النساء: التي غَنِيَتْ بالزَّوْج؛ والغانية: التي غَنِيَتْ بحُسْنِها وجمالها عن الحَلْي، وقيل: هي التي تُطْلَب ولا تَطْلُب، وقيل: هي الشابَّة العَفيفة، كان لها زَوْجٌ أو لم يكُنْ.[لسان العرب، مادة: غني]

(٢) لوط: اسم علم، واشتقاقه من لاط الشيء بقلبي يلوط لوطا وليطا، ولطت الحوض بالطين لوطا: ملطته به، وقولهم: لوط فلان: إذا تعاطى فعل قوم لوط، فمن طريق الاشتقاق؛ فإنه اشتق من لفظ لوط الناهي عن ذلك لا من لفظ المتعاطين له.[معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب ، مادة: لوط]

(٣) قال الفيروز آبادي: امرأةٌ سَحاقةٌ: نَعْتُ سَوْءٍ. [مختار الصحاح، باب القاف. فَصْلُ السِّين.]

ج ـ الاستمناء: [١]

وتسمى أيضا بالخضخضة،[٢] وجلد عميرة [٣] والتدليك. والاعتمار: يعني جمع اليدين وضمها لذلك. وهو عند الرجل أو المرأة، تفريغ الشهوة بالاستمناء، ويمكن أن يقال: جماع الإنسان لنفسه حيث يتم ذلك بالتصور.

د ـ الزنا :

قد يلجأ العانسون من الرجال والنساء إلى الزنا وإفراغ شهواقمما وإشباع رغبتهما عن طريق الحرام، ولنجتزئ من حوادث الفجور الكثيرة من الرجال والنساء بهذه الحادثة التي حدثت لعانس في موضعين مختلفين هما أصفهان وبغداد فإما أن تكون القصة واحدة واختلف في مكانها وإما أن تكون متعددة:

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: وجد صبي منبوذ في بعض مساجد أصفهان ومعه صرة فيها مائة دينار مكتوب فيها: هذا جزاء من لا يزوج ابنته.[٤]

وقال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: رمي ببغداد في سوق يحي قمطرة،[٥] فيها صبي، وتحته مضرّبات [٦]حرير، وعند رأسه كيس فيه مائة دينار، ورقعة فيها: هذا الشقي ابن

---

[١] الاسْتِمْناء: هو اسْتِنْزال المَنِيِّ في غير الفَرْج. [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {خضخض}]

[٢] أصل الخَضْخَضة التحريك.

[٣] جَلْدُ عُمَيْرَةَ: كنايَةٌ عن الاسْتِمْناء باليَد. [القاموس المحيط، باب الراء. فَصْلُ العَيْن]

[٤] بهجة المجالس قسم ٢ص٤٧

[٥] شبيه سفط ينسج من قصب

[٦] مضربات مخيطات

الشقية، ابن السكباج[1] والقلية،[2] ابن القدح والرطلية، رحم الله من اشترى لـــه بهـــذا الذهب جارية تربيه، وفي آخر الرقعة: هذا جزاء من عضل ابنته.[3]

ومما لا شك فيه أن تصرف هاتين البنتين سببه إعضال أبويهما وتعنيسهما لهما لا أهما أرادتا الزواج ولم تجداه.

(١) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل

(٢) القلية : مرق يتخذ من لحوم الجزر وأكبادها.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد الثاني ج٤ص١١٠

الباب الرابع

علاج العنوسة

الفصل الأول

أنواع الأمراض والعلل وعلاجها

الفصل الثاني

اهتمام الأمم والشعوب بدفع داء العنوسة

الفصل الثالث

العلاج الوقائي للعنوسة

الفصل الرابع

العلاج الدوائي للعنوسة

الفصل الأول

أنواع الأمراض وعلاجها

المبحث الأول

أنواع الأمراض

- مرض في الجسم
- مرض في القلب:

أ ـ الكفر والشرك والنفاق

ب ـ حب الزنا والفواحش والفجور

المبحث الثاني

أنواع العلاج الذي يتعالج به الإنسان

١ـ القرآن الكريم

٢ـ الرقى والأدعية الشرعية

٣ـ تناول الأدوية والعقاقير الطبية التي لا تحوي محرما

٤ـ الصدقة

٥ـ تناول الحبة السوداء

٦ـ شرب ماء زمزم

٧ـ الحجامة

٨ـ تناول العسل

٩ـ الكي بالنار

المبحث الأول

أنــــواع الأمـــــراض

- مرض في الجسم
- مرض في القلب

المبحث الأول

أنواع الأمراض

المرض هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص.[١] والداء هو علة تحصل بغلبة بعض الأخلاط على بعض. [٢] ومادة مرض ومشتقاها مذكورة في القرآن في أربعة وعشرين موضعا والأمراض والأدواء التي تصيب الإنسان لها علاج مهما استعصت وطالت مدها ، والمعالجون للأمراض هم الأطباء واختيار الطبيب الحاذق جزء كبير من العلاج : والطِّبُّ: علاجُ الجسم والنَّفسِ. وأَصلُ الطِّبِّ : الـحِذْق بالأَشياءِ والمهارةُ بها؛ يقال: رجل طَبٌّ وطَبِيبٌ إِذا كان كذلك، وإِن كان في غير علاج المرض؛ قال عنترة:

إِن تُغْدِفي دوني القِناعَ، فإِنَّني ... طَبٌّ بأَخْذِ الفارِسِ المُسْتَلْئِم

وقال علقمة:

فإِن تَسْأَلوني بالنساءِ، فإِنَّني ... بَصيرٌ بأَدْواءِ النِّساءِ طَبيبُ[٣]

والبشر يكتشفون كل يوم دواء لمرض من الأمراض ويخفقون في آخر: عَنْ عَبْدِاللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ. [٤]

---

[١] التعريفات للجرجاني ص٢٦٨

[٢] التعريفات للجرجاني ص١٣٨

[٣] لسان العرب لابن منظور : مادة طبب

[٤] مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مسعود ، حديث رقم : ٣٧٢٧

وعَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (١)

قال النووي رحمه الله تعالى: هذا فيه بيان واضح، لأنه قد علم أن الأطباء يقولون: المرض هو خروج الجسم عن المجرى الطبيعي، والمداواة رده إليه، وحفظ الصحة بقاؤه عليه، فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها، ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض، وبقراط يقول: الأشياء تداوى بأضدادها، ولكن قد يدق ويغمض حقيقة المرض، وحقيقة طبع الدواء، فيقل الثقة بالمضادة، ومن هاهنا يقع الخطأ من الطبيب فقط. فقد يظن العلة عن مادة حارة فيكون عن غير مادة، أو عن مادة باردة أو عن مادة حارة دون الحرارة التي ظنها، فلا يحصل الشفاء، فكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بآخر كلامه على ما قد يعارض به أوله، فيقال قلت: لكل داء دواء، ونحن نجد كثيرين من المرضى يداوون فلا يبرءون، فقال: إنما ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة، لا لفقد الدواء، وهذا واضح. (٢)

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ قَالَتْ الْأَعْرَابُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى قَالَ نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قَالَ الْهَرَمُ. (٣)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام: بَاب لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ وَاسْتِحْبَابِ التَّدَاوِي، حديث رقم: ٤٠٨٤

(٢) مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٩ ص ٥٩٢٣ــ ٥٩٢٦

(٣) سنن الترمذي: كتاب: الطب عن رسول الله، باب: ما جاء في الدواء والحث عليه، حديث رقم: ١٩٦١

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً.(١)

قال ابن حجر: وفي حديث جابر منها الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله ، وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع ، بل ربما أحدث داء آخر . وفي حديث ابن مسعود الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد، وفيها كلها إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره ، وأنها لا تنجح بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها ، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك ، وإليه الإشارة بقوله في حديث جابر " بإذن الله " فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته . والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب . وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك.ويدخل في عمومها أيضا الداء القاتل الذي اعترف حذاق الأطباء بأن لا دواء له ، وأقروا بالعجز عن مداواته، ولعل الإشارة في حديث ابن مسعود بقوله " وجهله من جهله " إلى ذلك فتكون باقية على عمومها ، ويحتمل أن يكون في الخبر حذف تقديره: لم ينزل داء يقبل الدواء إلا أنزل له شفاء ، والأول أولى . ومما يدخل في قوله " جهله من جهله " ما يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء بدواء فيبرأ ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع ، والسبب في ذلك الجهل بصفة من

قال الخطابي: جعل الهرم داء وإنما هو ضعف الكبر، وليس هو من الأدواء التي هي أسقام عارضة للأبدان، من قبل اختلاف الطبائع وتغير الأمزجة، وإنما شبهه بالداء لأنه جالب التلف والأدواء التي قد يتعقبها الموت والهلاك.[تحفة الأحوذي ج ٦ ص ١٦٠]

(١) صحيح البخاري، كتاب: الطب، بَاب: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، حديث رقم: ٥٢٩٢

صفات الدواء فرب مرضين تشابها ويكون أحدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطأ من هنا ، وقد يكون متحدا لكن يريد الله أن لا ينجع فلا ينجع ومن هنا تخضع رقاب الأطباء ، وقد أخرج ابن ماجة من طريق أبي خزامة وهو بمعجمة وزاي خفيفة " عن أبيه قال : قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به هل يرد من قدر الله شيئا ؟ قال : هي من قدر الله تعالى " والحاصل أن حصول الشفاء بالدواء إنما هو كدفع الجوع بالأكل والعطش بالشرب ، وهو ينجع في ذلك في الغالب ، وقد يتخلف لمانع.

واستثناء الموت في حديث أسامة بن شريك واضح ، ولعل التقدير إلا داء الموت ، أي المرض الذي قدر على صاحبه الموت . واستثناء الهرم في الرواية الأخرى إما لأنه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة ، أو لقربه من الموت وإفضائه إليه . ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا والتقدير: لكن الهرم لا دواء له.[1]

والأمراض والأدواء التي تصيب الإنسان تنحصر في نوعين، هما في القلب وفي البدن. قال ابن حجر: الطب بكسر المهملة وحكى ابن السيد تثليثها.والطبيب هو الحاذق بالطب، ويقال له أيضا طب بالفتح والكسر ومستطب وامرأة طب بالفتح، يقال استطب تعاطى الطب واستطب استوصفه، ونقل أهل اللغة أن الطب بالكسر يقال بالاشتراك للمداوى وللتداوي وللداء أيضا فهو من الأضداد، ويقال أيضا للرفق والسحر. ويقال للشهوة ولطرائق ترى في شعاع الشمس وللحذق بالشيء، والطبيب الحاذق في كل شيء، وخص به المعالج عرفا، والجمع في القلة أطبة وفي الكثرة أطباء.

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ١٦٧

والطب نوعان: طب جسد، وطب قلب ومعالجته خاصة بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه سبحانه وتعالى.

وأما طب الجسد فمنه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره، وغالبه راجع إلى التجربة.

ثم هو نوعان: نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات، مثل ما يدفع الجوع والعطش.

ونوع يحتاج إلى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال، وهو إما إلى حرارة أو برودة، وكل منهما إما إلى رطوبة، أو يبوسة، أو إلى ما يتركب منهما.

وغالب ما يقاوم الواحد منهما بضده، والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو أعسرهما.

والطريق إلى معرفته بتحقق السبب والعلامة، فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه أو عكسه، وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته أو عكسه، ومدار ذلك على ثلاثة أشياء: حفظ الصحة، والاحتماء عن المؤذي، واستفراغ المادة الفاسدة.

وقد أشير إلى الثلاثة في القرآن: فالأول من قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [1] وذلك أن السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة، فإذا وقع فيه الصيام ازداد فأبيح الفطر إبقاء على الجسد.

[1] سورة البقرة آية ١٨٤

وكذا القول في المرض الثاني وهو الحمية من قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (١) فإنه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد.

والثالث من قوله تعالى ﴿ أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ ﴾ (٢) فإنه أشير بذلك إلى جواز حلق الرأس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الأذى الحاصل من البخار المحتقن في الرأس. (٣)

ونلخص السابق في الآتي:

١ـ مرض في الجسم :

قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٤)

٢ـ مرض في القلب :

وهو نوعان أيضا:

---

(١) سورة النساء آية ٢٩

(٢) سورة البقرة آية ١٩٦

(٣) فتح الباري، ج ١٠ ص ١٣٤

(٤) سورة البقرة آية ١٨٣ ـ ١٨٤

أ ـ الكفر والشرك والنفاق:

قال الله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [1] وهذا المرض علاجه بالإيمان بالله تعالى.

ب ـ حب الزنا والفواحش والفجور:

قال الله تعالى ﴿ يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [2]

قال ابن كثير: هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ قال السدي وغيره يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ أي دغل ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ قال ابن زيد قولا حسنا جميلا معروفا في الخير ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها. [3]

---

[1] سورة البقرة آية ١٠

[2] سورة الأحزاب آية ٣٢

[3] تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، طبع جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ج ٣ ص ٦٦٢

قال القرطبي : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ أي لا تلن القول. أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المريبات والمومسات. فنهاهن عن مثل هذا. ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ قيل: تشوف الفجور، وهو الفسق والغزل. ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ قال ابن عباس: أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمرأة تندب إذا خاطبت الأجانب وكذا المحرمات عليها بالمصاهرة إلى الغلظة في القول، من غير رفع صوت. فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام. وعلى الجملة فالقول المعروف: هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس.(١)

قال نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما: أخبرني عن قوله ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ قال: الفجور والزنا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت الأعشى وهو يقول:

حافظ للفرج راض بالتقى   ليس ممن قلبه فيه مرض(٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٧ ج ١٤ ص ١٧٧ ــ ١٧٨

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٣٧٣ / أضواء البيان ج ٥ ص ٧٣٤ ــ ٧٣٥ ولم أجده في ديوان الأعشى

المبحث الثاني

أنواع العلاج الذي يتعالج به الإنسان

١ـ القرآن الكريم

٢ـ الرقى والأدعية الشرعية

٣ـ تناول الأدوية والعقاقير التي لا تحوي محرما

٤ـ الصدقة

٥ـ تناول الحبة السوداء

٦ـ شرب ماء زمزم

٧ـ الحجامة

٨ـ تناول العسل

٩ـ الكي بالنار

المبحث الثاني

أنواع العلاج الذي يتعالج به الإنسان

أصول العلاج البدني ثلاثة، العسل والحجامة والكي بالنار، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ شَرْبَةِ عَسَلٍ وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ وَكَيَّةِ نَارٍ وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنْ الْكَيِّ. [1]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله : (عن ابن عباس قال : الشفاء في ثلاث) كذا أورده موقوفا ، لكن آخره يشعر بأنه مرفوع لقوله " وأنهى أمتي عن الكي " قال الخطابي انتظم هذا الحديث على جملة ما يتداوى به الناس ، وذلك أن الحجم يستفرغ الدم وهو أعظم الأخلاط ، والحجم أنجحها شفاء عند هيجان الدم ، وأما العسل فهو مسهل للأخلاط البلغمية ، ويدخل في المعجونات ليحفظ على تلك الأدوية قواها ويخرجها من البدن ، وأما الكي فإنما يستعمل في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته إلا به ، ولهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه ، وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم ، ولهذا كانت العرب تقول في أمثالها " آخر الدواء الكي " ، وقد كوى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وغيره ، واكتوى غير واحد من الصحابة.

قلت : ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم الحصر في الثلاثة ، فإن الشفاء قد يكون في غيرها ، وإنما نبه بها على أصول العلاج. [2]

ويوجد عدة أنواع من العلاج يتعالج بها الناس وإليك بعضها :

١ـ القرآن الكريم
٢ـ الرقى والأدعية الشرعية
٣ـ الكي بالنار
٤ـ الصدقة

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، حديث رقم: ٥٢٤٨

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ١٧٠

٥ـ تناول الحبة السوداء

٦ـ شرب ماء زمزم

٧ـ الحجامة

٨ ـ تناول العسل

٩ ـ تناول الأدوية والعقاقير التي لا تحوي محرما

ولنأخذ من السابق العلاج الذي نراه متعلقا بمرضنا العنوسة :

١ ـ القرآن الكريم:

القرآن الكريم كله علاج ودواء وشفاء للأمراض والأدواء والعلل بأنواعها، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [١]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ أي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾ أي لا يفهمون ما فيه ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [٢]

---

[١] سورة فصلت آية ٤٤

[٢] تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٨٣

وقال القرطبي رحمه الله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ أعلم الله أن القرآن هدى وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والأوجاع.[1]

وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي زاجر عن الفواحش ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي من الشبه والشكوك وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى: وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه كقوله تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[3] وقوله ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ..الآية﴾[4]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٨ ج ١٥ ص ٣٦٩

[2] سورة يونس آية ٥٧

[3] سورة الإسراء آية ٨٢

[4] تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٤٩

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :- ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ يعني قريشا ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ ﴾ أي وعظ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن، فيه مواعظ وحكم. ﴿ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي من الشك والنفاق والخلاف، والشقاق. ﴿وَهُدًى ﴾ أي رشدا لمن اتبعه ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي نعمة ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بالإيمان والكل صفات القرآن والعطف تأكيد المدح.[1]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتِبُ وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ.[2]

وقال الله تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [3]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل فالقرآن يشفي من ذلك كله وهو أيضا

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٤ ج ٨ ص ٣٥٣

[2] سنن الدارمي، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، حديث رقم: ٣١٨١

[3] سورة الإسراء آية ٨٢

رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وكفرا والآفة من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [1] وقال تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [2] والآيات في ذلك كثيرة قال قتادة في قوله ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [3] إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [4] أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين. [5]

---

(1) سورة فصلت آية ٤٤

(2) سورة التوبة آية ١٢٤ ــ ١٢٥

(3) سورة الإسراء آية ٨٢

(4) سورة الإسراء آية ٨٢

(5) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٨٣

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ مَا جَالَسَ الْقُرْآنَ أَحَدٌ فَقَامَ عَنْهُ إِلَّا بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (١)

وعلاج القرآن المتعلق بالعنوسة هو اطمئنان قلب العانس وخلو صدرها من الآثار النفسية المترتبة على العنوسة التي رأينا بعضها ، والرضا بقضاء الله وقدره.

٢ - الأدعية الشرعية:

عن عَطَاءِ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي قَالَ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ فَقَالَتْ أَصْبِرُ فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا. (٢)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : فيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير ، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية ، ولكن إنما ينجع بأمرين :

أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل، والله أعلم. (٣)

---

(١) سنن الدارمي، كتاب: فضائل القرآن، باب: في تعاهد القرآن، حديث رقم: ٣٢١٠ والآية: ٨٢ من سورة الإسراء

(٢) صحيح البخاري: كتاب المرضى، باب: فضل من يصرع من الريح، حديث رقم ٥٢٢٠

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ١٠ ص ١٤٢

٣ـ شرب ماء زمزم:[1]

ماء زمزم شفاء لجميع الأمراض وسبب لنيل الأماني وتحقيق المراد، وتلبية الرغبات قال البخاري رحمه الله تعالى: بَاب مَا جَاءَ فِي زَمْزَمَ وَقَالَ عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فُرِجَ سَقْفِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا افْتَحْ قَالَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ.[2]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: (باب ما جاء في زمزم) كأنه لم يثبت عنده في فضلها حديث على شرطه صريحا، وقد وقع في مسلم من حديث أبي ذر " إنها طعام طعم " زاد الطيالسي من الوجه الذي أخرجه منه مسلم " وشفاء سقم " وفي المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعا " ماء زمزم لما شرب له " رجاله موثقون ، إلا أنه اختلف في إرساله ووصله وإرساله أصح، وله شاهد من حديث جابر، وهو أشهر منه أخرجه الشافعي وابن ماجة ورجاله ثقات إلا عبد الله بن المؤمل المكي فذكر العقيلي أنه تفرد به ، لكن ورد من رواية غيره عند البيهقي من طريق إبراهيم بن طهمان ومن طريق

---

[1] قال الحافظ ابن حجر: سميت زمزم لكثرتها، يقال ماء زمزم أي كثير، وقيل لاجتماعها نقل عن ابن هشام، وقال أبو زيد: الزمزمة من الناس خمسون ونحوهم، وعن مجاهد: إنما سميت زمزم لأنها مشتقة من الهزمة والهزمة الغمز بالعقب في الأرض. أخرجه الفاكهي بإسناد صحيح عنه، وقيل لحركتها قاله الحربي، وقيل لأنها زمت بالميزان لئلا تأخذ يمينا وشمالا. [فتح الباري (طبع دار الحديث) ج ٣ ص ٦٠٠]

[2] صحيح البخاري، كتاب : الحج، باب: ما جاء في زمزم

حمزة الزيات كلاهما عن أبي الزبير بن سعيد عن جابر ، ووقع في " فوائد ابن المقري " من طريق سويد بن سعيد عن ابن المبارك عن ابن أبي الموالي عن ابن المنكدر عن جابر ، وزعم الدمياطي أنه على رسم الصحيح وهو كما قال من حيث الرجـال إلا أن سـويدا وإن أخرج له مسلم فإنه خلط وطعنوا فيه وقد شذ بإسناده، والمحفوظ عن ابن المبارك عن ابن المؤمل، وقد جمعت في ذلك جزءا، والله أعلم. (١)

وقَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُؤَمَّلِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الزُّبَيْرِ يَقُولُ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ.(٢)

قال السندي: قوله (لما شرب له) قال السيوطي في حاشية الكتاب هذا الحديث مشهور على الألسنة كثير واختلف الحفاظ فيه فمنهم من صححه ومنـهم مـن حسـنه ومنهم من ضعفه والمعتمد الأول وجار من قال إن حديث الباذنجان لما أكل له أصح منـه فإن حديث الباذنجان موضوع كذب وفي الزوائد هذا إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن المؤمل وقد أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق ابن عباس وقال هذا حديث صـحيح الإسناد قلت وقد ذكر العلماء إنهم جربوه فوجدوه كذلك. (٣)

---

(١) فتح الباري (طبع دار الحديث) ج ٣ ص ٦٠٠

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، حديث رقم ٣٠٥٣/ مسند الإمام أحمد، مسند جابر بن عبد الله، حديث رقم: ١٤٣٢، وحديث رقم: ١٤٤٦٦

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجة ج ٣ ص ٤٩٠

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ماء زمزم من مكة فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُــرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَتُخْبِرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ (١) يَحْمِلُهُ.(٢)

وقال سويد بن سعيد: رأيت ابن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إن ابن أبي الموال، حدثنا عن محمد بن المنكدر، عن جابر عــن الــنبي صلى الله عليه وسلم قال: ماء زمزم لما شرب له، وهذا أشربه لعطش القيامة، ثم شربه.(٣)

قال الذهبي: قال الحافظ أبو حازم العبدوي: سمعت الحاكم يقول : ــ وكان أهل من الحديث ــ شربت ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف.(٤)

وقال ابن عساكر : إن الخطيب (٥) ذكر أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثــلاث شربات وسأل الله ثلاث حاجات آخذا بالحديث ماء زمزم لما شرب له.

فالحاجة الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها.

الثانية : أن يملي الحديث بجامع المنصور.

الثالثة : أن يدفن عند بشر الحافي.

---

(١) قال المباركفوري: قوله: (كان يحمله) فيه دليل على استحباب حمل ماء زمزم إلى المواطن الخارجة عن مكة.[تحفة الأحوذي ج ٤ ص ٣٢]

(٢) سنن الترمذي، كتاب: الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في الحجر الأسود، حديث رقم: ٨٨٦

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٩٣

(٤) تذكرة الحفاظ ج٣ص٢٢٧/ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابــن جماعــة، دار الكتب العلمية ببيروت لبنان ص ١٣٦

(٥) أي الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى

فقضى الله له ذلك.[١]

فعلى العانس أن تكثر الشرب من ماء زمزم ، وأن تتضلع منها [٢] وأن تدعو الله عز وجل أن ينهي عنوستها ويفك أيمتها ويرزقها زوجا تقر به عينها وعلى أهلها كذلك فعل ذلك.

وفي اعتقاد العرب أن جميع الأمراض لها علاج ودواء إلا داء الحماقة وقد صوروا ذلك في أشعارهم قال قيس بن الخطيم :

وداءُ الجِسْمِ مُلْتَمِسٌ شِفاءً   وداء النُّوكِ ليسَ له دَواءُ[٣]

وهم يقولون ذلك ، لرأيهم أن تغير الطباع صعب يحتاج إلى جهد كبير، قال شاعرهم أيضا :

لكل داء دواء يستطب به   إلا الحماقة أعيت من يداويها

والشفاء يكون حسيا ومعنويا، فالشفاء المعنوي يكون بردا في الصدر، وراحة في البال، واطمئنانا في النوم وملء الجفون منه ، وقرة في العين ، وهناء وسعادة قال الله تعالى ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾[٤]

وقال عنترة بن شداد واصفا رضاه عن إحدى معاركه :

---

[١] تذكرة السامع لابن جماعة ص ١٣٩

[٢] عن ابن عَبَّاسٍ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ. [سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب: الشرب من ماء زمزم، حديث رقم: ٣٠٥٢]

[٣] لسان العرب لابن منظور: مادة نوا

[٤] سورة التوبة آية ١٤

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها   قيل الفوارس ويحك عنتر أقدم

وكل هذه الأدوية والعلاج ينفع على اتساع من الأجل وفسحة في الأمل، وأما إذا حم القضاء ودنا الأجل فلا طبيب ينفع ولا دواء، قال الرشيد عند احتضاره:

إن الطبيب بطبه ودوائـــــه   لا يستطيع دفاع محـــذور أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي   قد كان يشفي مثله فيما مضى[1]

وقد أحسن من قال:

إن الطبيب لذو عقل ومعرفة   ما دام في أجل الإنسان تأخير

حتى إذا انقضت أيام مدته   حار الطبيب وخانته العقاقيـر

ومرضنا هذا مرض العنوسة أو: (مرض حامد في العرف السوداني) يدخل تحت النوع الأول وهو من أمراض القلوب في المقام الأول، وفي أمراض الأبدان لما يترتب عليه من آثار على العانس، في المقام الثاني.

وقصة حامد ومرضه كالآتي: كانت أسرة تتكون من أب وأم وولد وبنت، وفي مرة من المرات مرض الولد وذهبوا به إلى الطبيب فقال الطبيب: زوجوا هذا الولد، فزوجه أبواه فشفي وصلح حاله. وبعد مدة تمارضت البنت، وطال تمارضها، فخلت بها أمها وقالت لها: مم تشكين يا بنيتي؟ فقالت: عندي مرض حامد. أي أنها ترغب في الزواج.

---

[1] الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، منشورات الشريف الرضي، من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠م ص ٣٩

ومرض العنوسة الذي عرفنا بعض أسبابه وذكرنا وأسهبنا في بعضها سبل علاجه يكون علاجه باتباع الأسباب التي طرحناها.

والله نسأل أن يشفي المبتلين والمبتلات بهذا المرض.

الفصل الثاني

اهتمام الأمم والشعوب بدفع داء العنوسة

المبحث الأول
دفع العنوسة عند العرب

المبحث الثاني
دفع العنوسة عند غير العرب

المبحث الأول

دفع العنوسة عند العرب

١ ـ نشر الشعر وكحل إحدى العينين

٢ ـ الدعاية والإعلان

٣ ـ الدعاء والتمني

٤ ـ عرض المرأة نفسها على الرجال

٥ ـ سرعة الإجابة للخاطبين

٦ ـ التزين

٧ ـ الكذب والإشاعات لإنفاق الأيم

٨ ـ حث المرأة أهلها على زواجها واستعجالهم بإدخالها على زوجها

٩ ـ الاستعانة بالمراسلات من النساء

١٠ ـ اللجوء إلى الخداع والتغرير واستبدال العانس بغيرها

١١ ـ وجود ذاكرين للأسر وواصفين لجمال النساء

المبحث الأول

دفع العنوسة عند العرب

ذكرنا في مقدمة كتابنا هذا أن العنوسة لم تكن ظاهرة تؤرق المجتمع العربي، بل كان العربي يئد بنته خوفا من زواجها بغير الأكفاء، وضنانة بها من دفعها لرجل، وأحيانا كان يعتل على خاطب ابنته بعد موافقته على مصاهرة هذا المتقدم لابنته كأن يعتل بصغر سن ابنته وأنها دون سن الزواج، كما فعل والد جرير الشاعر فقد تقدم لابنته ـ وهي أم جرير ـ متقدم فرده متعللا بصغر سنها، ودار بينهما الحوار الذي ذكره ابن منظور بقوله: الحِقَّة: نَبْزُ أُم جَرِير بن الخَطَفَى، وذلك لأَن سُوَيْدَ بن كراع خطبها إلى أبيها فقال له: إنها لصغيرة صُرْعةٌ، قال سويد: لقد رأَيتُها وهي حِقَّةٌ [1] أي كالحِقَّة من الإِبل في عظَمها.[2] وقد يشتط أهل المرأة في مهرها اشتطاطا ليس بعده اشتطاط، يقصدون منه تعجيز المتقدم لطلب يد ابنتهم، قال كثيِّر:

وإنَّ الذي يَنْوِي مِنَ المالِ أَهلُها أَوارِكُ،[3] لمّا تَأْتَلِفْ، وعَوادِي[4]

---

[1] الحِقُّ، بالكسرِ من الإِبِلِ: الداخِلَةُ في الرابِعَةِ، وقد حَقَّتْ تَحِقُّ حِقَّةً وحِقّاً، بكسرِهِما، وأحَقَّتْ، وهي حِقٌّ وحِقَّةٌ، بيِّنَةُ الحِقَّةِ، بالكسر أيضاً، ولا نَظيرَ لها، ج: حِقَقٌ، كعِنَبٍ، وحِقاقٌ، وجج: حُقُقٌ، بضمَّتَيْنِ، سُمِّيَ لأنَّهُ استَحَقَّ أن يُركَبَ، أو استَحَقَّ الضِّرابَ.[القاموس المحيط للفيروز آبادي ، باب القاف ، فصْلُ الحَاء]

[2] لسان العرب، مادة: حقق

[3] الإبل الأوارك: التي اعتادت أَكل الأَراك، والفعل أَرَكَتْ تأْرِكُ أَرْكاً، وقد أَرَكَتْ أُرُوكاً إِذا لزمت مكانها فلم تبرح. وقيل: إِنما يقال أَرَكَتْ إِذا أَقامت في الأَراك وهو الحمض، فهي أَرِكة.[لسان العرب ، مادة : أرك]

[4] ذكرَ امرأَةً وأَن أَهلَها يطلبُون في مَهْرِها من المالِ ما لا يُمْكن ولا يكون كما لا تأْتلفُ هذه الأَوارِكُ والعَوادي، فكأَن هذا ضِدّ لأَنَّ العَوادِيَ على هذَيْن القولين هي التي تَرْعى الخُلَّةَ والأَوارِك التي تَرْعى

أرِكَتِ الناقة أرَكاً، فهي أرِكةٌ مقصور، من إبل أُرُكٍ وأوارِك: أكلت الأراك، والإبل الأوارك: التي اعتادت أكل الأراك، والفعل أرَكَتْ تأْرِكُ أرْكاً، وقد أرَكَتْ أُرُوكاً إذا لزمت مكانها فلم تبرح، وقيل: إنما يقال أرَكَتْ إذا أقامت في الأراك وهو الحمض، فهي أرِكة؛ يقول: إن أهل عَزَّة ينوون أن لا يجتمع هو وهي ويكونا كالأوارِك من الإبل والعَوَادي في ترك الاجتماع في مكان، وقيل: العَوَادي المقيمات في العضاه لا تفارقها، يقول: أهل هذه المرأة يطلبون من مهرها ما لا يمكن كما لا يمكن أن تأتلف الأوَارك والعَوادي وتجتمع في مكان واحد.[1]

ومن خلال تتبعي الطويل لموضوع العنوسة وجدت أن النساء كن في الجاهلية إذا أعضلهن أولياؤهن وعنسوهن أو كبرن وخفن ذهاب قطار الزواج يفعلن الآتي:

١ ـ نشر الشعر وكحل إحدى العينين:

كان من مذاهب العرب في الجاهلية أن المرأة منهم إذا عسر عليها خاطب النكاح، نشرت جانبا من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور، وحجلت على إحدى رجليها، ويكون ذلك ليلا، وتقول: يا لكاح أبغي النكاح قبل الصباح، فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب،

قال رجل لصديق وقد رأى أمه تفعل ذلك:

أما ترى أملك تبغي بعلا ... وقد نشرت من شعرها الأكحلا
ولم توف مقلتيها كحلا ... ترفع رجلا وتخط رجلا

الحَمْضَ، وهما مُخْتلِفا الطَّعْمَيْن لأَن الخُلَّة ما حَلا من المَرْعى، والحَمْض منه ما كانت فيه مُلُوحَة، والأَوارِك التي ترعى الأَراك وليسَ بحَمْضٍ ولا خُلَّة، إنما هو شجر عِظامٌ.[لسان العرب، مادة : عدا]

(١) لسان العرب، مادة: أرك

هذا وقد شاب بنوها أصـــلا ... وأصبح الأصغر منهم كهـــلا
خذها القطيع ثم سمها الذلا ... ضربا تترك به هذا الفعـــلا

وقال آخر:

قد كحلت عينا وألقت عينا ... وحجلــت ونشرت قرينا
تظن زينا ما تراه شينا

وقال أحد الشعراء مونسا امرأة بأنها لا خاطب لها:

تصنعـــي مـــا شئت أن تصنعـــي ... وكحّلـــي عينيـك أو لا فدعـــي
ثم احجلي في البيت أو في المجمع ... مالك بعـــل أرى من مطمـــع[1]

٢ ـ الدعاية والإعلان:

الدعاية والإعلان من الأشياء المنفقة للسلعة التي يريد صاحبها رواجها، وقد فطن العرب لذلك في جاهليتهم والدعاية اليوم تقوم على استعمال المذياع والتلفاز والصحف والمجلات مما يعني أنها مقروءة ومسموعة ومرئية وبما أن المجتمعات العربية كان يغلب عليها الأمية فكانت الكتابة فيها قليلة جدا ولم تظهر المرئيات من تلفاز وغيره بعـــد، فكانـــت الدعاية تقوم على إسماع الآخرين وإبلاغهم حسن الصنف المطلـــوب رواجـــه، فكـــان الشعراء يروجون لما يريدون ولما يريده المجتمع من رفع بعض الأشياء وحطهـــا بمـــدحهم للأول والإشادة به وبهجوهم للثاني وذمهم له.

ومن أمثلة ترويج البضائع والسلع ما قاله الأصمعي : قدم تاجر من أهل الكوفة المدينة بأخمرة فباعها كلها إلا السود منها ، فلم تنفق ، وكان صديقا للدارمي الشـــاعر .

---

[1] شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٤٣

فشكا ذلك إليه ، وكان الدارمي قد تنسك ، وترك الشعر والغناء ، فقال لـه: لا تهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا صنعت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى عرضت لـه بباب المسجد
ردي عليه صيامه وصلاته ... لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع قول الدارمي هذا في الناس وقالوا: رجع الدارمي عن نسكه، وعاد إلى فتكه، فلم تبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خمارا أسود حتى نفد ما كان عند العراقي، فلما علم الدارمي ذلك رجع إلى نسكه ولزم المسجد.(١)

ومن ما يدخل في دائرة الدعاية والإعلان المتعلق بدفع العنوسة الآتي:

أ ـ طلب المرأة من أحد الشعراء أن يشبب بها:

شبب ذو الرمة بخرقاء العامرية بغير هوى، وإنما كانت كحَّالة فداوت عينه من رمد كان بها، فقال لها: ما تحبين حتى أعطيك؟ فقالت: لي عشر بنات أيامى، فشبب بي ليرغب الناس فيهن إذا سمعوا في بقية للتشبيب ففعل.(٢)

وقال السدوسي وقف نصيب على أبيات واستسقى ماء فخرجت إليه جارية بلبن أو ماء فسقته وقالت: شبب بي فقال: وما اسمك؟ قالت: هند فنظر إلى جبل وقال: ما اسم هذا العلم؟ قالت: قنا فأنشأ يقول:

أحب قنا من حب هند ولم ... أكن أبالي أقربا زاده الله أم بعدا
أروني قنا أنظر إليه فإنني ... أحب قنا إني رأيت به هندا

---

(١) بهجة المجالس ج١ص٥٥٨

(٢) انظر الأغاني ج١٧ص٣٣٦

فشاعت هذه الأبيات وخطبت الجارية من أجلها وأصابت الجارية خيرا بشعر نصيب فيها.(١)

ب ـ طلب الوالدين من الشاعر أن يشبب بابنتهم:

قد يطلب أحد الوالدين أو كلاهما من شاعر أن يشبب بابنتهما العانس لينفق سوقها ويسهل أمرها: قال الأصمعي: حدثني رجل قال : جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت : إن لي بنات قد كسدن عليّ فشبب بواحدة منهن لعلها تنفق ، فشبب بواحدة منهن ، فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بعث إليه فقال : ما هذا؟ فقالوا: زوجت فلانة ؟ فشبب بالأخرى فأتاه مثل ذلك. فسأل عنها فقيل: زوجت فما زال يشبب بواحدة فواحدة منهن حتى زوجهن جميعا.(٢)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: ورأيت في ديوان الشماخ: نزلت امرأة المدينة ومعها بنات لها وسيمات فجعلت للشماخ عن كل واحدة جزورا على أن يذكرهن فذكر له قصيدة.(٣)

ج ـ طلب الأب من أحد الشعراء إشهار أمره:

قد يطلب أحد الآباء من أحد الشعراء مدحه وإشهار أمره وإعلاء ذكره والتنويه بشرفه ولفت الأنظار إليه حتى يرغب الناس في بناته، ويودون مصاهرته، ومن ذلك: كان

---

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٠

(٢) الأغاني ج ٨ ص ٧٨ ــ ٧٩

(٣) الإصابة لابن حجر، ترجمة: ٣٩٢٢

المحلق بن حنتم بن شداد[1] رجلا فقيرا من بني عكاظ خامل الذكر وكان له عشر بنات، لا يرغب فيهن أحد لفقرهن، ففارق حي عكاظ وانعزل عنهم إلى بعض المهامه والبراري لأنفة نفسه، فنزل به الأعشى ذات ليلة فأحسن قراه وأكرم مثواه، ونحر له ناقة لم يكن عنده غيرها، فوقع سخاؤه من الأعشى موقعا جليلا، فلما أصبح الأعشى واستوى على راحلته، قال له ألك حاجة؟ قال: نعم قال: فما هي؟ قال: إني أريد أن تسير بذكرى في بني عكاظ والعرب لعلي أشتهر ويرغب في بناتيّ أحد فقد مسهن العنس. فقال الأعشى كفيت أمرهن ثم توجه الأعشى إلى عكاظ ومدحه بقصيدة طويلة منها :

أرقت وما هذا السهاد المورِّق ... وما بي من سقْم وما بي معشق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرّق
تُشَبُّ لِمَقْرورَيْنِ يَصْطَلِيانِها ... وباتَ على النارِ النَّدَى والمُحَلِّقُ
تَرُوحَ على آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كجابِيةِ الشيخِ العِراقِيِّ تَفْهَقُ

فذكر في قصيدته مكارم أخلاق المحلق ومحاسن شيمه، واستمال قلوب أهل عكاظ إلى مواصلته وإخائه، فلم يمض إلا قليل حتى خطب إليه جميع بناته.[2]

د ـ عرض الفتيات وهن صغار على أهل الحي قبل حجبهن:

ومن الأشياء التي كان يقوم بها العرب لإنفاق بناتهم الصغار، هي عرضهن على أهل الحي من الرجال والشبان، وذلك عند صغرهن وقبل بلوغهن، ليتقدم إليهن من يرغب فيهن، ويكون قد نظر إليهن، وذلك لأن الحجاب، كان سائدا عند القبائل العربية

---

[1] المُحلّق، بكسر اللام: اسم رجل من ولد بَكْر بن كِلاب من بني عامر ممدوح الأَعشى؛ قال ابن سيده: المُحلّق اسم رجل سمي بذلك لأَن فرسه عضّته في وجهه فتركَتْ به أَثراً على شكل الحَلقة. [لسان العربُ مادة : حلق]

[2] شواهد الكشاف ج٤ص٤٦٩ / وانظر القصيدة كاملة في : ديوان الأعشى ص ١١٦ ــ ١٢١

ومنتشرا بينها، فكان الشخص لا يرى من المرأة شيئا وذلك لاحتجابها واستتارها، وذلك للبسها النقاب والوصاوص والبرقع واستعمالها اللثام والاعتجار.

والبنت التي تعرض على القوم بقصد النظر إليها حتى يخطبها من يرغب فيها تسمى المعرضة ، قال ابن منظور : والمُعَرَّضةُ من النساء: البكر قبل أن تُحْجَبَ وذلك أنها تُعْرَضُ على أهل الحيّ عَرْضةً لِيُرَغِّبُوا فيها مَنْ رَغِبَ ثم يَحْجبونها؛ قال الكميت:

لَيالِيَنا إِذْ لا تزالُ تَرُوعُنا مُعَرَّضةٌ مِنْهُنَّ بِكْـرٌ وثَيِّبُ[1]

٢ ـ الدعاء والتمني:

أ ـ الدعاء :

قالت امرأة تدعو وتبين نوع زوجها الذي تريده وتتمناه :

فيا رب لا تجعل شبابي وبهجتي لشيـخ يعنيني ولا لغـلام

ولكن صُمُلٍّ[2] قد عسا عظم زوره شديد مناط العُضدين حسـام

فنبئت أن الشيخ يعذل أهلـه وفي بعض أخلاق الرجال عرام[3]

ب ـ التمني:

التمني عند الفتيات العوانس كثير جدا، فيظهرن بعضه ويخفين أكثره ويكتمنه.

أنشد ابن الأعرابي:

كتَمَ الحُبَّ فأَخْفاه، كما تَكْتُم البِكْرُ من الناسِ الوَحَمْ

---

[1] لسان العرب، مادة : عرض

[2] رجل صُمُلٌّ بضمتين وتشديد اللام أي شديد الخلق.[مختار الصحاح للرازي ، باب الصاد]

[3] خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت تحقيق عبد الستار أحمد فراج الطبعة الثانية مطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٨٥م ص ٢٢

والوَحَمُ: شهوةُ النكاح.[1] وقد صور لنا رؤبة بن العجاج حال امرأة بلغت من العنوسة وعدم الزواج مبلغا جعلها تقول :

قالت سليمى ليت لي بعلا يمن　　بغسل جلدي وينسيني الحزن
وحاجة ليست لها عندي ثمن　　مشهورة قضاؤها منه وهن
قالت بنات العم يا سلمى وإنن　　كان فقيرا معدما ؟ قالت وإنن[2]

وقال آخر يصف ضخم امرأة وصحتها وسمنها وما يجيش بخلدها من أماني عن مستقبل حياتها:

جارِيَةٌ أَعْظَمُها أَجَمُّهــا[3]　　قد سمنتها بالسويق أمها
تبيت وسنى والنكاح همها　　بائِنةُ الرِّجْلِ فما تَضُمُّها
فهي تَمَنَّى عَزَباً[4] يَشُمُّها[5]

ولا يقتصر التمني على النساء العوانس فقط بل قد يتجاوزهن إلى غيرهن من المتزوجات اللاتي يطمحن بأعينهن إلى بعض الرجال لجمالهم ولكريم خصالهم كما في قصة نصر بن

---

(١) انظر : لسان العرب مادة : وحم

(٢) العقد الفريد ج٤ص٨٦ / أوضح المسالك ج ١ ص ١٨

(٣) الأَجَمُّ: قُبُلُ المرأة.

(٤) قالت بعض نساء الأعراب وهي تتمنى بَعْلاً: إن ضَمَّ قَضْقَض، وإن دَسَر أَغْمَض، وإن أَخَلَّ أَحْمض؛ قالت لها أُمها: لقد فَرَرْتِ لي شِرَّة الشَّباب جَذَعة؛ تقول: إن أخذ من قُبُل أَتبَع ذلك بأن يأخذ من دُبُر. [لسان العرب، مادة: خلل]

(٥) لسان العرب، مادة: جمم

حجاج بن علاط السلمي الذي نفاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة وكان عمر قد خرج يتعسس ليلا فسمع امرأة تنشد:

يا ليت شعري عن نفسي أزاهقة ... مني ولم أقض ما فيها من الحاج

ألا هَلْ مِنْ سَبيلٍ إلى خَمْرٍ فأَشْرَبَها ... أمْ هَلْ من سَبيلٍ إلى نَصْرِ بن حَجَّاجِ

فقال: أما في عهد عمر فلا، فلما أصبح دعا نصر بن حجاج فرآه فإذا هو من أحسن الناس وجها فأمره أن يعتم فازداد جمالا فحلق رأسه وأمر بنفيه إلى البصرة فقال: وما ذنبي؟ قال عمر: الذنب ذنبي إن تركتك في دار الهجرة.[1]

وقال حافظ إبراهيم مصورا مشهد نصر بن حجاج مع عواتق المدينة وحسناواتها وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه:

جنى الجمال على نصر فغربه ... عن المدينة تبكيه ويبكيها

كانت له لمة[2] فينانة[3] عجب ... على جبين خليق أن يحليها

وكان أنى مشى مالت عقائلها[4] ... شوقا إليه وكاد الحسن يسبيها

هتفت تحت الليالي باسمه شفقا ... وللحسان تمنٍّ في لياليها

جززت لمته لما أتيت به ... ففاق عاطلها[5] في الحسن حاليها

---

[1] بهجة المجالس ج١ص٨١١ـــ٨١٢ / النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {منا}

[2] لمة: بالكسرة: الشعر المجاور شحمة الأذن والجمع لمم .

[3] فينانة: طويلة حسنة

[4] عقائلها: عقائل المدينة. وعقائل النساء كرائمهن الواحدة عقيلة . يسبيها يأسرها

[5] عاطل اللمة : المجرد منها . وحاليها : المتزين منها .

فصحت فيه تحول عن مدينتهم فإنها فتنة أخشى تماديها[1]

٤ ـ عرض المرأة نفسها على الرجال:

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَنَسٍ وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ قَالَ أَنَسٌ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْرِضُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَكَ بِي حَاجَةٌ فَقَالَتْ بِنْتُ أَنَسٍ مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا وَا سَوْأَتَاهْ وَا سَوْأَتَاهْ قَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا.[2]

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله (وعنده ابنة له) لم أقف على اسمها وأظنها أمينة بالتصغير . قوله (جاءت امرأة) لم أقف على تعينها ، وأشبه من رأيت بقصتها ممن تقدم ذكر اسمهن في الواهبات ليلى بنت قيس بن الخطيم ، ويظهر لي أنها صاحبة هذه القصة غير التي في حديث سهل . قوله (واسوأتاه) أصل السوءة – وهي بفتح المهملة وسكون الواو بعدها همزة – الفعلة القبيحة ، وتطلق على الفرج ، والمراد هنا الأول ، والألف للندبة والهاء للسكت.[3]

قال ابن المنير : من لطائف البخاري أنه لما علم الخصوصية في قصة الواهبة استنبط من الحديث ما لا خصوصية فيه وهو جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح رغبة في صلاحه فيجوز لها ذلك وإذا رغب فيها تزوجها بشرطه.[4]

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ج ١ ص ٨٩ ـــ ٩٠

(٢) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب: عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، حديث رقم: ٤٧٢٦

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٢١١ ـــ ٢١٢

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١١ص٧٩

وقال ابن حجر : وفي حديث الواهبة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن من رغبت في تزويج من هو أعلى منها لا عار عليها أصلا ولا سيما إن كان هناك غرض صحيح أو قصد صالح إما لفضل ديني في المخطوب أو لهوى يخشى من السكوت عنه الوقوع في محذور.[1]

٥ـ سرعة الإجابة للخاطبين :

أم خارجة [2]هي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة، كان يأتيها الخاطب، فيقول: خطب. فتقول: نكح . فيقول: أنزلي. فتقول: أنخ.

ذكر أنها كانت تسير يوما وابن لها يقود جملها، فرفع لها شخص، فقالت لابنها: من ترى ذلك الشخص؟ فقال: أراه خاطبا، فقالت: يا بني تراه يعجلنا أن نحل، ماله إل وغل. وكانت ذواقة تطلق الرجل إذا جربته وتتزوج آخر، فتزوجت نيفا وأربعين زوجا، وولدت عامة قبائل العرب.

تزوجت رجلا من إياد فخلعها منه ابن أختها خلف بن دعد وخلف عليها بعد الإيادي بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فولدت له خارجة وبه كنيت، وهو بطن ضخم من بطون العرب. ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بن حارثة، بن عمرو ميزيقيا فولدت له سعد أبا المصطلق والحيا ، وهما بطنان في خزاعة، ثم خلف عليها بكر بن عبد مناة بن كنانة، فولدت له ليثا والديل وعريجا، ثم خلف عليها مالك بن ثعلبة

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١١ص١٢٢

[2] قال الفيروز آبادي : أمُّ خارجة ، امرأة من بَجيلَة، وَلَدَتْ كثيراً مِنَ القَبائِلِ، كانَ يُقالُ لها: خِطْبٌ، فتقولُ: نِكْحٌ. وخارجةُ ابْنُها، ولا يُعلَمُ ممَّنْ هو، أو هُوَ ابنُ بَكْرِ بنِ يَشْكُرَ بنِ عَدْوَان بن عَمْرِو بن قَيْسِ عَيْلانَ. [القاموس المحيط للفيروز آبادي : باب الجيم ، فَصْلُ الخَاء / لسان العرب . مادة : خرج]

بن دودان بن أسد بن فرات، فولدت له غاضرة وعمرا، ثم خلف عليها جشم بن مالك بن كعب بن القين بن جسر من قضاعة فولدت له عرانية بطنا ضخما، ثم خلف عليها عامر بن عمرو بن لحيون البهراني من قضاعة ، فولدت له ستة: بهراء وثعلبة وهلالا وبيانا ولخوة والعنبر، ثم خلف عليها عمرو بن تميم فولدت له أسيد والهجيم.[١]

وخطب رجلٌ امرأةً إلى نفسها، وكانت امرأة بَرْزةً قد انكشفَ وجهُها وراسَلَتْ، فقالت: إن سألت عني بني فلان أُنبِئْتَ عني بما يسُرُّك، وبنو فلان يُنْبِئُونَك بما يَزِيدُك في رَغْبةً، وعند بني فلان مني خُبْر، فقال الرجل: وما عِلم هؤلاء بكِ؟ فقالت: في كلٍّ قد نُكحت، قال: يا ابنة أُمّ، أراكِ جَلَنْفَعَةً قد خزَّمَتْها الخَزائِمُ قالت: كلا ولكني جَوّالة بالرجل عَنْتَرِيسٌ. والجَلَنْفَع: المسنّ، أكثر ما توصف به الإناث.[٢]

٦ ـ التزين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن امرأة يقال لها رعلة القشيرية وفدت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت امرأة ذات فصاحة ولسان فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته إنا ذوات الخدور ومحل أزر البعول ومربيات الأولاد ولا حظ لنا في الجيش فعلمنا شيئا يقربنا إلى الله عز وجل فقال: عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر وخفض الصوت ، الحديث وفيه أنها قالت: يا رسول الله إني

---

[١] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم : ١١٣٠٦/ مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٨٧ / المحبر لابن حبيب ص٣٩٨

[٢] لسان العرب، مادة : جلفع.

امرأة مقينة أقين النساء وأزينهن لأزواجهن فهل من حوب فأثبط عنه ؟ قال لها يا أم رعلة: قينيهن وزينيهن إذا كسدن.[١]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ عَثَرَ أُسَامَةُ بِعَتَبَةِ الْبَابِ فَشُجَّ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيطِي عَنْهُ الْأَذَى فَتَقَذَّرْتُهُ فَجَعَلَ يَمُصُّ عَنْهُ الدَّمَ وَيَمُجُّهُ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَّيْتُهُ وَكَسَوْتُهُ حَتَّى أُنَفِّقَهُ.[٢]

قال السندي: عثر: من العثرة وهي الزلة أي زلت قدمه فسقط ووقع على عتب الباب (فشج) على بناء المفعول وشجة الرأس والوجه معروفة قوله (أميطي) أزيلي (الأذى) الدم (فتقذرته) كرهته (ويمجه) أي يرميه من الفم (حتى أنفقه) من نفق بالتشديد إذا زوج وأنفق لغة فيه حتى تميل إليها قلوب الرجال وهذا في المعنى كالشفاعة في النكاح.[٣]

وعن عمار بن عمران رجل من زيد الله عن امرأة منهم عن عائشة: أنها شوفت جارية وطافت بها وقالت لعلنا نصطاد بها شباب قريش.[٤]

---

[١] الإصابة لابن حجر. ج٨ص٢٠٤–٢٠٥، ترجمة رقم: ١٢٠٢١/ أسد الغابة لابن الأثير ج٦ص٣٣١ ترجمة رقم ٧٤٤٠

[٢] سنن ابن ماجة: كتاب النكاح، باب: الشفاعة في التزويج، حديث رقم: ١٩٦٦

[٣] شرح سنن ابن ماجة للسندي ج ٢ ص ٤٧٧

[٤] مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤ ص ٤٩، ما قالوا في الجارية تشوف ويطاف بها، حديث رقم: ١٧٦٦٤

قال ابن قتيبة: في حديث عائشة أنها شَوَّفَت جاريةً فطافَت بها وقالت لعلّنا نَصيد بها بعض فِتْيان قُرَيش أيِ زَيَّنَتْها يقال شوَّف وشيَّف وتشَوَّف أي تزيَّن وتشَوَّف للشيء أي طَمح بَصَره إليه. [1]

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أنهم مروا عليه بجارية قد زينت قال فدعا بها ونظر إليها وأجلسها في حجره ومسح على رأسها ودعا لها بالبركة. [2]

وقد مر بنا أن امرأة تزينت وتخضبت فغرت أحد الناظرين إليها وهو أبو الزوائد الأعرابي. [3]

٧ ـ الكذب والإشاعات لإنفاق الأيم :

الأيامى: الذين لا أَزواجَ لهم من الرجال وَالنساء، وأَصله أَيايِمُ، فقلبت لأن الواحد رجل أَيِّمٌ سواء كان تزوَّج قبل أو لم يتزوج. ابن سيده: الأَيِّمُ من النساء التي لا زَوْج لها، بِكْراً كانت أَو ثَيِّباً، ومن الرجال الذي لا امرأَة له، وجمعُ الأَيِّمِ من النساء أَيايِمْ وأَيامى، وقد آمَتِ المرأَة من زَوْجها تَئِيمُ أَيْماً وأُيوماً وأَيْمَةً وإيمة وتأَيَّمَتْ زماناً وأَتامَتْ وأَتَيَمْتها: تَزَوَّجْتها أَيِّماً. وتأَيَّم الرجلُ زماناً وتأَيَّمتِ المرأَة إذا مَكَثا أَيَّاماً وزماناً لا يتزوّجان؛ وأَنشد ابن بري:

لقد إمْتُ حتى لامَني كلُّ صاحِبٍ   رَجاءً بسَلْمى أَن تَئِيمَ كما إمْتُ

---

[1] غريب الحديث ج ٢ ص ٥٠٩/ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {شوف}/ لسان العرب، مادة: شوف

[2] مصنف إبن أبي شيبة، ج ٤ ص ٤٩، ما قالوا في الجارية تشوف ويطاف بها، حديث رقم: ١٧٦٦٥

[3] انظر ص من هذا الكتاب

يقال: امرأةٌ أَيِّمٌ وقد تأَيَّمَتْ إذا كانت بغير زَوْج، وقيل ذلك إذا كان لها زوج فمات عنها وهي تَصْلُح للأَزْواج لأنَّ فيها سُؤْرةً من شَباب؛ وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾[1] دخَل فيه الذَّكَر والأُنثى والبِكْر والثَّيِّب، وقيل في تفسيره: الحَرائر. وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: الأَيِّمُ أَحَقُّ بنفسها، فهذه الثَّيِّبُ لا غير؛ وكذلك قول الشاعر:

لا تَنْكِحَنَّ الدَّهْرَ، ما عِشْتَ، أَيِّماً مُجَرَّبةً، قد مُلَّ منها، ومَلَّتِ

والأَيِّمُ في الأَصل: التي لا زوجَ لها، بِكْراً كانت أَو ثَيِّباً، مطلَّقة كانت أَو مُتَوَفَّى عنها.[2]

عندما يرى بعض العرب بوار بناهم، وعزوف الأزواج عنهن، وازورارهم عن القرب بساحتهن، ونفوق من حولهم من بنات الأهل والجيران وتزوجهن وإنجاب الكثيرات منهن وتنعمهن مع أزواجهن وأولادهن، وأن ابنتهم صارت الوحيدة بين لداها غير متزوجة وأن قطار الزواج قد أذن بالترحل ويخشى عليها أن تدخل في مرحلة العنوسة ودوامتها. فيفكر بعضهم في إطلاق الشائعات وبث الأراجيف حول ابنتهم، فيطلقون: أن زيدا تقدم لطلب يد ابنتهم فرفضناه، وأن عمرا التمس القرب منا فقبلناه ولكن رفضته ابنتنا فاستجبنا لرغبتها في رفضها له وأن فلانا وفلانا منتظرون إشارة منا وموافقة من عندنا حتى يتقدموا لطلب يد كريمتنا وتكون هذه الأقوال لا أصل لها في حقيقة الأمر وإنما ائتفكوها إشعالا لسوق ابنتهم وإيهاما لغيرهم من الأسر بأن ابنتهم رائجة السوق وتغريرا براغبي الزواج بأن المنافسة على هذه البنت شديدة فيغتر أحدهم ويقع في شباكهم ويظن

---

[1] سورة النور آية ٣٢

[2] لسان العرب مادة : أيم

كثيرون من الأهل أن هذه الشائعات تجعل المفكرين في الزواج يفكرون في أمر هذه الفتاة وحتى بعض المتزوجين يقولون: كيف غفلنا عن هذه الفتاة حتى تزاحم عليها الناس فيهرع بعضهم لخطبتها، وهذا الأمر يسمونه عند العرب الاختطاب قال ابن منظور: واختطب القوم فلانا إذ دعوه إلى تزويج صاحبتهم، قال أبو زيد: إذا دعا أهل المرأة الرجل إليها ليخطبها فقد اختطبوا اختطابا. قال: وإذا أرادوا تنفيق أيمهم كذبوا على رجل فقالوا: قد خطبها فرددناه، فإذا رد عنه قومه قالوا: كذبتم لقد اختطبتموه فما خطب لكم.[1]

٨- حث المرأة أهلها على زواجها واستعجالهم بإدخالها على زوجها:

أ - حث أهلها على زواجها :

نظرت الشاعرة الأندلسية قسمونة بنت إسماعيل اليهودي وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها نظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت:

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جان يمد لها يدا
فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها.[2]

ب - استعجالها أهلها بإدخالها على زوجها حين زواجها :

من الأمور التي كان يتبعها بعض نساء العرب عندما يعقد أحد الناس نكاحه على فتاة منهم، ويؤخر أهل البنت إدخالها عليه بعلة تجهيز البيت، والاستعداد لعمل الوليمة، ويمضي الأهل في تجهيزاتهم التي قد يطول زمنها[3] غير واضعين أي اعتبار

---

[1] لسان العرب مادة خطب ج ٤ ص ١٣٥

[2] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣ ص ٥٠٣

[3] مع أن أمر الزواج كان في غاية السهولة والبساطة وبخاصة موضوع البيت والسكن العقبة الكؤود الآن أمام القادمين على الزواج فقد كان الرجل تنصب له خيمة تكون بيتا له ولزوجته . قال ابن قتيبة

لمشاعر ابنتهم التي تكون قد هيأت نفسها لأن تصبح زوجة تنعم مع زوجها، وتمر عليها الساعات بطيئة والأيام ثقيلة، والشهور وقد يتجاوز تأخير الأسرة لهذه التجهيزات السنوات، فيضيق صدر الفتاة وينفذ صبرها، فتقول للخواص من صديقاتها قد طال انتظاري لزوجي، وأرى أنه يكفي ما قد تم تجهيزه أو أقول لكم أريد زوجي من غير تجهيز، وفي أمثال العرب قصة فتاة، بلغ بها شوقها للدخول على زوجها وتضجرت من اعتلال أهلها بالانشغال بالتجهيزات فقالت: علَّةٌ ما علَّه أَوْتادٌ وأَخِلَّه، وعَمَدُ المظَلَّه، أَبْرِزُوا لصِهْرِكم ظُلَّه؛ قالته جارية زُوِّجَتْ رَجُلاً فأَبطأَ بها أَهْلُها على زوجها، وجَعَلُوا يَعْتَلُّون بجمع أَدوات البيت فقالت ذلك اسْتِحْثاثاً لهم.[1]

٩ـ الاستعانة بالمراسلات من النساء :

المُراسِل من النساء: التي تُراسِل الخُطَّاب، وقيل: هي التي فارقها زوجها بأيِّ وجه كان، مات أو طلقها، وقيل: المُراسِل التي قد أَسَنَّتْ وفيها بَقيَّة شباب، والاسم الرِّسال. وفي حديث أبي هريرة: أَن رجلاً من الأَنصار تزوَّج امرأَة مُراسِلاً، يعني ثَيِّباً، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: فهَلاَّ بِكْراً تُلاعِبُها وتلاعِبك وقيل: امرأَة مُراسِل هي التي يموت زوجها أو أَحَسَّت منه أَنه يريد تطليقها فهي تَزَيَّنُ لآخر؛ وأَنشد المازني لجرير:

يَمْشِي هُبَيرةُ بعد مَقْتَل شيخه   مَشْيَ المُراسِل أُوذِنَتْ بطلاق

: قالوا: بنى على أهله أصله أنه كان من يريد منهم الدخول على أهله ضرب عليها قبة، فقيل لكل داخل بأهله بان. (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٥٣)

[1] لسان العرب، مادة: ظلل

يقول: ليس يطلب بدم أبيه، قال: المُراسِل التي طُلّقت مرات فقد بَسأَتْ بالطلاق أي لا تُباليه، يقول: فهُبَيرة قد بَسأَ بأَن يُقْتَل له قتيل ولا يطلب بثأْره مُعَوَّدٌ ذلك مثل هذه المرأة التي قد بَسأَتْ بالطلاق أي أَنِسَتْ به.[1]

وفي الحديث: أنه دَخَل على خَديجةَ خَطَبَها، ودَخَل عليها مُسْتَنْشِئةٌ مِنْ مُوَلَّدات قُرَيْشٍ. قال الأَزهري: هي اسم تِلْكَ الكاهنة. وقال غيره: الـمُسْتَنْشِئةُ: الكاهنةُ سُمِّيت بذلك لأَنها كانت تَسْتَنْشِئُ الأَخْبَارَ أي تَبْحَثُ عنها وتَطْلُبها، من قولك رجل نَشْيانُ للخَبَرِ. ومُسْتَنْشِئةٌ يهمز ولا يهمز. والذِّئب يَسْتَنْشِئُ الرِّيحَ، بالهمز. قال: وإِنما هو من نَشِيتُ الرِّيح، غير مهموز، أي شَمِمْتُها.[2]

من أسباب دفع العنوسة عند العرب الاستعانة بالمراسلات والمستنشئات، فقد يلجأ العانسون من رجال المجتمع إلى النساء اللاتي يتراسلن بين الرجال ومخطوباتهن، وهي طريقة متبعة في الجاهلية واستمرت لما بعد الإسلام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل أم سليم وغيرها للإتيان بصفات من يريد الاقتران بها[3] ووظيفة المراسل:

ــ الإخبار عن وجود أصناف النساء اللاتي هن خلف الجدار وأنواعهن من نساء صغيرات في سن الزواج وأخر مطلقات وأرامل ومغيبات وفاقدات.

ــ عكس مزايا هؤلاء النسوة من جمال وألوان وأجسام ومزايا أخلاقية ومستوى تعليمي وأدب رفيع، وغيرها من مرغبات الرجال في النساء.

---

(١) لسان العرب، مادة: رسل

(٢) لسان العرب، مادة: نشأ

(٣) انظر ص من هذا الكتاب.

ــ إيصال صفات ومزايا الرجال الراغبين في الزواج من هؤلاء النسوة وترغيبهن فيهم.

ــ إقناع الممتنعات من النساء والفتيات اللاتي يرفضن المتقدمين لهن بأهن سيندمن على تفريطهن وإضاعتهن هذه الفرصة وإفلات هذا العريس منهن والعجز عن اقتناصه حتى تظفر به غيرك وستذكرين هذا التفريط وتندمين أشد الندم ولسان حال المراسل إن لم يكن مقالها يقول ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١)

ــ كتمان صفات النقص التي يعلمنها عن الزوج المتقدم أو الفتاة التي يود خطبتها لأن قصد المراسل هو اقتران من اتصل بها بمن أوصلته إليه، ومن ثم قد تغض الطرف عن كثير من الأخطاء التي تعلمها، قال يزيدُ بن الحَكَم الثَّقفي ذاكرا هذا الصنف من النساء:

بَدا منْك غِشٌّ، طالما قَدْ كَتَمْته ... كما كَتَمَتْ داءَ ابْنِها أُمُّ مُدَّوِي

وذلك أن خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية فجاءت أُمّها أُمّ الغلام لتنظر إليه فدخل الغلام فقال: أَأَدَّوِي يا أُمّي؟ والدُّوايَةُ والدِّوايَةُ: جُلَيْدةٌ رقيقة تعلو اللَّبَنَ والمَـرَقَ. فقالت: اللّجامُ مُعَلّقٌ بعَمُودِ البَيْتِ؛ أرادت بذلك كِتْمان زَلَّةِ الابن وسُوءِ عادَته.(٢)

وهذا الصنف من النساء لا يزال يوجد في بعض بلاد العالم الإسلامي إلى اليوم وطريقته تتم بأن يعطي الرجل الصفات التي يرغب في توفرها في شريكة حياته وقسيمة

---

(١) سورة غافر آية ٤٤

(٢) لسان العرب، مادة: دوا

فراشه للمرأة المهتمة بهذه الأمور فتأتيه بقائمة من أسماء النساء المعروفات الأسر اللاتي تعرفهن وأعمارهن ومميزاتهن فينتقي منهن من يشاء ثم ينظر إليها وعندما يكلل المشروع بالنجاح وتتم الزواج يعطي الرجل الخاطبة جعلا من المال.

ومن الأمور التي تقوم مقام المراسلات الآن ما تفعله بعض المجلات ومواقع الإنترنت من عرض لأصناف الراغبين في الزواج من الجنسين وذكر أعمارهم ومميزاتهم مع الاحتفاظ بصورهم بغية إتمام الأمر للمهتمين.

وقد جرت ندوة نشرت في موقع إذاعة الصين الدولية بعنوان : البعض يفضلونها من على الإنترنت، جاء فيها الآتي: أسماء الآلاف من المواقع العربية على الإنترنت تهدف إلى الإسهام في حل مشكلة تفاقمت داخل الوطن العربي وطفت على السطح في الآونة الأخيرة بشكل بات يفزع الآباء والأمهات، وهي مشكلة العنوسة فهذه المواقع أصبحت تسهل عملية البحث لراغبي الزواج وتحميهم في نفس الوقت من التردد والخجل أو الخوف من رفض الجنس الآخر.

وهذه النوعية من المواقع تنتشر في العديد من المجتمعات حول العالم وتساعد الشباب من الجنسين على الوصول إلى نصفهم الآخر ، بعدما اختفت الخاطبة التقليدية كما اختفت أشياء كثيرة اتسم بها الزمن الغابر حلت محلها خاطبة آخر الزمان أو الخاطبة الإلكترونية وذاك وجه آخر للإنترنت.

فليس كل ما فيه سيئ وقبيح ، برغم أن للإنترنت وجها آخر مليء بالمشكلات والتعقيدات الضارة إنسانيا وعائليا واجتماعيا إلا أن ذلك لا يمنع وجود وجه آخر أليف نبيل قد يتمكن من حل بعض المشكلات الكبيرة الجاثمة فوق صدر الوطن العربي وهي مشكلة العنوسة وسواء نجح الإنترنت في ذلك أو لا ونجحت الفكرة أو فشلت فهي على أية حال فكرة جديدة تستحق الدراسة .

والسؤال الآن هل يمكن للإنترنت أن يتحول أيضا إلى خاطبة العصر الإلكتروني ويكون وسيطا ملائما وسريعا بين الشباب والفتيات عبر المحادثات المرئية قبل الزواج ، خاصة في المجتمعات المحافظة كمجتمعاتنا العربية التي تحظر الاختلاط وهل يسهم في حل هذه المشكلة التي أكدها الإحصاءات :

ويطرح الدكتور محمد حسن غانم --- أستاذ علم النفس بجامعة حلوان – رؤيته حول العنوسة مؤكدا أنها تمثل ظاهرة خطيرة في المجتمعات النامية والعربية تحديدا ، حيث يعد الزواج سترة للبنت وحفظا لكرامة أسرها .

أما الدكتور حسن عبد اللطيف فيقول : " مشكلة العنوسة لها خلفيات عديدة قد تكون أهمها التغييرات التي طرأت على مجتمعاتنا واحتلال النظرة المادية لتفكيرنا ونظام الحياة بشكل عام حتى أصبحت تحكم اختيارات الزواج " ويضيف قائلا " اليوم الفتاة لم تعد تحلم بالفارس الذي يحملها على الحصان الأبيض ولم تعد تهتم بقوة الرجل أو الشكل بل الأقوى هو القادر على توفير حياة مرفهة من جهة أخرى أصبح من الضروري أن تتم الفتاة تعليمها ومن الواضح أنه كلما كبرت ونضجت الفتاة تدقق بشكل أكبر في اختيارها وقد لا ترضي إلا بالصورة الكاملة بعكس نظرة طالبة المدرسة الصغرى التي لا يهمها سوى ارتداء الطرحة البيضاء والفرحة بليلة العمر إضافة إلى وجود تضارب كبير في المفاهيم فنجد إن المجتمع أصبح متخبطا بين عاداته وتقاليده وبين مفاهيم الحضارة وهذا ينعكس بشكل أو بآخر على الزواج وتأسيس الأسرة وعن الحل لهذه المشكلة يقول الدكتور حسن " لا بد أن يساهم المجتمع بأكمله في حل هذه المشكلة والتوعية بأهداف الزواج الحقيقية بعيدا عن الأحلام والماديات التي قد تضر مستقبل الشباب وتضع أمامهم عوائق كبيرة إلى جانب تنبيه الفتاة كي لا يتسبب تركيزها على مستقبلها العلمي الوظيفي في حرمانها من التفكير في الجانب الأهم من حياتها لا بد إلى يكون هناك نوع من

الموازنة كي لا يطغي جانب على الآخر وتقع الفتاة فريسة للندم على قطار العمر الـــذي يفوهّا . "

يذكر أن بعض المواقع الخاصة بالزواج على شبكة الإنترنت تتبع أسلوبا جديـــد لتقريب الشباب والفتيات من خلال غرف الدردشة التي ترفع شعار أسأل حبيبك كـــل يوم خمسة أسئلة وأجب عليها بمنتهى الصدق لتتعرف على نصفك الآخر .

كل ذلك برغم وجود دراسة بريطانية قامت بها منظمة ريليت أكبر جمعية لتقديم النصائح الزوجية في بريطانيا . ذكرت فيها أن الإنترنت هو أحد الأســـباب الرئيســـية لانهيار العلاقات الزوجية في بريطانيا .

وتقول المنظمة إن نحو عشرة في المائة من تسعين ألـــف زوج وزوجـــة يســـعون ســـنويا لاستشارة المنظمة حول الزواج سنويا أن الإنترنت هو إحدى المشكلات التي يواجهونها .

وقالت المنظمة في تقرير لها إن أحد عوامل ذلك هو أن الهوس بالإنترنت يمكن أن يستنفد جزءا كبيرا من الوقت ولا يترك سوى وقت ضئيل للشخص للتفاعل مع شريك حياته ولكن هناك عوامل أخرى من بينها أن الشبكة تتيح للمرء إمكانية الاتصال بسهولة مع شركائه السابقين . وتقول منظمة ريليت إلى العلاقات الزوجية بين أولئـــك الـــذين تتراوح أعمارهم بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين عاما هي الأكثر عرضـــة للخطـــر بسبب الإنترنت، وذلك هو الوجه الآخر له .

هذا عن الغرب أما في بلادنا فكأي فكرة جديدة لها مؤيدوها ومعارضوها .

ومن المعترضين شابة ترى أنها لا تقبل أن تتزوج عن طريق الإنترنـــت فـــالزواج على حد قولها مشاعر وأحاسيس فكيف يمكن أن أختار زوج المستقبل بهـــذه الطريقـــة . وأعتقد أنه مهما قدم الكمبيوتر من معلومات شخصية الطرف الآخر . فلن تكفي أبدا ،

ولا يمكن الحكم على شخص من خلالها ، ولا بد أن يقتصر استخدام الإنترنت على المعلومات المفيدة ودون التدخل في الأشياء التي تمس المشاعر والأحاسيس

وقال شاب عربي أخر متخصص في مجال الكمبيوتر عن مواقع البحث على شبكة الإنترنت كوسيط في الوصول إلى شريك العمر إنها قد أصبحت منتشرة بصورة كبيرة فمن السهل على أي فتى الدخول على المواقع التي تحتوى العديد من طلبات الزواج للجنسين على الإنترنت .

أما شابة عربية أخرى فترى --- على العكس --- أن استخدام الإنترنت في الزواج أمر جيد ، ويمكن أن يساعد على حل مشكلة العنوسة حيث أن مجتمعنا محافظ ولا يسمح بالاختلاط وتعارف الفتاة بالشاب ولكن إذا تم التعارف عبر الإنترنت يمكن أن يتناقش الطرفان وهو أفضل من أن تخطب الفتاة إنسانا تتزوجه ثم لا يحدث تفاهم وتفسخ الخطبة أو يتم الطلاق المبكر . لذلك فإنني أوافق على الزواج عبر الإنترنت بشدة ، والذي سيقوم بدور الخاطبة في الوقت الحاضر .

يرفض شاب آخر الزواج بهذه الطريقة ويرى أن الفتاة التي تقبل أن تتحدث مع شاب لا تعرفه من خلال الإنترنت وتراسله ، لا يمكن الوثوق فيها لأنها قد تتحدث مع شباب آخرين بهدف التسلية ولكن عند اختيار زوجة المستقبل فلا بد من العودة للوسائل التقليدية ودخول البيوت من أبوابها وليس من شبكات الإنترنت. [١]

---

[١] موقع : [CRI ON LINE إذاعة الصين الدولية، عربي ١/١١]

ومن أمثلة استعمال الإنترنت في الخطوبة ما جاء في موقع : إسلام أون لاين:[١]

العنوسة شبح يطارد كثيرا من الفتيات في الوطن العربي، وتبدأ الأسرة في البحث عن عريس لابنتها، ويقول المثل العربي الشائع: "أخطب لابنتك ولا تخطب لابنك"، وقال صلى الله عليه وسلم "من كان عنده بنت أو بنتان أو أخت أو أختان أو أكثر فرباهن وعلمهن وزوجهن دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب".

والبحث في الإنترنت عن فرص الزواج أو شريك العمر أصبح ظاهرة في الخليج، فبعض الأسر تقوم بالبحث عن مواقع الزواج الإسلامي للبحث عن عريس مناسب لابنتهم ولكن بعض الخاطبات في السعودية استفدن من الكمبيوتر والإنترنت، ويستخدمن هذه التقنية في رصد بيانات عن المتقدم للزواج ولا يطلع أحد على هذه البيانات إلا الجادون في الزواج ويتم حفظ صورة الخاطب على موقع على الديسك (لتراه الفتاة) وتتعرف على شريك حياتها المنتظر.

وتقوم الخاطبة في الغالب بتلقي طلبات الزواج من الرجال والنساء ثم تسجيلها في دفتر أو إدخال هذه البيانات في أشرطة خاصة وتعطي المواصفات المطلوبة في الشريك أو الشريكة من حيث الوضع الاجتماعي والمادي والمستوى الثقافي والتعليمي وتقوم الخاطبة بتدوين مواصفات الفتاة ووضعها الاجتماعي وكذلك تفعل مع الشريك المتقدم للزواج وفق شروط معينة قد يجدها مخزنة في الكمبيوتر وللتأكد من راغبي الزواج يدفع المتقدم أو المتقدمة للبحث له عن زوج أو زوجة مبلغا يتراوح ما بين ألف ريال سعودي مقابل إتمام كل زواج.

---

[١] الرياض – صالح عبد الغفار- إسلام أون لاين.نت /١٤-٧-٢٠٠١ / الكمبيوتر ينافس الخاطبة في السعودية

والبعض يعرض بناته للزواج من الرجل المناسب أو مساعدته في إيجاد زوج لهن يشترط فيه حسن الخلق والاستقامة والبعض يبحث عن زوجة ثانية لمرض زوجته، وفي الغالب لا يقدم أي مبالغ للوسيط (الخاطبة) إلا بعد إتمام الزواج.

وتقول إحدى الخاطبات: عندما يتصل بي شخص أسجل معلوماته وحالته الاجتماعية والاقتصادية ومستواه التعليمي وأضع هذه البيانات وأدخلها في الكمبيوتر وعندما أتأكد من صحة هذه المعلومات المقدمة لي عن الخطيب ويتم ذلك بالسؤال من الأقارب والمعارف أو بواسطة زوجي وعند التأكد من صدقه يتم البحث له عن شريكة لحياته دون ذكر الاسم أو العنوان للخاطب ويتم حضور الفتاة مع محرم لها وأهلها عندي أو عندهم في البيت ويتم الرؤية الشرعية وإذا كان التوفيق من الله وتم الزواج فإني آخذ حقي وهو ألفان ريال بعد إتمام الزواج وتضيف: في الغالب يطلب الرجال المتعلمون موظفة أو مدرسة أما رجال الأعمال والأثرياء فإنهم يفضلون غير الموظفة.

١٠ـ اللجوء إلى الخداع والتغرير واستبدال العانس بغيرها:

قد يكون لإحدى الأسر عدد من البنات فيهن الجميلة الجملاء والقبيحة الشوهاء، والسليمة المعافاة، والمعاقة المبتلاة، وتكون هؤلاء الأخوات شقيقات وقد يزيد الأمر سوءا إن كانت هذه الفتيات بنات لعلات مختلفات فيزداد التباين بين هذه الفتيات اتساعا فيضاف إلى التفاوت بينهن التفاوت بين أمهاتهن فقد تكون إحداهن مهيرة[١] والأخرى هجينة[٢] وقد يكون جميع البنات على درجة من الجمال والغنى إلا أن الذي يفرق بينهن هو التفاوت في الأمهات وعند اشتداد عنوسة بعض الفتيات يلجأ أولياء

---

[١] المَهِيرَةُ الحُرَّةُ، والمَهائِرُ الحرائِرُ، وهي ضِدُّ السَّرائِرِ. [لسان العرب، مادة: مهر]

[٢] الهَجِينُ: اللَّئِيمُ، وعَرَبِيٌّ ولِدَ من أمَةٍ، أو مَنْ أبوهُ خيْرٌ من أُمِّه ج: هُجنٌ وهُجَناءُ وهُجْنانٌ ومَهاجِينُ ومَهاجِنَةٌ، وهي هَجِينَةٌ. [القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب النون. فَصْلُ الهَاء.]

أمورهن إذا كان لأسرة من الأسر عدد من البنات الرائجات وبينهن واحدة كاسدة السوق لقبحها أو كبرها وتقدم سنها أو لإعاقتها أو لأنها هجينة يلجئون إلى الخداع والتغرير فعندما يتقدم أحد الخطاب لهذا الأب طالبا منه أن يزوجه إحدى بناته المهيرات وأن يجنبه الهجينات ويكرر هذه الأمر ويحدد له البنت التي يريدها يوافق الأب على ذلك، ومن ثم يتم عقد النكاح وعند دخول البنت على زوجها يدخل أبوها غيرها من أخواتها الهجينات [1] لعلم الأب بتعسر زواج الهجينات ويسر وسهولة زواج المهيرات، وقد يستحي الزوج ويقبل بهذا الأمر ويوافق على استبدال هذه الفتاة بأختها فيطلق أختها ويعقد له عليها ويتم الزواج وقد يرفض بشدة ومن الأمثلة لذلك: عن أبي الوضين أن رجلا تزوج إلى رجل من أهل الشام ابنة له ابنة مهيرة فزوجه وزف إليه ابنة له أخرى بنت فتاة فسألها الرجل بعد ما دخل بها ابنة من أنت؟ فقالت: ابنة فلانة تعني الفتاة فقال: إنما تزوجت إلى أبيك ابنة المهيرة فارتفعوا إلى معاوية بن أبي سفيان فقال: امرأة بامرأة وسأل من حوله من أهل الشام فقالوا له: امرأة بامرأة فقال الرجل لمعاوية: ارفعنا إلى علي بن أبي طالب فقال: اذهبوا إليه فأتوا عليا فرفع علي شيئا من الأرض وقال: القضاء في هذا أيسر من هذا لهذه ما سقت إليها بما استحللت من فرجها وعلى أبيها أن يجهز

---

[1] قال محمد بن السائب الكلبي :وكانوا ــ أي العرب في الجاهلية ــ يخطبون المرأة إلى أبيها، أو إلى أخيها، أو عمها، أو بعض بني عمها. وكان يخطب الكفء إلى الكفء. فإن كان أحدهما أشرف من الآخر في النسب رغب نه في المال. وإن كان هجينا خطب إلى هجين فزوجه هجينة مثله. ويقول الخاطب إذا أتاهم:أنعموا صباحا، ثم يقول:نحن أكفاؤكم ونظراؤكم، فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتمونا، وكنا لصهركم حامدين، وإن رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين.[الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني، ج ٢ ص]

الأخرى بما سقت إلى هذه ولا تقربها حتى تنقضي عدة هذه الأخرى، قال: وأحسب أنه جلد أباها أو أراد أن يجلده.(١)

فعليك أيها الأب أن تتقي أم أولادك حتى لا تكون سببا في عنوسة بناتك.

١١ـ وجود ذاكرين للأسر وواصفين لجمال النساء :

يكون الذاكرون للأسر الواصفون لجمال النساء من الرجال والنساء على السواء وعلى التفصيل الآتي:

أ ـ الذاكرون للأسر :

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود أفراد من الجنسين يقومون بالإشارة إلى الأسر التي يرون أنها قد حازت قصب السبق من الحسب والدين والأخلاق والأدب فإن انضاف إلى ذلك الجمال فقد تم المراد واكتمل المرجو فيقوم هذا الصنف من الناس بتوجيه وإرشاد الراغب في الزواج بأن عليك أن تتزوج بنت فلان ويكون هذا الواصف لم ير هذه البنت ولا يعرف عمرها وإنما يعرف أباها وأسرتها ونبلهم وكرم أرومتهم وقد تكون هذه الأسرة في لحظة قول هذا الكلام تكون بناتها قد تزوجت أو أن الكبار منهن قد تزوجن وبقيت بنات صغار دون سن الزواج فيرى هؤلاء الواصفون أن عليك اختيار هذه الأسرة ذات الأصل والفصل ثم الاختيار والانتقاء من فتياتها فلا بد أنك ستظفر بمن تريد وتقترن بمن تود من بناتها، لأنهم أدبوا بناتهم فأحسنوا الأدب وربوا فأحسنوا التربية، وروضوا فأحسنوا الرياضة قال أحد الواصفين لمكانة إحدى الأسر دالا وناصحا ومشيرا على الراغبين في الزواج وقد سجل ذلك شعرا فقال :

يا أيُّها الرّاكِبُ. ذُو الثّباتِ　　إنْ كُنتَ تَبْغِي صاحِبَ الباءَاتِ(٢)

---

(١) كنز العمال، حديث رقم: ١٤٥١٣

فاعْمِدْ إلى هاتِيكُمُ الأَبْياتِ[٢]

ب ـ الواصفون من النساء :

عن صالح بن كيسان قال : رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء، كانت لها سقيفة يتحدث إليها رجالات قريش، فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير، وعمرو بن سعيد بن العاص، وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر ، فقالوا : يا خالة قد خطبنا نساء من قريش، ولسنا ننتفع إلا بنظرك إليهن، فأرشدينا بفضل علمك فيهن، فقالت لمصعب: يا ابن أبي عبد الله ومن خطبت؟ قال: عائشة بنت طلحة ، قالت: فأنت يا ابن الصديق؟ قال: أم القاسم بنت زكريا بن طلحة. قالت: فأنت يا ابن أبي أحيحة؟ قال: زينب بنت عمرو بن عثمان، فقالت: يا جارية عليّ بمنقليّ ـ تعني خفيها ـ فأتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها، فأتت عائشة بنت طلحة، فقالت: مرحبا بك يا خالة. فقالت: يا بنية إنا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذكرت، وذكر جمالك، فلم أدر كيف أصفك فتجردي لأنظرك، فألقت درعها ثم مشت فارتج كل شيء منها، ثم أقبلت على مثل ذلك، فقالت: فداك أبي وأمي خذي ثوبك، وأتتهن جميعا على مثل ذلك، ثم رجعت إلى السقيفة فقالت: يا ابن أبي عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قط، ممتلئة الترائب زجاء العينين، هدبة الأشفار، محطوطة المتنين، ضخمة العجيزة، لفاء الفخذين، واضحة الثغر، نقية الوجه، فرعاء الشعر، إلا أني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها أما إحداهما فيواريها الخف وهي عظم القدم والأخرى يواريها الخمار، وهي عظم الأذن، وأما أنت يا ابن أحيحة،

---

[١] الباءُ النِّكاح، يقال: فُلانٌ حريصٌ على الباء والباءَة والباه، بالهاء والقصر، أي على النكاح؛ والباءةُ الواحِدةُ والباء الجمع، وتُجمع الباءَةُ على الباءَاتِ. [لسان العرب، مادة: بوأ]

[٢] لسان العرب، مادة: بوأ

فما رأيت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط، إلا أن في الوجه ردة، ولكن مشيرة إليك بأمر تستأنس إليه وهي ملاحة تعتز بها، وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم، وما شبهتها إلا بخوط بانة تتثنى، أو خشف يتقلب على رمل،[١] فتزوجوهن.[٢]

ج ـ الواصفون من الرجال:

ـ هيت يصف امرأة لعبد الله بن أبي أمية:

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مُخَنَّثٌ فَقَالَ الْمُخَنَّثُ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا أَدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ.[٣]

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : ذكر ابن إسحاق في المغازي أن اسم المخنث في حديث الباب ماتع وهو بمثناة وقيل بنون ، فروي عن محمد بن ابراهيم التيمي قال " كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الطائف مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ويكون في بيته لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يفطن لشيء من أمر النساء مما يفطن له الرجال ولا

---

[١] عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا. [صحيح البخاري: كتاب النكاح بَاب لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَها لِزَوْجِهَا، حديث رقم: ٤٨٣٩/ مسند الإمام أحمد: مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٤٠٠٩]

[٢] المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٨٩ ــ ١٩٠

[٣] صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة، حديث رقم: ٤٨٣٤/ صحيح مسلم: كتاب: السلام، بَاب مَنْعِ الْمُخَنَّثِ مِنْ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ الْأَجَانِبِ، حديث رقم: ٤٠٤٩

أن له إربة في ذلك، فسمعه يقول لخالد بن الوليد : يا خالد إن افتتحتم الطائف فلا تنفلتن منك بادية بنت غيلان بن سلمة، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان،[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك منه : لا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع، ثم قال لنسائه : لا تدخلن هذا عليكن ، فحجب عن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم " وحكى أبو موسى المديني في كون ماتع لقب هيت أو بالعكس أو أنهما اثنان خلافا ، وجزم الواقدي بالتعدد فإنه قال : كان هيت مولى عبد الله بن أبي أمية ، وكان ماتع مولى فاختة ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم نفاهما معا إلى الحمى ، وذكر الباوردي في " الصحابة " من طريق إبراهيم بن مهاجر عن أبي بكر بن حفص " أن عائشة قالت لمخنث كان بالمدينة يقال له أنة بفتح الهمزة وتشديد النون : ألا تدلنا على امرأة نخطبها على عبد الرحمن بن أبي بكر ؟ قال : بلى ، فوصف امرأة تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أنة اخرج من المدينة إلى حمراء الأسد وليكن بها منزلك " والراجح أن اسم المذكور في حديث الباب هيت ، ولا يمتنع أن يتواردوا في الوصف المذكور ، ووقع في أول رواية الزهري عن عروة عن عائشة عند مسلم " كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة ؛ فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة " الحديث ، وعرف من

---

[1] قال النووي: قال العلماء: وإخراجه ونفيه كان لثلاثة معان: أحدها المعنى المذكور في الحديث أنه كان يظن أنه من غير أولى الإربة، وكان منهم، ويتكتم بذلك. والثاني وصفه النساء ومحاسنهن وعوراتهن بحضرة الرجال، وقد نهي أن تصف المرأة لزوجها، فكيف إذا وصفها الرجل للرجال؟ والثالث أنه،ظهر له منه أنه كان يطلع من النساء وأجسامهن وعوراتهن على ما لا يطلع عليه كثير من النساء، فكيف الرجال لا سيما على ما جاء في غير مسلم أنه وصفها حتى وصف ما بين رجليها أي فرجها وحواليه.[مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٩ ص ٥٨٦٩]

حديث الباب تسمية المرأة وأنها أم سلمة والمخنث بكسر النون وبفتحها من يشبه خلقه النساء في حركاته وكلامه وغير ذلك ، فإن كان من أصل الخلقة لم يكن عليه لوم وعليه أن يتكلف إزالة ذلك ، وإن كان بقصد منه وتكلف له فهو المذموم ويطلق عليه اسم مخنث سواء فعل الفاحشة أو لم يفعل ، قال ابن حبيب : المخنث هو المؤنث من الرجال وإن لم تعرف منه الفاحشة ، مأخوذ من التكسر في المشي وغيره.

وأخرج أبو داود من حديث أبي هريرة " أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بمخنث قد خضب يديه ورجليه فقيل: يا رسول الله إن هذا يتشبه بالنساء، فنفاه إلى البقيع، فقيل ألا تقتله فقال: إني نهيت عن قتل المصلين" . ووقع في مرسل ابن المنكدر أنه قال ذلك لعبد الرحمن بن أبي بكر فيحمل على تعدد القول منه لكل منهما : لأخي عائشة ولأخي أم سلمة. والعجب أنه لم يقدر أن المرأة الموصوفة حصلت لواحد منهما، لأن الطائف لم يفتح حينئذ، وقتل عبد الله بن أبي أمية في حال الحصار، ولما أسلم غيلان بن سلمة وأسلمت بنته بادية تزوجها عبد الرحمن بن عوف فقدر أنها استحيضت عنده وسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المستحاضة، وتزوج عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي وقصته معها مشهورة، وقد وقع حديث في سعد بن أبي وقاص أنه خطب امرأة بمكة فقال: من يخبرني عنها؟ فقال مخنث يقال له هيت: أنا أصفها لك. فهذه قصص وقعت لهيت. قوله (إن فتح الله لكم الطائف غدا) وقع في رواية أبي أسامة عن هشام في أوله " وهو محاصر الطائف يومئذ " قوله (فعليك) هو إغراء معناه احرص على تحصيلها والزمها. قوله (غيلان) في رواية حماد بن سلمة " لو قد فتحت لكم الطائف لقد أريتك بادية بنت غيلان " واختلف في ضبط بادية فالأكثر بموحدة ثم تحتانية وقيل بنون بدل التحتانية حكاه أبو نعيم، ولبادية ذكر في المغازي، ذكر ابن إسحاق أن خولة بنت حكيم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إن فتح الله عليك الطائف أعطني حلي بادية بنت غيلان

وكانت من أحلى نساء ثقيف ، وغيلان هو ابن سلمة بن معتب بمهملة ثم مثناة ثقيلة ثم موحدة ابن مالك الثقفي، وهو الذي أسلم وتحته عشر نسوة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار أربعا ، وكان من رؤساء ثقيف وعاش إلى أواخر خلافة عمر رضي الله عنه. قوله (تقبل بأربع وتدبر بثمان) قال ابن حبيب عن مالك معناه أن أعكانها ينعطف بعضها على بعض وهي في بطنها أربع طرائق وتبلغ أطرافها إلى خاصرتها في كل جانب أربع. ولإرادة العكن ذكر الأربع والثمان. فلو أراد الأطراف لقال بثمانية.

قال أبو عبد الله [1] تقبل بأربع يعني بأربع عكن ببطنها فهي تقبل بهن، وقوله وتدبر بثمان يعني أطراف هذه العكن الأربع لأنها محيطة بالجنب حين يتجعد . ثم قال : وإنما قال بثمان ولم يقل بثمانية – وواحد الأطراف مذكر – لأنه لم يقل ثمانية أطراف.

وحاصله أن لقوله ثمان بدون الهاء توجيهين إما لكونه لم يصرح بلفظ الأطراف وإما لأنه أراد العكن، وتفسير مالك المذكور تبعه فيه الجمهور، قال الخطابي: يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت رؤيت مواضعها بارزة متكسرا بعضها على بعض وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبيها ثمانية. وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء، وجرت عادة الرجال غالبا في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة، وعلى هذا فقوله في حديث سعد " إن أقبلت قلت تمشي بست، وإن أدبرت قلت تمشي بأربع " كأنه يعني يديها ورجليها وطرفي ذاك منها مقبلة وردفيها مدبرة، وإنما نقص إذا أدبرت لأن الثديين يحتجبان حينئذ. وذكر ابن الكلبي في الصفة المذكورة زيادة بعد قوله وتدبر بثمان " بثغر كالأقحوان، إن قعدت تثنت، وإن تكلمت تغنت. وبين رجليها مثل الإناء المكفوء " مع

---

(1) أي البخاري رحمه الله تعالى.

شعر آخر. [١] وزاد المديني من طريق يزيد بن رومان عن عروة مرسلا في هذه القصة" أسفلها كثيب وأعلاها عسيب"،[٢] قال المهلب: إنما حجبه عن الدخول إلى النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التي تهيج قلوب الرجال فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس فيسقط معنى الحجاب.

وفي سياق الحديث ما يشعر بأنه حجبه لذاته أيضا لقوله " لا أرى هذا يعرف ما هاهنا " ولقوله " وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة، فلما ذكر الوصف المذكور دل على

---

[١] ذكر الواقدي وابن الكلبي: أن هيتا المخنث قال لعبد الله ابن أبي أمية المخزومي وهو أخو أم سلمة لأبيها وأمه عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وهو في بيت أخته أم سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع: إن افتتحتم الطائف فعليك ببادية ابنة غيلان بن سلمة الثقفي فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان مع ثغر كالأقحوان إن جلست تبنت وأن تكلمت تغنت بين رجليها مثل الإناء المكفوء وهي كما قال قيس بن الحطيم:

تغترف الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجهها نزف
بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة ولا قضف
تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت رويدا تكاد تنقصف

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لقد غلغلت النظر إليها يا عدو الله ثم أجلاه عن المدينة إلى الحمى قال: فلما افتتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بزيهة.[التمهيد لابن عبد البر، ج ٢٢ ص ٢٧٦]

[٢] قال: إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك ببادية بنت غيلان بن مغيث، فإنها مبتلة هيفاء، شموع نجلاء، إن قامت تثنت، وإن قعدت تبنت، وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كالأقحوان، وثدي كالرمان، أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب.(تحفة العروس ص٢٢٨)

أنه من أولي الإربة فنفاه لذلك "ويستفاد منه حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن، وهـذا الحديث أصل في إبعاد من يستراب به في أمر من الأمور.[١]

ـ رجل يصف امرأة لسعد بن أبي وقاص :

عن مجاهد عن عامر بن سعد قال: خطب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه امرأة بمكة فقال: ليت عندي من رآها، ومن يخبرني عنها، فقال رجل مخنث: أنا أنعتها لك: إذا أقبلت قلت: تمشي على ست، وإذا أدبرت قلت: تمشي على أربع.

قال ابن الأثير: إن سعداً خطَبَ امرأةً بمكة فقيل: إنَّها تَمْشي علـى سِـتٍّ إذا أقْبلت، وعلى أربع إذا أدْبَرت يعني بالسِّت يَدَيها وثَدْييها ورِجْلَيها: أي أنها لعظَم ثَدْيَيها ويَدَيها كأنها تَمْشِي مُكبَّة. والأربعُ رجلاها وإلْيتاها، وأنهما كادتا تَمسَّان الأرضَ لعِظمِهما، وهي بنتُ غَيْلانَ الثَّقَفيَّة التي قيل فيها: تُقْبل بأربَع وتُدْبر بثَمان، وكانت تحتَ عبد الرحمن بن عوف.[٢]

وقال ابن قتيبة: وأما قوله: إذا أقبلت تمشي على ست، وإذا أدبرت قلت: تمشي على أربع، فإنه يريد أنها عظيمة الخلق فإذا أدبرت رأيتها كالمكبة لعظم أردافها، فقلـت: تمشي على أربع، وإذا أقبلت رأيتها كالمستلقية، وتحرك منها ثدياها لعظمهما وارتفاعهما، ومنكباها ورجلاها، فكأنها بحركة هذه الست تمشي على ست.[٣]

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٤٠٣ ــ ٤٠٦

[٢] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة: {ستت} / لسان العرب، مادة: ستت

[٣] غريب الحديث لابن قتيبة ج١ص٣٩١ ــ ٣٩٢

المبحث الثاني

دفع العنوسة عند غير العرب

١ ـ الكتابة إلى الصحف

٢ ـ الاتصال بالسماسرة

٣ ـ استعمال المثيرات كالأصباغ والروائح

٤ ـ تكوين نقابات وجمعيات تساهم في حل المشكلة

٥ ـ تعليق ورقة على الصدر

المبحث الثاني

دفع العنوسة عند غير العرب

كانت أوربا تمارس دفع العنوسة وذلك قبل طوفان الإباحية الذي اجتاحها الآن، فالآن العنوسة في أوربا ليست مشكلة، لإمكانية قضاء الأوطار في أي لحظة ومع من يشاء أحدهم سواء أكان زنا أو لواطا أو سحاقا، بينما كانت أوربا في السابق لها اهتمام بالزواج وتعظيم قدر العفة وتنهى عن الزنا وتعاقب الزانيات وتمارس تعدد الزوجات.[١]

وكثرة النساء لا يعاني منها العالم الإسلامي فحسب فكذلك العالم الغربي، ففي فرنسا مثلا : أكد تقرير المعهد الفرنسي للإحصاء تراجع نسب الزواج بين الفرنسيين للعام الثاني على التوالي وكانت النسبة قد سجلت انخفاضا عام ١٩٩٢ م- حيث تدنت بمقدار ٣%، وارتفعت نسب رفض الزواج في الثلث الأول من عام ١٩٩٣م حيث بلغ الانخفاض ٧% عن الفترة نفسها من عام ١٩٩٢م كما أن نسبة ٥٠% من الزيجات التي تمت عام ١٩٩٣ م كانت غير فرنسية خالصة، وإنما زيجات مختلطة، أغلبها لرجال من شمال أفريقيا "تونس، المغرب، الجزائر" وسيدات فرنسيات.

ولم تمثل نسب زواج الفرنسيين من أوربيين أكثر من ٢٥% من مجموع الزيجات. كما أن ثلث النساء اللائي بلغن الخامسة والعشرين عازبات في مقابل امرأة واحدة من كل بلغن الخامسة والثلاثين لم تتزوج، بعد وتبذل الحكومة الفرنسية جهودا كبيرة لتشجيع الشبان والشابات على الزواج، حيث تخصص لهم إعانات للطفلين الأول والثاني

١

---

(١) انظر غنية المحتاج إلى بناء الأسرة وأنواع الزواج

بشكل تصاعدي ولكن لم تفلح هذه المجهودات في إقناع الفرنسيين بالإقبال على الزواج.[١]

وكان دفع العنوسة عند غير العرب من أعلاج أوربا ونحوهم على النحو التالي:

١ـ الكتابة إلى الصحف:[٢]

أخذت بعض النساء تعلن عن رغبتها عن الزواج على الجرائد ومن أمثلة هذه الإعلانات المطالبة بـ :

أ ـ سن قانون يبيح تعدد الزوجات

بعثت فتاة إلى رئيس إحدى الصحف بالخطاب الآتي: إنني أبلغ من العمر الثانية والثلاثين، وأعيش من كدي وثمرة مجهودي في الحياة ، وليس لي ما أشكو منه إلا أنني محرومة من الأطفال ، وأنت تعلم يا سيدي أن عدد الرجال بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ــ ١٩١٨م) قد انخفض، ولا سبيل إلى التوازن ما دام للرجل امرأة واحدة. أفليس من الواجب على الحكومة إذن أن تسن قانونا تبيح فيه تعدد الزوجات.

وما دمت أحدثك عن نفسي فأقسم لك أنني إذا سن هذا القانون وشاركني في حياة زوجي نساء أخريات لن تجد الغيرة إلى قلبي سبيلا بل لن أطمح إلى معرفة الزوجة أو الزوجات اللاتي يتخذهن بعلي، بل حسبي أن تكون حياتي معه شريفة ، وأن أرزق منه أطفالا تقر بهم عيني.[٣]

---

[١] نقلا عن كتاب: تفشي العنوسة – أسبابها – آثارها، الباب السابع من كتاب تعدد الزوجات، تأليف : الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي

[٢] بدأت بعض المجلات في بعض البلدان العربية تكتب عن خاطب يرغب في زوجة صفاتها كذا وكذا ويذكر ما يريد من صفات، وبنت ترغب في زوج صفاته كذا وكذا وتذكر ما تشاء من صفات.

[٣] الزواج لكحالة ج ١ ص ١٢٥ ــ ١٢٦ وعزاه لمجلة فتاة الشرق السنة ٢٨ عدد ٨

ب ـ الإغراء بالمال:

كتبت إحدى النساء عن نفسها قائلة: إنها بنت يتيمة ورثت عن أبيها وعن جدها أموالا طائلة وجمالها غير باهر، على أنها مقبولة، أما عيناها فجذابتان، ترغب الاقتران بفقير جميل جاهل. (١)

وقالت أخرى : إنها ذات حسب ونسب وجمال فتان، ومن يتقدم لخطبتها مستحقا لقبض نصف مليون كرون. (٢)

وكتبت ثالثة: إني أرملة في سن الأربعين، أحمل شهادات من زوجي الموحوم بحسن أخلاقي كل ثروتي وقف لمن يقترن بي، بشرط أن يكون أرملا مثلي، حاملا من زوجته المرحومة نفس الشهادات المعلنة بأمانته وإخلاصه. (٣)

٢ ـ الاتصال بالسماسرة:

أوضحت إحصائيات أجريت في النمسا عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨م) أن زيادة النساء بلغت حدا جعلهن يعلن عن أنفسهن للزواج بأحد الرجال. وأما اللواتي قطعن سن الثلاثين وهن من الموسرات فإنهن يسعين للزواج بواسطة سماسرة مخصصين يتعاطون أجرة باهظة ثمن أتعابهم. (٤)

٣ ـ استعمال المثيرات كالأصباغ والروائح:

طرح في البرلمان الإنجليزي سنة ١٧٧٠م اقتراح طلب مناقشة النواب فيه وإقراره، وقد وافق عليه جميع الأعضاء بدون استثناء وأضافوه إلى مواد قانون الدولة

---

(١) الزواج لعمر كحالة ج١ص٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٢) الزواج لعمر كحالة ج١ص٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٣) الزواج لعمر كحالة ج١ص٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٤) الزواج لعمر كحالة ج ١ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١

العام، وهو : كل امرأة مهما كان هويتها ومنزلتها وسنها، وكل امرأة سواء أكانت متزوجة أو أرملة أو صبية، أو فتاة بعد طبع ونشر هذه المادة في الجريدة الرسمية تحاول بواسطة الروائح العطرة وطلاء الخدين بالأحمر، أو بالأدهنة المختلفة، أو بواسطة الشعر المستعار، أو الحذاء العالي الكعبين، استهواء أحد رعايا صاحبة الجلالة للتزوج منها تعاقب كخداعة مغرية، والحكومة تفسخ كل زواج جاء عن طريق الاستهواء والاجتذاب بواسطة التبرج والروائح العطرية التي تؤثر على شعوره وتجعله ينقاد لها طائعا، ويجوز من الآن فصاعدا استعمال الروائح العطرية في المآتم فقط لأنه لا يخطر ببال أن المرأة مهما كانت فاسدة الأخلاق تبحث لها عن فريسة توقعها في شراكها وهي في حلة الحزن والأسى من الرجال الذين يحضرون الجنازة.[1]

٤ـ تكوين نقابات وجمعيات تساهم في حل المشكلة :

بلاد أوربا هي بلاد العجائب والغرائب ، تجد فيها كل ما يخطر ببالك ، فالبغاء الذي كان يعتبر في السابق انحرافا قبل عقود من الزمان صار لا غبار عليه ، والبغايا اللاتي يجب عليهن أن يطأطأن رؤوسهن نجدهن يرفعنها عالية ويسيرن مظاهرات في الطريق يطالبن باحترامهن وتوفير حقوقهن المهضومة والاعتراف بشرف المهنة وتجلى ذلك في ثورة الداعرات التي اجتاحت فرنسا وغيرها من الدول يطالبن بالاحترام الاجتماعي ووضع حد لاضطهاد رجال الأمن لهن وإعادة فتح الفنادق المعدة للبغاء. وقد قام ثمانون منهن بمظاهرة داخل مدينة ليونز ثم دخلن إحدى الكنائس واعتصمن فيها ولقين الدعم والتأييد من جماعة ذكور شاذين. وكذلك اعتصم أكثر من خمسمائة مومس في باريس في

[1] الزواج لعمر كحالة ج١ص٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

إحدى كنائس العاصمة ، وقامت مجموعة أخرى باحتلال كنيسة أخرى وهن يطالبن بما أسمينه بحقوق المهنة وحمايتها. [١]

وكذلك القبيحات من النساء والدميمات وهن غالبا من النساء العوانس أعلن عن تكوين جمعية خاصة بهن تعنى بحقوقهن وتعكس بعض فضائلهن وخفايا مميزاتهن ، التي غابت عن الرجال الذين ينظرون إلى الجمال فقط، وهن يرين أنفسهن أفضل من النساء الجميلات لأن الجميلات متكبرات ومتعجرفات، وهن خلاف ذلك، فعلى الراغب في الزواج أن يتزوج إنسانا ذا خلق ولا يتزوج دمية يراعي فيها الجمال المحض، فالجميلة هي الدمية وهن ذوات الأخلاق. [٢]

٥ ـ تعليق ورقة على الصدر :

عندما توشك الفتاة في سيام أن تصير عانسا، تعلق على صدرها ورقة يستدل منها على أنها لا تزال بكرا، فتصبح في عهدة الملك الذي يعنى عناية خاصة بتزويجها، فيطلق سراح أي سجين يريد أن يتزوجها، لأن الشريعة في سيام تسمح بتعدد الزوجات. [٣]

---

[١] من نافذة الإباحية ص٧١ ، وعزاه إلى مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٧٠ ص٣٥

[٢] انظر: الزواج لعمر رضا كحالة

[٣] الزواج لكحالة ج١ص٣١٧، وعزاه لمجلة العروسة عدد ٢٩ إبريل ١٩٢٥م

الفصل الثالث

العلاج الوقائي للعنوسة

المبحث الأول

العلاج الوقائي من المجتمع

المبحث الثاني

العلاج الوقائي من الأسرة

المبحث الثالث

العلاج الوقائي من الفتاة العانس

المبحث الرابع

العلاج الوقائي من الفتى العانس

المبحث الأول

العلاج الوقائي من المجتمع

١ ـ تجفيف أماكن الفساد بتطبيق شرع الله

٢ ـ قيام ندوات ومحاضرات عن أهمية الزواج ومخاطر العنوسة

٣ ـ تقليل المهور

٤ ـ الاستفادة من التاريخ وتجارب الأقدمين في تعاملهم مع ظاهرة العنوسة

المبحث الأول

العلاج الوقائي من المجتمع

١ـ تجفيف أماكن الفساد بتطبيق شرع الله :

بعض الناس يرغب في الفساد ويريده ولكن يحجزه عنه خوف الفضيحة ومعرفة حقيقة أمره وانتشار شأنه بين الناس ومن مقاصد الشريعة أن جعلت عقوبة الزناة أمام ملأ من الناس للتشهير بهم قال الله تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

فلو طبقت البلاد الإسلامية شرع الله عز وجل فأغلقت مواخير البغاء وحانات الخمر والمراقص والملاهي والنوادي الليلية ومنعت الإعلان والمجاهرة بالفواحش وأقيمت الحدود على الزناة لارتدع الناس عن الفواحش وتركوها خوفا على أنفسهم من العقوبة والتشهير بين الناس مع حبهم وإرادتهم لها وتعلقهم بها ولكن يمنعهم عجزهم عنها ويحول بينهم وبينها عدم مقدرتهم عليها.

ولو منعت الحكومات الاختلاط في الجامعات ودواوين الحكومة لقل اللقاء بين الذكور والإناث ولقلت الفواحش ولفكر أصحاب الفواحش في الاستعاضة عنها بالزواج.

٢ـ قيام ندوات ومحاضرات عن أهمية الزواج ومخاطر العنوسة

قد يكون كثير من الناس في غفلة عن خطر العنوسة المحدق بالمجتمع وفي عدم تفكير في هذا الطوفان العارم المحيط بنا وذلك للأسباب الآتية :

---

[1] سورة النور آية : ٢

أ ــ أن يكون بعض هؤلاء الناس عندهم عدم تصور أن تكون العنوسة خطــرا ، ومشكلة لها أثر كبير في تغيير المجتمع وزعزعته ، وما المشكلة في ألا تجد الفتيات الزواج.

ب ــ أن يكون هؤلاء الناس بعضهم عقيمون ليس لهم بنات من أصلابهم.

ج ــ أن تكون بنات هؤلاء الناس قد تزوجن فيرون بعد الأمر عنهم وأن شــأن هؤلاء الفتيات غير المتزوجات ليس من شأنهم ولا يهمهم أمرهن.

د ــ أن تكون أسرة ناشئة ليس لها أطفال أو لهم بنات صغار فــيرون أنفســهم بمعزل عن مشكلة العنوسة.

فأمثال هؤلاء الناس وغيرهم قد تفيدهم المحاضرات التي تتحــدث عــن أهميــة الزواج ووجوب تسهيل أمره وتخفيف المهور وخطر العنوسة.

كما يراعي في هذا الشأن انعقاد ندوات يدعى لها متباينو الأفكار لإثراء النقــاش فيها وتكون منصبة عن أهمية الزواج ومضار العنوسة ، وعقبات الزواج الحالية وأســباب عزوف الشباب عنه ومناقشة ما طرح من أسباب العنوسة الخاصة بــالمجتمع والأســباب الخاصة بالفتيات والأسباب الخاصة بالفتيان وإسهام الأسر في عنوســة أبنائهــا وبناهــا وواجبها حيال هذا الخطر الداهم ، ويدعى لهذه الندوات مجموعة من أصحاب الشأن من الشباب غير المتزوجين.

كما لا يفوتنا قيام سمنارات ومعارض تعرض فيها لوحات مكتوبــة عــن أهميــة الزواج وأضرار العنوسة وحصر لجرائم الزنا والاغتصاب في المجتمعات المنفتحة التي تقلل من الزواج ولا قمتم بالعفة وحصر لأعداد العوانس والعانسين في المجتمع.

ومن الندوات التي عقدت ندوة على موقع: إسلام أون لاين[1] شارك فيها عدد من المشاركين عن التعدد وكان المشاركون ما بين موافق ومعترض عليه وإليك نص الندوة: "بعدما وصلت العنوسة إلى كل البيوت؛ فلن أقف في طريق زوجي أبدا، بل أنا التي سأدفعه أن يستعد للزواج بأخرى، فغيرتي على ديني أكبر من غيرتي على زوجي...".

جاء ذلك على لسان مشاركة سمت نفسها "شهيدة" بساحة الحوار في "إسلام أون لاين.نت" حول قضية العنوسة التي تعدت المشاركات فيها ١٤٠ مداخلة.

وفي الوقت الذي حاولت فيه المشاركة "شهيدة" تقديم حل لأزمة العنوسة في العالم العربي، ثار في وجهها أغلب النساء المشاركات في الحوار، واعتبرن فكرة التعدد غير متفقة مع طبيعة المرأة رغم أن الإسلام أقرها، فتقول دينا: "لنبتعد عن العبارات الرنانة، ولننظر للطبيعة البشرية التي فطر الله المرأة عليها، إنها لا ولن تتقبل فكرة زواج زوجها بأخرى. فإن كان هناك إيجابيات للتعدد في حل مشكلة العنوسة فمساوؤه كثيرة، ومنها: ضياع الأسرة الأولى، وتشرد الأولاد، وعدم العدل بين الزوجات"، وتتساءل "إشراقة" باستنكار: "كيف ترضين أن تقسمي حياة زوجك قسمين؟ كيف ترضين أن تقسمي قلبه؟!".

ولم تثن ردود البعض "شهيدة" عن قناعتها؛ حيث عادت في مداخلة أخرى لها لتقول: "ليس من حق الزوجة أن تحرّم شيئا أحله الله، فالله سبحانه وتعالى يبيح ما طاب من النساء، ثم نأتي نحن ونشرع غير ذلك؛ لأنه لا يتفق مع هوانا! فالتعدد سنة، والطلاق من أبغض الحلال إلى الله".

---

[1] أحمد فتحي- إسلام أون لاين.نت/ ١٩-٨-٢٠٠٢

وتنهي "شهيدة" كلامها قائلة: "لن أغير فكري ما دام الإسلام ديني ما حييت"، وأيدت وجهة نظر شهيدة مشاركة اسمها "أم سارة" قائلة: "بارك الله فيك يا شهيدة، أقول للرافضين والمجادلين لموضوع التعدد: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [1]

العانس تتحدث

ودفع الجدال حول التعدد العوانس إلى طرح معاناتهن النفسية فتقول إحداهن في مشاركة لها: "نعم، ما أعظم وأعدل الإسلام! وما أتعس القوانين والأعراف الدخيلة علينا من الغرب! فلو كان التعدد مقبولا في مجتمعي لما بقيت فتاة مثلي عانسا تتعذب وتذوق الأمرّين، سواء من نظرة الناس لها أو من معاناتها الشديدة كإنسانة تتشوق لزوج وأطفال، الحقيقة إني إنسانة محكوم عليّ بالموت حياتيا".

وكذلك فإن تداعيات العنوسة تلقي بظلالها الكثيفة على جميع أفراد الأسرة فيقول "عمرو السالم" أحد المشاركين: "بالنسبة للأب يتعرض لكثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية بسبب ابنته العانس، ويلجأ لأساليب لاشعورية تخفف عنها، ومن ذلك أن يترك لابنته الحبل على الغارب بدعوى أن كثرة خروج ابنته ورؤية الآخرين لها قد تدفع أحد الشباب إلى الاقتران بها، وحال الأم أتعس من حال الأب فهي تعيش هذه المشكلة بكامل طاقتها وعصبيتها وقلقها واكتئابها، أما حال الابنة الصغرى فتصورها أنها قد يأتي عليها الدور مثل أختها العانس، وقد يدفعها ذلك إلى ابتكار طرق مختلفة لجذب أنظار الشباب".

التعاون والتكافل بديلان للتعدد

---

[1] سورة الأحزاب آية ٣٦

من جهته يرى عبد الرحمن أن التعاون والتكافل سيحلان مشكلة العنوسة بعيدا عن التعدد وتبعاته فيقول: "الأولى بهذا الزوج الذي يفكر في التعدد أن يفكر بإخوانه من الشباب، ويساعد في تزويجهم ليساهم بذلك في بناء الجيل المؤمن".

ويخاطب عبد الرحمن المشاركة "شهيدة" قائلا: "أختاه، إن كنت فعلا تبغين الخير لنفسك ولزوجك فأنصحكما بالعدول عن فكرة التعدد، وليكن قسم من معاش زوجك -الذي كان سيصرفه على الزوجة الأخرى- ليكن ذلك مساعدة شهرية للعائلة المسلمة".

أما زهراء فتقول: "أرى أنها حلقة مفرغة، جزء من حلها العودة للنظام الإسلامي من التكافل فلو قامت مؤسسات إسلامية بدعم الشباب ماديا ونفسيا، ولو قلل الأهالي من المهور والمتطلبات التي تثقل كاهل الشاب فضلا عن إرهابه -لأسفر ذلك عن انخفاض نسبة العنوسة".

أين الواحدة حتى أعدد؟

لم يخل النقاش من تعجب بعض الشباب من فكرة التعدد في ظل صعوبة الزواج أصلا بواحدة مع تكاليف الحياة المرهقة فيقول محمد: "كيف تتكلمين عن العنوسة وأولياء الأمور يطالبون بشروط تعجيزية تقف حائلا أمام الزواج الأول فقط مثل: شقة – شاب وسيم – موظف – أهله ناس طيبون – شاب ذو أخلاق عالية – مهر لا نقدِر عليه فكيف نقدر على كل ذلك؟!!".

أما أبو البراء فيشير إلى أن أزمة العنوسة ترجع إلى غلاء المهور الذي أصبح أشبه بالتجارة. تأخير النساء للزواج بحجة إكمال الدراسة، رفض النساء -بدافع الغيرة- لما أباح الله وهو التعدد الذي ساهم الإعلام في التنفير منه وجعله بمثابة خيانة الزوج لزوجته.

أصوات تنادي بالتعدد

في الوقت نفسه فإن "أونلي مسلم" يرى في مداخلة له وجوب التعدد ويقول: "التعدد يحمي المجتمع من مشكلات كثيرة، ويقلص ظواهر سيئة فيه: مثل: العنوسة، وانتشار الزنا".

ويضيف قائلا: "أتحدى أن تجد امرأة تفضل العنوسة مدى الحياة على أن تكون زوجة ثانية"، ويتساءل: ما هو الحل الشافي لوجود مئات الآلاف من نساء المسلمين اللاتي فقدن أزواجهن في الحروب المختلفة في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان والبوسنة وكوسوفا؟ ألا ترون أن التعدد قد يكون فرضا على المسلمين في مثل هذه الحالات؟ ألا تشكل هذه الأعداد الهائلة من النساء بدون أزواج قنبلة موقوتة في جسد العالم الإسلامي، وخامة مناسبة لانتشار الرذيلة في مجتمعاتنا؟!".

٣ - تقليل المهور:

البنت ليست سلعة تباع، فكثير من اللذين أهمتهم عنوسة بناتهم وأقضت مضاجعهم وخشوا عليهن فوات قطار الزواج إذا تقدم لهم متقدم ينسون ما مضى من معاناتهم ومعاناة بناتهم فيشترطون على هذا المتقدم شروط تعجيز يريدون منها إثبات حرارة سوق ابنتهم وطمعا في أن يوفر لهم ما يطلبون فيقولون: نشترط كذا ونريد كذا وفي حقيقة الأمر لو صبر هذا الخاطب قليلا لجاء إليه أولياء المرأة وطلبوا يده ولكان هو الذي يشترط عليهم لا هم.

فيا أيها الآباء اتقوا الله في بناتكم فطمعكم يجعلهن حبيسات بيوتكم وقعيدات منازلكم فبسبب غلاء المهور عزف كثير من الشباب عن الزواج مؤثرا قضاء وطره عن طريق الفاحشة مفضلا لها على زوجة تكلفة كلفة كبيرة لا يستطيع قضاءها، وإن استدان عجز عن الوفاء بدينه، فهو لا يريد أن يكون رهين ديونه لسنوات تطول كما أن بعض

الشباب حزم أمتعته بسبب غلاء المهور ليأتي بزوجة أقل تكلفة من بلد من بلاد المسلمين الفقيرة كالهند والبوسنة وألبانيا وغيرها.

فلنعلم ولنُعلم الآباء وأولياء أمور الفتيات والفتيات أنفسهن والفتيان العازبين: أن غلاء المهور سبب رئيس في عنوسة كثير من الفتيات وعزوف كثير من الشباب عن الزواج.

وكان في السابق المهر شيئا بسيطا كخاتم ونحوه بل إن بعض النساء تطلب من زوجها المرتقب أن يسلم فتشترط المرأة إسلام الزوج أو التزامه كما فعلت أم سليم مع أبي طلحة الأنصاري فعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا قَالَ ثَابِتٌ فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ الْإِسْلَامَ فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ.[١]

كما أن يسر المهر وقلته من علامة يمن المرأة: عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً [٢]أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً.[٣]

٤ـ الاستفادة من التاريخ وتجارب الأقدمين في تعاملهم مع ظاهرة العنوسة:

معرفة الأمثلة والنماذج المماثلة للمشكلة تساعد في حلها ومن ضمن ما أوصى به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري رضي الله عنه في رسالة القضاء المشهورة معرفة الأشباه والأمثال وقياس الأمور عليها، فعن أبي المليح قال

---

[١] سنن النسائي، كتاب: النكاح، باب: التزويج على الإسلام، حديث رقم: ٣٢٨٩

[٢] قال ابن القيم : وتضمن أن المغالاة في المهر مكروهة ، في النكاح وأنها من قلة بركته وعسره. [زاد المعاد ـ ج٥ص١٧٨]

[٣] مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، حديث رقم: ٢٣٩٦٦

كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى: أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم وآس بين الناس في مجلسك، والفهم الفهم فيما يختلج في صدرك ما لم يبلغك في الكتاب والسنة، واعرف الأشباه والأمثال. (١)

ومن أهم ما يعرف به حل المماثل من الحوادث والملمات والمدلهمات التاريخ وهو مدرسة يجب الاستفادة منها ، قال قائلهم عن الاستفادة من التاريخ:

من لم يع التاريخ في صدره   لم يدر حلو العيش من مره
ومن وعى أخبار من قد مضى   أضاف أعمارا إلى عمره

فالبشرية في تاريخها الطويل، حدثت بها حوادث كثيرة وألمت بها ملمات من أهمها الحروب التي يسعرها الرجال لأنهم وقودها وكتب القتل عليهم وعلى الشق الآخر من الغواني جر ذيله قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

كتب القتل والقتال علينا   وعلى الغانيات جر الذيول(٢)

فيموت الرجال في الحروب وتصير النساء أيامى ولذا قيل: الحرب مأيمة، أي: يقتل فيها الرجال فتبقى النساء بلا أزواج. (٣)

فكيف كان تعامل السابقين مع حوادث الحروب وموت الرجال وصيرورة كثير من النساء بلا أزواج لفقدهم الأزواج في الحروب؟

كما أن من المعروف أن زيادة النساء واقع ملموس وظاهرة مشاهدة منذ بدء الخليقة وهي علامة من علامات الساعة الصغرى فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا

---

(١) كنز العمال، حديث رقم: ١٤٤٤٢/ كشف الخفاء، حديث رقم: ٢٣٠١

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ٥٤ـ٥٥

(٣) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ج١ص٣١٥ـ٣١٦ / مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٢٨٤

لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ. [١]

قال ابن حجر : قوله : (وتكثر النساء) قيل سببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء . وقال أبو عبد الملك : هو إشارة إلى كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل الواحد عدة موطوءات . قلت : وفيه نظر ، لأنه صرح بالقلة في حديث أبي موسى الآتي في الزكاة عند المصنف فقال : " من قلة الرجال وكثرة النساء " والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر ، بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث ، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم . وقوله : " لخمسين "[٢] يحتمل أن يراد به حقيقة هذا العدد ، أو يكون مجازا عن الكثرة . ويؤيده أن في حديث أبي موسى: " وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة ". قوله : (القيم) أي من يقوم بأمرهن ، واللام للعهد إشعارا بما هو معهود من كون الرجال قوامين على النساء.[٣]

فعلينا أن نعلم أن جنس النساء يمشي في كثرة وزيادة مطردة أكثر من الرجال بمراتب كبيرة جدا ، كما علينا أن نستفيد من تجارب السابقين في تعاملهم مع موت الرجال وكثرة النساء.

---

[١] صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل. حديث رقم : ٧٩

[٢] قال ابن حجر: قوله (القيم الواحد) أي الذي يقوم بأمورهن . ويحتمل أن يكنى به عن اتباعهن له لطلب النكاح حلالا أو حراما . [فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٣٩٩]

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١ ص ٢٢٦

المبحث الثاني

العلاج الوقائي من الأسرة

١ ـ وضع مغريات لابنتهم حتى يرغب فيها

٢ ـ عرض بناتهم على الصالحين

٣ ـ الاهتمام بالتربية

٤ ـ معرفة الأسباب الحقيقية لعزوف الأبناء عن الزواج

٥ ـ السعي نحو تزويج الأبناء وعدم ربط زواجهم بالبنات اللاتي لم يتزوجن

٦ ـ الاستعاذة بالله من بوار الأيم

٧ ـ التحذير من رد الأكفياء من الأزواج

٨ ـ تخفيف المهور والتعاون عليها

٩ ـ إفهام الفتاة عظم مكانة الزوج وأهميته لئلا تفرط فيه إن ظفرت به

١٠ ـ إلحاق البنت بمن تهوى

المبحث الثاني

العلاج الوقائي من الأسرة

١ـ وضع مغريات لابنتهم حتى يرغب فيها :

على ولي أمر الفتاة أن يعلم أن كثيرا من الراغبين في الزواج يريدون منفعة من زواجهم وبخاصة في هذا الطوفان العارم للعنوسة ويعلم المتقدمون تمام العلم أن الآباء وأولياء أمور الفتيات مكتوون بجلوس فتياهم في البيوت، وأن جلوس فتياهم من غير زواج ينضج أكبادهم ويوري أجوافهم، ولذا يطمعون في هذه الأسر التي تريد تخليص بناها من العنوسة، أن ينالوا من هذا الزواج كأن يكون للفتاة بيت أو سيارة أو شيء مادي يحفزهم على الإقدام على الزواج منها وبخاصة إذا تقدمت الفتاة في العمر ودخلت في مرحلة العنوسة، والاستفادة المادية من الزوجة لا غبار عليها، بل من مقاصد الزواج ومن المرغبات فيه كما جاء في السنة المطهرة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ. [١]

قال ابن حجر: في هذا الحديث دليل على أن للزوج الاستمتاع بمال الزوجة، فإن طابت نفسها بذلك حل له وإلا فله من ذلك قدر ما بذل لها من الصداق وتعقب بأن هذا التفصيل ليس في الحديث ولم ينحصر قصد نكاح المرأة لأجل مالها في استمتاع الزوج، بل قد يقصد تزويج ذات الغنى لما عساه يحصل له منها من ولد فيعود إليه ذلك

---

[١] صحيح البخاري، كتاب النكاح، كتاب: الأكفاء في الدين، حديث رقم: ٤٧٠٠/ صحيح مسلم: كتاب الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، حديث رقم: ٢٦٦١

المال بطريق الإرث إن وقع، أو لكونها تستغني بمالها عن كثرة مطالبته بما يحتاج إليه النساء ونحو ذلك.[١]

وقال القاضي عياض: في قوله تنكح المرأة لمالها دليل على أن للرجل الاستمتاع بمال الزوجة وإلا فكانت كالفقيرة، ولم يكن لهذا الكلام فائدة. وإن كان استمتاعه عن طيب نفس منها فذلك مما لا إشكال في جوازه، وإن امتنعت فله بمقدار ما بذل من الصداق.[٢]

وقد طبق الاستفادة المادية بعض السلف الصالح، فهذا أبو طاهر السلفي تزوج امرأة من الإسكندرية فاستفاد منها استفادة مادية وصلح حاله بعد فقر مدقع.[٣]

٢ ـ عرض بناتهم على الصالحين:

كان السابقون يعرضون بناتهم ومولياتهم على الصالحين، رغبة منهم في مصاهرة أمثالهم وأحيانا يكون العرض إيثارا لهؤلاء الصالحين بهذه البنات لمزايا فيهن كالجمال وغيره من الأشياء المرغبة للرجال في النساء، جاء في الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنَةٌ لِي كَذَا وَكَذَا ذَكَرَتْ مِنْ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا فَآثَرْتُكَ بِهَا فَقَالَ قَدْ قَبِلْتُهَا فَلَمْ تَزَلْ تَمْدَحُهَا حَتَّى ذَكَرَتْ أَنَّهَا لَمْ تَصْدَعْ وَلَمْ تَشْتَكِ شَيْئًا قَطُّ قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِي ابْنَتِكِ.[٤]

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٦٤

[٢] الإكمال للقاضي عياض نقلا عن تحفة العروس ص٥٦

[٣] خرج أبو طاهر السلفي من بغداد إلى مصر وسمع بها واستوطن الإسكندرية وتزوج بها امرأة ذات يسار وحصلت له ثروة بعد فقر وصارت له بالإسكندرية وجاهة. (سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٢٥ / البداية والنهاية لابن كثير، ج ١٢ ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨)

[٤] مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، حديث رقم: ١٢١٢٠

ولنمثل لعرض البنات على الآخرين بالآتي:

أ- الرجل الصالح يعرض ابنته على موسى عليه السلام:

قال الله تعالى عن فرار موسى من فرعون وتوجهه تلقاء مدين ومقابلته لفتاتين تسقيان من البئر وسقيه لهما ثم دعوة أبيهما له وذهابه مع إحداهما إلى البيت وعرض والد الفتاتين على موسى تزويج إحداهما قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[١]

قال السيوطي: أخرج الفريابي وابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ فحدثتاه. فأتى الصخرة فرفعها وحده ثم استقى، فلم يستق إلا دلوا واحدا حتى رويت الغنم. فرجعت المرأتان إلى أبيهما فحدثتاه، وتولى موسى عليه السلام إلى الظل ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾[٢] واضعه ثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها موسى عليه السلام فقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف جسدك. فلما انتهى إلى أبيها قص عليه فقالت إحداهما ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ

---

[١] سورة القصص الآيات ٢٢ــ٢٨

[٢] أخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن أبي الهذيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ قال: جاءت مستترة بكم درعها على وجهها. [الدر المنثور للسيوطي، ج ٥ ص ٢٣٨]

مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ قال: يا بنية ما علمك بأمانته وقوته؟ قالت: أما قوته. فرفعه الحجر ولا يطيقه إلا عشرة رجال، وأما أمانته، فقال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك. فزاده ذلك رغبة فيه فقال ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ إلى قوله ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت قال موسى عليه السلام ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾ قال: نعم. قال ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ فزوجه وأقام معه يكفيه. ويعمل له في رعاية غنمه وما يحتاج إليه، وزوجه صفورا، وأختها شرفا، وهما التي كانتا تذودان. (١)

قال الطبري: عن ابن عباس، قال: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ قال: فأحفظته الغيرة أن قال: وما يدريك ما قوته وأمانته؟قالت: أما قوته. فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه؛ وأما أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة

---

(١) الدر المنثور للسيوطي، ج ٥ ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧

صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت.[1]

وقال السيوطي: أخرج الخطيب في تاريخه عن أبي ذر رضي الله عنه قال "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى؟ فقل خيرهما وأبرهما، وإذا سئلت أي المرأتين تزوج؟ فقل الصغرى منهما.[2] وهي التي جاءت فقالت ﴿ يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ فقال: ما رأيت من قوته؟ قالت: أخذ حجرا ثقيلا فألقاه على البئر قال: وما الذي رأيت من أمانته؟ قالت: قال لي امشي خلفي ولا تمشي أمامي".[3]

وعن ابن مسعود قال: أفرس الناس[4] ثلاثة عزيز مصر حين قال لامرأته أكرمي مثواه والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى ﴿ يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ

---

[1] تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ج ١٠ ص ٦١، حديث رقم: ٢٧٣٧٦

[2] قيل: إن الحكمة في تزويجه الصغرى منه قبل الكبرى وإن كانت الكبرى أحوج إلى الرجال أنه توقع أن يميل إليها؛ لأنه رآها في رسالته، وماشاها في إقباله إلى أبيها معها، فلو عرض عليه الكبرى ربما أظهر له الاختيار وهو يضمر غيره وقيل غير هذا؛ والله أعلم وفي بعض الأخبار أنه تزوج بالكبرى: حكاه القشيري. [تفسير القرطبي (طبع دار الحديث)، ج ١٤ ص ٢٨٣]

[3] الدر المنثور للسيوطي، ج ٥ ص ٢٤٠

[4] أفْرَسُ الناسِ ثلاثةٌ، كَذا وكذا وكَذا: أي أجودهم وأصْدَقُهم فِراسَةً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {فرس} / لسان العرب، مادة: فرس]

﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.(١)

قال ابن العربي: عجبا للمفسرين في اتفاقهم على جلب هذا الخبر والفراسة هي علم غريب علي، وليس كذلك فيما نقلوه؛ لأن الصديق إنما ولى عمر بالتجربة في الأعمال، والمواظبة على الصحبة وطولها، والاطلاع على ما شاهد منه من العلم والمنة، وليس ذلك من طريق الفراسة؛ وأما بنت شعيب فكانت معها العلامة البينة. وأما أمر العزيز فيمكن أن يجعل فراسة؛ لأنه لم يكن معه علامة ظاهرة. والله أعلم.(٢)

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ..الآية﴾(٣) فيه عرض الولي بنته على الرجل، وهي سنة قائمة، عرض صالح مدين ابنته على صالح بني إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان، وعرضت الموهوبة نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم، فمن الحسن عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداء بالسلف الصالح.(٤)

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٢ ص ٣٧٦، حديث رقم: ٣٣٢٠، ج ٣ ص ٩٦، حديث رقم: ٤٥٠٩ / مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٣٥، حديث رقم: ٣٧٠٥٨ / مسند ابن الجعد ج ١ ص ٣٧١، حديث رقم: ٢٥٥٥ / المعجم الكبير ج ٩ ص ١٦٧ ـــ ١٦٨، حديث رقم: ٨٨٢٩ / مجمع الزوائد، كتاب الزهد. باب ما جاء في الفراسة. حديث رقم: ١٧٠٨٧

(٢) تفسير القرطبي (طبع دار الحديث)، ج ٩ ص ١٦٤

(٣) سورة القصص آية ٢٧

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، مجلد ٧ ج ١٣ ص ٢٧١

واختلف المفسرون في صاحب مدين هل هو شعيب أم رجل آخر، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: باب استئجار الرجل الصالح، وقول الله تعالى ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ أشار بذلك إلى قصة موسى عليه السلام مع ابنة شعيب ، وقد روى ابن جرير أن اسم المرأة التي تزوجها موسى صفورة واسم أختها ليا ، وقال غيره إن اسمهما ، صفورا وعبرا ، وأنهما كانتا توأما ، وذكر ابن جرير اختلافا في أن أباهما هل هو شعيب النبي أو ابن أخيه أو آخر اسمه يثرون أو يثرى أقوال لم يرجح منها شيئا. وروي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ قال: قوي فيما ولي أمين فيما استودع . وروي من طريق ابن عباس ومجاهد في آخرين أن أباها سألها عما رأت من قوته وأمانته فذكرت قوته في حال السقي وأمانته في غض طرفه عنها وقوله لها امشي خلفي ودليني على الطريق، وهذا أخرجه البيهقي بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب وزاد فيه " فزوجه وأقام موسى معه يكفيه ويعمل له في رعاية غنمه".[١]

والذي رجحه السعدي رحمه الله تعالى أنه شخص آخر فقال: وهذا الرجل أبو المرأتين صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس ، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون أن شعيبا عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين فأين الملازمة بين الأمرين؟

وأيضا فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب فكيف بشخصه؟ ولو كان ذلك الرجل شعيبا لذكره الله تعالى ولسمته المرأتان، وأيضا فإن شعيبا عليه السلام قد

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٤ ص ٥٣٩

أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم ، بمنعهما عن الماء ، وصد ماشيتهما حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادما له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله أعلم إلا أن يقال: إن هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال فلا يعتمد على أنه شعيب بغير نقل صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

ب ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرض ابنته :

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي فَقَالَ قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا قَالَ عُمَرُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَقُلْتُ إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا قَالَ عُمَرُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا فَلَمْ

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبع مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م الطبعة الأولى ص ٦١٥

أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبِلْتُهَا.(١)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله (حين تأيمت) بهمزة مفتوحة وتحتانية ثقيلة أي صارت أيما، وهي التي يموت زوجها أو تبين منه وتنقضي عدهًا، وأكثر ما تطلق على من مات زوجها. وقال ابن بطال: العرب تطلق على كل امرأة لا زوج لها وكل رجل لا امرأة له أيما، زاد في " المشارق " وإن كان بكرا.

قوله (سأنظر في أمري) أي أتفكر، قوله (قال عمر فلقيت أبا بكر) هذا يشعر بأنه عقب رد عثمان له بعرضها على أبي بكر. قوله (فصمت أبو بكر) أي سكت وزنا ومعنى، وقوله بعد ذلك" فلم يرجع إلي شيئا" تأكيد لرفع المجاز، لاحتمال أن يظن أنه صمت زمانا ثم تكلم وهو بفتح الياء من يرجع. قوله (وكنت أوجد عليه) أي أشد موجدة أي غضبا على أبي بكر من غضبي على عثمان، وذلك لأمرين: أحدهما ما كان بينهما من أكيد المودة، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان آخى بينهما، وأما عثمان فلعله كان تقدم من عمر رده فلم يعتب عليه حيث لم يجبه لما سبق منه في حقه، والثاني لكون عثمان أجابه أولا ثم اعتذر له ثانيا، ولكون أبي بكر لم يعد عليه جوابا. ووقع في رواية ابن سعد " فغضب على أبي بكر وقال فيها: كنت أشد غضبا حين سكت مني على عثمان" قوله (فلم أرجع) بكسر الجيم أي أعد عليك الجواب. قوله (إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها) في رواية ابن سعد " فقال أبو

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، حديث رقم: ٤٧٢٨/ سنن النسائي: كتاب النكاح، باب: عرض الرجل ابنته على من يرضى، حديث رقم: ٣٩١٦

بكر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان ذكر منها شيئا وكان سرا. قوله (ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها)، يستفاد منه عذره في كونه لم يقل كما قال عثمان قد بدا لي أن لا أتزوج، وفيه فضل كتمان السر فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عمن سمعه. وفيه عتاب الرجل لأخيه وعتبه عليه واعتذاره إليه وقد جبلت الطباع البشرية على ذلك، ويحتمل أن يكون سبب كتمان أبي بكر ذلك أنه خشي أن يبدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يتزوجها فيقع في قلب عمر انكسار، ولعل اطلاع أبي بكر على أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد خطبة حفصة كان بإخباره له صلى الله عليه وسلم إما على سبيل الاستشارة وإما لأنه كان لا يكتم عنه شيئا مما يريده حتى ولا ما في العادة عليه غضاضة وهو كون ابنته عائشة عنده، ولم يمنعه ذلك من اطلاعه على ما يريد لوثوقه بإيثاره إياه على نفسه، ولهذا اطلع أبو بكر على ذلك قبل اطلاع عمر الذي يقع الكلام معه في الخطبة. ويؤخذ منه أن الصغير لا ينبغي له أن يخطب امرأة أراد الكبير أن يتزوجها ولو لم تقع الخطبة فضلا عن الركون وفيه الرخصة في تزويج من عرض النبي صلى الله عليه وسلم بخطبتها أو أراد أن يتزوجها لقول الصديق: لو تركها لقبلتها وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك. وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجا لأن أبا بكر كان حينئذ متزوجا. وفيه أن من حلف لا يفشي سر فلان فأفشى فلان سر نفسه ثم تحدث به الحالف لا يحنث لأن صاحب السر هو الذي أفشاه فلم يكن الإفشاء من قبل الحالف، وهذا بخلاف ما لو حدث واحد آخر بشيء واستحلفه ليكتمه فلقيه رجل فذكر له أن صاحب الحديث حدثه بمثل ما حدثه به فأظهر التعجب وقال ما ظننت أنه حدث بذلك غيري فإن هذا يحنث، لأن تحليفه وقع على أنه يكتم أنه حدثه وقد أفشاه. وفيه أن الأب يخطب إليه بنته الثيب كما يخطب إليه البكر ولا

تخطب إلى نفسها كذا قال ابن بطال: وقوله لا تخطب إلى نفسها ليس في الخبر ما يدل عليه قال وفيه أنه يزوج بنته الثيب من غير أن يستأمرها إذا علم أنها لا تكره ذلك وكان الخاطب كفوا لها، وليس في الحديث تصريح بالنفي المذكور إلا أنه يؤخذ من غيره، وقد ترجم له النسائي" إنكاح الرجل بنته الكبيرة " فإن أراد بالرضا لم يخالف القواعد، وأن أراد بالإجبار فقد يمنع.[1]

ج ـ زوجة تعرض أختها على زوجها قبل علمها بتحريم الجمع بين الأختين:

عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ[2] فَقَالَ أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ[3] فَقُلْتُ نَعَمْ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ[4] وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٢١٣ ـ ٢١٥

[2] هي عزة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية أخت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثبت أنها هي التي عرضتها على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها فقال إنها لا تحل لي قالت فإنا نتحدث إنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة قال إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنها ابنة أخي من الرضاعة فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن وقعت تسميتها عزة في رواية الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن الزهري عن زينب بنت أبي سلمة عن أم حبيبة عند مسلم والنسائي وقد تقدم ذكر من سماها درة في حرف الدال ولعل أحد الاسمين كان لقبا لها والمحفوظ درة اسم بنت أبي سلمة وقعت تسميتها في الصحيح أيضا.[الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٤٧٣]

[3] أو تحبين ذلك: هو استفهام تعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما طبع عليه النساء من الغيرة .

[4] لست لك بمخلية: بضم الميم وسكون المعجمة وكسر اللام اسم فاعل من أخلى يخلي. أي لست بمنفردة بك ولا خالية من ضرة.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ ذَلِك لَا يَحِلُّ لِي قُلْتُ فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي إِنَّهَا لَابْنَةُ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ.[١]

د ـ صحابي يعرض ابنته ذاكرا علتها:

عن مجاهد قال: لقيني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بمنكبي من ورائي قال: أما إني أحبك قلت: أحبك الله الذي أحببتني له فقال: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الرجلُ الرجلَ فليخبره أنه أحبه ما أخبرتك. قال: ثم أخذ يعرض علي الخطبة . قال: أما إن عندنا جارية أما إنها عوراء.[٢]

ومن أمثلة عرض الموليات ما قام به أبو سعيد الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبي بكر بن كلاب الكلابي رضي الله عنه الذي كان ينزل نجدا في موالي ضرية وكان واليا على من أسلم هناك من قومه ، فقد أخرج بن السكن بسند صحيح عن عائشة قالت: نزل الضحاك بن سفيان الكلابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له وبيني وبينه الحجاب هل لك في أخت أم شبيب امرأة الضحاك فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ثم طلقها ولم يدخل بها.[٣]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴾ ويحرم من الرضاع من يحرم من النسب، حديث رقم: ٤٧١١/ سنن أبي داود: كتاب: النكاح، باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، حديث رقم: ١٧٦٠

(٢) الأدب المفرد للبخاري ص٢٣٦

(٣) الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ٤١٧٠

٣ ـ الاهتمام بالتربية:

على الأسر الاهتمام بتربية بناها وأبنائها على السواء ، لأن كل الراغبين في الزواج من أرباب الالتزام وغيرهم كما يشاركهم في هذه الرغبة أسرهم من والدين وإخوة وأخوات وأعمام وعمات وأخوال وخالات وغيرهم من الأقارب يرغبون في أن يقترن ابنهم أو قريبهم ببنت من البنات ذوات الأخلاق الحميدة، كما أن أهل الفتاة من والدين وإخوة وأخوات وأعمام وعمات وأخوال وخالات وغيرهم من الأقارب يرغبون عن البنات سيئات الأخلاق كما أنهم مجمعون على أن الأولاد صالحو الأخلاق أضمن لحفظ بناهم وسلامتهم في زواجهم من الأولاد سيئي الأخلاق.

ولذا يشترط المتقدمون للزواج شروطا من أهمها أن تكون فتاة مؤدبة ذات استقامة وأخلاق جيدة وحتى غير الملتزمين ينسون الفتيات اللاتي كن يخرجن معهم وكانوا يعدوهن بالزواج منهن ينسوهم ويتجهون صوب البيوت التي عرف عنها الستر والاستقامة فيأتون بواحدة حيية خريدة من قعر بيتها لم تر رجلا ولم يرها رجل فيخطبونها ويتزوجونها ويتركون كثيرة الخروج لمستمتع آخر.

وجلوس المرأة في بيتها من الصفات التي يمدح بها العرب النساء ، قال أبو قيس بن الأسلت :

ويكرمنها جاراتها فيزرنها ... وتعتل عن إتيانهن فتعتذر
وليس لها أن تستهين بجارة ... ولكنها منهن تحيا وتخفر[1]

---

[1] خزانة الأدب ج٣ص٣٧٧/ معاهد التنصيص ج ٢ص ٢٧

وقال رجل لخاطب: أبغني امرأة لا تؤنس جارا ولا توهن دارا ولا تغير نارا. يريد: لا تدخل على الجيران ولا يدخل الجيران عليها، ولا تغرى بينهم بالشر. وفي نحو هذا يقول الشاعر:

من الأوانس كمثل الشمس لم يرها   في ساحة الدار بعل ولا جار[1]

فعلى الآباء الاهتمام بتربية أبنائهم وبناهم وأن يعلموا أن من عاجل بشرى تربية البنات في الدنيا نفاق سوقهن وسرعة زواجهن ، وأن من عقوبة المعاصي بالسماح لهن بالخروج وعدم مراقبتهن بوارهن وعدم تقدم أحد لهن.

٤ـ معرفة الأسباب الحقيقية لعزوف الأبناء عن الزواج :

كثير من العازفين عن الزواج من الأبناء لهم مشاكل خاصة بهم جعلتهم يعزفون عن الزواج ، فمعرفة أسباب المشكلة يساعد في حلها ، فعلى المحيطين بالفتى اللصيقين به، محاولة معرفة الأسباب الحقيقية لعزوف هذا الفتى عن الزواج ومحاولة حلها :

أهو عازف عن الزواج نتيجة مرض عضال يعوق بينه وبين القيام بوظائفه الزوجية تجاه زوجته ؟

أم هو عازف عن الزواج نتيجة فساد خلقي واقع فيه؟ فهو يقارف الفاحشة ويقضي أوطاره من المومسات وبائعات الهوى ومحتسبات الشر، أم من الصديقات والخليلات من الجارات والزميلات في المكاتب والجامعات؟

أم أنه عازف عن الزواج نتيجة فقر حقيقي أو متوهم فهو يرى أنه لا يستطيع القيام بمنصرفاته ومنصرفات زوجته المرتقبة ولذا آثر العزوف عن الزواج وتركه؟

---

[1] العقد الفريد ج٧ص١٠١

أم هو عازف عن الزواج نتيجة هروب من المسئولية وعدم الاستعداد للإتيان بزوجة وإقامة بيت يقيده بوقت محدد ويلزمه بساعات معينة في دخوله وخروجه ومراعاة الانضباط والالتزام به ، فمن المعروف عنه أن طبيعته طبيعة منطلقة لا تعرف التقييد فهو يريد أن يكون منطلقا حرا طليقا يدخل ويخرج كما يشاء؟

أم هو عازف عن الزواج نتيجة اعتقاده أنه صغير دون سن الزواج وأن أمامه وأمام الزواج زمنا بعيدا؟

أم هو عازف عن الزواج نتيجة إصراره على فتاة معينة رفضها أهله وأقاربه فرفض الزواج كله جملة وتفصيلا وآثر العنوسة ، وأصدق مثال لهذا علمته هو أنني : أعرف طالبا كان يدرس في بلد غربي فأراد أن يتزوج زميلة له في الدراسة ، فأبى أهله ، فعزف عن الزواج كلية ، وقد أخبرني أخوه بأن أتحدث معه ليتزوج من أي مكان شاء ولكنه مصمم على رفضه وعزوفه عن الزواج.

٥ ـ السعي نحو تزويج الأبناء وعدم ربط زواجهم بالبنات اللاتي لم يتزوجن:

بعض الأسر التي تتكون من بنين وبنات لا يهمهم زواج أبنائهم بقدر ما يهمهم زواج بناتهم، وذلك لأنهم يرون أن الأولاد سلعة نادرة لا يطرأ عليها البوار، وأنهم لا خوف عليهم في هذا الأمر وأنهم يمكنهم الزواج متى أرادوا وبواحدة أو أكثر من واحدة إن شاءوا ، ولذا الولد وسط البنات لا يفكر في الزواج كما رأينا في أسباب عنوسة الفتيان وإذا أراد أحدهم أن يتقدم لخطبة فتاة ومن ثم الشروع في الزواج منها فإن أسرته تسفه رأيه ويشاركه في هذا التسفيه المجتمع.

بل إن بعضهم يربط زواج أحد أبنائه من فتاة معينة شريطة أن يتقدم لابنته أخو هذه الفتاة فيجعلون هذا الزواج شبيها بالشغار إن لم يكن شغارا حقيقة لأن الزوجين دفعا المهر ويشابه الشغار في تأثر كل أسرة ناتجة عن هذا الزواج بالأسرة الأخرى من حيث

الراحة وعدمها ، فرضى هذه الأسرة يمتد إلى الأسرة الأخرى وغضب أحدهما ينال الثانية وعلى الأسرة مساعدة الفتى ماديا في زواجه وعدم ربط المساعدة بشيء ، وليس للأب أن يرهن مساعدة ابنه بتحديد فتاة معينة. (١)

فعلى الأسر أن تتقي الله عز وجل في أبنائها ولا تربط زواج أبنائها بزواج بناتها فإن بناتهم سيأتيهم ما قدر لهن وحتى لا تكون هذه الأسر مكتوية من نار العنوسة التي تكتنفها من جانبين ، من جانب البنات ومن جانب الأبناء.

وليس معنى ذلك ألا تسعى الأسر لزواج بناتها فعليها دعاء الله أن يكلل مساعيهم بالنجاح دون ربط هذا الأمر بزواج الأولاد وإرجاء زواج الأولاد وتأخيره لهذا الغرض.

٦ ـ الاستعاذة بالله من بوار الأيم:

---

(١) عَنْ عَبْد اللَّه بْن بُرَيْدَةَ عَنْ عَائشَةَ أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخيه لِيَرْفَعَ بي خَسيسَتَهُ وَأَنَا كَارِهَةٌ قَالَتْ اجْلسي حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَتْهُ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَدَعَاهُ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّه قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي وَلَكنْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ أَللنِّسَاء منْ الْأَمْرِ شَيْءٌ. [سنن النسائي، كتاب: النكاح. باب: البكر يزوجها أبوها وهي كارهة، حديث رقم : ٣٢١٧/ سنن ابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: من زوج ابنته وهي كارهة، حديث رقم: ١٨٦٤]

قال السندي: قوله (ليرفع بي) أي ليزيل عنه بإنكاحي إياه (خسيسته) دناءة أي أنه خسيس فأراد أن يجعله بي عزيزا والخسيس الدنيء والخسة والخساسة الحالة التي يكون عليها الخسيس يقال رفع خسيسته إذا فعل به فعلا يكون فيه رفعته (فجعل الأمر إليها) يفيد أن النكاح منعقد إلا أن نفاذه إلى أمرها. [شرح سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٢٤]

الأيم: المرأة التي لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، وكذلك الرجل إذا لم تكن له امرأة فهو أيم ، ويقال في مثل : الحرب مأيمة ، أي: يقتل فيها الرجال فتبقى النساء بلا أزواج.[١]

والاستعاذة بالله من العنوسة والخوف من بوار الأيم وعدم نفاقها من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن سمات الصالحين ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الصالحين وأفضلهم يتعوذ بالله من ذلك، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، ومن بوار [٢] الأيم،[٣] ومن فتنة المسيح الدجال.[٤]

قال المناوي: (اللّهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو) أي تسلطه (ومن بوار الأيم) أي كسادها والأيم من لا زوج لها بكراً أو ثيباً مطلقة أو متوفى عنها، وبوارها أن لا يرغب فيها أحد. وفي المصباح بار الشيء هلك وبار كسد على الاستعارة لأنه إذا ترك صار غير منتفع به فأشبه الهالك، وقال الزمخشري بارت البيعات كسدت وسوق بائرة وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها (ومن فتنة المسيح الدجال) التي لا فتنة أكبر منها ولا بلاء أبشع منها.[٥]

---

[١] انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ج١ص٣١٥ـ٣١٦ / مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٢٨٤

[٢] البوار: فرط الكساد

[٣] قال ابن الأثير: نعوذ باللّه من بَوَارِ الأيِّم: أي كسادها، من بارت السُّوق إذا كسَدت، والأيِّم التي لا زَوْج لها وهي مع ذلك لا يَرْغَب فيها أحد.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:{بور}]

[٤] كنز العمال، حديث رقم: ٣٦٦٩/ مجمع الزوائد، حديث رقم: ١٦٣٧٢/ الجامع الصغير،حديث رقم: ١٥٤٠

[٥] فيض القدير، حديث رقم: ١٥٤٠

وذلك لأن نفاق سوق الفتاة وحرارته من نعم الله عز وجل ومنته على والـــدها التي يجب عليه أن يشكر هذه النعمة آناء الله وأطراف النهار، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حَظِّ المَرء نَفَاق أَيِّمه. [١] قال ابن قتيبة : أراد عمر رضي الله عنه أن من جد الرجل أن يُخطب إليه ويتزوج نساؤه من بناته وأخواته وأشباههن فلا يبرن ويكســـدن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الأيم. أي أن مما وهب الله له مـــن الجد أن لا تبور أيمه. [٢]

فعلى المسلم أن يتشبث بالدعاء فهو من أمضى الأسلحة التي تصـــارع الـــبلاء وتنتصر عليه بقدر اجتهاد صاحبه وإخلاصه فيه ومداومته عليه. فعَنْ عَبْد اللَّه بْـــنِ أَبِـــي الْجَعْد الْأَشْجَعِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْـــرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ. [٣]

وعنوسة البنات من أعظم البلاء وأكبره إن أحس بها والد البنت أو كان في غفلة عنها.

٧- التحذير من رد الأكفياء من الأزواج :

---

[١] قال ابن الأثير: أي من حَظّه وسعادته أن تُخْطَب إليه نساؤه، من بناته وأخَواته، ولا يَكْسُدْن كَسادَ السِّلع التي لا تنْفُق.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {نفق}]

[٢] انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ج١ص٣١٥ــ٣١٦

[٣] سنن الترمذي، كتاب: القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب مَا جَاءَ لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّـــا الدُّعَاءُ/ سنن ابن ماجة، كتاب: المقدمة، باب: في القدر، حديث رقم: ٨٧ ، وكتاب: الفتن، بـــاب: العقوبات، حديث رقم: ٤٠١٢

على أولياء الفتيات أن يحذروا كل الحذر من رد متقدم كفي لبناتهم من غير مسوغ شرعي ولا مانع عقلي لأن في هذا الأمر مجازفة كبرى وخطرا عظيما فلعلهم يريدونه بعد حين فلا يظفرون به لأن الخطاب ليسوا سلعة تباع في الأسواق يمكن شراؤها بالمال ولعل خاطبا موسر الدين والخلق معسر المال يجعل الله فيه خيرا كثيرا فتغتبط معه فتاتهم غبطة تنسيها نواقصه وتنعم معه نعيما يعوضها ما فقدته من ماضيها.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من رد الأكفياء : فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ لَا تُؤَخِّرْهَا الصَّلَاةُ إِذَا آنَتْ وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ وَالْأَيِّمُ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْئًا.[1]

قال المباركفوري: قوله : قال الحافظ قوله (ثلاث) أي من المهمات وهو المسوغ للابتداء ، والمعنى ثلاثة أشياء (الصلاة) بالرفع أي منها أو إحداها (إذا آنت) أي حانت، قال العراقي هو بمد الهمزة بعدها نون ومعناها إذا حضرت، (والجنازة إذا حضرت) قال القاري في المرقاة : قال الأشرف : فيه دليل على أن الصلاة على الجنازة لا تكره في الأوقات المكروهة . نقله الطيبي وهو كذلك عندنا أيضا : إذا حضرت في تلك الأوقات من الطلوع والغروب والاستواء . وأما إذا حضرت قبلها ، وصلى عليها في تلك الأوقات فمكروهة . وأما بعد الصبح وقبله وبعد العصر فلا تكره مطلقا انتهى (والأيم) بتشديد الياء المكسورة أي المرأة العزبة ولو بكرا قاله القاري يعني التي لا زوج

---

[1] سنن الترمذي، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في الوقت الأول من الفضل، حديث رقم: ١٥٦/ مسند الإمام أحمد، مسند علي بن أبي طالب، حديث رقم : ٧٨٧

لها (إذا وجدت لها كفؤا) الكفء المثل وفي النكاح : أن يكون الرجل مثل المرأة في الإسلام ، والحرية ، والصلاح ، والنسب ، وحسن الكسب ، والعمل. قاله القاري. [١]

وكان يقال: من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجها فزنت فعليه مثل إثمها، وإثمها عليه.[٢] وكما لا يصح الجسد بلا رأس لا تصلح المرأة بغير زوج.[٣]

٨ـ تخفيف المهور والتعاون عليها :

أ ـ تخفيف المهور :

قال البخاري رحمه الله تعالى : بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[٤] وَكَثْرَةِ الْمَهْرِ وَأَدْنَى مَا يَجُوزُ مِنْ الصَّدَاقِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾[٥] وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [٦] وَقَالَ سَهْلٌ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ.[٧]

---

[١] تحفة الأحوذي ج ١ ص ٤٤١

[٢] بهجة المجالس القسم ١ص٧٦٦

[٣] بهجة المجالس القسم ١ص٧٦٦

[٤] سورة النساء آية ٤

[٥] سورة النساء آية ٢٠

[٦] سورة البقرة آية ٢٣٦

[٧] صحيح البخاري: كتاب النكاح ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ (سورة النساء آية ٢٠)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : هذه الترجمة معقودة لأن المهر لا يتقدر أقله، والمخالف في ذلك المالكية والحنفية ، ووجه الاستدلال مما ذكره الإطلاق من قوله ﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾" ومن قوله ﴿ فَرِيضَةً ﴾ وقوله في حديث سهل " ولو خاتما من حديد " . وأما قوله " وكثرة المهر " فهو بالجر عطف على قول الله في الآية التي تلاها وهو قوله ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا[1] ﴾ فيه إشارة إلى جواز كثرة المهر.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا قَالَ قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا قَالَ عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ قَالَ فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ. [2]

---

[1] قال الراغب : القنطرة من المال: ما فيه عبور الحياة تشبيها بالقنطرة، وذلك غير محدود القدر في نفسه، وإنما هو بحسب الإضافة كالغنى، فرب إنسان يستغني بالقليل، وآخر لا يستغني بالكثير، ولما قلنا اختلفوا في حده فقيل: أربعون أوقية. وقال الحسن: ألف ومائتا دينار، وقيل: ملء مسك ثور ذهبا إلى غير ذلك، وذلك كاختلافهم في حد الغنى. [معجم مفردات ألفاظ القرآن ،كتاب القاف. قطر]

[2] صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب : ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن أراد أن يتزوجها، حديث رقم : ٢٥٥٣

قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: (العرض) بضم العين وإسكان الراء هو الجانب والناحية، (وتنحتون) بكسر الحاء أي تقشرون وتقطعون. ومعنى هذا الكلام كراهة إكثار المهر بالنسبة إلى حال الزوج. [١]

وقد استدلت بذلك المرأة التي نازعت عمر رضي الله تعالى عنه في ذلك، وهو ما أخرجه عبد الرزاق من طريق أبي عبد الرحمن السلمي قال قال عمر: لا تغالوا في مهور النساء : فقالت امرأة ليس ذلك لك يا عمر ، إن الله يقول وآتيتم إحداهن قنطارا من ذهب ، قال وكذلك هي في قراءة ابن مسعود " فقال عمر : امرأة خاصمت عمر فخصمته " وأخرجه الزبير بن بكار من وجه آخر منقطع " فقال عمر : امرأة أصابت رجل أخطأ " وأخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن مسروق عن عمر فذكره متصلا مطولا ، وأصل قول عمر " لا تغالوا في صدقات النساء " عند أصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم ، لكن ليس فيه قصة المرأة ، ومحصل الاختلاف أنه أقل ما يتمول ، وقيل أقله ما يجب فيه القطع ، وقيل أربعون وقيل خمسون ، وأقل ما يجب فيه القطع مختلف فيه فقيل ثلاثة دراهم وقيل خمسة وقيل عشرة . قوله (وقال سهل قال النبي صلى الله عليه وسلم ولو خاتما من حديد) هذا طرف من حديث الواهبة ، ثم ذكر حديث أنس في قصة تزويج عبد الرحمن بن عوف وفيه قوله " تزوجت امرأة على وزن نواة. [٢]

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فمن دعته نفسه، إلى أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي هن خير خلق الله، في كل فضيلة، وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة ، فهو جاهل أحمق، وكذلك، صداق أمهات

---

[١] مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٦ ص ٣٨١٣

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٢٤٨

المؤمنين، وهذا مع القدرة واليسار، فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يصدق المرأة ما لا يقدر على وفائه من غير مشقة.

وما يفعله بعض أهل الجفاء والخيلاء والرياء من تكثير المهر للرياء والفخر. وهم لا يقصدون أخذه من الزوج، وهو لا ينوي أن يعطيهم إياه، فهذا منكر قبيح مخالف للسنة خارج عن الشريعة.[1]

كما أن الاشتطاط في المهور لا تؤدي إلى العزوف عن الزواج ابتداء بل تؤدي كذلك إلى العداوة بين الزوجين بعد أن يتم زواجهما: فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي الْعَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَا تُغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ كَانَ أَوْلَاكُمْ وَأَحَقَّكُمْ بِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَلَا أُصْدِقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُثَقِّلُ صَدَقَةَ امْرَأَتِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولُ قَدْ كَلِفْتُ إِلَيْكِ عَلَقَ الْقِرْبَةِ أَوْ عَرَقَ الْقِرْبَةِ وَكُنْتُ رَجُلًا عَرَبِيًّا مَوْلِدًا مَا أَدْرِي مَا عَلَقُ الْقِرْبَةِ أَوْ عَرَقُ الْقِرْبَةِ.[2]

قال السندي: قوله (لا تغالوا) هو من الغلو وهو مجاوزة الحد في كل شيء يقال غاليت في الشيء وبالشيء وغلوت فيه غلوا إذا جاوزت فيه الحد ونصب صداق النساء بنزع الخافض أي لا تبالغوا في كثرة الصداق قوله (مكرمة) بفتح ميم وضم راء بمعنى الكرامة (ما أصدق) من أصدق المرأة إذا سمى لها صداقا وأعطيها (ولا أصدق) على بناء

---

(1) مجموع الفتاوى ٣٢ص ١٩٣ ـ ١٩٤

(2) صحيح سنن النسائي كتاب النكاح باب: القسط في الأصدقة حديث رقم ٣١٤١/ سنن ابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: صداق النساء، حديث رقم: ١٨٧٧/ سنن الدارمي، كتاب النكاح، باب: كم كانت مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته، حديث رقم: ٢١٠٣

المفعول والمعنى أنه إذا كان هو يتولى تقرير الصداق فلا يزيد على هذا القدر قوله (ليثقل) من التثقيل (صدقة) بفتح فضم (حتى يكون لها عداوة في نفسه) أي حتى يعاديها في نفسه عند أداء ذلك المهر لثقله عليه حينئذ أو عند ملاحظة قدره وتفكره فيه بالتفصيل قوله (كلفت) من كلف بكسر اللام إذا تعمده قوله (علق القربة) بفتحتين حبل تعلق به أي تحملت لأجلك كل شيء حتى تعلق القربة ويروى عرق القربة بالراء أي تحملت كل شيء حتى عرقت كعرق القربة وهو سيلان مائها وقيل أراد بعرق القربة عرق حاملها وقيل أراد تحملت عرق القربة وهو مستحيل والمراد أنه تحمل الأمر الشديد وفي الصحاح قال الأصمعي يقال لقيت من فلان عرق القربة ومعناه أشده ولا أدري ما أصله وقال غيره العرق إنما هو للرجل لا للقربة قال وأصله أن القربة تحملها الإماء الزوافر ومن لا معين له وربما افتقر الرجل الكريم واحتاج إلى حملها بنفسه فيعرق لما يلحقه من المشقة والحياء من الناس فيقال تحملت لك عرق القربة وقال في علق القربة لغة في عرق القربة قوله (ما أدري) لغرابته وفي المقاصد الحسنة روى أبو يعلى في مسنده الكبير أنه لما نهى عن إكثار المهر بالوجه المذكور اعترضته امرأة من قريش فقالت له يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا النساء صدقاتهن على أربعمائة درهم قال نعم فقالت أما سمعت ما أنزل الله في القرآن قال وأي ذلك فقالت أما سمعت الله يقول ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بهتانا وإثما مبينا﴾[1] قال فقال اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب المنبر فقال إني نهيت أن تزيدوا في المهر على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب أو فمن طابت نفسه فليفعل وسنده جيد ورواه البيهقي في سننه

---

[1] سورة النساء آية ٢٠

ولفظه فقالت امرأة من قريش يا أمير المؤمنين أكتاب الله أحق أن يتبع أو قولك قال بل كتاب الله فما ذاك قالت نهيت الرجال عن الزيادة في المهر والله تعالى يقول في كتابه ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ الآية فقال عمر كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثا ثم رجع إلى المنبر فقال الحديث ورواه عبد الرزاق ولفظه فقامت امرأة فقالت له ليس ذلك لك يا عمر إن الله تعالى يقول ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ..الخ﴾ فقال إن امرأة خاصمت عمر فخصمته وفي رواية فقال امرأة أصابت ورجل أخطأ. [1]

هذا وقد يحاول كثير من الآباء رفع المهور بحجة أن يتمسك الزوج بزوجته ولا يتخلى عنها، قال المعري يدعو لكثرة المهر وأنه ضمان وأمان لمستقبل الفتاة:

مهرُ الفتاةِ إذا غلا، صَوْنٌ لها ... من أن يُبتَّ عشيرُها تطليقها
هوي الفراقَ، وخافَ من إغرامِهِ ... فأدامَ في أسبابه تعليقَها
ولربما وَرِثَتْهُ، أو سبقتْ بها ... أقدارُ ميتتها، فكان طلاقَها

وهذا الأمر خطأ محض فلا يوجد زوج يمسك ما يبغض من أجل مال.

ب ـ التعاون على توفير المهر :

التعاون على المهر مظهر من مظاهر التعاون بين المسلمين، وإعانة أغنياء المسلمين فقرائهم في أمور زواجهم وتوفير مستلزمات هذا الزواج من مهر وخلافه، كان يفعله الصحابة والتابعون، فيطلب ذلك الراغبون في الزواج من أغنياء المسلمين وولاة أمورهم، ويستجيب ولاة الأمور والأغنياء، ويلبون هذا الطلب فمن ذلك ما جاء: عَنِ ابْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

[1] شرح سنن ابن ماجة للسندي ج ٢ ص ٤٣١ ـ ٤٣٢

يَسْتَعِينُهُ فِي صَدَاقِهَا فَقَالَ كَمْ أَصْدَقْتَ قَالَ قُلْتُ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ قَالَ لَوْ كُنْتُمْ تَغْرِفُونَ الدَّرَاهِمَ مِنْ وَادِيكُمْ هَذَا مَا زِدْتُمْ مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكُمْ قَالَ فَمَكَثْتُ ثُمَّ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَنِي فِي سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا نَحْوَ نَجْدٍ فَقَالَ اخْرُجْ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ لَعَلَّكَ أَنْ تُصِيبَ شَيْئًا فَأُنَفِّلَكَهُ.[1]

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يستنكر سؤال الرجل وطلبه الإعانة على توفير المهر وإنما استنكر كثرة المهر وكان الرجل في السابق يتزوج ويعينه قومه وأهله على مهره وإذا قصروا في ذلك فإنه يغضب ويذمهم ويسخر من عجزهم عن هذا الأمر، لأنه يرى أن هذا من أوجب واجباتهم، كما فعل ذو الإصبع العدواني فإنه تزوج امرأة، فأتى قومه يسألهم مهرها فلم يعطوه فقال :

واحدة أعضلكم أمرها   فكيف لو درت على أربع

أي يقول : عجزتم عن مهر واحدة ، فكيف لو تزوجت بأربع.[2]

فعلى أفراد المجتمع التعاون مع راغبي الزواج في توفير المهر وإعانتهم وتشجيعهم ماديا ومعنويا.

والتعاون في توفير المهر قد يكون بإقامة الأسواق الخيرية المختلفة التي تساهم في توفير متطلبات بيت الزوجية بأسعار معقولة وبهامش ربح بسيط أو تقديم المساعدات المالية والقروض الحسنة لراغبي الزواج ، على أن يتم تقسيطها وفقا لظروف المقترض . ويتصل بهذا التيسير والتسهيل في منح القروض ضرورة إنشاء الدول العربية صناديق للزواج ، وهي تجربة بدأت بعض الدول بالفعل تتنبه إليها وتتبناها ، حيث أنشأت دولة

---

(1) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن حدرد ، حديث رقم: ٢٢٧٥٧

(2) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ٧٨٤

الإمارات العربية المتحدة هذا الصندوق لمعالجة أسباب وجذور مشكلة العنوسة ، وسعى المسؤولون عنه إلى تشجيع الشباب على الزواج من أهل بلدهم، وحث الأهالي على عدم المغالاة في المهور وتكاليف الزواج . وبدأ الصندوق نشاطه بالعمل على أكثر من مسار، منها تقديم منح مالية لراغبي الزواج تصل إلى ٧٠ ألف درهم ، كما يقدم الصندوق أيضا منحاً للزيجة الثانية. وفي المملكة العربية السعودية خاضت جمعية البر بالمنطقة الشرقية تجربة مماثلة أطلقت عليها مشروع تيسير الزواج للتوفيق بين راغبي الزواج وتقديم المساعدات المادية والقروض للشباب المقبل على الزواج وإحياء مبدأ التكافل الاجتماعي بين المسلمين، وتقديم المساعدات العينية مثل الأثاث الجديد أو المستعمل الذي يقدمه المتبرعون ومحبو الخير ، بالإضافة إلى توسط إدارة المشروع لدى المتبرعين من أهل الخير لتوفير مكان مناسب لإقامة حفل الزواج بسعر تشجيعي ، أو الحصول على تخفيضات في أسعار الأثاث والتجهيزات. أما في الكويت فقد قامت مجموعة من رجال الأعمال ومسئولي الجمعيات الأهلية والخيرية بتأسيس صندوق للزواج يبلغ رأس ماله خمسة ملايين دينار، تزيد مستقبلاً لتصل إلى ١٠ملايين دينار(أكثر من٣٠ مليون دولار) ، بهدف التوفيق بين الراغبين من الجنسين في الزواج ، وتقديم القروض المالية بدون فوائد وعلى أقساط قليلة ومريحة . وقد أعلنت اللجنة التأسيسية للصندوق أنها ستسعى للحصول على موافقة الجهات المختصة لتخصيص وقف دائم لدعم رأسمال الصندوق، إضافة إلى القروض الحسنة التي يقدمها أهل الخير وبعض الشركات لهذا الغرض ، والتبرعات المالية من الجهات الحكومية ، بالإضافة إلى مبالغ مالية سنوية من زكاه الأفراد

١

والمؤسسات والشركات المختلفة في المجتمع الكويتي ومساعده الفنادق ورجال الأعمال وبعض المؤسسات. [١]

ـ ومن أمثلة التعاون على المهور في البلدان العربية الآتي:

ـ مصر. صندوق الزواج لحل مشكلة العنوسة: [٢]

دعا عدد من نواب البرلمان المصري إلى إنشاء صندوق للزواج في مصر، على غرار صندوق الزواج الذي تم إنشاؤه بكل من دولة الإمارات العربية المتحدة والكويت، مما يسهم في حل مشكلة العنوسة في مصر بعد أن ارتفعت المهور وتكاليف الزواج.

وأضاف كل من النائبين: عبد الرحيم عبد الحميد وناريمان الدرملي أن هذا الصندوق لا يتعارض مع مبادئ الإسلام، أو الشريعة الإسلامية، وإنما يأتي تطبيقا لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي دعا إليه الإسلام. وأشار النواب إلى أهمية أن يكون الصندوق تحت رقابة الدولة، على أن يقوم بقبول التبرعات من رجال الأعمال والقادرين، كما دعوا إلى تشجيع فكرة إقامة حفلات زواج جماعية. واقترحوا إمكانية قبول الصندوق لجزء من أموال الزكاة؛ بهدف معاونة الشباب على نفقات الزواج، بدلا من عزوفهم عنه. نظرا لتكلفته العالية، وذلك كحل لحماية الشباب من الانحراف، وللحد من انتشار الزواج العرفي.

---

(١) مداخلة للمشارك عمرو سالم بعنوان عودة لازمة للعنوسة. على موقع: إسلام أون لاين

(٢) القاهرة- همام عبد المعبود- إسلام أون لاين نت/١٢-٥-٢٠٠١

وأكد النواب على ضرورة قيام الدولة بدعم هذا الصندوق، والنظر إلى تجربة دولة الإمارات وقيامها بدعم الصندوق بمبلغ من المال لمساعدة الشباب المقبل على الزواج وغير القادر على تكاليفه، وهو ما تم أيضا في دولة الكويت.

يذكر أن إحصاء السكان في مصر أفاد أن عدد العزاب في مصر قد تجاوز تسعة ملايين شاب، إضافة إلى ارتفاع سن الزواج، سواء بين الشباب أو الفتيات؛ نظرا للحالة الاقتصادية السيئة، وارتفاع المهور، فضلا عن أزمة السكن؛ مما حال بينهم وبين إكمال نصف دينهم.

ـ الكويت.. صندوق كويتي للتغلب على العنوسة:[1]

قد يدهش البعض عندما يعلم أن نسبه العنوسة بين الفتيات الكويتيات تقترب من نسبة ٣٠% حسب بعض الإحصاءات الرسمية، وأن الشباب الكويتي بدأ يتأخر في الإقدام على الزواج؛ نظراً للأعباء الاقتصادية الباهظة التي تترتب عليه، ولكن تلك هي الحقيقة؛ ولهذا قامت مجموعه من رجال الأعمال، ومسئولي الجمعيات الأهلية والخيرية، بالإعلان عن تأسيس صندوق للزواج يستهدف التوفيق بين الراغبين من الجنسين في الزواج، وتقديم القروض المالية اللازمة لهم على أن تكون بدون فوائد، وعلى أقساط قليلة ومريحة.

وقد تشكلت لجنه تأسيسية للصندوق، وأُعلن عن أن الصندوق سيبدأ عمله برأسمال قدره خمسة ملايين دينار، تزيد مستقبلاً لتصل إلى ١٠ ملايين دينار(أكثر من٣٠ مليون دولار)، كما سيستقبل الصندوق طلبات الراغبين في الزواج من المطلقين

[1] الكويت– عبد الرحمن سعد –إسلام أون لاين. نت / ٢١-٤-٢٠٠١م

والأرامل من الجنسين (نسبه الطلاق في الكويت٣٣%) ومن المقرر أن يبدأ الصندوق في تلقي الطلبات خلال أسابيع قليلة.

وقد أعلنت اللجنة التأسيسية له أنها تسعى للحصول على موافقة الجهات المختصة لتخصيص وقف دائم لدعم رأسمال الصندوق، إضافة إلى القروض الحسنة التي يقدمها أهل الخير وبعض الشركات لهذا الغرض، مشيرة إلى أن النظام الأساسي للصندوق يتيح قبول التبرعات المالية من الجهات الحكومية، فيما يبذل القائمون على المشروع جهوداً لضم بعض المؤسسات الكويتية إليه مثل مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، والأمانة العامة للوقف، وبيت الزكاة ، وذلك من أجل الإسهام في رأسمال المشروع.

كما يستقبل الصندوق مبالغ مالية سنوية من زكاه الأفراد والمؤسسات والشركات المختلفة في المجتمع الكويتي.

وسوف تُحاط طلبات المتقدمين إلي الصندوق بسرية شديدة، وسيسعى الصندوق إلي تنظيم حفلات زواج جماعية للتخفيف من نفقات الزواج بمساعده الفنادق ورجال الأعمال وبعض المؤسسات. والزوجة الأقل مهرًا مكافأتها عُمرة وعقد ماس!

وأحيانا قد يكون هذا التعاون مشروطا بالزواج من جهة معينة كما في بعض دول الخليج، فقد جاءت الأخبار بالآتي:

- إنشاء صندوق للزواج في الإمارات :

أنشأت حكومة الإمارات صندوقا لتسهيل الزواج وجعلت له أهدافا هي :

١. تشجيع زواج المواطنين من المواطنات، وإزالة العقبات التي تواجه ذلك.

٢. تقديم المنح المالية لمواطني الدولة من ذوي الإمكانات المحدودة لإعانتهم على تكاليف الزواج.

٣. الحد من ظاهرة الزواج من أجنبيات والتوعية بآثارها الاجتماعية.

٤. المساهمة في تحقيق الاستقرار العائلي في المجتمع، والقيام بحملات التوعية الدينية والثقافية والاجتماعية لتنفيذ السياسة الاجتماعية والسكانية للدولة وذلك بالتنسيق مع الوزارات والجهات المختصة.

ويشجع صندوق الزواج حفلات العرس الجماعي ويساهم في تنظيمها وقد أقام اكثر من ١٥ عرسا جماعيا من أشهرها (عرس القرن) الذي تم فيه تزويج نحو ٦٥٠ مواطنا نهاية عام ٩٩ وكذلك العرس الجماعي الذي ضم ٣٨٠ عريسا والذي أقيم خلال مهرجان التسوق بدبي الصيف الماضي، و هذه الأعراس دليل جديد على تفهم الشباب لتوجيهات صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة بتيسير أمور الزواج وتخفيف التكاليف وعدم الإسراف

- تزوج إماراتية واحصل على ٧٠ ألف درهم هدية! [1]

"تقدم الحكومة الإماراتية فرصة نادرة لكل عازب إماراتي مضرب عن الزواج؛ حيث تقوم بالنيابة عنه بالبحث له عن زوجة وتعطيه ٧٠ ألف درهم"!

ما سبق ليس إعلانًا وهميًا بل خبر حقيقي؛ إذ تبدأ مؤسسة صندوق الزواج الإماراتية الحكومية في شهر نوفمبر المقبل مشروعًا هو الأول من نوعه في الخليج يعرف بمشروع "توفيق رأسين في الحلال" لجمع الشباب الإماراتي الراغب في الزواج بالفتيات المواطنات

وبينما يتولى صندوق الزواج _ الذي يقدم منحة نقدية بقيمة ٧٠ ألف درهم للمتزوجين _ تلقى طلبات الشباب الراغب في الزواج عبر استمارة أعدت لهذا الغرض،

[1] الإمارات –عبد الرحمن إسماعيل– إسلام أون لاين

يحدد فيها الشاب مواصفاته في العروس، يقوم مكتب شئون المواطنات بجمعية نهضة المرأة الظبيانية التي ترأسها حرم الشيخ زايد بن سلطان رئيس الدولة بتحديد الراغبات في الزواج عن طريق الأهل والأقارب.

ويقول جمال البح مدير عام صندوق الزواج: إن الزيادة المطردة في أعداد العوانس والمطلقات والأرامل من الجنسين تطلبت أهمية إيجاد جهة تسعى إلى التوفيق بين الراغبين في الزواج من هذه الفئات مشيرًا إلى أن المشروع سيجري تطبيقه عبر تشكيل لجنة للرجال في الصندوق وأخرى للنساء في مكتب شئون المواطنات، تتولى اللجنة الأولى تلقي طلبات الرجال الراغبين في الزواج فيما تتولى الثانية التعرف على الفتيات الراغبات في الزواج وذلك في سرية بالغة.

وأضاف أن صندوق الزواج الإماراتي الذي يقدم منحة نقدية بقيمة ٧٠ ألف درهم للإماراتي الذي يتزوج من إماراتية يستهدف أيضًا من وراء مشروعه لتوفيق رأسين في الحلال رفع وتيرة الزواج بين المواطنين، وخفض نسب الطلاق إلى حدها الأدنى، والعمل على تكوين أسرة متماسكة ومحافظة على تقاليدها العربية والإسلامية وبعيدًا عن الظواهر السلبية مثل تأخر سن الزواج لدى الرجل والمرأة، مشيرًا إلى أن الصندوق جمع منذ إنشائه عام ١٩٩٣ في الحلال خمسين ألف شاب وشابة، وقدم لهم منح زواج بلغ إجمالها ١,٧ مليار درهم.

يشار إلى أن مجلس إدارة الصندوق قد أقر برئاسة وزير العمل والشئون الاجتماعية ميزانية صندوق الزواج للعام ٢٠٠١ بنحو ٢٥٠ مليون درهم في حين يحتاج الصندوق سنويا ٣٣٠ مليون درهم لمواجهة الطلبات المتزايدة من الشباب الإماراتي على الزواج من مواطنات؛ لذلك ناشد وزير العمل الأثرياء من رجال الأعمال

والتجار دعم أنشطة الصندوق؛ سواء بالتبرع أو برعاية حفلات الزواج الجماعي التي يقيمها الصندوق للمستفيدين من منحه النقدية.

كما خصصت بلدية أبي ظبي جزءاً من ريع الإعلانات لصالح الصندوق، وخصصت أيضاً شركة مناسك للحج والعمرة نسبة ٢٥ % من ريع المبيعات الحكومية لصالح الصندوق، ووافق مجلس إعمار دبي الذي يقيم وحدات سكنية وفيلات على تقديم تسهيلات للمستفيدين من منح الصندوق على أسعار الفيلات التي يطرحها للبيع.

كما قرر مجلس الإدارة حجب منحته النقدية (٧٠ ألف درهم) عن من يثبت إسرافه في إقامة حفلات الخطوبة والزواج بهدف الحد من مظاهر الإسراف في الحفلات والتي تتجاوز تكاليفها أكثر من ١٥٠ ألف درهم عند غالبية الأسر.

وقالت مصادر إماراتية:[١] إن الشباب الإماراتيين لم يتركوا جنسية إلاّ وتزوجوا منها؛ حيث تشير الإحصاءات إلى أنهم تزوجوا نساء من ٣٧ جنسية بسبب غياب تشريع يمنع ذلك.

وقال جمال البح -مدير عام مؤسسة صندوق الزواج-: "إن غياب التشريع ساهم في رفع العنوسة بدولة الإمارات"، وأضاف: "إن إعلامنا ساهم في ذلك حين أوحى أن الجامعية لا تتزوج إلا جامعيًا، وغيره من المواضيع التي ساهمت في تفاقم مشكلة العنوسة".

وأشار البح في ندوة تحت عنوان: "الزواج المبكر ما له وما عليه" عقدت في مدينة أبو ظبي مساء الاثنين (١١/١٢/٢٠٠٠) إلى أن الزواج المبكر للشباب هو أمر مفيد من جميع

(١) أبو ظبي – موسى علي – إسلام أون لاين/١٢-١٢-٢٠٠٠/ شباب الإمارات تزوجوا من ٣٧ جنسية!!

النواحي إذا توفرت عوامل النضج اللازم للشباب والتي تمكّنهم من بناء أسرة سعيدة متوازنة، قوامها التآلف والوفاق؛ مما يمنع شبح الطلاق من تهديد العائلة.

وأضاف البح قائلاً: "إن نسبة الذكور في مجتمعنا تصل إلى ٥٣% مقابل ٤٧% من الإناث، وسن الزواج يتراوح ما بين ١٨-٣٠ سنة، ومع ذلك الآن لدينا النسبة في سوق الزواج ٣ فتيات لقاء شاب واحد؛ وهذا ما يدعونا للموافقة على فكرة تعدد الزوجات للقضاء على ظاهرة العنوسة".

وأشار إلى أن نسبة الطلاق بالجامعيات هي ١% مقابل ٢% للحاصلات على مؤهلات متوسطة و٩٧% لدى الأمّيات؛ مما يبين على أن المتعلمة هي أقدر على فهم زوجها والتعايش معه.

٩ ـ إفهام الفتاة عظم مكانة الزوج وأهميته لئلا تفرط فيه إن ظفرت به:

على أولياء أهل الفتاة إفهامها أن لزوجها مكانة كبيرة وعلو قدر وأن طاعته من طاعة الله وأنها مقدمة على النوافل فعليها الاعتراف بفضله وعدم إنكار حقه وأن تتذكر أن الله عز وجل أنقذها به من العنوسة، فلا تكفر نعمته عليها وقد نبه لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحث النساء على عدم نسيان فضل أزواجهم عليهن فلا تفلت من إحداهن كلمة تجرح مشاعره حتى في ساعات الغضب: فعن شَهْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ تَقُولُ مَرَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَقَالَ إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ الْمُنَعَّمِينَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا كُفْرُ الْمُنَعَّمِينَ قَالَ لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَطُولَ أَيْمَتُهَا بَيْنَ أَبَوَيْهَا وَتَعْنُسَ فَيَرْزُقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ زَوْجًا وَيَرْزُقَهَا

مِنْهُ مَالًا وَوَلَدًا فَتَغْضَبَ الْغَضْبَةَ فَرَاحَتْ تَقُولُ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ يَوْمًا خَيْرًا قَطُّ وَقَالَ مَرَّةً خَيْرًا قَطُّ. [1]

فإن فهمت البنت هذا الأمر جيدا ووعت هذا الدرس تمام الوعي فلا تضيع زوجا ظفرت به في أقل شيء وبمجرد حماقة منها فتطلب منه الطلاق فتعود إلى بيت أبيها عانسا ثيبا مطلقة شرا مما كانت عليه من قبل فقد كانت عانسا بكرا.

١٠ ـ إلحاق البنت بمن تهوى :

ذكرنا أن من أسباب عنوسة البنات ، تعلق المرأة برجل معين ورفضها الزواج بمن سواه ، فمن العلاج لأمثال هذه الحالات إلحاق المرأة بمن تهوى وتزويجها بمن ترغب وربط حبالها بمن تعلقت به فلو جمع بين مجنون بني عامر وليلاه، وقيس بن الذريح ولبناه، وجميل بن معمر وبثيناه وعروة بن حزام وعفراه وغيرهم من عشاق العرب لكان في هذا خيرا كثير يتمثل بعضه في:

ـ جمع قلوب محبة.

ـ التسبب في إيقاف زخم الشعر والعشق والغرام الذي تفوه وباح به المذكورون أعلاه والذي سارت به الركبان فأنشده الناس واستمعوا له وتمثلوا به في المشاهد والمجامع وحفظوه وطبقه كثير من الفتيان والفتيات تطبيقا ومثلوه تمثيلا.

وعن أبي الزناد قال: قال عمر رضوان الله عليه : لو أدركت عفراء وعروة لجمعت بينهما. [2]

---

[1] مسند الإمام أحمد، حديث رقم : ٢٦٢٨١

[2] مناقب عمر لابن الجوزي، ص ١٠٣

حتى ولو تقدم للفتاة متقدم ورفضه أهلها ورأوا أن سبب عزوف ابنتهم عن الزواج تعلقها بالمتقدم السابق فليراسلوه وليعودوا إليه فالعَوْدُ أحمدُ [(١)] وهذا القول قاله خداشُ بنُ حابِسٍ في الرَّبابِ لما خَطَبَها فَرَدَّهُ أبواها، فأضْرَبَ عنها زَماناً، ثم أقْبَلَ حتى انتهى إلى حِلَّتِهِمْ مُتَغَنِّياً بأبياتٍ منها:

ألا لَيْتَ شِعْرِي يا رَبابُ متى أرَى   لنا منْكِ نُجْحاً أو شِفاءً فأشْتَفِي

فَسَمِعَتْ وحَفِظَتْ، وبَعَثَتْ إليه أنْ قد عرفتُ حاجَتَكَ، فاغْدُ خاطباً، ثم قالت لأمِّها: هلْ أُنْكَحُ إلاَّ مَنْ أهْوى، وألْتَحِفُ إلا مَنْ أرْضَى؟ قالت: لا، قالت: فأنْكِحيني خداشاً، قالت: مع قِلَّةِ ماله؟ قالت: إذا جَمَعَ المال السَّيِّءُ الفعال فقُبْحاً للمال، فأصْبحَ خِداشٌ، وسَلَّمَ عليهم، وقال: العَوْدُ أحْمَدُ، والمرأةُ تُرْشَدُ، والوِرْدُ يُحْمَدُ.[(٢)]

---

(١) أي: أكْثَرُ حَمْداً، لأنَّكَ لا تَعودُ إلى الشيءِ غالباً إلاَّ بعدَ خِبْرَتِه، أو معناهُ أنَّهُ إذا ابْتَدَأَ المعْروف جَلَبَ الْحَمْدَ لنفْسه، فإذا عاد كانَ أحمدَ أي: أكْسَبَ للحَمْدِ له، أو هو أفْعَلُ من المفْعول، أي: الابْتداءُ محمودٌ، والعَوْدُ أحَقُّ بأن يَحْمَدوهُ.

(٢) القاموس المحيط باب الدّال. فَصْلُ الحَاء

المبحث الثالث

العلاج الوقائي من الفتاة العانس

١ ـ عرض نفسها على الصالحين

٢ ـ قبول التعدد والمناداة به

٣ ـ تشجيع الراغب في الزواج منها وإعانته ومده بالمال

٤ ـ الطلب من ولاة الأمر الاهتمام بأمرها وتزويجها

٥ ـ استعطاف العانس وتنبيهها من تراه سببا لحل مشكلتها

المبحث الثالث

العلاج الوقائي من الفتاة العانس

١ـ عرض نفسها على الصالحين :

عندما تشتد العنوسة على بعض النساء فبعضهن تتعرض للصالحين من الرجال وتطلب من أحدهم الاقتران بها، وإنقاذها مما هي فيه من وهدة العنوسة وطول الأيمة وهذا من الأمور الحسنة، التي حث عليها الدين، قال القرطبي رحمه الله تعالي: من الحسن عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداء بالسلف الصالح. [١]

وقد يستجيب لطلب الفتاة شهم من الرجال فيرحم ضعفها ويجبر كسرها ويربط سببه بسببها وحبله بحبلها كما سيتضح لنا في هذه القصة الذي ذكرها لنا الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، قال رحمه الله تعالى : قالت مريم امرأة سعيد بن إسماعيل الواعظ الحيري[٢]: صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها فقلت: يا أبا عثمان أيُّ عمل عندك أرجى؟ فقال يا مريم: لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يريدونني على التزويج فأمتنع جاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حبا ذهب بنومي وقراري وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك أن تتزوج بي.

قلت: ألك والد؟ قالت: نعم فلان الخياط في موضع كذا وكذا. فراسلت أباها أن يزوجني منها ففرح بذلك فأحضرت الشهود فتزوجت بها فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء مشوهة الخلق. فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك فأزيدها برا وإكراما إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها

[١] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، مجلد ٧ ج ١٣ ص ٢٧١

[٢] هو: سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواعظ. ولد بالري ونشأ بها ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها سنة ثمان وتسعين ومائتين

فتركت حضور المجالس إيثارا لرضاها وحفظا لقلبها ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئا من ذلك إلى أن ماتت فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي.[١]

وقد يكون تقدم المرأة لطلب الرجل رغبة فيه وليس عن عنوسة. كما فعلت عدة نساء ومن الأمثلة الكثيرة نجتزئ بالآتي:

ــ روى محمد بن سعد عن هشام بن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى رسول الله وهو مول ظهره إلى الشمس فضربت منكبه فقال: من هذا أكله الأسود فقالت: أنا بنت مطعم الطير ومباري الريح أنا ليلى بنت الخطيم جئتك لأعرض عليك نفسي تزوجني. قال: قد فعلت فرجعت إلى قومها فقالت: قد تزوجت النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: بئس ما صنعت أنت امرأة غيرى ورسول الله صاحب نساء تغارين عليه فيدعو الله عليك فاستقيليه فرجعت. فقالت: أقلني يا رسول الله فأقالها فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له فبينما هي يوما تغتسل في بعض حيطان المدينة إذ وثب عليها ذئب أسود فأكل بعضها فماتت.[٢]

ــ قال الذهبي: قال الحبال: كنت جالسا يوما عند أبي نصر السجزي، فدق الباب، فقمت ففتحته، فدخلت امرأة، وأخرجت كيسا فيه ألف دينار، فوضعته بين يدي الشيخ، وقالت: أنفقها كما ترى قال: ما المقصود؟ قالت: تتزوجني، ولا حاجة لي في

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٩ص١٠١ / البداية والنهاية، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح) ج ١١ ص ١٢٢ ــ ١٢٣

(٢) الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٧١٠/ البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق: أحمد فتيح)، ج ٥ ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦

الزواج ولكن لأخدمك، فأمرها بأخذ الكيس وأن تنصرف، فلما انصرفت قال: خرجت من سجستان بنية طلب العلم، ومتى تزوجت سقط عني هذا الاسم، وما أوثر على ثواب طلب العلم شيئا.(١)

وقد قامت إحدى الباحثات المصريات بعمل استبيان عن مدى قبول الفتيات للتقدم للفتى وما رأي الفتيان في هذا الأمر، وهي الدكتورة سامية الساعاتي أستاذ علم الاجتماع المساعد بجامعة عين شمس التي أعدت بحثا في هذا الموضوع، وظهر من البحث أن الشابة المصرية ترفض أن تتقدم هي إلى الشاب طالبة يده، وقد بلغت نسبة اللاتي رفضن الفكرة ٩٧%، أي أن ٣% فقط من الفتيات هن اللاتي يوافقن على أن تخطب الفتاة الفتى، كما أن الأكثرية من الفتيان ونسبتهم ٩٨% لا يقبلون أيضا.

وقد سئل في هذا البحث ٤٠٠ طالبا وطالبة من قسم الاجتماع بكلية آداب عين شمس والذين رفضوا الفكرة ذكروا الأسباب الآتية:

أولا: العادات عند أهل الشرق لا تقبل أن تخطب الفتاة الفتى لنفسها.

ثانيا: الخجل صفة جميلة في المرأة ، والمرأة الشرقية نشأت على الخجل ، وطلبها يد الرجل يقضي على تلك الصفة.

ثالثا: المرأة تحب أن تشعر أن الرجل هو الذي يسعى إليها.

رابعا: إذا حدثت مشكلة بين الاثنين بعد الزواج، فقد يقول الزوج لزوجته، بأنها هي التي خطبته وجرت وراءه.

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١١٨

خامسا: إذا صرّحت المرأة للرجل برغبتها في الزواج منه، ثم رفض طلبها، فإنها تشعر بحزن شديد، فقد تصاب بحالة نفسية سيئة، أما إذا حدث ذلك للرجل فلن يصيبه شيء.

سادسا: إذ أعجبت المرأة الذكية برجل وأرادته زوجا لها، فإنها تستطيع أن تحصل عليه دون أن تتقدم هي إليه. [1]

أما الذين وافقوا فكان لهم آراء أخرى ومن بين الأجوبة:

ـ خطبة خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم. [2]

ـ طلب عمر من الصحابة زواج حفصة. [3]

٢ ـ قبول التعدد والمناداة به:

---

(١) تؤكد الملاحظات والشواهد الاجتماعية أن الفتاة بدأت فعلا في عرض نفسها للزواج واختيار العريس بنفسها خوفا من عدوى العنوسة التي أخذت تنتشر وتتسع يوما بعد يوم، وخوفا من ضياع سنوات العمر بلا زواج ولا هدف.

وقد اعترفت محامية بأنها هي التي اختارت زوجها، وخطبته لنفسها، وقد رحب الزوج واحترم شجاعتها كما جاء في جريدة "المسلمون ". [مقال بعنوان: البنات يبحثن عن العرسان]

(٢) عن أم سعد بنت سعد بن الربيع عن نفيسة بنت منية أخت يعلى قالت كانت خديجة امرأة شريفة جلدة كثيرة المال ولما تأيمت كان كل شريف من قريش يتمنى أن يتزوجها فلما أن سافر النبي صلى الله عليه وسلم في تجارتها ورجع بربح وافر رغبت فيه فأرسلتني دسيسا إليه فقلت له ما يمنعك أن تزوج فقال ما في يدي شيء فقلت فإن كفيت ودعيت إلى المال والجمال والكفاءة قال ومن قلت خديجة فأجاب. [الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٠٨٦]

(٣) القراءة الميسرة ـ سلسلة في القراءة العربية لغير الناطقين بها. [الناشر: عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٢م] تأليف: محمد عادل شعبان، ج ٢ ص ٧٩ ـ ٨٠

العنوسة داء عضال، وعدم وجود فتيات كثيرات غير متزوجات حقيقة قائمة، وواقع ماثل أمام أعيننا، وذلك في رأي لسببين:

ـ عدم زواج كثير من الفتيان والفتيات وقعودهم عانسين من غير زواج.

ـ زيادة النساء على الرجال والتي تتمثل في أمرين أيضا :

ـ زيادة النساء في آخر الزمان زيادة فاحشة كما في الحديث الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد.[1]

ـ زيادة عدد النساء منذ بدء الخليقة مقارنة بعدد الرجال ، فعَنْ مُحَمَّد قَالَ إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكَرُوا الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمْ النِّسَاءُ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوَ لَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ.[2]

قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: (الزمرة): الجماعة، قوله صلى الله عليه وسلم: (زوجتان) هكذا في الروايات بالتاء، وهي لغة متكررة في الأحاديث، وكلام العرب، والأشهر حذفها، وبه جاء القرآن، وأكثر الأحاديث. قوله: (وما في الجنة أعزب) هكذا في جميع نسخ بلادنا (أعزب) بالألف، وهي لغة، والمشهور في اللغة (عزب) بغير ألف، والعزب من لا زوجة له، والعزوب: البعد، وسمي عزبا لبعده عن النساء، قال القاضي:

---

[1] انظر ص من هذا الكتاب.

[2] صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول صورة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، حديث رقم: ٥٠٦٢/ مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، حديث رقم :٧٠٧١، وحديث رقم : ٦٨٥٥

ظاهر هذا الحديث: أن النساء أكثر أهل الجنة. وفي الحديث الآخر أُهن أكثر أهل النار، قال: فيخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم، قال: وهذا كله في الآدميات، وإلا فقد جاء للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير.[1]

ونشرت مجلة المجتمع في العدد ٨٤٧ عن كثرة النساء الآتي: ((منذ الحرب العالمية الثانية وأوربا والولايات المتحدة تشكوا من قلة عدد الرجال وارتفاع نسبة الإناث من عدد السكان، وخاصية بعد الحروب الضروس التي خاضتها في العالميتين الأولى والثانية)).

وكذلك كان الحال في اليابان، والصين، والاتحاد السوفيتي. ولكن هل كانت الحروب هي السبب الوحيد في ارتفاع عدد النساء، خاصة إذا علمنا أن الحرب مضى عليها الآن زمن طويل؟

ليس هذا هو السبب الوحيد، فلقد استمرت نسبة الإناث في الارتفاع مقابل الذكور حتى وصلت إلى (١ مقابل ٤) في السويد، والولايات المتحدة وإلى (١ مقابل ٥) في الاتحاد السوفيتي، وإلى (١ مقابل ٦) في اليابان ولا تزال النسب في ارتفاع مستمر بالرغم من توقف الحروب، فالزيادة تأتي في المواليد!!

ولم تكن الزيادة خاصة بالعالم الغربي، ففي بعض مناطق الصين تصل نسبة الذكور إلى الإناث (١ إلى ١٠) وقد أجبر هذا الواقع الديموغرافي حكومات البلدان المعنية على تشغيل النساء في كل موقع مهما بلغت خشونته وصنعته، ففي تايوان تعمل النساء في البناء، وجمع القمامة، وفي اليابان يعتبر مجال الخدمات خاصا بالنساء، أما في الدول الشيوعية فقد تعمل في مصانع الحديد، وقيادة سيارات الأجرة، ولعل هذا الواقع العالمي

---

[1] مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ١٧٢

المعاصر الذي يختص هذه القضية الاجتماعية الهامة هو تحقيق لنبوءة الرسول- صلى الله عليه وسلم- بأن من علامات الساعة أن يكون الرجل الواحد قيما على خمسين امرأة. كما ارتفعت نسبة العنوسة بشكل مخيف، فقد بلغ عدد العوانس في روسيا مثلا أكثر من عشرين مليون امرأة عام ١٩٨٠ م، ومعهن ارتفعت نسب المواليد غير الشرعيين، وبوجود النظام الغربي الذي لا يسمح بتعدد الزوجات، ويعتبر ذلك جريمة يعاقب عليها القانون ظهرت آثار اجتماعية مدمرة هي أشد جرما، وإثما من جريمة التعدد المزعومة. فقد ارتفعت نسب الزنا بشكل مخيف بعد أن أصبحت النسوة يعرضن أنفسهن رغبة في الزواج؛ لتظفر برباط الزواج الذي لا تأتي فرصته إلا مرة في العمر، أو لإشباع غريزة البقاء المتمثلة في الجنس، والأمومة.

وكان لهذا التحلل الجنسي آثاره الأخرى في ارتفاع نسب الأمراض الجنسية الفتاكة، ثم الإعراض عن النساء لوفرهن والاتجاه إلى الشذوذ. والذي أثمر (الإيدز) وغيره من الأمراض في نهاية المطاف.[1]

وقد يسهم المسهمون في حل ظاهرة العنوسة وذلك بإبداء الآراء وتقديم المقترحات. من الدعوة إلى تخفيف المهور، والمبادرة بالزواج وعدم رد الأكفياء من المتقدمين إلى غير ذلك من الأسباب التي رأينا بعضها مبثوثا في سابق ما مر علينا من هذا الكتاب، ولكن من أهم أنواع العلاج التي تسهم في حل جزء كبير من المشكلة حلا جذريا هو التعدد. ولكن هذا الأمر إذا تناوله رجل بالحديث عنه، فإن جمهور النساء وبعض الرجال يظنون بل يعتقدون أن دافع الرجل لهذا الحديث هو إشباع رغبة وتلبية

---

[1] نقلا عن كتاب: تفشي العنوسة – أسبابها – آثارها، الباب السابع من كتاب تعدد الزوجات. تأليف : الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي

نزوة وقضاء وطر القصد منه التقلب بين أحضان الزوجات وأن يكون الرجل ملكا وسط مجموعة من الإماء والجواري وهن المسميات بالزوجات.

ولكن إذا كانت المناداة بالتعدد من امرأة [1] فإن أحدا من الناس ومن النساء خاصة لا يظن بها حيفا ولا جورا على بني جلدتها من النساء ـ لأن النساء ينصر بعضهن بعضا[2] ـ فالمناداة بالتعدد من امرأة تختلف من مناداة رجل بالتعدد فالنساء تظن بالرجل الذي يكتب في هذا المجال قضاء الشهوة والتمتع أما المرأة فلا أعتقد أن النساء يظنن بها تحيزا لهن أو افتئاتا لحقوقهن فلو نادت بمبدأ التعدد وصرحت بترحيبها بتعدد زوجها عليها امرأة غير متزوجة وأخرى عانس وثالثة متزوجة، ومتزوجة لها أولاد[3] ومعدد عليها وأخرى مثفاة ونادين لو أردنا الإسهام في حل هذه المشكلة حلا جذريا فعلى الرجال

---

(1) اطلعت على رسالة صغيرة أسمتها صاحبتها : عقبات في طريق الزواج، تأليف أم عاصم، طبع مطابع طيبة بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ تكلمت فيها كلاما طيبا عن التعدد فجزاها الله خيرا، ونرجو من غيرها من الأخوات حذو طريقها.

(2) عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ رِفَاعَةَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ الْقُرَظِيُّ قَالَتْ عَائِشَةُ وَعَلَيْهَا خِمَارٌ أَخْضَرُ فَشَكَتْ إِلَيْهَا وَأَرَتْهَا خُضْرَةً بِجِلْدِهَا فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنِّسَاءُ يَنْصُرُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا قَالَتْ عَائِشَةُ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا يَلْقَى الْمُؤْمِنَاتُ لَجِلْدُهَا أَشَدُّ خُضْرَةً مِنْ ثَوْبِهَا. [صحيح البخاري، كتاب: اللباس، باب: الثياب الخضر، حديث رقم: ٥٣٧٧]

(3) كتبت إحداهن في مداخلة لها على موقع إسلام أون لاين نت مقالا تؤيد فيه التعدد وتدعو زوجها إلى تطبيقه عليها فلم تحظ بتأييد من مجموع ١٤٠ مداخلة إلا بتأييد امرأة واحدة اسمها أم سارة وكان من الطريف أن كاتبة المقال أسمت نفسه شهيدة ويمكن تحميل هذه الكلمة بكل ما تحويه من معاني أقلها ابتذال النفس والاستهانة بها وأن أن لا يأبه حاملها بما يناله ما يصيبه ومن الطريف أيضا أن بعض الرجال اعترضوا على شهيدة صاحبة المقال.

تطبيق التعدد وعلينا إعانتهن ومساعدهن لرأى الناس أن إجماع هؤلاء النسوة على هذا الأمر يحقق جزاء كبيرا من الحل، لأهن نساء يعلمن هذا الأمر أكثر من الرجال بل كثير من اللصيقات بهن من البنات و الأخوات والخالات والعمات مكتويات بنار العنوسة.

ولو اشترك أصناف النساء اللاتي ذكرناهم في المناداة بهذا الأمر لأتى أكله[١]وعلى الفتيات أن يعلمن أن نصف رجل خير من ثلث رجل وثلث رجل أفضل ربع رجل بل ربع رجل أفضل عدمه.

وعند تصدي واحدة من النساء لحل مشكلة العنوسة ذاكرة الأسباب مقترحة الحلول وأن من ضمن الحلول بل أهمها التعدد إن لم تطبق ذلك بأن يكون لزوجها على الأقل زوجة أخرى سواها فلا تتصور أن تقابل بالترحيب من بني جلدها وبخاصة النساء المتزوجات، اللاتي يعارضنها ويجادلنها وقد يتطور الأمر بينهن إلى ما فوق ذلك فقد نشرت جريدة الأسرة مقالا بعنوان: أرادت حل مشكلة العنوسة فلاقت جزاءها، أرادت إحداهن حل مشكلة العنوسة بطريقتها الخاصة فانتهزت وجود جمع كبير من النساء في مناسبة ما، فبدأت السيدة تلقي عليهن محاضرة تطرقت فيها بأسلوبها عن مشكلة العنوسة وكيفية القضاء عليها، وطلبت من الحاضرات بأن يسمحن لأزواجهن بالزواج من ثانية وثالثة ورابعة، حتى تنتهي مشكلة العنوسة.

وهنا حدث جدل بين بعض الحاضرات والمحاضرة حيث طلبن منها أن تطبق هي ذلك بالسماح لزوجها بالزواج من ثانية فأجابتهن: إن زوجي سعيد ولا حاجة له بواحدة ثانية[١] ولكني أردت نصحكن أنتن!! [٢]

---

[١] لو تصدى لإثارة هذا الموضوع والكتابة فيه عانس قد يظن بها الحاجمون عن التعدد من الرجال الموافقة وأنها الزوجة الثانية المرجوة.

وهنا ثار جدل كبير انتهى بالحاضرات إلى الاعتداء بالضرب على المحاضرة و لولا تدخل مجموعة من الحاضرات لكانت كارثة لا سمح الله حيث أصيبت ببعض الجروح قبل انسحابها من هذه المحاضرة.(٣)

رغم أن التعدد ينادي به غير المسلمين فقد ذكر أنه في أحد مؤتمرات المستشرقين تكلم بعضهم عن الإسلام بأنه يضطهد المرأة ويظلمها فقامت امرأة كانت تشغل منصبا كبيرا في وزارة الثقافة الألمانية وقاطعتهم قائلة: أيها السادة لماذا تتهمون الإسلام الأنه يبيح تعدد الزوجات ويجعل المرأة رابعة أنا أريد أن أكون الرابعة والثلاثين بشرط أن أجد رجلا يحميني ويؤويني إذا كبرت أو عجزت. (٤)

٣ ـ تشجيع الراغب في الزواج منها وإعانته ومده بالمال :

على الفتاة العانس أن تسعى في حل عنوستها، فإن علمت بشخص صالح، راغب في الزواج منها، فلتفاتحه في هذا الأمر، ولتعرض عليه مساعدتها، من غير إيذاء له ولا جرح لشعوره، كما فعلت أم سلمة المخزومية زوجة أبي العباس السفاح معه (٥) وكما فعلت زوجة الخليفة المقتدر مع أبي بكر محمد بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب الجريري المعروف بزوج الحرة الذي كان أحد العدول الثقات، ذكر ابن الجوزي

---

(١) هذا من الاستغلال الذي تتعرض له العوانس وهو استغلال الإيذاء والشعور وهو من امرأة يكون دافعها من تصرفها هذا الغيرة والحفاظ على زوجها إذا كان هذا يحدث من امرأة لبنت جلدتها فماذا تتصور أن يحدث للمرأة من ذئب ماكر لا هم له إلا إشباع نزواته.

(٢) وددت لو أن هذه المتحدثة لم تتحدث.

(٣) جريدة الأسرة –١٣٤٨٦

(٤) عقبات في طريق الزواج ، ص ٧٤ ــ ٧٥

(٥) انظر: تفاصيل قصتهما في الخلافات بين الزوجين

والخطيب سبب تسميته بزوج الحرة أنه كان يدخل إلى مطبخ أبيه بدار مولاته التي كانت زوجة المقتدر بالله فلما توفي المقتدر وبقيت هذه المرأة سالمة من القتل والمصادرات وكانت كثيرة الأموال وكان هذا الجريري غلاما شابا حدث السن يحمل شيئا من حوائج المطبخ على رأسه فيدخل به إلى مطبخها مع جملة الخدم وكان شابا رشيقا حركا فنفق على القهرمانة حتى جعلته كاتبا على المطبخ ثم ترقى إلى أن صار وكيلا للست على ضياعها وينظر فيها وفي أموالها ثم آل به الحال حتى صارت الست تحدثه من وراء الحجاب ثم علقت به وأحبته وسألته أن يتزوج بها فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك فشجعته هي وأعطته أموالا كثيرة ليظهر عليه الحشمة والسعادة مما يناسبها ليتأهل لذلك ثم شرعت قادي القضاة والأكابر ثم عزمت على تزويجه ورضيت به عند حضور القضاة واعترض أولياؤها عليها فغلبتهم بالمكارم والهدايا ودخل عليها فمكثت معه دهرا طويلا ثم ماتت قبله فورث منها نحو ثلاثمائة ألف دينار وطال عمره بعدها.[١]

٤ـ الطلب من ولاة الأمر الاهتمام بأمرها وتزويجها:

على الفتاة العانس لفت انتباه ولاة الأمور بخطورة العنوسة وحتمية البحث لها عن زواج وإلا حدث ما لا تحمد عقباه، وطلب الفتاة من ولي الأمر أن يزوجها لا غبار فيه ولا حرج عليها في ذلك، قالت حسانة التميمية بنت أبي المخشى الشاعر، وكان قد تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات أبوها كتبت إلى الحكم وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج:

إني إليك أبا العاصي موجعة ... أبا المخشى سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه عاكفة ... فاليوم آوي إلى نعماك يا حكم
أنت الإمام الذي انقاد الأنام له ... وملكته مقاليد النهى الأمم

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ١١ ص ٣٢٢

لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفا آوي إليه ولا يعروني العدم

لا زلت بالعزة القعساء مرتديا حتى تذل إليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها بإجراء مرتب وكتب إلى عامله على إلبيرة فجهزها بجهاز حسن.[1]

٥ ـ استعطاف العانس وتنبيهها من تراه سببا لحل مشكلتها:

أولا:

أ ـ استعطاف العانس أباها وتخويفه بالله عز وجل إذا كان عاضلا لها:

للعانس أن تستعطف أباها بأن تطلب منه أن يسعى لتزويجها وأن يكف عن إعضالها إن كان عاضلا لها وأن تستعين على ذلك بمن ترى من أصحاب الشفاعات والهيئات وذوي التأثير على أبيها. وبين يدي رسالتان لعانستين كتبهما أخوان فاضلان على لسانيهما وكنت أرغب في الحصول على قصص تكون بألسنة العوانس أنفسهن وبأقلامهن بأيديهن فلم أجدها ولكن هاتان الرسالتان ترينا حجم المعاناة وهما:

ـ رسالة كتبها الأستاذ: عبد اللطيف هاجس الغامدي بعنوان : حسرات فتيات، وجدها على الحاسوب في موقع الدر المكنون.

ذكر فيها معاتبة فتاة لأبيها لعدم سعيه لتزويجها وتعرض للأسباب التي يراها سببا للعنوسة فالموضوع بالأدق بحث صغير تناول فيه مشكلة العنوسة وحلها.

وذيلها بقوله : وكتبه عنهن بلسانهن، عبد اللطيف الغامدي، أجاره الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، جدة (٢١٤٦٨) ص. ب (٣٤٤١٦)

ـ رسالة كتبها الأستاذ مشعل الفلاحي على لسان عانس وأسماها : مساءلة عانس: وإليك نصها:

---

[1] نفح الطيب ج ٤ ص ١٦٧

يا أبت: يحي الناس بعضهم بعضاً بتحية الإسلام المباركة، وفي السلام من معـاني السلامة ما يتجاوز بكثير المدارك المحدودة للإنسان، وأعظم من ذلك أنها تحية المؤمنين يوم يلقون ربهم تبارك وتعالى. وكم كنت يا أبت أتمنى أن أحييك بهذه التحية المباركة ولكـن ما أجده من آلام وأحزان أشغلني فبادرتك بالشكاية المرة وتحمّل يا أبت سؤالا لا يـزال يتردد في نفسي من زمن. لماذا أنا بالذات تصرّ عليّ أن أبقى معادية للفطرة شـاذة بـين بنات حينا المبارك؟

يا أبت : إن الزواج سنة ربانية وفطرة في بنات حواء ولست أزعم اليوم أني من غير هذه الأصناف .

يا أبت : كم هم أولئك الرجال الذين دخلوا بيتنا من أوسع الأبواب يرغبون في سنة الزواج ؟ إنهم يا أبت أتوا من الأبواب المشرعة ، وكلهم يا أبت من الصالحين وأنت قد حدثتني بذلك ومع ذلك تعتذر بحجة إتمام الدراسة وأنا اليوم بحمد الله تعـالى شـابة محافظة على العفاف لا حرمني الله من العفاف والستر تجاوزت كل دواعي الشهوة حفاظا على كرامة الأسرة الكريمة يا أبت ، ومع ذلك يعود الصالحون رغبة في الزواج وتقـف أنت حجر عثرة في سبيل ذلك فلماذا تفعل ذلك يا أبت ؟ أوليس من حقي عليك يا أبت أن تلبي داعي الفطرة الربانية وتحقق مطالب النفس الإنسانية ؟

يا أبت : المساءلة لشخصك الكريم عيب أدركه في خلقي لكن الواقـع الـذي أعيشه أليم فكانت هذه المساءلة .

يا أبت : أنا وهذه الأسرة المباركة الكريمة في هذا البيت السعيد ألـيس الحيـاة الزوجية منبعها ؟ ولو لم تكن الحياة الزوجية مبتغاة وفق السنن الربانية فهل يا ترى مـن سيكون شريكك في الحياة الطويلة ؟

يا أبت : لقصد أو لآخر أراك تحارب الفطرة ، وتجابه السنن الربانية ، والضحية من أمثالي أوشكت على العنوسة وأنت يا أبت ترفل في عالم السعادة .

يا أبت : لقد زرت زميلاتي وهن أصغر مني سناً ورأيت يا أبت بيوتاً تملأ أحضانها سعادة الأمومة الحانية ، ويجوب تلك البيوت عالم الصبية الأبرياء ، لقد رأيتهم يا أبت فذرفت من عيني الدموع ، فهاهم يعيشون في قمم السعادة وأنا لازلت بين جدراني الأربعة ، كنت يا أبت أعود من تلك الزيارات وأنا أحمل هموم هذه الحياة وكنت أتمنى أن ترأف بحالي وتعرف شكاتي فتلحق بالسعادة حياتي ، لكن كأنما الأمر لا يعنيك وكأنما لا تسترعيك حالة بنيتك المسكينة ، وكنت أمضي أياماً أعيش مرارة تلك الزيارات في نفسي.

يا أبت : إن الزواج ستر وحياة وفق السنن الربانية ، وكم يا أبت من يد خائنة ، وإشارات متهمة تمتد إلينا كل صباح ومساء فلماذا يا أبت تزيد من هذه الإشارات وتلك الاتهامات ؟ حتى أننا يا أبت نُلمز من صديقك الذي يزورك في كل حين ونعرف في وجوه من نلقى أحاديث التهم الحارة ولا نستطيع أن نجيب على ذلك .

يا أبت : في مدارسنا نتعلم كيف تكون الواحدة منا أماً عطوفاً وربة بيت ناجحة، وقائدة أسرة مجيدة ، وكنا نأمل أن نرى مثل هذه الحياة الأسرية الجميلة ، ولكنك يا أبت قتلت هذه الأمنيات في نفسي بصخرة الواقع المحزنة ، فغيري من أخواتي يمارسن ذلك كله في جو من السعادة والآمال الحية وأنا بين جدران أربعة أعيش ألم الوحدة ومساءلة العنوسة المرة .

يا أبت : البارحة بالذات سمعت صوتاً يئن ، استيقظت فزعة ، تلفّت فإذا بالأبواب والنوافذ محكمة لكنه صوت يتخلخل لقوته فراغات بيتي الحزين فيؤذن مسمعي بالدخول ، صوت فتاة باكية تخنقها العبرات ، فتحت ذلك الباب لأرى حال ذلك

الصوت الشاكي فإذا بالمأساة حقيقة ليست حلما عابرا ، وإليك القصة بفصولها المـرة . جارتنا المسكينة في سن الثلاثين في نزعها الأخير وحولها تلك الأسرة من أب وأم وأخوات صغيرات كريمات وإذا بهذه الفتاة تتمتم بحديث شكاة حزين ، حاولنا أن نستفهم خبرها وسرها المكنون لكن دونما فائدة . وأخيراً ظهر صوتها وإذا بها تسأل ماءً . فيهرول ذلك الأب ويأتي لها بماء فيسألها : ماذا تريدين يا بنية ؟ فتقول : يا أبت قل آمين ، فيتلعثم الأب من شدة الفرح وكان يظن أنها ستودعه بدعاء الحفظ لحاله فيقول في لهفة آمين . فتخرجها المسكينة بزفرات آخر اللحظات وتقول : أسأل الله يا أبت مثل ما حرمتني من الزواج أن لا يريحك ريح الجنة . وتودع الحياة بعد هذه الكلمة البائسة . ورأيت حالاً مأسوية بأبيها عظيمة جداً أخذت العبرات تخنقه وبدأ يجهش بالبكاء لكن في وقت لا ينفع فيه العبرات ولا يغني فيه العويل . ووالله يا أبت وإن عزيت[1] في خاطري إلا أن مأساتي قد تتغلب عليّ عند موتي فلا أجد ما أكافئك به غير هذا الدعاء الذي سمعت .

يا أبت : بأي ذنب أبقى في بيتك نداً لدوداً للفطرة السليمة ؟

يا أبت : إن بقاءك حجر عثرة في سبيل زواجي يدخلك ضمن حديث رسولك الكريم صلى الله عليه وسلم : ((ما من عبد يسترعيه الله رعيه يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة)) . وما أدري يا أبت كيف يكون حالك وأنت محروم من الجنة .

يا أبت : مرت في حياتي سنوات عجاف وأنا لا زلت أثمّن قدر العِرض والشرف وأسعى جاهدة في لباس الحشمة والستر وأخشى يا أبت إن طال بي زمان على هذه الحال

---

[1] عزيت عامية والأفصح : عززت

أن أتنازل عن هذه المعاني وألقي بها خلف ظهري وحينها حفنة المرتب الذي تريده لن تدمل عار وجهك عن الناظرين إليه .

يا أبت : الحياة كلها آيلة إلى الزوال ولن يبقى أجمل من المعروف شيء ، ولئن حاولت يا أبت حرماني من لذة هذه الحياة فسيكون بيني وبينك لقاء أحوج ما تكون فيه إلى الحسنات ، ووالله يا أبت إن كتب الله بيني وبينك لقاء في ذلك اليوم فلن أتنازل عن شيء من هذه الحقوق بل والله سأكون أول خصيم لك يوم القيامة .

يا أبت: إن بقيت معك على بساط هذه الحياة فلا أزال أكرر إليك أن تختم أيامي من هذه الدنيا بالسعادة التي أنتظرها، عن توليت من هذه الدنيا فأبقى أنتظر لقاءك عند رب العالمين . والله يتولى الحكم فيما بيني وبينك .

وأخيراً يا أبت: هذه رسالتي لك أنت بالذات، وكاتبها الذي تقرأها باسمه مجرد شافع بيني وبينك أراد أن يوصل رسالتي إليك، فإن كتب الله لك توبة من فعلك فذلك جل ما أتمناه. وإن بقيت تجابه كل خاطب من أجل ذلك الراتب فالله أسأل أن يحرمك من لذة الحياة عاجلاً وأن يختم لك بسوء.[1] والله المسؤول أولاً وآخراً أن يريك عاجل ما فعلت.[2]

ولي تعقيب على الرسالة الأخيرة بالذات التي نسأل الله أن يجزي كاتبها خيرا ولكن :

---

[1] كان الأولى بالكاتب أن يدعو لوالد الفتاة بالهداية بدلا من أن يدعو عليه.

[2] مشعل بن عبد العزيز الفلاحي mashal001@hotmail.com

ـ أمثال هذا الأسلوب القوي يعلم الفتيات الجراءة على الوالدين وهــذا فيــه الحقوق وقد يتطور إلى أكبر الكبائر ففي هذه الرسالة فتاة تدعو على أبيها وتهدده بعــدم العفو عنه والمخاصمة يوم القيامة.

ـ فيه نوع من المبالغة وعدم الحبك في الموضوع فكيف سمعت هذه الفتاة بكــاء أو حشرجة جارتها وذهبت إليها وشهدت احتضارها وسمعت دعاءها على والدها بحرمانه من الجنة.

ـ تصوير الآباء كأنهم جبابرة ومجرمون وظلمة همهم أخذ راتب بنــاتهم ولــيس الآباء هكذا فالأب غالبا يعطي ابنته ولا يأخذ منها شيئا.

ب ـ تنبيه العانس أباها أن إعضاله لها قد يكون سببا لفجورها:

كان لرجل من العرب ثلاث بنات قد عضلهن ومنعهن الأكفاء فقالت إحداهن: إن قام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظ الرجال منا، فينبغي لنا أن نعرض له ما في نفوسنا ــ وكان يدخل على كل واحدة منهن يوما ــ فلما دخل على الكبرى تحادثــا ساعة، فحين أراد الانصراف أنشدت:

أيزجر لاهينا ونلحى على الصبا — وما نحن والفتيان إلا شقائــق
يؤبن حييات مرارا كثيــــرة — وتنباق أحيانا بهن البوائـــق

فلما سمع الشعر ساءه ثم دخل على الوسطى ، فتحادثا ، فلما أراد الانصراف، أنشدت:

ألا أيها الفتيــان إن فتاتكـــم — دهاها سماع العاشقيـن فحنت
فدونكم أبغوها فتى غير زمـــل — وإلا صبت تلك الفتــاة وجنت

فلما سمع شعرها ساءه. ثم دخل على الصغرى في يومها، فتحادثا، فلما أراد الانصــراف، أنشدت:

أما كـــان في ثنتين ما يزع الفتـــى — ويعقل هذا الشيخ إن كان يعقـــل

فما هـــو إلا الحل أو طلب الصبــــا ولا بد فأتمـــــر كيـــف تفعـــل

فلما رأي تواطؤهن على ذلك زوجهن.(١)

ثانيا: استعطاف العانس المجتمع وتبيين أنها جزء منه فلا يغفل عنها:

كتبت إحداهن تحت عنوان: أنقذونا من نار العنوسة فنحن بشر مـــثلكم نحـــس ونتألم استرونا ارحمونا. وتفضلت قائلة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سوف أطرح موضوعي الرابع وأرجـــو مـــن الأخوات المتزوجات ألا تحارب الموضوع من باب الحفاظ على زوجها وإن كان هذا من حقها ولكن لتضع نفسها مكان الأخت التي كتبت الرسالة وبالمقابل الرجل لا ينظـــر إلى الموضوع على أنه متعة وحللت له ويؤيد الموضوع من هذا المنطلق لا أرفض المبـــدأ إنمـــا أريد أن تكون النظرة من باب الدين أولا ومن باب الإنسانية ثانيا ومن بـــاب الاقتنـــاع الداخلي ثالثاً وسوف أنتقل بكم إلى تلك الرسالة الموجهة من إحدى الأخوات كلمـــات تدمع لها الأعين ويتألم منها القلب حيث قالت: ترددت كثيرا قبل أن أكتب لكم خـــوفي الشديد من بنات جنسي لأني أعرف أنهن سوف يقلن إني مجنونة أو أصابني مس ولكـــن الحقيقة والواقع الذي أعيشه وتعيشه مجموعة كبيرة من العوانس لا يعلـــم عنـــهن أحـــد جعلني أكتب قصتي باختصار عندما اقترب عمري من العشرين كنت أحلم كـــأي فتـــاة بشاب ملتزم ذي خلق وكنت أبني الأفكار والآمال وكيف سنعيش وكيف سنربي أطفالنا و..و.. وكنت من النوع الذي يحارب التعدد والعياذ بالله فبمجرد أن يقولـــوا لي فـــلان تزوج على زوجته تجدني ومن غير شعور أدعو عليه وأقول: لو كنت مكانها لرميته مثلمـــا رماني وكنت دائما أتناقش مع أخي وأحيانا مع عمي عن التعدد ويحاولون أن يقنعوني وأنا

(١) تحفة العروس للتجاني ص٣٧٦ــ٣٧٧

متعندة لا أريد أن أقتنع وأقول لهم مستحيل أن تشاركني امرأة أخرى في زوجي وأحيانا كنت أتسبب في مشكلة بين زوج وزوجته لأنه يريد أن يتزوج عليها وأحرضها عليه حتى تثور ثائرتها عليه ومرت الأيام وأنا أنتظر فارس أحلامي انتظرت لكنه تأخر وانتظرت وقارب عمري الثلاثين يا إلهي ماذا أفعل هل أخرج وأبحث عن عريس لا أستطيع سيقولون هذه لا تستحي إذا ماذا أفعل ليس لي إلا الانتظار وفي يوم من الأيام كنت جالسه وسمعت إحداهن تقول فلانة عنست قلت في نفسي مسكينة فلانة لقد عنست ولكن فلانة إنه اسمي!! يا الهي إنه اسمي أنا أصبحت عانسة صدمة قوية جدا مهما وصفتها لن تحسوا بها وأصبحت أمام الأمر الواقع أنا عانس نعم حقيقة أنا عانس وبدأت أراجع حساباتي ماذا أفعل الوقت يمضي والأيام تمر أريد أن أصرخ أريد زوجا أريد رجلا أقف بظله يعينني ويقضي أموري نعم أخي لا يقصر معي في شئ ولكنه ليس كالزوج أريد أن أعيش أريد أن أنجب أريد أن أتمتع بحياتي ولكني لا أستطيع أن أقول هذا الكلام للمجتمع يستطيع أن يقوله الرجال أما نحن فلا سيقولون هذه لا تستحي ليس لي إلا السكوت ومجاراة المجتمع أضحك لكن ليس من قلبي تريدون مني أن اضحك ويدي في النار كيف لا أستطيع جاءني أخي الأكبر ذات مره وقال لي: لقد جاءك اليوم عريس فرددته ومن غير شعور مني قلت له لماذا؟ حرام عليك قال لي لأنه يريدك زوجه ثانية على زوجته وأنا أعرف أنك تحاربين التعدد وكدت أصرخ في وجهه ولماذا لم توافق أنا راضية أن أكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة يدي في النار أنا موافقة نعم أنا التي كنت أحارب التعدد أقبله الآن ولكن بعد ماذا قال: فات الأوان الآن أدركت حكمة الله في التعدد وهذه حكمة واحدة جعلتني أقبل فكيف بحكمه الأخرى اللهم اغفر لي ذنبي فقد كنت جاهلة وهذه كلمة أوجهها إلى الرجال أقول لكم عددوا تزوجوا واحدة وثانية وثالثة ورابعة

بشرط القدرة والعدل وأذكركم بقوله تعالى ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [1] أنقذونا من نار العنوسة فنحن بشر مثلكم نحس ونتألم استرونا ارحمونا وهذه كلمة أوجهها إلى أختي المسلمة المتزوجة احمدي الله على هذه النعمة لأنك لم تجربي نار العنوسة وأقول لك وأرجو ألا تغضبي إذا أراد زوجك الزواج من أخرى لا تمنعيه بل شجعيه أنا أعرف أن هذا صعب عليك ولكن احتسبي الأجر عند الله انظري إلى حال أختك العانس والمطلقة والأرملة من لهن اعتبريها أختك وسوف تنالين الأجر العظيم بصبرك تقولين لي يأتي أعزب ويتزوجها أقول لك انظري إلى إحصائيات السكان أن عدد النساء أكثر من الرجال بكثير ولو تزوج كل رجل بواحدة لأصبح معظم نسائنا عوانس لا تفكري في نفسك فقط بل فكري في أختك أيضا اعتبري نفسك مكانها تقولين لا يهمني كل هذا المهم ألا يتزوج علي أقول لك اليد التي في الماء ليست كاليد التي في الرمضاء وماذا يحدث لو تزوج عليك اعلمي أن الدنيا فانية والآخرة باقية لا تكوني أنانية لا تحرمي أختك من هذه النعمة لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله لو جربت نار العنوسة ثم تزوجت لسوف تقولين لزوجك تزوج بأختي واسترها وهنا أقول لكم: حقيقة قضية تدمي له القلب ويدمع له العين نسأل الله أن يرزق بنات المسلمين أجمعين وأن يجنبهم قطار العنوسة وأن يحفظهم يا رب العالمين. [2]

---

[1] سورة النساء آية ٣

[2] موقع شروق.بتاريخ [٢١/٢/٢٠٠٣م]

وكان نتيجة هذا الاستعطاف للمجتمع من هذه المرأة أو هذه الفتـــاة أن وردت عليها عدة ردود منها ردود تصبرها وتعزيها وأخرى تطلب يدها صراحة ولنكتف بــرد واحد منها وهو رد يطلب منها الصبر وتذكر أشياء أوردها صـــاحب المقـــال في مقالـــه ولندع له المجال.

كتب أحدهم جزاه الله خيرا قائلا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قبل كل شيء ادعوا لكل عانس الله يفرج همها بإذن الله وهم كل المسلمين وأقول يا أختي العانس لســت وحدك من يعاني المعاناة التي أنت فيها والله ثم والله غيرك من تعيش النار نارين وهي متزوجة ولو عشت يوما من حياتها سوف تنادين بأعلى صوتك أين كرامة المرأة بدل العنوسة هــذا من جهة ومن جهة أخرى تجدين من لم ترزق بأطفال تبيت في نار وتصحو لنار أشد منها من المجتمع ومن أهل زوجها ومن كل الجهات ومن جهة أخرى انظري للمطلقة وأسألك بــالله أتفضلين مكانها أم مكانك؟ أنا لا أقول هذا للتقليل من مشكلتك والله أعلم بكلامي لكن لا أقول لك أنك تعيشين ذرة من مشكلة غيرك وعلى فكرة تجدين معظم العوانس ولسن الكل طبعا هن من وضعن أنفسهن في هذا المكان بحجة العلم أو بحجة العريس الوسيم الذي يليــق بها وبمستواها العلمي والجمالي طبعا لا تفكر بالمستوى الأخلاقي وغيره من الأســباب الــتي تضحك النفس وبعد أن يمر الوقت وينتهي الباب من الطرق تصيح ولــو بمتــزوج ولديــه عشرين عائلة أليس الموقف بكثرة في مجتمعنا والله أنا أرى أضعاف أضعاف من هذه الأسباب المضحكة لرفض العريس وقد نسوا أصل الموضوع ولبه وهو من ترضون خلقه ودينه .وأتمنى لكل مسلمة ومسلم الستر في الدنيا والآخرة وأتمنى أيضا أن يصل كلامي من القلب للقلب وتتجه أختي التي تنادي بالزواج ولو من متزوج إلى ربها بالدعاء والتضرع لمن هو أكفل بحل قضيتها وإن أصابكم سوء فمن أنفسكم أما الخير فمن الله والله المستعان.[1]

---

[1] موقع شروق.بتاريخ [٢٠٠٣/٢/٢١م]

المبحث الرابع

العلاج الوقائي من الفتى العانس

١ ـ المبادرة بالزواج والسعي نحو إعفاف نفسه وإحصانها

٢ ـ معرفة النفس وقوتها وقدرتها على تحمل تبعات الزواج

المبحث الرابع

العلاج الوقائي من الفتى العانس

١ ـ المبادرة بالزواج والسعي نحو إعفاف نفسه وإحصانها :

على الشاب أن يضع في ذهنه فكرة الزواج منذ أول بلوغه وعلى أسرته تنمية هذا الشعور فيه وتعزيزه ، وقد حثت السنة على ذلك : فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ [1] مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ.[2]

قال الحافظ بان حجر : قد قسم العلماء الرجل في التزويج إلى أقسام:

الأول : التائق إليه القادر على مؤنه الخائف على نفسه ، فهذا يندب له النكاح عند الجميع . وزاد الحنابلة في رواية أنه يجب. وبذلك قال أبو عوانة الإسفراييني من

---

[1] قال ابن حجر: قوله (يا معشر الشباب) المعشر جماعة يشملهم وصف ما ، والشباب جمع شاب ويجمع أيضا على شبية وشبان بضم أوله والتثقيل. وذكر الأزهري أنه لم يجمع فاعل على فعال غيره. وأصله الحركة والنشاط ، وهو اسم لمن بلغ إلى أن يكمل ثلاثين، هكذا أطلق الشافعية . وقال القرطبي في " المفهم " يقال له حدث إلى ستة عشر سنة ، ثم شاب إلى اثنتين وثلاثين ثم كهل . وكذا ذكر الزمخشري في الشباب أنه من لدن البلوغ إلى اثنتين وثلاثين ، وقال ابن شاس المالكي في " الجواهر " إلى أربعين . وقال النووي : الأصح المختار أن الشاب من بلغ ولم يجاوز الثلاثين ، ثم هو كهل إلى أن يجاوز الأربعين ، ثم هو شيخ . وقال الروياني وطائفة : من جاوز الثلاثين سمي شيخا ، زاد ابن قتيبة : إلى أن يبلغ الخمسين ، وقال أبو إسحاق الإسفراييني عن الأصحاب : المرجع في ذلك إلى اللغة ، وأما بياض الشعر فيختلف باختلاف الأمزجة. [فتح الباري لابن حجر ج ٩ ص ١٣١]

[2] البخاري كتاب النكاح باب: من لم يستطع الباءة فليصم فتح الباري ج١١ص١٣ / مسلم كتاب النكاح مسلم بشرح النووي ج٤ص١٢٨.

الشافعية وصرح به في صحيحه. ونقله المصيصي في شرح مختصر الجويني وجهـا، وهـو قول داود وأتباعه. وقد صرح بذلك ابن حزم فقال : وفرض على كل قادر الوطء ــ إن وجد ما يتزوج به أو يتسرى ــ أن يفعل أحدهما. فإن عجز عن ذلك فليكثر من الصوم وهو قول جماعة من السلف.

الوجه الثاني أن الواجب عندهم العقد لا الوطء، والعقد بمجرده لا يدفع مشـقة التوقان قال: فما ذهبوا إليه لم يتناوله الحديث، وما تناوله الحديث لم يذهبوا إليـه، كـذا قال، وقد صرح أكثر المخالفين بوجوب الوطء فاندفع الإيراد . وقال ابن بطال : احتج من لم يوجبه بقوله صلى الله عليه وسلم " ومن لم يستطع فعليه بالصوم " قال : فلما كان الصوم الذي هو بدله ليس بواجب فمبدله مثله . وتعقب بأن الأمر بالصوم مرتب علـى عدم الاستطاعة ولا استحالة أن يقول القائل أوجبت عليك كذا فإن لم تستطع فأنـدبك إلى كذا . والمشهور عن أحمد أنه لا يجب للقادر التائق إلا إذا خشي العنت ، وعلى هـذه الرواية اقتصر ابن هبيرة . وقال المازري : الذي نطق به مذهب مالك أنه مندوب ، وقد يجب عندنا في حق من لا ينكف عن الزنا إلا به . وقال القرطبي : المستطيع الذي يخـاف الضرر على نفسه ودينه من العزوبة بحيث لا يرتفع عنه ذلك إلا بالتزويج لا يختلـف في وجوب التزويج عليه . ونبه ابن الرفعة على صورة يجب فيها ، وهي ما إذا نذره حيـث كان مستحبا . وقال ابن دقيق العيد : قسم بعض الفقهاء النكاح إلى الأحكام الخمسة ، وجعل الوجوب فيما إذا خاف العنت وقدر على النكاح وتعذر التسري – وكذا حكـاه القرطبي عن بعض علمائهم وهو المازري قال : فالوجوب في حق من لا ينكف عن الزنـا إلا به كما تقدم . قال والتحريم في حق من يخل بالزوجة في الوطء والإنفاق مـع عـدم قدرته عليه وتوقانه إليه . والكراهة في حق مثل هذا حيث لا إضرار بالزوجة ، فإن انقطع بذلك عن شيء من أفعال الطاعة من عبادة أو اشتغال بالعلم اشتدت الكراهة ، وقيـل

الكراهة فيما إذا كان ذلك في حال العزوبة أجمع منه في حال التزويج . والاستحباب فيما إذا حصل به معنى مقصودا من كسر شهوة وإعفاف نفس وتحصين فرج ونحو ذلك . والإباحة فيما انتفت الدواعي والموانع . ومنهم من استمر بدعوى الاستحباب فيمن هذه صفته للظواهر الواردة في الترغيب فيه ، قال عياض : هو مندوب في حق كل من يرجى منه النسل ولو لم يكن له في الوطء شهوة ، لقوله صلى الله عليه وسلم " فإني مكاثر بكم " ولظواهر الحض على النكاح والأمر به ، وكذا في حق من له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء ، فأما من لا ينسل ولا أرب له في النساء ولا في الاستمتاع فهذا مباح في حقه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت . وقد يقال : إنه مندوب أيضا لعموم قوله " لا رهبانية في الإسلام " . وقال الغزالي في الإحياء : من اجتمعت له فوائد النكاح وانتفت عنه آفاته فالمستحب في حقه التزويج ، ومن لا فالترك له أفضل ، ومن تعارض الأمر في حقه فليجتهد ويعمل بالراجح.

وفي الحديث أيضا إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلى الصوم، لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل تقوى بقوته وتضعف بضعفه، واستدل به الخطابي على جواز المعالجة لقطع شهوة النكاح بالأدوية، وحكاه البغوي في " شرح السنة " ، وينبغي أن يحمل على دواء يسكن الشهوة دون ما يقطعها أصالة لأنه قد يقدر بعد فيندم لفوات ذلك في حقه. وقد صرح الشافعية بأنه لا يكسرها بالكافور ونحوه، والحجة فيه أنهم اتفقوا على منع الجب والخصاء فيلحق بذلك ما في معناه من التداوي بالقطع أصلا، واستدل به الخطابي أيضا على أن المقصود من النكاح الوطء ولهذا شرع الخيار في العنة. وفيه الحث على

غض البصر وتحصين الفرج بكل ممكن وعدم التكليف بغير المستطاع. ويؤخذ منه أن حظوظ النفوس والشهوات لا تتقدم على أحكام الشرع بل هي دائرة معها.[1]

وعَنْ عُلَيِّ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ سَمِعْتُ عُتْبَةَ بْنَ النُّدَّرِ يَقُولُ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ طس حَتَّى إِذَا بَلَغَ قِصَّةَ مُوسَى قَالَ إِنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِيَ سِنِينَ أَوْ عَشْرًا عَلَى عِفَّةِ فَرْجِهِ وَطَعَامِ بَطْنِهِ.[2]

٢ ـ معرفة النفس وقدرتها على تحمل تبعات الزواج :

على الشاب أن يكون واضحا مع نفسه صادقا مع غيره، فإن كان يستطيع تحمل تبعات الزواج من كل جوانبها فليقدم عليه، فلينظر إلى مقدرته وقوته الجنسية وهل هي لا بأس بها وهل هو ليس مريضا مرضا يمنعه ويعيقه عن أداء وظائفه المتعلقة برجولته وفحولته تجاه زوجته، وأنه ليس عنينا أو مجبوبا أو عقيما.

ولينظر الشاب إلى قواه البدنية وهل هو قوي البنية قادر على الكسب والإنفاق على زوجته، أم هو ضعيف ضعفا يعيقه عن العمل؟

ولينظر إلى قواه العقلية وهل هو عاقل بعيد عن الحماقة والجنون أم هو غير ذلك وهل يستطيع تحمل مسئوليته تجاه زوجته وأسرته أم أن طبيعته طبيعة هزلية لا تتحمل المسئولية ولا تصبر عليها؟

فإن كانت الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها من الأسئلة المتعلقة بهذا الشأن بالإيجاب فليقدم على الزواج على بركة الله وليسأل الله عز وجل الإعانة والتوفيق، وإلا فليحجم وليتوقف ولا يغرر بفتاة مسلمة ويجعلها في حالة كانت عنوستها أفضل مما هي فيه الآن.

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٣٣ ــ ١٣٥

[2] سنن ابن ماجة : كتاب الأحكام ، بَاب إِجَارَةِ الْأَجِيرِ عَلَى طَعَامِ بَطْنِهِ ، حديث رقم : ٢٤٣٥

المبحث الخامس

العلاج الوقائي من المجتمع

١ ـ عمل دراسات وبحوث ووضع حلول لمشاكل العنوسة

٢ ـ عمل تحقيقات مع العوانس وأولياء أمورهن

٣ ـ معرفة سهولة الزواج ويسره عند السابقين والاستفادة منه

٤ ـ الدعوة إلى تيسير الزواج

المبحث الخامس

العلاج الوقائي من المجتمع

١ ـ عمل دراسات وبحوث ووضع حلول لمشاكل العنوسة :

على المهتمين بظاهرة العنوسة من الباحثين عمل بحوث حول هذه الظاهرة وذكر أسبابها المختلفة وذكر الآثار الناجمة عنها ومن ثم وضع الحلول والعلاج الناجع لها. ويحبذ لو شارك في هذه البحوث من جنس المتلظين بأوار المشكلة ، فيكتب نساء حول هذا الموضوع ويوضحن آراءهن حول الحلول لهذه المشكلة ، حتى تتضافر الجهود وتؤتي أكلها.

ويفضل أن تنشر هذه البحوث في كتيبات ورسائل لتكون في متناول الجميع، فيقرءونها ويستفيدون منها، وتساعدهم في حل مشكلة العنوسة، فالعنوسة مرض يطال كل أفراد المجتمع في بناته وأخواته وخالاته وعماته وقريباته وبنات حيه الذي يسكن فيه، وبنات ملته ودينه.

كما يفضل قيام لجنة مهمتها إحصاء العوانس بعمل مسح اجتماعي يخرج بعدد تقديري لأصناف المعنيات بهذا الأمر المعايشات لهذه المشكلة من معلمات وطبيبات وموظفات وطالبات دراسات عليا وجامعات ومدارس ثانوية ومتوسطة وقعيدات بيوت لنرى نسبة العوانس الحقيقية أو الشبيه به ومن ثم نشعر بخطورة الأمر وفداحة الخطب، فنعد للأمور أقرانها، وللمعضلات أشباهها من الحلول.

٢ ـ عمل تحقيقات مع العوانس وأولياء أمورهن :

على المهتمين بظاهرة العنوسة الحادبين على مصلحة العانسين من الشباب والعوانس من الشابات إجراء تحقيقات والقيام بتصميم استبانات الغرض منها معرفة الأسباب الحقيقية لعزوف الشباب عن الزواج ولعكس مرارة ما تحس به العانس بغية الإسهام في حل هذه المعضلات فيمكن اختيار عينة عشوائية من قطاعات العوانس

كالموظفات وطالبات الجامعة والدراسات العليا مثلا وتطرح عليهن الأسئلة التالية وغيرها من الأسئلة التي يرى الباحثون أنها تسهم في حل المشكلة :

ــ هل تشعرين أن العنوسة باتت تشكل خطرا على المجتمع؟

ــ هل تحسين أن خطر العنوسة يحدق بك ويوشك أن يلف حبله حول عنقك أم أنك بمنأى عنه ، أم أنك حقيقة تشعرين بأنك عانس؟

ــ ما هي الأسباب الرئيسة في نظرك لانتشار ظاهرة العنوسة؟

ــ ما هي الحلول التي ترينها مناسبة لعلاج هذه الظاهرة ولدرء هذه المعضلة؟

ــ هل العنوسة سبب للتردي الأخلاقي عند الفتيان والفتيات على السواء؟

ــ هل تعتقدين أن تعدد الزوجات يشكل حلا من أهم حلول ظاهرة العنوسة؟

ــ هل تعتقدين أن الاختلاط في الجامعات ومكاتب الحكومة سبب من أسباب العنوسة؟

ــ هل تقدم لك خطيب من قبل؟

ــ إذا كانت الإجابة نعم فلماذا لم توافقي عليه ؟

ــ هل تحسين أن العنوسة قد صارت تشكل هاجسا لدى الفتيات ؟

ــ هل فكرت في حل مشكلة العنوسة بالنسبة لك بالقرب من أحد الشباب ؟

ــ هل تشعرين أن التعليم قد جر عليك عنوسة ؟

ــ هل لديك أخوات عوانس أكبر منك وأصغر؟

ــ زوج من عود خير من قعود ؟ ما رأيك في هذه العبارة ؟

ــ ما رأيك في زواج النهاريات أو ما يعرف في السعودية ودول الخليج بزواج المسيار ؟ وهل توافقين عليه وترينه حلا لمشكلتك؟

ـ إذا تقدم لك شخص على دين وخلق ولكنه فقير فهل توافقين عليه وتساعدينه بمالك لإتمام مراسم الزواج بك؟

ـ ما رأيك في هذه البحوث وهذه الأسئلة وهل ترينها تدخلا في شئونك الخاصة أم اهتماما بمشاكلنا والسعي نحو حلها؟

ـ إذا خيرت بين الزواج وبين العمل أو الدراسة فأيهما تختارين الزواج أو العمل أو الدراسة ؟

ـ أيهما أفضل في رأيك العانس أم المطلقة ؟

ـ ما هو العمر الذي تبلغ فيه الفتاة مرحلة العنوسة في نظرك؟

ـ هل توجد عنوسة للرجال أما أن العنوسة خاصة بالنساء في نظرك؟

ـ ما هو شعورك تجاه زميلاتك المتزوجات ؟ هل شعور بالغيرة ؟ أم بالغبطة أم بالحسد؟

ـ هل تدعين الله في صلاتك أن يخلصك من العنوسة ؟

ـ هل تشعرين أن غيرك يحمل همك من والد وأخ ومهتمين بظاهرة العنوسة وما هو شعورك نحوهم ، بالإعجاب أم ترينه تدخلا في شأنك؟

ويمكن طرح هذه الأسئلة ونحوها على أولياء أمور الفتيات العوانس من أمثال هذه الأسئلة وغيرها مما يراه المهتمون مناسبا :

ـ هل لك بنات عوانس وما هي أعمارهن؟

ـ هل تقدم خطيب من قبل لابنتك ورفضت؟

ـ إذا كانت الإجابة نعم فهل كان مواصلة تعليم ابنتك سببا من أسباب رفضها لهذا الخطيب المتقدم لها؟

ـ هل تحس أن العنوسة قد صارت تشكل هاجسا لبناتك ؟

ـ هل فكرت في البحث عن زوج لابنتك أو بناتك ؟

ـ هل تشعر أن تعليم ابنتك قد جر عليها عنوسة ؟

ـ هل ترى أن زواج الشغار يمكن أن يكون حلا لعنوسة بناتك ؟

ـ ما هي عوامل تفشي العنوسة في هذا الزمان في نظرك ؟

ـ ما يقوم به بعض أولياء أمور المسلمين في بعض البلاد من زواج جماعي هل يشكل في رأيك حلا لهذه الظاهرة ؟

ـ هل للاغتراب أثر في زيادة العنوسة؟

يمكن طرح هذه الأسئلة وغيرها في الاستبانات ثم بعد ذلك تفريغها لمعرفة وجهات نظر العوانس وأولياء أمورهن والخروج بخلاصة تسهم في حل هذه الظاهرة.

ومن التحقيقات الجيدة ما نشر باسم: صرخات مدوية ، جاء فيه ما نصه : العنوسة بكل ما يحمله هذا المعنى من استفهامات حول حاملته واشمئزاز وضجر في المحيطين بها والمقربين إليها عرفت أسبابه أم لم تعرف بات واقعا تعاني منه بعض فتياتنا وأصبح ظاهرة وشبحا مخيفا يهدد كثيرا من الفتيات،فالاستقرار النفسي والحياة السعيدة والشعور بالمسؤولية كلها أمور بلا شك تنشدها الفتاة المسلمة وتبحث عنها، ولو نظرنا إلى الواقع العام لفتياتنا نجد أن البعض يعيش تحت ظل أسرة والبعض الآخر قد حرم منها أما لأسباب خاصة بالمرأة أو لأسباب تعود على ولي الأمر ومن بيده الولاية على المرأة،وفي خضم بحثنا عن آثار هذه المشكلة الاجتماعية ومعرفة أسبابها ومعوقاتها وطرق علاجها فوجئنا بقصص أليمة تصرخ ألما وتتحدث عن واقع مرير لبعض فتياتنا اللاتي فاتهن قطار الزواج واصبحن عوانس في البيوت يتحسرن على ذلك العمر الذي ذهب سدى ولم

يستغل في النكاح الذي هو سنة من سنن المرسلين ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ [1]

بل إن كل دعوة ضد الزواج والتقليل من شأنه دعوة جاهلية وهروب من المسئولية وخروج عن الفطرة السليمة.

إنها الحياة لا تنتظر أحد لا تسأل عن السعيد لا توقف ثوانيها ودقائقها عن التسارع ولا تدري عن حزين يعقد الآمال على الغد القريب البعيد من يوقف الثواني ويصارع الدقائق من يعطل سير الساعات والأيام من يغتال الشهور والسنين.

قالت هذه الكلمات وهي تصارع العبرات، ليس الآن فمازال لديها الكثير أخذت نفسا عميقا لتصل ما نقطع وقالت ما أصعب الانتظار وما اصعب أن تكون سنوات العمر كلها انتظارا!

ولكن من المسؤول؟ الأسرة، المجتمع ، التقاليد!

ونقترب من ضحايا العنوسة لنتعرف على آراء ووجهات نظر العانسات، وشكواهن، وصرخاتهن اليومية على صفحات الجرائد والمجلات، وما يعانين من تحطم الأمل، واليأس، والكآبة التي تظهر بوضوح في كلماتهن لنقف على أبعاد المأساة التي يعانين منها:

ترجح إحدى الفتيات عدم زواجها إلى جمالها المتواضع، ورغم علمها بهذا النقص إلا أنها انكبت على دراستها معتقدة أن وضعها كمدرسة سيكون أفضل حظا لها ولكن لم

---

[1] سورة الرعد آية ٣٨

يتقدم لها إلا رجل متزوج ولديه أولاد، أو رجل مسن أو شاب عاطل، أو آخر يريد أن يتزوجها في السر.

وتحكي عانس قصتها قائلة: إن السبب وراء عنوستها هو أمها الشريرة، فهي مرعبة في تعاملها مع الآخرين، ولأنها كذلك لم يتقدم أحد لخطبتها فكل الجيران والأقارب يتحاشون الاحتكاك بها، فكيف يزوجون أبناءهم من ابنتها ولم يتقدم لها إلا شاب غير سعودي فرفضته فظلت بدون زواج.

وتبوح عانس أخرى بقصتها وتدينها وانشغالها بالدراسة وبكلام الله وأداء مناسكه وفروضه منعزلة بذلك عن حياة اللهو التي تنغمس فيها أسرتها، فلا تسافر، ولا تسمع الأغاني وهي تبلغ ٣٨ عاما، ولكنها صابرة فبعض الخطاب عندما يدخلون بيتها وبمجرد مصارحة والدها بطباعها يخرجون بلا عودة.

وترى أخرى أن سبب عنوستها يرتبط بالعادات والتقاليد في المجتمع، فكل من يتقدم لها يطالبها بترك العمل، والعودة إلى المطبخ، وهي "شاعرة وكاتبة"، ومازالت تنتظر رجلا يحترم رغبات الآخرين الشخصية.

وتحكي عانس قصتها قائلة: إنها كانت ترفض الخطاب أيام الدراسة، إلا أنها بعد الدراسة كانت في انتظار المناسب لها، غير أن الشباب عزفوا عنها، وانشغلت بأعمالها، ونسيت نفسها حتى وصلت إلى سن اليأس، وفقدت إحساس الأمومة، ولا زالت نادمة عليه.

وترى طبيبة عانس أنه لا دخل لأحد في أن تتزوج الفتاة أولا، لا يستطيع أحد أن يجبرها على الموافقة لتتزوج من أي رجل كان، وقد تقدم لها العديد من الرجال ولكن لم تجد فيهم الرجل الملتزم ذا السلوك الحسن، والشكل المقبول، فالرجل في مجتمعنا

عشوائي، لا يرتب أموره الداخلية مثل الخارجية، ولا تعتبر هذه الفتاة أنها وصلت إلى مرحلة العنوسة طالما أنها لم تبلغ الخمسين، ومازال أمامها سبع سنوات.

وتذكر معلمة بالمرحلة الابتدائية أن بخل والدها، وحرصه على راتبها وراء عنوستها، وعدم زواجها، رغم تقدم الكثيرين لها أثناء دراستها الجامعية، فكان يردهم والدها بدون استشارتها بحجة إكمال الدراسة، وبعد الدراسة عملت ٨ سنوات، وتقدم لها العديد والعديد من المناسبين ولكنه يرفضهم، ورغم مواجهتها له، وإخبارها له بأنها لا تريد الراتب، ولا يريده أخو صديقتها الذي تقدم لها، إلا أن حرص الأب وبخله وقفا حائلا دون إقناعه وقد بلغت السابعة والعشرين ولم تتزوج.

وتعترف عانس بأنها هي سبب عنوستها، فكان الرفض منها لأي خاطب بحجة إكمال الدراسة، وكانت تدعي ذلك، لأنها كانت تضع صورة معينة للزوج وأهمها إمكاناته المادية، كما كانت تريد زوجا جامعيا وسيما، وللأسف لم تتوافر هذه الشروط في واحد، وهي الآن تدفع ثمن غرورها وشروطها الصعبة.

عانس أخرى ترى أن حب والدها المفرط لها، لأنها ابنته الوحيدة وراء عنوستها، لأنه كان يرفض كل من يتقدم لها بحجة أنها مخطوبة لأحد أقاربها، وبعد وفاته ووحدتها مع والدتها المسنة أدركت حجم المأساة التي تعيشها بدون زواج، وهي تبلغ من العمر ٣٥ عاما.

تتحسر عانس في الخامسة والأربعين من عمرها على فقد الإحساس بالأمومة بسبب التقاليد البالية التي أدت إلى تحويل حياتها إلى جحيم، فكانت الشروط لزواجها أن ينحصر الزواج في القبيلة تمشيا مع العصبية القبلية التي قال عنها المصطفى عليه الصلاة والسلام: "دعوها فإنها منتنة" فوالدها يرفض الخطاب بحجة الحسب والنسب والأصل.

الأخت (سارة) تقول خطورة العنوسة وما تسببه من تحطيم كامل لكيان المـرأة التي هيأها الله سبحانه وجبلها لتمارس دورها في الحياة بما فطرها الله عليه،، ولكي يكون كلامي واضحاً سأورد لكم ما حصل معي فقط مثالاً للقياس فقط وبالمثال يتضح لكم فها هو أحد الشبان المشهود لهم بالدين والأمانة وحسن الخلق يتقدم لخطبتي التي لا أقل عنه ديناً وأمانة، وقبل أن يسأل والدي عن دينه وخلقه بل حتى لم يسأل عن اسمه سأله مـاذا تحمل من شهادات !!

فأجاب هذا الشاب الخطيب مذهولاً أن شهادتي الكفاءة المتوسـطة وموظـف بالمرتبة الثالثة، واستدرك هذا الشاب مطمئنا لوالدي قائلا :

لا تخف فلدي بعض المشاريع التجارية التي تدر عليّ دخلاً لا بأس به، فأجـاب والدي قائلاً :

لا فنحن نريد شاباً جامعيا!! عاد الشاب يندب حظه وبقيـت أنـا أكفكـف دموعي (ولا تعليق فالرأي لكم) .

الأخت (ص، ن) تقول: هذه حادثة لي أسوقها لكم وهي تتمثل في إقدام أحـد الشباب الطموحين لخطبتي بعد بحث من قبل أسرتي تمت الموافقة لاقتناعهم بكفاءة هـذا الرجل وبدينه وإخلاصه، ولكن هناك عقبة في نظر أسرتي اعتبرتها عائقاً كبيراً وهـي أن هذا الشاب يعول والدته المسنّة وأخاه من أبيه وهو في العاشرة من عمره ورغـم أنـي أعجبت أيما إعجاب ببر هذا الشاب بوالدته إضافة إلى أنه كان ذا صيت ذائـع في بـره بوالده المتوفى – وقد وافقت على السكن مع أمه وأخيه وأنا افتخر بزوج يحمل كل هذا الولاء والإخلاص لعائلته (مع إيماننا بأن ما يقوم به الابن هو واجب يفرضه الدين عليه)، ولكن ماذا حصل استدعى والدي ذا الشاب وقال له بالنص الواحد: لا نريد ابنتنا خادمة لديكم؟

أقول ارحمونا يا أيها الآباء فنحن نتعذب كل يوم،، شبح العنوسة يطاردنا كل يوم في اليقظة والمنام فنحن نريد أن نمارس حقنا المشروع في الحياة، وأليست هذه حياتنا لا نريد وظائف ولا نريد مالاً بل نريد زوجاً وأطفالاً ورواتبنا سنتركها لكم ارحمونا.، ارحمونا فمن يده في الماء البارد ليس كمن يده في الجمر.

والدي طماع تكمن مشكلتي وللأسف الشديد في طمع والدي وحرصه الشديد على المال فهو يرى أن تزويج أي من بناته يحمله الكثير من الخسائر ولا أدري أفضل أن أقول لحسن الحظ أم أقول لسوء الحظ فأنا الثالثة في شقيقاتي وكلنا معلمات ولله الحمد. ومشكلتنا هي هذه الخصلة الرديئة التي تطوي سنوات عمري وأعمار الكثيرات من جيلي فالوقت يمضي واليوم والأمس أي لا يوجد ما ننتظر.

وماذا يقال في مثل هذه الأحوال أن خلاصنا بوفاة والدنا لا،، فليعطه الله طول العمر ويعيننا على ما قدر لنا مازلت انتظر.

د. أميمة "٤٢ سنة" هي أولى ضيفات تحقيقنا وكان من الصعب مواجهتها بسؤالنا الأساسي لماذا لم تتزوجي؟ لكنها كانت متفهمة بسنوات عمرها والتي ضاعفتها التجربة فخففت علينا الحرج وقالت: كنت في الرابعة عشر من عمري حين توفيت أمي كنت الكبرى وسط إخوة صغار يحتاجون أما. وكل ما أعرفه أنني أصبحت الأم التي يحتاجونها والقصة معروفة سنوات عمر تمضي بسرعة والصغار يكبرون والشباب يولي والزواج يصبح بعيدا لكن الحمد لله فكل إخوتي تزوجوا وأنجبوا وأحيانا، أحيانا تراودني الرغبة في أن يكون لي أطفالي وحياتي وبيتي لكنني أقول ربما فات الأوان.

ـ كما أن من التحقيقات المفيدة مقال بعنوان لقاء مع عانس جاء فيه الآتي:

في الرابعة والثلاثين من عمرها. جميلة وهادئة وتتحدث باتزان. من يرها يعطها عمرا أقل بخمس سنوات. ملتزمة. ترتدي الحجاب الإسلامي.

إنها الآن موظفة في أحد المستشفيات. التحقت بوظيفتها بعد أن تخرجت من أحد المعاهد التجارية. ومع أن العمل يأخذ غير قليل من وقتها، إلا أن سامية تحرص على أن تؤدي دورها في البيت كاملا، وتتحمل مسؤولية أسرتها في شؤون حياتها المختلفة، حتى أنها لا تعتمد على الخدم في أعمال البيت التي تقوم بها. هي "ست بيت " بامتياز، وراعية أسرتها التي تعتمد عليها في كل صغيرة وكبيرة.

تقول سامية أنها لا تشكو عيبا يمنعها من الزواج، لكنه القدر الذي تؤمن به وتسلم بما يختاره لها. وهي تقول للمحررة التي أجرت معها مقابلة صحفية: ليس هناك من حادث يمر بالإنسان، مهما صغر هذا الحادث أو كبر، إلا بإذن الله. وعلى الإنسان أن يرضى بما قدر الله له أو عليه.

هي البكر، ولها سبع أخوات وأربعة إخوة. ست من أخواتها نلن الشهادات الجامعية، والصغرى طالبة في السنة الأولى من الجامعة.

تقول: تربيت في جو أسري سعيد والحمد لله. لم ينقصني شيء من حب والدي وحنانهما، ونلت كفايتي من عطفهما. ولقد رباني على النهج الإسلامي. وقد أديت فريضة الحج في سن مبكرة، وأنا مخلصة لديني وأعمل بما يأمرني به.

تسألها المحررة: فتاة في مثل مواصفاتك، والأسرة التي تنتمين إليها؛ من الطبيعي أن يتقدم لخطبتها الكثيرون. ألم يحصل ذلك؟

تجيب سامية: بلى. تقدم كثيرون، عزاب ومتزوجون. المتزوجون كنت أعتذر عن قبولهم. والعزاب تخفق خطباتهم ولا تنتهي بالزواج.

أحدهم كان معروفا لدى أسرتي، ولدى أبي خاصة. ولعلمي بما كان يمتاز به هذا الشاب من أخلاق حسنة، وصفات ترغب فيها كل فتاة، فقد قبلت به. وقد تم كل شيء مما ينبغي الاتفاق عليه لإتمام الزواج، من تحديد للمهر، وموعد عقد القران؛ وغيرهما.

وكان يحرص على فعل كل ما يرضينا، ونحن من طرفنا لم نرهقه بطلباتنا. وهكذا بدا في أن كل شيء بات مهيئا لانتهاء عزوبتي وانتقالي إلى بيت الزوجية في غضون أيام قليلة.

قبل يوم واحد من موعد عقد القران؛ اتصل أحد أقارب الشاب بوالدي ليخبره: بأن موعد عقد القران سيتأجل فترة من الزمن، فوافق أبي على ذلك من غير أن يسأل كثيرا ليعرف الجواب.

ومرت الأيام من غير أن يزورنا أو يبعث لنا بأخباره أو يعلمنا بنواياه. ولم نكن نحن نتصل به.. فذلك ليس من عاداتنا ولا يليق بنا.

وبدلا من أن يأتي هذا الشاب المحترم ليخبرنا بموعد عقد القران، بعث إلينا برسول ينبئنا بأنه عدل عن خطبته ولا يرغب في الزواج.

وقع هذا علي وقع الصاعقة، فالذين خطبوني من قبله لم يمضوا في خطباهم إلى الحد الذي مضى فيه هذا الأخير، الذي يعرف أسرتي وتعرفه، فقد أتممنا كل شيء. ولم يبق سوى يوم واحد على عقد القران فلماذا حصل الذي حصل؟!

لقد عذبني هذا السؤال، ولا يزال يعذبني، لأنه جعلني أحس بأن هناك أمرا ما في حياتي يجعل كل من يتقدم لخطبتي يغير رأيه ويهرب.

ولم يكن السؤال يعذبني وحدي، بل كان يقلق أبي أيضا، ويعذب أمي في الصميم. ولذلك، وبعد أن تعبت كثيرا وهي تفتش عن الجواب؛ لم تجد بدا من وكان السؤال الذي عذب سامية ووالدها: لماذا يحصل ما يحصل؟ وفي محاولة الإجابة عنه لم تجد والدها بدا من الذهاب إلى المشعوذين لعلهم يكشفون لها السر. وقد أقنعها هؤلاء بأن هناك امرأة ما تعمل السحر لابنتها بالربط، وتمنع من ثم زواجها!!

تقول سامية: "لم يكن ينقص أمي سوى ذلك حتى يجن جنوها، بعد أن أصبحت شغلها الشاغل، وكان عدم زواجي يشكل هما كبيرا عندها يجعلها حزينة دائما، وقلقة

علي وعلى أخواتي البنات. لذلك فقد أخذت تشك في كل من حولها من النساء، وصارت تذهب كثيرا إلى من ترى أنهم على دراية بموضوعات السحر و"فك الربط "، ولكنها لم تفلح في سعيها، وهذا ما جعلها تزداد ألما وقلقا، علما بأن آخر من قابلها أقنعها بأن المرأة التي مارست سحرها ضدي كانت على علم بمحاولات فكه؛ فعمدت إلى تجديده!

وفي الحقيقة فأنا لست تعبة إلى هذا الحد من أمر هذه المرأة المجهولة، لأنني حتى لو علمت من هي فلن يكون عندي ما أستطيع إثباته عليها، ولن يصدق أحد كلامي أو مزاعم أمي.

على أي حال فأنا أنتظر أن يفرجها الله عني، وما زلت أحلم بأن يكون لي أسرة من زوج وأطفال. يبقى أن أؤكد أنني أرفض منطق أمي وأهلي الذين يصرون على أن أتزوج قبل أخواتي.. فلما أربط مصيرهن بمصيري؟ ولماذا أتركهن معلقات بي؟ حتى إذا أصبحن عوانس حملنني المسؤولية وحملن لي في قلوبهن الكراهية؟! ".

هذه هي قصة سامية، الفتاة التي لم تتزوج حتى الآن رغم توفر صفات تجعلها مطلوبة من الخاطبين.

إنها قصة حقيقية واقعية وليست من نسج الخيال.

ولي عندها التعليقات التالية:

- لقد كان اعتقاد سامية سليما حين ردت أمر تأخر زواجها إلى قدر الله تعالى، وعبرت عن رضاها وتسليمها بهذا. وهذا ما يحسن، بل ما ينبغي أن تتحلى به كل فتاة تأخر زواجها.

– على الرغم من هذا التسليم فإننا وجدنا سامية لا تعترض على أمها حين قصدت المشعوذين لمعرفة سبب تأخر زواج ابنتها، وكأنها وافقتها أو صدقتها بأن هناك امرأة تقف وراء عدم زواجها عن طريق ما سمته ب "الربط ".

– أحسنت صنعا حين رفضت منطق أمها وأهلها الذين يصرون على زواجها قبل أخواتها. وهو ما حذرنا منه في رسالة سابقة.

على أي حال!؟ تبقى سامية نموذجا طيبا للفتاة الراضية الصابرة التي ندعو الله أن يوفقها إلى زواج سعيد، وأن يكتب لها الأجر الكبير على صبرها ورضاها وتسليمها.

٣ـ معرفة سهولة الزواج ويسره عند السابقين والاستفادة منه:

كان الزواج عند السابقين سهلا، ولنمثل لسهولته بهاتين القصتين:

أ ـ زواج ابنة [1] سعيد بن المسيب من أبي وداعة :

عن ابن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قال توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت أوتفعل قال نعم ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت إلى

---

[1] قال الذهبي: قال عمرو بن عاصم حدثنا سلام بن مسكين حدثنا عمران بن عبد الله قال: زوج سعيد بن المسيب بنتا له من شاب من قريش فلما أمست قال لها: شدي عليك ثيابك واتبعيني ففعلت ثم قال: صلي ركعتين فصلت ثم أرسل إلى زوجها فوضع يدها في يده وقال: انطلق بها فذهب بها فلما رأتها أمه قالت: من هذه قال: امرأتي قالت :وجهي من وجهك حرام إن أفضيت إليها حتى أصنع بها صالح ما يصنع بنساء قريش فأصلحتها ثم بنى بها.[سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٣٥]

منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر كان خبزا وزيتا فإذا بآت يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكر في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب فقلت: يا أبا محمد لو أرسلت إليّ فآتيك قال لأنت أحق أن تؤتى قال قلت فما تأمر قال إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاءوني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة فقالوا سعيد بن المسيب زوجك قلت نعم وها هي في الدار قال فنزلوا هم إليها وبلغ أمي الخبر فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل النساء وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج قال: فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس فلما لم يبق غيري قال ما حال ذلك الإنسان قلت خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رابك شيء فالعصا فانصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم قال عبدالله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبدالملك بن مروان لابنه الوليد بن عبدالملك [1]

---

[1] قال أبو بكر بن أبي داود: كانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك لابنه الوليد فأبى عليه فلم يزل يحتال عبد الملك عليه حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة

حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبدالملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف قال عبدالله ابن أبي وداعة هذا هو كثير ابن المطلب بن أبي وداعة.[1]

قال ابن أبي وداعة: فوالله ما رأيت امرأة أقرأ لكتاب الله تعالى ولا أعرف بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أخوف لله عز وجل منها ، لقد كانت المسألة المعضلة تعيى الفقهاء ، فأسألها عنها فأجد عندها منها علما. قال: فأقمت معها ما شاء الله ثم رزقني الله منها حملا. وكان سعيد كثيرا ما يسألني عنها ، فيقول: ما فعلت تلك الإنسانة؟ فأقول: بخير. فيقول: يا عبد الله إن خف عليك أن تزيرناها فافعل ، فلما حضر ولادها خرجت لأنظر فيما ينظر فيه الرجل لأهله ، ورجعت إلى الدار فإذا بها شخص قائم، ما رأيته قط فنادتني من ورائي: يا عبد الله ادخل فقد أحل الله لك هذه النظرة. قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قالت: أنا أم هذه الفتاة ، يا عبد الله كيف رأيت أهلك؟ قلت: جزاكم الله من أهل بيت خيرا فقد ربيتم فأحسنتم وأدبتم فأحكمتم. فقالت: يا عبد الله لا يمنعك مكانها مني أن ترى بعض ما تكره فتحسن أدبها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تكثر التبسم في وجهها فتستخف بك، يا عبد الله بارك الله لكما في المولود، وجعله مباركا خائفا لله تعالى، ووقاه الله فتنة الشيطان، وجعله شبيها بجده سعيد، فوالله إني تزوجته منذ أربعين سنة ما رأيته عصى الله قط معصية، وهذه نفقة بعث بها إليكم. قال:

صوف .[سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٥]

[1] الحلية ج ٢ ص ١٦٧ ــ ١٦٩ / سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٥

فأخذها منها فإذا هي خمسة دنانير، ثم خرجت فلم أر لها وجها ثمان عشرة سنة حتى قضى الله علينا بالموت.[١]

ب ـ زواج شريح القاضي :

قال الشعبي: قال لي شريح: يا شعبي عليكم بنساء بني تميم فإنهن هن النساء. قال قلت: وكيف ذاك، قال: انصرفت من جنازة ذات يوم مظهرا فمررت بدور بني تميم، وإذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة وتجاهها جارية رود ولها ذؤابة على ظهرها جالسة على وسادة. فاستسقيت، قالت لي: أي الشراب أعجب إليك، النبيذ أم اللبن أم الماء؟ قلت: أي ذلك يتيسر عليكم، قالت: اسقوا الرجل لبنا فإني أخاله غريبا. فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتني فقلت: من هذه ، ومن؟ قالت: زينب بنت حدير إحدى نساء بني تميم ثم إحدى نساء بني حنظلة ثم إحدى نساء بني طهية، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوجينيها؟ قالت: نعم، إن كنت كفيا، ولها عم فاقصده. فانصرفت فامتنعت مني القائلة فأرسلت إلى إخواني القراء الأشراف : مسروق بن الأجدع والمسيب بن نجبة وسليمان بن صرد الخزاعي وخالد بن عرفطة العذري وعروة بن المغيرة بن شعبة وأبي بردة بن أبي موسى، فوافيت معهم صلاة العصر. فإذا عمها جالس. فقال: أبا أمية حاجتك؟ قلت: إليك، قال: وما هي؟ قلت: ذكرت لي بنت أخيك زينب بنت حدير، قال: ما بها عنك رغبة ولا بك عنها مقصر، وإنك لنهزة. فتكلمت فحمدت الله جل ذكره وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرت حاجتي، فرد الرجل علي وزوجني وبارك القوم لي ثم نهضنا، فما بلغت منزلي حتى ندمت فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها، فهممت بطلاقها، ثم قلت: أضمها إلي فإن

---

[١] وفيات الأعيان ج١ص٢٥٩/ تحفة العروس للتجاني ص١٠٨ـ١١٠

رأيت ما أحب، وإلا طلقتها، فأقمت أياما ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أجلست في البيت أخذت بناصيتها فبركت وأخلي لي البيت، فقلت: يا هذه إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين ويسألا الله خير ليلتهما ويتعوذا بالله من شرها، فقمت أصلي، ثم التفت فإذا هي خلفي، فصليت، ثم التفت فإذا هي على فراشها، فمددت يدي، فقالت: على رسلك، فقلت: إحدى الدواهي منيت بها، فقالت: إن الحمد لله أحمده وأستعينه، إني امرأة غريبة لا والله ما سرت مسيرا قط أشد علي منه، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدثني بما تحب فآتيه وما تكره فأنزجر عنه، فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد، قدمت خير مقدم، قدمت على أهل دار زوجك سيد رجالهم وأنت سيدة نسائهم، أحب كذا وأكره كذا، قالت: أخبرني عن أختانك، أتحب أن يزوروك، فقلت: إني رجل قاض وما أحب أن تملوني، قال: فبت بأنعم ليلة وأقمت عندها ثلاثا، ثم خرجت إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوما إلا هو أفضل من الذي قبله، حتى إذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهي، قلت: يا زينب، من هذه؟ قالت: أمي فلانة، فقلت: حياك الله بالسلام، قالت: أبا أمية، كيف زوجك؟ قلت: كخير امرأة، قالت: إن المرأة لا ترى في حال أسوأ منها خلقا في حالين - إذا حظيت عند زوجها وإذا ولدت غلاما، فإن الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرا من الورهاء المتدللة، قلت: أشهد أنها ابنتك قد كفيتنا الرياضة، وأحسنت الأدب، فكانت في كل حول تأتينا فتذكر هذا القول وتنصرف، فذلك حيث أقول:

إذا زينب زارها أهلها حشدت وأكرمت زوارها
وإذا هي زارتهم زرتها وإن لم يكن أرى دارها

قال شريح: فما غضبت عليها قط إلا مرة كنت ظالما لها فيها، وذاك أني كنت إمام قومي فسمعت الإقامة وقد ركعت ركعتي الفجر، فأبصرت عقربا فعجلت عن قتلها، فأكفأت عليها الإناء، فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب لا تحركي الإناء حتى أجيء، فعجلت فحركت الإناء فضربتها العقرب، فجئت فإذا هي تلوى، قلت: مالك؟ قالت: لسعتني العقرب، فلو رأيتني يا شعبي وأنا أعرك إصبعها بالماء والملح وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب، وكان لي يا شعبي جار يقال له ميسرة بن عريد فكان لا يزال يضرب امرأته. فقلت:

رأيت رجالا يضربون نساءهم ... فشلت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أتت به ... إليّ فما عذري إذا كنت مذنبا
فتاة تزين الحلي إن هي حليت ... كأن بفيها المسك خالط محلبا

فهلكت قبلي فوددت أني قاسمتها عيشي والله لقد بغضت إلي الحياة وأفسدت علي النساء، فوددت أني تبعتها.[1]

٤- الدعوة إلى تيسير الزواج :

على أفراد المجتمع أن يكون تيسير الزواج شغلهم الشاغل ، لأنهم مكتوون بعدمه، فالعوانس من هذا المجتمع، وهن لصيقات بأفراده وتربطهم بهن علاقات ووشائج عظيمة، من أبوة وإخوة وعمومة وخؤولة وقرابة وجوار وإسلام، فليعمل أفراد المجتمع على تخفيف المهور، والإسهام فيها بمساهمات عينية ونقدية، وعمل مشاريع الزواج الجماعي، وتشجيع الأيامى من الرجال على التقدم وعدم الإحجام عن الزواج.

---

[1] سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٠٦/ المستطرف ج ٢ ص ١٨٠ ـــ ١٨١ / الأغاني ج ١٧ ص ٢٢٠-٢٢٢

وتطمينهم أن كل العوائق ستذلل، وأن كل الصعاب ستلين، وأنهم مستعدون إعطاء الشاب الصالح منهم الفتاة التي يرغب فيها وتوافق عليه، وسيعينونه على زواجه فليتقدم ولا يتأخر عن الزواج ولا يضيع عمره في العنوسة.

كما عليهم إخبار الفتيات أن يعشن واقعهن وألا يتوهمن أن الدراسة والجمال كفيلان بجلب الزوج في أي وقت وزمان شاءت صاحبتهما.

عليهم ذكر هذا وغيره من الأسباب التي مرت علينا وهي مبثوثة في ثنايا هذا الكتاب، وقد أحسن من قال في هذا الصدد:

يا أهلنا من استطاع الباءة فزوجوه ... وإلى حياة سعادة هيا فانقلوها وانقلوه
وعلى التراحم والمودة أسعدوها وأسعدوه ... فشريعة الإسلام توصي بالزواج فيسروه
فإن أتاكم ورضيتم دينه فزوجوه ... لا تكثروا في عبئه رفقا به ولا ترهقوه
ولا تثقلوا كاهله بالدين والهم ارحموه ... هو صهركم هي بنتكم لا تظلموها وتظلموه
دعوا المظاهر والتفاخر واتركوا ما اعتدتموه ... وخذوا البساطة في الحياة شعاركم لا تتركوه
يهنأ بها عرسانكم صرح السعادة فاحفظوه ... وسلوا الكريم سعادة لعروسكم دوما سلوه
كم للزواج من محاسن ومآثر ولا تهجروه ... فيه النفوس تآلفت وشبابكم فلتحصنوه
بارك لهم يا ربنا فيمن زوجوها وزوجوه ... واحفظ بفضلك بيتهم فعلى التقى قد شيدوه[1]

[1] عقبات في طريق الزواج، ص ٥٥ ـ ٥٦

المبحث السادس

معرفة أمثلة لقصص واقعية من العنوسة والاستفادة منها

أولا: معرفة أمثلة ونماذج لقصص واقعية دامية من العنوسة حتى يعتبر بها المعتبرون

ثانيا: الاستفادة من هذه القصص وأخذ العظة والعبرة منها

المبحث السادس

معرفة أمثلة لقصص واقعية من العنوسة والاستفادة منها

أولا: معرفة أمثلة ونماذج لقصص واقعية دامية من العنوسة حتى يعتبر بها المعتبرون:

هنالك قصص دامية في المجتمع لعوانس فاهن قطار الزواج وصرن يندبن حظهن ويبكين على ما أضعن من فرص وعرفت هذه القصص بحكاية بعضهن لها وكتابتهن حولها في الصحف ونشرها في وسائل الإعلام وبتلمس القصص الأخرى من المجتمعات وهذه القصص نسوقها ونذكرها للآتي:

ـ حتى تستفيد منها الفتيات اللواتي هن في سن الزواج وفي مقتبل العمر وتقدم للواحدة منهن متقدم متوفرة فيه شروط الدين والخلق والكفاءة وهذا المتقدم مما لا تعاب به من تقدم لها أن لا تفكر في رفضه بحجة الدراسة أو نحوها من الأعذار الواهية.

ـ تتعزى وتتسلى بها العانسات وليعلمن أن في هذه القصص عوانس هن أجمل منهن وأكثر علما ومركزا اجتماعيا.

ـ الآباء الذين لهم بنات حتى يسعوا لحل مشاكلهن ويبحثوا لهن عن أزواج.

ـ الدعاة وطلاب العلم للطرق عليها وتذكير الناس بها حتى يستشعروا فداحة الخطب وعظم الأمر فيعدوا للأمور أقرانها.

ـ أولياء الأمور حتى يعرفوا بعض مشاكل رعيتهم فيعملوا على حلها.

وقد جعلنا لكل قصة عنوانا يلخص محتواها وهي كالآتي:

١ ـ خذوا شهاداتي وأسمعوني كلمة ماما:

قالت طبيبة سعودية بلغت الثلاثين من عمرها: السابعة من صباح كل يوم وقت يستفزني. يستمطر أدمعي أركب خلف السائق متوجهة إلى صوب عيادتي بل مدفنتي، بل زنزانتي. وعندما أصل مثواي أجد النساء بأطفالهن ينتظرنني، وينظرن إلى معطفي الأبيض. وكأنه بردة حرير فارسية هذا في نظر الناس وهو في نظري لباس حداد.

أدخل عيادتي أتقلد سماعتي وكأنها حبل مشنقة يلتف حول عنقي، العقد الثالث يستعد الآن لإكمال التفافه حول عنقي والتشاؤم ينتابني على المستقبل.

خذوا شهاداتي ومعاطفي وكل مراجعي وجالب السعادة الزائفة (المال) وأسمعوني كلمة ماما، ثم قالت:

قد كنت أرجو أن يقال طبيبة ... فقد قيل ماذا نالني من مقالها

فقل للتي ترى في قدوة ... هي اليوم بين الناس يرثى لحالها

وكل مناها بعض طفل تضمه ... فهل ممكن أن تشتريه بمالها؟

التوقيع / س . ع . غ، الرياض[1]

٢ ـ أفكر في إحراق شهاداتي:

قالت إحدى العوانس : لقد كنت في مقتبل عمري أحلم بذلك القدر العالي من التعليم. ولا أنكر أنني كنت أحلم بالرغبة في أن أصبح أما وزوجة في المستقبل ولكن كان التعليم هو عندي يسبق كل الأهداف. لدرجة أنني كنت أرفض الاعتراف برغبتي في الزواج .

وبقي الحال كذلك حتى حصلت على الماجستير وانتهت رحلة المعاناة الدراسية وبدأ الفراغ يتسرب إلى الأعماق واستيقظت. على الحقيقة وهي أنني أصبحت أكثر رغبة في الزواج .

---

(١) اعترافات متأخرة. المشاهير وغيرهم يعترفون، لمحمد بن عبد العزيز المسند دار الراية الطبعة الأولى الرياض رمضان ١٤١٤هـ، ص ٦٤ ــ ٦٥

وفتح والدي الباب للخطاب وكلما تقدم شاب فر مدبرا لما وضعناه أنا وأبي من شروط ومواصفات قياسية. وإحقاقا للحق فقد كان والدي أكثر تعاطفا معي ولا يريد إرغامي على شئ لا أريده.

ومضت ست سنوات بعد تخرجي حتى تجاوزت الثلاثين من عمري وهنا كانت الصدمة عندما جاء آخر خطابي الذي أنشد فيه مواصفاتي ولكنه احتفظ لنفسه بهذا الحق حق الشروط والمواصفات. وقد جمع حقائبه وانسحب حينما علم بعمري الحقيقي بل قالها صريحة : لا حاجة لي بامرأة لم يعد بينها وبين سن اليأس سوى القليل.

سمعت هذا لأدرك الحقيقة المرة وأيقنت أنني دخلت في زمن العنوسة التي تتحدث عنه وسائل الإعلام من حين لآخر.

واليوم بعد أن كنت أضع الشروط والمواصفات والمقاييس في فارس أحلامي وكنت أتعالى يوم ذاك. اليوم بدءوا هم يضعون مقاييسهم في وجهي وهو ما دفعني أن أفكر كثيرا في أن أشعل النار في جميع شهاداتي التي أنستني كل العواطف حتى فاتني القطار.

بدأت أحمل في نفسي الحسرة على أبي الحنون الذي لم يستعن بتجاربه في الحياة في تحديد مسار حياتي. نعم إن تعليمي قد زادني وعيا وثقافة ولكن كلما ازددت علما وثقافة ازددت رغبة في أن أكون أما وزوجة لأنني أولا وأخيرا إنسانة والإنسان مخلوق على فطرته.

إنني أروى ذلك لكم للعبرة والعظة فقط ولأقول: نعم من أجل الحياة، من أجل الزواج، لا للعنوسة ، متجاوزة بهذا كله صمت الزمن ، فمن هو فارس أحلامي يا ترى؟ الذي نتنازل أنا وهو معا عن بعض الشروط حتى نضمن مسيرة حياتنا.

أختكم. ص . ل . أ . ص جدة [١]

٣ـ أحزان خلف الجدران:

يروي أحد الإخوة الذين شاركوا في عملية التعداد السكاني يقول: أثناء عملية التعداد ذهبنا إلى بيوت كثيرة، وجدنا في بعض هذه البيوت غرائب وأعاجيب. امرأة في الثلاثين، وأخرى في الأربعين، وثالثة في الستين، وكلهن من غير زواج. ويقول آخر: ذهبنا إلى بيت فوجدت فيه خمس عوانس، أعمارهن من الثلاثين إلى الخامسة والأربعين.

ويقول شيخ كبير تجاوز السبعين، وعمله تأجير البيوت: دخلنا بيوتاً فيها نساء أبكار، في الستين والسبعين، يشتمن المجتمع والأقارب ويلعن من كان السبب في بقائهن عوانس إلى هذا السن، فهن لا يجدن من يقدم لهن الطعام والشراب، لا يجدن من يقدم لهن الدواء، لا يستطعن قضاء حوائجهن بسهولة ويسر، الآباء غير موجودين، وإن وجدوا فهم كبار، وكذلك الأمهات والأخوة مشغولون بأنفسهم، كل واحد بزوجته وأبنائه، والأخوات مشغولات بأزواجهن وبناقمن. [٢]

٤ـ طاعة النساء ندامة:

هذه قصة فتاة من أسرة طيبة معروفة بأخلاقها، ووالدها كذلك. تقدم لخطبة هذه الفتاة شاب مستقيم صالح، ولكن الأمور في هذه الأسرة ليست بيد الوالد ولا بيد الفتاة ولا بيد أحد من إخوتها، بل الأمر فيها إلى الوالدة التي تمدنت وتحضرت وتأثرت كثيراً بالقيم الغربية، عقد العقد الشرعي بعد جهود جبارة لمعرفته بأصالة البنت، وبعدها بدأ بتأثيث الشقة وكلفته كثيراً نظراً لتدخل الأم في اختيار كل صغيرة وكبيرة، وذلك كان

---

[١] عكاظ العدد ٨٦٤٠ ، اعترافات متأخرة ص٦٠ـ٦٣

[٢] اعترافات عانس قصص واقعية لضحايا العنوسة جمع وإعداد مبارك بن نزال الصقيري العستري كتاب منشور على موقع مكتون.

يغضبه ولكنه كان يتغاضى ويصبر كثيراً من أجل هذه الفتاة. وبعد التأثيث اتفق موعد الزفاف، وكان الطامة عندها، لأنه حصل خلاف كبير بين الزوج وبين والدة الفتاة في اختيار القصر الذي ستقام فيه الوليمة، وطبع بطاقات الدعوة والمغنية فرفض المغنية رفضاً تاماً، لعلمه بحرمتها، وتوقف عن الأمور الأخرى لأن إمكانياته محدودة فهو موظف وقد بذل كل جهده في الملكة وتأثيث الشقة، وظروفه لا تسمح له إلا باختيار قصر بسيط وحفل متوسط، فمن أين يأتي بمبلغ مائتي ألف ريال لكي ترضى والدة الفتاة، وأصرت هي على كلامها ورأيها، وضعفت شخصية الأب أمام إصرار الأم ووافق على طلبها وذهلت الفتاة أمام هذه التصرفات ذهولاً شديداً، وحاول الزوج معهم محاولات أخرى مع توسط بعض أهل الخير، ولكن كل محاولاته باءت بالفشل.

وبعد تلك المحاولات لم يكن أمام الزوج من حل سوى الانفصال عن تلك الفتاة، ثم تقدم إلى أسر أخرى واستخار الله تعالى، فسألوا عنه فوجدوه إنساناً صالحاً، فسرعان ما وافقوا عليه وتزوج ورزقه الله الذرية. وبقيت الفتاة الأولى في بيت أبيها عانساً، ووصل سنها إلى الرابعة والثلاثين لا يقربها الخطاب لكبر سنها أولاً ولطلاقها ثانياً.[1]

٥ ـ عنوسة بسبب إعضال الوالد:

هذه قصة امرأة شابة طيبة من أب جاهل لا يخاف الله تعالى تعلمت هذه الفتاة إلى المرحلة الابتدائية ثم توقفت عن التعليم، تجاوز عمرها الخامسة والعشرين، والخطاب ينهالون عليها من كل حدب وصوب، والأب يرفضهم كلهم بحجة أنه يريد شخصاً من بني جنسه وعشيرته، تقدم عمر الفتاة فوصلت إلى الثامنة والعشرين، وتقدم إليها شاب مستقيم من بني جنسه لكنه فقير معدم، فرفض الأب رفضاً شديداً، وبدون إبداء أي

---

(١) اعترافات عانس جمع مبارك بن نزال الصقيري العتري نقلا عن : موقع مكنون

سبب، عندها استشارت البنت أختها التي تكبرها، فقامت الأخت الكبرى بعد المشاورة والنصح من أهل الاستشارة بشكوى والدها في المحكمة الشرعية. فأمرهم القاضي بالحضور جميعاً، فحضروا وفي جلسة المحكمة سأل القاضي الوالد عن سبب الرفض فأجاب بإجابات تافهة تنم عن جهله وسوء خلقه وسجلت عليه في المحضر جميع الأقوال التي قالها لابنته فحبست البنت في المحكمة بإذن القاضي عندها وافق الأب على زواج ابنته لأنه خاف من فضيحة السجن فوافق على زواجها رغما عن أنفه، فزوجها من الرجل الفقير الذي رفضه في المرة الأخيرة، ولكن بإجبار من القاضي بعد أن كادت هذه الفتاة أن تدخل في دائرة العنوسة. [1]

٦ ـ إعضال بسبب مواصفات زوج قياسية يؤدي إلى الفاحشة:

هذه المرأة شابة طيبة، رفض والدها زواجها مع كثرة المتقدمين إليها من حضر وبدو، وأصر على ذلك لأنه يريد إنساناً من بيئة معينة ومواصفات خاصة، فاضطرت هذه الفتاة إلى أن تواجه والدها مواجهة شديدة، صريحة وعنيفة، ودارت بينها وبينه معارك كلامية شديدة بسبب ذلك، ولكن بغير فائدة، ثم اتجهت إلى والدها وصارحتها مصارحة تامة، ولم تستفد من مصارحتها لها لأنه ليس بيدها حيلة.

وأوكلت بعد ذلك الأمر إلى الله تعالى، ولكن الشيطان أغواها بحب ابن الجيران الذي كان يميل إليها، ولكن الوالد رفضه من جملة المرفوضين الذين رفضهم.

أغواها الشيطان غواية ماكرة خبيثة. أوقعها في المحظور فلم تسلم منه بعد نفاذ صبرها، وعلم أبوها بالقضية بعد فترة وعلم الجيران وانتشر الخبر بين أهلها وأقاربها،

---

[1] العنوسة داء تفشى ص ٢٣ ـ ٢٤ / اعترافات عانس جمع مبارك بن نزال الصقيري العنزي نقلا عن: موقع مكنون

وصارت الفضيحة تلازمه في كل مكان فباع مسكنه الذي كان فيه، وانتقل إلى مدينة أخرى بعيدة عن مدينته تماماً، وأول ما فعله بعد انتقاله أنه زوج ابنته التي كان يرفض زواجها.(١)

٧ ـ عنوسة بسبب الدراسة:

ذكرت لي إحدى الأخوات الفاضلات تقول: إنها تعرف أحد البيوت ويوجد فيه أربع أخوات أصغرهن عمراً في التاسعة والعشرين وأكبرهن في السابعة والثلاثين، ولم تتزوج واحدة منهن حتى الآن بسبب الدراسة. ثم تواصل هذه الأخت وتقول: وأيضاً أعرف امرأة بلغ عمرها الخامسة والثلاثين ولم تتزوج حتى الآن، فقد كانت ترفض كل من يتقدم لخطبتها وذلك بسبب حرصها على تربية إخوتها الصغار الأيتام.(٢)

٨ ـ إعضال نتج عنه ما لا تحمد عقباه:

هذه قصة فتاة ذكرتها لي إحدى الأخوات تقول هذه الأخت: إنني أعرف فتاة ممن فاتها قطار الزواج، وأصبحت في عداد العوانس، التقيت بها في أحد المرات وذكرت لي قصتها، تقولها ودموعها تنهمر، وقلبها يتفطر ألماً وحسرة، قالت لي: إنني أعاني أشد المعاناة، وأعيش أقسى أيام حياتي، ذبحني والدي بغير سكين، ذبحني يوم حرمني من الأمان والاستقرار والزواج والبيت الهادئ بسبب دريهمات يتقاضاها منْ مرتبي آخر الشهر، يقتطعها من جهدي وتعبي وكدي.

---

(١) اعترافات عانس جمع مبارك بن نزال الصقيري العتري نقلا عن : موقع مكنون

(٢) اعترافات عانس جمع مبارك بن نزال الصقيري العتري نقلا عن : موقع مكنون

تقول هذه الأخت التي ذكرت قصة هذه الفتاة: ثم لقد أخذ الشيطان بيدها إلى الرذيلة، وساقها إلى الشر، فأخذت تعاكس، وتتكلم مع الشباب والرجال في الهاتف. حتى أصبحت سمعتها في الحضيض بسبب رفض أبيها لزواجها.(١)

٩ ـ عنوسة بسبب إعضال

هذه قصة فتاة لم تحلل أباها وهو يحتضر هو يموت وهي لا ترضى أن تسامحه، لأنه منعها حقها الشرعي في الزواج والاستقرار والإنجاب وإحصان الفرج بحجج واهية، هذا طويل وهذا قصير، وهذا ليس من مستوانا، وغير ذلك من اعتراضات حتى كبرت البنت، وتعداها الزواج.

فلما حضرت أباها الوفاة طلب منها أن تحلله فقالت: لا أحلك، لما سببته لي من حسرة وندامة وحرمتني حقي في الحياة.

ماذا أعمل بشهادات أعلقها على جدران منزل لا يجري بين جدرانه طفل؟

ماذا أفعل بشهادة ومنصب أنام معهما في السرير؟

لم أرضع طفلاً؟ لم أضمه إلى صدري، لم أشكو همي إلى رجل أحبه وأوده ويحبني ويودني، حبه ليس كحبك؟ مودته ليست كمودتك؟ فاذهب عني واللقاء يوم القيامة بين يدي عدل لا يظلم، حكم لا يهضم حق أحد، ولكن عليك غضبي، لن أترحم عليك ولن أرضى عنك حتى موعد اللقاء بين يدي الحاكم العليم.(٢)

١٠ ـ عانس ترسل رسالة تفصح عن مكنون نفسها:

هذه قصة فتاة أرسلتها إلى أحد المشايخ الفضلاء تقول الرسالة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

---

(١) اعترافات عانس جمع مبارك بن نزال الصقيري العنزي نقلا عن : موقع مكنون

(٢) اعترافات عانس جمع مبارك بن نزال الصقيري العنزي نقلا عن : موقع مكنون

فقد سمعت محاضرتك (رسالة من الفقراء) وهذه الرسالة كتبتها إليك الأخت الغيورة، بل المقهورة من ظلم واستبداد والدها، فحركت المحاضرة شجوني التي ما سكنت، وجراحي التي أبداً ما التأمت، وحزني المضني القاتل، فأمسكت قلمي، ومداده دم قلب ممزق، ودمع عين باكية، وكأنما بصيص من الأمل يتراءى لي من بعيد، و إلا فوالله ثم والله الذي لا إله إلا هو إنني قد يئست من كل شيء، وكل أحد من أهل الدين والدعاة والصالحين، وأهل الخير والمروءة إلا من رحمه الله تعالى فهي الشيء الوحيد الذي يعزيني، فأنا واثقة موقنة برحمة الله ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] ذلك أنني يا شيخي الفاضل عشت مأساة وما زلت أعيشها، وأسأل الله الواحد الأحد الفرد الصمد أن يرفع عني عذابه، إن كان هذا عذاباً علي أوقعه الله، ويربط على قلبي إن كان امتحاناً وبلاء، ويرحم ذلي وفقري إنه سميع مجيب.

أيها الداعية الكريم:

إليك مأساتي وأيامي المظلمة السوداء، إليك الظلم والقهر الذي أعيشه، إليك معاناتي أنا وأخواتي في الله، وإن كان لكل منا مأساة، لكنها في النهاية تصب في قالب واحد، وهي أننا بلا أزواج، بلا أطفال، بلا حياة، أحياء بلا قلوب، هياكل قتلها الألم والحزن، وسأطيل عليك ووقتك ثمين، لكن تحمل فقد تحملت أعباء أعظم من هذه الرسالة الثقيلة الظل.

أعمل معلمة، وفي آخر كل شهر يفتح والدي يده، ويقول: ادفعي جزية بنوتك وإسلامك، فأنت ومالك لأبيك.

---

[1] سورة الأعراف آية ٥٦

بل الوالد كان يعلم منذ أن كنت طالبة أن محصولي سوف يصب عنده، وكلما طرق بابي طارق قال: ليس بعد، وأقنعه كثير من أهل الخير ولكن ما اقتنع، فيذهب هذا الخاطب في حال سبيله بعدما يقول له الوالد: هي لا تريدك هي لا تقبلك، هذا جواب الوالد.

وأما من كان أطول نفساً من هذا الخاطب، ويستطيع الصبر والمعاودة فسوف ندخل في باب المديح الحار، فيقول له والدي: البنت حادة الطبع، وغير جميلة.

وباعتباري شابة أريد الزوج والأسرة والمنزل الهادئ السعيد، وهكذا خلقنا الله، وأريد طفلاً يمنحني الأمومة، يطغى على كل مشاعري، فأوسط الأعمام والأجداد، ولكن الأعمام يخافون، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والأجداد يرد عليهم برد يخرس ألسنتهم. يقول لهم أبي: هل أشتري لها زوجا؟

وهم لا يدرون أنه تقدم لي العشرات من الخطاب،ثم يقول أبي: لا يريدها أحد من الناس، وهو يريد راتبي ومصروفي ودخلي.

ثم تقول: شابة في مقتبل العمر، لا أم، لا أخ، كلهم فروا من منزل أبي لسوء معاملته مع أخواتي، وعندي زوجات أب، كالسيدات، لا يضربن، هذه الفتاة عمرها يضيع، وشبابها يقتل وحتى قرشها والرزق الذي من الله يؤكل، ثم ماذا؟ أنا في بلاد إسلامية، معنا علماء ودعاة وقضاة، أين هم عن هذه المعاناة؟

حدثت أبي، توسلت إليه، وأخيراً هددته إن لم يزوجني ثم ماذا كان رده! كنت أميل إلى الالتزام، وأصارع نفسي، وأجاهد الهوى الشيطان، ونصرني الله على كثير من المعاصي.

فقد تركت الغناء انتصاراً، وداومت على السنن الرواتب والوتر، وانتصرت أكبر في مواطن يعلمها الله، وسوف يحفظها لي إن شاء الله.

وأخيراً أحضر أحد عمومتي رجلاً من طرفه فزوجني والدي وأنا مكرهة لأن هذا الرجل لا يخاف الله.

ولكن والدي لم يكف عن نفث سمومه حولي يقول: لا تعطي راتبك زوجك وأعطنيه.

تقول: والزوج هداه الله فيه من القصور في الدين وضعفه، ما الله به عليم. وبدأت أحاول معه لعل الله يهديه، فكان يحدث بيننا ما يحدث من شجار، وخاصة عند صلاة الجماعة ثم هو يسافر إلى الخارج، ويرتكب الكبائر.

وقد ذهب الزوج الحكيم إلى الوالد الرحوم العطوف يشكوني إليه، فوقع الفأس في الرأس ثم قال والدي له: هذا طبعها، لسانها طويل، بذيء، هاتها عندي أربيها، أمها ما ربتها!

قالت: وأنا أصبر على الزوج، وأدعوه إلى الهداية، وأتحمل الضرب منه والأسى، لأنه إذا أعادني إلى والدي كان أدهى وأمر.

قالت: ومن ورائه من أهل بيته ورفاقه السيئين من تعبي رأسه.

لكن أنا إذا تركت زوجي فماذا أفعل؟ لمن أذهب؟

أخيراً بعدما كان الزوج كالعسل المصفى بالنسبة لما سوف أحصله، و إلا فهو كالزقوم، أصبح كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم، صار يكرهني، ويرتكب المعاصي ليغضبني، ويحاول أن يضيع ما عندي من دين كي أفر وأهرب، فإذا قلت له: اتق الله في، قال: إذا أعجبك، أو اطلبي الطلاق.

تقول: وطلبت الطلاق، فقال: ردي إلي مهري، وما مهر له عندي، لقد أذهب شبابي وصبوتي، وبيتي، وخلقي، وحيائي.

وقد أسهرني وأزعجني، فجمعت من هنا، واستدنت من هناك، ورددت إليه مهره، لا حرمه الله جمرة في جهنم. فأي مهر له، وأي حق له بعد هذه الأيام الطويلة من الأسى واللوعة؟ تقول: وحملت ثيابي وهربت إلى مترل والدي، فشن والدي علي حرباً هوجاء ضروساً لا هوادة فيها، وسفهني وهددني بالقتل، وبالعار وبالشنار، فقلت: حسبي الله ونعم الوكيل.[1]

١١ - اقرأ وتأمل:

وصلتنا الرسالة التالية، وهي تطرح مشكلة وجدنا أنه من المهم والمفيد أن تتشارك جميعًا في مناقشتها:

الإخوة الأفاضل، في موقع الإسلام على الإنترنت مشكلتي، أو بالأحرى مأساة حياتي تتلخص في كلمة وحيدة ومخيفة أشعر أنها وصمة عار أسير بها بين الناس.

أنا لست منحرفة أخلاقيًا، أو متورطة في الكذب على أحد أو سرقة أموال المسلمين كما هو حال الكثيرين والكثيرات، كما أنني -ولله الحمد- لست معوقة بدنيًا أو مبتلاة بفقد نعمة من النعم الحسية مثل البصر أو الكلام إنني -ولله الحمد- فتاة أتمتع بأخلاق عالية، وروح طيبة، ومظهر حسن بشهادة الجميع، وعلاوة على ذلك فأنا متمسكة بتعاليم الإسلام منذ صغري، ولي في هذا الصدد اهتمامات وأنشطة إضافة إلى عملي في التدريس لأطفال إحدى رياض الأطفال في بلدي، ولكن -وآه من لكن- أنا "عانس"!! عمري خمسة وثلاثون عامًا ولم أتزوج بعد، وكل يوم أنظر في المرآة، وأسأل نفسي بدهشة ممزوجة بحسرة دفينة تسحق روحي: لماذا أنا من دون بنات كثيرات أقل مني حظًا في التعليم والجمال -بقيت دون زواج؟!

---

[1] اعترافات عانس جمع مبارك بن نزال الصقيري العتري نقلا عن : موقع مكنون

هذا في الصباح أما في المساء فلا أكتمكم القول بأنني أشعر بإرهاق بدني ونفسي شديد، وأنا آوي إلى فراشي البارد أندب حظي العاثر الذي يحرمني من حقي في أن يكون لي زوج أسكن إليه ويسكن إليّ، ونتبادل معًا المودة والرحمة التي جعلها الله بين الأزواج. وحين أخرج للحياة العامة تلاحقني النظرات دائمًا والتساؤلات غالبًا، وكأنني أملك قدري ومصيري، وأنظر حولي فأرى قرينات الطفولة والصبا، وقد أصبح لكل واحدة منهن بيتها وأسرتها وأطفالها، وأستمع إلى شكواهن من شقاوة الأطفال، ومتاعب مطالب الأزواج، وأنا أقول في نفسي: من لي بيوم من هذا الشقاء اللذيذ؟

أشعر أنه ينقصني شيء هام في المشاعر لم أمارسه بعد، ولم أستثمر فيه طاقة هائلة مخزونة بداخلي محبوسة مكبوتة، أشعر أن كل ما حققته وهم: الدراسة، والعلاقات الاجتماعية، والتمسك بالأخلاق كلها سراب؛ لأنها لم تكن أبدًا من مقدمات التأهل للزواج.

فهل هذه النكبة التي أعيشها بسبب تقصير معين مني أو من أهلي؟! أم بسبب عيب في المجتمع؟!

أين الخلل بالتحديد؟! وهل من حل؟!

هل هناك حقًّا ظاهرة عزوف عن الزواج في أوساط الشباب؟! وهل الإقبال على الكاسيات العاريات أكبر من المؤمنات القانتات؟!

الأرقام التي قرأتها في هذا الصدد مفزعة، ففي فلسطين تبلغ نسبة المتزوجات ممن في سن الزواج أقل من العشرة بالمائة؟!

وفي تونس فإن نسبة "غير المتزوجات" في الشريحة العمرية بين العشرين إلى الخامسة وعشرين عامًا تبلغ الثمانين بالمائة!! وتنخفض النسبة قليلاً بالنسبة للشريحة العمرية بين ٢٥ و٢٩ عامًا لتصل إلى ٤٨ بالمائة، وهي تظل نسبة عالية في تقديري.

وفي الأردن فإن متوسط عمر الزواج للفتيات قد تراجع من ١٧,٥ عامًا في إحصاء عام ١٩٦١م إلى ٢٥ عامًا في إحصاء عام ١٩٩٨ وهو تراجع مخيف رغم أن الحالة تبدو أفضل من تونس وفلسطين، وتبدو مصر على حال ليست أفضل، ففي بحث ميداني عام ١٩٩٨ وسط عينة من الإناث وجد أن الأغلبية الساحقة قد تزوجن بعد الثلاثين بل تأخرت نسبة كبيرة أخرى إلى ما بعد الخامسة والثلاثين. إذن النكبة عامة، وكلنا في الهم عرب!!

لا يخفى عليكم يا إخواني وأخواتي، آثار ذلك النفسية والاجتماعية، إن الفتاة التي يتأخر سن زواجها يمكن أن تتحول بسهولة -كما تعرفون- إلى حالة مرضية تراجع طبيًا نفسيًا، أو إلى قنبلة موقوتة تهدد سلامة المجتمع، وأخلاقه، وتماسكه، فهل لديكم حل غير اللجوء للسحر، وعمل الجان كما تنصحني الكثيرات ممن حولي؟[(١)]

١٢ـ يقولون : غلاء مهور غلاء مهور غلاء مهور :

تقول أم عاصم: كنت في مستشفى الرياض مرافقة لابني، وكانت إحدى الموظفات السعوديات، على هيئة يرثى لها من التجمل والتعطر والتزين والاختلاط بالرجال والشباب، وضع مؤلم حقيقة فدار بيني وبينها حوار عن هذا الوضع الذي هي فيه وطال الحوار وفي نهايته قالت لي: هل تسمحين لي أن أقول كلمة صريحة.

قلت : لها تفضلي

قالت : أعطونا رجالا أعطونا أزواجا ونترك الوظائف كلها. هكذا قالت بصيغة الجمع وهذا معناه أنها وزميلات لها يعانين من هذه المأساة ثم قالت كلاما طويلا مريرا عن هذا الوضع ومنه قولها إني أعتب على شباب بلدي كيف يسافر إلى الخارج ليقضي شهوته

---

(١) نصحك بالتوبة واللجوء إلى الله تعالى والجؤار إليه بالدعاء فعمل السحر والذهاب إلى السحرة من الكفر المخرج من الملة.

بالحرام ومن بنت الحرام ولا يقضيها هنا بالحلال من بنت الحلال وعلقت علـــى ذلـــك بقولها يقولون : غلاء مهور غلاء مهور غلاء مهور.[1]

١٣ ـ حرمك الله يا أبي الجنة كما حرمتني من الزواج:

نشرت جريدة المدينة الرسالة التالية : أنا فتاة في الخامسة والثلاثين من عمـــري، ولي أربع شقيقات ولم تتزوج منا واحدة حتى الآن بسبب أن أبي سامحه الله يرفض كل من يتقدم لنا من أجل الاستحواذ على مرتباتنا، وقبل فترة وجيزة توفيت إحدى شقيقاتي، وفي أثناء خروج الروح نظرت إلى أبي نظرة ما زالت مسجلة في ذاكرتي حتى الآن حيث قالت له: قل: آمين يا أبي، فقال لها : آمين . فقالت له : حرمك الله من رائحـــة الجنـــة كمـــا حرمتني من الزواج، و أنا الآن حائرة بسبب ذهول أبي واضطرابه وندمه الشـــديد بعـــد وفاة شقيقتي حيث أنه بدأ يفكر جدياً في أمر زواجنا وأنا بودي أن أســـأل عـــن نـــوع الكفارة التي يلتزم بها أبي حيال الذنب الذي عمله في حق شقيقتي ونحن كذلك حيث إن أبي أصبح لا ينام الليل والنهار بسبب حزنه مما جعلني أخاف على صحته الـــتي لم تعـــد تحتمل كل ذلك الألم، أنقذونا ماذا نفعل وماذا يفعل أبي لإنقاذ نفسه من غضب الله ؟".[2]

١٤ ـ العنوسة قاتلة :

أبلغ من العمر ٣٠ سنة، خريجة جامعية أعمل موظفة، وفي الفترة المسائية أذهب إلى النادي الصحي لتضييع الوقت، حتى أهرب من مشكلتي ونظرة الناس تجاهي وكأنني مجرمة، لماذا كل هذا يا مجتمع ؟ ارحمونا قليلا!.

---

(١) عقبات في طريق الزواج ، ص ٣٣ ــ ٣٤

(٢) انظر: الخطب المنبرية لعبد العزيز محمد بن عبد الله السدحان، دار العاصمة، الريـــاض، الطبعـــة الأولى،١٤١٩هـــ ــ ١٩٩٨م، ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ / العنوسة داء تفشى، عبد الـــودود مقبـــول حنيف، ص٣٩

فأنا مثل غيري إنسانة متحجبة أخاف الله سبحانه وتعالى وهذا قدري ونصيبي أن أجلس في البيت بلا زواج، ولكن الله سبحانه وتعالى دائما يحثنا على الأخذ بالأسباب.

والمشكلة هنا أن والدي اهتم كثيرا بتزويج أبنائه من الذكور وهم لا يتعدون ٢٢ سنة وتركنا نحن البنات، هنا أوجه السؤال: هل الفتاة تشعر بنفس شعور الشاب خلال هذه الفترة ؟ ((أي الحاجة إلى الزوج والاستقرار النفسي والطمأنينة والراحة)) أم أن هذه الخاصية جعلها الله سبحانه وتعالى فقط في الذكور دون الإناث!! وما سبب انحراف الكثير من الفتيات عن المسار الصحيح وأنتم تعلمون ما أقصد؟ أريدكم أن تجيبوا عن هذا السؤال، ولكن اسمحوا لي بالإجابة عن هذا السؤال من وجهة نظر إنسانة تعاني من الوحدة ((عانس)) من غير زوج، وقد أوشكت أن تقع في المصيبة ولكن الله تعالى حفظها من ذلك أجيب فأقول أن المرأة يجب أن تصرف طاقتها في الحلال كما هو شأن الشاب، فإنها إما أن تبحث عن مصرف لهذه الطاقة (مع سخط الله عليها طبعا)، أو أنها تصبر وتحتسب الأجر والثواب عند الله تعالى، ولكن!! المغريات هذه الأيام كثيرة، وكثيرة جدا.

إذا لماذا نحن نريد المحافظة على أولادنا من الذكور فقط دون الإناث فكم من شاب تقدم لخطبتي ولكن والدي يرفضه لأسباب تافهة ((هذا ليس من مستوانا هذا من قبيلة ثانية هذا لم يكمل تعليمه .. هذا والده كان فعل كذا وكذا ما أرتاح له هذا وهذا وهذا وذاك .. الخ)) وفي النهاية أنا التي أتعذب، أرجوكم أخبروا والدي بما أعاني إنه قد يجهل أنني أعاني من مشكلة كبيرة قد يدفع ثمنها في النهاية، ولا ألوم والدي وحده لأن هناك أباء ليس لديهم علم بما تحتاجه الفتاة، وجل تفكيرهم بأن الشاب هو المحتاج فقط، إنني ألوم المجتمع بأسره. إنكم تهتمون كثيرا بأبنائكم الذكور دون الإناث، يجب على المجتمع تصحيح هذا المسار ونحن البنات أيضا بشر مثلكم، وقد وصاكم الرسول صلى

الله عليه وسلم قبل وفاته في حجة الوداع، بالنساء خيرا لأنهن أمانة لديكم، وهن أضعف منكم.

هذه قصتي كتبتها لك بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ولكنكم تعلمون ما أقصد من هذه الرسالة، تعلمون ما أعاني من أمور نفسية واجتماعية كبيرة، وقبل أن أختتم رسالتي أذكركم بأن الله أمر الرجل بأن يمتع المرأة لأنها تحتاج إلى الرجل. وإن النساء خلقن للرجال، والرجال خلقهم الله للنساء واعلموا أيها الآباء أن ((العنوسة قاتلة)).[1]

١٥ ـ العنوسة تولد الحقد:

أنا امرأة أبلغ من العمر (٣٧ سنة) أعاني من الوحدة منذ سنوات وأحقد على كل إنسان سعيد هذه مشكلتي والسبب أخواتي والمجتمع الذي أعيش فيه أنا أكره أخواتي فعلا من قلبي عندما تزورنا واحدة منهن أشعر بالضيق لا أطيق رؤيتها أو رؤية أطفالها، وأحيانا أضرب الأطفال بقوة وأشعر بالفرحة عندما أسمع طفلا يبكي لأني محرومة من الأطفال ومحرومة من السعادة عمري ٣٧ سنة وحتى اليوم لم أتزوج ولم يتقدم لي أي عريس،، لقد تزوجت أخواتي جميعهن وهن أقل مني جمالا وأصبحت كل واحدة تعيش مستقرة مع زوج وأطفال، وأنا أعاني من الوحدة مع والدي الكبير في السن وأمي المريضة والمجتمع لم يرحمني، ونظرات الناس تقتلني لم أعد أطيق أحدا أكره كل الناس أشعر بالتعاسة[2] أريد أن أعبر لك عن الحياة التعيسة التي أعيشها أرى بنات أقل مني سنا بكثير

---

[1] جريدة الخليج العدد: ٧٥٧٩ ، ٢٠٠٠/٢/٢٨م

[2] أظن أن السبب منك فاللاتي تزوجن أقل منك جمالا وتزوجن وأخواتك تزوجن كلهن مما يوحي بأنكن أسرة مرغوبة فعليك التوبة والرجوع إلى الله ومعرفة من أين دهيت فما تتصفين به من صفات يزهد فيك الراغبون .. كبر وحقد وافتعال مشاكل فماذا يصنع زوج بزوجة تتصف بهذه الصفات

وتعيش كل واحدة منهن سعيدة أنا جميلة ومتعلمة وذات أخلاق عالية[1] لكن الناس حولوني إلى حاقدة على كل إنسان لا أحب أن أخرج في الشارع عندما أرى الأطفال أبكي نعم أبكي بشدة أريد أن أسمع كلمة إعجاب أو حتى عطف. المعذبة دائما.(ف).

١٦ـ عانس حائرة من سبب عنوستها:

تعترف م. ح. (موظفة ٢٧) بأنها تمر بمرحلة العنوسة حاليا، ولا تعرف من المسؤول، هل هو العصر الذي اقتضى أن تخرج الفتاة للتعليم و العمل، وأن يكون لها كيان مستقل وتختار شريك حياتها بإرادتها أم أن الأهل هم المسؤولون بطلب مهور فلكية، مما جعل الأجنبية تسحب البساط من المواطنة وتظفر بالمواطن ؟ أم أن التعامل غير الجاد مع مشكلة تأخر سن الزواج هو السبب ؟ أم أن تردد الشاب في الزواج بمواطنته خوفا من تكبرها وغرورها هو السبب ؟ تقول م. : لا اعلم من المسؤول عن وضعي ووضع غيري من الفتيات، ولكن أعلم أنني وغيري ضحايا.[3]

١٧ـ أب مثال في الاهتمام ببناته لو توجه بالبحث عن زوج لهن:

لا ينكر ع. (والد عانس) أنه بدأ يشعر بالقلق على ابنته الكبرى فقد بلغت ابنته السابعة والعشرين من عمرها، وليس هناك أي مؤشر لزواج قريب أو بعيد. وهو كرجل يعرف جيدا نظرة الرجال إلى النساء متى تكون الفتاة مطلوبة للزواج. ولماذا.

وقد تقولين إن هذه الأمور جاءت لاحقة بعد عنوستك فأقول لك إلى الآن أمامك فرصة للزواج فعليك بالتخلص من هذه الصفات والله يرزقك بعلا تقر به عينك.

[1] ليس من الأخلاق العالية كراهية أخواتك وحقدك عليهن وعلى الناس وضرب الأطفال الصغار بقوة والفرح برؤيتهم يبكون.

[2] الحاقدة مشكلتك لها حل. زهرة الخليج

[3] مجلة الأسرة العصرية العدد : ٩٩٧ ، ٢٣/٥/٢٠٠٠م

فهناك سن تكون البنت فيها كالوردة أو الزهرة أو كثمرة الفاكهة الطازجة، نضرة مزدهرة ينجذب إليها الرجال ويودون الارتباط بها، بعد ذلك تفقد نضارتها وجاذبيتها ويقل إقبال الرجال عليها، و (تنكمش) فرصها في الزواج (الجيد) الذي يتمناه لها أهلها. [1]

١٨ ـ العنوسة التي صارت هاجسا للفتيات:

س. و د. تبلغ كل منهما الثامنة عشرة، وتؤكد أن حلم الأمومة هو ما يدفعهما إلى التفكير في الزواج منذ الآن تقول س. : حلمي الكبير أن أكون أما وأحمل طفلي بين ذراعي، هذا هو حلمي، وليس الزواج في حد ذاته أو وجود الزوج.

أما د. فتقول: حبي للأطفال يفوق كل شيء في الدنيا، لذا سأتزوج في أقرب فرصة حتى أحقق هذا الحلم.

وعن المسؤوليات التي تتوقع أن تواجهها فيما بعد، أجابت: يستطيع زوج المستقبل أن يجلب لي خادمة تساعدني في أعمال المترل حتى أتفرغ أنا لتربية طفلي المنتظر! [2]

١٩ ـ عانسٌ بلغ سيل معاناتها زباه وجاوز حزامه الطبيين:

اكتب هذه الرسالة بعد أن فاضت بي السبل في إيجاد حل لمصيبتي، والتي هي مصيبة كل شابة خليجية هذه الأيام، أكتب لك وشبح العنوسة يخيم على حياتي، لا بل إنه أطبق على أنفاسي، فما عدت قادرة على التنفس.

عمري ٣٨ سنة عادية، لا جمال ولا علم كثير، فقط بنت بسيطة فاتها القطار، قلبها مازال ينتظر هذا الطارق الذي يبدو أنه لن يأتي، منذ خمس سنوات، قلت لنفسي:

---

[1] كل الأسرة العدد ٥٨، ١٩٩٤/١١/٢٣م

[2] كل الأسرة العدد ٣٦٣ ، ٢٠٠٠/٩/٢٧م

انتهى الأمر، ولن يأتي العازب، وانتظرت المطلق والأرمل، وحتى المتزوج. ولم يطرق بابي أحد.

هل أنتظر الموت يطرق بابي، أم انتحر لأتخلص من هذا العذاب أم أعيش هكذا دامعة العين، حزينة؟

أنقذيني فالجنون مصيري. العانس المعذبة ن.ن.و. [١]

٢٠ ـ إيذاء شعور العانس بالنظرات والعبارات:

س.ل.م. (موظفة – خريجة جامعية) رفضت ذكر اسمها كاملا خوفا من أن يعتبر كلامها دعوة مفتوحة للزواج.

تقول س. : مشكلة العنوسة أصبحت هاجسا يؤرق المضاجع ويجعلنا نلعن الظروف والدراسة. هل نحن مذنبات لأننا تعلمنا؟ ولماذا هذه النظرة للفتاة الجامعية؟ حتى الزملاء الموظفين من الخريجين ينظرون إلينا نظرات تحمل الشفقة، وفي بعض الأحيان السخرية بدلا من التقدير والاحترام. لماذا لا ينظرون إلى الفتاة الجامعية كفتاة ناضجة ومتعلمة بدلا من وصفها بالعانس وهي مازالت في بداية شبابها؟ هل من تعدت سن العشرين يكون فاتها القطار حقا؟

لقد تطورنا في كل شيء، بينما ظلت بعض الأمور كما هي. نأمل أن يأتي يوم ونتزوج جميعا لكي يعرف الرجل الفرق بين الفتاة المتعلمة وغير المتعلمة. [٢]

٢١ ـ عانس مثقفة :

ل.م.ع. (فتاة جامعية لا تعمل على الرغم من أنها على مستوى عال من الثقافة) تقول : عمري الآن ثلاثون عاما ولم يتقدم إليّ الشخص المناسب أو غير المناسب. حتى

---

[١] زهرة الخليج العدد : ١١٠٤ ، ٢٠/٥/٢٠٠٠م

[٢] صرخة عانس ص ٢٤ ـ ٢٩

الآن باختصار لم يطلب أحد يدي على الرغم من جمالي وتعليمي. للأسف، شبابنا ما زال يتصف بشيء من الأنانية؛ يريد الزوجة الصغيرة التي لا تعي شيئا حتى ولو كانت جاهلة. لست أدري لماذا يخشى الرجل الشرقي المرأة المتعلمة ذات الشخصية القوية.

سألتها: هل لديك مواصفات معينة لزوج المستقبل ؟

أجابت بالنفي، ثم قالت : أريد زوجا يحترم بيته ويقدس حياته الزوجية، أريد رجلا أشعر معه بالأمان. ولا أطلب أكثر من رجل يشعرني بقيمتي بصرف النظر عن مستواه الأكاديمي أو الاجتماعي. الزواج ستر للبنت والشاب أهلي يزداد قلقهم يوما بعد يوم، لكن لا حياة لمن تنادي. لكن كرامتهم فوق كل شيء. فماذا أفعل وأنا حبيسة الجدران؟

هل أعلن عن رغبتي في الصحف اليومية، أم أخرج إلى الشارع لأبحث عن زوج؟ [1]

٢٢ ـ وجاء العانس النذير :

كلما نظرت إلى عقارب الساعة ، إذ تقفز قفزا، دورانها أيام عمري، شعرت برغبة جارفة في أن استرحمها وأتوسل إليها بان تعود إلى الوراء قليلا، رأفة بـاحتراقي في صمت وانهزامي في يأس.

إلى الثلاثين يعدو عمري مسرعا، وبالأمس اكتشفت على مفرقي نذير الكبر أول شعرة بيضاء انتزعتها على الفور بيد مرتعشة، كمن يخبئ عارا، وحدقت في المرآة مذهولة ثم أجهشت في البكاء.

---

[1] كل الأسرة العدد ٨٤، ٢٤/٥/١٩٩٥م

هكذا تحدثت أ. خ. ذات الثامنة والعشرين لتجسد بصوت تمزقه الحيرة مأساتها ومأساة الكثير من بنات جيلها. اللائي يدفعن ضريبة طموحهن العلمي والاجتماعي من حلمهن الأكبر في فارس الأحلام. وتتابع حديثها متسائلة : كيف سرق الزمن سنوات عمري ؟ وأصبحت أمام خيارين كلاهما بالغ المرارة، إما الرضوخ للعب دور ((الزوجة – الكومبارس)) أو التعلق بقشة الوهم في بحر العنوسة العاصف، انتظارا للفارس الأسمر مديد القامة. [1]

٢٣ ـ أمهات يتسببن في عنوسة بناتهن :

سأسرد لكم قصة رفيقتي التي توفيت بحسرتها على مستقبلها الضائع حيث أن أمها أخذت تتحكم بكل شيء يتعلق بمستقبل ابنتها فوضعت شروطا تعجيزية للذي يرغب بالزواج من ابنتها شروطا لا يضعها غير المتخلف عقليا أو الذي لدية عقدة نفسية وهذه الأم تغار كثيرا على ابنتها لأنها أجمل منها.

نسيت أنها ابنتها وقامت بتضييع مستقبل ابنتها تخرجت الفتاة بأعلى شهادة من الجامعة وتوظفت وتقدم لها الكثير من الشبان لكن الجميع رجع بخفي حنين وذلك بسبب رفض الأم لكل الشبان وعذرها أنها لم تجد المناسب توفيت الفتاة وظل أهلها وبالأخص أمها تذرف بدل الدموع دما وتتحسر على فعلتها لكن ماذا يفيد الندم (اللي راح راح).

مثال آخر لقسوة الأهل تقدم شاب لفتاة ورفضته أم الفتاة لماذا؟ لأن خالة الشاب غير جميلة مع أن الشاب لديه جميع المواصفات التي ترغب فيها الأم والجدير

[1] المرأة اليوم العدد ٢ ١١/١٩٩٩م

بالذكر أنه لا توجد أي صلة بين العائلتين ورغم أن العائلة مشهورة وذات مستوى راق إلا أنها رفضت.

وأم أخرى رفضت شابا في مقتبل العمر لأنه أسمر اللون ولأنه مطلق ولأن عمره كذا و .. و.. و.. وكثير من الشروط التعجيزية وأنا لا أبالغ في هذا الأمر بل هذا واقع للأسف الشديد وأم أخرى لا تريد شابا وسيما تقدم لأبنتها حتى لا تغار ابنتها الثانية ذات الزوج الأقل حسنا وجمالا مع أنه لا ينقصه شيء وأخرى لا تتصور أنها ستكون جدة في يوم ما أو بأن يكون لها أحفاد بالرغم من ابنتها في سن الزواج.

ماذا تفعل الفتاة في مثل هذه الحالات؟ ستسألون عن الأب أو الأخوة الأب مشغول بأعماله والأخوة (كل واحد اللهم نفسي) مشغولون مع الزوجة والأطفال وليس لديهم وقت لمثل هذه المشاكل فتاة في مقتبل العمر لا تزال في زهرة شبابها ماذا تريدون منها أن تفعل؟ هي لا تستطيع أن تخرج عن طوع أهلها و لا تستطيع أن تفعل الخطأ سيقع اللوم عليها لكن من هو المتسبب الأول في هذه المشكلة.

مثال أخير لهذه المشكلة أم تقول لابنتها لا نريدك أن تأتينا بأزواج من مكان عملك مع أن الأغلبية ذو جاه وحسب ونسب لكن أين السبب في الرفض؟ لن أجيب لأنني سأترك المجال مفتوحا لبعض الأمهات اللواتي يتحكمن بمصير بناتهن للرد على أسئلتي! [1]

٢٤ ـ يا أختاه لك الله ونعم بالله:

أنا واحدة من عديدات، أو كما يقولون من ظاهرة تحولت إلى واقع في مجتمعنا العربية، وهي أنني فتاة تعدت الأربعين، ومثلي كثيرات أصبحن في الحلقة الرابعة من

---

[1] الاتحاد ، س السويدي كلية التقنية للطالبات

عمرهن بدون زواج، ولا تسأليني عن السبب فالأسباب عديدة، ولا أعلم، هل نحن نحتاج إلى التحول في مجتمعنا الحديث، لكنني وجدت كثيرات غيري في بعض البلـــدان العربيـــة العريقة لم تغيرهن عوامل التحديث.

أحمد الله أنني في بلدي تعلمت عن طريق الانتساب ووجدت عملا مناسبا، علـــى الأقل ينسيني همومي ووحدتي، وتبدأ مرحلة العذاب بعد انتهاء الدوام خصوصا عنـــدما تحضر شقيقاتي وأولادهن لزيارة أمي التي أعيش معها، وأشعر وقتها بأن العمر بدأ يتسرب من بين أصابعي، ومنذ أيام ازداد قلقي وخوفي عندما أنجبت ابنة شقيقتي الـــتي تصـــغرني طفلة، وفجأة شعرت بأنني أصبحت جدة، ولا تسأليني عن السبب، ابنه شقيقتي عمرهـــا عشرون عاما، وأصبحت أما، وأنا غطى الشيب رأسي كما يقولون منذ سنوات، ومازلت آنسة، ولأنني بدون مسؤوليات فهذا يعني أن أعتني بأشقائي وشقيقاتي، أحضر أعراسهم، وأذهب بهم إلى المستشفى في حالة الولادة أو المرض، إلى جانب العناية بـــأمي المريضـــة، واستقبال جميع شقيقاتي في أيام الإجازات، ومطلوب مني السفر مع أمي للعلاج كل عام، وإقامة العزائم[1] في المناسبات وإعداد الأكلات القديمة، وخلط العطور وعمل الدخون.

وينتهي اليوم ببقائي وحيدة في غرفتي وأسأل نفسي: ما معنى حيـــاتي؟ أعلـــم أن وجود أمي في الحياة يعطيني إحساسا مريحا، والاهتمام بها مهمتي في الحياة لكنني خائفة من المستقبل، أسمع عن تزويج الشباب، لكنني – أنا والأخريات – ما هو موقعنـــا في هـــذه الحياة؟

أهرب من الأفكار، لكنها تطاردني عندما أذهب إلى العمل، وأرى زميلاتي وهـــن يزحفن نحو الأربعين ولا أعرف ما هي المشكلة، نحن بنات عائلات لكن هذا قدرنا نملـــك

---

[1] العزائم جمع مفرده عزم وهي تعني بالعزائم الولائم

الأصل والمال والأخلاق لكننا وحيدات، ولا أعرف هل هناك أمل في رأيك أم أننا جميعا سننتهي في بيوت العجزة ؟ [١]

٢٥ ـ الصبر حيلة من لا حيلة له :

عشت طفولة بائسة على الرغم من أن أبي يملك ثروة طائلة، فبعد أن توفيت أمي في حادث مؤلم تزوج أبي، وكنا ثلاثة أولاد وبنتين. من حسن حظ شقيقتي أنها تخلصت من نار زوجة أبي حين تقدم لخطبتها شاب مناسب وهي في الخامسة عشرة من عمرها. صحيح أنني أكبرها بثلاث سنوات، ولكنها الأجمل.

وتابعت دراستي رغم أنف زوجة أبي، فكانت الدراسة المتنفس الوحيد لي، وحصلت على الشهادة الجامعية، وعلى الوظيفة المناسبة تقدم لخطبتي كثيرون، ولكن لم يكن باستطاعتي اتخاذ القرار بالموافقة لأن زوجة أبي كانت ترفض وتحرض والدي على الرفض لأسباب غير مقنعة.

تخطيت الثلاثين ولم أكن أملك القرار، نشرت اسمي وعنواني سرا في إحدى الصحف التي تخصص بابا (للزواج) أعطيتهم عنواني ورقم هاتفي على أن يحافظوا على سرية الموضوع خوفا من أن يعلم أبي فيتهمني بأنني ألوث شرف العائلة وتوافقه على ذلك زوجته، جاءتني العروض الكثيرة المغرية عبر الرسائل إلى صندوق بريدي الخاص وعبر الاتصالات.

وفي هذه الفترة توفى والدي، وعشت المأساة أحسست أن الأيام تعاندني، لقد زاد رصيدي من المال ولكن السنين تترك آثارها على وجهي وقسماتي. وهكذا أردت أن أقهر زوجة أبي التي كانت تريد أن تحرمني من الميراث، كما حرمتني من الزواج. تقدم لي

---

[١] المرأة اليوم العد ٢٤ ، ٢٠٠١/٧/١م

شقيقها الذي يصغرني بعشر سنوات، وطلب مني أن نتزوج سرا من دون أن أخبر شقيقته، اقتنعت بعرضه ووجدته مناسبا على الرغم من أن دخله متواضع جدا ولم يحصل على الإعدادية وفوق هذا متزوج وله أربعة أولاد وها أنا أفكر جديا بالزواج منه. وسأرفض أن أعطيه أي شيء من مالي وأريد فقط أن أصبح أما، كما أريد أن أنتصر على زوجة أبي التي أشاعت حولي الأقاويل وسأتخلص من شبح العنوسة القاتل، وقسوة زوجة أبي ولا أخفي أن المرأة قد تأخذها المظاهر الخداعة، ولكن صدق المثل القائل : (عريس من الخيطان ولا يعدوني من العزبان) سأقبل بمن هو أقل مني، وشقيق عدوتي، وسأصرف عليه وعلى زوجته وأولاده، ولكن هذا أفضل من أمضي بقية عمري وحيدة بعد أن تخلى عني الجميع. [1]

٢٦ ـ الوقت لا ينتظرك والمجتمع لا يعذرك فاقبلي بأنسب شيء:

تقول وتتكلم بحسرة : كنت في الخامسة عشرة من عمري، وكان الخطاب يتقدمون إليّ من كل حدب وصوب، وكنت أرفض بحجة أنني أريد أن أصبح طبيبة. ثم دخلت الجامعة وكنت أرفض الزواج بحجة أنني أريد ارتداء معطف أبيض على جسمي، وصلت إلى سن الثلاثين، وأصبح الذين يتقدمون إليّ هم من فئة المتزوجين، وأنا أرفض وأقول : بعد هذا التعب والسهر أتزوج إنسانا متزوجا، كيف يكون ذلك، عندي المال والنسب والشهادة العليا وأتزوج شخصا متزوجا. [2]

٢٧ ـ رسالة من طبيبة مشهورة (عانس) إلى إحدى المجلات:

---

[1] عدنان الكاتب هربا من شبح العنوسة مجلة سيدتي

[2] سبحان الله : نسيت هذه المسكينة أن سن الثلاثين غير مرغوب فيه من قبل الشباب لأسباب كثيرة، ولذلك فكرت بقلبها وقالت ذلك القول.

تقول فيها : أرغمت على هذا الطريق الذي سلكته فلم تكن لدى الرغبة في دراسة الطب، ولكن رغبة والدي ووالدتي دفعتني لذلك بعد حصولي على نسبة عالية في الثانوية العامة.

وبالفعل التحقت بكلية الطب، وواصلت الدراسة حتى التخرج، ثم الامتياز، ثم التخصص، وبعد ذلك بدأت مرحلة بالطبع تعرضت في مسيرة حياتي وخلال الدراسة للعديد من المواقف التي كان أصحابها يودون خطبتي وزواجي، لكنني رفضت اعتقادا مني أن ذلك سيؤثر على مستوى تحصيلي العلمي خاصة أنني أدرس الطب وليس الأدب أو التاريخ أو اللغة، ومن ثم كان إصراري على عدم الارتباط قبل التخرج.

ومرت السنون كالبرق ووجدت نفسي في مشكلات العمل الطبي والسهر والخفارة، والدوام ولا راحة ولا تفكير في غير الطب، ومطالعة المراجع الجديدة والمجلات الطبية والاكتشافات والعلاج والأدوية وغير ذلك من الأمور الطبية وأفقت من هذه ((المعمعة)) المتواصلة ذات يوم وأنا أنظر إلى المرأة لدى استقبالي مجموعة من الضيوف في بيت أهلي وإذا بالزمان قد أخذ من وجهي الشيء الكثير.

والآن وبعد مرور هذه السنين ما الذي جنيته كأنثى ومستقبلي المجهول، فأنا في أمس الحاجة لسماع كلمة حب لجلسة رومانسية، لمشاعر فياضة تحقق ذاتي، وتشعرني بالحب والحنان والطمأنينة، أنا بحاجة إلى كلمة ماما بحاجة إلى حضن دافئ من زوجي ومن ولدي هذه هي الحياة الحقيقة التي أفتقدها، ماذا أفعل في هذه البراويز التي أضعها على الحائط تحمل شهادات الطب والدبلومات، والتخصص، والزمالة، ودورات، وأبحاثا، وتقارير، ماذا أفعل بهذا الكم من الأوراق التي لا تغني ولا تسمن من جوع. هل هو خطأي أم خطأ والدي أم أنه الغيرة ليكون لهما بنت طبيبة يفخران بها أمام الناس كل طبيب يتخرج ويعمل ينظر للزواج من فتاة لا تتعدى العشرين عاما ولا ينظر إلى زميلته

الطبيبة، لأنه يشاهدها كل يوم ويرى دوامها المزعج، وإذا ما تزوجها ستكون كبيرة بالنسبة له، ولن يلتقي بها سوى في المستشفى أو في غرف العمليات أمام الناس. لهذا نادرا ما يتزوج الطبيب طبيبة إلا من تزوج خلال الدراسة في الكلية وهذا الزواج نادرا ما ينجح.

إنني الآن في حيرة من أمري ولا أجد أمامي سوى عملي، وبعض العروض غير المقنعة فقد تقدم لي أحد الزملاء بعد أن توفيت زوجته ولديه أربعة أبناء أصغرهم في الثانوية، وهو كبير السن وعلى وشك التقاعد وقد يريدني ممرضة له لا أكثر ولا أقل؟ وعرض آخر جاء بأسلوب غريب حيث لديه مجموعة من الأبناء يأتي كل يوم بأحدهم إلى المستشفى للعلاج خاصة في موسم الشتاء حيث يزداد مرض الأطفال ويريدني زوجة على زوجة وأولاده !!

سيدي لا تتصور الكم الهائل من البكاء الذي أبكيه يوميا سواء خلال الخفارة في المستشفى أو في البيت في غرفتي وأنا بمفردي حتى أخفف من هذا الهم الذي أشعر به و هذه الوحدة التي تؤلمني وتهدد تفكيري وتقلق راحتي، فأنا إنسانة وأخشى أن أصاب بمرض عقلي أو فكري لما أعانيه من القلق.

٢٨ ـ صرخة عانس:

في باب ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [١] في مجلة "الدعوة" السعودية، الذي يحرره فضيلة الشيخ مازن بن عبد الكريم الفريح، نشرت رسالة فتاة اقتربت من الثلاثين من عمرها دون أن تتزوج، على الرغم من كثرة الخاطبين. وهي ترد السبب في ذلك إلى أبيها. وتحمله مسؤولية بقائها دون زواج حتى تلك السن.

---

[١] سورة الشرح آية ٦

وقد رأيت نشر رسالة الفتاة، ورد فضيلة الشيخ عليها، لعل الآباء الآخرين يتداركون أنفسهم وبناهم قبل أن يلاقين ما لاقته تلك الفتاة، ويصيبهم ما أصاب ذاك الأب من ندم.

السؤال:

أنا فتاة على مقربة من الثلاثين من عمري، ومشكلتي أنني إلى الآن لم أتزوج، والسبب في ذلك والدي- هداه الله- حيث كان لا يهتم بأي خاطب يأتيني أثناء دراستي، وذلك بعذر إكمال الدراسة، حيث كان يرد أي خاطب بدون السؤال عنه، وبدون إخباري بذلك. وكنت أظن أنه لا يأتيني خطاب، ولكن علمت فيما بعد من أشخاص خارج العائلة أنهم (الخطاب) أتوني، ولكن والدي كان يردهم واحدا تلو الآخر.

وبعد التخرج أخذ يعرض علي بعض الخطاب، أما البعض الآخر فلا أدري لماذا يردهم، وأنا أعلم أن منهم من يرضي دينه وخلقه، والمعلومات تأتيني من أناس آخرين.

وطبعا والدي؛ الشيء المهم عنده هو المركز الاجتماعي لعائلة الخاطب، لكن الخاطب ليس مهما عنده.

المهم أنه لم يقدر لي الزواج من أي خاطب لعدة أسباب منها رفضي للبعض لأسباب شرعية ومنها رفض والدي ولا أدري لماذا؟

وبعد أن مرت السنون وعرف والدي أن تصرفه هذا خاطئ، عدل عن هذا التصرف، ولكن ليس معي بل مع أختي التي تصغرني بحوالي خمس سنوات، وطبعا تم لها عقد النكاح وأنا على هذه الحالة، ولا اعتراض على قدر الله فأنا مؤمنة بقضاء الله وقدره، وأن هذا هو المكتوب، وطبعا أنا أتمنى الخير لأختي وأتمنى ألا تتكرر مأساتي معها. أرجو من فضيلتكم إخباري كيف أرد على من يسألني لماذا لم أتزوج وأختي الصغرى تزوجت؟.

ا. ن. ب

الجواب:

- لقد تعددت النوازغ الآثمة والشهوات المحرمة التي تدفع بعض الآباء للتعنت في تزويج بناهم ومن ولاهم الله أمرهن فهذا أب جشع يرد الخاطب تلو الآخر لأنه ليس من أصحاب الأموال أو موسري الحال وأب ثان يرده لأن زواج ابنته يعني أنه سيفقد راتبها الذي يستولي عليه في آخر كل شهر وثالث يطلب مهرا خياليا ويضع شروطا تعجيزية لا يستطيع تحقيقها إلا القليلون ورابع يريد الخاطب من قبيلته أو أبناء قرابته ولو كان من أضعف الناس دينا وأسوئهم خلقا.

وهكذا يعبث هؤلاء بمصير بناهم ويهدرون حقوقهن في حياة زوجية سعيدة ألا ما أشنع هذا الظلم وأقبحه يوم يجني الأب على من وثقوا به وسلموا أمرهم إليه فيخون أمانتهم ويحطم حياهم بشحه وجشعه.. ألا ما أعظم هذا الظلم وأخطره يوم أكرهت بعض الفتيات على العنوسة فراحت من ضعف إيماها تلبي شهوات نفسها الأمارة بالسوء بطريق الحرام ومعصية رب الأنام وكم من الأعراض فتكت والأسر الشريفة دنست يوم غفل بعض الآباء أو تجاهلوا خطر وعاقبة تعنتهم في زواج بناهم ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حذر كل ذي لب من خطر التعنت في تزويج الشباب والفتيات فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ". قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه " كررها ثلاث مرات صلوات ربي وسلامه عليه.

أيتها الأخت.. لا أجد عزاء لك ولغيرك ممن هن على شاكلتك إلا أن أقول: اصبرن واحتسبن واتقين الله، فإنه ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[1] ثم عليكن بتجاوز الأب أو الأخ أو أولياء أموركن- متى ما ثبت أنهم متعنتون في تزويجكن لغير سبب شرعي إلى الأم أو الأقرباء ولو اقتضى الأمر التوجه إلى المحكمة لعل ذلك يكون رادعا لنفوسهم الضعيفة التي لا تعرف إلا مصلحتها الذاتية وشهواتها المادية.

أما ما ذكرته حول سؤال الناس عن سبب عدم زواجك فعليك أن تعلمي وتخبري غيرك أن الزواج رزق يسوقه الله عز وجل إلى من يشاء من عباده، وبهذا يكون جوابك لهم، بعد حمد الله أن هذه مشيئة الله وقدره، وكما جعل الله أناسا أغنياء وآخرين فقراء وأناسا يهبهم القدرة على الإنجاب وآخرين عقماء. فكذلك اقتضت مشيئته وحكمته أن يجعل منهم متزوجين وآخرين أيامى لينظر كيف يعملون.. فلقه الحمد على قضائه والشكر له على إحسانه ونعمائه والله تعالى أعلم.

٢٩ ـ الحمد لله الذي رزق ذا الرقعتين[2] :

تزوجت مديرة مدرسة ابتدائية من سائقها الهندي الجنسية قبل أن يفوتها قطار الزواج.

صحيفة ((البلاد)) التي نشرت الخبر، قالت إن مديرة المدرسة (٤٢ عاما) قررت مواجهة عائلتها برغبتها هذه التي لا رجعة عنها بعدما وجدت ضالتها في سائقها (٤٠ عاما) والذي ظل في خدمتها كسائق طيلة السنوات العشر الماضية.

---

[1] سورة الطلاق آية ٢

[2] انظر سبب هذه التسمية في أسباب الطلاق في الخلافات بين الزوجين

السائق العريس لم يصدق أذنيه وكاد يطير فرحا أخبرته ربة عمله برغبتها وقرارها اختياره للزواج منها كما وأبلغته بإعفائه من أية حقوق أو التزامات مالية تترتب على زواجه منها فوافق على الفور.

قرر العريس أن يقيم حفل زواجه في الهند ووفقا لعادات وتقاليد عائلته ومنطقته وسافر العروسان فعلا لإتمام مراسم الزواج هناك ترافقهما مباركة الأقلية الهندية من جماعة العريس وسخط الكثيرين من أقارب وذوى وأصدقاء ومعارف العروس التي لم تلق بالا لهذا الغضب والسخط.

٣٠ ـ وحيل بينهم وبين ما يشتهون:

هذه دكتورة طبيبة نالت الشهادات العليا ووصلت الدرجات العالية تروي لنا قصتها بإقرار منها فتقول: تجربتي مُرّة جدا جدا:

تجربتي تكاد تكون غريبة إلى حد ما، ليس في مضمونها، لأني متأكدة بأني لست الوحيدة من بنات جنسي تتعرض لمثل هذا المصير، إنما الغرابة كوني غير متزوجة وقد بلغت من العمر الأربعين عاما، ومن المفترض أن أكون امرأة بمرتبة "جدة" ولكن عقليتي، على الرغم أني طبيبة وناجحة في عملي والحمد لله، إلا أنني لم أحسب حساب ما وصلت إليه اليوم من ألم في نفسي أن حرمت الأمومة وحرمت أن أكون زوجة.

تجربتي، تتلخص في أني كنت موفقة في دراستي طوال حياتي الدراسية، في جميع مراحلها، وكانت رغبتي للعلم جامحة قوية، وبعد أن تخرجت من الجامعة قررت أن أكمل الماجستير، وكأي فتاة في تلك السن، كان يتقدم لخطبتي الكثير، لاسيما أني "كنت " أتمتع بجانب كبير من الجمال، لكني كنت أرفض بسبب التعليم، وكان والدي يقنعان برأيي، وليتهما رفضا هذه القناعات.

فكنت أرفض كل من يتقدم للزواج مني ونلت الماجستير بتفوق كبير، وهممت بتحضير الدكتوراه، وقبل ذلك تقدم الكثير أيضا، حيث أصبحت فتاة ناضجة ومتعلمة وأصبح الطلب كبيرا، ولكني كنت مصرة على أن أتم تعليمي ومن ثم الزواج.

وانتهيت من الدكتوراه وحصلت على الدرجة بتفوق كبير، وعدت إلى المملكة حاملة هذه الشهادة العالية، وعملت في مستشفى خاص بجدة، وهيأت نفسي أن أكون زوجة، لكن ما حدث غير ذلك، فلم أسمع أحدا جاء يطرق بابنا يطلب الزواج مني، قلت في نفسي لربما أن سفري الطويل أنسى الناس أن في بيت فلان فتاة للزواج، فصرت أحضر المناسبات التي أدعى إليها، ولكن لا حياة لمن تنادي، وإذا تقدم أحد للزواج مني إما أن يكون أكبر مني بسنوات كثيرة جدا، في سن والدي وربما أكبر وربما أكون أصغر من أولاده.

وظلت الحيرة تطاردني، وعزوف الرجال بالزواج مني صار يكبر مع تقدمي في السن، والقلق يمزقني في داخلي من هذه الحالة التي أعيشها، والألم يعتصرني، وأنا أرى أمهات صغارا أقوم على رعايتهن، حيث أن تخصصي نساء وولادة، ويزداد بي الحنين واللوعة، حين أرى الأطفال، كم أتمنى أن يكون أي طفل يقول لي كلمة "ماما".

وها أنا اليوم قد تجاوزت الأربعين من عمري، والحقيقة أصبحت في الخامسة والأربعين.

ها أنا اليوم مجرد "امرأة" فاقدة أي إحساس بالسعادة على الرغم من تفوقي ونجاحي العملي، لأني فقط، لست أما! الدكتورة سلمى الجبران

٣١ ـ عوانس أرض الكنانة يفصحن عن مكنونات أنفسهن:

ــ تقول ع. ر (٣١ عاما) : منذ صغري وأنا رومانسية جدا. ومنذ البداية قمت بتحديد مواصفات معينة للرجل الذي أتمنى الارتباط به ولكنني للأسف أسرفت

كثيرا في الخيال ورفضت كل الذين تقدموا لخطبتي وقد شجعني على ذلك والدي الذي أعطاني الحرية الكاملة في الاختيار وبشكل عام أنا غير مترعجة من تقدم السن فمقياس سن الزواج للفتاة تغيرت ولم تعد الفتاة تتزوج قبل سن أل ٢٥ لانشغالها بدراستها وعملها وللظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها الشباب هذه الأيام.

ـ تقول هـ. س. (موظفة ٢٩ عاما) : أنا من إحدى قرى محافظة الجيزة ونظرا لتقاليدنا الريفية لابد وأن تتزوج الفتاة في سن مبكرة بل إن الفتاة التي تبلغ سن العشرين يعتبرونها كبيرة على الزواج، وقد رفضت كثيرا من الشباب الذين تقدموا لخطبتي بسبب انشغالي في التعليم ثم العمل، وبرغم تخرجي من الجامعة منذ ٥ سنوات فإنه لم يتقدم لي طوال هذه الفترة أي شخص لأن سني أصبحت كبيرة على الزواج من وجهة نظرهم وللأسف الشديد ومع تقدمي في السن وبسبب بعض الخرافات المنتشرة في قريتنا لجأت أسرتيّ إلى بعض المشعوذين والدجالين والذين لم يفلحوا بالطبع في فعل أي شيء.

ـ تقول ص. ش. (٣٤ عاما) : لي شقيقة أصغر مني بعامين وهي أيضا لم تتزوج بعد ودائما ما تنظر إلينا والدتنا بحزن وحسرة بسبب عدم زواجنا حتى الآن خاصة بعد زواج كل صديقاتنا وقريباتنا، ومنذ فترة تقدم لخطبة شقيقتي شاب وبرغم وجود عيوب كثيرة به فإن والديّ وافقت عليه دون تردد ومن المتوقع أن تتزوج شقيقتي الأصغر مني قبلي برغم أنني أتمتع بجمال كبير بشهادة الجميع ولكن الزواج نصيب.

ـ وتقول ح. ن. (٣٥ عاما) : لي شقيقتان أصغر مني ولم يتقدم لخطبتنا أي شاب حتى الآن برغم أننا على قدر كبير من الجمال ونحمل مؤهلات عليا ونعمل في وظائف مرموقة وبرغم أننا نتظاهر بعدم الاهتمام ولكننا نتألم بداخلنا خاصة كلما تزوجت إحدى صديقاتنا الأصغر منا ونحن نحب الأطفال جدا وهو ما يزيد من معاناتنا بسبب عدم استمتاعنا بعاطفة الأمومة حتى الآن.

ـ تقول ع. إ. (٣٠ عاما) : برغم وجود عدد من الشباب الراغبين في الزواج في عائلتي فإنه لم يتقدم أحدهم لي بسبب اختلاف العادات والتقاليد التي كانت متبعة قديما عن الموجود حاليا فلم يعد هناك إلزام للشباب بأن يتزوجوا فتيات من نفس العائلة إلى جانب أنني كنت أتباهى كثيرا بجمالي وبحصولي على شهادة جامعية وبالتالي كنت أبالغ في المواصفات التي أطلبها لزوج المستقبل وبرغم أنني أكبر فتاة في العائلة لم تتزوج بعد فإنني لست قلقة من هذا الأمر والزواج من الرزق وبالتالي هو بيد الله وحده.

٣٢ ـ عوانس الجزائر يدلين بدلوهن:

ـ ف. سكرتيرة في الجزائر (عمرها ٢٨ عاما) تخرجت من الجامعة، وتعمل في وظيفة مرموقة وهي جميلة ولطيفة ومهذبة ولكنها عانس بإرادتها !

– سؤال: لماذا ؟

تجيب : الزواج ليس عملية سهلة في بلدنا فأولا أين يمكن أن تجد الفتاة الرجل المناسب لها في ظروف البطالة الشديدة، والأجور الضعيفة لمن لهم أعمال بالفعل،والإيجارات الكبيرة للمساكن والمهور المبالغ فيها التي يطالب بها الأهل ؟

– سؤال : وهل يعني ذلك أن تتوقف البنات عن الزواج ؟

حتى تتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية وحتى الظروف القانونية التي لا تدعم المرأة في العلاقة الزوجية، فأعتقد أن نسبة عدم إقبال الفتيات على الزواج سوف تتزايد وهي الآن تزيد عن أل ٦٠ بالمائة.

ـ ن. جامعية وجميلة ومثقفة (عمرها ٢٥ سنة) وعندما سألها – المحقق – عن سر عدم زواجها أو عدم وجود دبلة خطوبة في يدها، ابتسمت قبل أن تقول له إنها تفضل أن تكون عانسا على أن تكون مطلقة !

– سؤال هل الزواج والحب مشكلة؟

عندما يتعلق الأمر بفتح بيت وتوفير السكن والإنفاق على الأسرة وعندما يتعلق بالمفاهيم الخاطئة لدى الرجل عن المرأة وعندما يتعلق الأمر بالقوانين التي تساند الرجل ضد المرأة، فليس أمام الفتاة المثقفة والمتعلمة إلا الصبر حتى تجد الإنسان الكفء أو تبقى عانسا برغبتها أو رغم أنفها في واقع الأمر.

ـ ر. صحافية شابة تعمل في جريدة يومية (عمرها ٢٣ سنة) تقول إنها لا تحب أن تكون عانسا وأنها تتطلع إلى الارتباط بشاب يقدرها ويحبها ويحترم رغبتها في العمل بالصحافة وهي تعتقد أن هذا الشاب نادر الوجود ولذلك فسوف تركز جهدها في السنوات الحالية على تحسين أوضاعها المهنية وتطوير قدرتها في العمل.

٣٢ـ عوانس أرض الرافدين يجنين فقدانهن عمر بن الخطاب[١]:

ـ تقول الآنسة أ. ع. : إن الأوضاع الاقتصادية بدأت تثقل العوائل ومن بينهم الشبان وأصبح هم العائلة الآن هو توفير المستلزمات اليومية والاحتياجات الضرورية ومعروف أن الأب في العراق يتكفل بزواج ابنه والذي يتضمن شراء تجهيزات الزواج للعروس من ملابس وإكسسوارات وذهب، إضافة إلى تأثيث غرفة نوم كاملة لتكون عشهم الزوجي يضاف إلى ذلك موضوع حفلتي الخطوبة والزواج، ومع أن البعض يحاول أن يقلل من حجم المصروفات إلا أن المشكلة تبقى قائمة وهي فشل الكثير من العوائل في توفير الحد الأدنى من تلك المستلزمات.

ـ الآنسة ل. خ. تقول : ليس هناك حالة عزوف شاملة عن الزواج، كما يعتقد البعض، إلا أن الذي يحدث هو أن الفتاة تعزز حالة العزوف، إذ أن الكثير من الفتيات

---

[١] قَالَ عُمَرُ لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا. [صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، حديث رقم: ٣٤٢٤]

يرفضن فكرة الزواج المعقول المحكوم بالظرف الحالي ويصررن على أن يكون الزواج من الذهب والملابس والحفلة، والهدايا الأخرى، لتتباهى أن زواجها أفضل من زواج أختها الكبرى أو صديقتها أو حتى والدها وهذا أصبح الآن شبة مستحيل لكن بعض الفتيات يرغبن في أن يحاصرن أحلامهن ويفرضن الحصار من الداخل.

ـ الآنسة ت. م. تقول : ما الذي يجبرني على الإسراع بموضوع الزواج والارتباط بشخص لا يناسبني في المستوى الثقافي والاجتماعي وحتى المادي إنها سنة أو أكثر وسيتحسن الوضع الاقتصادي وإن شاء الله ندخل مرحلة جديدة.

سؤال: هل إنني متفائلة جدا بسبب كونك مازلت في بداية الشباب ؟

إنني أحاول ألا أستعجل وألا أصل إلى مرحلة اليأس مبكرا فلا بد من أن نتحمل مثلما يتحمل باقي أهلنا، لأن الوضع الاقتصادي شمل الجميع بأثقاله وأتعابه، وربما يحدث لنا نحن الفتيات أقل بكثير مما يحدث للآخرين، خاصة الشيوخ والأطفال وما يعانون من تعب وآلام بسبب قلة الأدوية وتفشي الأمراض القاتلة.

٣٤ـ من قصص العنوسة في المغرب :

ـ م. أ. (طبيبة مغربية – ٣٦ سنة) تقول : لا يمكن الحديث عن مجتمعنا بشكل جامد وكأنه كتلة واحدة تعبر عن رأي واحد. إن مناقشة الموضوع تتطلب في رأي أن نقسم مجتمعنا إلى فئات تتدرج في مستويات التفكير والوعي والثقافة. وآراء هذه الفئات تعبر بشكل رئيسي عن مبدئين : إما قبول الأمر الواقع وتجاهل مسألة تأخر سن الزواج بحكم الواقع الاقتصادي، وبالتالي التعامل مع الفتاة العانس باعتبارها ضحية لهذا الواقع بما تعكس متغيراته الاقتصادية على شرائح المجتمع بأسرها من تأثيرات شاملة، أو اللجوء إلى أسلوب مغالطة الواقع وتحميل مثل هذه الفتاة وزر عنوستها. فمهما يحدث نحن نعرف صعوبة إقدام الفتيات على اختيار أزواجهن بمبادرة أولى من طرفهن، فالواحدة

منهن ليس أمامها سوى هامش ضيق للاختيار وهو قبول أو رفض من يتقدم إليهـــا. وفي حالة عدم تقدم شخص لخطبتها ستظل في وحدها تلوك الانتظار.

ــ ح. أ (مهندسة مغربية – ٣١ سنة) تقول :حل مشكلة العنوسة بيد مجتمعنا وبيد شبابنا من الجنسين. فبالنسبة للمجتمع، لا شك أن تقليد الغرب والتمسك بقشـــور الحضارة قد افقدنا الكثير من ملامح أصالتنا وهويتنا. فنزوع فئات كثيرة داخل المجتمـــع إلى الماديات والصراعات الاستهلاكية يجعل الغالبية في سباق يومي (إلى الثراء) بطـــرق مشروعة وغير المشروعة. وذلك وتطبيقه في كل الاستغراق في التفكير المادي وتطبيقه في كل معاملات الحياة ومن بينها الزواج. ونحن نعلم أن كثيرا من الأسر قد ترفض تـــزويج الفتاة بشخص متعلم ومثقف (بسيط الحال) وتفضل عليه عريسا آخر ثريا وربما يكون جاهلا أو أميا. وأنا شخصيا أعرف أن كثير من فتياتنا في صراع نفسي دائم بسبب أشياء أعتبرها (أخطاء اجتماعية) يرتكبها المجتمع في غالبيته، وذلك بجعل العديد من الفتيـــات يطلبن الاقتران بأزواج لا يناسبوهن علما وثقافة وخلقا، لسبب واحد فقط هو قـــدرهم المالية على تأسيس بيت الزوجية. ومن جانب آخر فإن شبابنا بدوره ارتكب ويرتكـــب الكثير من الأخطاء، منها أيضا تقليده للغرب ولشبابه الماجن المستهتر وابتعاده عن هدى وتعاليم وقيم دينه وتجاهله لمعطيات واقعة الاجتماعي.

وتستدرك ح. قائلة : هنا لا أستثني الولد من البنت وذلك ما أدى إلى نشوء أزمة الزواج التي لن تجد لها حلا إلا بالحلول الواقعية المنطقية البسيطة، والتي تتمثل من تجنـــب المهر المرتفع ومؤخر الصداق المعجز للكثيرين وجعلهم يحجمون عن طرق أبواب الأســـر المغربية وطلب أيدي بناهًا. فأصبح البعض وخاصة من تيسرت لهـــم الهجـــرة يفضـــلون الاقتران بأوربيات، لعلمهم أن تكلفة الزواج وما يسبقه ويحيط به ويتبعه من مظاهر بذخ احتفالية آن الأوان لتوديعها، تجعل الزواج بفتاة مغربية أحد المستحيلات.

ثانيا : الاستفادة من هذه القصص وأخذ العظة والعبرة منها:

هذه القصص تعكس مآس جمة، وتدمى القلوب بما تحويه من معاناة وآلام تعتصر فؤاد صاحباها والمهتمين بهن وتفتت أكبادهم ونقف حولها وقفات:

ــ عدم حزم الآباء في تعاملهم مع هذه الظواهر الخطيرة التي يمكن أن تؤدى إلى ارتكاب الفاحشة من البنات وتحدث هذه الأمور غالبا نتيجة طمع الوالد في راتب ابنته أو اشتطاطه في مهرها ليملأ منه جيبه أو رقته الزائدة بترك الحرية المطلقة لابنته وأنه لا يريد أن يزين لها أمرا تريد تأخيره أو يرغمها على زوج لا ترغب فيه، أو اعتقاده بأن عقل ابنته قد نضج وصار أكبر من عقله وبخاصة إذا كان الأب أميا.

ــ على البنت أن تعلم أنها امرأة ومهما تعلمت فلا غنى لها عن الزواج.

ــ على البنت أن تصلح ما أوهت وتخيط ما خرقت وترتق ما فتقت وترقع ما يمكن رقعه وتصلح ما يمكن إصلاحه بموافقتها على زوج تتنازل له عن بعض شروطها كما ذكرت إحداهن في رسالتها في قصة رقم: ٢، فما لا يدرك جله لا يترك كله وزوج من عود خير من قعود.

ــ البنت التي نالت قسطا عاليا من التعليم لا يتزوجها قريبها من بني عمها وغيرهم الأدنى منها تعليما خوفا من أن تجبههم برفضها ولا يتزوجها المتعلمون مثلها لتقدمها في السن ولخوفهم من تسلطها. انظر قصة رقم: ٢١ ، وقصة رقم: ٢٧

ــ ما تقوم به كثير من الفتيات من محاولة الحصول على درجة الماجستير والدكتوراه هو في الحقيقة هروب من الواقع وخداع للنفس بأنها مشغولة بالعلم وأنها فرّغت ونذرت نفسها له وأنها قد جاءها خطاب كثيرون فرفضتهم.

ــ الاشتغال بالدارسة ونسيان النفس يسببان ألما وندما للفتاة انظر القصة رقم:

١

ـ الشروط القياسية كانت سببا وراء عنوسة صاحبة القصة رقم : ٢

ـ يجب أن نعلم أن المرأة مع فطرتها وطبيعتها وهي أن قوامة الرجل عليها هي ما تقر به فصاحبة القصة رقم: ٢ تلقي باللائمة على أبيها لعدم حزمه وأخذه بحقه في تسهيل أو فرض أمر زواجها عليها.

ـ الدراسة تأخذ زمنا ليس بالقصير من عمر الفتاة وبخاصة إذا شملت المرحلة الجامعية والماجستير والدكتوراه.

ـ العنوسة داء يسهم في حله وجمع معلومات عنه وإحصاء العوانس ومعرفة أسباب عنوستهن كل قطاعات المجتمع من كتاب وباحثين وعلماء ودعاة وموظفين إحصاء ونحوهم ومما يحمد من الأمور ما قام به أحد موظفي الإحصاء وأصحاب وكالات تأجير البيوت في عكس ما بداخل البيوت من أحوال العوانس كما في القصة رقم: ٣ .

ـ العنوسة تولد الحقد والحسد والكراهية ويتمثل ذلك في شتم المجتمع والأقارب من آباء وإخوان يرون أنهم كانوا سببا في عنوستهن. انظر القصة رقم: ٣.

ـ لطاعة النساء ـ من غير مبرر ـ من أم وبنت سبب كبير في تعنيس الفتاة كما في القصة: ٤ وعدم طاعة النساء في هذا الأمر سبب في زواجهن كما رأينا في السبب الذي أسميناه: مطاوعة البنت في رفضها للمتقدمين لها من دون مبرر شرعي ولا مسوغ عقلي. من هذا الكتاب.

فيا أيها الأب احزم أمرك واعص عرسك في هذا الأمر حتى لا تندم أنت وزوجك وبنتك بقية عمركم.

ـ إصرار الأب على مواصفات معينة في الزوج تسبب عنوسة ابنته كما في القصة رقم: ٦

ـ التعنيس بسبب الإعضال كان المرء يظن أنه غير موجود ولكنه موجود وله قصص وشواهد يأسف المرء لحدوثها.

ـ التعنيس يسبب كراهية البنت لأبيها ودعائها عليه كما في القصة رقم: ٩، والقصة رقم : ١٣.

ـ التعنيس يسبب تفلت البنات وتمردهن على آبائهن كما في قصة الفتاة التي ذهبت إلى المحكمة لتزوجها رغما عن أبيها كما في القصة رقم : ٥

ـ التعنيس يسبب وقوع البنت في الفاحشة كما في القصة رقم: ٦، والقصة رقم: ٨ وكما ذكرنا في آثار العنوسة والتي ذكرنا الزنا من أهمها.

ـ وقوع البنت في الفاحشة يحطم الأسرة ويهدمها ويقوض بنيانها بين الأبنية وتضطر الأسرة بعد ذلك للرحيل عن مكانها الأول وتغييره إلى مكان بعيد لا يعرف فيه، وذلك بسبب فعل ابنتها الذي تسببت فيه الأسرة. انظر القصة رقم: ٦.

ـ للمهتمات بالشهادات المفضلات لها عن الزواج نقول لهن: تزوجنها انظر القصة رقم: ١ ، والقصة رقم: ٢ ، والقصة رقم: ٧ ، وفي الحقيقة أن صاحبة الشهادة التي لم تتزوج تندم وتتمنى عدم وجودها وأنها ظفرت بزوج كما في القصة رقم ٢ ورقم: ٩.

ـ العنوسة سبب في التزام الفتاة لأنها مصيبة تجعل صاحبها يلجأ إلى الله ويتضرع إليه، انظر القصة رقم: ١٠.

ـ العنوسة تجعل الفتاة المتعلمة تهتم بأصل المشكلة وأن ما وقع عليها يكون قد وقع على كثير من بنات جنسها من المسلمات فتحاول أن تعالج المشكلة بذكر الأسباب واقتراح الحلول وكتابة ما مرت به من تجربة حتى يستفيد منها الناس وهذه القصص كلها قيلت بألسنة وأقلام عوانس. كما أن بعضهن يطفو قلمها بكيل معاناة تعكس ما يجيش في

صدر إحداهن ويتمثل ذلك في الكتابة حول هذا الموضوع بمعالجته كما في القصة رقم: ١٠، والقصة رقم : ١١

ــ التعنيس بسبب الطمع في الراتب لؤم لم يكن أحد يتوقع حدوثه فالرجال عادة يستنكفون عن أخذ شيء من اللواتي نشأن في الحلية بل يعطونهن، ولنعلم أن قوامة الرجل على المرأة تقوم على أفضلية جنس الرجل على المرأة ثم على إنفاق الرجل على المرأة، فالمرأة نفقتها على أبيها ثم على زوجها إن تزوجت وعلى أخيها إن مات أبوها ولم تكن متزوجة، أو على ابنها.

إن المرء لم يكن يتوقع إعضال أب لابنته طمعا في راتبها والاستحواذ عليه وأب آخر يقول لابنته: ادفعي جزية بنوتك وإسلامك، فأنت ومالك لأبيك. وبعد أن تمتع زمنا ليس بالقصير براتب ابنته وجاءها زوج يقول لها بكل وقاحة[1] : لا تعطي راتبك زوجك وأعطنيه. انظر القصة رقم : ١٠.

إن هذا الأمر عيب ولؤم ــ إعضال الأب ابنته بسبب راتبها ــ وقل ما أردت من عبارات الذم والقدح وتفوه بما شئت من مترادفات السوء في أب مثل هذا ولعل وليت وأتمنى أن يكون في حديث الأخت في القصة رقم: ١٠ مبالغة مما حكته وما روته لأن ما قالته لا يتوقع صدوره عن عاقل دعك عن أب يحمل هم ابنته، وما سطرناه في آثار العنوسة على أهل الفتاة وما ورد في القصة رقم: ١٧ يرينا الحال الطبيعي للآباء فهل نغير رأينا أم أن هذا الصنف من الآباء الطامعين لهم ظروف خاصة بهم.

---

[1] رجل وَقِيحُ الوجه ووَقاحُه: صُلْبُه قليل الحياء، والأُنثى وَقاحٌ، بغير هاء، والفعل كالفعل والمصدر كالمصدر، وزاد اللحياني في الوجه: بَيِّنُ الوَقَحِ والوُقُوحِ. وَقُحَ الرجل إذا صار قليل الحياء، فهو وَقِحٌ ووَقاحٌ. [لسان العرب، مادة: وقح]

ــ العنوسة قد توقع الفتاة في زوج لا يناسبها ويكون حالها عانسا أفضل من حالها مع زوجها. انظر القصة رقم : ١٠ ، و قصة رقم : ٢٥ ، و قصة رقم : ٢٩ ، و قصة رقم : ٣١.

ــ العنوسة إن لم تحتسب صاحبتها يمكن أن تؤدي بها إلى نفاد الصبر والسخط على قدر الله انظر القصة رقم : ١١

ــ العوانس يسهرن الليالي الطويلة ويفكرن في عنوستهن تفكيرا كثيرا انظر القصة رقم : ١١

ــ العنوسة تؤدي إلى التبرج وإظهار المحاسن والاختلاط انظر القصة رقم : ١٢

ــ في رأي الفتيات أنهن يوافقن على الزوج ولا يكلفنه مهرا عاليا، انظر القصة رقم: ١٢

ــ بر البنت بأبيها وسماحة خلقها فهي تفكر في خلاص أبيها رغم ما جنته منه انظر القصة رقم: ١٣

ــ على العانس أن تعلم أن هذه الأمور مسطرة مكتوبة وأن الجزع والضجر لا يغير في الأمر شيئا، بل عليها الصبر والاحتساب والإكثار من الاسترجاع وسؤال الله أن يجيرها في مصيبتها ويخلف لها خيرا منها فالله سبحانه وتعالى بيده ملكوت كل شئ وهو على كل شئ قدير.

ــ على الحكام وولاة الأمر من قضاة ونحوهم تتبع ظواهر تعنيس الآباء لبناهم واتخاذ اللازم نحوها، كما أن على الأهل والجيران نصح أمثال هؤلاء الآباء وزجرهم عن تعنيس بناهم وإبلاغ أولياء الأمور في حال رفضهم وإصرارهم على تعنيسهن فيجب عقاب أمثال هؤلاء الآباء العققة الجهلة الذين يجنون على بناهم وقبل ذلك على أنفسهم.

ـ على الفتيات أن لا ينسين فضل آبائهن جملة وتفصيلا فكما أن بعض الزوجات ينسين فضل أزواجهم بقول الواحدة للزوج: ما رأيت منك خيرا قط، فكذلك بعض الفتيات يبالغن في ذكر الأمور التي تنتقص آبائهن وأنهم لم يقوموا بشيء في أمر تزويجهن بل إنهم يفضلون بقاءهن عوانس وهذا الأمر ذكرته لأنني اشتممت من بعض هذه القصص احتقارا وانتقاصا من بعض البنات لآبائهن.

ـ لجوء العوانس إلى استعطاف الآباء والمجتمع وتذكيرهم بالله تعالى واليوم الآخر واتقاء الله وحفظ النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته بالمرأة هذا الأمر تفرضه العنوسة ولم نسمع امرأة متزوجة أو فتاة صغيرة تضرب على هذا المرأة مما يعني أن الدافع لهذا التذكير هو مشكلة الفتاة من عنوسة وظلم ونحوهما وحتى بعض العوانس في خضم عنوستهن لا تنسى الواحدة غرورها فتصف الرجل بالأنانية وخشيته من المرأة المتعلمة انظر قصة رقم: ٢١، بل نجد الفتاة تتكلم عن إلزام الفتى بأن يتزوج قريبته انظر قصة رقم : ٣١ وأقول جازما لو ألزمت فتاة رائجة السوق بأن تتزوج قريبها لقالت ملء فيها : انتهى عصر الحريم.

ـ على الآباء الذين ماتت زوجاتهم أو انفصلوا عنهن وتزوجوا نساء أخر النظر في رفض زوجاتهم الجدد للمتقدمين لبناتهم من الزوجات السابقات وتبرير هذا الرفض أهو رفض موضوعي أم له دوافع أخرى من غيرة وحب أن تظل ابنة زوجها خادما لها. كما أن عليهم معرفة حسن العلاقة بين هذه الزوجة وهذه البنت. انظر قصة رقم : ٢٥

ـ قد يتسبب الوالدان في عنوسة ابنتهما باختيار مسار تعليمي لا رغبة لها فيه تزيدا وتفاخرا بين الناس انظر قصة رقم : ٢٧

ـ العنوسة قد تقود إلى الشرك وذلك بالاعتقاد والتصديق بالخرافات والذهاب إلى الكهنة والعرافين والسحرة انظر قصة رقم : ١١ ، وقصة رقم : ٢٩.

وليس المراد من التعقيب على التعليم أن تنشأ المرأة في جهالة أو أن تكون أمية لا تفقه شيئا لا ولكن المقصود ألا تضيع عمرها سدى وتنفقه في التعليم وتنسى دورهـا في الحياة فهي زوجة أولا وأم ثانيا فيمكنها أن تتزوج وتواصل تعليمها بعد ذلك إن أرادت.

ولا نملك إلا أن ندعو لهؤلاء البائسات وغيرهن من بائسات المسلمين الـلاتي لا أزواج لهن فنقول : اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترزق هذه الفتيات أزواجـا تقر به أعينهن وغيرهن من عوانس المسلمين إنك على كل شئ قدير.

الفصل الرابع

العلاج الدوائي للعنوسة

المبحث الأول
العلاج الدوائي من المجتمع

المبحث الثاني
العلاج الدوائي من الأسرة

المبحث الثالث
العلاج الدوائي من الفتاة العانس

المبحث الرابع
العلاج الدوائي من الفتى العانس

المبحث الأول

العلاج الدوائي من المجتمع

١ ـ تشجيع التعدد والعمل به

٢ ـ تبني مشاريع الزواج الجماعي

٣ ـ البحث عن أزواج للعوانس

٤ ـ سؤال العانسين عن سبب عنوستهم بغية حلها

٥ ـ الشفاعات والجمع بين الراغبين في الزواج

٦ ـ تشجيع زواج المسيار للأرامل والمطلقات وذوات الأعذار من النساء

المبحث الأول

العلاج الدوائي من المجتمع

١ ـ تشجيع التعدد والعمل به

الإسلام وسط بين المشاعية البهيمية التي أطلقت الشهوات على عنانها وجعلت الرجل كالجمل الهائج المغتلم ، الذي يكون فحلا للهجمة الواحدة أو للهجمتين والتي قد يزيد عدد إحداها على الألف ناقة ، فصار الرجل في الشهوات البهيمية يتورك الأولى ويفاخذ الأخرى ويخادن هذه ، ويخالل تلك بل زاد الجمل شرفا وفضلا على البهيمية الحيوانية أنه مع قبوله المشاعية فإنه لا يقبل حدوثها في وقت واحد مع غيره فإنه متى ما اجتمع فحلان في شول واحد أو هجمة واحدة إلا أخرج الأقوى منهما الأضعف وقتله ،قال عبد الملك بن مروان : وهل اجتمع فحلان في هجمة قط إلا قتل أحدهما صاحبه.[١] فزاد الإنسان على البهيمية سماحه باجتماع فحلين على شول واحد فصار يبوك هو وغيره أتانا واحدة في وقت واحد نعوذ بالله من الخذلان وطمس البصائر ويكون عاقبة الأمر اختلاط الأنساب وتولد الأحقاد فالإسلام وسط بين هذا وبين ضلال الرهابين الذين حرموا ما أحله الله تعالى لهم من أماثل الأعمال وهو إتيان الحلال من الحلائل وملكات اليمين قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٢]

---

[١] الأخبار الطوال ، للدينوري ، ص ٢٨٦ وص ٣٩٤

[٢] سورة المؤمنون آية ٥ ــ ٧

وعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَانَ شَيْءٌ قَالَ أَجَلْ مَرَّتْ بِي فُلَانَةُ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا فَإِنَّهُ مِنْ أَمَاثِلِ أَعْمَالِكُمْ إِتْيَانُ الْحَلَالِ.[1]

ومن ثم وقع هؤلاء الرهبان في شر أعمالهم وتلطخوا بما فروا منه حلالا ففعلوه وقارفوه حراما فنظم الإسلام هذه العلاقة بين الذكر والأنثى وذلك بالحث على الزواج والحض عليه والأمر به وتعينه ووجوبه في بعض الحالات واعتبار أن النكوص عنه والتريث فيه والتربص به علامة من علامات التساؤل ومؤشر من مؤشرات الفجور والغي والضلال.

وكان العرب في الجاهلية يتزوجون كما يشاءون وبمن يشاءون ومتى يشاءون ويعددون من النساء كما أرادوا فقد يتزوج أحدهم المرأة ولا يصل إليها إلى أن يموت الأعجل منهما ، وقد يجمعون بين الأختين وقد جمع بين الأختين أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية جمع بين صفية وهند بنتي المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وجمع قسي بن منبه وهو من ثقيف، آمنة وزينب بنتي عامر بن الظرب في نكاح واحد ، وجمع هنام بن سلمة العائشي أخو بني تيم بن اللات بين أختين،[2] وقد يخلف أحدهم أباه على

---

(1) مسند الإمام أحمد، مسند: أبي كبشة الأنصاري، حديث رقم: ١٧٣٣٧

(2) المحبر ص٣٢٧

امرأته لا أعني أمه، [١] لأنه لم يكن عندهم نكاح المحارم وإن كان قد فعله أحدهم وهو لقيط بن زرارة بسبب تأثره بالمجوسية [٢] وقد تسائل لقيط هل ستوافق ابنته على هذا الزواج أم سترفض فقال:

يا ليت شعري اليوم دختنوس[٣] إذا أتاها الخبر المرموس

أتحلق القرون أم تميس لا بل تميس إنها عروس[٤]

ثم ندم لقيط على ذلك الفعل وفارقها.

فجاء الإسلام وحرم كل ذلك وأباح للرجل أن يتزوج أربع نساء وأن يتسرى بما شاء من السراري وملكات اليمين.

ومارس المسلمون التعدد وطبقوه وكان شائعا عندهم لدرجة أن الذي كان يقتصر على امرأة واحدة ولا يتسرى يذكر ذلك في صفاته وترجمته، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في ترجمة الأمير صدقة: صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الأمير سيف الدولة صاحب الحلة وتكريت وواسط وغيرها كان كريما عفيفا ذا ذمام ملجأ لكل خائف يأمن في بلاده وتحت جناحه وكان يقرأ الكتب المشكلة ولا يحسن

---

[١] قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (سورة النساء آية ٢٢)

[٢] انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٦٢١

[٣] دختنوس، كعضرفوط: بنت لقيط بن زُرارة التميمي، وهي مُعربة، أصلُها: دُخْتَرنُوش، أي: بنت الهنيء. سَمَّاها أبوها باسم ابْنة كسْرَى. [مختار الصحاح للرازي باب السّين. فصْلُ الدّال.]

[٤] لسان العرب مادة رمس ج ٥ ص ٣١٣

الكتابة وقد اقتنى كتبا نفيسة جدا وكان لا يتزوج على امرأة قط ولا يتسرى على سرية حفظا للذمام ولئلا يكسر قلب أحد. [١]

وشواهد التعدد في كتب التاريخ والتراجم لا تحصى فلنمثل لها بالاجتزاء بالآتي :

ـ النبي صلى الله عليه وسلم :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ لَقِيَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ تَزَوَّجْتَ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ تَزَوَّجْ ثُمَّ لَقِيَنِي بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ تَزَوَّجْتَ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ تَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً [٢].

قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى : قوله (قال لي ابن عباس هل تزوجت ؟ قلت لا) زاد فيه أحمد بن منيع في مسنده من طريق أخرى عن سعيد بن جبير " قال لي ابن عباس وذلك قبل أن يخرج وجهي – أي قبل أن يلتحي – هل تزوجت ؟ قلت لا ، وما أريد ذلك يومي هذا " وفي رواية سعيد بن منصور من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير " قال لي ابن عباس : هل تزوجت ؟ قلت ما ذاك في " الحديث . قوله (فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء) قيد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام ، فإنه كان أكثر نساء ، وكذلك أبوه داود ، ووقع عند الطبراني من طريق أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " تزوجوا فإن خيرنا كان أكثرنا نساء " قيل المعنى خير أمة محمد من كان أكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل . والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالأمة أخصاء أصحابه ؛ وكأنه أشار إلى

---

[١] البداية والنهاية، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح) ج ١٢ ص ١٨٣

[٢] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب كثرة النساء، حديث رقم: ٤٦٨١/ مسند الإمام أحمد. كتاب، مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم: ١٩٤٤

أن ترك التزويج مرجوح ، إذ لو كان راجحا ما آثر النبي صلى الله عليه وسلم غيره ، وكان مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال ، ولإظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يشبع به من القوت غالبا ، وإن وجد كان يؤثر بأكثره ، ويصوم كثيرا ويواصل ، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ، ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن . وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب ، وهي عنده نادرة أو معدومة . ووقع في " الشفاء " أن العرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية ، إلى أن قال : ولم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن وكأنه أراد بالتحصين قصر طرفهن عليه فلا يتطلعن إلى غيره ، بخلاف العزبة فإن العفيفة تتطلع بالطبع البشري إلى التزويج ، وذلك هو الوصف اللائق بهن . والذي تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه.

أحدها أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.

ثانيها لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم .

ثالثها للزيادة في تألفهم لذلك .

رابعها للزيادة في التكليف حيث كلف أن لا يشغله ما حبب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ.

خامسها لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزاد أعوانه على من يحاربه .

سادسها نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال ، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.

سابعها الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن .

ثامنها ما تقدم مبسوطا من خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال ، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم ، وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته فانخرقت هذه العادة في حقه صلى الله عليه وسلم .

تاسعها وعاشرها ما تقدم نقله عن صاحب " الشفاء " من تحصينهن والقيام بحقوقهن ، والله أعلم.[1]

ـ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه :

قال ابن وهب: حدثنا مالك: قال: كان المغيرة بن شعبة نكاحا للنساء، ويقول: صاحب الواحدة إن مرضت مرض، وإن حاضت حاض، وصاحب المرأتين بين نارين تشعلان، وكان ينكح أربعا جميعا ويطلقهن جميعا.[2]

وقال ابن شوذب: أحصن المغيرة أربعين من بنات أبي سفيان، وكان آخر من تزوج منهن بها عرج.[3]

وعن عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال: لقد تزوجت سبعين امرأة وأكثر. [4]

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٣٨ ــ ١٣٩

[2] سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٠

[3] سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٠

[4] سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٠

وقال أبو إسحاق الطالقاني: حدثنا ابن المبارك قال: كان تحت المغيرة بن شعبة أربع نسوة قال: فصفهن بين يديه وقال: أنتن حسنات الأخلاق، طويلات الأعناق، لكني رجل مطلاق فأنتن الطلاق. [1]

وصارت للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه معرفة بالنساء وأنواعهن، قال أبو زيد: بلغني أهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة فقال أنا أعلمكم بهن تزوجت ثلاثا وتسعين امرأة منهن سبعون بكرا فوجدت اليمانية كثوبك أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ووجدت الربعية أمتك أمرها فأطاعتك ووجدت المضرية قرنا ساورته فغلبته أو غلبك. [2]

ـ الحسن بن علي رضي الله عنه :

تزوج الحسن بن علي نحوا من سبعين امرأة وقل ما كان يفارقه أربع ضرائر. [3]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وكان كثير التزوج وكان لا يفارقه أربع حرائر وكان مطلاقا مصداقا يقال أنه أحصن سبعين امرأة وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم واحدة من بنى أسد وأخرى من بنى فزارة فزارية وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبزقاق من عسل وقال للغلام اسمع ما تقول كل واحدة منهما فأما الفزارية فقالت جزاه الله خيرا ودعت له وأما الأسدية فقالت متاع قليل من حبيب مفارق فرجع الغلام إليه بذلك فارتجع الأسدية وترك الفزارية وقد كان علي يقول لأهل الكوفة لا تزوجوه فإنه مطلاق فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء ابتغاء في صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم. [4]

---

(1) سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٠

(2) الأغاني ج ١٦ ص ٩٧

(3) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٥٦ ، و٢٦١ و٢٦٧

(4) البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ٨ ص ٣٦ ــ ٣٧

قال الذهبي: عن جعفر بن محمد عن أبيه قال علي ما زال حسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يكون يورثنا عداوة في القبائل يا أهل الكوفة لا تزوجوه فإنه مطلاق فقال رجل من همدان والله لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق.[١]

قال المدائني أحصن الحسن تسعين امرأة.[٢]

ـ حماد بن سلمة رحمه الله تعالى :

تزوج حماد بن سلمة سبعين امرأة ولم يولد له ولد.[٣]

ـ محمد بن الطيب بن سعد بن موسى بن أبي بكر الصباغ :

قال الخطيب البغدادي: سمعت رئيس الرؤساء أبا القاسم علي بن الحسن يقول تزوج محمد بن الطيب الصباغ زيادة على تسعمائة امرأة.[٤] وتوفي عن خمس وتسعين سنة.[٥]

والأمثلة غير ما ذكر كثيرة جدا وفيما ذُكر كفاية وبلغة إن شاء الله تعالى.

فلو عمل الناس بمبدأ التعدد ونشروه بينهم وطبقوه عمليا وإن جبنوا عنه وخافوا من زوجاتهم شجعوا غيرهم، لو فعل الناس ذلك لاختفت ظاهرة العنوسة، لأن من النواحي العددية فإن عدد النساء يفوق أعداد الرجال بأضعاف مضاعفة، فاستئثار امرأة واحدة برجل واحد فيه إجحاف بالأخريات وظلم شنيع لهن، والمرأة بصفة عامة لا تفكر إلا في نفسها فهي لو كانت عانسا فإنها تفكر في الظفر والفوز بزوج، وعندما تظفر به،

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٦٧

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٦٧

(٣) سير النبلاء ج ٧ ص ٤٥١

(٤) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٨٣

(٥) تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٣٨

تفكر في الحفاظ عليه والعمل على أن لا يفر منها و يهرب إلى غيرها وأن لا يتزوج عليها، وهي لا تسمح بالزواج عليها ولا توافق عليه، حتى ولو كانت هذه الزوجة الثانية أمها أو أختها لو فرضنا أن الجمع بينهن يحل لزوجها.

والنساء العوانس هن أخوات هذا الزوج وأخوات الزوجة أو عمته أو عمتها أو خالته أو خالتها أو ابنة خالته أو ابنة خالتها .. الخ. فهن بأي حال لا يخرجن عن ذلك.

وقد تتساءل بعض النساء لماذا لا يسعى الرجال في تزويج فقراء الأيامى والصالحين من العباد من الرجال والنساء وأن الله أمر بذلك في كتابه، وتأتي المرأة بدليها على هذا الأمر ، فتقول لك قال الله تعالى ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] وتقول لك هذا دليل من القرآن الكريم ومن ابتغى الهدى في غير القرآن أضله الله[2] وهذا الكلام فيه وجاهة وصواب وإن كانت صاحبته تقوله غالبا لدرء زواج زوجها عليها، فهو من كلام الحق الذي يراد به الباطل، فعلى الرجال السعي في الجانبين في تزويج الأيامى وفي السعي في التعدد وتطبيقه والعمل به فالخرق أكبر من يرفأه رجل أو رجلان أو زواج أو زواجان فالعوانس ملأن البيوت، والعمر يمشي والزمن يذهب والركب يسير ويمضي، وهذه العانس التي يفكر فيها الرجل الذي يفكر في التعدد لا يقبل

---

[1] سورة النور آية ٣٢

[2] من وصف القرآن الكريم: هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ.[سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم: ٢٨٣١/ سنن الدارمي، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، حديث رقم: ٣١٩٧]

بها الأيم من الرجال الذي يريد شابة غضة طرية حديثة السن، فهذه العانس قد تقدم بها العمر وارجحن شبابها ،ووخط الشيب رأسها، وفيها بقية عمر يكفي لبطن أو بطنين فقط، فهي لا تطمع في صغير يقبل بها، والصغير لا يفكر فيها حتى وإن جلس من غير زواج ويقول لنفسه: عليك بالوصال في الصوم بدلا من الإفطار على البصل. مع أنه يجب علينا أن نعلم تمام العلم أن الإفطار على البصل أفضل من وصال الصيام لما ورد من النهي عن الوصال.

والناس أمام التعدد أنواع:

ـ من يمارسه ويدعو إليه وهذا صنف قليل من الرجال.

ـ من يدعو إليه قوليا ويجبن عنه عمليا.

ـ من ينهى عنه خوفا من زوجته لا غير وليس من رأيه فيه.

ـ من يتعلل بمسئولية الزواج المادية ونفقاته.

ـ من يخرج عجزه من أصحاب التوجه السليم عن القيام بالتعدد في ثوب المزاح فيقول: إنه من أهل التوحيد، ولكن هذا التوحيد هو توحيد الخائفين كما يقال.

ومن الناس من يخرج هذا القول مخرجا فلسفيا خبيثا وذلك لسوء اعتقاده كالمعري الذي يقول:

متى تَشْركْ مع امرأةٍ سواها ... فقد أخطأْت في الرأيِ التريكِ

فلو يُرجى معَ الشركاءِ خيرٌ ... لما كانَ الإلهُ بلا شريكِ

ـ من ينهى عنه بقوله: إنه خاض هذه التجربة وفشل فيها ولذا فهو ينصح المقدمين عليها بالكف عنها فاسأل مجربا ولا تسأل طبيبا.

قال عبد العزيز الديريني: إياك أن تتزوج على امرأتك أو تتسرى عليها إلا إذا

وطنت نفسك على نكد الدهر ولما وقع فيما كان يحذر منه وتزوج على امرأته وأنشد :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي — وقد حاز البلا زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا — منعم بين أكرم نعجتين
فجاء الحال على عكس الحال — دوما عذابا دائما بالليلتين
وصِرْتُ كنعجةٍ تضحى وتمسي — تُداولُ بين أخبثِ ذئبتينِ
رضا هذي يحرك سخط هذي — فلا أخلو من إحدى السخطتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى — نقارا دائما في الليلتين
وألْقى في المعيشةِ كُلَّ ضَرٍ — كذاكَ الضرُّ بين الضرتين
إذا ما شئت أن تحيا سعيدا — من الخيرات مملوء اليمين
فعشْ عَزَباً فإن لم تستطعهُ — فضَرْباً في عراضِ الجَحْفَلينِ

ـ من يسخر منه ويستهزئ به وهم الزنادقة، ورقيقي الدين، أو الفسقة من محبي الفاحشة، قال المعري:

تزوجَ بعد واحدةٍ ثلاثاً — وقالَ لعرسِه يكفيكِ رُبْعي
فيُرْضِيها، إذا قَنَعَتْ بقوتٍ — ويَرْجُمُها إذا مالتْ لِتبْعِ
ومن جَمَعَ اثنينِ فما تَوَخّى — سبيلَ الحقِّ في خمسٍ وربعِ

وقال أيضا:

ومن جَمَعَ الضراتِ يطلبُ لذةً — فقد باتَ في الإضرارِ غير سديدِ

٢ ـ تبني مشاريع الزواج الجماعي :

الزواج الجماعي من الأشياء الحديثة العهد وليست من الأمور القديمة في التاريخ، فالمتبع للتاريخ يجد أن الخليفة الفلاني أو الثري من أثرياء المسلمين ، يحج إلى بيت الله

الحرام ويُحج معه مجموعة من الفقراء والعلماء ، كما كان يفعل هرون الرشيد الذي كان من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم كان يحج سنة ويغزو سنة وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة وحج ماشيا ولم يحج خليفة قبله ماشيا غيره وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابقة والكسوة الظاهرة.[1]

وكان عبد الله بن المبارك الحنظلي رحمه الله تعالى حوى كل خصال الخير كان من العلماء الفضلاء والتجار الأثرياء وكان يتكفل بحج عدد كبير من فقراء المسلمين، قال الذهبي: كان ابن المبارك إذا أراد الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون نصحبك فيقول هاتوا نفقاتكم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال: لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوقم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه.[2]

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لمحمد بن على طباطبا ص١٩٣

(٢) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٧ـــ١٥٨/ سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٨٥ ــ ٣٨٦

وكان الأغنياء من المسلمين يغزون في سبيل الله ويُغزون معهم من لا يستطيع توفير الراحلة والزاد، من فقراء المسلمين، [١]كما كان يفعل ذلك ابن المبارك أيضا، قال الذهبي: خرج ابن المبارك من بغداد يريد المصيصة، فصحبه الصوفية فقال لهم: أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم، يا غلام هات الطست، فألقى عليه منديلا، ثم قال: يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما معه، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم، والرجل يلقي عشرين، فأنفق عليهم إلى المصيصة، ثم قال: هذه بلاد نفير فنقسم ما بقي، فجعل يعطي الرجل عشرين دينارا، فيقول: يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهما، فيقول: ما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته.[٢]

لم يكن السابقون يمارسون الزواج الجماعي المعروف الآن، بل كانوا يعاونون مريد الزواج فقد كان منادي عمر بن عبد العزيز في كل يوم ينادي: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء.[٣]

ولم يكونوا يمارسون الزواج الجماعي لأن العنوسة لم تكن معروفة ولم تكن مشكلة تؤرق الفتيات وأولياء أمورهن. بل كانوا يفعلون الآتي:

---

[١] قال الله تعالى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ (سورة التوبة آية ٩٢)

[٢] تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٧ـــ١٥٨/ سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٨٥

[٣] موارد الظمآن لدروس الزمان ، لعبد العزيز السلمان ، ج ٢ ص ٨٣٤

ــ يزوجون زيدا أو عمرا ممن ضاقت بهم النفقة، استجابة لقول الله تعالى ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]

ــ يلحقون الفتى بمن يهوى والفتاة بمن تهوى، تنفيذا لقول النبي صلى الله عليه وسلم:عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ نَرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلَ النِّكَاحِ.[2]

ــ تفضيل المتأهلين على العازبين في العطاء ترغيبا لأن يلحق العازبون بالمتأهلين وألا يخشى العازبون من هم الإنفاق على العيال فالعطاء على حسب من يعولهم المسلم، فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَتَاهُ الْفَيْءُ قَسَمَهُ فِي يَوْمِهِ فَأَعْطَى الْآهِلَ حَظَّيْنِ وَأَعْطَى الْعَزَبَ حَظًّا زَادَ ابْنُ الْمُصَفَّى فَدُعِينَا وَكُنْتُ أُدْعَى قَبْلَ عَمَّارٍ فَدُعِيتُ فَأَعْطَانِي حَظَّيْنِ وَكَانَ لِي أَهْلٌ ثُمَّ دُعِيَ بَعْدِي عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَأَعْطَى لَهُ حَظًّا وَاحِدًا.[3]

قال شمس الدين العظيم آبادي: (فأعطى الآهل) : بالمد وكسر الهاء أي المتأهل الذي له زوجة، قال في النيل : وفيه دليل على أنه ينبغي أن يكون العطاء على مقدار أتباع الرجل الذي يلزم نفقتهم من النساء وغيرهن إذا غير الزوجة مثلها في الاحتياج إلى المؤنة (حظين) : أي نصيبين (وأعطى العزب) : بفتحتين من لا زوجة له قاله في فتح

---

[1] سورة النور آية ٣٢

[2] سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب: ما جاء في فضل النكاح، حديث رقم: ١٨٣٧

[3] سنن أبي داود : كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : في قسم الفيء ، حديث رقم : ٢٥٦٤/ مسند الإمام أحمد، مسند عوف بن مالك الأشجعي، حديث رقم: ٢٢٨٦١ وحديث رقم: ٢٢٨٧٨

الودود . وفي بعض النسخ " الأعزب " وهما بمعنى واحد. والحديث سكت عنه المنذري.[١]

والآن مع استفحال داء العنوسة واستشراء أمرها فلنضع في أذهاننا أن من القربات إلى الله عز وجل إعفاف شابين عانسين بالجمع بينهما عن طريق الزواج الطيب ليتسنى لهم إخراج نسمات تسبح الله عز وجل وتجاهد في سبيله وتقاتل الكافرين وتقيم الدين وإخراج أفراد يكاثر بهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمم وهذه الأمة من أعظم الأمم يوم القيامة قدرا ومقدارا، فعلى حكام المسلمين وأثريـاهم وجمعياتهم الطوعية الالتفات إلى هذا الأمر والاهتمام به، وأن يجعلوا من أولوياتهم مشاريع إعفاف الفتيان والفتيات من المسلمين كما من شأنهم بناء المساجد والمعاهد الشرعية، وحفر الآبار وبناء المستشفيات والمستوصفات، فنتاج الأسر سيعمر المساجد والمعاهد، فعليهم الاهتمام بذلك وتشجيع الشباب والشابات على الزواج وتحفيزهم بتمليك بيت أو قطعة أرض وتوفير أثاث والإسهام في نفقات الوليمة وجهاز العروس ونحو ذلك من الأشياء المعينة للشباب والشابات.

وليس المراد أن يجعل هذا الأمر على إطلاقه، حتى يفكر فيه من لا يريده، أو من لا يُرغب فيه لسوء أخلاقه وعدم اهتمامه بالمسئولية، رغبة منه في نيل الحوافز الموضوعة له ، والتسهيلات المرصودة لهذا الأمر، بل المراد إعانة المحتاج له العاجز عنه، فعلينا معرفة أسباب ودوافع المتقدمين لهذا الزواج الجماعي من الجنسين لنضمن نجاحه، ونكون في

---

[١] عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الدين العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، طبع دار الكتب العلمية بيروت (ب.ت) توزيع دار الباز مكة المكرمة، مجلد ٤ ج ٨ ص ١٢٠

منأى عن فشل تتويجه بالطلاق، ولنعلم أن عانسا بكرا أفضل من مطلقة بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو ذات ولد إذا تم الزواج طمعا في المال، وما يتبعه من حوافز.

وقد قامت دول إسلامية كثيرة وجمعيات كذلك بنماذج من الزواج الجماعي ومن أمثلة ذلك:

- ثامن زواج جماعي في الأردن:

عمّان – منتصر مرعي– إسلام أون لاين.نت/ ٢-٦-٢٠٠١

يستعد الأردن في العشرين من شهر يوليو المقبل لإقامة حفل الزفاف الجماعي الثامن. فقد أعلن "عبد اللطيف عربيات" رئيس جمعية "العفاف" في تصريحات لـ "إسلام أون لاين.نت" أن الجمعية بدأت باستقبال طلبات الراغبين بالمشاركة في الحفل من الشباب المقبلين على الزواج دون أية شروط.

وقال عربيات: إن الهدف من هذه الحفلات إظهار أهمية الزواج من الناحية الاجتماعية، وحفز المجتمع على تبسيط سبل الزواج وتيسيرها، وإعطاء مثال حي على التعاون والتكافل، والعمل على التغيير الاجتماعي الخاص بمناسبات الزواج المؤدية إلى التواضع والبساطة.

وأضاف عربيات "إن ديمومة الزواج واستمرار بناء الأسرة على أسس سليمة لا يتأتيان من مظاهر المغالاة والتفاخر والتبذير في تكاليف الزواج، بل ينبعان من السلوك السوي والقيم العربية والإسلامية الأصيلة".

ودعت جمعية "العفاف" الأردنيين إلى المساهمة في إحياء سُنّة حسنة، والتعاون من أجل حل إحدى المشكلات التي تواجه الشباب في الأردن الذي يشهد غلاء في المعيشة وارتفاع متوسط عمر الزواج عند الجنسين وزيادة نسبة العنوسة.

وتتكفل جمعية "العفاف" بنفقات حفل الزفاف، إضافة إلى تقديم مجموعة من الهدايا النقدية والعينية، كما يساهم البنك الإسلامي بتقديم "النقوط" (مبلغ من المال) لكل عريس وعروس، بينما يتبرع المستشفى الإسلامي بتغطية تكاليف أول حالة ولادة للزوجين.

ولا يقتصر الدعم على المؤسسات والشركات، فقد سبق أن تبرع أفراد بمبالغ مالية متفاوتة، وآخرون تبرعوا بوليمة الحفل، وقطع الأثاث، إلى جانب عشرات المتطوعين المساهمين في الحفل الذي يستغرق إعداده أكثر من شهر.

وتشهد تجربة حفلات الزفاف الجماعية في الأردن نجاحا وإقبالا متزايدين، فمن أربعة أزواج في الحفل الجماعي الأول عام ١٩٩٤ إلى ١٤٠ عريسا وعروسا شاركوا في حفل الزفاف الجماعي السابع الذي أقيم في شهر يوليو من العام الماضي، وتحول إلى تظاهرة اجتماعية حضرها حوالي ١٢ ألفا. وانتقلت هذه الظاهرة إلى دول الخليج العربي؛ حيث شهدت كل من الكويت والإمارات حفلات مماثلة في الأعوام السابقة.

يشار إلى أن جمعية "العفاف" نجحت في سبع حفلات جماعية سابقة بتزويج ٣٩٦ عريسا وعروسا من مختلف محافظات الأردن.

٢- البحث عن أزواج للعوانس :

الاهتمام بأحوال المسلمين وتخفيف مصابهم ومواساة آلامهم من الأمور التي حث عليها الدين وأمر بها ويطبقها كثير من المسلمين فنجدهم عند نزول ضائقة بأحد المسلمين أو حلول مصيبة بإحدى شعوب المسلمين كالسيول والفيضانات والأوبئة والمجاعات نجد المسلمين يسارعون إلى نجدة إخوانهم وإغاثتهم ويهبون إلى مساعدتهم فيطعمون الجائع ويكسون العاري ويغيثون الملهوف ويعالجون المريض ويواسون المصاب ويعلمون الجاهل يفعلون كل ذلك مستشعرين حديث : عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[1]

نجد المسلمين يهتمون بهذه الأمور ولا يهتمون بظاهرة العنوسة إما لعدم شعورهم بخطرها وعظم أمرها أو أنهم يرونها ليست من أولوياتهم مع علمهم أن في الجمع بين شابين ليصبحا زوجين أجرا عظيما.

ولا يكفي نظر الشفقة والرحمة للعوانس فقط بل علينا :

ـ الاهتمام بهن والسعي في حل مشاكلهن، والبحث لهن عن أزواج مناسبين وإقناعهن بالموافقة عليهم إعفافا لأنفسهن وإدراكا لما بقي من شبابهن.

ـ إن العوانس جزء من مجتمعنا، وهن لصيقات بنا ، فهن لا يخرجن عن الأخوات والعمات والخالات والقريبات والجارات فتزويجهن وإحصانهن سبب لسعادتهن وإدخال السرور عليهم، عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة.[2]

ـ تزويج العانسين من الرجال والعوانس من النساء سبب للحد من الفواحش ووضع التدابير المانعة لها وهي الزواج كما أنه سبب للإمتاع الحلال.

ـ تزويج العوانس يكون سببا لتشغيل مصانع الرجال المعطلة لتؤدي دورها في الإنجاب وتكثير وتعزيز الأمة وتكثيف سوادها.

---

(1) صحيح البخاري. كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم، حديث رقم : ٢٢٦٢ صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ،رقم : ٤٦٧٧

(2) المعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٤٨ ، حديث رقم: ٧٥١٩

ـ على المهتم بأمر العوانس وتزويجهن الأمر من الراغبين في الأجر والمثوبة العمل بتؤدة وروية وتأني، ولا تأخذنك الشفقة على العوانس والرفق بالكاسدات والحماس والاهتمام بأمرهن فتحاول مساعدة واحدة منهن بالبحث لها عن زوج تكتنف بظله وتحتمي بحماه فلا تكونن تحت نشوة إتمام الزواج غافلا عن البحث والتنقيب والفحص والتمحيص عن صفات الزوج المتقدم فقد تكون نواقصه كثيرة ومسالبه تشير إلى إخفاق الزواج ووئده في مهده، فكما أن النجاح في مساعدة عانس وتزويجها أمر يسر فكذلك فشله يحني ظهرك فقد يخذلك هذا الرجل المتقدم ويقلب الأمور رأسا على عقب ويعود حامدك من الناس ذاما، وخطورة هذا الأمر تكمن في عدة أمور منها:

ـ الإحباط الذي يحدثه هذا التصرف بالنسبة للشخص الذي قام بالفكرة مما يزهده في خوض تجارب قادمة ويسبب له حرجا مع البنت التي كان يود مساعدتها ومع أهلها ومما يجعله عرضة لشماتة وسخرية كثير من الناس.

ـ كسر جناح وخاطر هذه الفتاة التي كان يود مساعدتها وجرح قلبها وجعلها في حالة كانت عنوستها أفضل بكثير مما هي فيه الآن.

ـ التعزيز السيئ لآخرين كانوا يودون أن يحتذوا به في مساعدة عوانس المسلمين.

كما نعلم أن أمثال هذه الأمور والإخفاقات قد تحدث فعلينا أن نخفف على الفتاة العانس وعلى الذي رغب في مساعدتها وأن على الفرد السعي أما التوفيق وإدراك النتائج وتحصيلها فهذا من عند الله تعالى فعلينا أن نجأر بالدعاء إليه.

٤ ـ سؤال العانسين عن سبب عنوستهم بغية حلها :

أ ـ سؤال العانسين من الرجال عن سبب عنوستهم :

على أفراد المجتمع سؤال العازفين عن الزواج الراغبين عنه من الرجال وذلك بسؤال الرجل العانس سؤالا مباشرا: ما يمنعك عن الزواج ؟ أقصر في ذات يدك أم أنك لم تجد بنت الحلال المناسبة؟ أم أنك تريد أن تتبتل وتنصرف عن الزواج وتصير صرورة ؟ وبعد معرفة جوابه واستبيان رأيه، تتم معالجة مشكلته، فإن كان راغبا عنه لفساد أخلاق الفتيات في ظنه فيبين له أن العفيفات الشريفات أكثر من الفاجرات، وإن كان سبب عزوفه بسبب قصر ذات يده، فيبين له أن الزواج من أسباب الغنى، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما رأيت كرجل لم يلتمس الغنى في الباءة وقد وعد الله فيها ما وعده فقال ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (١) وكان محمد بن سيرين يطمئن الخائف من الفقر بسبب الزواج بضرب مثل بنفسه بأنه قد تزوج ولم يكن عنده شيء فأغناه الله، قال واصل مولى أبي عيينة دخلت على محمد ابن سيرين، فقال لي: هل تزوجت؟ فقلت: لا، قال: وما يمنعك؟ قلت: قلة الشيء، قال: تزوج عبد الله محمد بن سيرين ولا شيء له فرزقه الله. (٢)

وكان سؤال العانسين ديدن النبي صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة من صحابة رضوان الله عليهم وتابعين وعلماء وأمراء ولنمثل على ذلك بالآتي :

- النبي صلى الله عليه وسلم وعازف عن الزواج:

---

(١) السيوطي في الدر المنثور ج٥ص٤٥ وعزاه إلى عبد الرزاق في المصنف ، وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب قال: ابتغوا الغنى في الباءة وفي لفظ: اطلبوا الفضل في الباءة زتلا ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ والآية رقم ٣٢من سورة النور

(٢) انظر : روضة المحبين لابن القيم ص ١٩٥

كان أحد الصحابة الكرام يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فعرض عليه صلى الله عليه وسلم الزواج فرفض بحجة أنه لا يريد أن يشغله شيء عن خدمته صلى الله عليه وسلم، فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم فترة ثم عرض عليه الزواج مرة أخرى بل اختار له العروس وأعانه على ذلك: فعَنْ رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَبِيعَةُ أَلَا تَزَوَّجُ قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ الْمَرْأَةَ وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْكَ شَيْءٌ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَخَدَمْتُهُ مَا خَدَمْتُهُ ثُمَّ قَالَ لِي الثَّانِيَةَ يَا رَبِيعَةُ أَلَا تَزَوَّجُ فَقُلْتُ مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ الْمَرْأَةَ وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْكَ شَيْءٌ فَأَعْرَضَ عَنِّي ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُصْلِحُنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَعْلَمُ مِنِّي وَاللَّهِ لَئِنْ قَالَ تَزَوَّجْ لَأَقُولَنَّ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ قَالَ فَقَالَ يَا رَبِيعَةُ أَلَا تَزَوَّجُ فَقُلْتُ بَلَى مُرْنِي بِمَا شِئْتَ قَالَ انْطَلِقْ إِلَى آلِ فُلَانٍ حَيٍّ مِنْ الْأَنْصَارِ وَكَانَ فِيهِمْ تَرَاخٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فُلَانَةَ لِامْرَأَةٍ مِنْهُمْ فَذَهَبْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فُلَانَةَ فَقَالُوا مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ وَبِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ لَا يَرْجِعُ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِحَاجَتِهِ فَزَوَّجُونِي وَأَلْطَفُونِي وَمَا سَأَلُونِي الْبَيِّنَةَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزِينًا فَقَالَ لِي مَا لَكَ يَا رَبِيعَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْتُ قَوْمًا كِرَامًا فَزَوَّجُونِي وَأَكْرَمُونِي وَأَلْطَفُونِي وَمَا سَأَلُونِي بَيِّنَةً وَلَيْسَ عِنْدِي صَدَاقٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ اجْمَعُوا لَهُ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ فَجَمَعُوا لِي وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ فَأَخَذْتُ مَا جَمَعُوا لِي فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اذْهَبْ بِهَذَا إِلَيْهِمْ فَقُلْ هَذَا صَدَاقُهَا فَأَتَيْتُهُمْ فَقُلْتُ هَذَا صَدَاقُهَا فَرَضُوهُ وَقَبِلُوهُ وَقَالُوا كَثِيرٌ طَيِّبٌ قَالَ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم

حَزِينًا فَقَالَ يَا رَبِيعَةُ مَا لَكَ حَزِينٌ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَكْرَمَ مِنْهُمْ رَضُوا بِمَا آتَيْتُهُمْ وَأَحْسَنُوا وَقَالُوا كَثِيرًا طَيِّبًا وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُولِمُ قَالَ يَا بُرَيْدَةُ اجْمَعُوا لَهُ شَاةً قَالَ فَجَمَعُوا لِي كَبْشًا عَظِيمًا سَمِينًا فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْهَبْ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْ لَهَا فَلْتَبْعَثْ بِالْمِكْتَلِ الَّذِي فِيهِ الطَّعَامُ قَالَ فَأَتَيْتُهَا فَقُلْتُ لَهَا مَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ هَذَا الْمِكْتَلُ فِيهِ تِسْعُ آصُعٍ شَعِيرٍ لَا وَاللَّهِ إِنْ أَصْبَحَ لَنَا طَعَامٌ غَيْرُهُ خُذْهُ فَأَخَذْتُهُ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرْتُهُ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ اذْهَبْ بِهَذَا إِلَيْهِمْ فَقُلْ لِيُصْبِحْ هَذَا عِنْدَكُمْ خُبْزًا فَذَهَبْتُ إِلَيْهِمْ وَذَهَبْتُ بِالْكَبْشِ وَمَعِي أُنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ فَقَالَ لِيُصْبِحْ هَذَا عِنْدَكُمْ خُبْزًا وَهَذَا طَبِيخًا فَقَالُوا أَمَّا الْخُبْزُ فَسَنَكْفِيكُمُوهُ وَأَمَّا الْكَبْشُ فَاكْفُونَا أَنْتُمْ فَأَخَذْنَا الْكَبْشَ أَنَا وَأُنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ فَذَبَحْنَاهُ وَسَلَخْنَاهُ وَطَبَخْنَاهُ فَأَصْبَحَ عِنْدَنَا خُبْزٌ وَلَحْمٌ فَأَوْلَمْتُ وَدَعَوْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [١]

ـ سؤال عمر بن الخطاب رجلا عن سبب عدم زواجه :

أخرج عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب. أنه قال لرجل: أتزوجت؟ قال: لا. قال: إما أن تكون أحمق، وإما أن تكون فاجرا. [٢]

ـ سؤال عبد الرحمن بن عوف المقداد بن الأسود عن سبب عدم زواجه :

عن ثابت البناني قال كان المقداد وعبد الرحمن بن عوف جالسين فقال له مالك ألا تتزوج قال زوجني ابنتك فغضب عبد الرحمن وأغلظ له فشكا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أنا أزوجك فزوجه بنت عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب. [٣]

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند ربيعة بن كعب الأسلمي، حديث رقم: ١٥٩٨٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٢ ص ٥٤٩

(٣) الإصابة لابن حجر ، ترجمة رقم : ٨١٨٩

ـ سؤال طاووس بن كيسان اليماني إبراهيم بن ميسرة عن سبب عدم زواجه:

عن إبراهيم بن ميسرة قال: قال لي طاووس ونحن نطوف: لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور.[1]

ـ سؤال زياد بن أبيه عامر بن عبد القيس عن سبب عدم زواجه:

قال بلال بن سعد وشي بعامر بن عبد قيس إلى زياد فقالوا: ها هنا رجل قيل له: إبراهيم عليه السلام خير منك فسكت، وقد ترك النساء فكتب فيه إلى عثمان، فكتب إليه أنفه إلى الشام على قتب فلما جاء الكتاب أرسل إلى عامر فقال: أنت قيل لك: إبراهيم خير منك فسكت!!! قال أما والله ما سكوتي إلا تعجب ولوددت أني غبار قدميه. قال: وتركت النساء،! قال والله ما تركتهن إلا أني علمت أنه يجيء ولد وتشعب في الدنيا فأحببت التخلي فأجلاه على قتب إلى الشام.[2]

قال قتادة: كان عامر سأل ربه أن يترع شهوة النساء من قلبه،[3] فكان لا يبالي أذكرا لقي أم أنثى.[4]

قال مهروان بن مروان: بعث أمير البصرة إلى عامر بن عبد القيس[1]: مالك لا تتزوج النساء؟ قال: ما تركتهن وإني لدائب في الخطبة.[2]

---

[1] الإصابة ج٦ص١٥٧ ترجمة رقم ٩٩٤١

[2] سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٦

[3] قال ابن حجر: وعند بن أبي الدنيا من طريق عامر بن يسار سمعت المعلى بن زياد يقول كان عامر بن عبد الله دعا ربه أن يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يؤتى بالماء له بخار وسأل ربه أن يترع شهوة النساء من قلبه ففعل فكان لا يبالي من لقي أذكر أم أنثى. [الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ٦٢٨٩]

[4] سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٧ ــ ١٨

ب ـ سؤال العوانس الممتنعات عن الزواج:

على العقلاء من أبناء هذه الأمة سؤال النساء المتعنتات في الزواج ورفضهن للمتقدمين من الرجال وتعنتهن لزيد أو بكر وإيضاح أنه لا بد لهن من زوج وأن الليالي تتصرم وأن الأيام تمضي وأن الشباب سيفنى فعليهن مداركة ذلك.

٥ ـ الشفاعات والجمع بين الراغبين في الزواج

أ ـ الشفاعات[٣] :

قال الله تعالى ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [٤]

---

[١] كان لعبد القيس فرس يقال لها هِراوةُ الأعْزاب، يركبها العَزَبُ ويَغْزُو عليها، فإذا تأَهَّل أعْطَوْها عَزَباً آخر؛ ولهذا يقول لبيد:

يَهْدِي أوائِلَهُنَّ كُلُّ طِمِرَّةٍ   جَرْداء مِثْلِ هِراوةِ الأَعْزابِ

وهِرواةُ الْأَعْزاب: فَرَسٌ مشهورةٌ كانتْ مَوْقوفَةً على الْأَعْزاب، يَغْزُونَ عليها ويَسْتفيدونَ المالَ ليَتزَوَّجُوا. [القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب الباء. فَصْلُ العَيْن./ لسان العرب، مادة: هرا]

[٢] سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٧ ـــ ١٨

[٣] شَفَع لي يَشْفَعُ شَفاعةً وتَشفَّعَ: طَلَب. والشَّفِيعُ: الشّافِعُ، والجمع شُفَعاء، واسْتَشْفَعَ بفُلان على فلان وتَشَفَّع له إِليه فشَفَّعَه فيه. واسْتَشْفَعه طلَب منه الشَّفاعةَ أي قال له كُنْ لي شافِعاً. والشّافِعُ: الطالب لغيره يَتَشَفَّعُ به إِلى المطلوب. يقال: تَشَفَّعْتُ بفلان إِلى فلان فَشَفَّعَني فيه، واسم الطالب شَفِيعٌ؛ قال الأَعشى:

واسْتَشْفَعَتْ مَنْ سَراةِ الحَيِّ ذا ثِقةٍ   فَقَدْ عَصاها أَبُوها والذي شَفَعا

[لسان العرب، مادة: شفع]

[٤] سورة النساء آية ٨٥

وعَنْ أَبِي رُهْمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَفْضَلِ الشَّفَاعَةِ أَنْ يُشَفَّعَ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ فِي[1] النِّكَاحِ.[2]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعبَّاسٍ يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ رَاجَعْتِهِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي قَالَ إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ قَالَتْ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.[3]

قال السندي: قوله (ألا تعجب الخ) أنه خلاف المعهود إذ المعهود أن المحبة تكون من الطرفين فالمحبة من الغاية من الطرف الآخر عجيب جدا قوله (إنما أنا أشفع الخ) فيه أنه لا أثم في رد شفاعة الصالحين.[4]

ومر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطريق من طرق المدينة، فإذا امرأة تطحن برحلها وهي تقول:

وهويته من قبل قطع تمائمي	متيامنا مثل القضيب الناعم
وكأن نور البدر يشبه وجهه	يرمي ويصعد في ذؤابة هاشم

---

[1] قال السندي: قوله (أن يشفع) على بناء الفاعل أي الشافع أو على بناء المفعول وفي الزوائد هذا إسناد مرسل أبو رهم هذا اسمه أحزاب بن أسيد بفتح الهمزة وقيل بضمها قال البخاري هو تابعي وقال أبو حاتم ليست له صحبة وذكره ابن حبان في الثقات . [حاشية السندي، ج ٢ ص ٤٧٧]

[2] سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب: الشفاعة في التزويج، حديث رقم: ١٩٦٥

[3] صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، في زوج بريرة . حديث رقم: ٤٨٧٥

[4] شرح السندي على سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٥٣٠

فدق عليها الباب فخرجت إليه، فقال: ويلك أحرة أنت أم مملوكة؟ فقالت: مملوكة يا خليفة رسول الله. فقال: ومن هويت؟ فبكت ثم قالت: يا خليفة رسول الله، بحق الله تعالى إلا انصرفت عني، قال: وحقه لا أدنو من مكاني أو تعلميني الأمر فقالت:

وأنا التي لعب الغرام بقلبها فبكت لحب محمد بن القاسم

قال: ويلك إياه أردت؟ قالت: وما صرت هاشمية قال: صدقت، ثم سار إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه، وبعث إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقال: هي لك، وهؤلاء والله هن فتنة الرجال، والله ما مات بهن كل كريم، وعطب عليهن كل سليم.[١]

ب ـ الجمع بين الراغبين في الزواج :

عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ نَرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلَ النِّكَاحِ.[٢]

قال السندي رحمه الله تعالى: قوله (لم نر للمتحابين مثل النكاح) لفظ متحابين يحتمل التثنية والجمع والمعنى أنه إذا كان بين اثنين محبة فتلك المحبة لا يزيدها شيء من أنواع التعلقات بالتقربات ولا يديمها مثل تعلق النكاح فلو كان بينهما نكاح مع تلك المحبة لكانت المحبة كل يوم بالازدياد والقوة وفي الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات والله أعلم.[٣]

قال السيوطي: أي إذا نظر رجل لأجنبية وأخذت بمجامع قلبه، فنكاحها يورثه عظيم المحبة. كذا ذكره الطيبي. وأفصح منه قول بعض الأكابر: المراد أن أعظم الأدوية

---

[١] روضة المحبين لابن القيم ص ٣٦٦

[٢] سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب: ما جاء في فضل النكاح، حديث رقم: ١٨٣٧

[٣] حاشية السندي ج ٢ ص ٤٠٧

التي يعالج بها العشق النكاح، فهو علاجه الذي لا يعدل عنه لغيره ما وجد إليه سبيلا (ففي هذا التوجيه النبوي الشريف قطع للضرور وسبب للخير في آن واحد، إذ يحصل التحصين ضد وساوس الشيطان المتربص بالمرصاد لمثل ذلك الوضع، وتنتج زيادة المحبة في الزواج الحاصل.[1]

قال المناوي: (لم ير للمتحابين) قال الطيبي هو من الخطاب العام ومفعوله الأول محذوف أي لم تر أيها السامع ما تزيد به المحبة (مثل النكاح) لفظ ابن ماجة والحاكم مثل التزوج أي إذا نظر رجل لأجنبية وأخذت بمجامع قلبه فنكاحها يورثه مزيد المحبة كذا ذكره الطيبي وأفصح منه قول بعض الأكابر المراد أن أعظم الأدوية التي يعالج بها العشق النكاح فهو علاجه الذي لا يعدل عنه لغيره ما وجد إليه سبيلا وهذا هو المعنى الذي أشار إليه سبحانه عقب إحلال النساء حرائرهن وإمائهن عند الحاجة بقوله ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾[2] فذكر تخفيفه سبحانه في هذا الموضع وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة وأنه سبحانه خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء وبهذا التقدير استبان أن حمل الدميري الخبر على ما إذا قصد خطبة امرأة ورآها وأحبها تسن المبادرة بتزويجها.[3]

---

[1] انظر: الجامع الصغير، حديث رقم: ٧٣٦١

[2] سورة النساء آية ٢٨

[3] فيض القدير، حديث رقم: ٧٣٦١

وذلك لأن للراغبين في الزواج المحبين لبعضهما إمكانية استمرار في مسيرة الحياة الزوجية وعدم فصم عرا علاقتهما أكثر من الزوجين المتباغضين ومن المجبرين على بعضهما أو المجاملين في اختيارهما.

٦ ـ تشجيع زواج المسيار للأرامل والمطلقات وذوات الأعذار من النساء:

يدخل في علاج موضوع العنوسة زواج المسيار الذي كثر الحديث عنه في الصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز والقنوات الفضائية، وكثر خلاف الناس عنه فلا يعرفون صورته وطريقته، وهل هو جائز شرعا أم لا ؟

وهذا الزواج شرعي بحت فيه أركان النكاح، فيقول الولي للزوج : زوجتك ابنتي أو أختي، ويقول الزوج : قبلت، ويشهد على العقد اثنان من الشهود. ويصدق العقد من المحكمة، ولكن كلمة المسيار مأخوذة من السير [١] يعني يسير عليها في الوقت المتفق عليه، أو من المرور يعني يمر عليها في الوقت المناسب، فيتفق الزوج مع الزوجة أن يأتيها في كل شهر مرة أو مرتين أو في كل أسبوع مرة، والأصل في الزواج أن يعدل الرجل بين زوجاته في المبيت والنفقة لكن المرأة إذا وافقت وتنازلت عن لياليها للرجل فلا مانع من ذلك ويجب على الرجل الوفاء بذلك.

وسئلت لجنة الفتوى في الأزهر عن زواج المسيار فأجابت قائلة: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد: فزواج المسيار له صورتان:

---

[١] قال الكميت:

أَطْوِي بِهِنَّ سُهُوبَ الأَرضِ مُنْدَلِثاً   على عَرَنْدَسَةٍ لِلخَرقِ مِسْيارِ

وناقة عرَنْدَسَة أي قوية طويلة القامة؛ والخرق الأَرض الواسعة. [لسان العرب، مادة: عردس]

الأولى: أن يتم عقد الزواج بين الزوجين مستوفياً جميع الأركان والشروط المطلوبة في العقد من وجود المهر والولي وشاهدي عدل، إلا أن الزوج يشترط في العقد إسقاط النفقة أو المسكن، بحيث تسكن هي في مسكنها ويأتي الزوج إليها في مسكن مخصص لها ، فيكون الزوج غير مكلف بالسكنى والنفقة عليها، هذه صورة.

والصورة الأخرى: ألا يشترط الزوج إسقاط النفقة، لكن يشترط عدم الالتزام بالقسم في المبيت، وهو الأكثر، لأن الحامل على مثل هذا الزواج هو رغبة الزوج في إخفاء أمر هذا الزواج عن أهله وأولاده، درءاً للمشاكل المحتملة منهم إذا علموا بذلك، والأول قد يكون الحامل عليه رغبة الزوجة التي لم يتيسر لها زوج ترضى به ، في أن ترزق بذرية وأن تحمي نفسها من الوقوع في الحرام، فإذا كان ما ذكر هو زواج المسيار، فهو عقد صحيح، ولا يعكر عليه إسقاط أحد الزوجين بعض حقوقه، إذا كان فعل ذلك راضياً مختاراً، مقدماً مصلحة أعلى بالنسبة له، سواء كان ذلك أثناء العقد أو بعد تمامه، وأخرج ابن أبي شيبة عن عامر الشعبي أنه سئل عن الرجل يكون له امرأة فيتزوج المرأة فيشترط لهذه يوماً، ولهذه يومين قال لا بأس به.

وأخرج أيضاً أن الحسن البصري كان لا يرى بأساً في الشرط في النكاح إذا كان علانية، وهذا النوع من الزواج - زواج المسيار- فيه مصالح، من حفظ الأعراض وقطع أسباب الفساد، خاصة من جهة النساء اللاتي لا تتيسر لهن أسباب الزواج، وهن كثيرات، كما أنه لا يسلم من مؤاخذات، خاصة بعد وفاة الزوج من المشاحة والمشاحنة في الحقوق والإرث، ولهذا منعه بعض أهل العلم، والأظهر - والله أعلم - جوازه لأنه لا دليل على منعه بعد استيفائه أركان وشروط النكاح الصحيح. وقد يظن البعض أن زواج المسيار زواج مؤقت بوقت وليس كذلك، بل لو وُقت بوقت محدد كان باطلاً وكان متعة. والله أعلم.

وزواج المسيار ليس الزواج المثالي ولكنه يحقق العفة والإحصان لنوع معين من النساء كالأرامل والمطلقات والرجال كثيري السفر.

وهذا الزواج قد يكون حلا للأرامل والمطلقات إذا اعتبرناهن عوانس كما أنه يكون حلا لكبيرات السن والمعاقات اللاتي لا يرغب فيهن الرجال أن يكن الزوجة الأولى لهم وهؤلاء النسوة حتمت عليهن ظروفهن وفرضت عليهن أوضاعهن الحالات التي هن فيها، فهي إما أن ترضى بزواج المسيار وإما أن تنتظر الزوج الأوحد وبوادر ظهوره في الأفق قد حال بينه وبينها الغيم والسحب في الشفق مع علم المقدمة على الموافقة بمثل هذا الزواج أنه تكتنفه عدة مخاطر ومنعطفات كثيرة أهما :

ـــ أن يكون هذا الزواج سرا بالنسبة للزوجة الأولى وإلا سعت لفضه وإنهائه وتكون الخاسرة زوجة المسيار لأن الذي يتزوج مسيارا تكون هناك أسباب دفعته إلى ذلك وحال بينه وبين إشهار زواجه أمر من الأمور فعند انكشاف حقيقة هذا الزواج بالنسبة للزوجة الأولى فإن الضحية تكون زوجة المسيار وهناك شواهد وقصص لتطليق زوجات مسيار عند انكشاف أمر أزواجهن عند زوجاهم.

ـــ تنازل زوجة المسيار عن كثير من الحقوق التي تتمتع بها رصيفتها الزوجة العادية ومن أهم هذه الحقوق المبيت. ورضا زوجة المسيار بساعة من زوجها في اليوم أو بسويعات في الأسبوع مما هو متفق عليه بينها وبين زوجها وحسب ظروف الزوج.

ـــ قيام المشاكل في الميراث في حالة وفاة الزوج.

ولنرى أمثلة ونماذج لبعض من قام بهذه التجربة:

نماذج جربته وتتكلم إيجابا عنه:

ـــ أم نوفة (مواطنة خليجية) عاشت تعاني من لقب عانس لفترة طويلة من الزمن وكان عمرها ٣٢ عاما عندما تعرفت على زوجها الذي كان يبلغ الخامسة والعشرين من العمر

عندما تزوجها، وكأنها لاحظت دهشتي فضحكت ثم قالت : لقد تزوج في بداية حياته وعمره لم يتجاوز الثامنة عشرة من قريبة له، ولكنها كانت كما يقال (خميرة عكنة)، ولم يخبرني أكثر من ذلك عنها ولكن بعد موافقتي وموافقة أهلي على زواجنا والذي اقترح هو أن يكون مسيارا، كان يهمني أن أعرف عنها ومن حسن حظي أن لي أختا كانت تسكن في المدينة التي تقيم فيها زوجته الأولى، ولأختي صديقة تعرف هذه الزوجة وقد عرفت أختي منها أن زوجته كانت كثيرة التذمر، تهيئ له كل شئ إلا راحة البال، وقد اكتفينا بهذه المعلومة ولم نحاول بعدها أن نتطرق للحديث عنها حتى لا نتجسس عليها، فليس من شيمتي التجسس ولكن كنت أريد أن أكسب راحة البال وأن أمنحها لزوجي، وذلك ما حدث، ولست نادمة على أن تمر علي أيام دون أن أراه لأني أراعي ظروفه ويهمني أن يأتي لزيارتي برغبة منه وليس بحكم الواجب والحقوق، لذلك ساعتان أو خمس ساعات معه تعوضني عن الانتظار والبقاء كالعزباء بقية الأيام، ورغم أن زوجي صغير بالنسبة لعمري لكنه عاقل جدا، ومتوازن ويهمه أن أكون سعيدة، لذلك لا يحرمني من أن أمارس حياتي بشكل طبيعي وذلك بالخروج مع صديقاتي أو أهلي، أنا لا أحلم بأكثر من ذلك، وأشكر ربي على كل النعم التي أنعم بها علي.

ـ ومن السيدات اللاتي (خضن) هذه التجربة ل. أ، وقد بدأت حديثها مبتسمة في رضا فقالت: لقد سبق لي الزواج ولدي ثلاثة أبناء وكنت أعمل في معرض للمستلزمات المترلية خلال زواجي السابق، وكان هو صاحب المال وكثيرا ما رآني باكية منتحبة أو أضع نظارات سوداء كي أخفي أثر اللكمات التي كان زوجي السابق يوجهها لي، فقد كان سامحه الله ماديا إلى درجة لا تحتمل، وكان لا يحب أن يبقي لي شيئا من راتبي، لذلك كان يلجأ لضربي، إلى جانب أمور أخرى أكره أن أذكرها، لا أعادها الله من أيام، وبعد الطلاق بقيت لمدة سنتين أعمل لكي أعيش وأبنائي في ستر ولم أكن أبخل

عليهم بشيء، وبدأت ألاحظ أن صاحب المعرض يتغاضى عن بعض الأخطاء وأحيانا كان يصرفني من العمل باكرا فيقول: اذهبي إلى أولادك واخرجي معهم فهم بحاجة لوجودك، وبعد فترة اتصل بي وعرض علي الأمر وقال لي بما أني متزوج فإني أفضل أن أخفي زواجي عن أهلي حتى لا أخرب بيتي ويحق لك تتشاوري مع نفسك ومع أهلك، وكل المطلوب هو السرية وأن أسير عليكم كلما وجدت الفرصة.

وأضافت لمياء : لقد كنت خائفة ومشوشة، فقد سمعت كثيرا عن الرجل المزواج الذي لا يهمه إلا التمتع بحقه في الزواج، ولكن لا يحسن تطبيق الحقوق ولا يأبه بمشاعر الزوجة التي يتزوج عليها والذي زاد من قلقي هو أن الرجل متزوج من (٢٠) سنة، فقلت لنفسي إنه لم يضع أي اعتبار للمرأة التي عاشت معه كل تلك السنين، فماذا سيفعل بي ؟ ولكن بعد فترة استجمعت شجاعتي وجمعت أهلي وأبنائي وعرضت عليهم الموضوع، وقد تباينت الآراء ولكن كلها بدون شك كانت في مصلحتي، وقد استمعت لهم جيدا، وفي النهاية قرر الأهل الموافقة ولكن بشروط في مصلحتي، وجاء الرجل واستمع إلى شروط الأهل ووافق عليها، ومن شروطي أنه في حال رغبته في الزواج من جديد عليه أن يطلقني، ولكنه وعد أن لا يتزوج علي لأنه لا يتزوج كي يجمع زوجات والسلام، وفعلا صدق وعده وأثبت لي مدى تقديسه للحياة الزوجية، ومنذ تسع سنوات وحتى اليوم لم أعرف سبب زواجه على زوجته الأولى ولا يهمني أن أعرف ، فأنا لا أشعر معه أن هناك امرأة أخرى في حياته، رغم أن الليالي التي يبيت خلالها معنا نادرة، ولا أخشى من زواجه من أخرى لأني أعرف نظام وقته وكيف يوزعه، وما علي في حال تغير مواعيده إلا أن

أسأله وأعلم أنه لا يكذب علي، وسوف أبقى آمنة قريرة العين ولن أخرب على نفسي بالتفكير في ذلك، وما أحب أن أقوله : إن زواج المسيار أضراره بسيطة وهي كالبهار. [١]

ـ تقول م. م. : أنا مواطنة (خليجية) وأعيش حاليا تجربة زواج المسيار حيث أنني كنت سابقا متزوجة من شاب وأنجبت طفلا ثم حدث الطلاق لظروف قاهرة. وتعرفت بعد ذلك على شاب آخر ولكنه متزوج ولديه أطفال واقترح علي الزواج بطريقة زواج المسيار غير المعلن وقد وافقت على ذلك بعد الاتفاق على جميع متطلبات الزواج بالنسبة للطرفين.. وبصراحة أقول إنني قد استطعت تحقيق النجاح في التجربة ووصلت إلى الاستقرار النفسي بواسطتها وأعتقد أن إمكانية تطبيقها في المجتمع ممكنة مع توافر الوعي والنضوج التام بين الطرفين كما أنها تحمي المرأة فعلا عندما تكون في ظروف معينة مثل (العانس والأرملة و المطلقة أو التي تعجز عن إيجاد الزوج المناسب) من الوقوع في الحرام أو العيش دون زواج.

كذلك هو حماية للرجل العازب أو المتزوج إذ كانت لديه الرغبة في الارتباط بامرأة ما ويعجز عن الإعلان عن رغبته في الزواج مرة ثانية لزوجته الأولى والمجتمع الذي يحيطه خوفا من الانتقادات والمشاكل فإنه في هذه الحالة يلجأ إلى زواج المسيار لتحقيق رغبته الشخصية بدون الوقوع في الحرام أو حدوث مشكلات عائلية وخصوصا إذا كان الرجل متزوجا ولديه أطفال ولا يملك القدرة المالية للإنفاق على عائلتين ولذلك أنا أؤيد زواج المسيار ادعوا له في حالة وجود ظروف معينة ما دام لا يتعارض مع الدين الإسلامي ويعتبر حلالا شرعا. [٢]

---

[١] الاتحاد ٦/١٢/٢٠٠٠م تحقيق موزة الخميس

[٢] مجلة الفرحة العدد : ٢٤ سبتمبر ١٩٩٨م

ـــ وحكاية ف.أ مختلفة شيئا ما ولكنها رغم ما ذكرته تؤكد أنها سعيدة، وتقول عن قصتها : متأكدة أن من سيقرأ قصتي سوف يتهمني بالخيانة، فقد كانت زوجته تعرفني، وكم نصحتها أن تحاول أن تكسب رضاه وأن لا تؤذيه لأن الرجل تأسره الكلمة الطيبة ويحلم دوما بحضن كحضن أمه، حضن دافئ يمنحه الدفء والحنان، وقد شهدت معارك كان خلالها هو يحاول أن يتماسك وأن لا يهينها أو يسمعها كلمة جارحة، وكانت هي تزداد وقاحة وتعتبر ذلك صراحة ودفاعا عن حقوق يعلم الله أنها ليست حقوقا وإنما رغبة في التبذير والمباهاة على حساب هذا الزوج الذي يكدح رغم أنه مرتاح ماديا ولكنه لا يحب أن يبقى بدون عمل لأن لديه من يقوم بذلك.

وتواصل ف : لم تسمع كلامي الذي كان صادقا ولمصلحتها ومصلحة بيتها، وكثيرا ما اتهمتني بالتحيز لزوجها عندما أطلب منها أن تتغاضى عن طلباتها أو عندما أطلب منها أن تطيب خاطره بكلمة، وبعد سنوات طويلة، وبعد أن أصبح يتهرب من العودة والمبيت في المترل ليتقي شرها أحست بقلق وطلبت مني أن أتحدث إليه لأعرف ما يدور في ذهنه وإن كان يخطط لشيء وفعلا تحدثت معه ولم أخطط أبدا لكي أسرقه منها وإنما تحدثت وفي عقلي وقلبي هما الاثنان، ونقلت لها أنه لن يتغير شيء في حياتهما ولكن من حقه أن يختلي بنفسه بعيدا عن جو المشاحنات في كل أسبوع يوما واحدا، وليت ذلك أثر فيها وحاولت أن تجذبه إلى بيته بالحب والحنان فلقد بقيت كما هي، بل إنها لا تكف عن مشاكسته بالهاتف، وقد مللت من دور المستمعة إلى مفترية، وانقطعت عنها وبعد ذلك بعام كامل اتصل هو بي وطلب مني أن نتزوج على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على أن يكون زواج مسيار، وقد اندهشت وسألته عن ثقته في وفي موافقتي فقال إنه تعلم من علاقتي بزوجته مدى رغبتي في العيش مستورة، كما لمس مدى احترامي للزوج كرجل بحاجة للأمان والاستقرار، وقد وافقت لأني أعلم كل التفاصيل عن أخلاقه وسلوكه،

والغريب في الأمر أن زوجته بعد زواجه بي عادت للاتصال بي، حيث بدأت تخاف من حالة الهدوء التي تنبعث من وجه زوجها ومن تصرفاته وحديثه، وتؤكد أن وراء ذلك امرأة وخوفا على الهدوء الذي يسود حياتي مع زوجي كنت أحاول أن أبعد هذه الشكوك عن نفسها، وكنت أحاول مخلصة ليس من أجلها وإنما من أجله هو أن أعطيها بعض النصائح التي قد تعيد الهدوء والاستقرار لهما، وكنت أطلب من زوجي أن يحسن لها وأن ينصف. وقالت ف : إن ما يحزنني هو أن زوجي يضطر إلى الكذب على زوجته كلما أراد أن يزورني لأنه لا يرغب في إثارة زوابع ومشاكل لبيته الأول وهذا الكذب يقلقني جدا وهو الشيء الوحيد الذي يعكر صفو حياتي وهو يعلم أن هذا القلق نابع من قلب صادق.[1]

ـ ح. ع. س تقول: لقد عايشت تجربة زواج المسيار لفترة وجيزة وأقول إنها تجربة تحتمل نسبة ٩٠ في المائة من النجاح بشرط اتفاق الطرفين والانسجام بينهما. الزواج عقد له حقوق وواجبات ويتطلب الالتزام التام من الطرفين واحترام الحقوق وأداء الوجبات وأي تقصير أو إخلال يعرض هذه المؤسسة الاجتماعية الصغيرة إلى الانهيار أما إذا كان هناك الحرص على نمائها فإنها تدوم وتبقى ولذلك يجب أن تشيد على قواعد متينة وأسس سليمة أهمها الرضا والتوافق والمقدرة على تحمل المسؤولية. فإذا كانت الزوجة قادرة على تحمل النفقات وتمتلك الشخصية الكافية لتكون مسئوله عن مصاريفها وأولادها فيما بعد، فلا مانع من الموافقة على هذا الزواج إذا كانت تعاني ظروفا معينة منعتها من الزواج التقليدي لأن الإسلام دين يسر ودائما يلجأ إلى الوسائل التي تبعد الناس عن الحرام وهذا الزواج على الرغم من كثرة التنازلات التي تقدمها المرأة

---

[1] الاتحاد ٦/١٢/٢٠٠٠م تحقيق موزة الخميس

في سبيل أن تتزوج من إنسان ترضاه إلا أنه بالتأكيد يوفر لها بعض الاطمئنان والرضا والحرية الشخصية والأمل في مستقبل متجدد وذرية صالحه. ولذلك أنا لا أعترض على هذا الزواج وأطالب بنشر التوعية للمجتمع بشأنه كي يفهم الناس معناه وأسبابه وظروفه وفوائده وأضراره. [1]

ــ نعم قبلت الزواج منه زواج المسيار !! هكذا قالت (ن. س.) حين سألتها لماذا رضيت بمثل هذا الزواج ؟ ولماذا تنازلت عن حقوقها ؟

أجابت بمنطق المرأة التي تعرف تماما ماذا تريد وقالت : أنا امرأة مطلقة منذ سبع سنوات، تركني زوجي مع أربعة أطفال وسافر خارج حدود البلاد. وبعد أن كان لي سندا، وجدت نفسي وحيدة محاطة بأربعة أولاد لا حول لي ولا قوة. منذ ذلك الوقت بدأت أعرف معنى مواجهة الحياة وحيدة، وأدركت بعد سنوات مدى أهمية وجود الرجل في حياتي، ومن أجل أبنائي. في المقابل كنت أدرك أنني لا يمكن أن أتزوج رجلا أعزب إذن لم يتبق أمامي إلا أن أرضى بالزواج من رجل مطلق، أو أقبل أن أكون زوجة ثانية. ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ لي ذلك، فطلبني رجل متزوج ولكنه يعيش وحيدا في البلد لأن زوجته وعائلته خارج البلد.

وهكذا كان. تنازلت عن حقوقي في النفقة، تنازل هو عن حقه في أن أبيت معه في بيته. صار يحضر إلى منزلي ويهتم بأولادي وتحول إلى سند لي في كثير من المصاعب التي واجهتها ولا أنكر أنه كان إنسانا جدا معي إلى أبعد الحدود بل لقد ملأ فراغا كبيرا في حياتي. [2]

---

[1] مجلة الفرحة العدد : ٢٤ ، ١٩٩٨م

[2] كل الأسرة العدد ٤٠٣ ، ٢٠٠٠/٧/٤م

ويقول بعض المعترضين على زواج المسيار: إن هذا الزواج لا يحقق كل الأهداف المنشودة من وراء الزواج الشرعي، فيما عدا المتعة والأنس بين الزوجين . وأنا لا أنكر هذا، وأن هذا النوع من الزواج ليس هو الزواج الإسلامي المثالي المنشود، ولكنه الزواج الممكن، والذي أوجبته ضرورات الحياة، وتطور المجتمعات وظروف العيش، وعدم تحقيق كل الأهداف المرجوة لا يلغي العقد، و لا يبطل الزواج، إنما يخدشه وينال منه، وقد قيل: ما لا يدرك كله، لا يترك كله. والقليل خير من العدم.

وأحب أن أقول لبعض الأخوة الذين يهونون من هدف الإمتاع والإحصان، ويحقرون من شأن المرأة التي تتزوج لتستمتع بالرجل في الحلال، ولا تفكر في الحرام، ويعتبرون هذا انحطاطا لكرامة المرأة، ونزولا بقدرها، أحب أن أقول لهؤلاء كلمة صريحة: إن هدف الإمتاع والإحصان ليس هدفا هينا، ولا مهينا، كما تتصورون، بل هو أول أهداف الزواج، ولهذا لا يجوز التنازل عنه في العقد، والحديث الصحيح المعروف ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج وإن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج)).

نماذج من النساء تتكلم سلبا عنه:

ـ أكدت المرشدة النفسية موزة المالكي أن زواج المسيار ليس هو الحل للقضاء على العنوسة والمطلقات واستعرضت في هذا الصدد زواج المسيار من الناحية الاجتماعية. وقالت: إن هذا الزواج سيؤدي إلى تهديد الأسر المستقرة اجتماعيا ويمثل مخرجا لبعض الرجال الذين سوف يبيحون لأنفسهم اتخاذ أكثر من زوجة.

وأضافت إنه من الآثار الجانبية لهذا الزواج أنه يرسخ فكرة تعدد الزوجات[١] كحل للعلاقة بين الرجل والمرأة بدعوى مكافحة العنوسة. وقالت موزة المالكي إن زواج المسيار ليس حلا للعنوسة ولا مؤديا لتخفيض نسبة الطلاق ولا يؤدي إلى أسرة متماسكة البناء ولا مجتمع مستقر اجتماعيا بل النتائج ستكون عكسية تماما مما يتحدث عنه الداعون إليه.[٢]

ـ تقول ن. أ. : أنا زوجة وأم لأطفال وقد فوجئت بشدة عندما عرفت أن زوجي مرتبط بأخرى تزوج بها زواج مسيار سرا وقد تألمت كثيرا واعتبرت ذلك خيانة كان لها أكبر الأثر في حياتي وساهمت في عمل جو من عدم الاطمئنان والاستقرار النفسي بيني وبين زوجي. وفضلت العيش تحت ظله حفاظا على بيتي وأولادي واعتدت على ذلك بعد فترة.[٣]

ـ تقول ع. ب. : أنا أرملة ولي ثلاثة أطفال وقد توفي زوجي وأنا في سن صغيرة نسبيا وتقدم لي شخص متزوج ولديه أطفال ويطلب مني زواج المسيار لأنني أمتلك منزلا منفصلا وأستطيع أن أصرف وأتحمل مسؤولية الإنفاق بحكم وظيفتي. ومع هذا أجد أنه لا يتناسب واحترام الزوجة وتقديرها لذا فقد رفضت هذا العرض وأرى أن أستمر أرملة احتراما لذاتي ولأولادي.[٤]

---

[١] تعدد الزوجات أيتها المرشدة الفاضلة من أهم أسباب حل العنوسة لأن عدد النساء أكثر من عدد الرجال.

[٢] مجلة الفرحة العدد : ٢٤ ، ١٩٩٨م

[٣] مجلة الفرحة العدد : ٢٤ ، ١٩٩٨م

[٤] مجلة الفرحة العدد : ٢٤ ، ١٩٩٨م

المبحث الثاني

العلاج الدوائي من الأسرة

١ـ الصبر والاحتساب

٢ـ بث الثقة في نفس ابنتهم وإعلامها أن ما حدث لا دخل لها فيه

٣ـ تعليم وتأهيل البنت

٤ـ الستر على البنت إن كانت قد أحدثت والسعي نحو تزويجها بمن قد فجر بها

المبحث الثاني

العلاج الدوائي من الأسرة

على أهل وأولياء أمر المرأة الآتي :ــ

١ـ الصبر والاحتساب :

على أهل الفتاة العانس الصبر والاحتساب وليعلموا أن القدر ماض وأن القضاء نافذ على ما أحب المرء وكره، وأنه لا دخل للإنسان فيه ولا في تغييره، وأن من رضي به فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

كما أن على أهل الفتاة العانس الاحتساب في عنوسة ابنتهم أو بناهم لأن العنوسة وبوار الأيم مصيبة وابتلاء ، والابتلاء يكون لتمحيص الصابرين وتمييزهم عن غيرهم قال الله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[١] والمصائب والابتلاءات لا يكون فيها أجر حتى يصبر الإنسان عليها ويحتسب فيها. وليتذكروا أن لهم أسوة في غيرهم في أسر لها بنات عوانس أجمل من بناهم وأكثر عددا . وأكبر عمرا.

وتقوى الله عز وجل سبب في تفريج الكربات وحل الأزمات قال الله تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٢]

٢ـ بث الثقة في نفس ابنتهم واعلامها أن ما حدث لا دخل لها فيه:

---

[١] سورة محمد آية ٣١

[٢] سورة الطلاق آية ٢ ــ ٣

على أهل الفتاة العانس بث الثقة في نفس ابنتهم وإعلامها أن ما حدث لها من عنوسة لا دخل لها فيه، وأنه شيء مقدر ومكتوب وقدر نافذ ، وقضاء محتوم ، وعليها أن تكون واثقة في نفسها وأن عنوستها لا تنتقص منها شيئا ولا تغير من شأنها شعرة، بل هي بحمد لله تعالى أفضل حالا من فلانة المتزوجة، فهي عقيم لم تنجب طفلا يملأ حياتها والسبب من زوجها ليس منها، وأنها أفضل من هند التي يغاديها ويراوحها زوجها بالضرب والإهانة، ويماسيها بالسب والشتم، وأفضل من فلانة التي مكثت عند زوجها أسبوعا واحدا وطلقها وأحسن حالا من فلانة التي هجرها زوجها وصار يتهرب منها ومن أهلها، وأكرم وضعا من فلانة التي سافر زوجها وتركها ولم يرجع إلى الآن ولم يراسلها ولم يهاتفها ولم يتصل عليها ولم ينفق عليها، ولا أمل في رجوعه، فتركها لا هي عانس ولا هي ذات زوج، وإنها بحمد لله أفضل من كثيرات من مطلقات النساء ومضروباتهن ومهجوراتهن. وهي ليست العانس الوحيدة في هذه الدنيا فهناك أرتال من العوانس يملأ البيوت ففيهن من هي أجمل منها وأكثر تعليما ولم تظفر الواحدة منهن بزوج ، وتعدد لها الأسرة من تعرف من أمثال هؤلاء العوانس.

كما أن الأمل أمامها مشرق فيمكنها أن تتزوج وأن تسعد مع زوجها وأن ترزق أطفالا، وفي نهاية الأمر لنعلم أن هذه الأشياء مقدرة مكتوبة، فلا نعلم ما ينتظرنا في غدنا قال الله تعالى ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾[1]

فبمثل هذه الأشياء وأشباهها يمكننا المساعدة على إزالة الآثار النفسية، والأمن من هجوم الاكتئاب على العانس والدخول في دوامة الحزن والانشغال الشديد، بل

---

[1] سورة لقمان آية ٣٤

تكون في انتظار الفرج ويحدوها الأمل بتبلج الصباح المشرق وانقشاع ظلام عنوستها وانتهاء أيموتها.

٣ـ تعليم وتأهيل ابنتهم :

على أهل الفتاة العانس السعي نحو تعليم ابنتهم والارتقاء بها وتأهيلها أكاديميا ومهنيا وذلك بتيسير الدراسة الجامعية المناسبة لها، فيختارون لها جامعة غير مختلطة وكلية مناسبة كالشريعة وأصول الدين والتربية، وحثها على الاجتهاد والتفوق وإن جاءها خاطب في هذا الأثناء فلتوافق عليه ولا ترده بحجة الدراسة، ولا ترفضه بسبب مواصلة التعليم، وإن لم يتقدم لها متقدم فليحثها أهلها على مواصلة تعليمها فوق الجامعي لمرحلة الماجستير والدكتوراه، وفي هذا الأمر فوائد عدة منها:

ـ إسكات الألسن الشامتة التي يظن بعضها أنها فرغت نفسها للدراسة ونذرتها للعلم وأنها لا ترغب في الزواج ولا تفكر فيه، إما إن كانت في البيت فإن قول الألسن يختلف ،مع أن كثيرا من الناس يعلمون أن ما تقوم به كثير من البنات من مواصلة الدراسة هو محاولة للهروب من الواقع وخداع للآخرين، وأنهن عوانس لم يظفرن بشيء.

ـ التعليم وتأهيل البنت يكون تسلية لها وإشغالا لنفسها ونسيانا لمشكلة العنوسة التي تعايشها والتي بفراغها يمكن أن يكون عندها اكتئاب.

أما البنت التي لم تنل حظا عاليا وقسطا وافرا من التعليم والتي تكون جليسة بيت أبويها في انتظار فارس الأحلام، فيمكن تأهيلها مهنيا وذلك بتعليمها الخياطة والتطريز[1]

---

[1] عن زياد بن عبد الله القرشي قال: دخلت على هند بنت المهلب بن أبي صفرة وهي امرأة الحجاج بن يوسف وبيدها مغزل تغزل به فقلت لها: تغزلين وأنت امرأة أمير قالت: سمعت أبي يحدث عن جدي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أطولكن طاقة أعظمكن أجرا.[المعجم الأوسط

وتوفير مستلزماتها واحتياجاتها لها من ماكينات وقماش وخيوط وكتب تعليمية في هذا الشأن وخلافه، ويمكنها بعد ذلك أن تفتح لها مشغلا نسائيا لتعليم الخياطة، تفيد فيه بنات جنسها، ويسد لها الفراغ ويدر عليها بعض المال.

٤ـ الستر على البنت إن كانت قد أحدثت والسعي نحو تزويجها بمن قد فجر بها:

أ ـ الستر على البنت إن كانت قد أحدثت :

قد تفرط إحدى الفتيات في نفسها فتقع في الفاحشة وتتوب إلى الله توبة نصوحا وترجع إلى بارئها سبحانه وتعالى، فعلى الأسرة إن تقدم لهذه الفتاة متقدم في المستقبل عدم إخباره بحقيقة أمرها وليس هذا من التدليس والغش وعدم النصح بل من الستر الواجب، فالذي يجب على الشخص الباحث عن الزواج أن ينتقي ويدقق في الاختيار أما الأسر فليست ملزمة بذكر سوابق بناتها فعلى البنت ستر نفسها وعدم البوح بما بدر منها وما فرطت فيه من نفسها وذلك بعد التوبة النصوح، فعن طارق بن شهاب: أن رجلا أراد أن يزوج أخته، فقالت: إني أخشى أن أفضح أبي، فقد بغيت. فأتى عمر فقال: أليس قد تابت؟ قال: بلى: قال: فزوجها.[1]

وعلى ولي الأمر تشجيع ستر فتيات المسلمين التائبات وإرشاد وتعليم الجاهلين من أهلها بوجوب سترها وتهديدهم بأن من أفصح بما كان منها أو تفوه بما علم بالعقوبة الوجيعة، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أهل إحدى التائبات ، فعن عامر، قال: زنت امرأة من همدان، قال: فجلدها مصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الحد،

للطبراني، ج ٤ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠، حديث رقم: ٤٣٤٥ / مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يزيد بن مروان الخلال قال ابن معين: كذاب.]

[1] تفسير الطبري، ج ٤ ص ٤٤٤ ، حديث رقم: ١١٢٦٣

ثم تابت. فأتوا عمر، فقالوا: نزوجها وبئس ما كان من أمرها ! قال عمر: لـئن بلغني أنكم ذكرتم شيئا من ذلك لأعاقبنكم عقوبة شديدة.[1]

وعلى من ابتلوا بشيء من ذلك في بناهم ومولياهم سؤال أهل العلم واستفتائهم، لمعرفة ما يجب عليهم فعله، فعن عامر الشعبي، قال: أتى رجل عمر فقال: إن ابنة لي كانت وئدت في الجاهلية، فاستخرجتها قبل أن تموت، فأدركت الإسلام، فلما أسلمت أصابت حدا من حدود الله، فعمدت إلى الشفرة لتذبح بها نفسها، فأدركتها وقد قطعت بعض أوداجها، فداويتها حتى برئت، ثم إنها أقبلت بتوبة حسنة، فهي تخطب إلي يا أمير المؤمنين، فأخبر من شأنها بالذي كان؟ فقال عمر: أتخبر بشأنها؟ تعمد إلى ما ستره الله فتبديه و الله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس، لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة.[2]

وفي هذا الأمر شواهد من هدي الصحابة:

ـ عن عروة وعطاء أن رفقة من أهل اليمن نزلوا الحرة [3] ومعهم امرأة وهي ثيب، فتركوها ببعض الحرة حتى بذلت نفسها، فبلغ عمر خبرها فأرسل إليها فسألها فقالت: كنت امرأة مسكينة[4] لا يعطف علي أحد بشيء فما وجدت إلا نفسي، فسأل رفقتها فصدقوها فحدها، ثم كساها وحملها وقال: اذهبوا بها ولا تذكروا ما فعلت. [1]

---

[1] تفسير الطبري، ج ٤ ص ٤٤٤ ، حديث رقم: ١١٢٦٢

[2] تفسير الطبري، ج ٤ ص ٤٤٥، حديث رقم: ١١٢٦٧

[3] الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار.

[4] عن محجن مولى عثمان قال: كنت مع عثمان في أرضه فدخلت عليه أعرابية بضر ، فقالت: إني قد زنيت، فقال: أخرجها يا محجن! فأخرجتها، ثم رجعت فقالت: إني قد زنيت، فقال: أخرجها يا محجن!

ـ عن عامر الشعبي: أن رجلا من أهل اليمن أصابت أخته فاحشة، فأمرت الشفرة على أوداجها، فأدركت، فدووي جرحها حتى برئت. ثم إن عمها انتقل بأهله حتى قدم المدينة، فقرأت القرآن ونسكت، حتى كانت من أنسك نسائهم. فخطبت إلى عمها، وكان يكره أن يدلسها، ويكره أن يفشي على ابنة أخيه، فأتى عمر، فذكر ذلك له، فقال عمر: لو أفشيت عليها لعاقبتك، إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوجها إياه.(٢)

ـ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ إِلَى رَجُلٍ أُخْتَهُ فَذَكَرَ أَنَّهَا قَدْ كَانَتْ أَحْدَثَتْ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَضَرَبَهُ أَوْ كَادَ يَضْرِبُهُ ثُمَّ قَالَ مَا لَكَ وَلِلْخَبَرِ.(٣)

قال الباجي: إخبار الرجل عن أخته إذا خطبت إليه أنها أحدثت يريد أنه قد أصابها ما يوجب عليها حد الزنى وروي نحوه في المدونة عن عيسى بن دينار فأنكر ذلك عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولعلها قد كانت أقلعت وتابت ومن عاد إلى مثل هذه الحال لا يحل ذكره بسوء فإن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات

فأخرجتها، ثم رجعت فقالت: إني قد زنيت! فقال عثمان: ويحك يا محجن! أراها بضر يحمل على الشر، فاذهب بها فضمها إليك فأشبعها واكسها، فذهبت بها، ففعلت ذلك بها حتى رجعت إليها نفسها، ثم قال عثمان: أوقر لها حمارا من تمر ودقيق وزبيب ثم اذهب بها، فإذا مر قوم يفدون بادية أهلها فضمها إليهم، ثم قل لهم: يؤدوها إلى أهلها، ففعلت ذلك بها، فبينا أنا أسير بها إذ قلت لها: أتقرين بما أقررت به بين يدي أمير المؤمنين؟ قالت: لا، إنما قلت ذلك من ضر أصابني.[كنز العمال، حديث رقم: ٣٦١٧٣]

(١) كنز العمال، حديث رقم: ١٣٤٧٨

(٢) كنز العمال، حديث رقم: ٤٥٧٦١ / تفسير الطبري، ج ٤ ص ٤٤٥، حديث رقم: ١١٢٦٥

(٣) موطأ الإمام مالك، كتاب النكاح، باب: جامع النكاح، حديث رقم: ١٠٠٥

ولا يلزم الولي أن يخبر من حال وليته إلا بما يلزم في ردها وهي العيوب الأربعة: الجنون والجذام والبرص وداء الفرج. وأما غيره من العيوب فلا يلزمه ذلك. (١)

ب ـ تزويج البنت بمن فجر بها:

قد تفجر إحدى البنات ـ نسأل الله السلامة ـ ويعرف فجورها لأهلها ولغيرهم ويعرف من فجر بها فعلى الأسرة والعقلاء ممن له علم بهذا الأمر تزويج هذه البنت بهذا الفتى الذي فجر بها أما إذا لم يعلم بفجورها أحد فعلي ولي أمرها سترها وإخفاء هذا الأمر وترك ذكره وعدم التعرض له من قريب أو بعيد كما ذكرنا في وجوب الستر عليها إن كانت قد فجرت أما إذا علم فجورها بأن حبلت أو جاهرت بهذا الأمر فعلى من علم بذلك تزويجها ممن فجر بها وذلك بعد إقامة الحد عليهما، فعن نافع قال جاء رجل إلى أبي بكر فذكر له أن ضيفا له افتض أخته استكرهها على نفسها فسأله فاعترف بذلك فضربه أبو بكر الحد ونفاه سنة إلى فدك ولم يضربها ولم ينفها لأنه استكرهها ثم زوجها إياه أبو بكر وأدخله عليها.(٢) والذي فجر بالمرأة أحق بها من غيرها،(٣) فعن

(١) المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي، دار الكتاب العربي بيروت، ج ٤ ص ٣٥٢

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨، في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها من رخص فيه، حديث رقم: ١٦٧٨٣ / مصنف عبد الرزاق ج ٧ ٢٠٢ ص ٢٠٩، حديث رقم: ١٢٧٩٦

(٣) عن صلة بن أشيم قال لا بأس إن كانا تائبين فالله أولى بتوبتهما وإن كانا زانيين فالخبيث على الخبيث.[مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨، في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها من رخص فيه ، حديث رقم: ١٦٧٩١]

جابر بن زيد قال سئل عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها قال هو أحق بها هو أفسدها.[1]

ولا يلحق الولد من زنى بها بل ينسب لأمه: فعن الحسن في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها قال لا بأس إلا أن تكون حبلى فإن الولد لا يلحقه.[2]

وفي تزويج البنت بمن فجر بها هدي من هدي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم نجتزئ منها بالآتي:

ــ عن عبد الله بن أبي يزيد عن أبيه أن سباع بن ثابت تزوج ابنة رباح بن وهب وله ابن من غيرها ولها ابنة من غيره ففجر الغلام بالجارية فظهر بالجارية حمل فرفعا إلى عمر بن الخطاب فاعترفا فجلدهما وحرض أن يجمع بينهما فأبى الغلام.[3]

ــ عن بكير بن الأخنس عن أبي قال قرأت من الليل حم عسق فمررت بهذه الآية وهو ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨، في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها من رخص فيه، حديث رقم: ١٦٧٨٧

(2) سنن الدارمي، حديث رقم: ٣١١١

(3) مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨، في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها من رخص فيه، حديث رقم: ١٦٧٧٨ / سنن البيهقي ج ٧ ص ١٥٥ ــ ١٥٦، حديث رقم : ١٣٦٥٣/ مصنف عبد الرزاق ج ٧ ٢٠٢ ص ٢٠٩، حديث رقم: ١٢٧٩٣/ كنز العمال، حديث رقم: ١٣٤٦٤

﴾ فغدوت إلى عبد الله أسأله عنها فأتاه رجل فسأله عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها فقرأ عبد الله ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾.[1]

ـ عن نافع قال كانت جارية لابن عمر وكان له غلام يدخل عليها فسبه فرآه ابن عمر يوما فقال أحامل أنت قالت نعم قال ممن قالت من فلان قال الذي سببته قالت نعم فسأله ابن عمر فجحد وكانت له إصبع زائدة فقال له ابن عمر أرأيت إن جاءت به ذا زائدة قال هو إذا مني قال فولدت غلاما له إصبع زائدة قال فضربهما ابن عمر الحد وزوجها إياه وأعتق الغلام الذي ولدت.[2]

أما الآية التي تنهى عن نكاح وإنكاح الزناة فقد قيل: عن سعيد بن المسيّب في قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾[3] قال : وسمعته يقول: إنها نُسخت هذه الآية بالتي بعدها ثم قرأ: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾[4]

قال محمد: وبهذا نأخذ. وهو قول أبي حنيفة والعامة من فقهائنا لا بأس بتزوّج المرأة، وإن كانت قد فجرت، وإن يتزوجها من لم يفجرْ.[5]

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨، في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها من رخص فيه ، حديث رقم: ١٦٧٨١ / سنن البيهقي ج ٧ ص ١٥٥ ــ ١٥٦، حديث رقم : ١٣٦٦٤

[2] مصنف عبد الرزاق ج ٧ ٢٠٢ ص ٢٠٩، حديث رقم: ١٢٧٩٧

[3] سورة النور آية ٣

[4] سورة النور آية ٣٢

[5] الموطأ ، حديث رقم: ١٠٠٣

المبحث الثالث

العلاج الدوائي من الفتاة العانس

١- الصبر والاحتساب والتسليم لأمر الله والسلو

٢- الدعاء والاسترجاع

٣- إشغال العانس وقتها بالعبادات

٤- عدم تفويت الفرص السوانح وعدم الاشتطاط في الطلب

٥ - لتعلم أن التي تموت بكرا فلها الجنة

المبحث الثالث

العلاج الدوائي من الفتاة العانس

١- الصبر والاحتساب والتسليم لأمر الله والسلو :

لتعلم الفتاة العانس أنها ليست هي العانس الوحيدة في الدنيا فمثلها كثيرات بل هناك من العوانس من هن أكبر منها وأجمل بل فلتتذكر فلانة التي بلغت سن اليأس ولم تتزوج ولا تنس فلانة التي ماتت بكرا رغم بلوغها من الكبر عتيا ولتتذكر نساء مطلقات وأرامل بائسات ومعلقات وذوات أزواج أفضل منهن غير المتزوجات من العوانس؟ لما يعشنه من نكد وشقاء وضرب وهوان من أزواجهن ونساء أخر لم ينجبن لا لعلة فيهن بل لعلة في أزواجهم وهن قد أفنين زهرة شبابهن مع هؤلاء الأزواج الذين يؤثرون أنفسهم على غيرهم مع أخوات له يسمعنها كلاما أمر من العلقم بأن هذه العقم منها وأن هذا الرجل مقيم عليها مع عقمها.وهؤلاء الزوجات لم يسعين في فراق هؤلاء الأزواج حتى لا ينتظرن في قطار المنتظرات، ولتتذكر عقيمات عاقرات محرومات من لذة الولد فالزواج مقسوم كالأرزاق والرضا بهذه القسمة من الإيمان بالقدر، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، فعَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي قَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْن

١

مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ.(١)

ولتعلم ولنعلم جميعا أن الزواج كما يقولون: قسمة ونصيب فقد يخطب الرجل فتاة ويمني نفسها بالزواج منها فتتزوج غيره ويُحرمها، قال السموأل بن عادياء :

وكأنْ تضرَّعَ من خاطبٍ　　　تزوَّجَ غيرَ التي يخطب

وزوَّجها غيرُه، دونَـهُ　　　وكانتْ له قبله، تُحْجَبُ

فعلى الفتاة العانس أن تسلو بأمثال هذه الأشياء ونحوها، وتقنع بما قسم الله لها ولتعلم أن السلوان واليأس من الغنى، ومن كلام العرب: اليأس أحد النجحين، والقناعة أحد الرزقين.(٢)وأن تبتعد عن الحسد وأن فلانة أجمل منها وأنها تزوجت فما هذه الأشياء من حيلة الفتى ولكن أحاظ قسمت وجدود وقد أحسن من قال:

وكم في الحفل أبهى من عروس　　　ولكن الدهر للعروس ساعد

كما أن عليها ألا تتمنى لمتزوجة أن يطلقها زوجها أو زميلة لها ألا تتزوج حتى تكون مثلها فتكون كالزانية التي تود أن تكون كل النساء مثلها، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه:

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: السنة، باب: في القدر، حديث رقم: ٤٠٧٧/ سنن ابن ماجة، كتاب، المقدمة، باب: في القدر، حديث رقم: ٧٤ /مسند الإمام أحمد، مسند زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٢٠٦٠٧، ومسند عبادة بن الصامت، حديث رقم: ٢١٦٤٧

(٢) الاستقامة ج٢ ص ٢٥٧ / الفتاوى ج ٢٨ ص ١٥١

ودت الزانية لو زنى النساء كلهن.[١] وحتى لا تكون كالثكلى التي تحب الثكلى مثلها، وصاحبة المصيبة التي تحب المصابين.[٢]

٢ـ الدعاء والاسترجاع :

على الفتاة العانس الإكثار من دعاء الله عز وجل، وأن تدعو بالجوامع من الدعاء، [٣] بأن يرفع الله عنوستها وأن يرزقها زوجا صالحا تقر به عينها، ولا تيئس من عدم الإجابة فتستحسر وتقول: قد دعوت فلم يرزقني الله زوجا ولم أظفر بشيء، فتقطع الدعاء، فالله عز وجل أمر عباده بدعائه ووعدهم بالإجابة، قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٤] بل إن العبادة تنحصر في الدعاء كما جاء في الحديث : عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿

---

[١] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري ، ج ٢ ص ٩٠٧

[٢] قيل: الثكلى تحب الثكلى لأنها تتأسى بها في البكاء والجزع. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢١١]

[٣] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب: الدعاء، حديث رقم: ١٢٦٧/ مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٣٩٩٦)

قال ابن منظور : وفي الحديث: كان يَستحِبُّ الجَوامع من الدعاء؛ هي التي تَجْمع الأَغْراض الصالحةَ والمَقاصِدَ الصحيحة أَو تَجْمع الثناء على الله تعالى وآداب المسأَلة. [لسان العرب. مادة : جمع]

[٤] سورة غافر آية : ٦٠

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[١] وكان السلف رضوان الله عليهم يدعون الله ويلحون في دعائهم ويداومون ولا ييئسون: قال عامر: سألت ربي حاجة عشرين سنة، فما أجابني وما يئست منها [٢] والصالحون يدعون في كل الأمور الكبيرة والصغيرة قال ابن عمر: إني لأدعو في كل شيء من أمري حتى أن يفسح الله في مشي دابتي حتى أرى من ذلك ما يسرني.[٣]

والدعاء لا يذهب هدرا فهو إما أن يستجاب في الحال، أو أن يصرف الله عن المرء شرا مساويا له، وإما أن يدخر لصاحبه يوم القيامة: فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا قَالُوا إِذًا نُكْثِرُ قَالَ اللَّهُ أَكْثَرُ.[٤]

---

[١] سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة البقرة، حديث رقم: ٢٨٩٥/ سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب: الدعاء، حديث رقم: ١٢٦٤/ سنن ابن ماجة: كتاب الدعاء، باب: فضل الدعاء، حديث رقم: ٣٨١٨

[٢] سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٧ ــ ١٨

[٣] الأدب المفرد ص٢٧٣

[٤] سنن الترمذي: كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب: في انتظار الفرج، حديث رقم: ٣٤٩٧/ مسند الإمام أحمد: مسند أبي سعيد الخدري، حديث رقم: ١٠٧٠٩ .

فعلى الأخت العانس دعاء الله عز وجل والتضرع إليه والبكاء بين يديه وشكوى بثها وحزنها وهمها إلى الله قال الله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١] فلعل الله أن يرزقها بعلا أو سلوة.

كما عليها أن تكثر من الاسترجاع وقول: إنا لله وإنا إليه راجعون وقول: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها فسيخلف الله عز وجل لها وسيعوضها خيرا، كما أخلف وعوض أم سلمة رضي الله عنها عندما قالت هذا القول عند وفاة زوجها : فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ.[٢]

قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله عز وجل : إنا لله وإنا إليه راجعون) فيه : فضيلة هذا القول. قوله صلى الله عليه وسلم : (أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها) قال القاضي: أجرني بالقصر والمد ، حكاهما صاحب الأفعال: وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة : هو مقصور لا يمد

[١] سورة يوسف آية ٨٦

[٢] صحيح مسلم، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة، حديث رقم : ١٥٢٥

ومعنى أجره الله أعطاه أجره، وجزاء صبره وهمه في مصيبته. وقوله صلى الله عليه وسلم: (وأخلف لي) هو بقطع الهمزة وكسر اللام . قال أهل اللغة: يقال لمن ذهب له مال أو ولد قريب أو شيء يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك أي رد عليك مثله فإن ذهب ما لا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لا جد له ولا والد له قيل: خلف الله عليك بغير ألف أي كان الله خليفة منه عليك. وقولها: (وأنا غيور) يقال: امرأة غيرى وغيور ، ورجل غيور وغيران وقد جاء فعول في صفات المؤنث كثيرا كقوله: امرأة عروس وعروب وضحوك لكثيرة الضحك، وعقبة كئود، وأرض صعود وهبوط وحدود وأشباهها. قوله صلى الله عليه وسلم: (وأدعو الله أن يذهب بالغيرة) هي بفتح الغين، ويقال: أذهب الله الشيء وذهب به كقوله تعالى: ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [(١)]

ومن آثار الدعاء وحسن نتائجه على العوانس ما ذكرته الأخت أم حسن عن نفسها وكيف أن الله نفس كربها وسهل أمرها وكشف غمتها ورزقها زوجا، أقر به عينها، تقول الأخت أم الحسن في رسالتها:

أشكركم على تفضلكم بنشر مقالتي عن العوانس، وكنت قد وعدتكم أني سأكتب المزيد والمزيد عن حالات أخوات لي أيضاً في الله، ينعمن بوافر السعادة والاطمئنان.

وحتى أفي بوعدي أذكر لكم هذه المفاجأة السارة التي فاجأتني بها إحدى الصديقات العوانس، وكانت هذه المفاجأة هي السبب في تأخير رسائلي عنكم ألا وهي زواجها! أتعلمون أنني كنت مستغربة جداً من أمر هذه العانس فقد كانت جميلة، ومعلمة في مدرسة تحفيظ القرآن، وجامعية، وطالبة علم، وفيها كل ما يتمناه الشاب الملتزم من

[(١)] مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز)ج ٤ ص ٢٥٧٣ ــ ٢٥٧٤

خلق ودين فكانت كلما تقدم إليها شاب أو متزوج وافقت عليه لكن أهل قريتها يقومون بالأخذ والكلام عنها أمام هذا الخاطب، وينبشون وراءها، حتى يتركها لكن استغرابي كان يكثر عندما أجدها إنسانة مواظبة على قيام الليل والدعاء والتهجد في الأسحار، وقراءة القرآن والدعاء الملح على الله بأن تتزوج فكنت أقول في نفسي: سبحان الله كيف لم يقدر الله لها الزواج مع كثرة دعائها وإلحاحها على الله! ولم يدم الأمر طويلاً ربما أربع سنوات حتى رزقها الله الآن بشاب يصغرها سناً، وطالب علم، وقد حمدت الله على هذه النعمة، واغتبطت لها كثيراً أن قد استجاب الله دعاءها وقد جاء في الحديث "إن الله لا يمل حتى تملوا".

تقول الأخت: كنت أدعو الله في الأسحار، وفي السجود، وبين الأذان والإقامة، وأطلب من الأخوات الصالحات الدعاء لي بظهر الغيب، وكنت أدعو لغيري بالزواج رجاء أن يرزقني الله كما أتمنى.

قلت: وهذا من بركة الدعاء، فهو سلاح المؤمن..

تقول الأخت: قد شجعني على الدعاء زميلة لي في الجامعة تقول: كنت أدعو الله عز وجل بصريح العبارة أن يرزقني [زوجا صالحاً طيباً يحبني ويكرمني ولا يهينني... الخ]. وقد رزقني الله كما تمنيت فلا تبخلي على نفسك بالدعاء. فلله الفضل والمنة أولاً وأخيراً.

أختكم في الله، أم حسن- الجبيل الصناعية[1]

٣ - إشغال العانس وقتها بالعبادات:

---

[1] غير متزوجات ولكن سعيدات محمد رشيد العويد

على العانس أن تشغل وقتها بالعبادات وعمل الطاعات ولا تدع وقتا فارغا يستغله الشيطان بوسوسته لها وهواجسه التي يبثها في نفسها، وأن لا تجلس حبيسة غرفتها وأن تستثمر أوقاتها في أمور كالآتي:

ـ ترتيب برنامج لحفظ القرآن الكريم والاستفادة من الأخوات اللاتي هن أكثر منها علما ومعرفة بالتجويد وبالأخوات الأقل منها علما لإفادتهن وتدريسهن فتكون من الربانيين الذين يعلمون الكتاب ويدرسونه.

ـ على العانس قيام الليل والتهجد والدعاء والجؤار إلى الله تعالى في أوقات السحر وفي السجود وفي صلاة جوف الليل أن يخفف مصابها وأن يرفع معاناة العنوسة عنها.

ـ على العانس الصوم والعبادة فهذا من ما يحصن فرجها ويرِّغب فيها الرجال: كما أوصى معاوية رضي الله عنه أم الدرداء فقد ذكر الذهبي عن أم الدرداء أنها قالت لأبي الدرداء في الموت: إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسي في الآخرة، قال: فلا تنكحين بعدي. [1] فخطبها معاوية فأخبرته [2] بالذي كان فقال: عليك بالصيام. [1]

---

[1] عن لقمان بن عامر عن أم الدرداء أنها قالت اللهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا اللهم فأنا أخطبه إليك وأسألك أن تزوجنيه في الجنة فقال لها أبو الدرداء فإن أردت ذلك فكنت أنا الأول فلا تتزوجي بعدي قال فمات أبو الدرداء وكان لها جمال وحسن فخطبها معاوية فقالت لا والله لا أتزوج زوجا في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله في الجنة.[الحلية ج١ص ٢٢٤ـــ٢٢٥ / تهذيب الكمال ج ٣٣ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥]

[2] عن عطية بن قيس الكلاعي قال: خطب معاوية بن أبي سفيان أم الدرداء بعد وفاة أبي الدرداء قالت أم الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أيما امرأة توفي

ـــ على العانس تنظيم وقت للقراءة في الكتب الإسلامية ومعرفة ما يصلح أمر دينها، والبدء في هذه الكتب بالأهم ثم التدرج وتدوين ما قرأته حتى لا تنساه فالعلم صيد والكتابة قيد، والصيد إن لم يقيد ولى مدبرا ولم يعقب.

ـــ على العانس سماع الأشرطة والمحاضرات والاستفادة من الدروس التي بها، ولعل بعضها مما يتحدث عن ما تعانيه فيكون سببا لسلوها.

ـــ على العانس تنظيم برنامج دعوي تشارك فيه لداها وصديقاها وتنظيم دروس في التوحيد والفقه والسيرة والتفسير ونحوها وبرامج الرقائق فتأتي الواحدة فتذكر أخواها وتأمرهن بطاعة الله عز وجل والعمل بمراضيه والصبر على قضائه وقدره، وتجنب مساخطه.

ـــ على العانس الذهاب إلى حضور حلقات العلم في المساجد، مع مراعاة عدم الاختلاط والتبرج وعدم التعطر عند الخروج وأن يكون الخروج بالليل.

ـــ على العانس الاستفادة من القراءة وما دونته من معلومات في التأليف وكتابة البحوث في أمور تفيد الأمة ، فكثير من عقول الأمة عقول معطلة خاملة.

عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لآخر أزواجها وما كنت لأختار على أبي الدرداء فكتب إليها معاوية فعليك بالصوم فإنه محسمة. [معجم الطبراني الأوسط، ج ٣ ص ٢٧٥، حديث رقم: ٣١٣٠ / مجمع الزوائد، للهيثمي، المجلد الرابع. كتاب النكاح. باب في المرأة تدخل الجنة ولها أزواج. حديث رقم: ٧١٤٧] .

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث سنة ٨١ ص٢٣٤/ الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم : ١١١٣٧

ـ على العانس تنمية الهوايات المباحة والمهارات المتاحة والمقدرات العقلية التي حباها الله عز وجل بها والاهتمام بها، فتنمي مهارة الخياطة والتطريز والرسم مع مراعاة أن يكون في الأشجار ونحوها من غير ذات الأرواح.

ولتعلم العانس أنها بامتثالها بهذه الأشياء وأمثالها من أعمال الخير واشتهارها بها يرغب فيها الراغبون في الزواج ويفكرون في الاقتران بها لائتمانهم لها على نفسها وعلى أموالهم.

ولنضع في أذهاننا: كم من عانس خلية من الزوج حفظت القرآن كله؟ لعدم انشغالها بزوج وأبناء وكم من عانس حازت قسطا وافرا من العلم؟ وكم من عانس أبدعت في مهارات كالخياطة والتطريز ونحوها؟

٤ـ عدم تفويت الفرص السوانح وعدم الاشتطاط في الطلب:

على الفتاة معايشة واقعها وعدم العيش في أبراج عاجية، وألا تتوهم أن الزوج سلعة يمكن أن تشترى من السوق في أي وقت تشاء وفي أي زمن تريد، ومن ثم تتعنت في مواجهة المتقدمين لها، كما أن عليها أن تعلم أنه كلما تقدم الوقت بها فإن سوقها سوف تبرد وسينفض سامرها، وأنه كلما تقدم الزمن يرغب في الاقتران بها من لم يكن يطمع فيها من قبل. ولتعلم أن هؤلاء الراغبين الآن الذين لم يكونوا يطمعون فيها من قبل سيقلون غدا وسينعدمون بعد غد. فعلى الفتاة وأولياء أمرها من أرباب الأسر وعي هذه الأمور جيدا ووضعها في حسبانهم، وأنهم أفضل لهم أن يعيّروا بصهر لا طائل تحته ولم يكونوا ينتظرون مثله ولم يكن هو يطمع في مصاهرتهم، من أن يحنوا رؤوسهم لعدم ظفر بناتهم بأزواج وليعلموا أن زوجا من عود خير من قعود فتياتهم من غير زواج، وأن بعض

الشر أهون من بعض، وإن في الشر خيارا.[1] وأن زوجا مهما كان خير من عنوسة، ولتعلم أن الفرصة إذا ضاعت قد لا تتكرر، قال عبد الحميد الكاتب: من أخر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها.[2] وقال الشاعر:

إذا درت نياقك فاحتلبها　　　فما تدري الفصيل لمن يكون
وإن هبت رياحك فاغتنمها　　　فإن لكل خافقة سكون[3]

فلتع الفتاة وأسرتها هذه الأمور جيدا حتى لا تندم حين لا ينفع الندم، وليس معنى ذلك أن يعطوا أشخاصا لا دين لهم ولا أخلاق بل المقصود عدم الاشتطاط في الطلب. ولتعلم أن الصيد إذا فر فإن التمكن منه مرة أخرى صعب جدا إن لم يكن مستحيلا، وقد أحسن من قال:

فقلتُ: تَعَلَّمْ أَنَّ للصَّيْد غرَّةً　　　وإلاّ تُضَيِّعْها فإنك قاتِلُهْ[4]

ولذا فعلى الفتاة وعلى أسرتها مبادرة الفرص واغتنامها حتى لا تندم ولا يندموا ندامة الكسعي.وكان من حديث الكسعي أنه كان يرعى إبلاً لـه في وادٍ فيه حَمْضٌ وشَوْحَطٌ، فإمّا رَبّى نَبْعةً حتى اتخذ منها قوساً، وإما رأى قَضِيبَ شَوْحَطٍ نابتاً في صخرة فأَعْجَبَه فجعلَ يُقوِّمُه حتى بلغ أَن يكون قَوْساً فقطعه وقال:

---

[1] معنى المثل كما قيل: بعض الشر أهون من بعض، ويجوز أن يكون الخيار الاسم من الاختيار أي في الشر ما يختار على غيره.[انظر: مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٩ ــ ٢٠]

[2] تفسير القرطبي، تحقيق: د. محمد إبراهيم الحفناوي و د. محمود حامد عثمان، طبع دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م، ج ٥ ص ٣٧٣

[3] الإدارة في التراث الإسلامي، ص ٣٧

[4] لسان العرب، مادة: أذن

يا رَبِّ سَدِّدْني لنَحْتِ قَوْسي فإنَّها من لَذَّتي لنَفْسي
وانْفَعْ بقَوْسي ولَدِي وعِرْسي أنْحَتُ صَفْراءَ كلَوْنِ الوَرْسِ
كَبْداءَ ليسَتْ كالقِسِيِّ النُّكْسِ

حتى إذا فرغ من نحتها بَرى من بَقِيَّتِها خمسة أَسْهُمٍ ثم قال:

هُنَّ وربِّي أَسْهُمٌ حِسانُ يَلَذُّ للرَّمْي بها البَنانُ
كأنَّما قَوَّمَها مِيزانُ فأَبْشِرُوا بالخِصْبِ يا صِبْيانُ
إنْ لمْ يَعُقْني الشُّؤْمُ والحِرْمانُ

ثم خرج ليلاً إلى قُتْرة له على مَوارِدِ حُمُرِ الوحْش فَرَمى عَيْراً منها فأَنْفَذَه، وأَوْرى السهمُ في الصوَّانة ناراً فظن أنه أَخطأَ فقال:

أَعوذُ بالمُهَيْمِنِ الرحْمنِ من نَكَدِ الجَدِّ مع الحِرْمانِ
ما لي رَأَيتُ السَّهْمَ في الصَّوّانِ يُورِي شَرارَ النارِ كالعِقْبانِ
أَخْلَفَ ظَنِّي ورَجا الصِّبْيانِ

ثم وردت الحمر ثانية فرمى عيراً منها فكان كالذي مَضى من رَمْيه فقال:

أَعوذُ بالرحْمنِ من شَرِّ القَدَرْ، لا بارَكَ الرحمنُ في أُمِّ القُتَرْ
أَأُمْغِطُ السَّهْمَ لإرْهاقِ الضَّرَرْ، أَمْ ذاكَ من سُوءِ احْتِمالٍ ونَظَرْ
أَمْ ليس يُغْني حَذَرٌ عند قَدَرْ

المَغْطُ والإمْغاطُ: سُرْعةُ النَّزْعِ بالسهم؛ قال: ثم وردت الحمر ثالثة فكان كما مضى من رميه فقال:

إنِّي لشُؤْمي وشَقائي ونَكَدْ قد شَفَّ مِنِّي ما أَرَى حَرُّ الكَبِدْ

أَخْلَفَ ما أَرْجُو لأَهْلِي ووَلَدْ

ثم وردت الحمر رابعة فكان كما مضى من رميه الأَوّل فقال:

ما بالُ سَهْمِي يُظْهِرُ الحُباحِبَا قد كنتُ أَرْجُو أن يكونَ صائِبا

إِذْ أَمكَنَ العَيْرُ وأَبْدَى جانِبا فصار رَأْيِي فيه رَأْياً كاذِبا

ثم وردت الحمر خامسة فكان كما مضى من رميه فقال:

أَبَعْدَ خَمْسٍ قد حَفِظْتُ عَدَّها أَحْمِلُ قَوْسِي وأُرِيدُ رَدَّها

أَخْزَى إِلَهِي لِينَها وشَدَّها واللهِ لا تَسْلَمُ عِنْدِي بَعْدَها

ولا أُرَجِّي، ما حَيِيتُ، رِفْدَها

ثم خرج من قُتْرَتِه حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كَسَرَها ثم نام إلى جانبها حتى أَصبح؛ فلما أَصبح ونظر إلى نبله مُضَرَّجة بالدماء وإلى الحُمُرِ مُصَرَّعةً حوله عَضَّ إبهامه فقطعها ثم أنشأ يقول:

نَدِمْتُ نَدامةً، لو أَنَّ نَفْسِي تُطاوِعُنِي، إِذاً لَبَتَرْتُ خَمْسِي

تَبَيَّنَ لِي سَفاه الرَّأْيِ مِنِّي لَعَمْرُ الله، حينَ كَسَرْتُ قَوْسِي[1]

٥ ـ لتعلم أن التي تموت بكرا فلها الجنة :

لتعلم العانس التي فاتتها فرصة الزواج أن الله سيعوضها عما أصابها، إذا صبرت على مصيبتها واحتسبت فيها واسترجعت، ومن الأجر المرصود لمثل هذه الحالة إعطاء الشهادة لمن يصيبه هذا البلاء ودخول الجنة، فالمرأة التي ماتت من غير زواج تعتبر شهيدة كما جاء في حديث الشهداء في أحد تفسيريه، فعَنْ جَابِرِ بْنَ عَتيك قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ قَالُوا الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ رَسُولُ

---

[1] لسان العرب، مادة: كسع

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ الْهَدَمِ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ الْحَرَقِ شَهِيدٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ[1] شَهِيدَةٌ.[2]

واختلف العلماء في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ[3] شَهِيدَةٌ. على قولين:

ـ من ماتت بسبب ولدها في بطنها.

ـ من ماتت بكرا ولم تتزوج.

ولنستعرض أقوال أهل العلم في الرأيين، قال شمس الدين العظيم آبادي: (المرأة تَمُوت بِجُمْع): بضم الجيم ويكسر وسكون الميم قاله القاري . قال الخطابي : معناه أن تموت وفي بطنها ولد.

---

(1) روى الحسن بن سفيان في مسنده عن الفضل بن موسى عن بن المبارك عن الحكم بن هشام عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت جمعا لم تطمث دخلت الجنة. وهو: حديث مرسل [الإصابة لابن حجر، ترجمة: ٦٩٤٨]

(2) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب: من خان غازيا في أهله، حديث رقم ٣١٤٣/ سنن أبي داود ، كتاب الجنائز، باب: في فضل من مات في الطاعون، حديث رقم ٢٧٠٤/ سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب: ما يرجى فيه الشهادة، حديث رقم: ٢٧٩٣

(3) الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع، وقولهم: ماتت المرأة بجمع: إذا كان ولدها في بطنها، فلتصور اجتماعهما، وقولهم: هي منه بجمع: إذا لم تفتض: فلاجتماع ذلك العضو منها وعدم التشقق فيه.[مفردات ألفاظ القرآن، مادة: جمع]

وقال في النهاية: أي تَمُوت وفي بَطْنِها وَلَد. وقيل الَّتي تَمُوت بِكْرا. والجُمْع بالضَّم: بمعْنى المَجْمُوع، كالذُّخْر بمعْنى المَذْخُور، وكسَر الكسائي الجيم، والمعنى أنّها ماتَتْ مع شيء مَجْموع فيها غَيْر مُنْفَصِل عنها، من حَمْل أو بَكارَة.[1]

وقال المنذري: لفظ أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا " إن في القتل شهادة ، وفي الطاعون شهادة ، وفي البطن شهادة ، وفي الغرق شهادة ، وفي النفساء يقتلها ولدها جمعا شهادة " . قال في الترغيب : رواته ثقات . وقوله جمعا مثلثة الجيم ساكنة الميم أي ماتت وولدها في بطنها ، يقال ماتت المرأة بجمع إذا ماتت وولدها في بطنها ، وقيل إذا ماتت عذراء أيضا.[2]

وقال السندي: قوله (بجمع) قال الخطابي: هو أن تموت وفي بطنها ولد زاد في النهاية وقيل أو تموت بكرا قال والجمع بالضم بمعنى المجموع كالذخر بمعنى المذخور وكسر الكسائي الجيم والمعنى أنها ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة.[3]

وقال ابن منظور : وفي حديث النبي، صلى الله عليه وسلم، أَنه ذكر الشهداء فقال: ومنهم أَن تموت المرأَة بجُمْعٍ؛ يعني أَن تموتَ وفي بطنها ولد، وكسر الكسائي الجيم، والمعنى أَنها ماتت مع شيء مَجْموع فيها غير منفصل عنها من حَمْل أَو بَكارة. وقد تكون المرأَة التي تموت بجُمع أَن تموتَ ولم يمسّها رجل، الكسائي: ما جَمَعْتُ بامرأَة قط؛ يريد ما بَنَيْتُ. وباتتْ فلانةُ منه بجُمْعٍ وجِمْعٍ أَي بكراً لم يَقْتَضَّها. قالت دَهْناء بنت مِسْحَلٍ امرأَة

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {جمع}

[2] عون المعبود شرح سنن أبي داود مجلد ٤ ج ٨ ص ٢٦٢

[3] حاشية السندي على سنن ابن ماجة، ج ٣ ص ٣٦٣

العجاج للعامل: أَصلح الله الأَمير إِني منه بجُمع وجِمْع أي عَذْراء لم يَقْتَضَّني. وماتت المرأة بجُمع وجِمع أَي ماتت وولدها في بطنها، وهي بجُمع وجِمْع أَي مُثْقلة. أَبو زيد: ماتت النساء بأَجْماع، والواحدة بجمع، وذلك إِذا ماتت وولدُها في بطنها، ماخِضاً كانت أَو غير ماخَضٍ. وإِذا طلَّق الرجلُ امرأَته وهي عذراء لم يدخل بها قيل: طلقت بجمع أَي طلقت وهي عذراء.[1]

وقال ابن السكيت: يقال هلكت فلانة بجمع أي وولدها في بطنها وجمع لغة ويقال أيضا للعذراء هي بجمع وجمع وقالت الدهناء ابنة مسحل امرأة العجاج حين نشزت عليه للوالي أصلحك الله إني منه بجمع وإن شئت بجمع أي عذراء لم يفتضني.[2]

والصحيح القول الأول لحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهَادَةٌ وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ وَالْمَرْأَةُ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا جُمْعًا شَهَادَةٌ.[3] فإنه دل دلالة واضحة على أن المراد بقوله جمعا: المرأة التي قتلها ولدها وهو القول الأول.

---

(1) لسان العرب، مادة: جمع

(2) إصلاح المنطق ج ١ ص ٣٦

(3) مسند الإمام أحمد، مسند عبادة بن الصامت، حديث رقم: ١٧١٢٩، وحديث رقم: ٢١٦٢٧، وحديث رقم: ٢١٦٩٤/ سنن الدارمي، كتاب: الجهاد، باب: ما يعد من الشهداء، ٢٣٠٧.

المبحث الرابع

العلاج الدوائي من الفتى العانس

١ ـ الزواج أمر لا بد منه وواقع لا مفر منه

٢ ـ تشابه النساء في المستوى العام

٣ ـ التبكير بالزواج أفضل من تأخيره وتسويفه

المبحث الرابع

العلاج الدوائي من الفتى العانس

١ ـ الزواج أمر لا بد منه وواقع لا مفر منه :

على الشاب المبادرة بالزواج وسؤال الله الإعانة والتوفيق. وليعلم أن دعاء طالب الزواج مجاب: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ.[1]

قال المباركفوري: قوله: (ثلاثة حق على الله عونهم) أي ثابت عنده إعانتهم، أو واجب عليه بمقتضى وعده معاونتهم (المجاهد في سبيل الله) أي بما يتيسر له الجهاد من الأسباب والآلات (والمكاتب الذي يريد الأداء) أي بدل الكتابة (والناكح الذي يريد العفاف) أي العفة من الزنا. قال الطيبي: إنما آثر هذه الصيغة إيذانا بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره، لولا أن الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف لأنه قمع الشهوة الجبلية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعف وتداركه عون الله تعالى ترقى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليين.[2]

---

[1] سنن الترمذي، كتاب: فضائل الجهاد عن رسول الله، باب: ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله، حديث رقم: ١٥٧٩/ سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب: فضل الروحة في سبيل الله، حديث رقم: ٣٠٦٩

[2] تحفة الأحوذي ج ٥ ص ٢٤٢

فالزواج في حياة الناس أمر عادي بل ضرورة حتمية طبيعية ، تتسبب في إعمار الأرض ، فعلى الشاب وضع الزواج في الاعتبار ، والتهيؤ والاستعداد له وعدم تسويفه وإطالة مدته.

٢ ـ تشابه النساء في المستوى العام :

كثير من الباحثين عن الزوجة يريدون أن يكون لونها كذا وصفاتها كذا مما مر علينا ذكره في صفحات سابقة مفصلا في الإصرار على صفات معينة ، وباحث عن الزواج من هذا الصنف لا شك أن فترة اختياره وانتقاءه لبنت أفكاره ستطول.

فعلينا أن نعلم أن النساء يتشابهن في مستواهن العام، فهن في الجملة سواء، ويدل على ذلك شاهد من السنة : فَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَقَضَى حَاجَتَهُ وَخَرَجَ وَقَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ مَعَهَا [1]مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا.[2]

فعلى الراغب في الزواج أن يضع في ذهنه أن نساء الدنيا لسن كنساء الجنة، فللواحدة منهن علل كثيرة، ويشتركن كلهن في آفات مشتركة كالحيض والنفاس وقضاء الحاجة، فإدمان الفكر في جمال النساء وبغية أن تكون الواحدة منهن كذا، وتقليب الأنظار فيهن لا يجعل الإنسان ينصرف عن الإقدام في الزواج ابتداء بل قد يجعله ينصرف عن زوجته التي في عصمته كما ذكر أنه: دخل ابن عتيق على عبد الملك بن مروان وبين

---

[1] قال المباركفوري: قوله : (فقضى حاجته) أي من الجماع (أقبلت في صورة شيطان) شبهها بالشيطان في صفة الوسوسة والدعاء إلى الشر (فليأت أهله) أي فليواقعها (فإن معها) أي مع امرأته (مثل الذي معهما) أي فرجا مثل فرجها ويسد مسدها . (تحفة الأحوذي ج ٤ ص ٢٧٠)

[2] سنن الترمذي: كتاب الرضاع، باب: ما جاء في الرجل يرى المرأة تعجبه، حديث رقم: ١٠٧٨

يديه جاريتين تروحان عليه بمرحتين من ريش النعام وتغنيانه بأعذب الألحان، فقال : إن كن هؤلاء من إنس فما نساؤنا إلا من البهائم. فلما كررت بصري فيهما تذكرت الجنة، فإذا تذكرت امرأتي وكنت لها محبا تذكرت النار.[1]

٣ - التبكير بالزواج أفضل من تأخيره وتسويفه:

على الفتى بعد أن علم أن الزواج أمر لابد منه وواجب لا مفر من فعله أن يبكر بإنجازه واستباق الزمن وحدوث العوارض والشواغل والصوارف والانتهاء منه في مقتبل حياته والابتعاد عن التسويف والمطاطية والغلو في وضع صفات ومقاييس شريكة الحياة لأن هذا التمادي في مثل هذه الأمور قد يجر إلى عنوسة مستديمة أو على الأقل تأخير الزواج إلى وقت يخشى على صاحبه منه. فالأيام تجري والأسابيع تمضي والشهور تتعاقب والسنون تتلاحق والعمر يتناقص فبادر أخي بإنجاز هذا الأمر ولا تسوف فيه حتى بلوغ الثلاثين وما فوقها ثم تفكر في اختيار شريكة الحياة ويأخذ الاختيار منك زمنا ليس بالقصير لأن الإنسان صبر كل هذه المدة ولا يريد أن يقع هكذا كما يقولون. كما أن التجهيز يأخذ زمنا أطول فهي أول مناسبة وآخرها فلا يريدها أن تكون عادية وكل هذه الأمور تأخذ وقتا من الإنسان وعندما ينجب الإنسان أولادا من هذا الزواج الذي في هذه السن المتقدمة يكون أكبرهم ١٠ سنين ويكون أبوه في ٤٥ سنة على الأقل ويكون قد بدأ في التناقص في العمر والقوة فيبدأ في التفكير وفي الخوف على هؤلاء الأولاد إن حدث به حادث أو ادلهم به مدلهم من مدلهمات الحياة من موت أو مرض أو مصيبة من مصائب الزمان ماذا يكون شأنهم؟ ولكن زواج المرء المبكر يجعل الفارق بينه وبين أكبر أولاده ليس فارقا شاسعا كما كان السابقون ينتهجون هذا قال الراغب الأصفهاني: قيل:

---

[1] العقد الفريد

كان بين عمرو بن العاص وابنه عبد الله اثنا عشر سنة في السن ولا يعلم أحد كان بينه وبين أبيه هذا القدر، فأما من بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة فعددهم كثير. وقال حماد بن إسحاق بن إبراهيم : كان أبي أكبر مني بأربع عشرة سنة وأنا أكبر من ابني بأربع عشرة سنة والموفق أكبر من المعتضد بأربع عشرة سنة.[1]

ومن آيات الله التي ذكرها وامتن بها على عباده أن جعل لهم بنين من أصلابهم وحفدة من أصلاب أبنائهم، قال الله تعالى ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾[2] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَفَدَةً[3] مَنْ وَلَدَ الرَّجُلُ.[4] وقال عكرمة : الحفدة: من خدمك من ولدك وولد ولدك.[5]

وكان من دعاء السابقين أن أحدهم يدعو للآخر : خدمك بنوك ولا عدموك، وكان هذا معروفا لديهم ومن الطرائف التي تحكى أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال: خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال: وماء حارا أيضا بارك الله فيك.[6]

---

(١) محاضرات الأدباء مجلد ١ ج ١ ص ٣٢٣

(٢) سورة النحل آية ٧٢

(٣) حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً وحَفَداناً واحتفد: خفَّ في العمل وأسرع. وحَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً: خَدَم. والحَفْدُ في الخدمة والعمل الخفة.[لسان العرب، مادة: حفد]

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. سورة النَّحْلِ

(٥) تفسير الطبري، حديث رقم: ١٦٤٥٠

(٦) المستطرف في كل فن مستظرف ج ٥ ص ٥٠٢

الخَاتِمَة

بعد هذا التجوال في بعض أسباب العنوسة وآثارها وعلاجها والتي رأينا فيه تعريف العنوسة ومراحل أعمار النساء وموقعها من العنوسة، ورأينا الأسباب الخاصة بالعنوسة من المجتمع ومن أسرة الفتيات والفتيان ومن الفتاة نفسها ومن الفتى، ورأينا العلاج وأسبابه من المجتمع ومن الأسرة ومن الفتيان والفتيات، بعد هذه السياحة المباركة في هذه الأمور لعلنا نكون قد وفقنا في إلقاء بعض الأضواء على هذه الظاهرة أو على الأقل لفت الأنظار إليها والتنبيه عليها وإثارة حفائظ الحادبين من أبناء هذه الأمة عليها رحم الله امرأ رأى نقصا في هذا الكتاب فسده ونبه عليه، ورأى عيبا فستره وأصلحه وأرشد كاتبه له، لأني حقيقة قد جعلت عرضي غرضا لسهام الغادين والرائحين، وقد أحسن أبو العباس المبرد في قوله: إذا عمل الرجل كتابا أو قال شعرا فقد استهدف، فإن أحسن فقد استشرف وإن أساء فقد استقذف.[1]

والذي جرأني وحفزني على الإقدام على الكتابة في هذا الموضوع هو اتساع الجرح وعظم المشكلة وفداحة الأمر، والإسهام في حل هذه المعضلة بلفت الأنظار إليها ونيل دعوة صالحة تنالني من عانس أو ولي أمرها يرون أني قد اهتممت بأمرهم ولعلي في طبعات أخرى أتلافى القصور الذي يظهر لي بعد إعادة المراجعة والتدقيق وإضافة الأفكار التي تعن لي وتطرأ على ذهني بعد ذلك والتي أرجو أن يتحفني بها القراء الأفاضل.

---

[1] نثر الدر ج٧ص١٥٤

كما أوصي أولياء أمور البنات والأولاد على السواء الاهتمام بهذا الداء العضال وقطعه من جذوره واجتثاثه من أصوله لتهوى شجرته، وتنقطع مادته، لما له من آثار خطيرة على الفرد والمجتمع كما رأينا في هذا الكتاب، كما أوصي أخواتي العوانس اللاتي ظفرن بأزواج عدم نسيان ما كن فيه من عنوسة، وتذكر نعمة الله عز وجل بإنعامه عليهن بهذا الزوج ولا يكن كمن عناهن القائل:

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ... ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا

ولم يك في بؤس إذا بات ليلة ... يناغي غزالا ساجي الطرف أكحلا[1]

وفي ختام هذا الكتاب الله أسأل أن يجنبني خطل القول وزلة القلم وأن ينفعني بهذا العمل يوم فقري إليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[1] شرح ديوان حماسة أبي تمام، ج ١ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣

قائمة المصادر

ـ الآبي: أبو سعيد منصور بن الحسن، نثر الدر تحقيق محمد علي قرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٤م

ـ الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت.

ـ .... صحيح الجامع الصغير وزيادته ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

ـ الأصفهاني: علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، دار الكتب المصرية القاهرة ، (ب . ت)

ـ الألوسي: السيد محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح محمد بهجة الأثرى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان (ب . ت)

ـ الأنطاكي: داود الأنطاكي المعروف بالأكمه تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق الطبعة الثانية المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣١٩ هـ

ـ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، بن عبد الواحد الشيباني، الجرمي، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة دار الفكر لبنان بيروت ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م

ـ ابن الأثير: أبو السعادات، المبارك بن محمد بن عبد الكريم، بن عبد الواحد الشيباني، الجرمي، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية بيروت ، (ب . ت)

ــ ابن تيميه: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد السلام بــن عبــد الحلــيم الحــراني الدمشقي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ــ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ١٤٠٦هــ

ــ ابن الجوزي: الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، ذم الهوى ، صححه : أحمد عبد السلام عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هــ ــ ١٩٨٧م

ــ .... كتاب الأذكياء، مكتبة الغزالي (ب.ت)

ــ .... سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ضــبط وتعليــق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤هــ ــ ١٩٨٤م

ــ .... صيد الخاطر، المكتبة العلمية، بيروت، (ب.ت)

ــ .... مناقب الإمام أحمد، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي

ــ ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي،المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنى بتصحيحه دكتورة إيلزة لــيختن ســتيتر، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت.

ــ ....المنمق في أخبار قريش. صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فارق، عالم الكتب.

ــ ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميــز الصحابة الإصابة، طبع دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨هــ ــ ١٩٧٨م.

ــ .... فتح الباري شرح صحيح البخاري ــ بيروت ــ دار المعرفة، (ب.ت)

ــ ابن حمزة الحنفي الدمشقي: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف المكتبة العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هــ ــ١٩٨٢م

ــ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، أمالي ابن دريد، تحقيق السيد مصطفى السنوسي الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ــ ابن سلام: محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة (ب . ت)

ــ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي، بهجة المجالس وأنيس المُجالِس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، مراجعة د. عبد القادر القط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (ب.ت)

ــ ابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق د. مفيد محمد قميحة و د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م

ــ ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

ــ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ: علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

ــ .... الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف (ب . ت)

ــ .... عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م

ــ .... غريب الحديث، صنع فهارسه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م

ــ .. كتاب المعارف الطبعة الرابعة. تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف القاهرة، (ب.ت)

ـ ....كتاب المعاني الكبير في أبيات المعـاني، دار الكتـب العلمية بيروت الطبعة ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٤م

ـ ابن القيم: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية روضة المحبين ونزهة المشـتاقين، نشـر دار الوعي حلب، ١٣٩٧هـ

ـ .... زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

ـ ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البدايـة والنهاية الطبعة الأولى، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وجماعة دار الكتـب العلميـة بـيروت ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م

ـ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكّرم بن مكرّم بن علي بن أحمد بـن أبي القاسم بن حبقة بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكـبير، ومحمـد أحمـد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، طبع دار المعارف، (ب . ت)

ـ أبو زيد : بكر عبد الله ، الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهـم وأسـباب ذلـك، والنقض على من وحّد السبب، مكتبة المعارف الرياض ، ١٤٠٥هـ

ـ أبو حنيفة الدينوري: أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبـد المـنعم عـامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، منشورات الشريف الرضي، من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠م

ـ البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبـة الجعفـي، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

ـ .... الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية بيروت، (ب . ت)

ـ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، كتاب جمل من أنساب الأشراف، حققه وقدم له: د. سهيل زكار و د. رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

ـ البكري: الوزير أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأونبي، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

ـ البغدادي: عبد القادر، خزانة الأدب، طبعة بولاق ١٢٩٩هـ

ـ التجاني: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم التجاني، تحفة العروس ونزهة النفوس، تحقيق أبي هاجر، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

ـ الترمذى: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية ، (ب. ت)

ـ الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت لبنان ، (ب . ت)

ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البرصان والعرجان (من ضمن رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هرون الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م دار الجيل بيروت

ـ ....البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب بيروت، (ب. ت)

ـ .... كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هرون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (ب. ت)

ـ .... المحاسن والأضداد، شرح د. يوسف فرحات، طبع دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

ـ الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

ـ الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان (ب . ت)

ـ خميس: عبد الله بن محمد، التوارد، طبع دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م

ـ الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام، سنن الدارمي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، نشر دار السنة النبوية، (ب.ت)، طبع بعناية محمد أحمد دهمان.

ـ ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م

ـ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

ـ .... سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

ـ الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين محمد ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت (ب . ت)

ـ الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري، الكشاف ،تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

ـ الزنجاني: محمود بن أحمد، تهذيب الصحاح، تحقيق: عبد السلام محمد هرون، أحمد عبد الغفور عطار، دار المعارف بمصر
ـ السباعي: مصطفى، القلائد في فرائد الفوائد
ـ السلمان: عبد العزيز المحمد، موارد الظمآن لدروس الزمان، الطبعة الثامنة عشر ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م
ـ السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع دار الجيل بيروت سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م
ـ الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر ـ ١٣٩٦هـ
ـ صبير: عبد المنعم عثمان عبد الله، غنية المحتاج إلى بناء الأسرة وأنواع الزواج (تحت الطبع)
ـ .... الخلافات بين الزوجين : أسبابها ـ آثارها ـ علاجها (تحت الطبع)
ـ .... الخلافات بين الأقارب : أسبابها ـ أعراضها ـ علاجها (تحت الطبع)
ـ .... المخالفات الشرعية في الأشعار العربية من فترة صدر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية (رسالة دكتوراه من كلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية) ١٩٩٩م.
ـ الطيب: عبد الله ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الناشرون مطبعة دار جامعة الخرطوم، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م
ـ العباسي: عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع عالم الكتب بيروت ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م
ـ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الناشر مؤسسة مناهل العرفان بيروت، توزيع مكتبة الغزالي دمشق

ـ مالك: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، إعداد أحمد راتب عرموش.

ـ المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ مطبعة التقدم العلمية بمصر

ـ المدائني: أبو الحسن علي بن محمد المدائني، كتاب المردفات من قريش، من ضمن مجموعة نوادر المخطوطات الطبعة الأولى، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

ـ الميداني: لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان (ب . ت)

ـ نقشة: حسين محمد (دراسة وتحقيق)، شرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ١٩٩١م ـ ١٤١١هـ

ـ الهاشمي: أحمد، جواهر الأدب لأحمد الهاشمي الطبعة الثلاثون، دار الفكر للطباعة والنشر

الفِهرِس

المقدمة ١

الباب الأول

العنوسة توضيح وأرقام

الفصل الأول

تعريف العنوسة وبيان موقعها من ترتيب أعمار النساء

المبحث الأول

تعريف العنوسة

١ ــ تأخر زواج الفتاة وطول مكثها في مترل أهلها ٣٤

أ ــ تأخر الزواج بسبب التعنيس ٣٤

ب ــ تأخر الزواج لعدم وجود الزوج ٣٤

٢ ــ الرجل الذي لم يتزوج ٣٥

٣ ــ التغير في الإنسان ٣٥

أ ــ تغير الوجه ٣٥

ب ــ مخالطة البياض الرأس ٣٦

٤ ــ طول ذنب الناقة ٣٦

٥ ــ العنس : الإبل ٣٦

أ ــ الناقة القوية الصلبة ٣٦

ب ــ الجمل السمين ٣٦

٦ ــ العنس : عطف العود وقلبه ٣٧
٧ ــ العنس : العقاب ٣٧
٨ ــ عنس قبيلة يمنية ٣٧
٩ــ العناس : المرآة ٣٧
١٠ ــ عُنَيِّس : اسم رَمْل معروف ٣٧
١١ ــ العنس الصخرة ٣٨

المبحث الثاني
ترتيب أعمار النساء

١ ــ الطفلة : ٤٤
٢ ــ الوليدة : ٤٥
٣ ــ الكاعب: ٤٦
٤ ــ الناهد ٤٧
٥ ــ المفلكة: ٤٧
٦ ــ المعصر : ٤٨
٧ ــ العانس : ٤٩
٨ ــ الخود : ٤٩
٩ ــ المسلف : ٥٠
١٠ ــ النصف : ٥٠
١١ ــ الشهلة ٥١
١٢ ــ الكهلة : ٥١
١٣ ــ الشهبرة : ٥٢

١٤ ــ الحيزبون : ٥٣

١٥ــ القِلعم : ٥٣

١٦ ــ اللطلط : ٥٣

المبحث الثالث

الحد العمري للعنوسة ٥٦

الفصل الثاني

هل العنوسة مقصورة على النساء أم تشمل الرجال أيضا؟.......... ٦٦

الفصل الثالث

العنوسة في عالمنا العربي والإسلامي إحصاء وأرقام ٧١

١ ــ العنوسة في مصر ٧١

٢ ــ العنوسة في المملكة العربية السعودية.................... ٧٥

٣ ــ العنوسة في سوريا.. ٧٧

٤ ــ العنوسة في الكويت...................................... ٨٠

٥ ــ العنوسة في قطر ٨١

٦ ــ العنوسة في البحرين ٨٢

٧ ــ العنوسة في الإمارات العربية.............................. ٨٢

٨ ــ العنوسة في الأردن ٨٩

٩ ــ العنوسة في السودان ٩٢

١٠ ــ العنوسة في المغرب ٩٣

١١ ــ العنوسة في الجزائر ٩٤

١٢ ــ العنوسة في تونس ٩٤

١٣ ــ العنوسة في اليمن ٩٥

١٤ـــ العنوسة في فلسطين ٩٧
١٥ ـــ العنوسة في لبنان ١٠١
١٦ ـــ العنوسة في نيجيريا ١٠٥
١٧ ـــ العنوسة في تركيا ١٠٦
١٨ – العنوسة في باكستان ١٠٨

الباب الثاني

أسباب العنوسة

الفصل الأول

أسباب العنوسة عند المجتمع ١١٣
١ ـــ وضع العوائق والعراقيل أمام من يتقدم لعانس ١١٣
٢ ـــ الانفلات الأخلاقي ١١٥
٣ ـــ العادات والتقاليد ١١٩
٤ ـــ تقدم أحد كبارات المجتمع ورجالاته لفتاة ثم فراقه لها ١٢١
٥ ـــ السخرية والاستهزاء من الحلول الجماعية ١٢٥
٦ ـــ مواجهة الزواج المبكر لدى الشبان والشابات: ١٢٧

الفصل الثاني

أسباب العنوسة عند الأسرة ١٣٤
١ ـــ الاشتطاط في المهر : ١٣٤
٢ ـــ مطاوعة البنت في رفضها للمتقدمين لها من دون مبرر شرعي ولا مسوغ ١٣٨
٣ ـــ التعنيس والإعضال ١٤١
أ ـــ منع المرأة من الرجوع إلى مطلقها: ١٤١

ب ــ تعنيس المرأة ومنعها من الزواج ابتداء : ١٤٣
ج ــ منع المرأة وحبسها عن زوجها : ١٤٤
د ــ التعنيس بسبب الطمع المادي : ١٤٥
هـ ــ التعنيس بسبب حاجة الوالد الكبير للبنت لتخدمه : ١٤٥
٤ ــ الوضع الاجتماعي ١٤٧
٥ ــ عدم البحث عن زوج للعانس أنفة وكبرا ١٥٢
٦ ــ عدم وضع عنوسة الأولاد في الاعتبار ١٥٤
٧ ــ التاريخ السيئ للعائلة ١٥٥
٨ ــ تقصير الأسرة في تربية وتعليم الأبناء ١٥٧
٩ ــ إصرار الأسرة على زواج الفتى من فتاة معينة ورفضه لذلك ١٥٨
١٠ ــ عدم ترحيب الوالدين بزواج الابن بل رفضهما له بحجة أنه لم يقدم لهما شيئا ١٦٠

الفصل الثالث

أسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات

١ ــ مواصلة التعليم والانشغال بالدراسة ١٦٣
أولا: ــ مواصلة التعليم عند الفتاة: ١٦٣
ثانيا ــ الانشغال بالدارسة عند الفتى: ١٦٦
٢ ــ القبح والدمامة: ١٦٧
أولا: القبح والدمامة عند الفتيان : ١٦٧
ثانيا: القبح والدمامة عند الفتيات: ١٧٩
٣ ــ العاهات والإعاقات : ١٨٧
أولا: العاهات والإعاقات عند الفتى: ١٨٧

ثانيا: العاهات والإعاقات عند الفتاة :	١٨٨
٤ ــ الزهد في الزواج :	١٩٥
أولا: الزهد في الزواج عند الفتى:	١٩٥
أ ــ الزهد في الزواج للحصر وعدم المقدرة على إتيان النساء :	١٩٥
ب ــ الزهد في الزواج بخلا من الإنفاق على الزوجة الأولاد	١٩٦
ج ــ الزهد في الزواج خوفا من مسئولية النساء أمام الله يوم القيامة : ..	١٩٩
د ــ الزهد في الزواج خوفا من عقوق الأبناء الذين هم نتاج الزواج : ...	٢٠٠
هـ ــ النظرات الفلسفية في الزواج :	٢٠١
و ــ ابتداع الزوج :	٢٠٢
ز ــ الزهد في الزواج رغبة في الحور العين بدلا عن الحور الطين:	٢٠٣
ح ــ معايشة تجارب زواج فاشلة :	٢٠٦
ط ــ الزهد في الزواج تتلا :	٢٠٩
ي ــ الزهد في الزواج اكتفاء بالتجارب الزوجية السابقة	٢١٦
ــ الزهد في تكرار تجربة زواج أخرى	٢١٧
ــ الفشل في تجارب زوجية سابقة:........................	٢١٧
ثانيا: الزهد في الزواج عند الفتاة	٢١٩
أ ــ الزهد في الزواج لمعايشة تجارب زواج فاشلة :	٢١٩
ب ــ الزهد في الزواج لعظم مسئوليته:	٢٢١
ج ــ الزهد في الزواج لمشاهدة أخلاقيات الأزواج :	٢٢٢
٥ ــ الفساد الخلقي :	٢٢٣
أولا: الفساد الخلقي عند الفتيان :	٢٢٣

ثانيا: الفساد الخلقي عند الفتيات: ٢٢٦
٦ ـ الغلو في اختيار شريك الحياة: ٢٢٩
أولا: إصرار الفتى على لون أو جنس أو شكل معين من الفتيات: ٢٢٩
ثانيا: وضع صفات خيالية ينبغي توفرها في الزوج المتقدم: ٢٣١
٧ـ الوفاء لزوج أو عشيق: ٢٣٧
أولا: الوفاء لزوج: ٢٣٧
الغادرات من النساء: ٢٤٥
ـ سلمى زوجة صخر بن عمرو بن الشريد السلمي: ٢٤٥
ـ غادر جارية موسى الهادي: ٢٤٦
ـ أم سلمة بنت يعقوب المخزومية: ٢٤٧
ثانيا: العشق: ٢٤٨
٨ـ وجود بنات بالبيت لم يتزوجن: ٢٥٥
أولا: وجود بنات بالبيت لم يتزوجن بالنسبة للفتى: ٢٥٥
ثانيا: وجود أخوات أكبر من الفتاة لم يتزوجن: ٢٥٧
٩ ـ وجود أطفال: ٢٦٠
أولا: وجود أطفال بالنسبة للرجل: ٢٦٠
ثانيا: وجود أطفال للمرأة: ٢٦١
أ ـ رغبة المرأة في الزواج وإحجام المتقدمين لها لوجود الأطفال: ٢٦١
ب ـ الإشبال على الأطفال: ٢٦٣
ج ـ خوف المرأة من أذى وإزعاج الأطفال للزوج المتقدم: ٢٦٨
١٠ـ الطلاق: ٢٧١

أولا: الطلاق عند الفتيان: ٢٧١
ثانيا: الطلاق عند الفتيات : ٢٧٨
١١ــ كثرة اللقاءات بين الخطيبين: ٢٨٠
١٢ ــ جواز سن الزواج والغفلة عن العنوسة: ٢٨٧
أولا: جواز الفتى سن الزواج المتعارف عليها في المجتمع : ٢٨٧
ثانيا: الغفلة عن العنوسة عند الفتاة: ٢٨٨
١٣ــ العقم: ٢٩٠

الفصل الرابع
أسباب العنوسة عند الفتيات

١ ــ الاستلاب الحضاري: ٢٩٣
٢ ــ الاغترار بالجمال والمال والعلم: ٢٩٦
٣ــ الفقر: ٢٩٨
٤ــ السحر والمس: ٣٠١
٥ــ الوقوع في المخالفات الشرعية ككثرة الدخول والخروج والتبرج ونحوه: ٣٠٥
٦ ــ زواج الفتيان من نساء أجنبيات: ٣٠٩
٧ــ التشاؤم ببعض النساء: ٣١٨
٨ــ القوة والبأس والشدة : ٣٢٤
٩ــ فسخ خطوبة الفتاة : ٣٢٨
١٠ــ طبيعة عمل المرأة: ٣٣٠
١١ــ اتصاف المرأة بصفات تعلم أنها لا تمكنها من الزواج: ٣٣٠
١٢ ــ الاعتداء على الفتاة في الصغر: ٣٣٢

الفصل الخامس
أسباب العنوسة عند الفتيان

١ـــ إطالة أمد الخطبة ٢٤٦
٢ ـــ التمسك بمبدأ تكوين النفس ومطاطيته ٢٤٩
٣ـــ عدم الاستعداد لتحمل مسئوليات الزواج وما ينتج منه ٣٥١
٤ـــ تكرار الرفض للفتى مما سبب له إحباطا وعزوفا عن الزواج ٣٥٢
٥ـــ إعالة الفتى لأسرته ٣٥٧
٦ـــ العطالة ٣٥٨
٧ـــ الانشغال بالسفر ٣٦٠
ـــ ملاحظة وتنبيه ٣٦١

الباب الثالث
آثار العنوسة
الفصل الأول
آثار العنوسة على الفتاة
المبحث الأول

الآثار الجسمانية للعنوسة ٣٦٧
١ـــ الذبول ٣٦٨
٢ـــ شحوب الوجه واللون... ٣٦٩
٣ـــ هزال الجسم... ٣٧١
٤ـــ تخدد الوجه... ٣٧٣
٥ـــ ذهاب البكارة.. ٣٧٤
٦ـــ شيب الرأس.. ٣٧٦

٧ ــ مشاكل وتغيرات صحية : ٣٧٩

المبحث الثاني
الآثار النفسية للعنوسة

١ــ الحزن والاكتئاب ٣٨٧
٢ــ القلق والسهر........................ ٣٨٨
٣ــ الشك وسوء الظن والتأويل ٣٩٢
٤ــ نظرات المجتمع إلى العانس........................ ٣٩٣
٥ ــ نشوء أمراض الحسد والبغض........................ ٣٩٥
٦ــ الانتحار........................ ٣٩٦
٧ــ الإغراق في الأماني والإسقاط عما في دواخل النفس : ٣٩٨
أ ــ الإغراق في الأماني : ٣٩٨
ب ــ الإسقاط عما في دواخل النفس........................ ٤٠٢
٨ــ الخداع والتغرير وإخفاء العمر الحقيقي:........................ ٤٠٨
٩ــ الذهاب إلى الكهنة والعرافين: ٤١١
١٠ــ الوقوع في المخالفات الشرعية :........................ ٤١٨
١١ــ الشرود الذهني وإدمان الفكر: ٤٢٤
١٢ــ اليأس والإحباط : ٤٢٧

المبحث الثالث
الآثار الاقتصادية للعنوسة

١ــ التأنق في الملبس ٤٣٢
٢ــ الإكثار من استعمال الكريمات والأصباغ والعطور............ ٤٣٤
٣ــ إرهاق الوالدين بكثرة المطالب........................ ٤٣٩

٤ــ الاستغلال ٤٤١

أ ــ الاستغلال المالي :.. ٤٤١

ب ــ الاستغلال البطني :.. ٤٤٥

ج ــ الاستغلال الاستمتاعي:.. ٤٤٥

د ــ استغلال مكانة وجاه العانس ومكانة أهلها وجاههم ٤٤٦

هــ ــ استغلال إيذاء الشعور : ٤٤٧

الفصل الثاني
آثار العنوسة على أهل الفتاة

١ــ الانشغال الدائم بالعانس والتفكير فيها.................... ٤٤٩

٢ــ الاقتصار على الإقامة بالبلاد والحد من حرية التنقل ٤٥٠

٣ــ حمل هم العانس والاهتمام بها إلى آخر لحظة من حياة وليها......... ٤٥١

الفصل الثالث
آثار العنوسة على المجتمع

١ــ كثرة العوانس مظهر من مظاهر عدم التعاون في المجتمع.......... ٤٥٩

٢ــ ظهور أمراض وعادات وافدة على المجتمع المسلم ٤٦١

٣ ــ المكابرة في الثوابت والمسلمات ٤٦٢

ــ نريد حلا.. أو زواجا عرفيا!.................................. ٤٦٣

قصص من الزواج العرفي جنت على أصحابها: ٤٦٥

٤ ــ ظهور الفواحش وكثرتها : ٤٧٢

أ ــ اللواط ٤٧٤

ب ــ السحاق ٤٧٤

ج ــ الاستمناء ٤٧٥

د ـ الزنا ٤٧٥

الباب الرابع

علاج العنوسة

الفصل الأول

أنواع الأمراض والعلل وعلاجها

المبحث الأول

أنواع الأمراض والعلل ٤٨٠

١ـ مرض في الجسم وهي الأمراض الحسية ٤٨٥

٢ـ مرض في القلب وهي الأمراض المعنوية ٤٨٥

أ ـ الكفر والشرك والنفاق.................................... ٤٨٦

ب ـ حب الزنا والفواحش والفجور ٤٨٦

المبحث الثاني

من أنواع العلاج الذي يتعالج به الإنسان ٤٨٩

١ـ القرآن الكريم ٤٩٠

٢ ـ الأدعية الشرعية.. ٤٩٤

٣ـ شرب ماء زمزم ٤٩٥

الفصل الثاني

اهتمام الأمم والشعوب بدفع داء العنوسة

المبحث الأول

دفع العنوسة عند العرب ٥٠٣

١ ـ نشر الشعر وكحل إحدى العينين ٥٠٤

٢ ـ الدعاية والإعلان ٥٠٥

أ ـ طلب المرأة من أحد الشعراء أن يشبب بها ٥٠٦

ب ــ طلب الوالدين من الشاعر أن يشبب بابنتهم: ٥٠٧
ج ــ طلب الأب من أحد الشعراء إشهار أمره ٥٠٧
د ــ عرض الفتيات وهن صغار على أهل الحي قبل حجبهن :.......... ٥٠٨
٣ ــ الدعاء والتمني: ٥٠٩
أ ــ الدعاء : ٥٠٩
ب ــ التمني ٥٠٩
٤ ــ عرض المرأة نفسها على الرجال: ٥١٢
٥ ــ سرعة الإجابة للخاطبين : ٥١٣
٦ ــ التزين: ٥١٤
٧ ــ الكذب والإشاعات لتنفيق الأيم : ٥١٦
٨ــ حث المرأة أهلها على زواجها واستعجالهم بإدخالها على زوجها .. ٥١٨
أ ــ حث أهلها على زواجها :.............................. ٥١٨
ب ــ استعجالها أهلها بإدخالها على زوجها حين زواجها :........... ٥١٨
٩ ــ الاستعانة بالمراسلات من النساء ٥١٩
١٠ ــ اللجوء إلى الخداع والتغرير واستبدال العانس بغيرها ٥٢٧
١١ ــ وجود ذاكرين للأسر وواصفين لجمال النساء : ٥٢٩
أ ــ الذاكرون للأسر : ٥٢٩
ب ــ الواصفون من النساء.................................. ٥٣٠
ج ــ الواصفون من الرجال : ٥٣١
ــ هيت يصف امرأة لعبد الله بن أبي أمية: ٥٣١
ــ رجل يصف امرأة لسعد بن أبي وقاص : ٥٣٦

المبحث الثاني

دفع العنوسة عند غير العرب ٥٣٨

١ ــ الكتابه إلى الصحف: ٥٣٩

أ ــ سن قانون يبيح تعدد الزوجات: ٥٣٩

ب ــ الإغراء بالمال: ٥٤٠

٢ ــ الاتصال بالسماسرة: ٥٤٠

٣ ــ استعمال المثيرات كالأصباغ والروائح: ٥٤٠

٤ ــ تكوين نقابات وجمعيات تساهم في حل المشكلة : ٥٤١

٥ ــ تعليق ورقة على الصدر : ٥٤٢

الفصل الثالث

العلاج الوقائي للعنوسة

المبحث الأول

العلاج الوقائي من المجتمع

١ ــ تجفيف أماكن الفساد بتطبيق شرع الله ٥٤٥

٢ ــ قيام ندوات ومحاضرات عن أهمية الزواج ومخاطر العنوسة ٥٤٥

العانس تتحدث ٥٤٨

التعاون والتكافل بديلان للتعدد ٥٤٨

أين الواحدة حتى أُعدد ؟ ٥٤٩

٣ ــ تقليل المهور ٥٥٠

٤ ــ الاستفادة من التاريخ وتجارب الأقدمين في تعاملهم مع ظاهرة العنوسة ٥٥١

المبحث الثاني

العلاج الوقائي من الأسرة

١ ــ وضع مغريات لابنتهم حتى يرغب فيها ٥٥٥

٢ ــ عرض بناهم على الصالحين ٥٥٦
أ ــ الرجل الصالح يعرض ابنته على موسى عليه السلام ٥٥٧
ب ــ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرض ابنته : ٥٦٣
ج ــ زوجة تعرض أختها على زوجها قبل علمها بتحريم الجمع بين الأختين: ٥٦٦
د ــ صحابي يعرض ابنته ذاكرا علتها: ٥٦٧
٣ ــ الاهتمام بالتربية: ٥٦٨
٤ ــ معرفة الأسباب الحقيقية لعزوف الأبناء عن الزواج ٥٦٩
٥ ــ السعي نحو تزويج الأبناء وعدم ربط زواجهم بالبنات اللاتي لم يتزوجن ٥٧٠
٦ ــ الاستعاذة بالله من بوار الأيم ٥٧١
٧ ــ التحذير من رد الأكفياء من الأزواج ٥٧٣
٨ ــ تخفيف المهور والتعاون عليها : ٥٧٥
أ ــ تخفيف المهور ٥٧٥
ب ــ التعاون على توفير المهر ٥٨٠
٩ ــ إفهام الفتاة عظم مكانة الزوج وأهميته لئلا تفرط فيه إن ظفرت به .. ٥٨٩
١٠ ــ إلحاق البنت بمن هوى ٥٩٠

المبحث الثالث
العلاج الوقائي من الفتاة العانس

١ ــ عرض نفسها على الصالحين: ٥٩٣
٢ ــ قبول التعدد والمناداة به: ٥٩٦
٣ ــ تشجيع الراغب في الزواج منها وإعانته ومده بالمال: ٦٠٢
٤ ــ الطلب من ولاة الأمر الاهتمام بأمرها وتزويجها:........ ٦٠٣

٥- استعطاف العانس وتنبيهها من تراه سببا لحل مشكلتها:............ ٦٠٤
أولاً :أ – استعطاف العانس أباها وتخويفه بالله عزَّ وجلَّ إن كان عاضلاً لها ٦٠٤
ب- تنبيه العانس أباها أنَّ إعضالهُ لها قد يكون سبباً لفجورها ٦٠٩
ثانيا: استعطاف العانس المجتمع وتبيين أنها جزء منه فلا يغفل عنها ٦١٠

المبحث الرابع
العلاج الوقائي من الفتى العانس

١ ــ المبادرة بالزواج والسعي نحو إعفاف نفسه وإحصانها ٦١٥
٢ ــ معرفة النفس وقوتها وقدرتها على تحمل تبعات الزواج ٦١٨

المبحث الخامس
العلاج الوقائي من المجتمع

١ ــ عمل دراسات وبحوث ووضع حلول لمشاكل العنوسة ٦٢٠
٢ ــ عمل تحقيقات مع العوانس وأولياء أمورهن ٦٢٠
٣ ــ معرفة سهولة الزواج ويسره عند السابقين والاستفادة منه ٦٣٢
أ ــ زواج ابنة سعيد بن المسيب من أبي وداعة ٦٣٢
ب ــ زواج شريح القاضي : ٦٣٥
٤ ــ الدعوة إلى تيسير الزواج ٦٣٧

المبحث السادس
معرفة أمثلة لقصص واقعية من العنوسة والاستفادة منها

أولا:معرفة أمثلة ونماذج لقصص واقعية دامية من العنوسة حتى يعتبر بها المعتبرون ٦٤٠
١ــ خذوا شهاداتي وأسمعوني كلمة ماما: ٦٤٠
٢ ــ أفكر في إحراق شهاداتي: ٦٤١
٣ ــ أحزان خلف الجدران: ٦٤٣

٤ ــ طاعة النساء ندامة: ٦٤٣
٥ ــ عنوسة بسبب إعضال الوالد: ٦٤٤
٦ ــ إعضال بسبب مواصفات زوج قياسية يؤدي إلى الفاحشة:........... ٦٤٥
٧ ــ عنوسة بسبب الدراسة:........................ ٦٤٦
٨ ــ إعضال نتج عنه ما لا تحمد عقباه: ٦٤٦
٩ ــ عنوسة بسبب إعضال : ٦٤٧
١٠ ــ عانس ترسل رسالة تفصح عن مكنون نفسها: ٦٤٧
١١ ــ اقرأ وتأمل: ٦٥١
١٢ ــ يقولون : غلاء مهور غلاء مهور غلاء مهور : ٦٥٣
١٣ ــ حرمك الله يا أبي الجنة كما حرمتني من الزواج: ٦٥٤
١٤ ــ العنوسة قاتلة : ٦٥٤
١٥ ــ العنوسة تولد الحقد: ٦٥٦
١٦ ــ عانس حائرة من سبب عنوستها: ٦٥٧
١٧- أب مثالٌ في الاهتمام ببناته لو توجّه بالبحث عن أزواجٍ لهُنَّ ٦٥٧
١٨ ــ العنوسة التي صارت هاجسا للفتيات: ٦٥٨
١٩ ــ عانس بلغ سيل معاناها زباه وجاوز حزامه الطبيين: ٦٥٨
٢٠ ــ إيذاء شعور العانس بالنظرات والعبارات: ٦٥٩
٢١ ــ عانس مثقفة : ٦٥٩
٢٢ ــ وجاء العانس النذير : ٦٦٠
٢٣ ــ أمهات يتسببن في عنوسة بناهن : ٦٦١
٢٤ ــ يا أختاه لك الله ونعم بالله: ٦٦٢

٢٥ ـ الصبر حيلة من لا حيلة له : ٦٦٤
٢٦ ـ الوقت لا ينتظرك والمجتمع لا يعذرك فاقبلي بأنسب شيء ٦٦٥
٢٧ ـ رسالة من طبيبة مشهورة (عانس) إلى إحدى المجلات:............ ٦٦٥
٢٨ ـ صرخة عانس: ٦٦٧
٢٩ ـ الحمد لله الذي رزق ذا الرقعتين:.............................. ٦٧٠
٣٠ ـ وحيل بينهم وبين ما يشتهون: ٦٧١
٣١ ـ عوانس أرض الكنانة يفصحن عن مكنونات أنفسهن:.............. ٦٧٢
٣٢ ـ عوانس الجزائر يدلين بدلوهن: ٦٧٤
٣٣ـ عوانس أرض الرافدين يجنين فقداهن عمر بن الخطاب: ٦٧٥
٣٤ـ من قصص العنوسة في المغرب : ٦٧٦
ثانيا : الاستفادة من هذه القصص وأخذ العظة والعبرة منها ٦٨٧

الفصل الرابع
العلاج الدوائي للعنوسة
المبحث الأول
العلاج الدوائي من المجتمع

١ ـ تشجيع التعدد والعمل به ٦٨٧
النبي صلى الله عليه وسلم يمارس التعدد : ٦٩٠
ـ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : ٦٩٢
ـ الحسن بن علي رضي الله عنه : ٦٩٣
ـ حماد بن سلمة رحمه الله تعالى : ٦٩٤
ـ محمد بن الطيب بن سعد بن موسى بن أبي بكر الصباغ : ٦٩٤
٢ ـ تبني مشاريع الزواج الجماعي ٦٩٧

٣ ــ البحث عن أزواج للعوانس ٧٠٣
٤ ــ سؤال العانسين عن سبب عنوستهم بغية حلها : ٧٠٥
أ ــ سؤال العانسين من الرجال عن سبب عنوستهم.................. ٧٠٥
ــ النبي صلى الله عليه وسلم وعازف عن الزواج.................. ٧٠٦
- سؤال عمر بن الخطاب رجلاً عن سبب عدم زواجه ٧٠٨
ــ سؤال عبد الرحمن بن عوف المقداد بن الأسود عن سبب عدم زواجه : ٧٠٨
ــ سؤال طاووس بن كيسان اليماني إبراهيم بن ميسرة عن سبب عدم زواجه: ٧٠٩
ــ سؤال زياد بن أبيه عامر بن عبد القيس عن سبب عدم زواجه:.. .... ٧٠٩
ب ــ سؤال العوانس الممتنعات عن الزواج : ٧١٠
٥ ــ الشفاعات والجمع بين الراغبين في الزواج ٧١٠
أ ــ الشفاعات : ٧١٠
ب ــ الجمع بين الراغبين في الزواج : ٧١٢
٦ ــ تشجيع زواج المسيار للأرامل والمطلقات وذوات الأعذار من النساء ٧١٤
نماذج جربته وتتكلم إيجابا عنه:.................. ٧١٦
نماذج من النساء تتكلم سلبا عنه:.................. ٧٢٣

المبحث الثاني
العلاج الدواني من الأسرة

١ــ الصبر والاحتساب ٧٢٦
٢ــ بث الثقة في نفس ابنتهم وإعلامها أن ما حدث لا دخل لها فيه.... ٧٢٦
٣ــ تعليم وتأهيل ابنتهم ٧٢٨
٤ــ الستر على البنت إن كانت قد أحدثت والسعي نحو تزويجها بمن قد فجر بها ٧٢٩

أ ــ الستر على البنت إن كانت قد أحدثت ٧٢٩

ب ــ تزويج البنت بمن فجر بها: ٧٣٢

المبحث الثالث

العلاج الدوائي من الفتاة العانس

١ــ الصبر والاحتساب والتسليم لأمر الله والسلو ٧٣٦

٢ــ الدعاء والاسترجاع ٧٣٨

٣ــ إشغال العانس وقتها بالعبادات ٧٤٢

٤ــ عدم تفويت الفرص السوانح وعدم الاشتطاط في الطلب........ ٧٤٥

٥ ــ لتعلم أن التي تموت بكرا فلها الجنة ٧٤٨

المبحث الرابع

العلاج الدوائي من الفتى العانس

١ ــ الزواج أمر لا بد منه وواقع لا مفر منه ٧٥٣

٢ ــ تشابه النساء في المستوى العام ٧٥٤

٣ ــ التبكير بالزواج أفضل من تأخيره وتسويفه:........................ ٧٥٥

الخاتمة.. ٧٥٧

قائمة المصادر ٧٥٩

الفهرس ٧٦٧